رواية

برنار فيربير

ثَورةُ النّمل

ترجمة:

أيف كادوري ـ حازم عبيدو



ثَورةُ النّمل



Author: **Bernard Werber** اسم المؤلف: برنار فيربير

Title: **La Révolution des fourmis** عنوان الكتاب: ثَورةُ النّمل

Translated by: **Ève Cadoret - Hazem Obedo** ترجمة: أيف كادوري – حازم عبيدو

P.C.: **Al–Mada** الناشر: دار المدى

First Edition: **2021** الطبعة الأولى: 2021



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

+ 964 (0) 770 2799 999 + 964 (0) 780 808 0800

+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: بشامون – شارع المدارس

Beirut: Bchamoun - Schools Street

+ 961 175 2617 + 961 706 15017

+ 961 175 2616

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

Damascus: Karjieh Haddad Street - from 29 Ayar Street

+ 963 11 232 2276 + 963 11 232 2275

+ 963 11 232 2289 ص.ب: 8272

برنار فيربير

مكتبة | 885
سُر مَن قرأ

ثَورةُ النّمل

ترجمة عن الفرنسية :
أيف كادوري - حازم عبيدو



إلى جوناثان.

1 + 1

3 =

(على الأقلّ، هذا ما أرجوه من كلّ قلبي)

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق،

إدمون ويلز.

اللّعبة الأولى:

كُوبّة

1. نهاية

فتحَتِ اليدُ الكتاب. راحتِ العينان تركضان من اليمين إلى اليسار، وما إنْ وصلَتا نهايةَ السَّطرِ حتى نَزلَتا.

تتّسعُ حدَقَتا العينين أكثر.

تدريجيّاً، تُولّدُ الكلمات المترجمةُ من الدماغ صورة، صورةً هائلة.

تُضيء، عندَ أسفلِ الجمجمة، الشاشة البانوراميّة الداخليّة الضخمة للدماغ. إنّها البداية.

تُجسِّدُ الصّورةُ الأولى...

2. نزهَةٌ في الغابَة

... الكونَ الشاسع، الكحليَّ والبارد.

فلنتفحّصِ الصورةَ عن كثبٍ ولنقرّبِ العدسة من منطقةٍ منثُورة بأعداد لا تُحصى من المجرّات متعدّدةِ الألوان.

في نهايةِ ذراع إحدى هذه المجرّات: ثمّةَ شمسٌ قديمةٌ متلألئة.

تنزلقُ الصورةُ مُقتربةً نحونا أكثر.

حولَ هذه الشمس: ثمّةَ كوكب صغير دافئ ومعرّق بغيوم لؤلؤيّة.

تحتَ هذه الغيوم: ثمّةَ محيطات أرجوانيّة تحدُّها قارّات مَغراء اللون.

على هذه القارّات: ثمّةَ سلاسل جبليّة، سهول، وتجمُّعات غابات فيروزيّة.

تحتَ أغصان الأشجار: آلافُ الأصنافِ الحيوانيّة. وثمّة صِنْفان بينها متطوّران على نحو خاص.

ثمّة خطوات.

هناكَ مَنْ يسيرُ في الغابة الربيعيّة.

إنّها فتاة من البشر. شعرها انسيابيٌّ أسودُ طويل، وترتدي سترةً سوداءَ فوق تنورةٍ طويلةٍ باللون ذاته، وعلى قزحيّتي عينيها ذاتَي اللون الرماديّ الفاتح ترْتَسِم زخرفات مُعقّدة، ناتِئة بعضَ الشيء.

في ذاكَ الصباح المبكر من شهر آذار، كانت تسيرُ بخطواتٍ مُفعمةٍ بالحيويّة. ويرتجُّ صدرها بتأثيرِ الجهد.

تصبّبت بضعُ حُبيباتٍ من العرق من جبينها وعن أعلى فمها، ولمّا انحدَرتْ إلى زاويتي شفَتيها، ارتشفتها دُفعة واحدة.

تُدعى هذه الشابّة ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين جولي. وهي في التاسعة عشرة من عمرها. كانت تجوبُ الغابة بصحبةِ أبيها، غاستون، وكلبها آشيل لمّا لبثتْ، فجأةً، في مكانها؛ إذْ انتَصَبتْ أمامها، مثل إصبع، صخرةٌ رمليّة ضخمة، مشرفةٌ على واد.

دنَتْ من رأسِ الصخرة.

بدا لها أنّها تميّز في الأسفل، خارج المسالِكِ المطْرُوقة، درباً يُفضي إلى حوض.

وضعتْ يديها على شكل بوق:

- آيْ، أبي! أعتقدُ أنّي اكتشفتُ درباً جديداً. اتْبعني!

3. تسَلْسُل

تركضُ إلى الأمامِ مباشرة. ثمّ تنحدِرُ بمسارٍ متعرّج لتتفادى براعمَ شجرةِ الحور المنتصبة حولها على شكل مغازِلَ أرجوانيّة.

يتناهى إلى السمع اصطفاقُ أجنحة. تفرُدُ فراشات أجنِحَتها الرافلةَ بشتّى الألوان وتخفِقُ في الهواء في إثْر بعضِها بعضاً.

وفجأة، تلْفِتُ بصرها ورقةٌ جميلة. من تلك الأوراق اللذيذة القادرة على أنْ تصْرِفَ الحشرةَ عن شؤونها. تُوقِفُ جريها وتدنو منها.

ورقة فاتنة. سيكفي تقطيعها على شكل مكعّبات، وهرسها بعضَ الشيء، ثمّ طليها باللّعاب لتتخمّر حتّى تتّخذَ شكل كرات بيضاء صغيرة مترعة بالميسيليوم العطريّ ذي الرائحة الزكيّة. تقطَعُ النملة العجوز الصهباء أساس السّاق، بنَصْلِ الفكّ، وترفعُ الورقة فوقَ رأسها، كشراعٍ واسع.

لكنّ الحشرةَ تجهلُ قوانين الملاحَةِ الشراعيّة كافّة. وما إنْ تنتصِبَ الورقةُ

حتّى تضربَها الريح. يظلُّ وزنُ النملة الصهباء العجوز، مع كدّ سائرِ عضلاتها الجافّة الصغيرة، أخفَّ من أنْ يحدَّ اندفاعةَ الورقة. فتَميل، فاقدةً التوازن. تتشبّثُ بالغُصن، بجميعِ مخالبها، غير أنّ الهبوب عاتٍ جدّاً. ومُنقَادةً من الريح، ترتفعُ النملة.

بالكاد تسنّى لها أنْ تُفلِتَ قبل أن تطيرَ عالياً. أمّا الورقةُ فتهبط بتمهّل مُتعرّجةً في الهواء.

ترمقها النملة العجوز وهي تسقُطُ وتقولُ في سرّها: ليس للأمر أهميّة؛ إذ هناكَ أوراقٌ غيرها وحتّى أصغر منها حَجماً.

تتهادَى الورقةُ بالهبوط مُتماوجة. تستغرقُ زمناً لتحطَّ على الأرضِ برِقَّة.

تُلاحِظُ بزّاقةٌ ورقةَ الحور المفرطة الجمال هذه. يا لهُ من وعدِ وليمةِ عصرونيّة لذيذة!

يرى حرذونٌ البزّاقة، ويهمُّ لابتلاعها ثمّ يُلاحظ الورقةَ أيضاً. لماذا لا ينتظر أن تلتهمها البزّاقة فتغدو أسْمَن. يلبثُ بعيداً مُترصّداً وجبةَ البزّاقة.

يلمحُ ابن عرس صغيرٌ الحِرذونَ، وآنَ يتهيّأ لابتلاعهِ يتبيّنُ له بأنّه كامنٌ في انتظارِ البزّاقةِ أنْ تُنهي التهامَ الورقة، فيقرّر الانتظارَ بدوره. تمكُثُ، تحتَ الأغصان، ثلاثةُ كائناتٍ مُتكاملة بيئيّاً مترصّدةً لبعضِها البعض.

فجأة، ترى البزّاقةُ بزّاقةً أخرى تقتَرب. وماذا لو أرادتْ هذهِ سرقةَ كنزها؟ دونَ أنْ تُهدرَ وقتاً إضافيّاً، تنقضُّ على الورقة الشهيّة وتلتهمها حتّى آخرِ ضلعٍ فيها.

وما إنْ تُنهي وجبَتها، حتّى ينقضّ الحِرذَونُ عليها ويزدَردّها كخيطِ معكرونة. ثمّ يحينُ دور ابن عرس ليتلقّفَ الحِرذَون. فيعْدُو، قافزاً فوق الجذور إلّا أنّه يصطَدمُ، بغتةً، بشيءٍ طريّ...

4. درب جديد

باغتَ ظهورُ ابن عرس الشابّة ذات العينين الرماديتين الفاتحتين. إذْ برزَ الحيوانُ فجأةً من خلل أجمة، واصطدم بساقيها.

أجفلتْ بفعلِ الصدمة وزلّت قدَمها عند حافّة الصخرة الرمليّة. نظرت إلى الهاوية تحتها، فاقدة التوازن. الحذر من السقوط. السقوط، إلّا السقوط.

رفرَفتِ الشابّة بذراعيها، خفقتْ في الهواء لتتدارك نفسَها. تفصيل بسيط يحسم الأمر. كأنَّ الوقت يتَباطأ.

ستسقُط، أَمْ لن تسقُط؟

للحظة، تبادر لذهنها أنَّ بوسعها النجَاة، لكن نسمةً خفيفة أحالتْ فجأةً شعرها الأسود الطويل إلى شراع منسول الخيطان.

كلّ شيءٍ تضافرَ لكي يُسقِطها في الجانب الخطأ. الريح دفعتها. انزلقت قدمها أكثر، وفرّت الأرض من تحتها. جحظتِ العينان الرماديّتان الفاتحتان واتّسعت حدقتاهما ورفَّتِ الأهداب.

هَوَتِ الشّابة، مدفوعةً، في الوادي. أثناء الوقوع، لَحَفَ شعرُها الأسودُ الطويلُ الوجْهَ كأنّما أراد حمايته.

حاولتِ التمسّكَ ببعض نباتات المُنحدر القليلة إلّا أنّها أفلَتَت من بين أصابعها، تاركةً لها الزهور وأوهامها. فتدحرَجَتْ على الحصباء.

الانحدار أشدّ من أنْ يسمَحَ لها بالنهوض. أُلهِبتْ بحاجزٍ من القرّاص، خدّشَتْها شُجيرات العُلَّيق، وهوتْ إلى حقلِ سَرْخس حيث أَمَلَتْ أنْ ينتهي سقوطها هناك. للأسف، الأوراقُ العريضة كانت تُغطي مجرى سيلٍ ثانٍ، أشدّ وعورة. جرّح حجرٌ يديها. وأظهرَتْ أَجَمة أخرى من السَّرْخس المِقدارَ ذاتهُ من الغدر. اجتازتهُ لتسقُطَ من جديد. تجاوزتْ، بالمُجمَل، سبعةَ جدرانٍ من النباتات، تجرّحَتْ بأشواكِ التُّوتِ البريّ، مُطْلِقةً باقةَ نُوّارِ هندباء على هيئةِ سِربِ نجوم.

واصلت الانزلاق، تنزلِقُ أكثرَ فأكثر.

اصطَدَمت قدَمُها بصخرةٍ ضخمةٍ مدبّبة، ومزّقَ ألم حادّ وصاعق كعبَ قدمِها. في نهايةِ المطاف، تلقَّفتْها بركةُ وحلٍ بنيّ مثل برّ أمانٍ لزِج.

استقامتْ جالسةً، نهضتْ ثانيةً، ونظّفت نفسها بالحشائش. كلُّ شيءٍ بُنّي: ثيابها، وجهها، شعرها، كلُّ شيءٍ ملطّخ بالطين، حتى فمها الذي خلّفَ فيه طعمَ مَرار.

مسّدَتِ الشابّة ذاتُ العينين الرماديّتين الفاتحتين كعبَها المُتألّم. لم تكنْ قد استفاقَتْ من الصّدمةِ بعد لمّا شعرتْ بشيءٍ بارد ولزج ينزلقُ على معصَمِها. ارتَعدَت. أفعى. أفاعٍ! وقعتْ على عشّ أفاعٍ وهي تنتشر في المكانِ وتزحَفُ عليها.

أطلَقَت صرخةَ ذعرٍ.

إذا كانت الأفاعي تفتقدُ لحاسّةِ السمع، فإنَّ لسانها المفرط الحساسيّة يتيحُ لها إدراكَ ذبذباتِ الهواء. وَقْعُ تلكَ الصرخةِ عليها تردَّدَ مثل انفِجار. وبدورها فرّت الأفاعي المذعورة في شتّى الاتّجاهات. سارعتْ أُمّهاتُ الأفاعي قلقاتٍ نحوَ صِغارها مُتّخذات شكلَ حرف S عصبيّ.

مرّرت الفتاةُ يداً على وجهها، ورفعتِ الخصلَةَ التي كانت تحجبُ بصرها، بَصَقتِ الطينَ المرَّ وغالبت نفسها على صعودِ المنحدر. الانحدارُ مُفرِطُ الوعورة وكعبُ قدمِها يؤلمها. أذعنتْ للقعود من جديد وللمُناداة.

- النجدة! أبي، النجدة! أنا هنا، في الأسفل. تعالَ وساعدني! النجدة!

صرختْ مُطوّلاً إلى أنْ بُحَّ صوتها. دونَ جدوى. كانت في قاعِ هاويةٍ وحيدةً ومجروحةً ولم يأتِ أبوها لإنقاذِها. هل تاهَ هو أيضاً! وفي هذه الحالة، من سيجدها في أخفَضِ نقطة من هذه الغابة وراءَ كلّ هذا القدْرِ من أَجَمات السرخس؟

تنفّستِ الفتاةُ ذاتُ الشعرِ الدّاكن والعينين الرماديّتين الفاتحتين عميقاً، محاولةً تهدئةَ قلبها الذي يخفقُ بقوّة. كيف السَّبيلُ للخروجِ من هذا المأزق؟

مسحتِ الطينَ الذي كان لا يزال يُلطّخُ جبينها ونظرتْ حولها. على يمينها، على حافّة الأخدود ميّزت من خَلَلِ الأعشاب الطويلة منطقةً معتمة. بمشقّةٍ اتّجهَتْ نحوها. كان نَبْتٌ من الشوكيات والهندباء يُخفي مدخلاً لما يشبِهُ نفقاً محفوراً على مستوى الأرض. تساءلتْ عن الحيوانِ الذي حفر هذا الجُحْرَ الضخم. إنّه أكبر من أن يكون مسكنَ أرنبٍ بريّ، أو ثعلبٍ أو غريرٍ. وما من دِببَة في هذه الغابة. هل هو مأوى ذئب؟

لكن، المكان ذو السقْفِ الواطِئ واسع ليمرِّرَ شخصاً رَبْعُ القامة. لم تكنْ مُطمئنة كثيراً وهي تُجازف بدخوله، غير أنّها أَمَلَتْ بأنْ يُفضي بها ذاك الممرّ إلى مكان ما. لذا، زاحفةً، غاصتْ في ممرّ الطَّمْي.

أخذتْ تتقدّمُ مُتلمّسةً دربها. تبيّنَ لها أنّ المكان لا يلبث يزدادُ حُلكَةً وبرودة. هربت من تحتِ راحة كفّها كتلة واخزةٌ. قنفذ رِغْديد كان على طريقها وقد تكوّرَ قبل أنْ يفرّ في الاتّجاه المُعاكس. واصَلتْ قُدماً في ظلام مُطبق، أحسَّتْ حولها بحركاتٍ متوتّرة وسريعة.

لا تزال تتقدّم خافضةَ الرأسِ على مرفقيها وركبتيها. تأخّرتْ كثيراً، وهي طفلة، في تعلّمِ الوقوف ومن ثمّ المشي. أغلبُ الأطفالِ يمشُون بعمر السنة، بينما هي انتظرتْ ثمانيةَ عشَرَ شهراً. إذ بدَتْ لها الوضعيّة العموديّة غير آمنة. السّيرُ على أربَعٍ أكثر أمناً بكثير. عندئذ يُبْصِرُ المرءُ عن قربٍ كلّ الأشياء المُبعثَرةِ على الأرضيّة، وإذا ما سقَط، فسيَسْقُط من ارتفاعٍ مُنخفِض. لو لم تُجبرها أمّها ومربيّاتها على الوقوفِ لكانت قَضَتِ الباقي من حياتها سويّةَ الموكيت راضيةً.

بدا النفَقُ غير نهائيّ... ولتبثَّ الشّجاعةَ في نفسها على الاستمرار، أَرغَمتْ نفسها على دنْدَنةِ أغنية للأطفال:

فأرةٌ خضراء
تعْدُو بينَ العُشبِ
نُمسِكها من الذَّيلِ
ونُريها لأولئك السَّادة.
فيقولُ السَّادةُ أولئك: غمّسوها بالزيت،
غمّسوها بالماء
وستحصلون على حلَزون ساخنٍ!

أعادَتْ غناءَ هذا اللحن ثلاثَ مرّاتٍ أو أربع، رافعةً الصوت أعلى في كلّ مرّة. لقد علّمها أُستاذها في الغناء، البروفيسور يانكلفيتش، أنْ تتلحّفَ داخلَ اهتزازاتِ صوتها كما في جوفِ شرنقةٍ دافئة. غير أنّ البردَ القارس في ذلك المكان منَعها من رفعِ صوتها. وسرعان ما تحوّلتِ الأغنية إلى بخار مُتصاعِدٍ من فمها المثلّجِ ثمّ خفَتَتْ أنفاساً مبحُوحة.

مثل طفلٍ عنيد يريدُ المواصلةَ بحمَاقةٍ حتّى النهاية، لم تفكّرْ في العودةِ أدراجَها. واستمرّت في زحفها تحتَ أديمِ الأرض.

تراءى لها ومضٌ خفيف يلتمعُ في البعيد.

لمّا رأتْ، مُرهقةً، الومضَ ينشَطرُ إلى عدّة التماعات صفراء ضئيلة، وراحَ بعضُها يتلألأ، ظنّت بأنّ الأمر لا يتعدّى هلوسةً.

للحظةٍ، خُيّل للفتاةِ ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين بأنَّ النّفقَ هذا ينطَوي على ألماس؛ وهي تدنو، اكتشفت أنّهُ يَرَاع، حشراتٌ فوسفُوريّةٌ تجثم على مُكَعَّب مثالي.

مُكعَّب؟

مدّتْ أصابعها، وعلى الفور، انطفأتْ حشراتُ اليرَاعِ واختفَت. لا تستطيعُ جولي الاعتمادَ على بصرها في تلكَ الظّلمة المُطبقة. فتلمّست المكعب، مُستَجمِعةً كاملَ رهافةِ حسّها بالتلمّس. أملس. صلباً. وبارداً. وليس هو حجر ولا قطعة صخر. ثمّة مقبض، وقِفْل... إنّه غرضٌ مصنوع بيدِ إنسان.

حقيبةٌ صغيرةٌ على شكلِ مُكعَّب.

بعد أنْ أدركها الإرهاق، قفلتْ عائدة وخرجَتْ من النفق. نباحٌ مبتَهج، في الأعلى، أبلَغها بأنّ أباها عثر عليها. إنّه في الأعلى، مع آشيل، ويهتف بصوت واهن وبعيد:

– جولي، أنتِ هنا، ابنتي؟ أجيبي، أرجوك، أَعْطيني إشارة!

5. إشارة

تقوم بحركةٍ بالرأس على شكل مُثلّث. تتمزّق ورقة الحور. لقد التقطَت النملةُ الصهباء العجوز ورقةً أخرى وشرعت بتناولها تحت الشجرة دون إهدار وقت في تركها تتخمّر. إذا لم تكن الوجبة لذيذة، فهي مقوّية على الأقل. على أيّة حال، هي لا تحبّ أوراقَ الحور كثيراً، تفضّل اللّحم عليها، ولكن بما أنّها لم تأكل شيئاً منذ هروبها، فلا مجال للتأفّف.

لا تنْسَى، بعدَ فراغها من وجبتها، أنْ تنظّفَ نفسها. فتأخذ القرن الطويل الأيمن، بطرف مخلبها، وتثنيه إلى الأمام حتّى مستوى شفتيها. ثمّ، توجّهه نحو القناةِ الفمويّة، تحتَ الفكّين، وتمتَصّ القرنَ لتُنظّفه.

بعدَ طلي قرنيها بزبدِ لُعابِها، تملّسهما في شقّ الفُرشاةِ الصّغيرةِ الموضُوع تحتَ سِيقانها.

تُحرّكُ النّملة العجوز الصهباء مفاصل بطنها، وصدرها، وعنقها إلى الحدّ الأقصى. ثمّ تُزيل، بمخالبها، الأوساخ عن مئاتِ أوجهِ عينيها. ليس لدى النّمل جفون لحماية العيون وترطيبها؛ فإنْ لم يُواظِبْ على تنظيف عدساته العينية، لن يميّز بعد مدّة وجيزة غير صُورٍ مبهمة.

كلّما عادتْ أوجُهها نظيفة، تغدو رؤيتها أوضح لما هو أمامها. وها ثمّة شيء. شيء كبير، بل هائل، تغطيه الأشواك، إنّه يتَحرّك.

انتباه، خطر: قنفذ ضخْمٌ يخرجُ من كهف!

ينبغي، على الفور، اللوذ بالفرار. ينقضُّ عليها القنفذُ، الكتلة الضخمة المُغطّاة بالإبر الواخزة، فاغرَ الفم.

6. لقاءٌ مع شخصٍ مُدهش

كانَ جسدها مثخناً بالوخز. نظّفت، غريزيّاً، جروحها الأعمق ببعض لُعَابها. حملت الحقيبة المكعّبة، وهي تعرج إلى غرفتها. جلست لبرهة على سريرها. كانتْ تمتدُّ، على الجدار، من اليسار إلى اليمين فوق سريرها ملصقات لكالاس، وتشي غيفارا، وفرقة دورز[1] وأتيلا الهوني.

نهضت جولي بمشقّة وذهبت إلى قاعة الاستحمام. استحمّت بدشّ حارٍّ وفركتْ جسمها بقوّة بصابونها المعطّر بالخُزامَى. تلحّفَتْ بمنشفةٍ كبيرة، ودسّتْ قدميها في خفّ بشكير وراحت تُزيلُ عن ثيابها لُطُوخَ الترابِ البُنيّ.

محال أنْ ينفَعَ حذاؤها للانتعال ثانية. كعبها المجروح شديد التورّم. بحثت في أسفل الخزانة عن صَنْدل قديم صيفيّ الذي لسَيْره ميّزتان؛ لا يضغطُ على كعبها ويتركُ أصابعَ قدمها طليقة. كان لجولي بالفعل قدمان صغيرتان إلّا أنّهما عريضتان جداً. ولكن معظم صنّاع الأحذية لا يتخيّلونَ للنساء أحذية سوى الأحذية الضيّقة والطويلة، ولهذا أثر مؤسف إذ يُضاعِفُ من ثَفِن الجلد المُؤلم.

1- فرقة روك أمريكيّة اشتهرت في فترة الستينيّات من القرن المنصرم. (جميع الحواشي من وضع المترجمَين)

دلَكَتْ كعبَ قدمها مجدّداً. للمرّة الأولى، تشعرُ بكلّ ما هو موجود داخل هذا الجزء من قدمها كأنَّ عظامها وعضلاتها وأوتارها قد انتظرت هذا الحادث لتعلن عن وجودها. في تلك اللحظة، كانت جميعها هناك في أوج هياجها عند الطرف الأقصى من ساقها. حاضرةً. وتعبّرُ عن نفسها بواسطة إشاراتِ استغاثة.

حيّت، بصوت خافت: «مرحباً، كعبي».

أمتعها أنْ تُحيّي جزءاً من جسدها بهذه الطريقة. ما كانت لتهتمّ بكعبها لو لم يكن مَكْدوماً. ولكن، إذا فكّرت مليّاً بالأمر، هل تخطرُ أسنانها في بالها إلّا حين تتسوّس؟ وذات الشيء، لا تُكتشف الزائدة الدوديّة إلّا في لحظة الأزمة. لا بدَّ أنّها تجهَلُ وجودَ أعضاءٍ كثيرة في جسدها، وذلك ببساطة لأنّ الأعضاء تلك لم تكن من الفظاظة بحيث ترسلُ لها إشارات ألم.

أعادت بصرها إلى الحقيبة. كانت مبهورة بذاكَ الغرض الخارج من أحشاء الأرض. تناولتها، هزّتها. الحقيبة ثقيلة. ومحميّة بقفلٍ ينتَظِمُ بخمس عجلات، كلّ منها مزوّدة بشيفرة.

الحقيبةُ مصنوعة من معدنٍ سميك. وتحتاج مِبزَلاً لثقبها. حدّقت جولي في القفل. لقد حُفِرَ على كل دولاب أرقام ورموز. حرّكتها لا على التعيين. ربّما لديها حظٌّ واحدٌ على مليون بالعثور على التأليفِ المُناسب.

هزّت أكثر. كان ثمّةَ شيء في الداخل، غرض مفرد. بدأ اللغزُ يُثيرُ فضولها.

دخلَ أبوها الغرفةَ مع كلبه. كانَ رجلاً متينَ البنيةِ أصهَب ولديه شارب. وقد ساهم سروال الغولف في منحه هيئة خفير صيدٍ اسكتلندي.

– هل أصبحتِ بحال أفضل؟ سأل.

هزّت رأسها.

– لقد سقطتِ في منطقة لا يُمكنُ الوصولُ إليها إلّا باجتياز سور حقيقيّ من القرّاص والعُلّيق – وفسّر: إنّها أشبه بفسحة حافظت الطبيعة عليها بعيداً عن أعين الفضوليّين والمتنزّهين. وحتّى غير مُدرَجةٍ على الخريطة. من حسن الحظّ أنَّ آشيل اقتفى أثركِ هناك! ماذا كان سيحلّ بنا دون كلاب؟

امتدَحَ بعاطفةٍ كلب السيتر الإيرلندي الذي على سبيل الإجابة، مرّغَ لعاباً فضيّاً عند أسفل سروالهِ ونبح مبتهجاً.

– آه، يا لها من قصّة! أردفَ. الأمر غريب، هذا القفل المحميُّ برقم سرّي. قد يكون أقرب إلى خزنة لم يفلح اللصوص بفتحها.

هزّت جُولي شعرها الحَالِك، وقالت:

– لا.

قيّم الأب الغرض.

– لو أنّ في الداخل قطعاً نقديّة أو سبائك، لكان وزنه أثقل. ولو أنّ فيه رزماً ماليّة، لكنّا سمعناها ترتطم ببعضها. ربّما كيس مخدّرات خلّفه مهرّبون وراءهم. وربّما... قنبلة.

أنهضَت جولي كتفيها.

– وإذا كان فيها رأس بشري؟

– في هذه الحالة، كان ينبغي على هنود الجيفارو[1] تقليصه أولاً – خالفها الأب – صندوقكِ ليس كبيراً ليسَعَ رأساً بشريّاً بالحجم الطبيعيّ.

نظر إلى ساعته، ثم انصرفَ متذكّراً موعداً هامّاً. تبِعهُ كلبه، جذلاً دونما سبب واضح، يهزُّ ذيلَهُ وهو يلهثُ بصوتٍ مرتفع.

هزّتْ جولي الحقيبة ثانيةً. ما من مجال للشكّ، كان الشيء طريّاً وإذا كان ثمّة رأس في داخلها، فلا بدّ بأنّها كسرت أنفه، لكثرة ما هزّته في شتّى الاتّجاهات. وبالمحصّلة أصابتها الحقيبة بالاشمئزاز وقالت لنفسها إنه يُستحسن صرف الانتباه عنها. امتحان البكالوريا بعد ثلاثة أشهر، وإذا كانت لا تريد أن تقضي سنة رابعة فيها، فاللحظة أولى بالمراجعة.

أخرجت جولي إذاً كتابها التاريخ وبدأت تُعيد قراءته. 1789. الثورة الفرنسيّة. اقتحام الباستيل. الفوضى. انعدام السلطة. الرجالات الكبار. مارات. دانتون. روبسبير. سان جوست. عهد الإرهاب. المقصلة...

1- الجيفارو إحدى القبائل التي تعيش في الغابات المداريّة للإكوادور في أمريكا الجنوبيّة، أهلها محاربون يتّصفون بالقسوة، ويتفاخرون بجزّ الرؤوس ويتّبعون طريقة في تجفيفها لتغدو بحجم برتقالة.

دم، دم، دم شلّال لا ينقطع. «ليس التاريخُ سوى سلسلةِ مجازر»، دار في خلَدها، وهي تضع لُصاقة على جرحٍ فُتِحَ من جديد. كلما قرأت ازداد اشمئزازها. التفكير بالمقصلة ذكّرها بالرأس المقطوع داخل الحقيبة.

بعد خمس دقائق انقضّت، مسلّحة بمفك براغ ضخم، على القفل. الحقيبة تقاوم. أخذت مطرقة، وضربت على المفكّ لتضاعف قدرته على الخلع دون نتيجة تذكر. فكّرت: «أحتاجُ عتلة»، ومن ثمّ: «يا لَلَّعنة، لن أُفلحَ أبداً».

عادت إلى كتاب التاريخ وإلى الثورة الفرنسيّة. 1789. المحكمة الشعبيّة. المؤتمر الوطني. نشيد روجيه دو ليزلي. العلم أزرق-أبيض-أحمر. حريّة ومساواة وإخاء. الحرب الأهليّة. ميرابو. شينيه. محاكمة الملك. والمِقصَلة دوماً في نهايةِ المطَاف... كيف يمكن الاهتمام بهذا القدر من المجازر؟ كانت الكلمات تدخلُ من عين وتخرج من الأخرى.

لفتَ انتباهها حكّ في خشب إحدى العوارض. تلكَ الأَرَضَة المنهمكة في عملها أوحتْ لها بفكرة.

أن تُصغي.

وضعتْ أُذناً على قفلِ الحقيبة وأدارتِ الدولابَ الأوّل ببطءٍ. التقطتْ ما يشبهُ نقرةً خفيفةً جدّاً. لقد ثَبَتَتِ استِجابةُ الدولاب المُسنّن. أعادتْ جولي العمليّةَ أربع مرّات. وأخيراً أقْلَعَت الآليّة، وصَرَّ القفل. رهافةُ أذنها أَجْدَى من عنفِ مفكّ البراغي والمِطرقة، وحدها وفَّتْ بالمطلوب.

أَبدَى أبوها، مُستنداً على إطارِ الباب، دهشَتهُ:

- استَطَعتِ فتحَه؟ كيف؟

تفحّصَ القفلَ الذي حُفِرَ عليه: «1 + 1 = 3».

- همم، لا تخبريني، أعرف. فكّرتِ بأنّ هناك سلسلة أرقام، تليها سلسلة رموز، ثمّ سلسلة أرقام، سلسلة رموز وسلسلةُ أرقام، واستنتجتِ بأنّ الأمر متعلّق بمعادلة. ثمّ فكّرت بأنّ الشخص الذي يريدُ الحفاظَ على سرّ لن يستخدم معادلة منطقيّة من قبيل 2 + 2 = 4. فجرّبت إذاً 1 + 1 = 3. هذه المعادلة، تتكرّر مراراً في الطقوس القديمة. وتعني بأنّ موهبتين مجتمعتين هما أكثر فعّاليّة من مُجرّد جمعهما.

رفع الأب حاجبيه الصهباوين وملّسَ شاربه.

- فعلْتِ هكذا أليسَ كذلك؟

رمقته جولي، وفي عينيها الرماديّتين الفاتحتين التمعَ بريقٌ مُحتال. لم يكن يروقُ للأب أن يكون موضع سخرية من أحد، لكنّهُ لزمَ الصَّمت. ابتَسمَت.

- لا.

ضَغطَتِ الزرّ. حرّرَ الزنبركُ غطَاءَ الحقيبةِ المُكعّبة بحركة جافّة.

انحنى عليها الأبُ والابنة.

أمسكتْ يدا جولي المُخمّشتان المُحتوى وأخذتاهُ إلى تحتِ لَمْبَةِ مكتَبِها.

كانَ كتاباً. كتاباً ضخماً وسَميكاً تبرُزُ منه في بعضِ الأماكنِ مِزقٌ وريقاتٍ مطويّة ومُلصَقة.

ثمّة عنوان مُخطّطٌ على الغلاف بأحرفٍ كبيرة مُنمّطة:

موسوعة العلم النسبيّ والمُطلق
للبروفيسور إدمون ويلز

تذمّر غاستون.

- عنوان غريب. فالأشياء إمّا أن تكون نسبيّة أو مُطلقة، ولا يمكن أن تكون الاثنتين معاً. ثمة تناقض هنا.

هناكَ توضيح تحتَ العنوان بأحرفٍ أصغر حجماً:

المجلّد الثالث

وثمّة في الأسفل رسم يُمثّلُ: دائرة مغلقة على مثلّث، رأسه إلى الأعلى، وهو بدورهِ يضمُّ ما يُشبه Y. إذا تمعنّا ملياً بأفرع الـ Y نرى أنّها ثلاث نملات مُتلامسةَ القرون. النملة اليسرى سوداء، واليمنى بيضاء ونملة الوسط، التي هي ساق Y المقلوبة، نصفها أبيض ونصفها الآخر أسود.

أخيراً، تحتَ المُثلّث، كانت مُكرّرة المُعادلةُ التي تؤدي إلى فتح الحقيبة المكعبة: 1 + 1 =3.

- وكأنّهُ كتابُ طلاسم قديم، غمْغمَ الأب.

قدّرت جولي، مُمْعنةَ النظر بجدّةِ الغلاف، بأنّه على العكس حديثُ العهدِ جدّاً. داعبَتِ الغلاف. كانَ صقيلاً وناعمَ الملمَس.

فتحَت الفتاةُ الداكنةُ الشَّعر ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين الصفحة الأولى وقرأتْ.

7. موسوعة

مرحباً: مرحباً، أيّها القارئ المجهول.

مرحباً للمرّة الثالثة أو مرحباً للمرّة الأولى.

في الواقع، سواء عثرتَ على هذا الكتابِ في البداية أو في النهاية فليسَ للأمر أيّة أهميّة.

هذا الكتابُ سلاح يهدُف إلى تغييرِ العالم. لا، لا تتبسّم. ذلك ممكن. أنت قادر على ذلك. يكفي أن يريد شخص ما شيئاً بالفعل لكي يَحدُث. يمكنُ أنْ يؤدي بعضٌ من سببٍ إلى نتيجةٍ فادِحَة. يُقالُ بأنّ رفرفة جناح فراشة في الهونولولو تكفي لتسبّبَ إعصاراً في كاليفورنيا. أمّا أنتَ فلديكَ أنفاس وهي أعتَى بكثيرٍ ممّا تُثيرهُ رفرفة جناحِ فراشة، أليسَ كذلك؟

إنّي ميت. وأعتذر، إذ لن يكون بوسعي مساعدتك إلّا بطريقة غير مباشرة، عبر هذا الكتاب.

الذي أقترحُهُ عليكَ هو القيام بثورة. أو، بالأحرى، يجدرُ القول، «ارتِقاء». فثورتنا غير مُحتاجة أبداً لأن تكون عنيفةً أو مُبهرة، على غِرارِ ثورات الماضي.

أراها أشبه بثورة روحيّة. ثورة نمل. مُحتَشمة. بلا عنف. تَتَابُع لمسَاتٍ خفيفة قد يُظنُّ بأنّها تافهة لكنّها، في تراكمها الواحدة تلو الأخرى، في النهاية تقلُبُ جبالاً.

أظنّ بأنّ الثورات القديمة أخطأت بنفاد الصّبرِ والتزمّت. والطوباويون لم يفكّروا إلّا على المدى القصير. لأنّهم أرادوا بأيّ ثمن رؤية ثمار عملهم في حياتهم.

ينبغي على المرء القبول بأن يزرع ليجني آخرون في زمن آخر وفي بقاع أخرى.

فلنناقِش الأمر سويّةً. ولكَ، مادام حوارنا مستمراً، مُطلق الحريّة في الإصغاء إليّ من عدمه (سبقَ لك وأَصغيتَ للقفل، هذا دليلٌ إذاً على أنّكَ تُجيد الإصغاء، أليسَ كذلك؟)

من الواردِ أنْ أُخطِئ. فأنا لستُ قائداً فكريّاً، ولا زعيماً رُوحيّاً، ولستُ مقدّساً. أنا مجرّد رجل يعي بأنَّ المغامرة الإنسانيّة لا تزال في بدايتها. نحن لسنا سوى أناس ما قبل التاريخ. جهلنا لا تحدّه حدود ولا يزال أمامنا ابتكارُ كلّ شيء.

ثمّة الكثير من العمل... كم من الروائع أنتَ قادرٌ على إنجازها!

أنا لستُ أكثرَ من موجة تتداخل مع موجة القارئ الخاصّة بك. وهذا اللقاء-التداخل، هو ما يثير الاهتمام. وعلى هذا النحو، لن يكون الكتابُ هو عينه لدى كلّ قارئ. كما لو أنّه حيّ يُلائِم معناهُ وفقاً لثقافتك، ذكرياتك، حساسيّتك بوصفك قارئاً خاصّاً.

كيف سأتصرّف بوصفي «كتاب»؟ ببساطة سوف أسرد لك قصصاً قصيرةً غير معقّدة عن الثورات، الطوباويات، السلوك البشري والحيواني. وعليكَ أنت أن تستخلص منها أفكاراً، وأن تتخيّل الأجوبة التي ستُعينكَ في مسارك الشخصيّ. من جهتي ليس لديّ أيّة حقيقة أقترحها عليك.

فإذا رغبت، سيصبح هذا الكتاب حيّاً. وآملُ أن يغدو صديقاً لك، صديقاً قادراً على أن يُعينكَ على تغيير نفسك والعالم.

الآن، إذا كنتَ جاهزاً وتودُّ ذلك، أقترح عليك أن نقوم معاً مباشرة بأمرٍ هامّ: لنقلب الصفحة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

8. على وشكِ الانفِجار

برفق لامسَ إبهام يدها اليمنى وسبابتها زاوية الصفحة، أمسكاها مُتهيّئين لقلبِها لمّا عَلا صوت في المطبخ.

«إلى المائدة!» نادت أمّها.

انتهى وقت القراءة.

جولي فتاة في التاسعة عشرة من عمرها، رقيقة البنية. ذات شعر أسود، لامع، انسيابي، وناعم، يتهدّل مثل ستارة حتّى وركيها. بشرتها الفاتحة تشفُّ عن عروق زرقاء تبينُ أحياناً ولا تكاد تختفي في اليدين والصدغين. ورغم شحوب عينيها إلّا أنّهما مُشرقتان ودافئتان. تَشِي، هيئتهما اللوزيّة، بزمن طويل مفعم بالغضب وحالة دائمة من الصخب، تضفيان عليها مظهر حيوان صغير قلق. ويحصل أحياناً أن تصوّبهما في اتّجاه فيبدو كما لو أنّ شعاع ضوء ثاقب سينبثق منهما ليضرب ما يثير امتعاض الشابّة.

لا تعتبر جولي جسدها ملفتاً للنظر، فلا تنظر إلى نفسها في المرآة أبداً.

لم تكن تتعطّر قطّ. ولا تتمكيج. ولا تطلي أظافرها. وما النفع من ذلك أصلاً، هي دوماً تقرضها.

إضافة إلى أنّها لا تُعيرُ أناقتها أدنى جهد. فقد دأبت على إخفاء جسدها داخل ملابس فضفاضة ودَكناء.

أمّا مسيرتها المدرسيّة فقد شهدت تفاوتاً ملحوظاً؛ إذ ظلّت إلى نهاية المرحلة الثانويّة محافظةً على تقدّمها صفّاً على أقرانها وكان ذكاؤها ونضج وعيها مبعثَ سرورِ معلّميها. لكنّ كلّ شيء تعرقل منذ ثلاثة أعوام. فشلت في الشهادة الثانويّة وهي في سنّ السابعة عشرة، ثم ثانيةً في الثامنة عشرة. وفي عمر التاسعة عشرة أخذت تتهيّأ لعبور ذاك الامتحان للمرّة الثالثة إلّا أنّ درجاتها في الصفّ لم تتدنَّ يوماً إلى هذا الحدّ.

تزامن تردّيها الدراسيّ مع وقوع حدث: موت مُعلّمها في الغناء، الرجل المسنُّ الأصمُّ الطّاغية الذي كان يعلّم فنّ الأداء الصوتي بأساليب مبتكرة. المدعوُّ يانكَلفيتش، والذي كان على يقين من امتلاك جولي موهبة عليها أن ترعاها.

لقد علّمها التحكّم بالتنفّس من بطنها، ومن رئتيها، من حجابها الحاجز حتّى الوضعيّة الأنسب لعنقها وكتفيها. كلّ تفصيل يؤثّر على جودة الغناء.

كان يتملّكها شعور أحياناً وهي بين يديه بأنّها مزمار قربة يلحّ معلّم

موسيقى على جعل أدائه رائعاً. وباتت تُجيد التنسيق بين خفقات قلبها وانتفاخ رئتيها.

لم ينسَ يانكلفيتش العمل على القناع. فعلّمها كيف تحوّل قسمات وجهها وشكل فمها لتُحسّن من آلة جسدها.

تكاملت التلميذة والمعلم على أحسن وجه. ورغم صممه، كان المعلّمُ الأشيب يستطيع، بمجرّد مراقبته حركات فمها ووضع يده على بطنها، تمييز نوعيّة الأصوات الصادرة عن الشابّة. إذ تتردّد اهتزازات صوتها في سائر عظامها.

- إنّي أصمّ؟ وماذا يعني! بيتهوفن أيضاً كان أصمّ ولم يمنعه ذلك من إنجاز عمل جيّد، يصيحُ مُشدّداً.

لقد علّم جولي بأنّ الغناء يختَزنُ قوّةً تتجاوزُ الابتكار البسيط لجمال سماعيّ. علّمها بأنْ تضبطَ مشاعرها لإزالة التوتر، وكيف تطرد مخاوفها باللجوء إلى صوتها فحسب. لقد علّمها الإصغاء إلى أغاني العصافير لتُساهمَ هي أيضاً في تدريبها.

لمّا كانت جولي تغنّي، كان ينبثق من بطنها عَمُود من الطاقة مثل شجرة، ويكتنفها شعور أقرب إلى النشوة.

لم يكن المعلّم مستكيناً لحالةِ صممه. كان دائم الاطلاع على أساليب الشفاء الجديدة. وفي أحد الأيّام، نجح جرّاح شاب على قدرٍ من المهارة في زرعِ سمّاعةٍ إلكترونيّة له تحت الجمجمة أزالت إعاقته نهائيّاً.

ومنْ ذاكَ الحين، التقطَ مُعلّم الموسيقى المسنّ أصواتَ العالَمِ كما هي على طبيعتها، الأصوات الحقيقيّة. الموسيقى الحقيقيّة. سمع يانكلفيتش أصوات الناس والأغاني الشعبيّة في المذياع. سمع إنذارات السيّارات ونُباح الكلاب، جريان المطر وهسهسة الجداول، طقطقة الخطوات وصرير الأبواب. سمع العطسات والضحكات، التنهّدات والنشيج. سمعَ التلفزيونات المُشغّلة باستمرار في أرجاءِ المدينة كافّة.

وقد غدا يوم شفائه، الذي يُفترضُ أنّه يومُ سعادة، يومَ يأس. لاحظَ مُعلّمُ الغناء العجوز بأنَّ لا قرابة بين الأصوات التي تخيّلها والأصوات الحقيقيّة.

يطغى الضجيج والصخب على كلّ شيء، يطغى العنف على كلّ شيء، الصراخ، ما لا يمكنُ لأذنٍ أنْ تقبله. لم يكن العالم يزخر بالموسيقى وإنّما بأصوات ناشزة. لم يستطع الرجل المسن تحمُّل خيبة بهذه القسوة. فابتكر لنفسهِ انتحاراً يُوافقُ مُثُله. لقد تسلّق جرس كاتدرائيّة نوتردام باريس. وثبّتَ رأسه تحتَ مِدَقّ الجرس. وعند الساعة الثانية عشرة تماماً، قضى نحبه، مأخوذاً بالطاقة المرعبة لاهتزاز الدقّات الاثنتي عشرة الهائلة والمثاليّة موسيقياً.

لم تخسر جولي، بهذا الرحيل، صديقاً فحسب، وإنّما خسرت المرشد الذي كان يساعدها على تنمية موهبتها الأساسيّة.

بالطبع، عثرت جولي على مُعلّم غناء آخر، واحد ممنْ يكتفونَ بتدريبِ تلامذتهم على السلالم الموسيقيّة. وقد طلب منها أن تدفع بصوتها إلى طبقات قاسية على حنجرتها، ممّا تسبّبَ لها بألم شديد.

بعد ذلك بقليل شخّصَ طبيب أذن أنف حنجرة عُقيدات ظهرت على حبالها الصوتيّة. فأمرها بإيقاف دروسها. وخضعت إلى عمليّة، ثمّ، لبضعة أسابيع إلى أن التأمَتْ حبالها الصوتيّة، لبثت في صمت مطبق. فيما بعد، احتاجت إعادة تأهيلها، لمُجرّد استعادةِ قدرتها على التكلّم، جهوداً مضنية.

ومنْ ذاكَ الحين أخذَت تبحثُ عن مُعلّم غناء حقيقيّ قادر على تولّي توجيهها كما فعلَ يانكلفيتش. ولعدمِ العثورِ على واحدٍ مثله، رويداً رويداً عزلت نفسها عن العالم.

كان يانكلفيتش يؤكّد بأنّنا، حين نمتلك موهبة ولا نستخدمها، نكون كما الأرانب التي لا تقضم شيئاً قاسياً: فتطول قواطعها الأماميّة تدريجيّاً، وتتقوّس، وتتنامى دون نهاية، عابرةً سقف الحلق وتنتهي بأن تخترقَ الدماغَ من الأسفل إلى الأعلى. ولتصوّرِ هذا الخطر، كان المُعلّم يحتفظُ عنده بجمجمةِ أرنب تبرزُ الأسنان الأماميّة من أعلاها على هيئة قرنين. وبالمناسبة، كان يستهويه كثيراً أنْ يُري التلامذة الكسولين هذا الشيء القبيح ليشحذ به هممهم إلى العمل. ووصل معه الأمر إلى أن يكتب بالقلم الأحمر على جمجمة الأرنب:

ما مِنْ خطيئةٍ أفظَع من عدَمِ تنميةِ الموهبةِ الفطريّة.

لقد مرّت بمرحلة من فقدان الشهيّة، عندما كان محرومةً من تنمية موهبتها، وقد سبقتها مرحلةُ عدائيّة مفرطة، ثمّ لحقتها مرحلة شراهة أخذت تبتلع أثناءها كيلوات من الحلويّات، ساهمة النظر، وتحت مُتناولِ يدها مُليِّن أو مثير تقيّؤ.

توقّفت عن الاهتمام بدروسها، وغدت تغفو في الصفّ.

بدأت صحّتها تتدهور. وباتت تجدُ صعوبةً بالتنفّس، وما زاد الطين بِلّة، بأنّها بدأت تُعاني منذ بعض الوقت من نوبات ربو. كلّ جميل جلبه لها الغناء استحال ألماً.

أمّ جولي أوّل من اتّخذ مكانه على المائدة في غرفة الطعام.

- أين ذهبتما بعد الظهيرة؟ سألتْ.

- تنزّهنا في الغابة، أجاب الأب.

- هناك تعرَّضَتْ لكلّ هذه الخُدُوش؟

- وقعت جولي في أخدود، شرح الأب. لم تتأذَّ كثيراً غير أنّها جُرحَتْ في كعبِ قدمها. واكتشفت أيضاً كتاباً غريباً في ذاكَ الأخدود...

لكنّ الأمّ صرفت كامل اهتمامها إلى الوجبة الساخنة في طبقها.

- ستخبرني بكلّ شيء بعد قليل. دعنا نأكل بسرعة، فطيور السمّان المشويّة لا تنتظر. إذا بردَتْ تفقدُ كاملَ نكهتها.

سارعت أمّها لتلقّم طيور السمّان المشويّة المغطّاة بعنب الكورانت[1] متلذّذةً.

طعنةُ شوكةٍ دقيقة أخفَتَتِ السمّان مثل كرة الرغبي المملوءة بخاراً. أمسكتِ الطيرَ الصغيرَ المشويَ، وامْتصَّتهُ من ثقوب المنقار، وبأطرافِ أصابعها، فصلَت الجانحين اللّذَين دستهما مباشرة بين شفتيها، وأخيراً كسرَتْ مُطقطقةً بأسنانٍ طاحِنةٍ العظامَ الصغيرةَ القاسية.

- لِمَ لا تأكلين؟ ألا تُحبّينَ هذا الطعام؟ سألتِ الأمّ ابنتها.

1- صنف من العنب اشتهرت به مدينة كورانت اليونانيّة.

تمعّنت الشابّة في العصفور المشويّ، وقد رُبِطَ بخيطٍ رفيع، ووضِعَ بشكل مستقيم تماماً في صحنها. رأسهُ مغمور بالعنب الذي يبدو أنّه يعتمِرُهُ مثل قبّعة طويلة. استداراته الفارغة ومنقارهُ المفتوح قليلاً كانا يتركان انطباعاً بأنّ العصفورَ انتُزِعَ من أشغاله بغتةً جرّاء حدَثٍ مُرعِب، حدث يعادل، بمستواه، الانفجار المُرعبَ لبركان بومبي.

- لا أحبُّ اللحمَ... نطقت جولي.

- هذا ليس لحماً، إنّه لحم طيور، حسَمَت الأمّ.

ثمّ بنبرةٍ أرادتها تصالُحيّة:

- لن تعودي إلى أزمةِ فقدان الشهيّة. يجب أنْ تحافظي على صحّة جيّدة لتجتازي امتحانك في الثانويّة وتدخلي كلّية الحقوق. أبوكِ لأنّه درس القانون هو الآن يديرُ الدائرة القانونيّة للمياه والغابات ولأنّه يديرُ الدائرةَ القانونية للمياه والغابات حصلتِ على توصيةٍ جعلت الثانويّة تقبلُ بأنْ تُعيدي امتحانات البكالوريا للمرّة الثالثة. الآن، أتى دوركِ لتدرُسي الحقوق.

- لا أبالي بالحقوق، أعلنت جولي.

- أنت بحاجةٍ للنجاحِ في دراستك لتكوني جزءاً من المجتمع.

- لا أبالي بالمجتمع.

- ماذا يُثير اهتمامكِ إذاً؟ سألتِ الأم.

- لا شيء.

- وبماذا تُمضين وقتك إذاً؟ تعيشين قصّة حبّ، أليس كذلك؟

أسندَتْ جولي ظهرها على الكرسي.

- لا أُبالي بالحبّ.

- لا أُبالي، لا أُبالي... ليسَ في فمكِ غير هذه الكلمة. لا بدّ أنّك تهتمّين بشيءٍ أو بأحد، أصرّت الأمّ. فتاة جميلة مثلك لا بدّ بأنّ الصِّبية يتزاحمون في طلب ودّها.

اكتست سحنة جولي تجهّماً غريباً، وحدّجت بعينها الرماديّتين الفاتحتين.

- ليس لديّ صديق وليكن بعلمك أنّي لا أزال عذراء.

ارتسمَ الاستياء والدهشة على وجه الأمّ. ثمّ انفجرت ضاحكةً.

- لا توجد شابّات عَذْراوات في عمر التاسعة عشرة إلّا في كتب الخيال العلمي.

-... ليس لي رغبة أن أتّخذ عشيقاً ولا أن أتزوّج، ولا أن أكون أمّاً لأولاد، أردفت جولي. أتعلمين لماذا؟ لأنّي أخاف أن أشبهك.

استعادت الأمّ ثقتها.

- ابنتي المسكينة، لستِ سوى حزمة مشكلات. من حسن الحظّ أنّي أخذتُ لكِ موعداً، يوم الخميس، عندَ مُعالجٍ نفسيّ!

الأم والابنة مُعتادتان على مثل تلك المشاحنات. تَواصَلَ الشجار ساعة على ذاك النحو، لم تضع جولي في فمها، من ذاك العشاء، غير حبّة الكرز المغطّسة بالكحول التي تزيّن مخفوق الشوكولاتة البيضاء.

أمّا الأب، فعلى الرغم من لكزات ابنته العديدة بالقدم، لبث، كالعادة، بوجه غير مبال وامتنع عن التدخّل.

- هيّا، غاستون، قل شيئاً، صرخَتْ زوجته.

- جولي، استمعي لأمّك، قال الأب مُوجزاً وهو يطوي فوطته.

أخبرهم، وهو يهمُّ بالوقوف، أنّ عليه النوم باكراً لأنّه ينوي عند فجر يوم الغد القيام بمسير طويل مع كلبه.

- أأستطيع مرافقتك؟ سألت الشابّة.

هزّ الأب رأسه.

- ليس هذه المرّة. أريد أن أتفحّص عن قرب الوادي الصغير الذي اكتشفتِهِ وأرغب أن أكون بمفردي قليلاً. ومن ثمّ، أمّك مُحقّة، حريّ بك بدل التنزّه في الغابة أن تستعدّي للامتحان.

وبينما هو ينحني ليقبّلها ويتمنّى لها ليلة سعيدة، همست في أذنه:

- أبي، لا تتخلّى عنّي.

تظاهرَ بأنّهُ لم يسمع شيئاً.

- أتمنّى لك أحلاماً سعيدةً، ردَّ ببساطة.

خرج وهو يجرّ كلبه من رسنه. أراد آشيل، لفرط إثارته، أن ينطلقَ مثل

سهمٍ إلّا أنّ مخالبه الطويلة التي لا تنثني زحلقته على الأرضيّة الخشبيّة المُلمّعة بعناية فائقة.

لم ترغب جولي في البقاءِ بمفردها مع من أنجبتها، فتذرّعت بحاجة ملحّة وهرعت إلى التواليت.

وهي جالسة على غطاء كرسي المرحاض، البابُ مُغلق بإحكام، انتابَ الفتاة ذات الشعر الداكن والعينين الرماديّتين الفاتحتين شعور بأنّها سقطت في هاوية أعمق بكثير من هاوية الغابة. وهذه المرّة، لن يستطيع أحد انتشالها من هذا القاع.

أطفأت الضوء لتكونَ وحيدة تماماً أمام ذاتها. ولكي تُطمئِنَ نفسها أخذَتْ تُدندِن من جديد: «فأرةٌ خضراء، تعْدُو بينَ العُشبِ...»، ولكن كانت تشعر بالخواء في داخلها. تشعر نفسها تائهة في عالم يتجاوز فهمها. تشعر أنّها ضئيلةٌ ضآلة نملة.

9. صعوبةُ فرضِ النفْسِ

تعدُو النملةُ بأقصَى طاقةِ أرجلها الستّة ولفرط سرعتها تطوي الريحُ قرنيها إلى الخلف. تحفُّ ذقنها بالطحالب والأُشن. تضاعِفُ المنعطفات بين أزهار الأذريون والثالوث والحوذان المزيّف، لكنَّ مُطَارِدها لا يكفُّ ولا يملُّ. القنفذ، الضخم المدرّع برؤوس مدبّبة حادّة، يصرُّ على اللّحاق بها وتعبَقُ في الجوّ رائحة مسكه الكريهة. ترتجُّ الأرض على وقع خطواته. ولا تزال أشلاء أعداءٍ معلّقة على أشواكه، ولو تُخصّصُ النملة بعضَ الوقت لتتمعّن بها، لرأت أسراب براغيث تتسلّق أعلى أشواكه ثم تنزلق ثانيةً.

تقفزُ النملة الصهباء العجوز فوقَ مُنحدر على أمل تضليل مُطارِدِها. لكن ذلك لا يُبطِئ سرعة القنفذ. فأشواكه تحميه من السقوط وتنفعه كمخفّفٍ للصدمات. يكوّر نفسه ككرة لكي يتدحرج بانسيابيّة ثم ينهض مُجدّداً على أربع.

تزيدُ النملة الصهباء العجوز سرعتها. ثمّ فجأةً، تُميّز أمامها ما يشبه نفقاً أبيضَ وأملس. لا تُدركُ كنهه بالضبط. المدخلُ واسع بما يكفي لمرورِ نملة. ما الذي يمكن أن يكونه هذا؟ إنّه أوسع من أن يكون حفرة لجدجد أو جندب. ربّما مأوى خلد أو عنكبوت؟

قرناها المُتماديان بالاسترسال وراءها لا يُتيحانِ لها أن تشمَّ الشيء. فتضطرُّ إلى الاستعانة ببصرها الذي لا يقدّم لها صورةً واضحةً إلّا عن قربٍ شديد. وها هي على مقربة مناسبة، بالضبط، هي الآن ترى. ليس لهذا النفق القريب صلة لا من قريب ولا من بعيد بمسكن. إنّه خطم فاغر لـ... أفعى!

قنفذ من الخلف، وأفعى من الأمام. حقّاً هذا العالم ليسَ للوحيدين.

لا ترى النملة الصهباء العجوز مِنْ مخرج سوى واحد: تُمسِكُ بعودٍ وتتسلّقه. سرعان ما ينغرز القنفذ ذو الخطم الطويل في حلق الزاحف.

بالكاد يتسنّى له سحب نفسه بأسرع ما يستطيع ويعضّ عنق الأفعى. هذه الأخيرة تستديرُ مباشرةً على نفسها. إذْ لا تحبُّ أن يتطفّل أحد على أسفل حنجرتها.

من أعلى العود، تُراقب النملةُ الصهباء العجوز، منذهلةً، مُصارعةَ مُفترِسَيها.

القناة الطويلة الباردة في مواجهة الكرة الشائكة الساخنة. نظرةُ الأفعى السّامة الصفراءُ المشقوقةُ بالأسود لا تعبّر عن حبّ ولا عن كراهيّة. لا تحمل سوى الانشغال بفعّالية ضربتها. تنهمك بأن توجّه جيّداً خطمها القاتل. القنفذ يرتبك. يشبُّ محاولاً إلقاء إبره على بطن الزاحف. يمتاز الحيوان برشاقة لا تصدّق. أرجله الصغيرة التي تنتهي بالمخالب تطرق القشر المقاوم للإبر. لكنّ السوط البارد يلتفُّ ويشدّ. يفغر خطم الأفعى السام ويمدّ، مصدراً طقطقة، نابين مُسمّين يقطرُ منهما الموت السائل. القنافذ تقاوم جيّداً لسعات الأفعى السامّة إلّا إذا أصابت هذه اللسعات بدقّة المنطقة الطريّة لنهاية الخطم.

قبلَ أنْ تعرف نتيجة المعركة، تشعر النملة الصهباء العجوز بأنّها مأخوذة. إذ يبدأ العود المتشبّثة به، أمام دهشتها الكبيرة، بالتحرّك ببطء. تفكّرُ بدايةً بأنَّ الريحَ هي مَنْ تجعلهُ يتمايل، ولمّا ينفكّ العودُ عن غصنه ويأخذُ بالتقدّم، تختلط الأمور عليها وتكفُّ عن الفهم. ينتقل العود على مهل وهو يهتزّ ويتسلّقُ غصناً آخر. ثمّ يختارُ بعدَ مرحلةٍ قصيرةٍ أنْ يتسلّقَ الجذع.

تُسلِمُ النملةُ العجوز نفسها، وهي في دهشة، إلى العود المُتحرّك يأخذها. تنظر إلى الأسفل وتدركُ السرّ، للعُودِ عينان وأرجل. ما من معجزة خاصّة بالطبيعةِ الشجريّة. هذا ليس عوداً وإنّما حشرة عصويّة.

هذه الحشرات بأجسادها المُتطاولة والهشّة تحمي نفسها من مُفترِسيها بمحاكاة مظهر العيدان أو الأغصان أو الأوراق أو السيقان التي تستقرُّ عليها. من كثرة ما برَعَت هذه الحشرة العصويّة بتمويه نفسها طُبِّعَ جسدُها بعلاماتٍ من ألياف الخشب، مع بقع وتشقّقات بنيّة كأنَّ أَرَضَةً نخرت فيها قليلاً.

ميزة أخرى للحشرة العصويّة: بطؤها يساهمُ في مُحاكاتها. إذ لا يخطر لنا أنْ نهجمَ على شيء بطيء، بل شبه جامد. سبق للنملة العجوز أن شهدت استعراضاً عشقياً لحشرات عصويّة. كان يدنو فيه ذكر من أنثى، يصغرُها حجماً، مُنقلاً قدمه خطوة كلّ عشرين ثانية. ولم يتمكّن لفرط بطئه من اللحاق بالأنثى التي نأت بنفسها قليلاً عنه. لا يهمّ! لطول ما انتظرت إناث الحشرات العصويّة ذكورهنّ ببطئِهم الملحمي، تأقلمنَ في النهاية. ووجدت بعض الأصناف حلاًّ مُبتكراً لمُشكلةِ التكاثر: التوالد العذري. ما من مشكلة تزاوج عند الحشرات العصويّة، فما من حاجة لإيجاد شريكٍ من أجل التكاثر، إذ يُصنعُ الأبناءُ بالرغبةِ بهم، بذلك فقط.

اتضحَ بأنّ العودَ الذي تعتلي متنه أنثى، وها هي بدأت تبيض. بيضة تلو أخرى، ببطء شديد بالطبع، تُفلتُ البيوض التي تتقافزُ من ورقةٍ إلى أخرى مثلَ قطراتِ مطرٍ مُقسّاة. بلغ فنّ التمويه عند الحشرات العصويّة درجةَ أنْ تشبهَ بيُوضُها البذور.

تعضُّض النملة العودَ قليلاً لترى إذا كان يُؤكل. ليس لدى الحشراتِ العصويّة من دفاع سوى التقليد: يتقنون أيضاً تمثيل دور الموتى. فما إن تلمحَ الحشرةُ رأس الفكّ حتّى تتخشّبَ وتسقط مغشيّاً عليها.

لا تبالي النملة بذلك. بما أنّ الأفعى والقنفذ لاذا بالفرار، تتبع حشرتها العصويّة إلى الأسفل وتأكلها. البهيمة المثيرةُ للغيظ لا تُظهِرُ لها ولا حتّى شهقةَ الاحتضار. وتظلُّ حتّى بعد أن أُكِلَ نصفها غير مبالية كما عودٍ حقيقيّ. ومع ذلك يخونها تفصيل: لا يتوقّف طرف العود عن أنْ يبيضَ بيضَةُ –بذارَهُ.

يكفي توتراً لهذا اليوم. يميلُ الجوّ للبرودة، وتحينُ ساعة السبات اليوميّ، فتتوغل النملة العجوز الصهباء في مأوى من تراب وطحلب. ستواصل غداً البحث عن الطريق الذي يُوصِلُ إلى عشّ مسقط رأسها. ينبغي بأيّ ثمن تنبيهـ«هُنّ» قبل فواتِ الأوان.

وعلى مهلٍ تغسلُ، بعظام سيقانها، قرنيها لتلتقطَ بدقّةٍ ما يدور حولها. ثمّ تُغلقُ بحصوةٍ مأواها الصغير لئلّا تتعرّضَ للإزعاج.

10. موسوعة

تباين في الإدراك: لا ندرك من العالم إلّا ما نحن مُهيّؤون لندركه منه. بهدفِ إجراء اختبار فيزيولوجي أُغلِقَ على مجموعة قطط منذ ولادتها داخل غرفة صغيرة جدرانها مزيّنة بزخرفة عموديّة. وبعد أن بلغت هذه القطط السنّ الذي يكتمل فيه تشكيل الدماغ، أُخِذت من تلك الغرف ووضِعَت داخل عُلب تكسو جدرانها خطوط أفقيّة. تشير هذه الخطوط إلى مخابئ الطعام أو إلى فتحات الخروج، لكنّ أيّاً من تلك القطط التي تربّت في الغرف ذات الزخرفة العموديّة لم تستطع أن تأكل أو تخرج. تربيتهم حدّدت إدراكهم ضمن الأحداث العموديّة.

نحن أيضاً، نعمل ضمن حدود الإدراك ذاتها. ما عدنا نفهم بعض الأحداث لأنّه جرى تكييفنا بإتقان على فهم الأشياء بطريقة واحدةٍ فقط.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

11. سُلطةُ الكلمات

فُتِحتْ يدها وأُطبِقتْ بعصبيّةٍ قبلَ أنْ تتشنّجَ على الوسادةِ الطويلة. كانت جولي تحلُم. تحلُمُ بأنّها أميرةٌ من العصورِ الوسطى. وقد قبضَ عليها أفعوانٌ عملاق يريدُ ابتلاعها. ألقى بها في الرمال المُتحرّكة الطينيّة البنيّة حيث تعجُّ أفاع صغيرة زاحفة وراحت تغوص عميقاً في السائل اللزج. هرعَ أميرٌ شاب، يحمِيهِ درعٌ من ورقٍ مطبوع، إلى مصارعةِ الأفعوان العملاق على جواده الأبيض. أخذ يلوّحُ بسيفٍ طويل أحمر نفّاذ راجياً من الأميرة أن تصمد. فهو آتٍ لإنقاذها.

إلّا أنّ الأفعوان العملاق استخدم خطمه كقاذفة لهب. ما كان الدرع الورقيّ ذا نفع كبيرٍ للأمير. شرارة واحدة فقط ألهبت النار فيه. وقُدِّمَ هو

وحصانه مُوثَقين بخيطٍ رفيع، مشويّين في طبق، ومحاطينَ بهريسةٍ شاحبة اللون. لم يبقَ من كبرياء الأمير الوسيم أثر: جلدهُ بات بنيّاً داكناً، ومحجراه فارغان ورأسه مهاناً بحبّة عنب كورانت.

عندئذ أخذ الأفعوان العملاق جولي بأنيابه السامّة ورفعها خارج الطين ليلقي بها في مخفوق الشوكولاتة البيضاء المُشرّب بالكرومانيه (Le Grand Marnier) الذي أغرقها.

أرادت أن تصرخ إلّا أنّ مخفوق الشوكولاتة البيضاء كان يغمرها، ويملأ فمها ويمنعُ صوتها من الخروج.

استيقظت الشابّة مفزوعةً. ذعرها كان شديداً إلى درجة دفعتها لأن تتحقّقَ مباشرة بأنّها لم تُصَبْ بالبَكَم. فأصدرت صوت «أ – أ – أ – أ، أ – أ – أ – أ» من أعماق حنجرتها.

كابوس فقدان الصوتِ يعاودها مراراً وبوتيرة متزايدة. أحياناً، كانت ترى بأنّها تُعذّب ويقطعُ لسانها. وأحياناً أخرى ترى أحداً يحشو فمها بطعام. وفي أحيان يَقطَعُ لها مقصٌّ حبالها الصوتيّة. هل من الضروريّ وجود الأحلام في النوم؟ أملت بأن تغطّ في النوم ثانية وألّا تفكّر في شيء طوال الليل.

مرّرت يدها المحمومة على حنجرتها الرطبة، اعتدلت على وسادتها، ونظرت إلى ساعة المنبّه ورأت بأنّها السادسة صباحاً. لا تزال الظلمةُ في الخارج والنجوم تتلألأ خلف إطار النافذة. تناهت لها أصوات من الأسفل، خطوات ونباحات. كما أخبرها أبوها، إنّهُ يبكرُ في الذهاب إلى السير في الغابة مع كلبه.

– أبي، أبي...

لم يصلها جواب سوى صوت إطباق الباب.

عادت جولي واستلقت، محاولةً النوم، بلا جدوى.

ما الذي تخفيه الصفحة الأولى وراءها، من موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* للبروفيسور إدمون ويلز؟

أخذتِ الكتاب السميك. إنّه يتحدّث عن نمل وثورة. ينصحها الكتابُ

- دفعة واحدة - بأن تقومَ بثورة، ويستَدعي حضارةً موازيةً قد تُساعِدها على ذلك. اتسعت حدقتا عينيها. كان يبرز فجأة في منتصف كلمة ما، بين النصوص القصيرة لكتابة متوتّرة، هنا وهناك، حرف كبير أو رسمة صغيرة.

قرأت لا على التعيين:

صُمّم مُخطّط هذا العمل وفقاً لنموذج هيكل سليمان. الحرف الأوّل في رأس كلّ فصل يتطابَق مع رقم أحد أطوال المعبد.

قطّبت حاجبيها: أيُّ صلةٍ ممكنة بين الكتابة وهندسيّة معبد؟

قلّبت الصفحات.

تضمّ موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* بين دفّتيها فوضى هائلة من المعلومات، من الرسوم، ومخطّطات شتّى. كانت تحوي، وفقاً لعنوانها، نصوصاً تعليميّة، إلّا أنّ هناك أشعَاراً أيضاً، ومنشورات مقصوصة على نحو أخرق، إضافةً إلى وصفات تحضير أطباق، وقوائم لبرامج معلوماتيّة، ومقتطفات من مجلّات، وصور حديثة أو إيروتيكيّة لنساء مشهورات مرتّبة كما المنمنمات.

ثمّة تقاويم تحدّد أوقات نثر البذار، وزرع هذا النوع أو ذاك من الخضار أو الفاكهة، هناك أيضاً لُصَاقات قماشيّة أو ورقيّة نادرة، ومخطّطات للقبّة السماويّة ولعربات مترو في مدن كبيرة، مقتطفات لرسائل شخصيّة، ألغاز رياضيّة، ورسوم توضيحيّة لمنظور لوحات تعود إلى زمن النهضة.

بعض الصور كانت شديدة القسوة، تمثّل العنف، الموت والكوارث. هناك نصوص كُتبت بالحبر الأحمر أو الأزرق أو المعطّر. وبعض الصفحات الأخرى كأنّها مُلئت بنصوص كتبت بحبر غير مرئيّ أو بعصير الليمون. صفحات أُخرى لفرط ضآلة الخط المكتوب عليها تحتاج عدسة مكبّر لفك رموزها.

رأت مخطّطاتِ مدنٍ متخيّلة، سيراً لشخصيات تاريخيّة أغفلها التاريخ، نصائح لصناعة آلات غريبة...

سواء أكان ركاماً مُختلط أو كنزاً، تحتاج جولي إلى سنتين على الأقلّ لتقرأ الكتاب كاملاً، هذا ما خطر لها لمّا توقّف نظرها عند صور بورتريه غير عاديّة. تردّدت، ولكن لا، ليست مخطئة: إنّها رؤوس بالفعل. ليست رؤوساً بشريّة،

وإنّما رؤوس نمال مأخوذة بلقطات نصفيّة على شاكلة صور الشخصيّات المرموقة. ولم تكن أيّة نملة شبيهةً بالأخرى. تختلف بوضوح سعة العينين، وطول القرنين، وحجم الجمجمة. وبالمناسبة، كان لكلّ رأسٍ اسمٌ مؤلّف من سلسلة أرقام مثبّتة على البورتريه الذي يخصّه. اجتازت الصفحة.

كانت تيمةُ النمل تعود وتتكرّر بين الصور ثلاثيّة الأبعاد واللصاقات ووصفات الأطعمة والمخطّطات.

ثمّة مقطوعات موسيقيّة لباخ، وضعيّات جنسيّة مُرشّحة من كاما سوطرا، منهج الترميز الذي استخدمته المقاومة الفرنسيّة أثناء الحرب العالميّة الثانية... أيّ ذهن انتقائيّ وموسوعي استطاع تجميع كلّ ذلك؟

أكملتْ تصفّحَ هذه الفسيفساء.

بيولوجيا. طوباويات. أدلّاء، مرشد، طرق الاستعمال. طرائف عن مختلف نماذج الناس والعلوم. تقنيّات التلاعب بالحشود. سداسيّات *آي جينغ*[1].

وقعت على جملة: *الآي جينغ هو وسيط روحي والذي، على خلاف ما نتوقّعه عادةً، لا يتنبّأ بالمستقبل وإنّما يفسّر الحاضر*. تقدّمت قليلاً ووجدت استراتيجيّات مُستوحاة من سيبيون الأفريقيّ وكلاوزفيتز.

تساءلت لبرهة إذا لم يكن هذا منهج تلقين عقائديّ، ثمّ على إحدى الصفحات، قرأت هذه النصيحة:

احذروا من أيّ حزبٍ سياسيّ أو جماعة أو نقابة أو دين. لا تنتظروا من الآخرين أن يشيروا إليكم بما يجب أن تفكّروا به. تعلّموا بأن تفكّروا باستقلاليّة ودون تأثير.

وثمّة أبعد قليلاً اقتباس للمغنّي جورج براسانس:

بدلَ السعي إلى تغيير الآخرين، حاول أولاً أنْ تُغيّرَ نفسك.

هناك فقرة أخرى لفتت انتباهها:

1- كتاب التحوّلات أو (آي جينغ) كتاب صيني يعود إلى ما قبل 3000 ق.م، يقترح أنجع السبل للتعامل مع موقف خاص بالحياة، بمثابة منهجيّة لوضع المرء في المسار الصحيح في الحياة اليوميّة.

بحث صغير عن الحواس الخمس الداخليّة والحواس الخمس الخارجيّة. يوجد خمس حواس فيزيائيّة وخمس حواس نفسيّة. الحواس الخمس الفيزيائيّة هي البصر، الشم، اللمس، التذوّق، السمع. والحواس الخمس النفسيّة هي العاطفة، الخيال، الحدس، الضمير الكوني، الإلهام. إذا اكتفينا بالحواس الفيزيائيّة، نكون كمن لا يستخدم سوى الأصابع الخمس لليد اليُسرى.

ثمّةَ اقتباسات لاتينيّة ويونانيّة. وصفات أطباق حديثة. رموز صينيّة. كيفيّة صناعة زجاجة مولوتوف. أوراق أشجار مجفّفة. مِشكالُ صور. نمل وثورة. ثورة ونمل.

بدأت عينا جولي تحرقانها. شعرت بالخدر من هذا الهذيان المرئي والمعلوماتي. وقعت على جملة تقول:

لا ينبغي قراءة هذا العمل بالترتيب، ويُفضّل قراءته على هذا النحو: حين تشعر أنّك بحاجة إليه، استلّ صفحة لا على التعيين، واقرأها وحاول أن ترى إذا ما كانت تجلب لك معلومة نافعة حول مشكلتك الراهنة.

وأبعد أيضاً:

لا تتردّد في تجاوز المقاطع التي تراها مفرطة الطول. الكتاب ليس شيئاً مقدّساً.

أعادت جولي إغلاق المجلّد ووعدته بأن تستخدمه كما اقترح عليها بذاك اللطف. رتّبت غطاءها، وهذه المرّة، هدأ تنفسها، وانخفضت حرارتها قليلاً وغطّت في النوم بِدِعة.

12. موسوعة

نوم متناقض *(حركة العين السريعة)*: أثناء نومنا، نمرُّ بمرحلة خاصّة تسمّى «النوم المتناقض». تستمرّ من خمس عشرة دقيقة إلى عشرين، تنقطع وتعود لمدّة أطول بعد ساعة ونصف. لماذا أُطلِقت هذه التسمية على هذه الفترة من النوم؟ لأنّ من التناقض القيام بنشاط عصبيّ شديد أثناء أعمق فترات النوم.

إذا كانت ليالي الرُّضَّع مضطربة مراراً، فلأنّ النوم المتناقض هذا يتخلّلها

(النِسَبْ: ثلث نوم عادي، ثلث نوم خفيف، ثلث نوم متناقض). أثناء هذه المرحلة من نومهم، تظهر على الرُّضَّع تعابير وجه غريبة تمنحهم ملامح راشدين، حتى ملامح مسنّين. يرتسم على سيمائهم بالتناوب الغضب، الفرح، الحزن، الخوف، الدهشة بينما هم بلا ريب لم يعرفوا تلك المشاعر بعد. كأنّهم يستظهرون التعابير التي سيبرزونها لاحقاً.

وفيما بعد، أثناءَ حياةِ البلوغ، تقلّ مع تقدّم السن مراحل النوم المتناقض حتى لا تعود تشكّل سوى واحد من عشرة، أو واحد من عشرين من إجمالي زمن النوم.

تُعاش التجربة بوصفها متعة ويمكن أن تسبّب انتصاباً عند الرجال.

يبدو أنّ لدينا، كل ليلة، رسالة نستلمها. أجريت تجربة: تمّ إيقاظ بالغ في ذروة نومه المتناقض وطُلِبَ منه أن يقصّ ما كان يحلم به في تلك اللحظة. فيما بعد ترك لينام مجدّداً ثم هززناه أثناء مرحلة النوم المتناقضة اللاحقة. لوحظ بأنّه، حتّى لو كانت قصّة الحلمين مختلفة، إلّا أنّهما يقدّمان نواة مشتركة. كل شيء يحدث كما لو أنّ الحلم الذي انقطع كان يُستَأنَفُ بطريقةٍ مختلفة ليمرّر الرسالة ذاتها.

مؤخّراً، استنتج الباحثون فكرة جديدة. الحلم قد يكون وسيلة لنسيان الضغوط الاجتماعيّة. ونحن نحلم، نزيل التعليم الذي أجبرنا على تعلّمه في النهار والذي يخدش اعتقاداتنا العميقة. جميع القيود المفروضة من الخارج تُمحَى. ما دامت الناس تحلم، يستحيل التلاعبُ بها كلّياً. الحلمُ هو كابح طبيعيّ للشموليّة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

13. وحيدةً بينَ الأشجار

يبزُغُ الفجرُ. لا تزال السماء داكنة إلّا أنّ الجوّ حار من الآن. ذلكَ أحد تناقضاتِ شهر آذار.

مثل نجمٍ مائل إلى الزرقة يُضيء القمر الأغصان المتشابكة. هذا الضياء يوقظها وينفَحُ فيها الطاقة اللازمة لتستأنف طريقها. منذ أن بدأت تتقدّم وحيدةً داخل هذه الغابة الهائلة، لم تهنأ بقسط كبير من الراحة. إذْ إنَّ العناكب والطيور والخنافس النَمِريّة وليوث النمل والسحالي والقنافذ وحتّى الحشرات العصويّة تتّحدُ على إزعاجها.

لم تكن تعاني من كلّ هذه المشكلات حين كانت تعيش هناك، في المدينة، مع الآخرين. كان دماغها يتواصل مع «الذهن الجمعي» فلم تكن بحاجة إلى بذل جهد فردي للتفكير.

ولكن في هذا المكان، هي بعيدة عن العشّ وعن قومها. دماغها مجبور بأن يشغّل نفسه على الوضع الـ «فرديّ». يمتاز النمل بمقدرة رائعة عبر امتلاكه وضعيّتين للتشغيل الذهنيّ: الجمعيّة والفرديّة.

إلى الآن، الوضعيّة الفرديّة هي خيارها الوحيد وتعتَبرُ الاضطرارَ إلى التفكيرِ بالنفسِ دوماً للبقاء على قيدِ الحياة وضعاً مزعجاً. التفكير بالنفس، على مدى طويل، يؤدي إلى الخوف من الموت. ربّما هي النملة الوحيدة التي، لطول ما عاشت بمفردها، بات الخوف من الموت لا يفارقها.

أيّ انحطاط هذا!...

تتقدّم تحت أشجار الدردار. أزيز لخنفس يونيو ذي بطن كبير يجعلها ترفع رأسها.

تكتشِفُ مُجدّداً كم الغابة فاتنة. تحت ضوء القمر، تتلوّن جميع النباتات بالأرجوانيّ أو الأبيض. ترفع قرنيها وتلاحظ زهرة بنفسج بريّ تغمرها فراشات مُهرّجة تسبرُ غورها. على مسافة أبعد، ثمّة أساريع ذات ظهور مخطّطة ترعى أوراق شجر البيلسان. كأنَّ الطبيعة تزهو بأبهى حلّتها احتفالاً برجوعها.

تتعثّر بجثّة جافّة. تنسحب للخلف وتتمعّن في المكان. ثمّة كثيب نمل ميت، متجمّع على شكل حلزونيّ. إنّها نمال سود حصّادات. تعرفُ هذهِ الظاهرة. هذه النمال ابتعدت كثيراً عن عشّها ولمّا تساقط ندى الليل البارد، وبما أنّها لا تعلم أين تذهب، انتظمت على شكل حلزونيّ ودارت، دارت

حتّى قضت نحبها. حين نعجز عن فهم العالم الذي نعيش فيه، ندور حول أنفسنا حتّى الموت.

تقترب النملة الصهباء العجوز لتتفحّص، بطرف قرنيها، الكارثة على نحو أدق. النمال التي تشكّل الطرف الحلزونيّ ماتت أوّلاً ثمّ لحقتها نمال المركز.

تتمعّن بدوامة الموت الغريبة التي ظَهّرَها ضياء القمر الأرجواني. ما هذا التصرّف البدائيّ! كان يكفي أن تلجأ إلى أرومة شجرة أو تحفر مخيّماً في الأرض لتتقي البرد. هذه النمال السود الحمقاء لم تتخيّل شيئاً عدا أن تدور وتدور كأنّ بوسعها أن تدرأ الخطر عنها برقصة.

حقّاً، لا يزال أمام شعبي الكثير ليتعلّمه، تبثّ النملة العجوز الصهباء.

وهي تمرُّ تحتَ السرخس الأسود، تتعرّف على عطور طفولتها. الضوع المنبعث من غبار الطلع يُسكرها.

احتاجت الطبيعة زمناً طويلاً للوصول إلى هذا الحدّ من البهاء.

بدايةً الطحالب الخضراء البحريّة، أجداد جميع النباتات، نزلت القارّة. ولكي تستطيع الثبات فيها تحوّلت إلى أشن. عندئذ ابتكرت الأشن تقنيّة لتحسين جودة الأرض من أجل خلق تربة خصبة مناسبة لجيل ثان من النباتات استطاعَ، بفضل جذوره التي تمتدّ أعمق، أن ينبتَ أطول وأمتن.

ومنذ ذلك الحين غدا لكلّ نبتةٍ منطقةُ نفوذ إلّا أنّ الصراع لا يزالُ محتدماً في بعضِ المناطق. ترى النملة العجوز غصناً مُعرّشاً من تين الخنّاق يندفع بشجاعة هاجماً على شجرة كرز حلو غير مبالية. في هذه المبارزة، ليس أمام الكرز الحلو المسكين أيّة فرصة للفوز. في المقابل، تذبل أشجار أخرى من تين الخنّاق تصوّرت أنّ باستطاعتها القضاءَ على شتلة حمّاض، فقضت بنسغها السام.

أبعدَ قليلاً، تُسقِطُ شجرةُ تنوبٍ أشواكها لتصيب التربة بالحموضة إلى الحدّ الذي يبيد جميع الأعشاب الطفيليّة والنباتات المشابهة الصغيرة.

لكلّ واحد أسلحته، لكلّ واحد دفاعاته، ولكلّ واحد حيلَةُ من أجل البقاء. عالم النباتات لا يعرف الرحمة. فرقه الوحيد ربّما عن العالم الحيوانيّ، بأن الإجرام النباتيّ يحصل على نحو أبطأ، وقبل أيّ شيء، بصمت.

بعض النباتات تفضّل السلاح الأبيض على السمّ. ولتذكير النملة الجوّالة بذلك، تنتشر في أرجاء المكان مخالب أوراق نبتة البهشية، ونصال النباتات الشائكة، سنانير زهرة الآلام وصولاً إلى أشواك الأكاسيا. تجتاز حرشاً يشبه ممرّاً مكتظّاً بنصال حادّة طويلة.

تغسلُ النملة العجوز قرنيها ثمّ تنصبهما كريشتين فوق جمجمتها لتلتقط على نحو أدقّ جميع الروائح التي تطوف في الهواء. ما تبحث عنه: نفحة عطر لمسار شمّي يؤدّي إلى بلاد مسقط رأسها. لأنّ كلّ ثانية الآن أصبحت محسوبة. وعليها بأيّ ثمن تحذير مدينتها قبل فوات الأوان.

تجلب لها هبّات جزيئات شميّة أنواعاً شتّى من المعلومات غير المهمّة عن حياة حيوانات المنطقة وعاداتها.

مع ذلك تضبط إيقاع خطواتها كي لا تفقد الروائح التي تثير فضولها. تدلفُ في مجاري الهواء لتحدّد العطور المجهولة. ولكن لا تهتدي إلى أثر فتفتّش عن طريقة.

تتسلّق رعناً مُتشكّلاً في قمّة أرومة صنوبر، تشبُّ وتُدوّرُ أطرافها الحسيّة على مهل. تلتقط، بحسب شدّة قرنيها، نطاقَ تردّدٍ شميّ كامل. على معدّل 400 ذبذبة/ ثانية، لا تلتقطُ شيئاً خاصاً. تزيد حركات رادارها الشمّي. 600، 1000، 2000 ذبذبة/ ثانية. لا شيء جدير بالاهتمام إلى الآن. لا تستقبل سوى روائح نباتات وروائح حشرات لا نمل فيها: أريج زهور، أبواغ فطر، روائح خنافس، خشب متعفّن، أوراق نعنع بري...

تزيد سرعة الاهتزاز. 10000 ذبذبة/ ثانية. بتدوير قرنيها تنشأ تيّارات هواءٍ ساحبةٍ تجتذِبُ إليها الغبار من حولها. عليها تنظيفهما قبل أن تستأنف جهودها.

12000 ذبذبة/ ثانية. وأخيراً تلتقط جزئيّات بعيدة تَشِي بوجودِ مسارٍ نمليّ. فازت. اتجاه غربي – جنوبي غربي، الزاوية 12° بالنسبة إلى نور القمر. إلى الأمام.

14. موسوعة

***حول أهميّة الاختلاف*: نحن جميعنا فائزون. لأنّنا جميعاً، نتحدّر من ذلك الحيوان المنوي الباسل الذي انتصرَ على ثلاثمائة مليون من منافسيه.**

ظَفِرَ بحقّ توريث سلسلة كروموزوماته التي جعلتك ما هو أنت وليس آخر.

حيوانك المنويّ المُخصب كان أحداً موهوباً حقّاً. لم يَدْبَق في زاوية ما. عرف كيف يجد طريقه الصحيح. وربّما استطاع تدبّر أمره بسدّ الطريق على باقي الحيوانات المنويّة المنافسة.

لزمن طويل ظننا بأنَّ الحيوان المنوي الأسرع هو الذي ينجح في تخصيب البويضة. ليس الأمر كذلك البتّة. المئات من الحيوانات المنويّة المُخصّبةِ تصلُ في الوقتِ عينه إلى محيط البويضة وتظلُّ مُنتظرةً تتبخترُ بأَسْواطِها. وواحد منها فقط سينتخب.

البويضة إذاً من يختار الحيوان المنويّ الرابح من بين حشد الحيوانات المنويّة المُخصّبة المتوسّلة التي تتسابق مسرعة إلى بابها. ولكن بحسب أيّة معايير؟ تساءل الباحثون لزمن طويل. ومؤخّراً عثروا على الإجابة: يقع اختيار البويضة على من «يُقدّم الصفات الجينيّة الأشدّ اختلافاً عن صفاتها». مسألة بقاء. لا تعلم البويضة من هما الشريكان المتعانقان فوقها، فتحاول إذاً تجنّب مشكلات صلة الدم. تريد الطبيعة لكروموزوماتنا أن تسعى إلى الاغتناء بالمختلف عنها وليس ممن يشبهها.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث

15. يُرى من بعيد

آثار خطوات على التراب. الساعة السابعة صباحاً وما زالت النجوم تتلألأ عميقاً في القبّة الزرقاء.

استولى الارتياح على غاستون بانسون وهو يتقدّم برفقة كلبه عبر الدروب ذات الانحدار الشديد، في عمق غابة فونتنبلو، وسط الهواء الطلق، شَاعراً بالسّكينةِ مع كلبه. ملّس شاربيه الصهباوين. يكفيه القدوم إلى هذه الأحراش ليشعر أخيراً بأنّه رجل حرّ.

على يساره، ثمّة درب يرتقي على شكل حلزونيّ وصولاً إلى كومة أحجار. عند نهاية الصعود، يصل إلى برج دانكور، في أقصى صخرة كاسبو. من المنطقة العليا هناك، كان المشهد خلّاباً. في هذا الفجر الدافئ والذي ما يزال مُرصّعاً بالنجوم، كان القمر الهائل كافياً لإظهار المشهد كاملاً.

جلس ونصح كلبه بأن يفعل مثله. بقي الكلب واقفاً. إلّا أنّهما أخذا يتأمّلان السماء سويةً.

- أتعلم، آشيل، في الماضي كان علماء الفلك يرسمون خرائط السماء كأنّها قبّة مستوية. قسّموها إلى ثمانية وثمانين كوكباً، كما لو أنّها ثمانية وثمانون قسماً يُقدّم معرفةً عن الوضع السماويّ. معظمها لا يُرى في جميع الليالي، باستثناء كوكبة واحدة، يراها سُكّان نصف الأرض الشمالي: كوكبة الدبّ الأكبر. تشبه مقلاة مكوّنة من مربّع مشكّل بأربع نجوم، وممدّد بمقبض من ثلاث نجوم. اليونانيّون هم من أسموها الدبّ الأكبر، تخليداً لذكرى الأميرة كاليستو، ابنة ملك أركاديا. لفرط جمالها، حوّلتها هيرا زوجة زيوس، مدفوعةً بالغيرة، إلى كوكبة الدبّ الأكبر. إنّهن هكذا! آشيل، النساء يغرنَ من بعضهن بعضاً.

هزّ الكلبُ رأسه مُصدراً تنهيدة قصيرة خافتة.

- مثير للاهتمام ملاحظة الكوكبة هذه لأنّه، إذا مددنا ارتفاع حافّة المقلاة لخمسة أضعاف طولها، نكتشف حبّة فُشار تتطاير فوقها، وهي أيضاً لا يصعب تمييزها، إنّها نجم القطب. أترى، آشيل، بهذه الطريقة يكون بين أيدينا الاتّجاه الدقيق للشمال، ما يمنعنا من أن نضلّ عن وجهتنا.

لم يكن الكلب يفهم كلّ هذه التفسيرات. لم يكن يسمع سوى غمغمات «بودوبودوبو آشيل بودوبودودو آشيل». لم يكن يميّز من اللغة البشريّة غير تجميع وحيد من المقاطع اللفظيّة- آ-شي-ل، الكلمة التي يدرك بأنّها تشير إليه. يختار الستر الإيرلندي عدم الاكتراث، مغتاظاً من هذا القدر من الثغثغة، ويُظهر سحنة متحفّظة. ولكن شعور صاحبه بالحاجة الماسّة للتكلّم أشدّ من أن يكتفي بهذا القدر.

- النجمة الثانية بدءاً من مقبض المقلاة، استأنف، مكوّنة ليس من وميض،

بل من وميضين. في الماضي، كان المحاربون العرب يقيسون حدّة بصرهم بقدرتهم على تمييز النجمين، سها والمئزر.

زمّ غاستون عينيه محدّقاً في السماء، تثاءب الكلب. سرعان ما أرسلت الشمس أولّ سِنانها وأخذت النجوم تتلاشى، دون جلبة، ثمّ انسحبت مفسحة المكان لها.

أخرج من جعبته وجبة خفيفة، سندويش جامبو - جبنة - بصل - مخلل خيار- فلفل، وتناولها بنهم كوجبة إفطار. تنهّد ارتياحاً. ليس ثمّة ما هو أمتع من الاستيقاظ هكذا، باكراً في الصباح، والمضي في الغابة لمشاهدة بزوغ الشمس.

مهرجان ألوان رائع. الكوكب الشمسي يستحيلُ أحمرَ، ثمّ ورديّاً، برتقاليّاً، أصفرَ، وأخيراً أبيضَ. القمر العاجز عن منافسة هذا القدر من الروعة آثَرَ الانسحاب.

تنقّلت نظرة غاستون من النجوم إلى الشمس، ثمّ من الشمس إلى الأشجار، ومن الأشجار إلى المشهد البانورامي للوادي. كان امتداد الغابة البريّة الهائلة يظهر في تلك اللحظة كاملاً وبوضوح. تتشكّل فونتينبلو من سهول وتلال، وبِقاع من الرمل، والحُثّ، والطين، ومن أحجارٍ كلسيّة. كان أيضاً يتخلّلها عدد وفير من الجداول، وثمّة وهاد، وبساتين أشجار بتولا سامقة.

تنوّع مدهش للطبيعة. الغابة بلا ريب هي الأكثر ثراءً في فرنسا. تستوطنها مئاتُ الأصناف من الطيور، ومن القوارض، من الزواحف، ومن الحشرات. عدّة مرّات صادف غاستون خنانيص[1] وخنازيرَ بريّة، وحتّى أنّه في مرّة رأى أنثى غزال برفقة رَشَئها.

ما زال بوسعنا أن نصدّق بأنّ الحضارة البشرية، إذ لا تبعد باريس أكثر من ستين كيلومتراً، لم تُفسد شيئاً في هذا المكان حتّى اللحظة. فما من سيّارات، ولا أبواق، لا تلوّث. في منأى عن الهموم. ليس سوى السكون، وحفيف الأوراق التي تداعبها النسائم، وزقزقة الطيور المشاكسة.

أطبقَ غاستون جفنيه واستنشق هواء الصبح الدافئ بعمق. هذه الخمسة

1- جمع خِنَّوص، صغير الخنزير.

والعشرين هكتاراً من الحياة البريّة كانت تفوح بروائح لم تصنّف بعد من قبل صنّاع العطر. فيض من الثروات. في متناول اليد.

مدير الدائرة القانونيّة للمياه والأحراج تناول منظاره ومشّط المنظر بأكمله. كان يعرف كل بقعة من هذه الغابة. إلى اليمين، مضائق أبرومو، تقاطع غران فونير، طريق كيو دو شدرون، الإطلالة الواسعة، كهف البريغان. وفي المقابل مضائق فرانشار، الإرميتاج القديم، طريق الروش كي بلور، إطلالة الدرويد. إلى اليسار، سيرك دي دموازيل، تقاطع السوبير، جبل موريون.

من ذاكَ المكان، كانت تُرى منطقة السبخات، موطن قبّرة الغياض. أبعد، ثمّة سهل شانفروا وطيوره من نقّار الخشب الرماديّ.

عايرَ غاستون المنظار ووجّهه نحو شجرة جوبيتير، سنديانة كبيرة عمرها أربعمائة سنة ويبلغ ارتفاع ذروتها خمسةً وثلاثين متراً. «الغابة، يا لَروعتها!» قال مسحوراً وهو يضع منظاره.

وصلت نملة للتوّ وتمركزت على حافظةِ المنظار. أراد طردها ولكنّها تشبّثت بيده قبل أن تتسلّق كنزته.

خاطب كلبه:

- النمل يقلقني. أعشاشه، إلى الآن، متفرّقة. لكنّها تتجمّعُ لأسبابٍ غامضة. تتوحّدُ على شكلٍ فيدراليّات وها هي ذي الفيدراليّات تتوحّد فيما بينها لتشكّل إمبراطوريّات. كأن النمل على وشك تجربة لم نتمكّن قط، نحن البشر، من أن نحقّقها كما يجب. تجربة «ما فوق القدرة على الاجتماع».

بالفعل كان غاستون قد قرأ في الصحيفة بأنّ اكتشاف تجمعات لمستعمرات هائلة من أعشاش نمل لا يلبث أن يزداد. وقد أُحصي، في فرنسا، في «الجورا» تجمّعات تضمّ من ألف إلى ألفي مدينة تتصل فيما بينها بمسارات. لدى غاستون يقين بأنّها تدفع تجربة المجتمع إلى مرحلة أكمَل.

وبينما يتفقّد الجوار، لفت انتباهه مشهد غريب. قطّب حاجبيه. في البعيد، في اتجاه الصخرة الرمليّة والأخدود اللذين اكتشفتهما ابنته، مثلث يلتمع بين أيكتين. ليس للأمر صلة بعشّ نمل.

كان الشكل المُتلألئ متوارياً خلف الأغصان لكنّ زاويتيه المُفرطَتي

الاستقامة كَشَفتاه. فالطبيعة لا تعرف الخطوط المستقيمة. إذاً لا بدّ أنّ للأمر صلة بخيمة نصبها مخيّمون لا يحقُّ لهم التواجدَ في ذاك المكان، أو نفايات ضخمة مرميّة وسط الغابة من قبل ملوّثين مُهملِين.

نزل الدرب، مغتاظاً، مسرعاً نحو ذاك الوميض مثلّث الشكل، وذهنه يواصل تقديم الاحتمالات: مقطورة من طراز جديد؟ سيّارة فضيّة اللون؟ خزانة؟

استغرق ساعة يخوض بين نباتات العلّيق والشوكيّات حتّى وصل إلى الشكل الغامض. وصل مرهقاً.

بدا الشيء عن قرب أشدّ غرابة. لم يكن خيمةً ولا مقطورة ولا خزانة. كان ينتصب أمامه هرم مرتفع بنحوِ ثلاثة أمتار، كامل جوانبه مكسوّة بالمرايا. أمّا رأس القمّة، فكان شفّافاً مثل البلور.

- لا يُصدّق! مفاجأة، عزيزي آشيل، حقّاً إنّها مفاجأة...

هزّ الكلب رأسه موافقاً وهو ينبح. هرَّ مُظهراً أنيابه المنخورة وأفلت سلاحه السريّ: زفير كريه سبق أن هزم به أكثر من قطّ مجار.

طاف غاستون حول المبنى.

لا يُرى الهرمُ من النظرة الأولى إذ تُخفيهِ جيّداً أشجار عالية وحِراجُ سرخَسٍ نسريّ. ولو أنّ شمسَ الصباح لم تُضئها بشعاعٍ صريح، ما كان لغاستون أن يلاحظه أبداً.

تفحّص الموظف الحكوميّ المبنى: لا أبواب، لا نوافذ، لا مدخنة، لا علبة بريد. ولا حتّى درب للاقتراب منه.

ما زال السيتر الإيرلندي يهرُّ وهو يتشمّم الأرض.

- أتفكّر كما أفكّرُ، آشيل؟ سبق ورأيت أشياء مماثلة على التلفزيون. هم ربّما... سكان من خارج الأرض.

ولكنّ الكلاب تجمع المعلومات أولاً ثمّ تضع الفرضيّات. ولا سيّما كلاب السيتر الإيرلندي. بدا آشيل مهتمّاً بالجدار-المرآة. ألصق غاستون أُذْنه عليه.

- عجباً!

التقطَ أصواتاً من الداخل، حتى ظنّ بأنّه ميّز صوتاً بشريّاً. طرَقَ بيدهِ على المرآة:

- هل من أحدٍ في الداخل؟

لا جواب. صمتَت الأصوات. هالةُ البخار المُتشكّلة إثر الجملة على الجدار-المرآة تبدّدت.

بعد إمعان النظر، ما من شيء في الهرم من خارج الأرض. فقد أنشئ من إسمنت وكُسيَ فيما بعد بألواحٍ من المرايا متوفرة في أيّ متجر خردوات.

- من خطر في باله أن يرفع هرماً وسط غابة فونتينبلو، ألديك فكرة آشيل؟

نبح الكلب بمثابة جواب، ولكن الرجل لم يفهمه تماماً.

صدر طنين خفيف خلفه.

بززز...

لم يعر غاستون انتباهاً لذلك. فالغابة كانت مليئة بشتّى أنواع البعوض وذباب الخيل. اقترب الطنين.

بززز... بززز...

شعر بوخزة خفيفة في عنقه، رفعَ يده كأنّما أراد طرد الحشرة المزعجة، ولكنّ حركته جمدَت. فتح شدقيه إلى الأقصى، ودار حول نفسه. أفلت زمام كلبه وجحظت عيناه لمّا خرّ طريحاً على الأرض، منكبّاً على وجهه في أضمومة من نبت قرن الغزال.

16. موسوعة

الطَّالِع: **كان فنُّ التنجيم في أمريكا الجنوبيّة، عند شعب المايا، يُمارس بشكل رسميّ وإجباري. كانوا يُعطون الطفل عند ولادته تقويماً تقديريّاً خاصّاً به. ينطوي التقويم هذا على مُجريات حياته المُستقبليّة: تاريخ حصوله على عمل، يوم زواجه، لحظة تعرّضه لحادث، وميعاد موته. وكانوا يترنمون به في مهده، ويحفظه هو عن ظهر قلب ويدندنهُ ليعرف أين وصل في مسار حياته.**

كان هذا النظام يعمل على نحو جيّد، لأنّ منجّمي المايا كانوا يتدبّرون أمرهم لتتحقّق نبوءاتهم. فإذا كانت كلمات أغنية لدى شاب تتضمن لقاء شابة معيّنة في يوم محدّد، كانت المقابلة تحصل لأنّ أغنية-طالع الشابّة

الخاصة بها تتضمّن المقطع عينه. الشيء ذاته فيما يخصّ الأعمال، فإذا تنبّأ مقطع بشراء بيت في يوم معيّن، فلدى البائع في أغنيته فرض بيعه في يوم معيّن. وإذا كان على شجار أن يقع في تاريخ محدّد، فلدى جميع أطرافه علم به منذ أمد طويل.

كانت الأمور تجري على نحو رائع، والنظام يعزّز نفسه بنفسه.

الحروب مُعلن عنها وموصوفة. ويُعرفُ المنتصر فيها وكان المنجّمون يحدّدون عدد الجرحى والقتلى المبعثرين في ميدان المعركة. وإذا لم يكن عدد القتلى مُطابقاً للتقديرات تماماً، يجهزون على الأسرى.

كم كانت الطوالع المُغنّاة هذه تسهّل العيش! ما من مكان للصدفة. وما من أحدٍ يخافُ الغد. كان المنجّمون يضيئون حياة كلّ إنسان من مُبتدئها إلى مُنتهاها. كلّ واحدٍ يعلمُ إلى أين تأخذهُ حياتُهُ وحتّى أين تمضي حياةُ الآخرين.

وإمعاناً بالتنبؤ، تنبّأ شعب المايا... بموعد نهاية العالم. سوف يحدث في يوم معيّن من القرن العاشر للعهد الذي سُمّي في أصقاع أخرى العهد المسيحيّ. كان منجّمو المايا قد أجمعوا على ساعتها بالضبط. ولفرط اعتقادهم بها، أحرق الرجال مدنهم عشيّة الكارثة، بدَلَ تَكبُّدِها، هم أنفسهم قتلوا عائلاتهم وانتحروا بعدها. الناجون القلائل غادروا المدن المندلعة ليهيموا فرادى في السهول.

مع ذلك هذه الحضارة أبعد من أن تكون نتاج أفراد بسطاء وسذّج. عرف شعب المايا الصفر، والدولاب (ولكن لم يدركوا النفع من اكتشافٍ كهذا)، شقوا طرقاً؛ تقويمهم، بنظام أشهره الثلاثة عشر، أدقّ من تقويمنا.

حين وصل الإسبان إلى يوكاتان في القرن السادس عشر، لم يظفروا بمتعة تدمير حضارة المايا بما أنها قد دمّرت نفسها بيدها قبل أمد طويل. ولكن، يبقى في أيّامنا هنود يزعمون أنّهم مُتحدّرون بعيدون لشعب المايا. ندعوهم الـ «لاكندون». والغريب أنّ أطفال هنود اللاكندون تدندن ترنيمات قديمة تسرد تعاقب أحداث حياة إنسان. لكنّ أحداً لا يعلم معناها الدقيق.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

17. لقاء تحتَ الأغصان

إلى أين يُفضي هذا الدرب؟ إنّها مُنهكة. مضتْ أيام وهي تسير مُحاطةً بروائحِ المسار النمليّ.

في برهة، جرى معها شيء غريب، لا تعرف ما الذي حصل بالضبط: صعدت غرضاً أملسَ وداكناً، ثمّ رُفِعت، مشَتْ بعدها على صحراء ورديّة مزروعة بأعشاب سود متفرّقة، ثمّ أُلقيتْ على ألياف نباتيّة مَضْفورة، تشبثت بها ثمّ رُميتْ بعيداً في الهواء.

لا بدّ أنّهُ أحدٌ «منهم».

«هم» لا تلبث أعدادهم تزدادُ في الغابة.

فليكن، لا تزال على قيد الحياة وهذا هو المهمّ.

الروائح الفيرومونيّة الطفيفة، لا تلبث أن تتوضّح. هي بالفعل على طريق نمليّ. بلا شكّ: روائح مسار تنبعث من هذا الدرب، متراوحة بين أريجِ الخلنج والزعتر البريّ. تشمّ وتميز على الفور مزيج الهيدروكربون هذا: المكوّن من C10 H22، ومَصْدَرهُ الغدد المُرسِلة في أسفلِ بطن النملات المُستكشفات البيلوكانيّات.

تمضي النملة العجوز الصهباء، من ورائها الشمس، في إثر السكّة الشميّة. ترفع أحراش سرخس شاسعة على جانبيها أقواساً خضراء. وتعلو نباتات بيلادونا[1] مثل أعمدة كلوروفيل. وتمنحها شُجيرات الطقسوس الظلّ. تلاحظ بأنّ آلاف القرون والعيون والآذان ترقُبها مختبئةً بين الأعشاب والأوراق. طالما لا يظهرُ أيُّ حيوان أمامها فبوسعها الاعتقاد بأنّها هي من يُخيف ويُربك. فتدفَعُ رأسها إلى الأمام لتبرز أوضح هيئتها المحاربة وعلى الأثر تختفي بضع عيون.

فجأةً، عند منعطف باقة من نبات الترمس الأزرق، تظهر اثنتا عشرة هيئة نمليّة. إنهنّ، مثلها، نملات غابة صهباوات. تتعرّف عليهنّ وحتّى على رائحة مدينة مسقط رأسهن: بيل-أو-كان. إنهنّ من عائلتها. أخوات صغيرات!

1- الاسم الشائع «ست الحسن».

تندفعُ راكضةً، بفكين مشرّعين، نحو هذا الحضور المُتحضّر. تتوقف النمال الاثنتا عشرة، ناصبات قرونهنّ دهشةً. ترى أنهنّ جنديات شابات عديمات الجنس، ينتمين إلى فئة المستكشفات-الصيّادات. تتوجّه النملة العجوز الصهباء بالحديث إلى أقربهنّ إليها وتطلب منها تطاعماً. تومئ الأخرى بالقبول مُسدِلةً قرنيها إلى الخلف.

ثمّ تقوم الحشرتان مباشرة بطقس مبادلةِ الغذاء ذي التقاليدِ الراسخة. تستعلِمُ النملتان، وهما تطرقان بأطراف قرنيهما على قمة الجمجمة، إذ تسأل إحداهما عن احتياجات مخاطبتها، بينما تسألُ الأخرى عمّا تملكُ لتقترحه عليها. ثمّ، تقف النملتان وجهاً إلى وجه، بفكوك مشرّعة، وفم لصق فم. تستخرج الواهبة الغذاء السائل من معدتها الاجتماعية، الذي ابتلعته للتوّ، وتكوّره على شكل فقاعة كبيرة تنقلها إلى الجائعة، التي بدورها تمتصّها بنهم.

تضع نصفاً في المعدة الأساسيّة لتستعيد قواها، ونصفاً في المعدة الاجتماعية كمخزون لتكون قادرة هي أيضاً، فيما لو اقتضت الحاجة، أن تُعيد القوّة لإحدى أخواتها. ترتعش النملة العجوز الصهباء ارتياحاً بينما تحرك صغيرات السنّ الاثنتي عشرة قرونهنّ طالبات منها أن تقدّم نفسها.

كلّ جزء من أجزاءِ القرن الأحد عشر يُفلِتُ الفيرومون المختصّ به، بوصفه أحد عشر فماً قادراً أن يعبّر في الوقت عينه عن إحدى عشرة صيغة شميّة مختلفة. هذه الأفواه الأحد عشر تبثّ غير أنّ بوسعها أن تستقبل أيضاً، مثل إحدى عشرة أذناً.

النملة الواهبة الفتيّة تلمس الجزء الأوّل مبتدئة من جمجمة العجوز الصهباء الوحيدة، وتتعرّف على عمرها: ثلاث سنوات. في الجزء الثاني تكتشف طبقتها وفئتها، جنديّة عديمة الجنس ومستكشفة-صيّادة خارجيّة. الثالث يحدّد صنفها ومدينة مسقط رأسها: نملة غابة صهباء، مُتحدّرة من مدينة بيل-أو-كان الأم. الرابع يقدّمُ رقم البيضة وبالتالي اسمها: البيضةُ التي منحتها الحياة والتي باضتها الملكة في الربيع تحمل رقم 103683. فإذاً تدعى «الرقم 103683». بينما يُصرّحُ الجزء الخامس عن الحالةِ الانفعاليّة

لمُتقبّلةِ اللّمسَات: الرقم 103683 مُرهقة ومُثارة في آنٍ معاً لأنّها تحمل معلومة غاية في الأهميّة.

تتوقّف النملة الفتيّة عن فكّ الرموز الشميّة عند هذا الحدّ. فالأجزاء الأخرى ليست باتّة. يفيد الخامس بالتقاط جُزيئات الإشارات الطرقيّة، والسادس مسؤول عن الحوارات الأساسيّة، السابع مخصّص للحوارات المعقّدة، ويضطلع الثامن حصراً بحوارات اللقاء مع الملكة الأم البيّاضة. أمّا الأجزاء الثلاثة الأخيرة فتُستخدم بمثابة هراوات صغيرة.

تسبر الرقم 103683 بدورها المستكشفات الاثنتي عشرة. إنهنّ جنديّات فتيّات، وهنَّ جميعاً بعمر المئة وثمانية وتسعين يوماً. إنّهن توائم رغم شدّة الاختلاف بينهنَّ.

الرقم 5، هي البكْر، بفارق بضع ثوان. لها رأس متطاول، وصدر ضيّق، فكّاها مصقولان، وبطنها برفع عود، طويلة القامة وحركاتها دقيقة ومتروّية. ممتلئة الأفخَاذ، أمّا المخالب فهي طويلة ومتفرّقة.

الرقم 6، أختها التي أعقبتها مباشرة، وهي على العكس منها، لها جسد متكوّر: رأسها مدوّر، وبطنها مستدير، منكمشة من الصدر حتّى القرنين اللّذين ينتهيان بشكلين حلزونيّين طفيفين. لدى الرقم 6 حركة غير إراديّة مُتكرّرة، تمرّرُ رِجْلها اليُمنى دوماً على عينها كأنّ حكّة فيها.

الرقم 7، فكّان قصيران، أرجل غليظة وقوام أنيق، نظيفة تماماً. لفرط لمعان كيتينها تنعكس السماء عليه. حركاتها رشيقة ولا تستطيع الكف عن تكرار رسم حرف Z بطرفِ بطنها والذي لا يحمل أيّة دلالة.

الرقم 8، جسدها مُشعِر بالكامل، حتّى الجبين والفكّين. حركاتها مفعمة بالقوّة والثقل. إلّا أنّها خرقاء. تلوك عوداً تتسلّى أحياناً بتمريره من فكّيها إلى قرنيها لتعيده ثانية إلى فكّيها.

الرقم 9 لها رأس مدوّر، وصدر مثلثي الشكل، وبطن مربّع وأرجل أُسطوانيّة. مرض طفوليّ ثقّبَ باختراقات عدّة صدرها النحاسيّ. لديها مفاصل جميلة، وهي مدركة لذلك ولا تنفكّ تلعبُ بها. ممّا يُصدر صريرَ مفاصل مزيّته جيداً وهو ليسَ مُزعجاً.

الرقم 10 هي الأقصر قامةً. بالكاد تشبه نملة. رغم أن قرنيها مُفرطا الطول، ممّا جعل منها الرادار الشميّ للمجموعة. وبالمناسبة حركات أطرافها الحسيّة تعكسُ فضولاً كبيراً.

كما لاحظت الأرقام 11، 12، 13، 14، 15، 16 بأدقّ التفاصيل على النحو ذاته.

بعد انتهاء التفحّص، تُخاطِب النملة العجوز الوحيدة الرقم 5. ليس لأنّها الأكبر فقط، وإنّما بسبب لزوجةِ كامل قرنيها بالاتّصالات الشميّة، ممّا يُشير إلى قدرة اجتماعيّةٍ نشِطة. إذ يسهلُ دائماً التحادثُ مع الثرثارين.

تلامسُ الحشرتان قرنيهما ويُجريان حواراً.

فهمت الرقم 103683 بأنّ هذه الجنديّات الاثنتي عشرة ينتمين إلى فئة عسكريّة جديدة، فرقة كوماندوس من نخبة بيل-أو-كان. تُرسَل كطليعة متقدّمة لتتسلّل إلى داخل خطوط العدوّ. ويحصل أحياناً أن تحارب مدناً نمليّة أخرى وتشاركُ أيضاً في رحلات صيد المفترسين الضخام، مثل الحراذين.

تسأل الرقم 103683 عمّا تفعله هذه النمال في مكان قصيّ إلى هذا الحدّ عن عشّ مسقط رأسهنَّ. تُجيب الرقم 5 بأنهنّ مكلّفات باستكشاف يبعدُ مسافة طويلة. منذ عدّة أيام، يتجهن نحو الشرق، باحثات عن الحافّة الشرقيّة للعالم.

بالنسبة لسكّان عشّ بيل-أو-كان، العالم موجود منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد. وبما أنّه غير مولود فهو غير فان. بالنسبة لهم، الكوكب الأرضي مكعب الشكل. يتصوّرونه مغلّفاً بالهواء بداية ثمّ يحيطُ به بساط من الغيوم. وفيما وراءهما، يعتقدون بوجود المياه التي تثقبُ الغيومَ أحياناً، ممّا يفسّر هطول المطر.

هذا تصوّرهم عن نشأة الكون.

تعتقد مواطنات بيل-أو-كان بأنّهن قريبات جدّاً من الحافّة الشرقيّة، ومنذ ألفيات انقضت، ترسل رحلات استكشافيّة لتحدّد موقع الحافّة الشرقيّة بالضبط.

تعلن الرقم 103683 بأنّها هي أيضاً نملة استكشافيّة بيلوكانية. عائدة من الشرق. وقد نجحت في الوصول إلى حافة العالم.

وبما أن الاثنتي عشرة يرفضن تصديقها، تقترح النملة العجوز الصهباء عليهن اللجوء إلى تجويف جذع، وتشكيل دائرة للتلامس بالقرون.

وعندئذ، ستروي لهنّ بإيجاز قصّة حياتها وبذلك سيعرفن جميعاً رحلة أوديستها التي لا تصدّق نحو الحافّة الشرقية للعالم. وبذلك سيعلمن أيضاً بالتهديد الفعلي الذي ترزح مدينتهنّ تحته.

18. متلازمة الدودة

كانت راية سوداء تخفق في مقدمة الليموزين المركونة أمام البيت. الإجراءات في الطابق العلوي شارفت على الانتهاء.

أخذ كلّ بدوره يقترب من الجثّة ليقبّل يدها للمرّة الأخيرة.

فيما بعد، أُدخِلت جثّة غاستون بانسون في كيس كبير من البلاستيك له سحّاب، وممتلئ بكرات نفتلين.

– لِمَ النفتلين؟ سألت جولي موظّف مكتب دفن الموتى.

أجاب الرجل المُكتسي بالسواد، والذي يُظهِرُ ملامحَ مهنيّة:

– لقتل الديدان، فسّرَ بصوت متكلّف. اللحم البشري الميّت يجتذب يرقات الذباب. لكن لحسن الحظّ، يمكن لجثث أيّامنا هذه، بفضل النفتلين، حماية نفسها منها.

– إذاً ما عادت تأكلنا.

– مُحَال، أكّدَ الاختصاصيّ. علاوة على ذلك، باتت التوابيت مُصفّحة بطبقة من الزنك تمنع الحيوانات من دخولها. حتّى الأرَضَات لا تفلح في ثقبها. أبوك سيدفن نظيفاً وسيظل كذلك لوقت طويل.

وضعَ رجال يعتمرون قبّعاتٍ داكنة التابوتَ في الليموزين.

قبل وصول المقبرة، عَلِقَ موكبُ الجنازة عدّة ساعات في الازدحام المروري العابق بانبعاثات العوادم. دخلوا إليها بالترتيب، الليموزين –عربة

الدفن أولاً، ثمّ السيّارة التي كانت تستقلّها الأسرة القريبة، ثمّ سيارة الأقرباء الأبعد، ثم سيّارات الأصدقاء، وفي ذيل الموكب، مركبات زملاء المتوفي في العمل.

الجميع مُتّشح بالسواد وتتخذ سحناتهم هيئة آسفة.

حمل أربعةُ حانوتِيّين النعشَ على أكتافهم إلى القبر المفتوح.

أقيمت مراسم الدفن ببطء شديد. بينما يضرب المشيعون أقدامهم بالأرض ليتدفّؤوا، أخذوا يتهامسون بالعبارات الملائمة للمناسبة: «كان رجلاً رائعاً»، «بكّر جداً في رحيله»، «يا لها من خسارة للدائرة القانونيّة للمياه والغابات»، «كان قديساً، بطيبة وسخاء غير عاديّين»، «برحيله يغيب مهنيّ قلّ نظيره، مدافع شرس عن الغابة».

وصل الكاهن أخيراً وألقى الكلمات المناسبة: «لأنك تراب وإلى تراب تعود... هذا الزوج وربّ الأسرة الرائع كان مثلاً لنا جميعاً... ستبقى ذكراه في قلوبنا إلى الأبد... كان محبوباً من الجميع... إنّها الخاتمة لدورة حياة، *آمين*».

سرعان ما تزاحم الجميع حول جولي وأمّها لتقديم التعازي.

المحافظ دوبيرون حضر شخصيّاً.

- شكراً لمجيئك السيد المحافظ.

إلّا أنّ المحافظ بدا مهتماً بمخاطبة الفتاة:

- أبلغك تعازيّ، آنسة. لا بدّ أنّ مُصابك كبير.

واقترب إلى حدّ ملامستها، هامساً في أُذنها:

- نظراً إلى مكانة أبيك عندي، لتعلمي بأنّه سيكون لك مكان دوماً في دوائر مُحافظتنا. بعد أن تنهي دراسة الحقوق، تعالي لرؤيتي. وسأجد لك وظيفة مناسبة.

قبل المسؤول رفيع المستوى مخاطبة الأمّ أخيراً:

- من الآن كلّفت أحد أحذق رجال شرطتنا بأن يكشف لغز موت زوجك. إنّه المفوّض لينار. إنه متفوّق. معه سنعلم كلّ شيء بسرعة.

أردفَ:

- بالطبع، أحترم حدادكم ولكن من الجيّد أحياناً تبديل الأفكار. بمناسبة توأمة مدينتنا مع مدينة هاتشينوه، اليابانيّة، سيقام السبت القادم حفل استقبال في قاعة المناسبات بقصر غابة فونتينبلو. تعالي أنت وابنتك. كنت أعرف غاستون. كان سيسرّ لرؤيتكما ترفّهان عن نفسيكما.

هزّت الأمّ رأسها بينما الآخرون يلقون بدورهم الأزهار المجفّفة على التابوت.

تقدّمت جولي إلى حافّة القبر الفاغر وهمست من بين شفتيها:

- يؤسفني بأنّنا لم نفلح قطّ في إقامة حوار حقيقيّ بيننا. أنا على يقين بأنّك، بشكل أو بآخر، كنت رجلاً جيّداً، بابا...

استغرقت وقتاً في التحديق بالتابوت المصنوع من خشب التنوب.

قرضت ظفر إبهامها. إنّه الأكثر إيلاماً. كان بوسعها، حين تقرض أظافرها، اختيار لحظة توقّف الألم. كانت تراها إحدى الميّزات بأن تعذّب نفسها بنفسها، بأن تتحكّم بألمها بدل الخضوع إليه.

- من المؤسف بأنّ هذا القدر من الحواجز كان بيننا، أنهت.

تحت التابوت، متسلّلات من شقّ ضئيل من الإسمنت، مجموعات من اليرقات الجائعات كانت تطرق على صفيحة الزنك. هنّ أيضاً يقلن لأنفسهنّ: *من المؤسف بأنّ هذا القدر من الحواجز بيننا.*

19. موسوعة

***لقاء بين حضارتين:* لحظة اللقاء بين حضارتين مختلفتين هي لحظة حسّاسة على الدوام.**

كان يمكنُ توقّع الأسوأ لمّا التقى، في 10 آب 1818، القبطان جون روس، قائد البعثة الاستكشافيّة البريطانيّة القطبيّة، بسكان غرينلاند: شعب الإنويت (إنويت تعني «كائن بشري» بينما «الأسكيمو» تنطوي على استخفاف وتعني «آكل السمك النيِّئ»). درجَ شعبُ الإنويت على الاعتقاد بأنّهم الوحيدون في العالم. رفع أكبرهم سنّاً عصاه ولوّح بها بأن يغادروا.

خطرت لجون ساكيوس، المترجم من جنوب غرينلاند، فكرة وهي أن يلقي بسكينه عند قدمي المسنّ. بهذه الطريقة جرّد نفسه من سلاحه وألقاه عند أقدام أناس غرباء بكلّ معنى الكلمة! فعلهُ هذا حيّر الإنويتيّين الذين تناولوا السكين وراحوا يصرخون وهم يقرصون أنوفهم.

كان لدى جون ساكيوس النباهة ليقوم مباشرة بمحاكاة حركاتهم. الأصعب تمّ اجتيازه. لا يخطر لنا قتل أحد يتصرّف على غرارنا.

تقدّمَ شيخٌ من الإنويت وسأل، وهو يتلمّس قطن قميص ساكيوس، أيّ حيوان يعطي فرواً رقيقاً إلى هذا الحدّ. بذل المترجم قصارى جهده في الإجابة (عبر لغة هجينة قريبة من لغة شعب الإنويت) وما أن فرغ من الإجابة، حتّى سارعَ الآخر إلى سؤال آخر: «هل قدمتم من القمر أم من الشمس؟» بما أنّ شعب الإنويت يعتبر أنّه وحده على الأرض، لم يجد تفسيراً آخر لوصول أولئك الغرباء.

لمّا أفلح ساكيوس بإقناعهم بلقاء الضبّاط الإنكليز أخيراً، صعد الإنويتيّين على متن سفينتهم، وهناك، أخذهم الهلع للوهلة الأولى وهم يكتشفون خنزيراً، ثمّ تمايلوا بجذل أمام انعكاسهم في المرآة. انبهروا أمام ساعة جداريّة وسألوا إنْ كانت تؤكل. قُدّمَ لهم بسكويت فأكلوه باحتراس ثمّ بصقوه بتقزّز. في النهاية، وكعلامة تفاهم أحضروا شامانهم الذي تضرّع للأرواح بأن تبعد جميع الأرواح الشريرة التي قد تكون على متن المركب الإنكليزي.

في اليوم التالي، غرس جون روس علمه الوطني على الأرض واستحوذَ على ثرواتها. والإنويتيّين لم يلحظوا بأنّهم، في غضون ساعة، غدوا من رعايا التاج البريطاني. وبعد أسبوع، ظهرت بلادهم على كافّة الخرائط في مكان التنويه: ***terra incognita*** (أرض مجهولة).

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

20. الخوف من الأعلى

تخبرهم النملة العجوز الصهباء الوحيدة عن أصقاع مجهولة، عن رحلة، وعن عالم غريب. تجدُ المستكشفات الاثنتا عشرة صعوبة في تصديق قرونهنّ.

بدأت القصّة كلّها لمّا كانت الرقم 103683، مجرّد جنديّة، تتنزّه في ممرّات مدينة بيل-أو-كان المحرّمة، على مقربة من المقصورة الملكيّة. فظهر لها اثنان من ذوي الجنس، ذكر وأنثى، ليطلبا منها يد العون. كانا يؤكدان بأنّ رحلة صيد استكشافيّة أبيدت بكاملها من قبل سلاح سرّي له قدرةُ القضاءِ على نحو عشر جنديّات في آنٍ معاً.

أجرت الرقم 103683 تحقيقها، واستنتجت بأنّ الضربة كانت من قبل أعدائهم المتوارثين، نمال مدينة شي-غا-بو القزمات. إلّا أنّ حرباً قد شُنّت عليهن آنذاك، ولم تستخدم القزمات أسلحة عملاقة مُفلطحةً أثناء المعركة. إذاً لم يكن لديهنّ تلك الأسلحة.

لذا تقرّر البحث عن هذا السلاح في معسكر عدوّ تاريخيّ آخر: الأَرَضَات. بصحبة رحلة صيد استكشافيّة، مضت الرقم 103683 نحو عشّ الأَرَضَة الشماليّ. ولم يجدوا فيها سوى مدينة مدمّرة بغاز مشبع بالكلور والسمّ. الناجية الوحيدة كانت ملكة الأَرَضَـات. أكّدت بأنّ جميع هذه الكوارث التي أخذت تزداد مؤخراً كانت من فعل «الوحوش العملاقة التي تحرس حافّة العالم».

فإذاً توجّهت الرقم 103683 صوب الشرق، إلى ما بعد النهر الكبير، وبعد أحداث كثيرة، اكتشفت حافة العالم الشرقيّة الشهيرة تلك.

بدايةً، بما أن العالم ليس مكعب الشكل، حافته لا تشكّل هاوية سحيقة. بحسبها حافّة العالم مستوية. تحاول الرقم 103683 وصفها. تتذكّر منطقة رماديّة وسوداء تعبق برائحة وقود كريهة. أول ما تخطو نملة داخلها، تُسحَقُ بكتلة سوداء لها رائحة المطاط. حاولت نمال كثيرة أن تعبر مقتحمة المنطقة وقضت هناك. حافّة العالم مُسطّحة غير أنّها منطقةُ موت عاجل.

ولمّا تهيّأت النملة للعودة خطرت لها فكرة أن تحفر نفقاً تحت هذا

الشريط الجهنّمي. على هذا النحو عبرت إلى الجهة الأخرى لحافّة العالم واكتشفت العالم الغريب حيث تقطن الحيوانات العملاقة الشهيرة، حرّاس حافّة العالم الذين ذكرتهم ملكة الأرَضَات.

القصة تبهر المستكشفات الاثنتي عشرة.

من هي الحيوانات العملاقة هذه؟ سألت الرقم 14 مثارة بالفضول.

تتردّد الرقم 103683، ثمّ تجيب بكلمة:

أصابع.

وما إن سمعت المحاربات الاثنتي عشرة الكلمة، رغم اعتيادهن على مطاردة أشرس المفترسين، أجفلن وارتددن للخلف من المفاجأة قاطعات دائرة الاتصال.

الأصابع؟

هذه الكلمة بالنسبة لهن كابوس حيّ.

النمال جميعها تعرِفُ قِصَصاً عن **الأصابع** وكلّ واحدة أبغض من الأخرى. **الأصابع** هم الأكثر إرعاباً بين المخلوقات. يقول البعض بأنّهم يتنقّلون دوماً على شكل قطعان خمسةً خمسة. ويؤكّد آخرون بأنّهم يقتلون النمال هكذا، بلا سبب. دون حتّى أن يأكلوهن لاحقاً.

في عالم الغاب، الموت مبرّر على الدوام. فنقتل لنأكل. نقتل للدفاع عن النفس. نقتل لتوسيع أراضي الصيد. نقتل للاستيلاء على عشّ. إلّا أنّ **للأصابع** تصرّفات رعناء. يبيدون النمال... دون مبرّر!

وفي المُحصلة، اكتسبَت **الأصابع** في العالم النملي سمعةَ دواب معتوهةٍ تتجاوز تصرّفاتها أشدّ الفظاعات. والجميع كان يعلم بما يثار حولها من قصص بشعة.

الأصابع...

تؤكّد بعض النمال بأنّ **الأصابع** تبقر بطون مدن بأكملها وتحفر داخلها وهي تُدوّم أحياء بأكملها فيخرج منها عناقيد مواطنات مذعورات. تمزّق حتّى مناطق الحاضنات، يرفعونها فيما يتدلّى منها، بمشهد فظيع، سبحات من أفراخ نصف مسحوقة.

الأصابع...

يُحكى في بيل-أو-كان، بأنّ **الأصابعَ** لا تحترم أحداً، حتّى الملكات. يخرّبون كلّ شيء. يُقال بأنّهم عُميان وللانتقام من حرمانهم البصر يقتلون كلّ ما يصادفونه أمامهم.

الأصابع...

كلّ ما قيل عنهم يُجمِعُ على أنّهم كرات ورديّة ضخمة لا عيون لها. ولا فم أيضاً، ولا قرون، ولا أرجل. كرات ورديّة كبيرة ملساء مزوّدة بقوّة هائلة، يقتلون كلّ ما يمرّ في طريقهم ولا يأكلون منه شيئاً.

الأصابع...

يزعم البعض بأنّهم ينزعون أرجل المستكشفات اللواتي يخاطرن بالاقتراب منهم رِجْلاً رِجْلاً.

الأصابع...

ما عاد أحد يعرف أين الحقيقة وأين الخرافة. في المدن النمليّة، تُسبغ عليهم ألقاب عديدة: «كرات ورديّة سفّاحة»، «الهلاك القاسي النازل من السماء»، «أسياد التوحّش»، «الذعرُ الورديّ»، «رعب يسير خمسةً خمسة»، «الشراسة الملساء»، «بقّارو المدن»، «ما لا يُسمّى»...

الأصابع...

لا يزال هناك نمال لا يعتقدن حقّاً بوجودهم غير أنّ المربّيات يطيبُ لهنّ ذِكرهم لإخافةِ اليرقات النابِغات اللواتي يُردنَ الخروجَ من العشّ قبل الأوان.

لا تذهبوا إلى الخارج، فالعالم الرحب مملوء ***بالأصابع!***

مَنْ لم يسمَع هذا التحذير في طفولته؟ ومن لم يسمع أساطير المحاربات الباسلات اللواتي خرجن يطاردن **الأصابع** بفكوك عارية؟

الأصابع...

لمجرّد ذكرهم ترتعد الجنديّات الاثنتا عشرة الفتيّات. يُقال أيضاً إنّ **الأصابع** لا تلاحق النمال فحسب. بل تعتَدي على جميع الكائنات الحيّة. يخوزقون الديدان الصغيرة على أشواك منحنية ويغرقونها في ماء النهر إلى أن تأتي أسماك شهمة تحرّرها.

الأصابع...

يُقال إنّهم يُسقِطونَ أشجاراً ألفيّة بلحظات. وهناك من يؤكّد بأنّهم ينزعون القوائمَ الخلفيّة للضفادع ثمّ يلقونها ثانية، مبتورة وهي لا تزال حيّة، في البركة.

وحبذا لو الأمر اقتصر على ذلك! تناهى لنا بأنّ **الأصابع** تصلبُ الفراشاتِ برؤوسٍ حادّة. ويُسقِطون البعوضَ في أوجِ طيرانه. يخترقون الطيورَ بوابل من الحَصَوات الكرويّة، ويُحيلونَ الحراذين إلى هريسة. كما يسلخون جلدَ السناجب. ينهبون قفران النحل. ويفطّسون الحلزونات في شحم أخضر له رائحة الثوم...

ترمقُ النملات الاثنتا عشرة الرقم 103683. إذاً، تزعم المحاربة العجوز هذه بأنّها اقتربت منهم وعادت سالمة.

الأصابع...

تُصرُّ الرقم 103683على أنّهم ينتشرون على حوافّ العالم. بدأوا يتردّدون إلى الغابة. وما عاد يسعُنا تجاهلهم.

تبقى الرقم 5 متوجّسة. فتُشهر قرنيها:

لماذا لا نراهم إذاً؟

لدى النملة العجوز الصهباء تفسير:

لفرط ضخامتهم وارتفاعهم غدوا غير مرئيّين.

لبثت المستكشفات الاثنتا عشرة ساكنات. أيكون ما تنطقه هذه العجوز ليس هُرَاء...

وبالتالي يكون **للأصابع** وجودٌ حقيقيّ؟ قرونهنّ التي بكِمَتْ روائحها ما عادت تعرف ماذا تبثّ وماذا تستقبل. الأمر ضرب من الجنون. قد يكون **للأصابع** وجود بالفعل ويتهيّؤون لاجتياح الغابة. يحاولن تخيّل حافّة العالم و**الأصابع** القائمين على حراستها.

تسأل الرقم 5 النملة العجوز المستكشفة عن سبب رغبتها في الوصول إلى بيل-أو-كان.

تريد الرقم 103683 إعلام جميع نمال الأرض بأنّ **الأصابع** يقتربون وبأنّه لن يبقى شيء من الآن فصاعداً كما كان. يجب تصديقها.

تُرسل جزيئاتها الأثقل والأقدر على الإقناع.

***الأصابع** موجودون.*

تُصِرُّ. يجبُ إنذار الكون بأكمله. على النمال جميعها أن تعرف، أنّ هناك في الأعلى، في مكان ما وراء الغيوم، تختبئ **أصابع** تراقبهم وتتهيأ لقلبِ كلّ شيء. وينبغي أنْ تُعيدَ الاثنتا عشرة ثانية تشكيلَ الدائرة، ما زال لدى الرقم 103683 أشياء أخرى تخبرهن عنها.

لأنّ قصتها لا تنتهي عند هذه النقطة. فعند عودتها إلى بيل-أو-كان، مدينة مسقط رأسها، وبعد أوديستها الأولى، روت للملكة الجديدة تفاصيل مغامرتها، وشعرت الملكة بالقلق وقرّرت أن تُطلِقَ حملةً كبيرة لمحوِ جميع **الأصابع** عن وجه البسيطة.

وسُرعان ما أعدّت البيلوكانيّات جيشاً من ثلاثة آلاف نملة بطونهنّ مترعة بحمض النمليك. لكنّ الطريق كان طويلاً، والآلاف الثلاثة التي انطلقت، وصلت حافّة العالم خمسمائة. هناك جرت معركة تاريخيّة. وكلّ من تبقّى من الجيش المجيد سقط تحت وابلِ المياه الصابونيّة. والرقم 103683 كانت من القلائل اللائي نجون إن لم تكن الوحيدة.

فخطر لها أن تعود للعشّ، وتحمل للآخرين الخبر السيئ إلّا أن فضولها كان أقوى. وقرّرت بدل العودة، أن تتجاوز خوفها وتواصل قُدماً لزيارة الضفة الأخرى من العالم، موطِن **الأصابع** العملاقة.

وقد رأتهم.

كانت ملكة بيل-أو-كان على خطأ. لم يكن بوسع ثلاثة آلاف جنديّة القضاء على **أصابع** العالم كافّة لأنّهم أكثر ممّا نتخيّل بكثير.

تصف الرقم 103683 عالمهم. دمّر **الأصابع** الطبيعةَ في بقاعهم واستعاضوا عنها بأغراض صنعوها بأنفسهم، أغراض غريبة بأشكالها الهندسيّة الدقيقة.

في كل الأرجاء، في بلاد **الأصابع**، الأشياء ملساء، باردة، هندسيّة وميتة.

ولكن العجوز المستكشفة تصمت فجأة. تشمّ في البعيد حضوراً عدائيّاً. فتركضُ مسرعةً، دون تفكير، مع الاثنتي عشرة الأخريات، لتختبئ. من هو يا ترى؟

21. منطق المُعالج النفسي

ليضعَ مرضاهُ في جوّ مُريح، صمّم الطبيب عيادته مثل حجرة صالون. لوحات حديثة ببقع حمراء كبيرة كانت تفلح في التلاؤم مع الأثاث القديم المصنوع من خشب الأكاجو. وفي وسط الغرفة، مزهريّة ثقيلة من طراز مينغ، حمراء أيضاً، بالكاد تحافظ على توازنها فوق منضدة رقيقة مؤطَّرة بمعدنٍ مُذهّب.

إلى هذا المكان أحضرت أمّ جولي ابنتها في أوّل أزمة فقدان شهيّة أصابتها. ذهبت شكوك الاختصاصيّ مباشرة إلى عامل جنسيّ. أتعرّضت يا ترى لاعتداءٍ جنسيّ في طفولتها من قبل أبيها؟ أو صديق للعائلة سمح لنفسه التمادي بالألفة؟ أم تعرّضت اليافعةُ إلى ملامسات من قبل معلّمها في الغناء؟

الفكرةُ دفعت أمّها للاشمئزاز. أخذت تتخيّلُ ابنتها الصغيرة تقاوم ذاك العجوز. إذاً مردُّ كلّ شيء يعود لذلك السبب...

– ربما أنت محقّ، لأنّ لديها أيضاً اضطراباً آخر، ما يشبه الرهاب. لا تحتمل أن يلمسها أحد.

بالنسبة للاختصاصيّ، كان بديهيّاً أنّ الصغيرة تعرّضت لصدمة نفسيّة قويّة ويصعب عليه تصديق بأنّ الأمر لا يتعدّى عجزاً بسيطاً في النطق.

في الواقع، كان المُعالج النفسيّ على يقين بأنّ معظم مريضاته قد تعرّضن إلى اعتداءات جنسيّة في طفولتهن. لفرط يقينه بذلك، حين لا يجد هناك صدمة من هذا النوع ليكتشفها خلف السلوك المرضي، كان يقترح على مريضاته بأن يُسقِطنَ صدمةً على أنفسهنّ. فيسهل عليه، لاحقاً، علاجهن ويصبحنَ مُداومات عنده مدى الحياة.

حين اتصلت الأمّ لتأخذَ موعداً، سألها إنْ غدَا أكلها الآن طبيعيّاً.

- كلا، حتّى هذه اللحظة، أجابت. تأكل بلا شهيّة، وترفض أن تبتلع كلّ ما يشبه من قريب أو بعيد اللحم. برأيي، ما زالت في مرحلة فقدان الشهيّة مع أنّ أعراض الفقدان تلك باتت أقلّ ظهوراً من قبل.

- هذا ما يفسّر دون شكّ انعدام عادتها الشهريّة.

- انعدام عادتها الشهريّة؟

- بلى. صرّحتِ لي بأنّ ابنتك بلغت التاسعة عشر دون أن تأتيها العادة الشهريّة. ثمّة في هذه الحالة تأخير غير عادي في مراحل النمو. قد يكون السبب قلّة طعامها إلى هذا الحدّ. انعدام الدورة الشهريّة مرتبط غالباً بانقطاع الشهيّة. للجسد حكمته الخاصّة. لا ينتج بويضات إذا لم يشعر بقدرته لاحقاً على تغذيةِ الجنين ليوصِلهُ إلى مرحلةِ الاكتمال، أليس كذلك؟

- ولكن لماذا تتصرّف على هذا النحو؟

- تقدّم جولي ما يسمّى، بمصطلحاتنا، «عقدة بيتربان». تريد التمسّك بمرحلة طفولتها. ترفض أن تغدو راشدة. تأمل، وهي لا تأكل، بأن لا ينمو جسدها، وبأن تبقى فتاة صغيرة إلى الأبد.

- فهمت، تنهّدت الأمّ. ولا بدّ بأنّ هذه الأسباب هي نفسها التي تجعلها غير راغبةٍ بأن تنجح في البكالوريا.

- بالطبع، البكالوريا تعني أيضاً العبور إلى سنّ الرشد. وهي ترفض أن تغدو راشدة. لذا، تجمح جولي مثل حصان يحرن كي لا يجتاز الحاجز هذا، أليس كذلك؟

تعلنُ السكرتيرة عبر الأنترفون وصولَ جولي. يطلبُ المُعالج النفسيّ أن تسمحَ لها بالدخول.

أتت جولي برفقة كلبها آشيل. بما أنّها ستأتي إلى هذه الجلسة، فلِمَ لا تنتهزُ الفرصَةَ وتقومُ في الوقتِ ذاته بنزهةِ الحَيوانِ اليوميّة؟

- كيفَ الحالُ، جولي؟ سألَ المُعالج النفسيّ.

تأمّلت الشابّة هذا الرجل الممتلئ، المُتعرّق قليلاً على الدوام، وشعرهُ الخفيفُ المجموعُ على شكلِ ذيل.

- جولي، إنّي هنا لمساعدتك، أكّد بصوت واثق. أعلم أنّك في قرارة نفسك تتألمين لفقد أبيك. غير أنّ الفتيات لديهن خجلهن لذا لا تجرئين أن تُعبّري عن ألمك. لكن يجب أنْ تُعبّري عنهُ لتتحرّري منه. وإلّا، سيتعفّنُ في داخلكِ مثلَ مرارة مُلتهبةٍ وسيغدو ألمكِ أكبر. تفهمينني، أليسَ كذلك؟

صمت. ولا أيّ إيحاء على الوجه الجامد.

تركَ المُعالج كرسيه وأمسكها من كتفيها.

- أنا هنا لمساعدتك، جولي، كرّر. يبدو لي أنّك خائفة. أنت فتاة صغيرة تخاف، وحيدة في الظلمة، وينبغي طمأنتها. وهذا عملي. وظيفتي أنْ أعيدَ لكِ ثقتك بنفسك، أن أمحو مخاوفك وأسمح لك بأن تعبّري عن أفضل ما في داخلك، أليسَ كذلك؟

بإشارة غير ملحوظة أومأت جولي للكلب آشيل بأن المزهرية الصينيّة الثمينة تحوي عظْمَةً في داخلها. نظر الكلب إليها، بجفنين متهدّلين، فهم تقريباً ولكن لم يجرؤ على الإتيان بحركة داخل هذا الديكور غير المألوف.

- جولي، نحن هنا لنفكّ سوية ألغاز ماضيك. سوف نحلّل جميع مراحل حياتك مرحلة مرحلة، حتّى التي تظنين أنّك نسيتها. سأصغي إليك، ومعاً، سنرى كيف نفقأ الدمّلة ونكوي الجروح، أليس كذلك؟

كانت جولي تواصل إثارة الكلب بطريقة غير ملحوظة. راح الكلب يلتفت تارة إلى جولي وتارة إلى المزهريّة ويحاول ما يستطيع فهم العلاقة بين الاثنين. كان عقلُ الكلبِ الذي له غارقاً في الحيرة إذْ كان يشعرُ بأنّ الفتاة تشيرُ له بعمل على غاية الأهميّة يجب أن يقوم به.

آشيل-مزهريّة. مزهريّة-آشيل. ما الرابط بينهما؟ أشدُّ ما كان يغيظ آشيل في حياته ككلب عجزهُ عن إيجاد الروابط بين أشياء العالم البشريّ وأحداثه. فمثلاً استغرق زمناً طويلاً حتّى أدرك العلاقة بين ساعي البريد وعلبة البريد. لماذا كان ذاك الرجل يملأ علبة البريد بنتف الورق؟ فهم في النهاية بأنّ ذاك الساذج اعتقَدَ بأنَّ عُلبةَ البريدِ حيوانٌ يتغذّى على الورق. والبشر الآخرون كانوا يدعونه يفعل ذلك بداعي الشفقة على الأرجح.

ولكن ماذا كانت تريد جولي في هذه اللحظة؟

يشرع السيتر الإيرلندي، وهو مُحتارٌ بأمره، بالنباح. ربّما سيكفي ذلك لإرضائها؟

حدّق المُعالج النفسيّ بالشابّة ذات العينين الرماديتين الفاتحتين.

– جولي، أحدّدُ هدفين أساسيّين لعملنا المُشترك. أولاً، إعادة ثقتك بنفسك. ثمّ، سيكون أمامي أن أعلّمك التواضع. الثقة هي مُسرّع للشخصيّة، والتواضع هو كابِحها. وما إن نضبطَ مُسرّعها وكابِحها، نتحكّم بمصيرنا ونتمتّع برحلة الحياة كاملةً. بوسعكِ فهمُ ذلك، جولي، أليسَ كذلك؟

قبلت جولي أخيراً النظرَ في عيني الطبيب، وألقت على مسْمَعِه:

– لا أكترث بكابِحك ومُسرّعك. أُسّسَ التحليلُ النفسيُّ ليساعدَ الأطفال على عدمِ إعادةِ إنتاج أنماطِ آبائهم الفاشلة، هذا كلّ شيء. وعلى العموم، لا يفلح ذلك إلّا بمعدّل حالة بين كلّ مائة حالة. فكفَّ عن مُخاطبتي كطفلةٍ جاهلة. قرأت، مثلك تماماً، *مقدّمة التحليل النفسي* لسيغموند فرويد وأعرفُ ألاعيب المعالجين النفسيين التي تحاولها. لست مريضة. وإنْ كنت أتألّم، فليس بسبب الفقدان بل الوفرة. فهمت جيّداً ما ينطوي عليه هذا العالم من أفكار مُفوّتة، رجعيّة، مُتحجّرة. وحتّى ما تدعوه علاجكَ النفسيّ ليس سوى طريقة للركود في الماضي أكثر فأكثر. لا أحب النظرَ إلى الخلف، وعندما أقود لا أُبقي نظري مُثبّتاً على المرآة الأماميّة.

دُهِشَ الطبيب. فقد دأبت جولي حتّى اللحظة إلى عدَمِ لفت النظر والبقاء صامتة. وما من أحد من مرضاه تجرّأ على التشكيك به مباشرة.

– لا أقول بالنظر إلى الخلف، أقول بنظر المرء جيّداً إلى ذاته، أليس كذلك؟

– ولا أريد حتى النظر إلى ذاتي. حين نقود لا ننظر إلى أنفسنا، وإذا أردنا تجنّب الوقوع في حادث، يُستَحسَنُ النظر إلى الأمام، وإلى أبعد نقطة ممكنة. في الواقع، ما يزعجك، هو أنّني مفرطة... الوعي. لذا تفضّل أن تفكّر بأنّي أنا غير الطبيعية. أنت من يبدو لي مريضاً بعادة أن تُقحِمَ كل جُمْلة من جُملكَ بـ «أليس كذلك؟».

أردفت جولي، دون تأثّر.

- طريقة تزويق عيادتك. هل فكّرت فيها؟ كل هذا الطغيان للون الأحمر، هذه اللوحات، هذا الأثاث، هذه المزهريّات الحمراء؟ هل أنت منبهر بالدم؟ وذيل الحصان هذا! ألا يُعبّرُ عن ميولٍ أنثويّة لديك؟

ارتدّ الاختصاصيُّ إلى الخلف. ورفّ جفنيه مثل درعين متناوبين. القاعدةُ الأساسيّةُ لمهنته تقضي بألّا يخوض في خلافٍ مع مريض على أرضه. ينبغي الانسحاب وعلى وجه السرعة. هذه الشابّة كانت تستهدف زعزعته عبر توجيه أسلحته الخاصّة إليه. لا بدّ أنها قرأت بضعةَ كتب في علم النفس. كلّ هذا الأحمر... صحيح يدفعه للتفكير بشيء مُحدّد. وذيله هذا...

أرادَ أن يتمالكَ نفسهُ ثانيةً ولكن مريضتهُ المزعومة لم تترك له فرصةَ التقاطِ أنفاسه.

- فضلاً عن ذلك، اختيار مهنة المعالج النفسي، هي بحدّ ذاتها حاملةُ دلالة. كتب إدمون ويلز: «انظر أيّ اختصاصٍ اختارهُ الطبيب وستفهم أين هي مُشكلته. أطباء العيون على العموم يضعون نظّارات، كثيراً ما يعاني أطباء الجلديّة من حبّ الشباب وداء الصدفيّة، اختصاصيّو غدد الصمّ تظهر لديهم مشكلات هرمونيّة والمعالجون النفسيّون هم...»

- من هو إدمون ويلز؟ قاطع الطبيب، منتهزاً هذه الفرصة مباشرةً ليغيّر مجرى الحديث.

- الصديق الذي يريد لي الخير حقّاً، أجابت جولي بجفاء.

لم يستغرق «المعالج النفسي» غير لحظة ليستعيد رباطة جأشه. ردود فعله المهنيّة المتأصّلة في داخله جاهزة للتدخّل في أيّة لحظة. ففي النهاية، ليست هذه الفتاة سوى زبونة، وهو كان الاختصاصي.

- وماذا أيضاً؟ إدمون ويلز... هل له صلة بـ H.G Wells، صاحب كتاب *الرجل غير المرئي*؟

- ما من صلة. ويلز الذي يخصّني أكثر أهميّة. لقد كتب الكتاب الذي «يحيا ويتكلّم».

الآن وجد مخرجاً من الورطة. اقترب.

– وماذا يتناول، «الكتاب الذي يحيا ويتكلّم»، للسيّد إدمون ويلز هذا؟

لشدّة قربه من جولي شمّت رائحة فمه. كانت تشمئزّ من رائحة فم أيّ كان. أدارت وجهها على قدر المستطاع. رائحة الفم كانت قويّة ممتزجةً برائحة غسول بشعة بنكهة النعناع.

– تماماً كما خمّنت. ثمّة أحد ما في حياتك يتلاعبُ بحضرتكِ ويُفسِدك. من هو إدمون ويلز؟ وهل بوسعكِ أن تريني كتابه «الذي يحيا ويتكلّم»؟

كان المُعالِجُ النفسيُّ يتعثّرُ أثناء مُخاطبتها فيخاطبها بتكلّف تارةً وتارة يرفع الكلفة ولكن، رويداً رويداً، أخذ يستعيد الإمساك بزمام الحديث. لاحظت جولي ذلك ورفضت استئناف المُشادّة الكلاميّة.

مسح الطبيب المُمارسُ عرقَ جبينه. كلّما زادت هذه المريضة الصغيرة في تحدّيه رآها أجمل. مُدهشة، هذه الشابّة، بهيئة طفلة في الثانية عشرة، وثقة بالنفس لامرأة في الثلاثين ونوع من ثقافةِ كتبٍ غريبة تزيدُ من جاذبيتها. أخذَ يرمقها بنهم. يحبُّ أن يُقاوم. كلّ ما فيها كان فاتناً، رائحتها، عيناها، صدرها. بالكاد أمسك نفسه عن لمسها، عن مداعبتها.

سرعان ما حرّرت نفسها بنشاط سمكة ترويت، ابتعدت ووقفت قرب الباب. ووجّهت له ابتسامة مشوبة بالتحدّي، وضعت حمّالات حقيبة الظهر بعد أن تأكّدت، وهي تجسّ الحقيبة، بأنّ المجلّد الثالث من موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* ما زال موجوداً داخلها.

غادرت صافقةً الباب وراءها.

تبعها آشيل.

في الخارج، كافأت الحيوان بركلة. ليتعلّم أن يكسر مزهريّة المينغ التي أشارت له إليها في اللحظة التي تشيرُ فيها.

22. موسوعة

استراتيجيّة لا يمكن توقّعها: بوسعِ ذهنٍ مُراقبٍ ومنطقيّ التنبُّؤ بأيّ استراتيجيّة بشريّة. ولكن هناكَ طريقةٌ للبقاء خارجَ التوقّع: يكفي إدخال آليّة عشوائيّة في عمليّة اتّخاذ قرار. التسليمُ، مثلاً، باختيار جهةِ انطلاقِ الهجوم

القادم وفقاً لِمَا تشيرُ إليهِ رميةُ نرد. لا يقتصرُ إدخال بعض من الفوضى في خطّة شاملة بإحداث تأثير المفاجأة وإنّما يمنحُ أيضاً إمكانيّة الاحتفاظ بسريّة المنطق المنطوية في داخله القرارات الهامّة. لا أحد بوسعه توقّع رميات النرد. أثناء الحروب، بالطبع، قليل من الجنرالات يجرؤون على اختيار المناورة المقبلة بناءً على نزوات الصدفة. يعتقدون بأنّ ذكاءهم يكفي. مع أنّ النرد، بلا ريب، هو الطريقة الفضلى لإقلاق الخصم الذي سيشعر بنفسه مفوتاً من آلية تفكير لا يستوعبُ ألغازها. عندئذ، في حالة من الحيرة والضياع، سيتصرّف بخوف، وبالتالي ستكون تصرّفاته مُتوقّعة بالكامل.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

23. ثلاثةُ مفاهيمٍ غريبة

ترفعُ الرقم 103683 وصاحِباتها الاثنتا عشرة قرونهنّ فوق مخابئهنّ، فيُميِّزنَ القادِماتِ الجُدُدَ. إنهنّ نمالٌ قزمات من مدينة شي-غا-بو. نمالٌ قصيرات القامة، إلّا أنهنّ مُفرِطاتُ الشراسةِ ومتأهباتٌ للقتال.

يقتربن. الْتَقطنَ رائحة الفرقة البيلوكانيّة ويبحثن عن المجابهةِ. ولكن ما الذي يفعلنهُ هنا بعيدات إلى هذا الحدّ عن عشهنّ.

يخطرُ في ذهنِ الرقم 103683 بأنّهن في هذا المكان للغاية نفسها التي حدَتْ بصاحِباتها الجدُد على القدوم، إنّه الفضول. القزمات أيضاً، يُردنَ استكشافَ الحدود الجغرافيّة الشرقيّة للعالم. يدَعْنَهن يمضين في سبيلهنّ.

يتحلّقنَ ثانيةً عند جذع شجرة زان، بالكاد تتلامسُ أطراف قرونهن. فتستأنِفُ الرقم 103683 حكايتها.

وإذن، ألْفَت نفسها بمُفردِها في وسَطِ بلادِ **الأصابع**. هناك مضَت من اكتشَافٍ إلى اكتشَاف. بدأت بلقاء بنات وردان اللواتي زعمن أنهنّ روَّضنَ **الأصابع** إلى حدّ جعلهم يضَعونَ لهنّ كلّ صباحٍ كميّات كبيرة من القرابين في أوعيةٍ خضراء ضخمة.

فيما بعد زارت الرقم 103683 أعشاش **الأصابع**. والتي كانت عملاقة بالطبع غير أنّ لديها صفات أخرى. فهي تامّة الصلابةِ ومتوازية الأسطح. مُحالٌ حفرُ جدرانها. وتسري، في كلّ عشّ من أعشاش **الأصابع**، مياه ساخنة وأخرى باردة، وثمّة تيّارات هواء وطعام ميت.

ولكن ليس هذا أكثر ما يُدهش. فللمصادفة الطيبة، تعرّفت الرقم 103683 على **إصبعٍ** لا يُكِنُّ أيّ عدائيّة نحو النمل. **إصبع** مدهش أرادَ بناء جسر تواصل بين الجنسين.

وقد ابتكر **الإصبع** هذا آلةً تسمَحُ بتحويل اللغة الشميّة النمليّة إلى لغةٍ سمعيّة **إصبعيّة**. لقد صمّمها بنفسه ويُجيد استخدامها.

تنسحبُ الرقم 14 من دائرةِ القرون.

ذلك يكفي. سمعَتْ بما يكفي. هذه النملة تؤكّدُ بأنها «تحدّثت» مع **إصبع**! الاثنتا عشرة متّفقات: ما عاد هناك أيّ شكّ، الرقم 103683 مجنونة.

تطلب الرقم 103683 أن يُصغى إليها دون أفكارٍ مُسبقة.

تُذكِّر الرقم 5 بأنّ **الأصابع** يُبقرون بطونَ المدن. والتحاور مع **إصبع**، هو تعامل مع أسوأ عدو للنمل، وهو الأفظع دون شكّ.

تهزُّ صاحباتها قرونهنّ علامةَ موافقة.

تعترض الرقم 103683 بأنّه يلزم دوماً أن نفرض على أنفسنا معرفة جيّدة بأعدائنا، في الحدّ الأدنى لمحاربتهم على نحو أفضل. وإذا كانت الحملة الأولى ضدّ **الأصابع** قد تحوّلت إلى مجزرة، فمردّ ذلك إلى أنّ النمل، الذي يجهل كلّ شيء عن **الأصابع**، كوّن عنهم تصوّرات وهميّة.

الاثنتا عشرة يتردّدن. ليس لديهن رغبة كبيرة في مُتابعة قصّة النملة العجوز الوحيدةِ لفرط ما تبدو لهن غير قابلة للتصديق. ولكن عند النمل، الفضول يجري في المورّثات. فتنعقدُ الدائرةُ مُجدّداً.

تتناول الرقم 103683 حديثها مع «**الإصبع** الذي يُجيد التواصل». بفضل التفسيرات التي قدّمها لها، كم لديها من الأشياء تُعلّمها إلى صغيرات السنّ! ما يراه النمل من **الأصابع**، ليس سوى امتداد نهاياتِ قوائمهم. **الأصابع** أبعد

ممّا تستطيع نملة تخيّله. إنهم أكبر منهن بألف مرّة. وإذا لم يميزن فماً أو عيوناً لدى **الأصابع**، فلشدّة علوّهم يعجزن عن رؤيتها.

على أيّة حال، لدى **الأصابع** فم بالفعل، وعيون وقوائم. لكن ما من قرون لديهم فهم لا يحتاجونها. إذ تمكّنهم حاسّة سمعهم من التواصل وتكفيهم حاسّة بصرهم ليروا العالم.

غير أنّ ميزاتهم لا تنحصر في ذلك. هناك ما هو أكثر عجباً: **الأصابع** تقفُ بشكلٍ عمودي متوازنين على قائمتيهم الخلفيّتين. على قائمتين فقط! دمهم حار، اجتماعيّون، ويعيشون في مدن.

كم عددهم؟

عدّة ملايين.

تُكذّبُ الرقم 5 قرنيها. ملايين من العمالقة، إنّهم بحاجةٍ لحيز واسع، ويمكن رؤيتهم من بعيد، فكيف لم نتنبّه من قَبلُ لوجودهم؟

الرقم 103683 تفسّر بأنّ الأرض أوسع بكثير ممّا يظنّ النمال ومعظم **الأصابع** تقطن في أماكن نائية.

الأصابع صنف حيوانيّ حديث العهد. النمل يقطنُ الأرض منذ مئة مليون سنة، بينما لا يتجاوز وجود **الأصابع** ثلاثة ملايين سنة. وبقوا لزمن طويل متخلّفين. ومن وقت قصير فقط، بضعة آلاف من السنين لا أكثر، اكتشفوا الزراعة وتربية الحيوان، وبدأوا بإشادة المدن.

ولكن، إذا كانت **الأصابع** صنفاً متأخراً إلى حدّ ما، فذلك لم يَحُلْ دون امتلاكهم ميزة هائلة يتفوّقون بها على جميع زوّار الأرض الآخرين: نهاية قوائمهم تتشكّل ممّا يسمّونه أيدي، وهي تتألّف من خمسة **أصابع** مفصليّة قادرة أن تقرص، وتتشبّث، تقطع، تشدّ، وتسحق. تُفيدهم هذه الميزة في التعويض عن نقص أجسادهم. فيصنعون، بما أنّهم يفتقدون لدرع متين، «ثياب» بمساعدة خيوط ألياف نباتيّة مضفورة. ولانعدام فكوك مدبّبة لديهم، يستعملون سكاكين مصنوعة من معادن قُطعت وصُقلت إلى أن أصبحت بتّارة. وبما أنّ ليس لديهم قوائم قادرة على قذفهم بسرعة كبيرة، يستخدمون السيّارات، وهي أعشاش متحرّكة تندفع بتفاعل النار

والهيدروكربون. وبذلك، تمكّنَ **الأصابعُ** بفضل أيديهم تعويضَ تأخرهم عن الأصناف الأكثر تقدّماً.

تجدُ النّمالُ الاثنتا عشرة الفتيّات صُعوبةً في تصديقِ مزاعم النّملةِ المُسنّة.

*بواسطة «آلة ترجمتهم»، أخبرتها **الأصابع** تُرّهات*، بثّت الرقم 13.

أمّا الرقم 6 فتعتقد بأنّ شيخوخة الرقم 103683 تشوّش إدراكها. إنّها تهذي، فليس **للأصابع** وجود، إنّهم وهم صنَعتهُ المُربّياتُ من بناتِ خيالهنَّ ليُخفْنَ به الأفراخ.

عندئذ، تَطلبُ النملة العجوز منها أن تلعقَ العلامة التي تَسِمُها على جبينها. إنّها علامة خاصّة، وسمتها **الأصابع** بها، لكي يميزوها عن جميع النمال التي تسعى على هذه الأرض. توافق الرقم 6 على التجربة، تلعقُ، تشتمّ. ليس هذا روث طير، ولا بقايا طعام. تعترف الرقم 6: إنّها تشهد هذه المادّة للمرّة الأولى.

غير مُستغرب، مُظهرةً الرقم 103683 انتصارها. ليست هذه المادّة القاسية واللّاصقة سوى إحدى الصموغ الغامضة التي تُجيدُ **الأصابعُ** تحضيرها.

يسمّون هذا «طلاء أظافر» وهو أحد أندر منتجاتهم. يكرّمون بهذا المرهم الكائنات التي يعتبرونها ذات مكانة مرموقة.

تستَغلُّ الرقم 103683 هذه الحجّة الدامغة على معرفتها **بالأصابع** لتؤكّد تفوّقها. وتُصرُّ، لفهم مغامرتها جيّداً، على وجوبِ تصديق ما تقولهُ دون جدال.

تُصغي الحاضِراتُ مُجدّداً.

يتصرّف **الأصابع**، في بلادهم المُشيّدة للعمالقة، على نحو غير منطقي، تصرّفات يصعبُ أن تتخيّلها نملة عاديّة. ولكن بين جميع أفكارهم غير المألوفة، ثلاثة منها أثارت فضول الرقم 103683 على نحو خاص وبدت لها بأنها جديرة بالتعمّق.

الفكاهة،

الفن،

الحبُّ، تقول.

الفكاهة، تُفسّرُ، هي تلك الحاجة المرضيّة التي يشعرُ بها بعض **الأصابع**

إلى سردِ قصص تثير لديهم تشنّجاتٍ عصبيّة وتسمح لهم أن يتحمّلوا الحياة على نحو أفضل. لا تُدركُ ما هو الأمر تماماً. حتّى أنّ **الإصبع** المُتّصلَ بها قصَّ عليها «دُعابات»، لم تترك عندها أيّ أثر.

الفنّ، هو حاجة عند **الأصابع** لها القدر ذاته من الإلحاح بأن يصنعوا أشياء يعتبرونها شديدة الجمال مع أنّها لا تنفعُ لشيء. غير صالحة للأكل ولا للحماية الشخصيّة ولا للبقاء على قيد الحياة. تنتجُ **الأصابع**، بواسطة «أيدِيهم»، أشكالاً، وتطلي ألواناً أو تجمع أصواتاً، مُتراكبةً مع بعضها، تبدو لهم نغميّة. هذا أيضاً يثير عندهم تشنُّجاتٍ ويسمحُ لهم بأن يتحمّلوا الحياة على نحو أفضل.

والحبّ؟ سألت الرقم 10، مهتمّة.

الحبّ، هو الأكثر غموضاً.

الحبُّ هو حين **إصبع** ذكر يكرّر مراراً تصرّفات غريبة لتقبلَ **إصبع** أنثى أن تمنحهُ تطاعماً. لأنّ التطاعمات ليست تلقائيّة عند **الأصابع**. حتّى أنّهم يرفضونها لبعضهم أحياناً!

تمنّعٌ عن التطاعم... لا تلبثُ دهشةُ النمال أن تزداد. كيف يمكنُ التمنّعُ عن تقبيلِ شخص ما؟ كيفَ يُمكنُ رفضُ اجترار طعامٍ في فم آخر؟

تضيقُ حلقة المُستمعين مُحاولةً الفهم.

بحسب الرقم 103683، يثيرُ الحبُّ لديهم تشنّجات ويسمحُ لهم تحمّل الحياةِ على نحو أفضل.

إنّه الاستعراض الزفافي، تقترح الرقم 16.

كلا، *إنّهُ شيء آخر*، تُجيب الرقم 103683، ولكن، في هذا الموضوع أيضاً، لا تستطيع أن تضيف أكثر فهي غير متأكّدة بأنّها فهمت جيّداً كلّ شيء. ولكنّ ذلك يبدو لها شعوراً غريباً تجهَلهُ الحشرات.

تتأرجح المجموعة الصغيرة.

ترغب الرقم 10 أن تعرفهم أكثر. لديها فضول لمعرفة ماهيّة الحبّ، الفكاهة والفنّ.

وما شأننا نحن في الحبّ والفكاهة والفنّ، تجيب الرقم 15.

ترجو الرقم 16 أن تعرفَ مكان مملكتهم، ولو من أجل الخرائط الكيميائيّة على أقلّ تعديل.

تقول الرقم 13 بأنّ الأوان قد حان لحشد الكون، لتجميع جميع النمال والحيوانات في جيش هائل والقضاء، سويّةً، على هذه **الأصابع** المتوحشة.

تهزُّ الرقم 103683 رأسها. قتلهم جميعاً، مهمّةٌ مُستحيلة. الأَسهَلُ... تدجينهم.

تدجينهم؟ هتفت مُخاطباتها متعجّبات.

بلى! سبق للنمال تدجينُ العديد من الدابّات: أَرْقات، قُرمزيّات... فلماذا **الأصابع** لا؟ في النهاية، **الأصابعُ** تُطعِمُ بنات وردان. وما نجَحت به بناتُ وردان يمكنُ تكراره هنا، وعلى نطاقٍ أوسع بكثير.

لا تعتبرُ الرقم 103683، التي تحدّثت مع **الأصابع**، بأنّهم جميعاً وحوش متهورة وزرّاع موت. ينبغي إقامةُ علاقاتٍ دبلوماسيّة معهم، والتعاون لكي يستفيد، على نحوٍ تبادلي، **الأصابع** من معارفِ النّمالِ والنّمال من معارفِ **الأصابع**.

وهي قد عادت لتحملَ هذا الاقتراح إلى صنفها كلّه. وتطلبُ من الاثنتي عشرة مستكشفة تقديم العون لها. وإذا كان يصعُب جعل النمال كافّة تتقبّل الفكرة، فالأمر يستحقُّ العناء.

الفرقة في حالة ذهول. إقامة الرقم 103683 بين تلك الكائنات الغريبة شوّشت مداركها. تعاونٌ مع **الأصابع**! وتدجينهم كما يُدجّن قطيعٌ بسيط من الأرْقَات!

الأجدى في هذه الحالة التحالف مع قاطني الغابة الأشرس، ضخام الحراذين مثلاً. فضلاً عن أنّ النمال ليس من عادتهنّ التحالف مع أيّ كان. ناهيك عن أنهنّ أصلاً يجدن صعوبة في التفاهم فيما بينهنّ. فالعالم مجبول على الصراعات. حروب بين الطبقات، حروب بين المدن، حروب بين الأحياء، حروب بين الأشقّاء...

وهذه المستكشفة العجوز ذات الجبين المُلطّخ والدّرع المُثخَنِ بندوب حياة كاملة تقترح التحالف مع... **الأصابع**! كائنات لفرط ضخامتها لا يُرى منها لا فم ولا عيون!

يا للفكرة الخرقاء!

تصرُّ الرقم 103683. وتعيدُ مراراً وتكراراً، هناك في الأعلى، **أصابع** يدعمون، بعضهم على الأقلّ، هدفَ الوصُولِ إلى تعاون نملي-**إصبعي**. تدافع عن وجوب عدم احتقار هذه الحيوانات تحت ذريعة أنّهم مختلفون وغير معروفين.

نحن بحاجة دائماً إلى من هو أكبر منّا، تُؤكّد.

بعد كلّ شيء، يُجيدُ **الأصابع** إسقاطَ شجرة كاملة بسرعة كبيرة وتقطيعها إلى أجزاء. بإمكانهم أن يغدوا حلفاء عسكريّين وازنين. لن نحتاج، في حالة الاتّحاد، أكثر من أن نُشيرَ لهم إلى أيّة مدينة حتّى يُهاجِمُوها ويبقروا بطنها على الفور.

بما أنّ الحرب كانت الشاغلَ الأوّل للنمل فالمبرّر له وزنه. والنملة العجوز الصهباء تعي ذلك وتردفُ:

هل تتخيّلون أيّة قوّة ستكون لدينا إذا وضعنا في معركة فيلقاً من مئة **إصبع** مدجّنٍ!

الفرقة المُلتجئةُ في فجوةِ شجرة الزان، تعي بأنّها تعيشُ لحظةً حاسمةً في تاريخ النمل. فإذا توصّلت هذه الجنديّةُ العجوز إلى إقناعهم، فربّما سيكون بوسعها ذات يوم أن تقنعَ عشّ النمل بأكمله. وعندئذ...

24. حفلة ساحرة في القصر

تشابكت الأصابعُ. وضمَّ الراقصون شريكاتهم بثبات.

حفلة راقصة في قصر فونتينبلو.

بمناسبة توأمة مدينة فونتينبلو مع مدينة هاتشينوه اليابانيّة، أُقيمَ حفل هناك في المنزل التاريخي. وجرى تبادل أعلام، تبادل ميداليّات، وتبادل هدايا. كما قُدّمت عروض لرقصات فولكلوريّة، جوقات محلّية. وتقديم اليافطة: «فونتينبلو-هاتشينوه: **مدينتان توأمان**»، التي ستُثبّت من الآن فصاعداً عند مدخل المكانين.

ثمّ أخيراً أتى وقتُ تذوّق الساكي اليابانيّ وخمر الخوخ الفرنسيّ.

ما زالت سيّارات تركنُ في الباحة الرئيسة رافعةً علَمَي البلدين، يترجّل منها أزواج متأخّرونَ في لباس السهرة.

وصلت جولي وأمّها قاعة الاحتفال وهما لا تزالان مُتّشحتان بسواد حدادهما. لم تكن الشابّة ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين مُعتادةً قطّ على عرض واسع من الفخامة كهذا.

في وسط القاعة المضيئة، بدأت فرقة وتريّة تعزف فالس لشتراوس وأخذت أزواج الراقصين تدور مازجةً سواد بذْلات السموكن للرجال ببياض فساتين السهرة للنساء.

وكان الندّل بزيّهم الخاص يجوبون القاعة حاملين على صوَانٍ فضّية صفوفاً من المصبِّرات بشتّى الألوان موضوعةً في زوارق ورقيّة.

زاد الموسيقيّون من سرعة اللحن: الدوّامة الختاميّة لـ*الدانوب الجميل الأزرق*. ولم تعُدْ أزواج الراقصين سوى دُوَّم سوداء وبيضاء تفوح منها عطور ثقيلة.

انتظرَ عمدَةُ المدينةِ الاستراحةَ ليلقي كلمته. عبّر، مشرقَ الوجه، عن سروره بتوأمة مدينته العزيزة فونتينبلو ومدينة هاتشينوه، الصديقةُ الحميمة. وامتدح الصداقة اليابانيّة-الفرنسيّة الراسخة آملاً بأن تستمرّ أبداً. وذكر الوجهاء الحاضرين من كبار الصناعيّين والجامعيّين المرموقين وموظّفي الدولة الكبار والرتب العسكريّة الكبرى والفنّانينَ المشهورين. وصفّق الجمعُ بحرارة.

ردّ عمدة المدينة اليابانيّة بتقديم عرض صغير عن موضوع استيعاب الثقافات لبعضها مهما بلغت درجة الاختلاف فيما بينها. وأعلن:

- رغم الاختلاف بيننا، أنتم هنا ونحن هناك، لدينا الفرصة ذاتها للعيش في مدن صغيرة وادعة؛ يزدهر فيها جمال الطبيعة عبر تعاقبِ الفصول ويعزّز مواهب السكّان.

على أثر هذه الكلمات القويّة والتصفيق مُجدّداً، استُؤنفَ الفالس. واتفقَ الراقصون، لتنويع المُتعة، على الدوران في الاتّجاه المُعاكسِ لعقارب الساعة.

يصعُبُ في جلبةٍ كهذه أنْ يسمعَ أحدٌ الآخر. اتّخذت جولي وأمّها وآشيل طاولةً مُتطرّفة حيث أتاهم المُحافظُ للترحيب. كان يرافقه رجل يميل إلى الطول، أشقر، وله عينان زرقاوان واسعتان تحتلّان مُعظَمَ وجهِه.

- أقدّم لكما المفوّض مكسيميليان لينار، الذي سبق أن أخبرتكم عنه، وضّحَ المُحافظ. إنّه المكلّف بالتحقيق في موت زوجك. تستطيعين أن تضعي ثقتك به. إنّه شرطيّ لا نظير له. يدرّسُ في مدرسة فونتينبلو للشرطة. وسينجح سريعاً في تحديد أسباب وفاة غاستون.

مدّ الرجل يده. وتعارَقت راحاتُ الأيدي.

- تشرّفنا.

- تشرّفنا.

- وأنا أيضاً.

وبما أنّ ليس لدى المفوّض والمحافظ ما يضيفانه انسحبا. تأمّلت جولي وأمّها عن بعد الحفلة التي كانت في ذروتها.

- ترقصين، آنستي؟

انحنى شابّ يابانيّ، مُفرطُ التكلّف، أمام جولي.

- لا، شكراً، أجابت.

مُتفاجئاً بهذا الصدّ، جمدَ اليابانيّ مُتردّداً لبرهة، وهو يتساءل عمّا يقتضيه التهذيب الفرنسيّ حين يُرفَضُ راقصٌ أعربَ عن رغبته علناً. تدخّلتِ الأمّ لإنقاذه:

- اعذر ابنتي. نحن في حداد. في فرنسا. الأسود لون الحداد.

شعَر، في آن معاً، بالارتياحِ لأنَّ الرفضَ لا يخصّه شخصيّاً وبالحرج لارتكابه خطأً، بالغَ الشابُّ بالانحناءِ أمام الطاولة.

- آسف على إزعاجكما. في بلدنا، على العكس، الأبيضُ لونُ الحداد.

قرّرَ المُحافظُ أنْ يُضيفَ إلى السهرةِ بعضَ الإثارة عبرَ إلقائِه دُعابة إلى حفنةٍ قليلة من المدعوّين المتحلّقين حوله:

- يحفِرُ رجلٌ من الأسكيمو ثُقباً في الجليد. ثمّ يُلقي خيطَ الصيدِ مع

السنّارة والطعم، وينتظر إلى أن باغتهُ صوت قويّ يُرجِفُ الأرض: «**لا يوجد سمك هنا!**» يبتعدُ رجل الأسكيمو قليلاً وهو في حالة ذعرٍ ويحفر ثقباً آخر. يرمي سنّارته وينتظر. يرْعُدُ الصوتُ المُخيف ثانيةً: «**لا يوجد سمك هنا أيضاً**». ينتقل الأسكيمَويّ إلى مسافة أبعد ليحفرَ ثقباً ثالثاً. فيصْدَحُ الصوتُ مُجدّداً: «**أقولُ لك إنّه لا يوجد سمك هنا!**» يفتّشُ الأسكيمَويّ حولهُ، لا يرى أحداً في الجوار، ويزدادُ خوفه، فيرفعُ نظرَهُ إلى السماء: «من يُكلّمني؟ هل هو الله؟» ويتردّد الصوتُ القويّ: «لا. بل مدير ساحة التزلّج...».

سرَت بعضُ الضحكات، بعضُ كلمات الإطراء، ثمّ موجة ثانية من الضحكات للذين فهموا متأخّراً.

يصرّ السفير الياباني أن يقدّم قصّة هو أيضاً.

- إنّها قصّة رجل يجلس على الطاولة، يفتحُ درجاً، ويخرجُ منه مرآةً ويحدّق فيها مطوّلاً، ظانّاً بأنّه يرى فيها وجه أبيه. تُلاحظُ زوجته بأنّهُ يُمضي مُعظمَ الوقت ممسكاً هذا الإطار فيُقلقها الأمر، متخيّلة بأنّها صورة عشيقةٍ ما. وفي ما بعد ظهيرة أحد الأيّام، تستغلُّ غيابَ زوجها لتتحقَّقَ من الأمر. فتمضي لترى من صاحب هذه الصورة الغريبة التي يخفيها زوجها. وما إن يعود حتّى تبادره وقد استولت الغيرة عليها: «من تلكَ العجوزُ الشرسة الطباعِ التي تحتفظُ بصورتها في درجك؟».

تعلو قهقهات جديدة وضحكات مهذّبة. ثمّ موجة ثانية من الضحكات للذين فهموا متأخراً. ثمّ موجة ثالثة من الضحكات للذين طلبوا من أحدٍ أن يُفسّرها لهم.

أطلق المحافظ دوبيرون والسفير الياباني، مسروران بنجاحهما، دعابات أخرى. واكتشفا أنّه ليس من اليسير أن يجدا دعابات مُضحكة للشعبين في آن معاً، لفرط ما تختزنه الدعابات من مرجعيّات ثقافيّة ليس لها معنى إلا في بلدها الأصليّ.

- هل تعتقدون بوجود فكاهة كونيّة قادرة على إضحاك العالم بأجمعه؟ سألَ المُحافظ.

لم يَسُد الهدوء إلّا بعدما طرق رئيس الندّل الجرس مُعلناً أنّ بوسع

الجميع الجلوس إلى الطاولات لأنّ العشاء سيقدّم. وضعت النادلات أمام كل طبق أرغفة خبز صغيرة مدوّرة.

25. موسوعة

وصفة تحضير الخبز: إلى من نَسيها.

المكوّنات:

600 غرام من الطحين

ظرف واحد من الخميرة الجافّة

كوب واحد من الماء

ملعقتان صغيرتان من السكّر

ملعقة واحدة صغيرة من الملح، والقليل من الزبدة.

ضعوا الخميرة والسكّر في الماء واتركوهما يرتاحان لمدّة نصف ساعة. عندئذ سيتشكّل زبد كثيف رمادي. ضعوا الطحين في إناء، وأضيفوا عليه الملح، احفروا حفرة دائريّة في الوسط لتصبّوا فيها السائل على مهل. حرّكوا وأنتم تسكبون. غطّوا الإناء ودعوه يرتاح لربع ساعة في مكان دافئ بعيداً عن تيّارات الهواء. درجة الحرارة المثاليّة 27° ولكن، في حال عدم توفّر ذلك، يفضّل درجة حرارة أقلّ. إذ قد تقضي الحرارة على الخميرة. ولمّا ينفج العجين، اعجنوه قليلاً باليدين. ثمّ اتركوه ينفج من جديد لثلاثين دقيقة. فيما بعد بإمكانكم إنضاجه خلال نصف ساعة في فرن أو في رماد الحطب.

إذا لم يكن لديكم فرنٌ ولا رماد دعوه ينضج على حجر بتركه تحت الشمس الحادّة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

26. هناك تهديد

تُطالبُ الرقم 103683 زميلاتها الاثنتي عشرةَ بأن يُعرنها المزيد من

الانتباه. فهي لم تفرغ بعدُ من كلّ ما لديها. وإنْ هي مُصرّة على الذهاب إلى مدينةِ مسقَط رأسها على وجه السرعة، فلأنّ خطراً كبيراً يتهدَّدُ بيل-أو-كان.

الأصابعُ الذين اتّصلوا بها حرفيّون بارعون، وبمقدورهم العمل لزمن طويلٍ ليصنّعوا ما يحتاجونه. وبما أنّهم أرادوا أن يُفهِمُوها عالمهم بالرؤيةِ المُباشرة، اجتهدوا ليصنّعوا تلفزيوناً مُصغّراً على حجمها.

ما هو التلفزيون؟ سألت الرقم 16

تُلاقي النملةُ العجوز صعوبةً في إفهامِ مقصدها. تُحرّك قرنيها لترسم مربّعاً. التلفزيون هو صندوق لديه قرن استشعاري يلتقطُ عوضاً عن الروائح الصورَ المُتناثرةَ في هواءِ عالم **الأصابع**.

***للأصابع** قرون إذاً؟* سألت الرقم 10 مندهشة.

بلى، لكنّها قرون خاصّة، غير قادرة على إقامة حوار فيما بينها. تنحصرُ وظيفتها باستقبال الصور والأصوات.

تفسّر بأنّ هذه الصور تُظهرُ كلّ ما يحدُثُ في عالم **الأصابع**. إنّها تُجسّدُهُ وتزوّدُ بجميعِ المعلوماتِ الضروريّة لفهمه. تُدركُ الرقم 103683 جيّداً بأنّ شرحَ الأمر ليس باليسير. في هذه النقطة أيضاً ينبغي التسليم بتصدِيقها. بفضلِ التلفزيون نجحت النملة العجوز الصهباء، دون أنْ تضطرَّ للتنقّل، في التعرّف على كلّ ما يخصُّ عالم **الأصابع**.

إلّا أنّها رأت في أحدِ الأيام، في التلفزيون، في برنامجٍ محلّي يافطةً بيضاء تشْخُصُ بالضبط على مسافة بضع مئات من الخطوات عن عشّ نمال بيل-أو-كان الكبير.

رفعت الجُنديّات الاثنتا عشرة قرونهنّ دهشةً. *ما هي اليافطة؟*

تشرحُ الرقم 103683: عندما يضَعُ **الأصابع** يافطاتٍ بيضاء في مكان ما، فمعنى ذلك أنّهم يستعدّون إلى قطعِ أشجار وتدمير مدنٍ وإحالة كلّ شيء سويّة الأرض. تعلِنُ اليافطاتُ البيضاء، على العموم، عن إنشاءِ أحدِ أعشَاشهم المُكعّبة. ما إن تنتصب واحدة منها حتّى تَستحيل المنطقة برمّتها إلى قفْرٍ مُسطّح، قاس، بلا عُشب، وسرعان ما يرتفعُ فوقه عشّ **أصابع**.

هذا ما يحدثُ الآن. وينبغي إبلاغُ بيل-أو-كان بأيّ ثمن قبلَ أنْ تبدأ أشغالُ التدميرِ والموت.

تستَغرقُ الاثنتا عشرةَ في التفكير.

ما من قائدٍ عندَ النمل، ولا تراتبيّة، وبالتالي ما من أحدٍ يُصدرُ أوامرَ أو يتلقّاها، وما من طاعة واجبة. كلّ واحد يفعلُ ما يشاء ساعةَ يشاء. تتشاور الاثنتا عشرة بسرعة. هذه المُستكشفَةُ العجوز أبلغتهنّ بأنّ مدينةَ مسقط الرأس بخطر. لا ينبغي الوقوفُ عند تفاصيل عديمةِ الأهميّة. يُقلعنَ عن استكشافِ حافّة العالم ويقرّرن الالتحاقَ ببيل-أو-كان بسرعة ليحذّرن أخواتهنّ من الخطر الذي تمثّلهُ «يافطة **الأصابع**» المُرعبة.

إلى الأمام صوبَ الجنوبِ الغربيّ.

لكن الليل يهبط، ورغم حرارة الجوّ فات أوان الانطلاق في طريقهن وأزِفَت ساعةُ السبات الليليّ الصغير. تلتمُّ النمالُ في تجويفِ شجرة، يطوينَ الأرجلَ والقرون ويتكوّرن معاً لينعمْنَ بدفئهنَّ المُتبادل زمناً أطول. ثمّ، على نحوٍ مُتزامن، تنثني القرونُ ببطء وتغفو النمال وهنّ يحلمن بعالم **الأصابع** الغريب، بأولئك العمالقة ذات الرؤوس الضائعة هناك في الأعلى، بين قمم الأشجار.

تتخيّلهم الرقم 12 وهم يأكلون.

27. يبدأ التكلّم عن الهرم الغامض

أطلَّ العديدُ من النُدّلِ رافعينَ صواني الأطعمة. مسؤول المراسم كان يتابع رقصة الباليه الخاصّة بهم من الأعلى وعن بعد، مثل مايسترو، مصدراً أوامرهُ بحركات عصبيّة من يده.

كلّ صينيّة كانت تحفة فنّيةً حقيقيّة.

خنانيص جمدت الابتسامة على وجهها، وحُشيت أفواهها بحبّة بندورة حمراء جميلة، كانت تجثمُ بين جبال من الشُّكْرُوت. ديوك بدينة استلقت باسترخاء كأنَّ هريسةَ الكستناء المحشُوّةِ بها لا تُضايقها. عجول بأكملها كانت تُقدّمُ شرائحَ لحمها قرابين. سراطين البحر تمسكُ بعضها

بعضاً بمقصّاتها لتشكّل حلقة مبتهجة بين سلَطات جذّابة من خضار مطليّ بالمايونيز اللمّاع.

بادرَ المُحافظ دوبيرون إلى رفعِ نخب. وأخرجَ «ورقته المعتادة حول التوأمة»، بطريقةٍ رسميّة، وقد باتت مثنيّةَ الزوايا ومُفرطة الاصفرار إذْ استُعمِلت في عدّة موائد عشاء مع سفراء أجانب، ثمّ أعلن:

– أرفع كأسي نخب الصداقة بين الشعوب والتفاهم بين الأفراد أصحاب النوايا الطيّبة من شتّى البلدان. نحن نهتمّ لأمركم وآمل أن يكون أمرنا يهمّكم. بغضّ النظر عن العادات، التقاليد، التكنولوجيّات، أظنّ بأنّنا نُثري بعضنا بعضاً على نحو متبادل، ولا سيّما أنّ اختلافاتنا كبيرة...

أخيراً، سُمِحَ لمن نفدَ صبرهم بالجلوسِ ثانيةً وصرف انتباههم إلى أطباقهم.

أتاحَ العشَاءُ الفرصةَ لاستئنافِ الدعابات والنوادر. تكلّم مُختارُ هاتشينوه عن أحدِ مواطنيه الرائعين. رجلٌ كانَ يعيشُ في عُزلةٍ وقد ولد دون يدين ويعيش من الرسم بقدميه. أُطلقَ عليه «سيّد أصابع القدمين». لم تكن مهارتُهُ تقتصر على الرسم وإنّما كان أيضاً يتحكّم بأصابع قدميه إلى حدّ يؤهله للرمي بالقوس وتنظيفِ أسنانه.

أثارت النادرة اهتمامَ الحضور الذي أراد أن يعرف إن كان متزوّجاً. نفى مختار هاتشينوه؛ غير أنّ سيّد الأصابع كان لديه الكثير من العشيقات والنساء المُولعات به لأسباب غير مُفسّرة.

لا يريدُ المُحافظ دوبيرون أن يكون أقلّ لفتاً للانتباه، فأشارَ إلى أنّ مدينة فونتينبلو كان لديها أيضاً حفنة من المواطنين الخارجين عن المألوف. ولكن الأكثر إدهاشاً بينهم كان عالماً مجنوناً، اسمه إدمون ويلز. هذا الشِّبْهُ علميّ قد حاول دفعة واحدة بأن يُقنعَ أبناءَ وطنِهِ بأنّ النملَ يُشكّلُ حضارةً موازية ومصلحة الإنسان تقتضي التواصلَ معها على قدَمِ المُساواة!

للوهلة الأولى كذّبت جولي سمعها، ولكنّ المُحافظ نطَقَ اسم إدمون ويلز بالفعل. مالت لتُصغي له بطريقة أفضل. مدعوون آخرون اقتربوا أيضاً ليسمعوا قصّة العالِم المجنون بالنمل. مغتبطاً باستحواذِهِ على اهتمام المُستَمعين، استأنفَ المُحافِظ:

– الأستاذ ويلز هذا من فرطِ اعتقادِهِ بصَوابِ هاجسِه تواصَلَ مع رئيسِ الجمهوريّة ليقترحَ عليه أنْ يُنشئ... يُنشئ... لن تحزروا أبداً ماذا!

مُحافظاً على الإثارةِ التي أحدَثها، أعلنَ ببطء:

–... سفارة للنمل. مع سفيرٍ لهُ لدينا!

ساد صمت طويل. أخذ يُحاول كلّ واحد أن يفهم كيف يمكن للمرء أصلاً أن يتخيل تصوّراً هزلياً كهذا...

– ولكن من أين أتته هذه الفكرة الغريبة؟ سألت زوجة السفير اليابانيّ.

فسّر دوبيرون:

– كان البروفيسور إدمون ويلز يؤكّد بأنّه صنعَ آلة قادرة على ترجمةِ كلمات النمل إلى كلماتٍ بشريّة والعكس. فكّرَ أنّ بهذهِ الطريقة يمكنُ أن ينشأ حوار بين الحضارتين الإنسانيّة والميرميسيان (myrmécéenne).

– ماذا تعني كلمة «ميرميسيان»؟

– تعني «نمليّ» باليونانيّ.

– وهل يمكنُ حقّاً التحاورُ مع النمل؟ سألت سيّدة أخرى.

أنهضَ المُحافظ كتفيه.

– قطعاً لا! برأيي كان هذا العالم المرموق قد أفرط في الشربِ من خمرنا المحلّي الرائع.

عندَ هذهِ النقطة أشارَ إلى الندّل بأن يملؤوا الكؤوسَ من جديد.

كان يجلسُ إلى طاولتِهِ مديرُ مكتب دراسات، لديه رغبة كبيرة بأن يتلقّى طلبيّات من البلديّة وإعاناتٍ ماليّة. فانتهزَ الفرصة ليجتذب انتباه مسؤولي البلديّة نحوه. تدخّل ناهضاً عن كُرسيّه بعضَ الشيء:

– سمعتُ شخصيّاً بأنّه يمكنُ الوصولُ إلى بعض النتائجِ بتركيب فيرومونات. ويقال بأنّه يمكننا أنْ نقول لهم كلمتين: «إنذار» و«اتبعني»... إشاراتٍ أوّلية نوعاً ما. يكفي إعادة تركيب الجُزيئة الشميّة. وذلك نتقنه منذ 1991. إذاً يمكننا تخيّلُ بأنّ مجموعة استطاعت تطوير هذه التقنيّة إلى درجة إضافة كلمات أخرى على هذه المفردات، وحتّى عبارات كاملة.

جدّية الملاحظة أرخت ظلالها على الحضور.

- هل أنت متأكّد؟ ردّ المحافظ.
- قرأت ذلك في مجلة علميّة رصينة.

جولي أيضاً قرأت ذلك، ولكن لم يكن بوسعها ذكرُ مصدرها موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*.

أردف المهندس:

- لإعادة تركيب جُزيئاتِ اللغة الشميّةِ للنمل يكفي استخدامُ آلتين: مطياف الكتلةِ والكروماتوغرافيا. إنّها عملية تحليلٍ وتركيب بسيطة للجُزيئات. بالوسع القول إنّها عملية نسخ عطر. فيرومونات اللغة النمليّة ليست أكثر من عطور. وهذا بمتناولِ أيّ صانعِ عطورٍ مُبتدئ. وبمساعدة حاسوب، تُربَطُ لاحقاً كلّ جُزيئةٍ شميّة إلى كلمةٍ مسموعة والعكس.

- سمعت في الماضي عن فكّ اللغة المرْقُوصَةِ للنحل ولكن لم أسمَعْ عن فكّ لغة النمل الشميّة، أعلنَتْ مدعوّةٌ أخرى.

- يجري الاهتمامُ بالنحل أكثر لأنّ لهُ نفعاً اقتصاديّاً، تُنتجُ العسل، بينما النمل لا ينتجُ شيئاً مفيداً للإنسان، ربّما هذا ما يفسّرُ عدمَ الاكتراثِ بالدراسات التي جرت حول لغته، ردّ المهندس.

- وربّما أيضاً لأنّ الدراسات عن النمل لا تموَّل إلّا من شركات... المبيدات الحشريّة. علّقت جولي.

سادَ صمت حرج سارعَ المحافظ إلى قطعه. ففي المحصلة، لم يأت ضيوفه إلى القصر لأخذِ درسٍ في علم الحشرات. أتوا ليبتهجوا ويرقصوا ويتلذّذوا بأطايب الطعام. صرفَ المُحافظُ الانتباه بالعودةِ إلى الجوانب الفكاهيّة لاقتراح إدمون ويلز.

- ومع ذلك، هل تتخيّلون المشهد: إذا فتحنا سفارة للنمل في باريس؟ إنّي أراه جيّداً: نملة صغيرة بحلّة رسمية ذات ذنب وربطة عنق «الفراشة» تطوفُ بين الضيوفِ بحفلة استقبال رسميّة. سيسألُ الحاجب، «عن وصولِ منْ سأعلن؟» وتُجيبه الحشرة الصغيرة وهي تقدّمُ كرتَ التعريف الضئيل: «سفيرةُ عالمِ النمل!»، فتقولُ سفيرة غواتيمالا: «أوه، اعذريني، أعتقد أنّني دستُ عليكِ منذ قليل». وقد تجيبها النملة: «أعرف، أنا السفيرة *الجديدة* لعالم النمل، الرابعة التي تُداس منذ بداية الوجبة!».

الدعابةُ المُرتجلةُ أضحكَتِ الجميع. كانَ المُحافظ مسروراً لاستئثاره بانتباهِ الحضور من جديد.

ثمّ حين هدأت الضحكات:

– و... لنفترض جدلاً أنّ بوسعنا أن نكلّمه، ما الفائدة من تأسيس سفارة نمليّة؟ سألت زوجة السفير اليابانيّ.

طلبَ المُحافظُ من الحضورِ أن يقتربوا كأنّه يريدُ البوحَ بسرّ.

– لن تصدّقوا ما سأخبركم به. ذاكَ الرجل، البروفيسور إدمون ويلز، كان يزعمُ بأنّ النملَ يُشكّل قوّة أرضيّة اقتصاديّة وسياسيّة، ضمن مستوى أدنى من مستوانا، ولكنّه مهم مع ذلك.

حافظَ المُحافظ على الإثارة التي أحدثها. كأنَّ المعلومة بذاتها كانت من الضخامة بحيث تحتاجُ بعض الوقت لاستيعابها.

– في العام الماضي، اتّصلتْ مجموعةٌ من «مجانين النمل» أولئك، مُنضمَّةً إلى هذا العَالِم، بوزيرِ البحث وحتّى برئيس الجمهوريّة ليطلبوا منهما إقامةَ السفارةِ النمليّة هذه لدى البشر. أوه، انتظروا، الرئيس أرسل لنا نسخةً من الطلب. اذهب أنطوان وأحضرها.

مضَى سكرتير المحافظ ليبحثَ في حافظةِ أوراق ثمّ عادَ مُحضراً له ورقة.

– اسمعوا هذا، سوف أقرأها عليكم، أعلَنَ المُحافظ.

انتظرَ حلولَ الصمت ثمّ ألقى:

«منذ خمسة آلاف عام ونحن نعيش مع الأفكار ذاتها: سبق لليونانيين أن ابتكروا الديمقراطيّة في العصر القديم، ما لدينا من علوم الرياضيات والفلسفة وعلوم المنطق ترجع بتاريخها إلى ثلاثة آلاف عام على الأقلّ. لا شيء جديد يظهر تحت الشمس. لا شيء جديد لأنّ العقول البشريّة هي نفسها لا تزال تفكّر بالطريقة ذاتها. فضلاً عن أنّ هذه العقول لا تُستَغلّ بكاملِ إمكانيّاتها لأنّها ملجومة من رجال السلطة الذين، بما أنّهم خائفون على مراكزهم، يمنعون ظهور مفاهيم جديدة وأفكار جديدة.

هذا ما يفسّر لماذا هناك دوماً الصراعات ذاتها من أجل القضايا ذاتها. هذا ما يفسّر لماذا ثمّة دوماً سوء الفهم ذاته بين الأجيال.

النمل يقدّم لنا طريقة جديدة للرؤية والتفكير في عالمنا. لديه زراعة، تقنيات، خيارات اجتماعيّة غريبة جديرة بأن توسّع آفاقنا. عثر على حلول مبتكرة لمشكلات نعجز نحن عن حلّها. فعلى سبيل المثال، يعيش في مدن يبلغ عدد سكّانها عشرات الملايين من الأفراد دون ضواح خطرة، دون ازدحام سير ودون مشكلات بطالة. فكرة سفارة نمليّة تمثّل وسيلة لخلق جسر رسميّ بين الحضارتين الأرضيتين الأكثر تطوّراً واللتين تجاهلتا بعضهما لزمن طويل أكثر من اللازم.

تبادلنا الازدراء بما يكفي. تصارعنا بما يكفي. آن الأوان للتعاون، بشراً ونملاً، على قدم المساواة».

تبع نهاية الجملة صمت. ثمّ نمَّت عن المُحافظِ ضحكةٌ صغيرة، سرت رويداً رويداً بين المدعوّين وعلَت.

لم تتوقّف قهقهتهم إلّا عند وصول الطبق الرئيسي، يخنة بلحم الحمل مع الزبدة.

– لا بدّ بأنّ السيّد إدمون ويلز هذا كان مختلّاً بعض الشيء! قالت زوجة السفير اليابانيّ.

– مجنون، بالأحرى!

طلبتْ جولي الرسالة. أرادتْ تفحُّصها. تأمّلت فيها مطوّلاً، كأنّها أرادت أنْ تحفظها عن ظهرِ قلب.

لمّا سحبَ المحافظُ المفوّضَ مكسيميليان لينار من كُمّه، كانت ضيوفه قد وصلت إلى التحلية، ودعاه للتحادُثِ بعيداً عن الآذان الفضوليّة. وعندئذ، أبلغه بأنّه ليس بداعي الصداقة بين الشعوب وحدها تكلّفَ جميع أولئك الصناعيّين اليابانيّين عناء القدوم. إنّهم ينتمون إلى مجموعةٍ ماليّة ضخمة، تودُّ بناءَ مجمّع فندقيّ في وسط غابة فونتينبلو. حُدّدَ موقعه وسط الأشجار المئويّة والطبيعة التي لا تزال بكراً، وعلى مقربة من القصر التاريخيّ، وبحسبهم، سوف يجتذب السيّاحَ من شتّى بقاع العالم.

– لكن غابة فونتينبلو أُعلِنَتْ محميّةً طبيعيّة بقرار صادر عن المحافظة، قال المفوّض مندهشاً.

هزّ دوبيرون كتفيه.

- بالطبع ونحن هنا لسنا في كورسيكا أو على الكوت دازور الفرنسيّة حيث مقاولو العقارات يلهبون النار في أراضٍ براح لفرز مناطق محميّة إلى قطع استثمار. ولكن علينا أيضاً أنْ نضعَ الرهانات الاقتصادية نُصبَ أعيننا.

أمام حيرةِ مكسيميليان لينار، وضّحَ بنبرةٍ أرادها مُقنعة:

- أنت تعلم بلا شكّ بأن نسبة البطالة في المنطقة مرتفعة نوعاً ما. ما يؤدي إلى انعدام الأمان. وبالتالي إلى أزمة. فنادقنا تُغلق واحداً بعد آخر. ومنطقتنا تموت. إذا لم نبادر إلى التصرّف سريعاً، سيُخلي شبابنا البلد ولن تكفي الضرائب المحلّية لتأمين احتياجات مدارسنا، واحتياجات الإدارة والشرطة.

تساءلَ المُفوّض لينار إلى أين يريدُ دوبيرون الوصولَ بهذا الخطاب المُقتَضَب الذي يخدمُ مصلحته الشخصيّة.

- ما الذي تنتظره منّي؟

قدّم له المحافظ قطعة حلوى بتوت العلّيق.

- أين وصل تحقيقك بموت مدير الدائرة القانونيّة للمياه والغابات، غاستون بانسون؟

- إنّها قضيّة غريبة. طالبت بالتشريح من قسم الطبّ الشرعيّ، أجاب الشرطيّ وهو يأخذ التحلية.

- قرأت بالتقرير الأوّلي بأنّ الجثّة عُثر عليها على مقربة من هرم إسمنتيّ بارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً، لم يكن مكتشفاً إلى الآن لأنه مخفيّ بشجرٍ عالٍ.

- تماماً. وماذا يعني؟

- يعني! أنّ هناك أناساً لم تحسِب حساباً لمنعِ البناء هذا وسطَ محميّة طبيعيّةٍ مُحصّنة. بنوا بكلّ طمأنينةٍ دون أنْ يحتجَّ أحد، ما يشكّل دون شكّ سابقة مهمّة بالنسبة لأصدقائنا المستثمرين اليابانيّين. ما الذي علمته بخصوص الهرم؟

- ليس الكثير، غير أنّ لا وجود له في السجلّ العقاري.

- يجب بمطلقِ الأحوال معرفة المزيد عن ذلك، أصرّ المُحافظ. لا

شيء يمنعكَ من التحقيق في وقتٍ واحد حول موت بانسون وبناء هذا الهرمِ الغامض. أنا على يقين أنّ للقضيتين صلة ببعضهما.

كانت النبرةُ آمرة. قطع الحديث مرؤوس يريد مساعدةَ المُحافظ لتأمين مكانٍ في روضة أطفال.

بعد التحلية استأنف الحضور الرقص.

أصبحَ الوقتُ متأخّراً. قبلت أم جولي المغادرة. حين رآها المُفوّض لينار تبتعد، اقترحَ أنْ يوصلهما.

يعيدُ لهم نادل معاطفهم. مرّر له لينار قطعة معدنيّة. كانوا على درج المدخل، منتظرين بأن يحضرَ راكنُ السيّارات سيارة المفوّض البرْلينيّة، لمّا همسَ له دوبيرون في أُذنه:

- إنّي مهتمّ حقّاً بالهرم الغامض. هل تفهمني؟

28. درس في الرياضيّات

- أجل، سيدتي.

- فإذا فهمت، أعيدي السؤال.

- كيف يمكن تشكيل أربعة مثلّثات متساوية الأضلاع لها الحجم ذاته بستّة أعواد ثقاب.

- جيّد. اقتربي من المنصّة لتعطينا الجواب.

نهضت جولي عن مقعدها وسارت إلى اللوح الأسود. لم يكن لديها أدنى فكرة عن الجواب الذي طلبتهُ معلّمة الرياضيّات. وكانت السيّدةُ مهيمنة عليها من ارتفاعها.

ألقت جولي نظرةً حائرة حولها. رمقها الصفُّ بسخرية. جميع التلامذة الآخرين كانوا يعرفون دون أدنى شكّ ذاك الحلّ الغائب عن بالها.

نظرت إلى الصفّ بكامله، متأمّلة أنْ يُسارع أحدٌ إلى نجدتها.

كانت الوجوهُ تتراوَحُ بين عدم المبالاة المُستمتعة والشفقة والارتياح بأنّهم ليسوا في مكانها.

في الصفّ الأول كان يتصدَّرُ أبناء الأثرياء، مجتهدون ولا تشوبهم شائبة.

في الصفّ الذي يليه، كان هناك الذين يحسدونهم والمستعدّون منذ الآن لإطاعتهم. فيما بعد يأتي المتوسّطون ومن «بوسعهم تقديم الأفضل»، المُعْوِزين الذين يبذلون جهوداً كبيرة مقابل نتائج متواضعة. أخيراً في نهاية الصفّ، الهامشيّون المُستريحونَ إلى جوارِ مِشعاع التدفئة.

بين هؤلاء يوجد الـ «الأقزام السبعة»، يحملون اسم فرقة الروك التي شكّلوها. ونادراً ما كانوا يختلطون مع بقيّة تلامذة الصفّ.

- حسناً، أين الجواب؟ طالبت المعلمة به.

واحد من الأقزام السبعة أخذ يشير لها. يكرّر ضمّ أصابعه، كأنّه يُجسّدُ شكلاً لم تكن تتبين ما يعني.

- هيا، آنسة بانسون، أتفهّم أنْ تكوني متأثرةً بموتِ أبيك لكن ذلك لا يغيّر شيئاً بقوانين الرياضيّات التي تحكُمُ العالم. أكرّر: ستّة أعواد ثقاب يشكّلون أربعة مثلّثات متساوية الأضلاع الحجم ذاته، إذاً... في أيّة وضعيّة؟ حاولي أنْ تُفكّري بطريقةٍ مُختلفة. أطلقي العنانَ لمُخيلتك. ستّة أعواد ثقاب، أربعة مثلّثات، شريطة أن توضع على شكل...

كانت جولي تزمُّ عينيها الرماديتين الفاتحتين. ما هو هذا الشكل هناك؟ في تلك الأثناء، كان الصبيّ يهجّئ كلمة بعناية، فاصلاً جيّداً بين مقاطعها. بذلت جهدها لتقرأ على شفتيه. ها... را... ن...

- هرن، قالت.

انفجرَ الصفّ بكامله ضاحكاً. وظهرت على ملامح حليفها سمات اليأس.

- لقّنوكِ خطأً، أعلنت المعلّمة. ليس «هرن». ه-ر-م. هذا الشكلُ يُجسّدُ البعدَ الثالث، يعني غزو العمق، يُذكّرُ بإمكانيّةِ فتحِ العالم من أجل المرور من سطح مستوٍ إلى مُجسّم. أليسَ كذلك... دافيد؟

بخطوتين واسعتين، أصبحت في نهايةِ الصفّ بالقربِ من المذكور.

- دافيد، تعلّم أنّه يمكننا أنْ نغشّ في الحياة، ولكن شريطة ألّا نُكشَف. رأيتُ جيّداً ألاعيبك. عودي إلى مكانك، آنسة.

دوّنت على اللوح: الزمن.

– اليوم، درسنا البعد الثالث. المجسّم. غداً، سيكون موضوع درسنا البعد الرابع: الزمن. لمفهوم الزمن مكانه أيضاً في الرياضيّات. أين، متى، كيف، ما حدث في الماضي يفعل فعله في المستقبل. سيكون بوسعي غداً أن أطرح عليكم السؤال التالي: «لماذا جولي بانسون أخذت صفر، بأيّة ظروف ومتى ستحصل على صفر جديد؟».

بضعُ ضحكاتٍ ساخرةٍ مُتملّقة انطلقَتْ من الصفوفِ الأولى. انتصبَتْ جولي واقفة.

– اجلسي، جولي. لم أطلب منكِ الوقوف.

– لا، أصرّ على الوقوف. لديّ شيء أقوله لك.

– بما يخصّ الصفر؟ قالت المعلمة هازئة. لقد فات الأوان. صفرك قد سُجّل على دفتر درجاتك.

كانت جولي تحدّج معلّمة الرياضيّات بعينيها الرماديتين المعدنيّتين.

– قلتِ إنّ من المهم التفكير بطريقةٍ مُختلفة، ولكن أنت، تُفكّرين دائماً بالطريقة ذاتها.

– أرجو أن تلتزمي حدودَ التهذيب، آنسة بانسون.

– أنا ملتزمة حدودَ التهذيب. إلّا أنّكِ تُدرّسين مادةً لا تتطابقُ مع شيء عملي في الحياة. تبحثينَ عن تحطيم عقولنا فقط لتجعليها طيّعة. إذا حشونا رؤوسنا بقصصك عن الدوائر والمثلّثات سنغدو، لاحقاً، على استعداد لتقبّل أيّ شيء.

– تبحثينَ عن صفرٍ آخر، آنسة بانسون؟

هزّت كتفيها جولي، أخذت حقيبتها، وسارت إلى الباب الذي صفقته أمام ذهول الجميع.

29. موسوعة

حِدادُ الطفل: في عمرِ الثمانية أشهر، يعيش الطفل قلَقاً خاصّاً يُسمّيه أطباء الأطفال «حداد الطفل». ففي كلّ مرّة تذهب أمّه، يظنّ بأنّها لن تعودَ أبداً. هذا الخوف يستثير فيه أحياناً نوبات من الدموع ويستنفر أعراض القلق.

وحتّى إنْ عادت أمّه، سيعَاودهُ القلق مُجدّداً لمّا ستذهبُ ثانيةً. يفهم الطفل في هذا العمر بأنّ ثمّة أشياء تحدث في هذا العالم لا سيطرة له عليها. ويُفسَّرُ «حداد الطفل» بالوعي باستقلاليّته عن العالم. المأساة: *«الأنا»* مختلفة عن كلّ ما يحيطُ بها. الطفل وأمّه غير مرتبطَين بأواصر نهائيّة، وإذاً يمكن أن يجد أحدنا نفسه وحيداً، ويمكننا أن نتّصل مع «غرباء هم ليسوا ماما» (يُعَدُّ غريباً كلّ ما هو ليس ماما، وإذا كان لا بدّ، فبابا).

سينبغي انتظارُ الطفل أن يبلغَ ثمانيةَ عشر شهراً ليقبل الغيابَ المؤقّت لأمه.

معظم مشاعر القلق الأخرى التي سيعيشها الإنسان لاحقاً، وصولاً إلى شيخوخته: الخوفُ من الوحدة، الخوفُ من فقدان شخص عزيز، الخوف من الغرباء...إلخ، ستنجمُ عن هذه الفاجعةِ الأولى.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

30. بانوراميّ

الجوّ بارد، غير أنّ الخوف من المجهول يمدّهنَّ بالقوّة. في الصباح تبدأ المستكشفات الاثنتا عشرة والنملة العجوز سيرهنَّ. يجبُ حثّ الخُطَا عبر المساراتِ والدرُوبِ الضيّقةِ لتحذير مدينتهنّ الأم من تهديد «اليافطة البيضاء».

يصلن إلى جرف ناتئ يرتفع فوق واد. يقفن لتأمّلِ المشهد الطبيعيّ والبحث عن الدربِ الأنسب للنزول.

لدى النمال إدراك بصريّ يختلف عن إدراك الثديّيات. كلّ مقلة عين لديهنّ مكوّنةٌ من تجمُّعِ قنوات، وتتألّف هذه القنوات بدورها من عدّة عدسات بصريّة. وبالتالي بدلَ أنْ يحصُلْنَ على صورة ثابتةٍ وواضحة، يستقبلن عدّة صورٍ مُبهمة، بفضل كثرتها، يصلْنَ أخيراً إلى رؤية واضحة. فهنَّ لا يرينَ التفاصيل جيّداً غير أنّهنّ يلتقِطنَ أدنى حركة بدقّة أكبر.

من اليسار إلى اليمين، تظهرُ للمُستكشفات الأراضي الرَّخاخُ لبلاد الجنوب حيث يحوم الذباب فوقها، الأسمر الذهبي وذباب الخيل المزعج، ثمّ الصخور الشاهقة ذات اللون الأخضر الزمرديّ لجبل الزهور، يليها المرجُ الأصفر لأراضي الشمال، ثمّ الغابة السوداء المسكونةُ بالسرخس النسريّ وعصافير الشرشورِ الطائشة. يدفعُ الهواء الساخن البعوض ليرتفع من جديد فتُطاردهُ على الفور العصافير المُغرّدة ذاتُ الانعكاسات الزرقاء المُخضرّة.

حساسيّة النمل خاصّة أيضاً بما يتعلّق بألوان الطيف. فهنّ يميزن بدقة ألوان ما فوق البنفسجي وعلى نحوٍ أقل تدرّجات الأحمر. المعلومات ما فوق البنفسجيّة تُبرزُ الزهورَ والحشرات وسطَ الخضرة. بوسعِ النمال أن ترى على الزهورِ حتى الخطوط التي تُشكّل مساراتِ الهبوط المُتعدّدة للنحل الجاني.

تأتي الروائحُ بعد الصور. تهزُّ المُستكشفاتُ قرونهنّ - الرادارات الشميّة - بسرعة 8000 ذبذبة في الثانية ليشتممن على نحو أفضل آثار روائح الجوار. لمّا يدوّرنَ سيقانهن الجبهيّة يكتشفنَ الطرائد البعيدة والمفترسين القريبين. يشتممن روائح الأشجار والأرض. الأرض لديها بالنسبة لهنّ رائحة ثقيلة جداً ومفرطةَ العذوبة. لا صلة لها بطعمها اللاذع والمالح.

تنتصِبُ الرقم 10، التي لديها أطول قرنين استشعاريّين، على أرجلها الخلفيّة الأربعة لكي تلتقط، وهي مرتفعةٌ على هذا النحو، الفيرومونات بشكلٍ أدق. وحولها، تتمعّنُ صاحِباتها بقرونهنّ الأقصر الديكورَ الشمّي الرائع الممتدّ أمامهن.

ترغبُ النمال بأن يسلكن الدرب الأقصر للوصول إلى بيل-أو-كان، عبر اجتياز أيْك الجُرَيْس الفوّاحة التي تصل رائحتها إلى هنا وتحلّق فوقها سحابات من فراشات الأدميرال الأحمر ذات الأجنحة المرصّعة بعيون مذهولة. ولكن الرقم 16، المختصّة بوضع الخرائط الكيميائيّة، تعلنُ بأنّ هذه المنطقة موبوءة بالعناكب القفّازة والأفاعي ذات الأنف الطويل. إضافة إلى أولئك، ثمّة حشود من النمال آكلة اللحوم المهاجرة يعبرنَ المكان الآن، وحتّى لو حاولت الفرقة المرورَ من الأعلى، عبر غصون الأشجار، فلسوف تُلتقَطُ من النمال المستَرِقّات اللائي أجبرتهنّ النمال القزمات على

الانسحاب إلى الشمال. تعتبر الرقم 5 بأنّ نزولَ الجرفِ من الجهة اليمنى، لا يزال أسلمَ الدروب.

تُصغي الرقم 103683 بانتباه إلى أخبارِ المُستكشفات. فأحداث سياسيّة كثيرة جرَتْ منذ مغادرتها الفيدراليّة. تسألُ عن هيئة ملكة بيل-أو-كان الجديدة. تُجيبها الرقم 5 بأن لها بطناً صغيراً. وهي تطالبُ، مثل جميع ملكات المدينة، بأن يُطلق عليها اسم بيلو-كيو-كيوني إلّا أنها لا تتمتّعُ بمهابة الملكات السابقات. بعد مآسي السنة الماضية، عانى عشّ النمال من نقص الجنْسِيّين. ولتأمين نجاةِ الملكة المُخصّبة، حصل الجماعُ في قاعةٍ مُغلقة دون طيران.

تلاحظُ الرقم 103683 بأنّ الرقم 5 لا تُكِنّ الكثيرَ من التقدير لهذه البيّاضة ولكن، في المحصّلة، فإنّ أيّاً من النمال غير مُضطرّة للإعجاب بملكتها، حتى لو كانت أمّها.

بمساعدةِ وسائد أخامصهنّ اللاصقة، تهبطُ الجُنديّات الجُرفَ بشكلٍ عموديّ تقريباً.

31. مكسيميليان يحتفل بعيد ميلاده

كان المُفوّض مكسيميليان لينار رجلاً سعيداً. لديه زوجة لطيفة تُدعى سينتيا وابنة مُحببة بعمر الثالثة عشرة، مارغريت. يقطن فيلا جميلة ويستمتع بشيئين، ينمّان عن ترف، حوض سمك كبير وموقدة عريضة وعالية. بعمر الرابعةِ والأربعين، كان يبدو له أنّه نجح بكلّ شيء. تلميذ جيّد، يزخَرُ بشهادات كثيرة، ومسيرته المهنيّة مصدر فخر له. لكثرة القضايا التي حلّها طُلب أستاذاً في مدرسة فونتينبلو للشرطة. رؤساؤهُ يثقونَ به فلا يتدخّلونَ في تحقيقاته. ومنذ مدّة وجيزة، بدأت السياسة تستحوذُ على اهتمامِه. كان ينتمي إلى الدائرةِ المُقرّبة من المُحافظ، وكان يستمتعُ أيضاً بشراكتِهِ في لُعبةِ التنس. عند عودته إلى المنزل ألقى بقبعته إلى علّاقة الثياب وخلعَ سُترته.

كانت ابنتُهُ تُشاهدُ التلفزيون في الصالون. تُقدّمُ وجهها اللطيف تدريجيّاً نحوَ الشاشة، وضفائرها الشقراء مُسترسلةً إلى الخلف. وكما يحصل في تلك

اللحظة مع نحو ثلاثة مليارات أخرى من البشر، كان الضوء الأزرق المُتحرّك يرتسم على وجهها المشدود بأكمله إلى الصور. بيدها جهاز التحكّم، وتتنقّلُ باحِثةً عن البرنامج المثاليّ الصّعبِ المنال.

قناة 67. وثائقي. جذَبَت انتباهَ علماءِ الحيوان الاستعراضاتُ الجنسيّة المعقّدة لدى شمبانزي البونوبو في زائير. تتصارع الذكور مُستخدمةً أعضاءها وهي في حالة الانتصاب كسيوف. ولكن، خارج هذه الاستعراضات، لا تتشاحنُ قرودُ البونوبو أبداً. والأدهى: وصول هذا الصنف على ما يبدو إلى ابتكار اللاعنف عن طريق الجنس.

قناة 46. اجتماعي. إضراب موظفي خدمات نظافة الطرق. لن يعود عمّالُ النظافة إلى استئنافِ رفع القمامة حتّى تتحقّقَ مطالبهم. يطالبون برفع رواتبهم ورواتب التقاعد.

قناة 45. فيلم إيروتيكي. «أجل. آهآهاااآ، آآه، أوأوأوهاآه، آآه، أوأوأوه، أوه، لا! أوه، أجل! أجل! استمر، استمر... أوهآهآه... لا، لا، لا، طيب أقبل، بلى، أجل».

قناة 110. أخبار. آخر دقيقة. مذبحةٌ في روضَةِ أطفالٍ كانت تركنُ أمامها سيّارة مُفخّخة. الحصيلةُ إلى الآن تسعة عشر قتيلاً وسبعة جرحى من الأطفال، وقتيلان من هيئة التدريس. وقد أُضيفَتْ إلى العبوات المُتفجرة مسامير وعزقات لتُحدثَ أكبرَ ضررٍ مُمكنٍ في باحة الفرصة. تبنّى الاعتداء عبر رسالة موجّهة إلى الصحافة مجموعة تطلق على نفسها «إ.ك.»، «إسلام كوني». ويوضّحُ النص بأنّ مُجاهديها على يقين بأنّهم، بقتلهم أكبر عدد من الكافرين، سيذهبون إلى الجنّة. يطلبُ وزيرُ الداخليّة من أهالي المدينةِ المُحافظة على هدوئهم.

قناة 345. ترفيه. برنامج «دعابة اليوم». ها هي قصّتنا الصغيرة المسلّية اليوميّة التي بوسعكم أن تقصّوها لاحقاً لتخلقوا جوّاً من المرح مع أصدقائكم: أحدُ رجال العلمِ يدرسُ طيرانَ الذباب. ينزع رِجْلاً من الذبابة ويقول لها: «طيري». فيكتشِفُ بأنّ الذبابة لا تزال تطير حتّى بدون هذه الرجل. ينزع رجلين ويقول: «طيري». وهذه المرة أيضاً، تطير الذبابة. ينزع

جناحاً ويكرّر: «طيري». فيلاحظُ بأنّ الذبابة ما عادت تطير. وبالتالي، يدوّن في دفتر ملاحظاته: «حين ننزع جناحاً للذبابة تغدو صمَّاء».

سجّلت مارغريت القصّة في ذهنها. ولكن بما أنّ الجميع لا بدّ قد سمعها في اللحظة ذاتها، عرفت مارغريت بأنّها لن تستطيع إدراجها في أحاديثها.

قناة 201. موسيقى. كليب جديد للمغنية ألكسندرين: «... العالم حبّ، حب دائماً، حووووب، أحبك، كلّ شيء ليس إلّا...»

قناة 622. مُسَابقات. اقتربت مارغريت وأخفضت جهاز التحكّم. يستهويها برنامج المسابقات التلفزيونيّ هذا، «فخّ للتفكير» حيث ينبغي فيه حلّ لغز بالاستناد إلى المنطق المحض. كانت تعتبر بأنّ هذا البرنامج ربّما هو الأكثر احتراماً بين برامج التلفزيون. حيّا المقدّم الجمهور الذي كان يهلّلُ له وتراجع أمام امرأة تميل إلى البدانة، متقدّمة في العمر ومحشورة في فستان ضيّق من النايلون مزهّر. كانت تبدو تائهة خلف نظّارات سميكة ذات إطار صدفيّ.

افترّ المقدّم عن أسنان ذات بياض مبهر.

أخذ الميكرو:

– حسناً، سيّدة راميريز، سأتلو عليك لغزك الجديد: مع المحافظة على ستّة أعواد ثقاب، هل ستمكنين من تشكيل ليس أربعة مثلّثات متساوية الأضلاع وبذات الحجم، ولا ستّة، وإنما **ثمانية**؟

– يبدو لي أننا نصل في كلّ مرّة إلى بعد إضافي، قالت جولييت راميريز متنهدةً. في البداية تطلّبَ اللغز اكتشاف البعد الثالث، ثمّ تطابق المُكمّلات والآن...

– الخطوة الثالثة، تدخّل المقدّم. عليك أن تجدي الخطوة الثالثة. ولكن نحن نثق بك، سيدة راميريز. أنت بطلة أبطال برنامج «فخّ للـ...»

– «...تفكير»، أكمل الجمهور بانسجامٍ تام.

طلبت السيّدة راميريز إحضار أعواد الثقاب الستّة التي يدور الموضوع حولها. أحضروا لها على الفور ستّ قطع خشبيّة رفيعة وطويلة جدّاً ومعمّمة بالأحمر لئلا يضيّع الجمهور والمشاهدين أدنى تفصيل لحركاتها كما كان سيحدث مع أعواد ثقاب سويديّة عادية.

طالبت بجملة مساعدة. ففضّ المُقدّم ظرفاً وقرأه:

- الجملة الأولى التي ستساعدك هي: «ينبغي على المرء توسيعُ مجال وعيه».

لم يكن المفوّض مكسيميليان لينار يُصغي بانتباهٍ كبيرٍ لمّا جمد بصرهُ على حوضِ سمكة. أسماك ميّتة كانت تطفو على سطح الماء، بطنها للهواء.

أسماكه، هل كان يُطعمها أكثر ممّا ينبغي؟ أو قد تكون قضت في صراع أهليّ. الأقوياء يبيدونَ الضعفاء. السريعون يبيدون البطيئين. في العالمِ المُغلق للقفص الزجاجيّ كانت تسودُ داروينيّة خاصّة: النجاة حصراً من نصيب الأسوأ والأعنف.

انتهزَ فرصة أنّ يدهُ غاصت في الماءِ ليُعدّلَ، في عمق الحوض، قاربَ القراصنةِ الجبسي وبعض النباتات البحريّة البلاستيكيّة. فبعد كلّ اعتبار، ربّما كانت الأسماك تعتبر ديكور الأوبريت هذا حقيقيّاً.

لاحظَ الشرطيُّ بأنّ مضخّةَ الفلتر لم تكن تعمل. نظّفَ بأصابعه الإسفنجاتِ المسدودة بالروث. «كم تُخلّف خمس وعشرون سمكةَ غوبي من الفضلات!»، وبالمرّة، أضافَ ماءً من الصنبور.

وزّع بعض الطعام للنّاجيات، وتأكّد من حرارة الحوض وحيّا قاطنيه.

الأسماك في الحوض، لم تكن تكترثُ على الإطلاقِ بجهود سيّدها. لم تكن تفهَمُ لماذا انتشلت أصابعٌ جثثَ أسماك الغوبي التي وضعتها جيّداً في مكان مُحدّد لتتخمّر بالطريقة المُثلى فيطرَى لحمها وتصبح سهلةَ التقطيع. لم يكن يحقُّ لها حتّى أكل روث بعضها بعضاً بما أنّ المضخّة تشفطهُ على الفور. الأسماك الأذكى بين قاطني الحوض كانت تفكّر منذ زمن طويل في معنى حياتها دون أن تفهم لماذا كان بمعجزة يظهرُ الطعام يوميّاً على سطح التموّجات، ولا لماذا كان ذاكَ الطعام خامداً على الدوام.

يدان طريّتان حطّتا على عيني مكسيميليان.

- كل سنة وأنت بخير بابا!

- لقد نسيتُ تماماً بأنّ عيد ميلادي اليوم، قال وهو يقبّل الزوجة والابنة.

- نحن لم ننسَ! أعددنا لك شيئاً سيعجبك، أعلنت مارغريت.

أظهرت حلوى بالشوكولا والجوز تغطيها غابة من الشموع المتوقّدة.

- بحثنا في كل الأدراج فلم نجد سوى اثنتين وأربعين، لفتت انتباهه.

بنفخة، أطفأ جميع الشموع واقتطع قطعة من الحلوى لنفسه.

- واشترينا لك هدية أيضاً!

قدّمت له زوجته علبة. ابتلع لقمة أخيرة بالشوكولا، مزّق كرتون العلبة الذي تكشّف عن حاسوب محمول من أحدث طراز.

- يا لهذه الفكرة الرائعة! قالَ مُندهشاً.

- اخترتُ طرازاً خفيفَ الوزن، سريعاً ومُزوّداً بذاكرةٍ واسِعةٍ جدّاً، وضّحَت زوجته. أظنّ بأنّك ستستمتِعُ باستخدامِه.

- طبعاً. شكراً حبيبَتِيَّ.

حتى تلك اللحظة، كان مُكتفياً بحاسوب مكتبه الضخم الذي كان يستخدمه كآلة معالجة نصوص وآلة مُحاسبة. مع هذا المحمول الصغير في البيت، سيستطيع أخيراً اكتشاف جميع إمكانيات المعلوماتيّة. زوجته بارعة بانتقاء الهديّة المثاليّة.

قالت ابنته، بأنّها هي أيضاً، لديها هديّة. لقد أرفقتِ الحاسوبَ ببرنامج لعبة يحمل اسم *ارتقاء*. تقول عبارته الإعلانيّة: «أعد خلق حضارة من جديد بشكل اصطناعي وافهم عالمك كما لو كنت إلهه».

- «من طول الوقت الذي تمضيه بالاعتناء بحوض أسماك الغوبي»، أعلنت مارغريت، «خطرَ لي بأنّه سيمتعكَ أن يكون لديك عالم افتراضي كامل تحتَ تصرّفك، مع ناسه ومدنه وحروبه، كلّ هذا!».

- «أوه، أنا، الألعاب بالنسبة لي...»، قال وهو يقبّل مع ذلك الواهبة لئلا يُخيب أملها.

أدخلَتْ مارغريت القرصَ C.D.Rom وبذلت جهداً كبيراً لتشرحَ لهُ قواعد الابتكار الأخير لمُنتَج المعلوماتيّة ذاك، والذي يحظى برواجٍ كبير. كان القرص يُقلعُ مظهراً سهلاً واسعاً ومهمّةُ اللاعبِ أن يجعل، سنةَ 5000 قبل الميلاد، قبيلته تستقرّ فيه. ثمّ عليه لاحقاً أن يُنشِئَ قرية، وأن يحصّنها بسياج ثم يوسّع أرضَ صيده، ثمّ أن يشيّد قرى أخرى، ويتحكّم بالحروب مع

القبائلِ المجاورة، وأن يطوّر البحوثَ العلميّة والفنيّة، ويشقّ طرقاً، ويرسم حقولاً، ثمّ يُنشئُ زراعة، ويحوّلَ القرى إلى مدن من أجل أن تتخذ القبيلة شكل وطن، وتبقى حيّةً وترتقي بأسرع ما يُمكن.

– بدلَ من أن تتسلّى مع خمسٍ وعشرين سمكة، سيكون تحتَ تصرّفك مئات الآلافِ من الناس الافتراضيّين. أيروقُ لكَ ذلك؟

– «بالطبع»، قال الشرطيّ، ما زال غير مقتنعٍ لكنّه مهتم ألّا يخذل ابنته.

32. موسوعة

التواصل عند الأطفال: في القرن الثالث عشر أرادَ الملك فريدريك الثاني القيام بتجربة لمعرفة ما هي اللغة «الطبيعيّة» للكائن البشري. وضع ستّة رضّع في حاضنة وأمر المُرضِعات بأن يطعموهم، ينيموهم، يحمّموهم، ولكنه شدّدَ على الأخصّ... ألّا يكلّموهم البتّة. كان يأمل فريدريك الثاني أن يكتشف ما هي اللغة التي سيختارها أولئك الرضّع «دون تأثيرٍ خارجيّ» بشكل طبيعيّ. كان يعتقد أنّ اللغة ستكون اليونانيّة أو اللاتينيّة، اللغتان الوحيدتان الأصليّتان والنقيّتان بنظره. ولكن، التجربة لم تعط النتيجةَ المرجوّة. لم يقتصر الأمر على أنّ أيّاً من الأطفال لم ينطق بأيّة لغة وإنّما أخذ الأطفال الستّة يهزلون جميعاً حتّى ماتوا في النهاية. الأطفال بحاجة للتواصل لينجوا من الموت. الحليب والنوم لا يكفيان. التواصل هو أيضاً شرط لا غنى عنه للحياة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

33. قمل القلف[1]، التِّربْس[2] وخنافس البثور[3]

للجرفِ عالمهُ النباتيّ والحيواني الخاصّ. وهنَّ ينحدرنَ من أعلى الصخرةِ

1- حشرات بدائيّة صغيرة الحجم تتغذى على الطحالب.

2- الاسم الشائع للحشرات المنتمية إلى رتبة «هدبيّات الأجنحة، Thysanoptera».

3- الاسم الشائع لأنواع من خنافس فصيلة Meloidae، تُدافع عن نفسها بإطلاق مادة لزجة منفرة الرائحة.

العموديّة، تكتشف الاثنتا عشرة مستكشفةً شابّة والمُحاربة العجوز ديكوراً مجهولاً. تتنوّعُ فيه الزهورُ المعلّقة على الجدارِ بين القرنفل الوردي المحمول على كؤوسٍ أسطوانيّة تميل إلى الحمرة، ونباتات السُّدم اللاذعة ذات الأوراق السميكة والرائحة الفُلفليّة، وأزهار كفّ الذئب ذات البتلات الطويلة الزرقاء، والسُّدم الأبيض بأوراقه المدوّرة الملساء مناكفاً الزهور الصغيرة البيضاء، إضافة إلى خرشوف الجدار الشوكي ذي البتلات المسنّنة والأوراقِ المكدّسة.

تهبِطُ النملات الثلاث عشرة بسرعةٍ الصخرة الرمليّة هذه متشبّثات بالوسائد اللاصقة لمخالبهنّ.

عندَ مُنعطفِ صخرةٍ كبيرة، تصادفُ الفرقة النمليّة فجأة قطيعاً من قمل القلف. تنتمي هذه الحشرات الصغيرة إلى نوع من قمل الصخور، لديها عيون مركّبة مفرطة البروز، وفم طاحن وقرون استشعاريّة لفرط رهافتها يُشكَّكُ للوهلة الأولى بوجودها.

لم تلحظ قملاتُ القلف، المُنهمكة في لعق الأشن الصفراء الناميةِ على الصخرة، اقتراب النمال. إذ يندرُ مُصادفة نمل مُتسلّق جبال في الجوار. حتّى اللحظة كانت قملات القلف تعتقدُ بأنَّ عالمها العموديّ يوفّر لها شيئاً من راحةِ البال؛ ولكن إذا شرعت النمال بتسلّق الجروف وهبوطها، فيا للورطَةِ التي ما مِنها خلَاص!

دون إيضاحٍ أسْلَمت سيقانها للريح.

رغم تقدّمها بالسنّ، تنجح الرقم 103683 بأن تصيبَ في كلّ مرّة، ببضعِ رمياتٍ بديعة من حمض النمليك، قملات القلف أثناء جريها. تهنّئها رفيقاتها على ذلك. لا يزال شرجها دقيق التصويبِ بالنسبة لعمرها.

تأكل الفرقة قملات القلف وتكتشف بدهشة أنّ طعمها قريب إلى طعم ذكور البعوض. يتراوح طعمها، على وجه الدقّة، بين ذكر البعوض واليعسوب الأخضر، لكن دون الروائح المنتوليّة التقليديّة لهذا الأخير.

تستديرُ النمال الثلاث عشرة الصهباء حول أزهار أخرى: كسّارات الصخور البيضاء، والأكاليل بشتّى الألوان وزهور كسّارة الصخر الدائمة الخضرة ذات البتلات الصافية المُفرطةِ الصغر.

إلى مسافة أبعد قليلاً، ينْهَبنَ تجمّعاً لحشرات التّرِبْس إلّا أنّ الرقم 103683 لم تتعرّف عليها. فلطول ما عاشت بين **الأصابع** نسيت الكثير من الأصناف. وينبغي الإقرارُ أيضاً بأنّ الأصنافَ كثيرة. التّرِبْس، حشرات عاشبة صغيرة ذات أجنحة مهدّبة، تُطقطقُ بطريقة جافّة تحت الشفاه. تقرمشُ وتترك بعد ابتلاعها طعماً حامضاً لا تستسيغه الحُليمات الذوقيّة للبيلوكانيّات.

تقتلُ المُستكشِفات فراشاً حجّالاً أيضاً، وناريات أرجوانية والتي هي فراشات لا تتّصفُ بالجمال لكنّها بدينة، وسيركوبات دموية، رعّاشات كسولة ويعاسيب صغيرة ذات حركات أنيقة: جميعها أصناف مسالمة ولا نفع لها سوى قابليتها للأكل عند النمال الصَّهْباوات.

يقتلنَ خنافس البثور، حشرات بدينة دمها وأعضائها التناسليّة غنيّة بمادة «كانثاريدين[1]»، مادّة مهيّجة، حتّى بالنسبة للنمل.

على الجدار، تردّ الريح قرونهنّ إلى الخلف مثل غُرَر عصيّة. تُطلِقُ الرقم 14 على دعسوقة فقّست حديثاً برتقاليّة اللون مرقّشة بنقطتين سوداوين. تنزفُ الدابّةُ دماً أصفرَ كريهَ الرائحة من جميع مفاصل أرجلها.

تنحني الرقم 103683 لتتفحّصها على نحوٍ أفضل. إنّها خدعة. صغيرُ الدعسوقة يدّعي الموتَ فرشقَة الحمضِ تردّدت على درعِهِ نصفِ الكرويّ دون أنْ تجرحه. النملة العجوز وحدها تُدركُ هذه الحيلة. بعضُ الحشراتِ تفرز سائلاً، يستحسنُ أن يكون كريه الرائحة، أوّل ما ينتابها شعور بالخطر لتُبعِدَ مفترسيها. تارةً يتدفّقُ السائل من جميع المسامات، وتارة أخرى تنتفخ حُويصلات على مستوى المفاصل ثمّ تنفجر. في الحالين، هذا يُفقدُ المفترسين الجائعين أيّةَ شهيّة كانت لديهم.

تقتربُ الرقم 103683 من الدابة النازفة. تعرف أنّ هذا النزف الإراديّ سيتوقّف تلقائيّاً ولكن، مع ذلك، يؤثّرُ بها. فتُعلنُ للمستكشفات الاثنتي عشرة اليافعات بأنّ هذه الحشرة غير صالحة للأكل، فيستأنفُ صغيرُ الدعسوقةِ طريقه. ولكنّ البيلوكانيّات لا يهبطن ويقتلن ويأكلن فحسب.

1- استخدمت المادّة قديماً في علاج البثور.

إنهنَّ يبحثن عن الدرب الأنسب. يمضينَ قُدماً بين الحواف والمنحدرات الصخريّة الملساء. يجبرن أحياناً على التعلّق، والتشبّث بالمخالب والفكوك لتجاوزِ ممرّات ضيقة شاهقة. يصنعنَ من أجسادهنّ سلالم وجسوراً. الثقة ضروريّة؛ فمجرّد ألّا تمسكَ واحدة من النّمال الثلاث عشرة جيّداً حتّى ينهار جسرهن الحيّ بكامله.

خسرت الرقم 103683 عادة بذل كلّ هذا القدْرِ من الجهد. هنالك فيما وراء حافّة العالم، في العالمِ المُصطَنع **للأصابع**، كلّ شيءٍ في متناول الفكّ.

لو لم تهرب من عالمهم لغدتْ رخوةً وكسولةً مثل **إصبع**. إذ رأت ذلك في التلفزيون، **الأصابعُ** من أنصار الحدّ الأدنى من الجهد. ما عادوا يُجيدونَ بناءَ أعشاشهم بأنفسهم. ما عادوا يُجيدونَ الصيدَ ليأكلوا. فقدوا حتّى مهارة الركض فراراً من مفترسيهم. بالمناسبة، لم يعد لديهم مفترسُون.

كما تصِفُ جيّداً مقولة نمليّة: *الوظيفةُ تصنَعُ العضو، لكنّ غيابها يُلغيه*.

تتذكّر الرقم 103683 حياتها هناك، ما وراء العالم الطبيعيّ.

كيف كانت تقضي أيّامها؟

كانت تأكل طعاماً ميتاً يسقط من السماء، تشاهد التلفزيون المُصغّر وتتحادث عبر هاتف **الأصابع** (الخاص بآلة ترجمة فيروموناتها إلى كلمات سمعيّة). «أكل، اتّصالات هاتفيّة، مشاهدة التلفزيون»: الانشغالات الثلاثة الأساسيّة **للأصابع**.

لم تُفصح بكلّ شيء بعد للنملات الصغيرات. لم تخبرهنّ بأنّ أولئكَ **الأصابع** المُتّصلين بها وإنْ كانوا كثيري الكلام فلا يعني هذا بأنّهم فعّالون. فهم لم يفلحوا حتّى بإقناع **الأصابع** الآخرين بوضع حضارة النمل بعين الاعتبار والتحاور معها على قدم المساواة.

لأنّهم فشلوا أصرّت الرقم 103683 الآن بأن تنجحَ في المشروع في الاتّجاه المعاكس: إقناعُ النمل بإقامةِ حلفٍ مع **الأصابع**. على أيّة حال هي على يقين بأنّ ذلك في مصلَحةِ الحضارتين الأرضيّتين العظيمتين. العمل من خلال جمعِ مواهبهم لا تَضادِّها.

تتذكّرُ فرارها. لم يكن الأمر سهلاً. لم يكن يريد لها **الأصابع** أن تغادر.

كانت قد انتظرت بأن يُعلن التلفزيون المُصغّر عن طقس رحيم ثمّ استغلّت فجوةً في الشبكة العالية لتهرب، في الصباح الباكر.

الآن، بقي عليها العمل الأكثر مشقّة. إقناع أبناء جلدتها. إلّا أنّ عدم مسارعة الاثنتي عشرة مستكشفة شابّة لرفض مشروعها يتبدّى لها كبارقةِ أمل.

أنهَتِ النّملةُ العجوز الصهباء ومعاوناتها طريقهنّ الدائريّ واصلينَ إلى الحافّة الأخرى من الأخدود. تقول الرقم 103683 للأخريات إنّ بوسعهنّ، بهدفِ السهولة، أن يدعونها كما جنديّات الحملة باسمٍ شمّيّ أقصر.

اسمي 103683. ولكن بوسعكنَّ أن تنادينني الرقم 103.

تعلن الرقم 14 بأنّه ليس الاسم النمليّ الأطول الذي عرفته. في السابق، كان ثمّة نملة يافعة جدّاً ضمن مجموعتهنّ تحمل اسم الرقم 3642451. وكنّ يهدرن وقتاً طويلاً في ندائِها. من حُسنِ الحظّ، التهمتها نبتةٌ آكلة لحومٍ أثناء رحلةِ صيد.

يستأنفن النزول.

توقّفت النمال في كهف صخريّ وتبادلن تطاعمات بقمل القلف وخنافس البثور المسحوقة. تقزّزت العجوز قرفاً. بالفعل ليس لذيذاً خنفس البثور. شديدُ المرارةِ حتّى وهو مسحُوق.

34. موسوعة

***كيفيّة الاندماج*: ينبغي تخيّل وعينا على أنّه الجزء الظاهر لفكرنا. لدينا 10% من وعي ظاهر و90% من لا وعي مغمور.**

حين نبادر بالكلام، ينبغي للـ 10% التوجّه بالخطاب إلى الـ 90% من لا وعي مخاطبينا.

للنجاحِ في ذلك، ينبغي تجاوزُ حاجز مَصافِي الحذر التي تَحُول دون نزولِ المعلوماتِ إلى اللاوعي.

أحدُ الأساليبِ للنجاح في ذلك هو مُحاكاة حركات الآخر اللاشعوريّة.

وهي تظهرُ بوضوحٍ أثناء الوجبات. إذاً انتهز تلك اللحظة الحاسمة لتتفحّص الذي أمامك. إنْ وضعَ يدَهُ أمامَ فمِهِ وهو يتكلّم، فقلّده. وإنْ يأكل البطاطا المقليّة بالأصابع، فافعل الشيءَ ذاته، وإنْ يمسح فمه مراراً بمنديله، فاتبعه أيضاً. واطرح على نفسك أسئلة بسيطة من قبيل: «هل ينظر إليّ وهو يتكلّم؟»، «هل يتكلّم وهو يأكل؟».

بإعادة إنتاجِ حركاتِهِ اللاشعوريّة التي يقومُ بها أثناء لحظته الأكثرَ حميميّة، تناولُ الطعام، ترسِلُ لهُ تلقائيّاً الرسالة اللاشعوريّة: «أنا من قبيلتك نفسها، لدينا الحركات ذاتها فإذاً بلا ريب لدينا التربية ذاتها والانشغالات ذاتها».

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

35. حصّة في علم الأحياء

بعد الرياضيّات، علم الأحياء. اتّجهت جولي مباشرة إلى قسم «العلوم الدقيقة»، بمناضده من الرخام الأبيض وحواجلِهِ المُغلقة على أجنّة حيوانات سابحة بمادة الفورمول، وأنابيبه القذرة، ومواقد بنسن المسخّمة ومجَاهرِهِ التي تُضيّقُ المكان.

عند قرعِ الجرس، دخلَ التلامذة والمعلّمون قاعة علم الأحياء. الجميعُ كان يعلمُ بأنّ الملائم، من أجل هذا الدرس، التنكّر بمريول أبيض. مجرّد القيام بهذا التفصيل كان يكفي ليترك المرء انطباعاً بأنّه يرتدي زيّ «الذين يعلمون».

اختارَ المعلّم للجزءِ الأوّل من الحصّة، النظريّ، موضوعَ «عالم الحشرات». أخرجت جولي دفترها، مُصرّةً على تدوين كلّ شيء بدقّة لتتأكّد إذا ما كانت مقولاته تتطابق مع مقاطع *الموسوعة* ذات الصلة.

بدأ المعلّم:

– تُشكّل الحشرات 80% من العالم الحيوانيّ. أقدَمها بنات وردان، ظهرت منذ ثلاثمائة مليونِ سنة على الأقلّ. ثم تبعتها الأَرَضَة منذ مئتي مليون

سنة، ثمّ النمل، من مئة مليون سنة. ولتدركوا على نحو أفضل أقدميّة وجود الحشرات على كوكبنا، يكفي أن تتذكّروا أنّ أقدم جدّ معروف لنا يرجع تاريخه في أقصى تعديل إلى ثلاثة ملايين سنة على الأكثر.

لفتَ معلّم علم الأحياء الانتباه إلى أنّ الحشرات لم تكن السكّان الأقدم للأرض وإنما الأكثر عدداً أيضاً.

- اختصاصيو علم الحشرات وصفوا خمسة ملايين صنف مختلف، ومن أجل المقارنة، ضعوا في أذهانكم، أنّنا في كلّ يوم، نكتشف مقابل مئة صنف مجهول من الحشرات، صنفاً واحداً مجهولاً من الثديّيات.

على اللوح الأسود، دوّن، بخط كبير، «80% من العالم الحيواني».

- فإذاً، الحشرات هي، بين جميع حيوانات الكوكب، الأقدم، والأكثر عدداً، وأضيف، أقلّها من حيث معرفتنا بها.

قطع كلامه أزيزٌ ملأَ الغرفة. بحركةٍ دقيقة، التقطَ المُعلّم الحشرةَ التي كانت تشوّشُ على درسِهِ وعرض جسدها المسحوقَ الأشبه بمنحوتةٍ معوجّة ما زال يبرزُ منها جناحان ورأس مزوّد بقرنٍ استشعاريّ وحيد.

- إنّها نملةٌ طائرة، شرحَ الرجل. دون شكّ ملكة. يقتصِرُ وجودُ الأجنحةِ لدى النمل عند ذوي الجنس. تموت الذكورُ في لحظة الجماع أثناء التحليق. بينما تُتابعُ الملكات طيرانها دونهم بحثاً عن مكان تبيضُ فيه. كما يمكنكم أن تلاحظوا بأنفسكم بأنّه، مع الارتفاع العام لدرجات الحرارة، يُحَسُّ بالوجود المتزايد للحشرات.

نظرَ إلى جسدِ النملة الملكة المسحُوق.

- ذوات الجنس يُحلّقنَ قبل هبوبِ العاصفة تماماً. وجودُ هذهِ الملكة بيننا ينذرُ إلى احتماليّة أنْ تُمطرَ غداً.

يُلقي معلّم علم الأحياء الملكةَ المسحوقةَ المُحتضرة ليرعاها قطيع من ضفادع تعيش في حوضٍ طوله نحو مترٍ واحدٍ وارتفاعه خمسون سنتمتراً. اندفعَت الكائِنات البرمائيّةُ لتتذوّق الفريسة.

- على العموم، استأنفَ، نشهدُ تضاعفاً أُسيّاً للحشرات، وتغدو الحشرات

باضطراد أكثر مقاومة للمبيدات. ويُحتمل، في المستقبل، أن يكون لدينا أعدادٌ أكبر من الصراصير في خزننا، ومن النمل في سكّرنا، ومن الأرَضَةِ في خشبيّاتنا، ومن البعوض والنملات الأميرات في الأجواء. تزوّدوا بالمُبيداتِ للتخلّص منها.

دوّنَ التلامذة ملاحظاتهم. وأعلنَ المُعلّم بأنّه قد حانَ موعِد الجزء «العمليّ» من حصّتِهِ.

- سنهتمُّ اليومَ بالجهازِ العصبيّ ولا سيّما الأعصاب المحيطيّة.

طلَبَ ممن في الصفّ الأوّل أنْ يأخذوا من على المنضدة حواجل تحتوي كلّ واحدة منها على ضفدعة وأن يوزعوها على زملاء الدرس. وهو يتناولُ شخصيّاً حوجلةً وضّحَ خطواتِ العمليّة. لتخدير ضفادعهم، كان ينبغي على كلّ واحدٍ أنْ يُلقي بداية قطنةً مُتشرّبة بالإيتر، ثم يخرج الحيوان، ويصلبهُ بإبرٍ داخل وعاء، على صفيحة مطاطيّة، ثم يغسله من الصنبور لئلّا تُعيقه خيوط الدم الرفيعة.

فيما بعد عليهم سلخ الجلد بمساعدة ملاقطَ ومشرط، وتحرير العضلات ثمّ البحثُ، ببطاريّة كهربائيّة ومسريّين، عن العصبِ المُحرّك لتقلّصاتِ الرجل اليمنى.

جميع الذين سيفلحون في استثارة انتفاضات الرجل اليمنى للضفدعة سينالون مباشرةً درجة عشرين من عشرين.

تفحّصَ المُعلّم كلّ تلميذٍ على حِدَة ليعرفَ أين وصلَ بعمله. فشِلَ البعضُ منهم في تخديرِ الحيوان. ومهما زادوا من قطن الإيتر في الحوْجَلَة، يظلُّ يتخبّط. وظنّ بعضٌ آخر بأنّهم نجحوا في تخدير الضفدعة ولكن عند محاولة صَلبها بالإبرِ على المسند المطّاطي، تأخذُ تُخبّطُ الهواءَ بيأس برجلها التي لا تزال حرّة.

راحت جولي تتأمّلُ ضفدعتها صامتةً، وللحظة، انتابها شعور بأنّها هي من كانت، داخل الحوجلة، تنظر إليها. إلى جوارها، كان غونزاغ قد ثقبَ، بحركات دقيقة، ضفدعتهُ بنحو عشرين إبرة غير قابلةٍ للصدَأ.

نظر غونزاغ إلى ضحيته. كان الحيوان يشبه القديس سان سيبستيان.

مخدَّراً على نحو سيِّئ، ويحاولُ التخبّط إلّا أنّ الإبر، المغروزة بمهارة، تمنعهُ من التحرّك. وبما أنّ الضفدعة لا تستطيعُ أنْ تصرخ، ما كان بوسع أحدٍ فهم ألمها. أقصى ما استطاعته هو إطلاق «كواا» خافتة ومنتحبة.

– اسمع، لديّ طرفة مُضحِكة. أتعرف ما هو العصب الأطول في جسم الإنسان؟ سأل غونزاغ واحداً ممّن في جواره.



– كلا.

– حسناً، إنّه العصب البصريّ.

– حقّاً! لماذا؟

– بمجرّد نزع شُعيرة من المؤخرةِ تنزلُ دمعتنا!

انفجرا بالضحك. راضياً عن دعابته، سلخ الجلد، وأزاحَ العضلةَ وعثر على العصب. وضع بمهارة المسْرَيين فأخذت تنتفضُ الرجل اليمنى للضفدعة. ثمّ أخذت تتلوّى بين الإبر التي تخترقها وفتحتِ الفم، دون أن يصدُرَ عنها أيُّ صوتٍ لشدّة ما كان الألم يشلّها.

«حسناً، غونزاغ، حصلت على عشرين» أعلنَ المُعلّم. بما أنّه الأوّل الذي فرغ من عمله أخذ التلميذ الأشطر في الصفّ، مُتبطلاً، يبحث عن أعصاب أخرى قادرة أن تؤدي حركات ردّ فعل بذات الأهميّة. سلخ قطعاً كبيرة من الجلد، ورفع عضلات رماديّة. خلال بضع ثوان، نُزِعَ عن الضفدعة التي ما زالت حيّة تماماً كامل جلدها بينما غونزاغ يبحث عن أعصابٍ جديدة بوسعها هي أيضاً أن تُصدِرَ تشنّجات غريبة.

أتى اثنان من زُملائِه يُهنّئانهِ ويستمتعانِ بالمشْهَد.

في الخلف، الخُرْق الذين لم يجرؤوا على استخدام كميّة كافية من الإيتر أو أن يغرزوا الإبر بما يكفي باغتتهم ضفادعهم بالقفز خارج الإناء، بجسد مثقّب بأكثر من مريض يُعالج بالإبر الصينيّة. كانت ضفادع تجري على طول القاعة وعرضها، رغم رجلٍ مسلوخة بالكامل، مؤرجحةً عضلاتها الرمادية–الوردية، ومحدثةً ضحكات مكتومة بين التلاميذ وتذمّر.

أغمضت جولي عينيها جرّاء المشهد المقزّز. جهازها العصبيّ كان يتحوّل إلى سيل من حمض الهيدروكلوريك. ما عاد لديها شجاعة على البقاء.

تناولت حوجلتها وضفدعتها. ثمّ غادرت قاعة الصفّ دون أنْ تنبسَ بكلمة.

اجتازت راكضةً باحة الثانويّة، بمحاذاة مربع العشب وعموده المركزيّ الذي يرفرف فوقه علم يُظهِرُ شعار المدرسة: «من الذكاءِ يولَدُ العقل».

وضعت الحوجلة وقرّرت أن تُشعلَ ناراً في زاوية القمامة. كرّرت المُحاولةَ عدّة مرات بقدّاحتها، دون جدوى، دون أنْ تنشب النار. مع أنّها أشعلت قطعةَ ورقٍ ورمتها في حاويةِ القمامة إلّا أنّ الورقة انطفأت على الفور.

«يا للغيظ حين يخطرُ لي بأنّ الصحافة لا تتوقّف عن التذكير بأنّ مجرّد عقب صغير ملقى بإهمال في غابة يكفي ليلتهم هكتارات من الأشجار بينما أنا، بورقة وقدّاحة، لا أفلحُ في إشعالِ قمامة!»، تذمّرت مثابرة على المحاولة.

أخيراً حدثَ بدايةُ اندلاعٍ راحت هي والضفدعةُ يتأمّلانه بالانتباه ذاته.

– النار جميلة، النارُ سوفَ تثأرُ لك، أيتّها الضفدعة الصغيرة... باحت لها.

نظرت إلى حاويةِ القمامة تشتعل. النار، سوداء، حمراء، صفراء، بيضاء. كانت النار تندلع محوّلة نفايات قبيحة إلى دفء وألوان. ألسنة اللهب سوّدت الجدار. دخان رفيع حِرّيف الرائحة ارتفع من زاوية القمامة.

– وداعاً، الثانويّة عديمة الرحمة، تنهّدت جولي مبتعدةً.

حرّرت الضفدعة التي، دون أن تتأمّلَ الحريق مطوّلاً، جرت بقفزات واسعة وتوارت في فم مجرور.

انتظرت جولي، من بعيد، لترى إنْ كانتِ الثانويّة ستندلع بأكملها.

36. في أسفل الجرف

تمّ الأمر. الأمر انتهى.

النملاتُ الثلاث عشرةَ وصلنَ أسفلَ الجرف.

فجأةً، تُصابُ الرقم 103 بالفَوَاق. تُحرّك قرنيها. تقتربُ منها الأُخريات. المُستكشفة العجوز مريضة. إنّهُ السّنُّ... بلغت من العمر ثلاثَ سنوات. ونملةٌ صهباء عديمةُ الجنسِ لا تعيشُ عادةً أكثر من ثلاث سنوات.

إذاً وصلَ بها العمر إلى نقطة النهاية. ليس سوى ذوي الجنس، والملكات على نحوٍ أدقّ يطولُ بهنَّ العمرُ إلى أن يبلغن الخامسة عشرة.

ينتابُ القلق الرقم 5. تخشى من أن تموت الرقم 103 قبل أنْ تُخبِرَ بكلّ ما تعرفهُ عن **الأصابع** وعن تهديدِ اليافطة البيضاء. من الضروريّ معرفتهم على نحو أفضل. رحيل الرقم 103 الآن سيكون خسارة للحضارة النمليّة برمّتها. يُعطى الأفراخ، عند النمل، قيمةً تفوقُ قيمة العجائز ولكن، للمرّة الأولى، تستَشعرُ الرقم 5 مفهوماً عامّاً مُعبّر عنهُ في مكانٍ آخر، وفي بعدٍ آخر بـ: «كلّما مات عجوز مكتبة تحترق».

أتخمتِ الرقم 5 العجوزَ بتطاعمِ قَمل القلف. إذا الطعام لم يُبطِئ زحفَ الشيخوخة، فإنّه على الأقلّ يجعلها هانئةً.

ينبغي علينا جميعاً أن نبحث عن حلّ لإنقاذ الرقم 103، أمرت الرقم 5.

في عالم النمل نزعم بأنّ لكلّ مشكلة حلّاً. وحين لا نجده، فمردُّ ذلك إلى أنّنا لم نبحث جيّداً.

بدأت الرقم 103 تبثّ روائح حمض الزيتيك، روائح الموت الكريهة الخاصة بالنمال العجائز اللواتي وصل دربهنّ إلى نهايته.

تجمع الرقم 5 رفيقاتها لإجراء اتصال مُطلق. **الاتصال المطلق** هو وصل دماغ النملة مع أدمغةِ آخرين. يتحلّقنَ ضمن دائرة تتلامس فيها القرون الاستشعاريّة من أطرافها فقط، وعندئذ تغدو أدمغتهنّ الاثنتي عشرة دماغاً واحداً.

سؤال: كيفَ يمكنُ تعطيل القنبلة البيولوجيّة التي تهدّد هذه المستكشفة التي في غاية الأهميّة؟

تتزاحم الأجوبة. وتأخذُ بالتدفّق أفكارٌ مُفرطة الجنون. كلّ واحدةٍ لديها علاج تقترحه.

تقترح الرقم 6 إتخام الرقم 103 بجذور الصفصاف البابلي، حمض الساليسيليك يعالج، وفقاً لها، جميع العلل. ولكن يجبنَها بأنّ الشيخوخةَ ليست مرضاً.

تقترح الرقم 8 بما أنَّ المعلومات الثمينة تنطوي داخل دماغها، نُخرج دماغ الرقم 103 من جمجمتها ونضعه في جسد سليم وشاب. جسد الرقم 14 على سبيل المثال. لا تروقُ الفكرة للرقم 14. ولا للآخرين. تعتَبرُ المجموعة بأنّ في ذلك مجازفة كبيرة.

لماذا لا نسحب بالسرعة القصوى جميع الفيرومونات من قرنيها؟ بثّت الرقم 14.

ثمّةَ عددٌ وفير من الفيرومونات، تنهّدت الرقم 5.

الرقم 103 لا تتوقف عن السُّعال، وترتَعِشُ شفتاها.

تذكّرُ الرقم 7 بأن الرقم 103 لو كانت ملكة، لكان أمامها الآن اثنتي عشرة سنةً إضافية تعيشها.

لو الرقم 103 كانت ملكة...

الرقم 5 تقيّمُ الفكرة. ليسَ مُستحيلاً بالمُطلقِ جعلُ الرقم 103 ملكة. جميعُ النمال تعلمُ بوجودِ مادةٍ مُشبعةٍ بالهرمونات، الهلام الملكيّ، لديه مفعول قادر على تحويلِ حشرةٍ عديمة الجنس إلى حشرة ذات جنس.

تتضاعفُ سرعة الاتصال. مُحال استخدام الهلام الملكيّ الذي ينتجهُ النحل. فقد غدا لدى الصنفين خصائص جينيّة متباينة جدّاً. ولكن، النّحل والنّمل يتحدّران من جدّ واحد مشترك: الزنبور. لا تزال الزنابير موجودة وبعضها يعرف كيف ينتج الهلام الملكيّ لكي تخلقَ على نحو اصطناعي ملكات زنابير بديلات فيما لو ماتت ملكتهم الوحيدة بمصادفة ما.

أخيراً هناك طريقة لتأجيل الشيخوخة. تأخذ قرون الاثنتي عشرة تهتزُّ أسرع فأسرع. كيف يمكن العثورُ على الهلامِ الملكيّ للزنابير؟

تؤكّدُ الرقم 12 بأنّها تعرف قرية زنابير. تزعم بأنّها شهدت مرّة عن طريق المُصادفة تحويل زنبور عديم الجنس إلى أنثى. لقد ماتت الملكة جرّاء مرض مجهول وقد انتخبَت العاملات واحدةً منهنّ لتحلّ مكانها. أعطينَها دبساً داكناً لتبتلعه وبعد لحظات تضوّعت الآخذةُ بروائح أنثى. وجرى انتقاءُ عاملةٍ أُخرى لتقومَ بدورِ الذكر. وأُعطيت مادة شبيهة وقد بثّت بالفعل نفحاتٍ ذكريّة.

لم تحضر الرقم 12 اقتران الاثنين ذَوا الجنس المُصطنعين الذين جرى خلقهما في حالةِ طوارئ، ولكنّها حين مرّت من هناك بعد أيّام، لم تلحظ بأنَّ العشّ ما زالَ نشطاً فحسب وإنّما، علاوة على ذلك، ازداد عدد قاطنيه.

هل بوسعها أن تعثر على ذلك المكان الذي تعيش به أولئك الزنابير الكيميّائيون؟ تسأل الرقم 5.

إنّه على مقربة من شجرة السنديان الشماليّة الكبيرة.

تُأخذ الرقم 103 بحماسة كبيرة. أن تصبح ذات جنس... أن تمتلك عضواً جنسياً... ذاكَ ممكن إذاً؟ حتّى بآمالها الأكثر جنوناً، ما كانت لتأمل معجزة كهذه. تمدّها هذه الفكرة على الفور بالشجاعة والصحّة.

إن كان هذا الشيء ممكن حقّاً، فهي تريد عضواً جنسيّاً! فبالمحصّلة، ليسَ من الإنصافِ بشيءٍ أنْ يلدَ البعضُ ولديهم كلّ شيء ولا شيء للآخرين البتّة، لمجرّد صدفة ولادتهم. المُستكشفةُ العجوز الصهباء تنصبُ قرنيها الاستشعاريّين وتوجّههما نحوَ شجرةِ السنديان الكبيرة.

مع ذلك تظلُّ هناكَ مُشكلة كبيرة: السنديانةُ الكبيرةُ تنتصب في مكانٍ بعيد جدّاً من هنا وينبغي، للوصول إليها، اجتيازُ المنطقةِ الجافّة للبقاع الشماليّة، التي تُدعى الصحراء الجافّة والبيضاء.

37. نظرة أولى على الهرم الغامض

أشجار رطبة وكتل خضراء تكتظُّ في الأرجاء كافّة.

تقدّمَ المُفوّض مكسيميليان لينار مُتّجهاً بخطوات حذرة نحو هرم الغابةِ الغامض.

كان قد لمح أفعى جلدها مغطّى على نحو غريبٍ بأشواكِ قنفذٍ، لكنّه يعلَمُ بأنّ عمقَ الغابة يحفَلُ بشتّى الغرائب. لم تكن الغابة تروق للشرطيّ. بالنسبة له هي مكان عدائيّ، تكتسِحهُ الحيوانات الزاحفة والطائرة والعجّاجة والمُخاطيّة.

الغابة مرتع شتّى أنواع السحر واللعنات. في السابق كان قطّاع الطرق فيها يسلبونَ المسافرين. وتتوارى فيها الساحرات ليقمنَ بطقوسهنّ السريّة. ومعظم الحركات الثوريّة تخطّط فيها لحروب العصابات التي تشنّها. لجأ إليها روبن هود في الماضي ليقضّ مضجع شريف شيروود.

حلمَ مكسيميليان، حين كان أصغر سناً، بأن تختفي الغابة، ومعها كلّ تلك الأفاعي، وذلك البعوض، والذباب والرتيلاء التي أغاظت الإنسان ردحاً طويلاً من الزمن. كان يحلمُ بعالمٍ مُشيّد من الخرسان حيث لا يوجد فيه

أدنى أثر لدغل. ليس غير البلاط يمتدُّ على مدّ النظر. سيكون أنظف. علاوة على ذلك، سوف يسمح بالسير مسافات طويلة بالأحذية ذات العجلات.

لقد ارتدى مكسيميليان ثيابَ مُتنزّه حتّى لا يلفتَ النظر.

«التمويه الحقيقيُّ ليس الذي يقلّد الطبيعة وإنّما الذي يتّحد معها بيسر». كان يُلقّنُ ذلك دوماً للمتطوّعين الشباب في مدرسة الشرطة. رجل في الصحراء يرتدي لوناً رملياً يلفت الانتباه بسهولة أكبر ممّا يلفته جمل.

أخيراً، حدّدَ المبنى المُريب.

أخرج مكسيميليان لينار منظارهُ وأخذَ يتفحّصُ الهرم.

كان انعكاسُ الأشجارِ الذي يتضاعفُ على صفائحِ المرايا الكبيرة يُخفي المبنى للوهلةِ الأولى. ولكن مع ذلك ثمّةَ تفصيل يفضَحُ المكان. وجودُ شمسين. ثمّة واحدة زائدة.

اقتربَ.

خيارٌ رائع إكساؤهُ بالمرايا. بواسِطةِ المرايا يُخفي السّحرةُ الفتيات في صناديق مُخترقة بسيوفٍ حادّة. خِداعٌ بصريّ لا أكثر.

أخرجَ دفترَ مُلاحظاتهِ ودوّنَ بعناية:

1) تحقيق حول هرم الغابة،

أ) ملاحظة عن بعد.

أعادَ قراءة ما كتبهُ وسرعان ما مزّق الورقة. ليس هرماً وإنما رباعيّ الأسطح (tétraèdre). للهرم أربَعةُ أوجُه، إضافةً إلى القاعدة. أي خمسة أوجهٍ بالمُجمل. بينما رباعي الأسطح لديه ثلاثة أوجه إضافة إلى القاعدة. إذاً أربعة وجوه بالمُجمَل. أربعة باليونانيّة ترا *tétra*.

فعدّل:

1) تحقيق حول رباعي أسطح الغابة.

هكذا حقّاً هو مكسيميليان لينار، واحدةٌ من نقاط قوّته الكبيرة تكمنُ في قدرته على تسمية ما يراه بدقّة وليس ما يُظنُّ أنّه يُرى. موهبة «الموضوعيّة» هذه جنّبته الكثيرَ من الأخطاء.

وعزّزت دراسة الرسم لديه هذه المهارة. عندما نرسم، إنْ رأينا أمامنا

طريقاً، نفكّر بطريق ونميل لرسم خطّين متوازيّين. ولكن إذا رسمنا ما نراه بـ «موضوعيّة»، فإنّ المنظور يجعلُ الطريق يرتسمُ على شكلِ مثلّث، من الأمام، ويكون طرفاه بمثابةِ خطّي تلاشي يلتقيان في العمق، عند الأفق.

أعادَ مكسيميليان لينار مُعايرةَ منظاره واستأنفَ تفحّص الهرم. اندهش. حتّى هو كان مُستسلماً لإلحاحِ كلمة «هرم». في الواقع تنطوي كلمة «هرم» على دلالات لغزيّة ومقدّسة. فمزّق الورقة.

هذه المرّة سيجري استثناءً لهوسه بالدقّة التامّة.

1) تحقيق حول هرم الغابة.

أ) ملاحظة عن بعد

- مبنى مرتفع قليلاً. نحو ثلاثةِ أمتار. مُموّه بأشجار وشجيرات.

بعد أن انتهى المُخطّط الأولي، اقترب الشرطيّ. كانت تفصله مسافة بضعة أمتار عن الهرم حين ميّزَ على التراب الناعم آثار دعساتٍ بشرية وقوائم كلب تركها بلا ريب غاستون بانسون وكلبه السيتر الإيرلندي. رسمَها أيضاً.

استدار مكسيميليان حول المبنى. لا باب، لا نافذة، لا مدخنة، ولا علبة بريد. لا شيء يدلّ على سكنٍ بشريّ. فقط خرسان مكسيٌّ بالمرايا ورأس شبه شفّاف.

ارتدّ إلى الخلف خمس خطوات وتمعّن مطولاً في المبنى. كانت نِسَبهُ وشكله في غاية التناسق. أيّاً يكن المهندس الذي أشاد هذا الهرم الغريب وسط الغابة، فإنّه قد حقّقَ كمالاً هندسيّاً.

38. موسوعة

نسبة ذهبيّة: النسبة الذهبيّة هي تناسب دقيق يُمكنُ من خلاله إغناء العمل سواء أكان عمارة، أو رسم، أو نحت بقوّة خفيّة.

اعتماداً على هذه النسبةِ أُشيدَ في الماضي هرم خوفو، هيكل سليمان، بارثينون ومعظم الكنائس الرومانيّة. كما أنّ الكثيرَ من لوحاتِ عصر النهضة تُراعي هذه النسبة أيضاً.

يُزعم بأنّ كلّ ما بنيَ دون أن يراعي في مكان ما هذه النسبة سينتهي بالانهيار.

تُحسب هذه النسبة الذهبيّة بالطريقة التالية:

$$\frac{1+\sqrt{5}}{2}$$

ما يؤدي إلى 1.6180335

هذا هو السرُّ الدهريّ. وهذا الرقم ليس من نتاج المخيلة البشريّة فحسب. إذْ يُبرهنُ عليهِ في الطبيعة أيضاً. فهو، على سبيل المثال، نسبة التباعد بين أوراق الأشجار حتّى لا تظلّل بعضها بعضاً. إنّها أيضاً الرقم الذي يُحدّدُ موضعَ السرّةِ بالنسبة لكاملِ جسمِ الإنسان.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

39. الانصِرافُ منَ المدرسَة

الثانويّة بناء مربّع تماماً.

أجنحتهُ الثلاثة الإسمنتيّة تتّخذُ شكلَ حرف U مغلقة بشبكٍ حديديّ عال ومُعالج بمادّةٍ مُضادّة للصدأ.

«ثانويّة مُربّعةٌ بصرامةٍ لتكوين عقولٍ صارمة».

كانت تأملُ بألّا تتأخّرَ ألسنةُ اللهب عن لعقِ جدران تلك المدرسة التي هي بالنسبة لها أشبهُ بسجن، بثكنة، بمأوى، بمُستشفى، بمصحّة مجانين، حاصِلَهُ، تشبه واحداً من تلك الأماكن المربّعة التي يُعزلُ فيها الناس الذين لا يحبّذُ مشاهدتهم يتجوّلون في الشوارع.

كانت الفتاة الشابّة ترقبُ الدخان الذي يتصاعد كثيفاً، من ناحية حاوياتِ القُمامة. لكن سُرعان ما ظهر آذِنُ المدرسةِ مُسلّحاً بمطفأةِ حرائق، وأغرقَ بغمامةٍ من الثلج الكربوني التضرُّر في بدايته.

ليسَ من السهلِ مُحاربةُ العالم.

سارت في المدينة. كانت رائحة العفونة تنبعث من كلّ ما حولها. بسبب

إضراب عمّال النظافة كانت الشوارع تعجُّ بالحاويات الطافحةِ بنفايات البشر التقليديّة: أكياس زرقاء صغيرة مبقورة مليئة بطعام بدأ يفسد، بأوراق قذرة، ومناديل دبقة...

أغلقت جولي منخاريها. أحسّت بأنّها ملاحقة وهي تتقدّم في منطقة مبانٍ سكنيّة تكون خالية في تلك الساعة. استدارت، لم ترَ شيئاً فاستأنفت طريقها. ولكن، بما أنّ الإحساس آخذ بالتزايد، ألقت نظرة على المرآة الجانبيّة لإحدى السيّارات المركونة على جانب الرصيف وتبيّن بأنّها ليست مخطئةً. كان ثمّة ثلاثة شبّان بالفعل، هناك، وراءها. عرفتهم جولي. إنّهم تلامذة من صفّها، جميعهم من طبقة الصفّ الأوّل، وعلى رأسهم غونزاغ دوبيرون، متأنّقاً كعادته بالقميص والوشاح الحريري.

تحسّست الخطر غريزيّاً ولاذت بالفرار.

اقتربوا فحثّت الخطى. لم يكن بوسعها أن تركض، الألم الذي كانت تشعر به في قدمها جرّاء وقوعها في الغابة منعها من ذلك. لم تكن تعرف هذا الحيّ جيّداً. لم يكن طريقها المعتاد. انعطفت يساراً، ثم إلى اليمين. ما زالت خطوات الفتيان تتردّد خلفها. انعطفت مجدّداً. اللعنة! آخر هذا الطريق مغلق، مُحال الرجوع. اختبأت تحت سقيفة، وهي تشدّ إلى صدرها حقيبة الظهر التي تحتوي على *موسوعة العلم النسبيّ والمطلق* كأنّها تتحصّن بها.

- لا بدّ بأنّها في مكان ما هنا، أعلن صوت. لا يمكن أن تكون قد هربت فالشارعُ مغلق.

بدأوا يفتّشونَ السقائف، واحدة تلو الأُخرى. أخذوا يقتربون. شعرت الفتاة الشابّة بعرقٍ باردٍ يسيلُ على طول عمودها الفقريّ.

كان ثمّة باب في نهاية السقيفة، جرس. «افتح يا سمسم»، تضرّعت جولي وهي تكبس الزرّ بيأس وإلحاح.

تناهت لسمعها بعض الأصوات وراء الباب الذي لم يُفتَح.

- أين أنت، بانسون الصغيرة، كتي، كتي، كتي، تناديها الشلّة هازئةً.

تقوقعت جولي أسفل الباب، وركبتاها لصق ذقنها. وفجأةً ظهرت ثلاثةُ وجوهٍ ضاحكة.

بما أنّها عجزت عن الهروب، واجهت. ووقفت.

- ماذا تريدون منّي؟ سألت بصوت أرادته صارماً.

اقترَبوا.

- دعوني وشأني.

ما زالوا يتقدّمون، ببطءٍ، بثقة، متمتّعينَ بالرعب في العينين الرماديتين الفاتحتين، وهم يرون جيّداً بأنّ ليس أمام الفتاة أيُّ مهرب.

- النجدة! حالةُ اغتصاب!

في الشارعِ المُغلق، أُغلقت النوافذُ القليلة المفتوحةُ على الفور وأطفئت الأنوار سريعاً.

- النجدة! شرطة!

يصعُبُ في المدن الكبيرة الاتّصال بالشرطة، بطيئة الوصول، وقليلة العدد. ما من حماية حقيقية فعّالة للفرد.

الغنادِرةُ الثلاثة استغرقوا وقتهم متريّثين. مُصرّة بألّا تُمسَك، حاولت جولي حركة أخيرة: برأس مُنكّس اندفعت أماماً. نجحت بتجاوز اثنين من أعدائها، أمسكت وجه غونزاغ كما لو من أجل قبلة، ونطحته بالجبين على أنفه. ممّا أصدر ما يشبهُ انهيار خشب جافّ. وانتهزت وضع يديه على أنفه فركلته بركبتها بين فخذيه. وضع يده على عضوه وأصدر، مُكوّراً على نفسه، أنّةً خافتة.

دائماً كانت جولي على يقينٍ بأنّ العضو الجنسيّ نقطة ضعف وليس نقطة قوّة.

إنْ حُيّدَ غونزاغ مؤقّتاً خارجَ القتال، فهذا لا ينطبِقُ على الآخرَين، اللّذين أمسكَاها من ذراعيها. تخبّطَت، وأثناء مُقاومتها، سقطَتْ حقيبةُ ظهرها وخرجَت منها *الموسوعة*. قامت بحركةٍ بقدمها لاستعادتها ففهم أحد الصبيةِ بأنَّ هذا الكتابَ مهمّ لها. انحنَى وتناول الكتاب.

- لا تلمسه! زعقت بحدّة، بينما راح الشريك الثالث، غير مكترث باهتياجها، يلوي ذراعيها خلف الظهر.

يُظهِرُ غونزاغ الذي ما زال مُتشنّج الوجه ابتسامة تريد أن توحي «لم تؤلميني قطّ»، ثمّ استولى على كنز الفتاة.

- مو-سو-عة-ال-عل-م-النس-بيّ-وال-مط-لق... المجلّد الثالث، أعلن. ما هذا؟ يبدو كتاب شعوذات.

بينما الأقوى بينهم يمسكها بحزم، كان الآخران يتصفّحانِ الكتاب. وجدا وصفاتِ طبخ.

- ما هذه السخافات! انشغالات بنات. لا قيمة له! صاح غونزاغ وهو يلقي بالكتاب الغامض لإدمون ويلز في مسرابِ ماء.

كانت *الموسوعة* تُظهِرُ لكلّ شخص وجهاً مختلفاً.

تمكّنت جولي، عبر الضرب بحيويّة بكعب حذائها القاسي على أصابع قدم معذّبها، بأن تفلت مؤقتاً وتتداركَ الكتاب قبل أن تبتلعه بلحظة فوّهة المجرور. ولكن سرعان ما اندفع الفتيان الثلاثة عليها. وراحت في غمرة المعركة تُسدّد لكمات، أرادت أن تخدش الوجوه ولكن لم يكن لديها أظافر. السلاح الطبيعيّ الذي بقي لها: أسنانها. غرزت اثنين من قواطعها الحادّة في خدّ غونزاغ. فسالَ الدم.

- عضّتني، الشرسة. لا تدعوها تفلت، تذمّر معذّبها. أنتما اربطاها!

أوثقوها بمناديلهم إلى عمود الكهرباء.

- ستدفعين ثمن ذلك، تمتم غونزاغ وهو يحفُّ خدّه المُدمّى.

أخرجَ مشرطاً من جيبه مُصدِراً طقطقةً عن الشفرة.

- دوري بأن أشرّط لحمك، يا حلوتي!

بصقت في وجهه.

- أمسكوها جيّداً يا شباب. سأحفر لها بضعَ أشكالٍ هندسيّة تُساعدها على حفظِ دروسِ الرياضيّات.

وهو يُطيلُ وقتَ استمتاعه، شقّ من الأسفل إلى الأعلى تنورتها السوداء الطويلة، وقصّ مربعاً من قماش التنورةِ ودسّه في جيبه. أخذَ المشرطُ يرتفعُ ببطءٍ لا يُطاق.

«يمكن للصوت أيضاً أن يستحيل سلاحاً موجعاً»، هكذا علّمها يانكلفيتش.

- إيبياااييياااااا...

عدّلت صرختها باتّخاذ طبقة صوت حادّة لا تُحتمل. زجاج النوافذ في الشارع اهتزّ. وسدّ الصبية آذانهم.

- ينبغي تكميمُ فمها لنعملَ بهدوء، علّقَ أحدُ الصبية.

أَسرعوا بدسّ وشاحٍ حريريّ في فمها. لهثت جولي بشقّ الأنفاس.

شارف بعد الظهيرة على نهايته. أُضيءَ عمود الإنارة بفضل خليته الكهروضوئية، الحسّاسة لانخفاض ضوء النهار. لم يأبه مُعذّبو الفتاة بإشعال الضوء. ظلّوا هناك في مخروطِ النور، يلعبون بمشرطهم. لقد وصلت الشفرة الركبة. جرحَ غونزاغ بخطّ أفقي جلد جولي الرقيق.

- هذه، لقاء ضربةِ الأنف.

- وخطّ عمودي لرسم صليب.

- هذه، لقاء ضربة ما بين الفخذين.

ثالث جرح، في الركبة وفي الاتّجاه ذاته.

- عضّة الوجنة. وليست هذه سوى البداية.

استأنفَ المشرطُ جريه البطيء نحو أعلى التنورة.

- سأشرّحك مثل الضفدعة في علم الأحياء، أعلن لها غونزاغ. أنا بارع في ذلك. حصلتُ على عشرين من عشرين ألا تتذكّرين؟ لا. لا تتذكّرين. الكسالى يُغادرون الدرس قبل نهايته.

أعاد طقطقة شفرة المشرط ليحرّرها أكثر.

شعرت بالاختناق، مذعورةً، على حافّة الإغماء. تذكّرت أنّها قرأت، في *الموسوعة*، في حالةِ خطرٍ يستَحيلُ الهروبُ منه، يجب أن تتخيّل دائرة فوق رأسك وأن تُدخِلَ فيها رويداً رويداً جميع أعضائك، جميع أجزاء جسدك إلى أن يغدو غلافاً فارغاً، مسلوبَ الروح.

نظرية جميلة، يسهُلُ تخيّلها وأنت جالس باسترخاء على أريكة، ولكن يصعب تطبيقها وأنت موثَق إلى عمود حديديّ وأوغادٍ يعتدونَ عليك!

مُستثاراً بالفتاة المُفرطةِ الجمال التي ترزحُ تحت وطأةِ العجز، نفخَ الصبيّ الأكثر بدانة بين الثلاثة في وجه جولي أنفاساً كريهة وداعب شعرها الطويل الأسود الناعم ذا اللمعان. وبأصابعهِ المُرتعشة، لمسَ العنق الأبيض شبه الشفّاف حيث يخفق الوَدَجان.

تلوّتْ جولي في قيدِها. إذ إنّ بوسعها تحمّل ملامسة شيء حتّى لو كان

شفرة مشرط، ولكنّها لا تستطيع ولا بأيّ حال تحمّل ملامسة بشرة إنسان. اتّسعت عيناها. وبغتةً كساها الاحمرار. وأخذ جسدها يرتعش وبدا على وشك الانفجار. نفخت بصوتٍ من أنفها. ارتدّ البدين إلى الخلف. وتوقّف المشرط عن جريه.

كان الأكبر بينهم قد رأى حالةً مشابهة. فأعلن:

- تنتابها نوبة ربو.

ارتدَّ الصبية إلى الخلف، مرتعبين من رؤية ضحيّتهم تعاني من ألمٍ لم يكونوا هم سببه. غدا لون الفتاة قرمزيّاً. كانت تشدّ وثاقها إلى حدّ تمزيقِ جلدها.

- دعوها وشأنها، أطلق صوتٌ.

ظلّ طويل، بثلاثة أرجل كان ينتصب عند مدخل الشارع المغلق. استدار المعتدون وتعرّفوا على دافيد؛ الرِّجْلُ الثالثة كانت عكّازه التي تُعينه على المشي رغم الالتهاب الفقاري المفصلي الطفولي.

- ماذا، دافيد، أتظنُّ نفسكَ جالوت؟ سخر غونزاغ. آسف يا عزيزي، ولكن نحن ثلاثة وأنت وحدك، ضئيل الجسم وبلا عضلات.

انفجرت الزمرة بالقهقهة. لكن ليس طويلاً.

إذ سرعان ما اصطفت ظلال أخرى إلى جوار الأَرْجُل الثلاثة. بعينيها شبه الجاحظتين، ميّزت جولي الأقزام السبعة، تلامذة الصفّ الأخير.

تلامذة الصفّ الأول هاجموهم ولكن الأقزام السبعة لم ينسحبوا. الأبدن بين السبعة سدّد ضربات ببطنه. واستخدمَ الآسيويّ فنَّ قتال معقّد جداً من نوع التايكوندو. بينما أخذ النحيل يصفع بالباع والذراع. وسدّدت القوية ذاتُ الشعر القصير ضربات بكوعها. والنحيلة ذات الشعر الأشقر استخدمت أظافرها كأنّها عشر شفرات. وصوّب المخنّث ركلاته بمهارة على السيقان. على ما يبدو لم يكن يجيد غير ذلك إلّا أنّه يجيده جيّداً. أخيراً، طوّح دافيد بعكازه في الهواء، ضارباً بحركاتٍ جافّة أيدي المعتدين الثلاثة.

كان غونزاغ وأعوانه يرفضون التنازل بسهولة عن الجولة. تراصوّا، مسدّدين هم أيضاً لطمات وشاقين الهواء بمشرطهم. ولكن سبعة مقابل

ثلاثة، سرعان ما دار العراك لصالح الأكثريّة فآثر معذّبو جولي الهروب وهم يشيرون بحركات بذيئة.

- سنتواجه! صرخ غونزاغ وهو يفرُّ.

ما زالت جولي تختنق. لم يضع الانتصار حدّاً لنوبة الربو، أسرع دافيد في الاستدارة وراء عمود الإنارة. نزع الوشاح من فم الفتاة برقّة ثمّ، بأطراف أظافره، حلّ عُقَدَ الرّباط الذي يوثق معصميها ورسغي قدميها والذي كان تخبّطها قد زادَ إحكامه.

ما إن تحرّرت حتى اندفعت نحو حقيبة ظهرها وأخرجتْ منها بخّاخة فانتولين. ورغم ما أصابها من وهن تمكّنت أن تجد لديها ما يكفي من الطاقة لتضع الوصلة في فمها وتضغط عليها بكلّ قوّتها. بشراهة، استنشقت الدواء. كلّ شهيق كان يعيد لها ألوانها تدريجيّاً ويهدّئها.

حركتها الثانية كانت استعادة موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* ودسّها سريعاً في حقيبة ظهرها.

- لحسن الحظّ كنّا نمرّ من هنا، علّق جي وونغ.

دلّكت جولي معصميها لتعيد جريان الدم إلى يديها.

- زعيمهم، غونزاغ دوبيرون، قالت فرانسين.

- بالفعل زمرة دوبيرون، أكّدت زويه. إنّهم عصبة الجرذان السود. سبق وارتكبوا العديد من المشاغبات، والشرطة تغضّ النظر لأنّ المحافظ هو عمّ غونزاغ.

كانت جولي صامتة، انهماكها باستعادة أنفاسها منعها من الكلام. طالعت السبعة بعينيها. تعرّفت على القصير الأسمر صاحب العكّاز، دافيد. هو من حاول مساعدتها في حصّة الرياضيّات. بينما لا تعرف من الآخرين سوى أسمائهم: جي وونغ الآسيوي، ليوبولد السَّكوت الكبير، نرسيس المخنّث المتهكّم، فرانسين الرشيقة الشقراء الحالمة، زويه القويّة المتذمّرة، وبول البدين الوديع.

الأقزامُ السبعةُ الذين يجلسونَ في نهاية الصفّ.

- لست بحاجة لأحد. أتدبّر أمري جيّداً بنفسي، نطقت جولي وهي تواصل التقاط أنفاسها.

- ياَللعجب، اسمعوا ما تقول! صاحت زويه مُتعجّبة. يا لَلجحود! هيا لنمضِ يا شباب، ونترك هذه المُتكبّرة تحلّ مشكلاتها دوننا.

ستُّ هيئات أقفلت عائدة أدراجها. أبطأ دافيد. وقبل أن يبتعد، استدار وهمس لجولي:

- غداً، سيتدرّب فريقُنا للروك. إنْ كانَ لديكِ الرغبة، انضمّي إلينا. نحنُ نتمرّنُ في القاعةِ الصغيرة، تحتَ الكافيتريا تماماً.

دونَ أنْ تُجيب، وضعت جولي *الموسوعة* بعنايةٍ في أسفلِ حقيبة ظهرها، وشدّت بقوة سيْرها واختفتْ في الشوارع الصغيرة المتعرّجة الضيقة.

40. صحراء

يترامى الأفقُ إلى اللانهائي، دونَ أنْ يقْطَعهُ أيّ مَظْهرٍ عمودي.

تمضي الرقم 103 باحثةً عن الجنسِ الموعُود. تطقطق مفاصلُها، ولا يلبثُ قرناها يجفّان وهي تخسر الكثير من الطاقة بتزييتهما على نحو محموم بشفتيها المرتعشتين.

تشعرُ الرقم 103، في كلّ لحظة، بندوب الزمن تزداد وطأة. تحسّ الموت يحومُ فوقها كتهديدٍ مُستمر. وبأنَّ الحياة للأشخاصِ العاديّين ومضة قصيرة! تعلمُ بأنّها إذا لم تحصَل على جنسٍ فإنَّ تجربتها كاملةً ستضيعُ سدى، وسوف تكون قد هُزِمت من أكثر الأعداءِ ضراوة: الزمن.

تتبعها المُستكشِفات الاثنتا عشرة اللائي قرّرنَ أن يرافقنها في أوديستها.

لا تتوقّفُ النمال عن المسير إلّا حين يُلهِبُ الرمل الناعم أرجلهنّ. ويستأنفنه عند أوّل غيمة تحجبُ الشمسَ. الغيوم لا تُدرك قوّتها.

الطبيعة متوالية من رمل ناعم، ومن حصى، من أحجار، وصخور، ومن مسحوق بلّورات. تتواجد في هذا المكان شتّى الأشكال الفلزيّة، إلّا أنه يندر وجود أثر نباتيّ أو حيوانيّ. ولمّا تعترض صخرة طريقهن يتسلّقنها. ولمّا تظهر أمامهن برك من رمال غدت سائلة لفرط نعومتها يستدرن حولها متجنّبات الغرق فيها. تمتدُّ حولَ النمال الثلاث عشرة مشاهد بديعة من سلاسل جبال ورديّة أو وديان رماديّة فاتحة.

حتى حين يضطررن إلى اتّخاذ منعطفات واسعة لتجنّب بحيرات الرمل الفائق النعومة، لا يضيِّعن وجهتهنّ. لدى النمل وسيلتا تحديد اتّجاه مفضّلتان: الإشارات الطرقيّة وحساب زاوية الأفق بالنسبة لشعاع الشمس. ويُلجَأُ إلى وسيلة ثالثة عند السفر في الصحراء: عضو جانستون الخاصّ، المؤلّفُ من قنواتٍ صغيرة في الجمجمة تذخرُ بجسيماتٍ حسّاسة للحقول المغناطيسيّة الأرضيّة. فبوسعه، أينما وجد على هذا الكوكب، تحديد موقعه بالنسبة لتلك الحقول المغناطيسيّة غير المرئيّة. حتّى أنَّ بوسعه بهذه الوسيلة تحديدُ الأنهار الجوفيّة إذ إنّ المياه قليلة الملوحة تغيّرُ من طبيعة تلك الحقول.

إلى الآن، تكرّرُ أعضائهنّ جانستون نفيها وجود ماء. لا فوق، ولا تحت، ولا حول. وإذا ما أردنَ الوصولَ إلى السنديانةِ الكبيرة، ينبغي المواصلَةُ قدماً في هذا الاتّساع المكشوف.

لا يلبث جوع المستكشفات وعطشهنّ يزداد. تندر الطرائد في هذه الصحراء القاحلة البيضاء. من حسن الطالع، يميِّزْنَ وجوداً حيوانياً بوسعِهِ أنْ يكونَ مُفيداً لهنَّ. زوج عقارب في ذروة استعراض عشقي. قد يكون هذان العنكبوتان خطيران، لذا تفضّل النمال إرجاءَ قتلهما حتّى يفرغا من مداعباتهما ويقرّان مُنهكَين.

يبتدِئُ الاستعراضُ. تلتقطُ الأنثى، التي تُعرَفُ من بطنها الكبير ولونها البنيّ الداكن، عشيقها الموعود من ملقطيْهِ وتضمّه إليها كما لو أنّها تدعوهُ إلى رقصة تانغو. ثمّ، تدفعُهُ إلى الأمام. يتراجع الذكرُ، ذو اللون الأفتح والقوام الأنحل، إلى الوراء مُنسَاقاً إلى رغبة فتاته المُتكبّرة. استغرق تنزّهُهما جيئة وذهاباً وقتاً طويلاً والنمال يلحقنهما دون أنْ يجرأن على تعكيرِ صفوِ رقصتِهما. يتوقّف الذكر، ويتناول ذبابةً جافّة كان قد اصطادها ويقدّمها طعاماً للعقربة. وبما أنّ لا أسنان لها تضعُ، بملقطيها، الطعام على وركيها المزوّدين بنهايات حادّة. ولمّا استحالت الذبابة رقائقَ أخذت العقربةُ تمصّها. ثمّ، يُمسِكُ العقربان بعضهما مجدّداً بالأرجل ويستأنفان الرقص. أخيراً، والذكر يمسك محبوبته بملقط، يحفرُ مغارة بالملقطِ الآخر. وبمساعدة أرجله وذنبه، يكنُسُ ويحفر.

حين تغدو المغارة عميقة بما يكفي لاستقبال الزوجين، يدعو العقرب

الذكر زوجته المستقبليّة إلى شقته الجديدة. يغوصان، معاً، تحت الأرض ويعيدان إغلاق المغارة وراءهما. مدفوعات بفضولهنَّ، تحفر النملات الثلاث عشرة المُستكشِفات في الجوار، ليُشاهدن العرضَ تحت الأرضي الجديرَ بالاهتمام. بطن على بطن، إبرة على إبرة، يتسافد العقربان. ثمّ، وبما أنّ الممارسة هيّجَت جوع الأنثى، تقتلُ الذكرَ المُنهك وتأكله إلى آخر لقمة. ثمّ تخرجُ بمفردها، متخمة ومنتشية.

تقدّر النمال بأنّ الوقت المناسب للهجوم قد حان. وبالرغم من أنّ أشلاء ذكرها لا تزال ملتصقة إلى جانبها، لا تجد العقربة رغبة في قتال هذه النمال التي أحسّت بعدائيّتهنّ. فتستأثر الهرب. تعدُو العقربة أسرع من النمال.

تندم الجنديّات الثلاث عشرة على عدم انتهازهنّ لحظة الجماع لقتلها. يطلقن عليها لكنّ درع العقربة مصفّح بما يكفي لمُقاومة حمض النمليك. لم يبق أمام الفرقة سوى إنهاء فتات الذكر المُخصِّب.

درس بالغ كي لا يتلصّصنَ ثانية. طعم لحم العقرب سيِّئ ولم يفِ بسدّ رمقهنّ.

المضيّ قدماً، ثمّ المضيُّ قدماً، فالمضي قدماً دون انقطاع في صحراء لا نهائيّة. رمال، صخور، حصباء ممتدّة، ومن ثمّ رمال من جديد. يتراءى لهنّ في البعيد شكلٌ كرويّ نافر.

بيضة.

ماذا تفعل بيضة وسط الصحراء؟ أهي سراب؟ لا، تبدو البيضة حقيقيّة. تحيط بها الحشرات كأنّها نصب مقدّس وُضِعَ وسط طريقها ليدفعها إلى التأمّل. تتشمّمها. تتعرّف الرقم 5 على الرائحة. إنّها بيضة طائر من الجنوب، بيضة خَرْشَنَة.

الخَرْشَنَة طائر يشبه سنونوة بيضاء، بمنقار أسود وعينين سوداوين. لدى هذا الطائر ميزة: أنثاهُ لا تبيضُ سوى بيضة واحدة وليس لها عشّ. فتضعُ بيضتها في أيّ مكان. في أيّ مكان بالفعل. في معظم الأوقات تضعها على غصن بشكل غير متوازن، على ورقة شجر في قمّة صخرة، دون أن تبحث عن مخبأ في عشّ أو منطقة محميّة على نحو جيّد. لذا لا ينبغي الاستغراب

إذا ما أقبلَ عليها المُفترسون الذين يجدونها لاحقاً، من سحالٍ وطيور وأفاعٍ، بشهيّة كبيرة. وإذا لم ينل منها المفترسون تكفي هبّة ريح خفيفة لتخلَّ توازنها وتسقط. وعندما يفقُسُ فرخٌ محظوظ دون أن يقلب بنفسه قشرته، يظلّ أمامه أن يحذر السقوطَ من أعلى الغصن أو الصخرة. ولكن معظم الأوقات، يُسقِطُ الفرخ بيضته حين يحاول كسرها، وبالتالي، يسقط ويتحطّم. مما يدفع للدهشة بقاء الطائر الأخرق هذا على قيد الحياة إلى أيّامنا.

تطوفُ النمال حولَ هذا الشيء غير المألوف.

هذه المرّة الخرْشَنة التي أحضرتِ البيضة أكثر تسيّباً من المتوسط. إذ وضعتْ وريثها الوحيد والغالي، وسط صحراء، تحت رحمةِ كلّ من هبّ ودب!

لكن من جهة أخرى... الأمر ليس بهذا الغباء، فكّرت الرقم 103. لأنّه إذا وجِدَ مكانٌ غير معرّضة فيه بيضة للسقوط من الأعلى، فهو وسط الصحراء بالفعل.

تندفع الرقم 5 وتنطح برأسها السطح القاسي للقشرة. البيضة تصمد. الفرقة بأكملها تدقّ البيضة، مُحدثةً أصوات حبّات بَرَد قصيرة ومكتومة، ما من نتيجة. يدعو للسخط أن تكونَ قريباً إلى هذا الحدّ من مؤونة طعام وشراب بهذه الوفرة ولا تستطيع تناولها.

تتذكّرُ الرقم 103 وثائقياً علميّاً. يُعالجُ مبدأ الرافعةِ ونفعها في رفعِ أثقل الأوزان. آن أوان وضع هذه المعرفةِ حيّز التطبيق. تقترح إحضار عودٍ يابسٍ ووضعه تحت البيضة. وأن تتقدّم الاثنتا عشرة على الرافعة بشكل تدريجيّ بحيث تشكل عنقوداً يكون بمثابة ثقل مُوازِن.

تطيع الفرقة، تتعلّق في الهواء، وتحرّكُ الأرجلَ لتزيدَ الضغط. الرقم 8، مفتونة بالفكرةِ، تُظهِر نشاطاً أكبر. تنطُّ لتغدو أثقل. يثمرُ جهدها ويفقدُ الجسم البيضويّ الهائل توازنهُ ويبدأ، برج بيزا، بالميلان أكثر إلى أن يسقطَ أخيراً.

مشكلة: انقلبت البيضةُ برخاوةٍ على الرمل الناعم، ولكن لتستقرّ، سليمة، على نحوٍ أفقيّ. لدى الرقم 5 بعض الشكوكِ حول التقنيات الإصبعيّة وتقرّر

العودةَ إلى التطبيقات النمليّة. تُطبق فكّيها بإحكام ممّا يشكّل مثلثاً مستدقّاً وتضعه على القشرة وتديرُ رأسها من اليسار إلى اليمين مثل ريشة مِثقب. القشرة متينة بالفعل: نحو مئة حركة دوران لم تحدث سوى خدشٍ خفيفٍ فاتح. كم من مشقّة هائلة مقابل نتيجة ضئيلة! عند **الأصابع**، تعوّدت الرقم 103 أن ترى الأمور تسير مباشرة وفقدت الصبر والإصرار اللذين تتمتّعن بهما رفيقاتها.

الرقم 5 منهكة. تحلّ الرقم 13 مكانها، ثم الرقم 12، ثم واحدة أخرى. كلّ واحدة بدورها تحوّل رأسها على شكل ريشة مثقب. احتاج الأمر بضع عشرات من الدقائق ليظهر ثقب صغير وينبجس فوران دافئ من الجلاتين الشفّاف. تندفع النملات إلى السائل المغذّي.

مسرورة، الرقم 5 تُمايلُ قرنيها. إنْ كانت تقنيات **الأصابع** مبتكرة جدّاً، فقد أثبتت تقنيات النمل فعّاليتها. تؤجل الرقم 103 الحوار إلى وقت آخر. لديها الآن ما هو أَوْلى. تدسُّ رأسها في الثقب لتمتصّ، هي أيضاً، المادة الصفراء اللذيذة.

لشدة سخونة الأرض وجفافها تتحوّل البيضة الخرشنيّة إلى عجّة بيضاء على الرمل. إلّا أنّ جوع النمال أشدّ من أن تلفتَ انتباههن هذه الظاهرة.

يأكلن، يشربن، ويرقصن داخلَ البيضة.

41. موسوعة

البيضة: بيضة الطائر هي تحفة طبيعيّة. لنتأمّل بداية البنية العجيبة للقشرة. إنّها مكوّنة من بلوّرات مثلثيّة من الأملاح المعدنيّة. أطرافها مستدقّة مصوّبة نحو مركز البيضة. بحيث، إذا ما تعرّضت البلوريّات إلى ضغطٍ من الخارج، تنغرز في بعضها بعضاً، وتتراصّ مما يجعل الجدار أكثر مقاومة. بما يشبه قناطر الكتدرائيّات الرومانيّة، وكلّما اشتدّ الضغط، ازدادت البنية صلابة. في المقابل إذا أتى الضغط من الداخل، تتفرّق المثلّثات وتنهارُ البنية الكلّية بسهولة.

فإذاً، البيضة، من الخارج، لديها من الصلابة ما يجعلها تتحمّل وزن أمّ حاضنة، ولكنّها في ذات الدرجة هشّة من الداخل إلى الحدّ الذي يسمحُ للفرخ بأنْ يكسرَ القشرة ليخرج.

لدى هذه الأخيرة ميزات أخرى. فلكي تنمو مُضغةُ الطائر جيّداً، ينبغي أن يكون موضعها أعلى الصفار دائماً. لكن يحدث أنْ تقلبَ البيضة. ولكن لا ضير: الصفار محصور بحبلين على شكلٍ نابض، مثبتين جانبياً بالغشاء ويعملان كمخفّفي صدمات. دور النابض يلغي أثر تحريك البيضة ويُعيد وضعيّة المُضغة، على شكل غوّاص.

بعد أنْ تُباضَ البيضة، تتعرّضُ إلى تبريدٍ مُفاجئ يؤدي إلى انفصالِ غشاءيها الداخليين وخلقِ جيبٍ هوائي. هذا الأخير سيسمَحُ للصوصِ بأنْ يتنفّسَ لثوانٍ قصيرة ريثما يجِدُ القوّةَ بأنْ يكسرَ القشرة وحتّى أن يُزقزقَ لطلبِ العونِ من أُمّه إذا ما واجهته مصاعب.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

42. لعبة «ارتقاء»

بينما كان الطبيب الشرعيُّ يُعِدُّ لنفسهِ عجّة بالأعشابِ الممتازة في مطبخ معهدِ الطبّ الشرعيّ، قاطعه قرعٌ على الجرس. كان مكسيميليان لينار آتياً ليستفسرَ عن موت غاستون بانسون.

- أتريدُ بعضاً من العجّة؟ عرض عليه الطبيب.

- لا، شكراً، تغذّيت. هل فرغتَ من تشريحِ غاستون؟

التقمَ الرجلُ بسرعةٍ طبقه، وأمرأَهُ بكأسٍ بيرة، ولم يمانع بعدها بارتداء المريول الأبيض لأخذ الشرطيّ إلى المخبر.

أخرج ملفّاً.

كان الخبير قد حلّل بعض مكوّنات دم المتوفّى وقد لاحظ حدوث ردّ فعل تحسّسي عنيف. لاحظ علامة حمراء على عنق الجثّة واستنتج بأن الموت قد حدث جرّاء... لسعة زنبور. حالات الموت جرّاء لسعة زنبور ليست بالحدث النادر.

- يكفي أن يلسع زنبور بالمصادفة وريداً متّصلاً بالقلب مباشرة ليغدو سمّه قاتلاً، أكّد الطبيب الشرعيّ.

فاجأ التفسيرُ الشرطيّ. إذاً ما ظنّه جريمة قتل ليس سوى حادث غابة. لسعة زنبور عاديّة.

لكن يبقى الهرَم. حتّى لو أنّ الأمر مجرّد مُصادفة، ليس من الطبيعيّ الموت بسبب لسعة زنبور عند قدم هرَم مشيّد دون رخصة وسط غابة محميّة.

شكر الشرطيّ الطبيبَ على اجتهادِهِ ومضَى في المدينة، بجبينٍ عقّدهُ التفكير.

– مرحباً سيّدي!

كان ثلاثة شبّان مُقبلينَ نحوه. عرفَ مكسيميليان منهم غونزاغ، ابن أخ المحافظ. كانت تغطّي وجهه ازرقاقات وكدمات، وعلى خدّه أثر عضّة.

– تعاركتَ مع أحد؟ سأل الشرطيّ.

– بإمكانك قول ذلك! هتف غونزاغ. مَرَّغْنا أنفَ ثلّةٍ كاملة من الفوضويّين في التراب.

– ما زلت تهتمّ بالسيّاسة؟

– نحن أعضاء بعصبة الجرذان السود، طليعة حركة شبيبة أقصى اليمين الجديد، وضّح صبيّ آخر وهو يمدّ له منشوراً.

«الغرباء إلى الخارج!»، قرأ الشرطيُّ الذي غمغم:

– فهمت، فهمت.

– مُشكِلتنا، نقصُ السلاح، أفصَحَ الشريكُ الثالث. لو كان لدينا مسدّس مطليّ بالكروم، مثل مسدّسك، سيدي، لكانت الأمور «سياسيّاً» بالنسبة لنا أيسر بكثير.

لاحظ مكسيميليان لينار بأنّ جراب المسدّس كان خارجاً من سترته المفتوحة فأسرع إلى تزريرها.

– أتعلم، ليس المهم المسدس، علّق المفوّض. ليس هو سوى أداة. ما يحسب حسابه، هو الدماغ الذي يتحكّم بعصبِ طرف الإصبع الذي يضغطُ على الزناد. إنّهُ عصب طويل جدّاً...

– ليسَ الأطول، قال أحدُ الثلاثةِ مُقهقهاً.

– حسناً، طاب مساؤكم، ختم الشرطيُّ وهو يفكّر بأنّها لا بدّ «دعابة شبّان».

اعترضه غونزاغ.

- سيدي، كما تعلم، بما يخصّنا، نحن مع الانضباط، أكّد. إذا احتجت يوماً إلى عون، فلا تتردّد، أبلغنا.

وقدّم له بطاقة دسّها مكسيميليان أدباً في جيبِهِ واستأنفَ طريقه.

- مستعدّون دوماً لمدّ يد العون للشرطة، صاح تلميذُ الثانويّة ثانية.

أنهضَ المفوّض كتفيه. تغيّرت الأيّام. في شبابه لم يكن ليسمحَ لنفسِهِ أنْ يعترضَ شُرطيّاً، لشدّةِ ما كانت هذه الوظيفة تُبهره. وها هم الآن شبان، دون أيّ تأهيل، يقدّمون أنفسهم لأخذ أدوار شرطيّين متطوّعين! حثّ خطاه، مُستَعجلاً الوصُولَ إلى زوجته وابنته.

تكتظُّ الشوارعُ الرئيسة في فونتينبلو بالناس المُستغرقة بأشغالها. أمّهات يدفعن عربات أطفال، شحّاذون يتسوّلونَ قطعةَ نقدٍ معدنيّة، أطفال يقفزونَ على ساقٍ واحدة، رجال متعبون يستعجِلُونَ العودةَ إلى منازلهم بعد يوم عِمل. وآخرون يبحثون بين حاويات قُمامةٍ كريهة الرائحة مُتكدّسةً بفعلِ الإضرابات. رائحة العفونة تلك...

أسرَعَ مكسيميليان خطواتِه. حقّاً ينقصُ هذا البلد الانضباط. ينتشر الناس في شتّى الاتّجاهات، دون أيّ تنظيم، ودون أدنى هدفٍ مُشترك.

كما تحتلُّ الأحراجُ الحقول، كانت الفوضى تجتاحُ المدن. خطرَ له بأنَّ مهنته بوصفِهِ شرطيّاً مهنة جميلة بما أنّها تقوم على نزع الأعشاب الضارّة، حماية الأشجار المُعمّرة، تسوية أشجار الغابات العالية على سويّة واحدة. في الحقيقة هي مهنة حدائقيّ. المُحافظَةُ على مساحةٍ حيّة من أجل أن تكون نظيفة وسليمة قدر المُستَطاع.

بعد أنْ وصلَ بيته، أطعَمَ الأسماك ولاحظ بأنّ أُنثى غوبي قد أنجبت وتلاحِقُ صغارها لتلتهمهم. ما من أخلاقٍ في أحواضِ السمك. تأمّل لبرهةٍ النارَ العالية في الموقدة قبل أن تناديهُ زوجته إلى العشاء.

طبق اليوم: رأس خنزير مع صلصة التوابل وسلطة الخس. تناولَ الحديثُ على المائدةِ أحوالَ الطقس غير المُلائم دائماً، الأخبار السيئة دائماً، إلا أنّه أُطريَ على درجات مارغريت الجيّدةِ في المدرسة وروعة طبخ السيّدة لينار.

بعد وجبة العشاء، وبينما انصرفت زوجته إلى وضعِ الأطباق المُتّسخَة في غسّالةِ الصحون، طلبَ مكسيميليان من مارغريت أنْ تشرحَ لهُ قواعد لعبة المعلوماتيّة الغريبة تلك التي أهدتها له في عيد ميلاده: *ارتقاء*. أجابته بأنّ عليها فروضاً مدرسيّة ينبغي إنجازها. لكن من الأسهل، أنْ يُحمّلَ برنامجاً آخر على حاسوبه: *لا أحد*.

لا أحد، وضّحت، برنامج قادر على صفّ جُملٍ كما لو أنّه يُجري حديثاً. تُلقى الجمل بوساطة توليف صوتي وتُبثّ من خلال مكبِّرَي صوت، على جانبي الشاشة. شرحت مارغريت لأبيها كيف يُقلِعُ البرنامج ومضت.

جلس الشرطيّ أمام الحاسوب الذي كان يطنّ. ظهرت عين واسعة على الشاشة.

- اسمي *لا أحد* ولكن بوسعك تسميتي كما تشاء، أعلن الحاسوب من مكبّري الصوت الصغيرين. هل تريد أنْ تُغيّر اسمي؟

مُستمتِعاً، اقتربَ الشرطيُّ من الميكرفون الداخلي.

- سأطلقُ عليكَ اسماً اسكتلنديّاً: ماك يافيل.

- من الآن فصاعداً، اسمي ماك يافيل، أعلنَ الحاسُوب. ماذا تريد منّي؟

رفَّ جفنُ العينِ السيكلوبيّة.

- أنْ تُعلّمني اللعبَ بلعبة *ارتقاء*. هل تعرفها؟

- كلا، ولكن بوسعي أن أَصِلَ نفسي بتعليماتِ استخدامها، أجابت العينُ الواحدة.

بعد أنْ فعّلَ ملفّاتٍ مُختلفة، لقراءة القواعد على الأرجح، انكمشتْ عينُ ماك يافيل وانحسرت إلى أيقونةٍ صغيرة في زاوية الشاشة وأقلعتِ اللعبة.

- ينبغي البدءُ بخلقِ قبيلة.

كان برنامجُ ماك يافيل أكثرُ من طريقة استخدامٍ لبرنامج لعبة *ارتقاء*. كان عوناً حقيقيّاً. أشارَ لهُ أين يضَعُ قبيلتهُ الافتراضيّة، يفضّل بالقربِ من نهرٍ افتراضيّ، لكي تتمتّع بمياهٍ عذبةٍ افتراضيّة. لا ينبغي أن تكونَ القرية قريبة على شاطئ بحر، لتجنّبِ هجماتِ القراصنة. ولا ينبغي أن تكونَ في أماكن مرتفعة لكي تستطيع قوافلُ التجّارِ الوصولَ إليها بسهولة.

أصغى إليه مكسيميليان وسُرعان ما ظهرَت على الشاشة، متجسّدة في منظور وحجم، قرية صغيرة تتصاعد الأدخنة من أسقفها القشّ مباشرة. وشخصيّات صغيرة مرسومة بوضوحٍ راحت تدخلُ وتخرجُ من الأبواب، مُنصرفين على الأرجح عشوائيّاً إلى أشغالٍ عشوائيّة. كان المشهد حقيقيّاً تقريباً.

وأشارَ لهُ ماك يافيل كيفَ ينبّهُ قبيلتهُ إلى فائدةِ رفع الجدران من سياع، وصناعة لبنات من طين وحراب قُسّيت رؤوسها بالنار. بالطبع لم يكن الأمر سوى محاكاة على شاشة ولكن عند كلّ تدخّل من مكسيميليان، تزداد فعّالية القرية المجسّدة على الشاشة، وبدى التبن الذي يتكدَّسُ في الحظائر بمثابة مؤشّر نجاح، وأيضاً الرواد الذين يذهبون ويؤسّسون بلدات صغيرة مجاورة، وأعدادُ السكّان الآخذة بالازدياد.

في هذه اللعبة، يكفي بعد كل خيار سياسي أو عسكريّ، زراعيّ أو صناعي، ضغط زر «مسافة» لتنقضي عشر سنوات. على هذا النحو بوسعه أن يرى مباشرة مفعول قراراته على المدى المتوسّط والطويل. راقب مستوى نجاحه في أعلى شاشته على اليسار عبر جدول يُظهِرُ له عدد السكّان، ثراؤهم، مؤونة طعامهم، اكتشافاتهم العلميّة المكتسبة وأبحاثهم الجارية.

نجح مكسيميليان في إطلاق حضارة صغيرة والتي اختار لها توجّهاً عبر مدّها بنموذج فنّ مصريّ. حتّى أنّه استطاع أن يبني لها أهرامات. على فكرة، هذه اللعبة كانت تُبرهنُ له عن الأهميّة الكامنةِ خلفَ رفع الأنصاب التذكاريّة، الأعمال التي كان يعدّها إلى اليوم هدراً للمال والطاقة. الأنصاب تخلق الهويّة الثقافيّة لشعب. إضافة إلى أنّها تجتذب النخب الثقافيّة للشعوب المجاورة وتضمن تماسك رأي أعضاء مجموعة حول النُّصْب بوصفه رمزاً.

للأسف! لم يصنع مكسيميليان أدوات فخّاريّة، ولم يختزن حبوباً في براميل محكمة. فشهد شعبه إذاً فساد مؤونته الغذائية من قبل حشرات سوس الفاكهة. وبالتالي لم يقوَ جيشه، بالبطون الخاوية، والقوى الخائرة، على مواجهة هجوم الغزاة النوميديّين القادمين من الجنوب. ينبغي بدء كلّ شيء من جديد.

بدأت هذه اللعبة تجتذبه. لم يُدرّس الأطفال في أيّ مكان بأنّ صناعة الفخّار أمر مصيريّ. وبأنّه يمكن لحضارة أن تموت إذا لم تفكّر في وضع

حبوب في ملجأ ضمن جرار مغلقة بإحكام، محميّة من سوس الفاكهة أو سوس الطحين.

جميع «سكّانه» الافتراضيّين، ستمائة ألف، لقوا حتفهم في اللعبة ولكن مستشاره ماك يافيل نوّه له بأنّه لا يحتاج أكثر من الشروع بجولة جديدة للبدء ثانية مع شعب «جديد». ففي *ارتقاء* يحقّ للاعب أن يكون لديه مسوّدات حضارات للتدرّب.

قبل أنْ يضغطَ الزرّ الذي سيبدأ كلّ شيء من جديد، نظَرَ المفوّض في الشاشةِ الصغيرة الملوّنةِ على السهل الشاسِع، مع هرميه المهجورين. وشردت أفكاره.

ليس الهرم مبنى عديم الأهميّة. كان يجسّد شعاراً قويّاً.

يا ترى ما الذي يُخفيهِ ذاكَ الهرمُ في داخله، الحقيقيّ، هرم فونتينبلو؟

43. زُجاجَةُ مُولوتوف

ميناء سلام أخيراً. بعد ألفِ مُنعطفٍ اتّخذتهُ جولي للرجوعِ إلى بيتها، لبثت تقرأُ في موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، على إنارةِ مصباح جيب، وهي مرتاحة نصف مستلقيةٍ تحتَ شرشَفِ سريرها. أرادتْ أن تعرفَ أيّ ثورة بالضبط تلكَ التي يتكلّم عنها إدمون ويلز.

بدتْ لها فِكرةُ الكاتبِ مُشوّشة. فكان أحياناً يتكلّم عن «ثورة» وأحياناً أخرى عن «ارتقاء»، وفي كِلتا الحالتين «بلا عنف» و «متجنّباً الإبهار». يريدُ تغيير العقليّات على نحو لا يلفت النظر، بالسرّ تقريباً.

ذلك كلّه متناقض بعض الشيء. ثمّة صفحات تتناول ثورات ثمّ ينبغي تقليبُ صفحات كثيرة أخرى ليدركَ المرءُ بأنّ أيّاً منها، حتّى اللحظة، لم تنجح. كأنّما حتميٌّ على الثورة أن تفْسدَ أو تفشل.

إلّا أنّ جولي اكتشفت، كما في كلّ مرّة تفتحُ فيها الكتاب، مقاطع جديرة بالاهتمام، ومن بينها، بضعُ وصفاتٍ لإعدادِ زُجاجاتِ مولوتوف. كان يوجدُ منها أنواع عدّة. بعضها يحترق بسُدادة قماشيّة، وأخرى أكثر فعّالية تندلعُ بالأقراصِ التي تُحرِّر، ما إنْ تُكسَر، مركّباتٍ كيميائيّة قابلةٍ للاشتعال.

«أخيراً، نصائح عمليّة للقيام بثورة»، دار في خلَدِها. إذ يُحدّد إدمون ويلز نسبَ مُركّبات المزيج. ولم يعد باقٍ سوى تحضيره.

شعرت ألماً بركبتها المكدومة. رفعت الضّمادَ وتفحّصت الجرح. كانت تشعُرُ بكلّ عظْمةٍ من عظامها، بكلّ عضلة، وبكلّ غضرُوف. لم يحصل يوماً أنْ كانت رُكبتها حاضرةً إلى هذا الحدّ. قالت بصوتٍ عال:

- مرحباً، ركبتي.

وأضافت:

-... العالم القديم مَنْ تسبّب بألمك. سأنتقمُ لك.

ذهبت إلى المرآب، حيث تُحفظ الموادُ هناك وأدوات البستنة. وجدت فيه كلّ ما يلزم لتصنيع قنبلة حارقة. تناولت زجاجة. سكبتْ فيها كلور الصوديوم، ثمّ وقوداً وأضافت المواد الكيميائيّة الضروريّة الأخرى. واستَعمَلت منديلاً حريريّاً سرقتهُ من أُمها بمثابةِ سُدادة، باتت زجاجتها جاهزة.

شدّت جولي على قنبلتها الصغيرة المُصنّعة يدويّاً. ليسَ أكيداً أنْ يصمُدَ حصنُ الثانويّة أمامها إلى النهاية.

44. زمنُ الرّمال

يستبدُّ بهنَّ الإنهاك. مضى زمنٌ طويلٌ على آخر طعام تناولته المُستكشفاتُ وأخذت أعراضُ التجفاف تظهر عليهنّ: تتصلّبُ القرون، تتيبّسُ مفاصلُ الأرجل، وتُغلّفُ طبقةُ غبارِ الكرات العينيّة وما من لُعاب لديهنّ يبدّدنَهُ في غسلها.

تَسألُ النمالُ الثلاثَ عشرةَ برغوثاً[1] عن اتّجاهِ شجرة السنديان الكبيرة. وما إنْ أجابَهُنَّ أكَلْنَهُ. هناك أيام يكون فيها قولُ «شكراً» ترفاً يفوقُ الطاقة. يمصُصْنَ حتّى مفاصِل أرجلِ الحيوان لئلّا يُبدّدن أدنَى قطرة رطوبةٍ منه.

إذا ما توالت الصحراء على هذا المنوال طويلاً، فلسوف يَمُتنَ. يتسلّل إلى الرقم 103 شعورٌ بأنّ تقديم رجل أمام أخرى مشقّة.

1- كهدليّات أو قافزات الذيل، واسمها الشائع (برغوث القطن)، تعيش في التربة الرطبة، ومنها تنتقِلُ بين المزروعات وتقرض أجزاءها الغضّة.

مقابل نصف قطرة ندى مستعدّات لوهب كلّ شيء! إلّا أنّ الحرارة، منذ بضع سنوات، اشتدّت على الكوكب الأرضي. وبات فصل الربيع حارّاً، والصيف قائظاً، والخريف دافئاً وفي الشتاء فقط يُشعَرُ ببعض البرد والرطوبة.

من حسن الحظّ أنهنّ يُجِدْنَ طريقة في المسير تحمي أطراف أرجلهنّ. تقنية نمال مدينة يَدْي-بي-ناكان. التي تتطلّب المشي باستخدام أربعٍ فقط من الأرجل الستّ ثمّ التناوب مع أربع أخرى. على هذا النحو تبقى رجلان باردتان في منأى عن اللهب الطالع من الأرض.

الرقم 103، الدائمة الاهتمام بالأصناف الغريبة، معجبة بالقُرَاد، هذه «حشرات الحشرات»، تستوطن هذه الصحراء مطمئنّةً، في منأى عن مفترسيها. تدفن نفسها في الطقس الملتهب وتخرج حين يبرد. تقرّر النمال تقليدها.

إنّها ضئيلة بالنسبة لنا بقدر ضآلتنا مقارنة ***بالأصابع*** *ومع ذلك تقدّم لنا، في هذه المحنة، مثلاً يُحتذى في البقاء.*

يقدّم هذا الأمر للرقم 103 برهاناً إضافيّاً على وجوب عدم الاستخفاف بالأبعاد الأخرى، سواء الأعلى منها أو الأدنى.

*نحن في الوسط بين القُرَادِ و****الأصابع****.*

يبدأُ الطقسُ بالتحسّن، فتخرجُ النمال من تحتِ غطائها الرمليّ.

يَدْرُجُ خنفس أحمر أمامهنّ. تريد الرقم 15 التسديد عليه إلّا أن الرقم 103 تخبرها بأنّ قتله لن ينفع في شيء. فاللونُ الأحمر للحشرة ليس وليد المصادفة. يجب معرفة أنّ كلّ ما يُظهِرُ، في الطبيعة، ألواناً فاقعةً هو سامّ وخطير.

فالحشرات ليست مخبولةً لتظهرَ أمامَ الجميعِ بالأحمر القرمزيّ من أجل اجتذاب المُفترَسين إليها. وإنْ ظهرت أمامهم على هذا النحو فلكي تحذّرهم جميعاً بعدمِ إثارة المتاعبِ معها.

تزعمُ الرقم 14 بأنّ بعضَ الحشراتِ تجعلُ من نفسها حمراء ليظنّ الآخر بأنّها سامّة فيما هي غير ذلك.

تضيفُ الرقم 7 بأنّها شَهِدتْ تطوّراتٍ موازية ومتكاملة. هناك صنفان من الفراشات لأجنحتهما الزخرفة ذاتها تماماً. جناحا إحداهما سامّان فيما

الأُخريان غير سامَّين. إلّا أنّ الصنفَ غير السامِّ محميّ بقدر الصنف الآخر، إذ إنّ الطيور تتعرّف على زخرفة الأجنحة وتتجنّبها، ظانّة بسمّيتها.

في حضور الشكّ، لا تحبّذُ الرقم 103 المُجازفةَ بتسميمِ النفس.

تدعُ الرقم 15، آسفة، الخنفسَ يمضي. غير أنَّ الرقم 14، الأكثر عناداً منها، تطاردُه وتقتله. تتذوّقه. يظنُّ الجميع بأنّها ستموت، لكن لا. كان اللون مُحاكاةً بالفعل للإيهامِ بسُمّيّته.

يسْتَطْعِمن جميعاً مُتلذّذاتٍ بالحشرةِ الحمراء.

في استئناف النّمال طريقهنّ، يدورُ نقاشٌ حولَ معنى المحاكاة ومعنى الألوان. لماذا ثمّةَ كائناتٌ ملوّنة وأخرى غير ملوّنة؟

وسط القيظ والجفاف، يبدو هذا الحديث ناشزاً حقّاً. تفكّر الرقم 103: لا بدّ بأنّ مردّ ذلك يعود إلى تأثُّرها السيِّئ، إلى جانبها الممسوس جرّاء تواصلها مع **الأصابع**. لكنّها تعترف بأنّ تبادل الحديث، وإنْ هو تفريط بالرطوبة، يخفّفُ مشاقّ الرحلة وأوجاعها.

تروي الرقم 16 بأنّها رأتْ يسروعاً يتّخذُ شكلَ رأسِ طير لإخافة طائرٍ آخر. تقولُ الرقم 9 بأنّها رأتْ ذبابةً تتّخذُ هيئةَ عقرب لتدفعَ عنها عنكبوتاً.

هل فعلتهُ بتحوّلٍ كاملٍ أم جُزئيّ؟ سألت الرقم 14.

هذا حديث شائع بين الحشرات. يستهويها تناول التحوّل. هناك دوماً تفاوت بين الحشرات ذات التحوّل الكامل وذات التحوّل الجزئيّ. ذوات التحوّل الكامل تمرّ بأربع مراحل: بيضة، يرقة، حوريّة، بلوغ. وهذا حال كُلٍّ من الفراشات والنمل والزنابير والنحل وأيضاً البراغيث والدعاسيق. أمّا ذوات التحوّل الجزئي فلا تعرف سوى ثلاث مراحل: بيضة، يرقة، بلوغ. تولدُ على هيئة بالغٍ مُصغّرة ثمّ يخضعون إلى تحوّلات تدريجيّة. وخير مثال على ذلك نجده عند الجراد، أبو مقص، الأَرَضَة وبنات وردان.

غالباً نجهلُ بأنّ هناك بعضاً من الاحتقار يشعر به «المتحوّلون بالكامل» نحو «المتحوّلين جزئيّاً». دوماً ثمّة سوء التفاهم هذا: «بما أنّهم لم يمرّوا في طور الحوريّة» وبالتالي ليسوا «مُخرجينَ من قالب»، ليسوا كاملي التكوين. أطفالٌ يغدونَ أطفالاً مُسنّينَ وليس أطفالاً بالغين.

هي *ذبابة ذات تحوّل كامل*، أجابت الرقم 9، كأنّ الأمرَ بداهةٌ.

تسيرُ الرقم 103 ناظرةً إلى الشّمسِ وهي تتوارى في الأفقِ على مهل داخل غَمْرٍ من الاصفرار والألوان المائلة إلى البرتقالي: أفكار غريبة تأتي إليها، ربّما بسبب ضربة شمس. هل الشمس حيوان ذو تحوّل كامل؟ هل لدى **الأصابع** تحوّلات كلّية؟ لماذا وضعتها الطبيعةُ على صلةٍ بتلك الوحوش، لماذا هي فقط؟ لماذا تحملُ نملة واحدة على كاهلها مسؤولية بهذا الحجم؟

لأوّل مرة، تشعر ببعض الشكوك فيما يخصُّ سعيها. هل مِنْ معنى حقّاً وراء رغبتها بالجنس، بتطوير العالم، بإقامة تحالف يجمعُ **الأصابع** والنمل؟ وإن كان له معنى، فلماذا تسلكُ الطبيعةُ دروباً خطرةً إلى هذا الحدّ لتصل إلى غاياتها؟

45. موسوعة

وعي *بالمستقبل*: ما الذي يميّز الإنسان عن باقي الأصناف الحيوانيّة؟ أيكون مدعاة ذلك الإبهام القابل للتعارض مع باقي أصابع اليد؟ النطق؟ الدماغ المتضخّم؟ الوقوف باستقامة؟ أو ببساطة الوعي بالمستقبل. جميع الحيوانات تعيش في الحاضر والماضي. تتمعّن بما يحدث وتقارنه بخبراتها السابقة. أمّا الإنسان، وحده، يحاولُ التنبؤ بما سوف يحدث. ظهرت على الأرجح هذه القابليّة لتأنيس المُستقبل عندما بدأ الإنسان، في العصر الحجريّ الحديث يهتمّ بالزراعة. عندئذ أقلعَ عن الاعتماد على قطف الثمار والصيد، مصادر الغذاء العشوائية، لترقّب الغلال المُستقبليّة. وكان منطقيّاً منذ تلك اللحظة أن تغدو رؤية المستقبل غير موضوعيّة، وبالتالي تختلف من كائن بشريّ إلى آخر. وبدأ البشر على نحو تلقائيّ يبتكرون لغةً لوصف ذلك المستقبل. ومع الوعي بالمستقبل ولدت اللغة التي ستصفه.

وبينما كان لدى اللغات القديمة القليل من المفردات وقواعد بسيطة لتتكلّم عن المستقبل، نجد اللغات الحديثة لا تلبث تجعل هذه القواعد أكثر دقّة.

ولتعزيزِ الوعود بالمُستقبل، كانَ ينبغي منطقيّاً اختراعُ التكنولوجيا. عندَ هذهِ النّقطة تكمُن بداية التّسَارع.

الله هو الاسمُ الذي أطلقهُ البشر على ما يفلتُ من سيطرتهم من المستقبل. وبما أنّ التكنولوجيا تتيحُ لهم السيطرة على نحو متزايد على هذا المستقبل، يختفي الله تدريجيّاً، ويحلُّ مكانه خبراء الأرصاد الجويّة، والباحثون في المستقبليّات وجميع الذين يظنّونَ أنفسهم، بفضل استخدام الآلات، أنّهم يعلمون كيف سيكون الغد ولماذا الغد على هذا النحو وليس على نحو آخر.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

46. أهميّةُ العَينين

لبث مكسيميليان لينار صامتاً لمدّة طويلة وهو يُعاين الهرم. رسَمهُ ثانيةً على دفترهِ ليفهمَ شكلهُ على نحوٍ أفضل وتباينه وسط تلك الغابة. ثمّ تفحّصَ رسمته بعناية ليتأكّد بأنّها تتوفّر فيها جميع التفاصيل التي يراها أمامه. في مدرسة الشرطة، كان المفوّض لينار يؤكّد بأنّه إذا راقبنا شخصاً أو شيئاً لزمن طويل، سينتهي بنا المطاف إلى استلام آلاف المعلومات الثمينة منه. وذلك يكفي في معظم الحالات لحلّ اللغز برمّته.

كان يُسمّي هذه الظاهرة «متلازمة أريحا»، ولكن عوضاً عن الدوران حول الهدف والنفخ بالأبواق بانتظار أن يُفتحَ من تلقاءِ نفسه، يدور هو حوله راسماً ومراقباً من جميع زواياه.

سبقَ له أنْ استخدمَ التقنيّة ذاتها في اجتِذَابِ زوجته، سنتيا. هذه الأخيرة كانت من اللواتي يتّصفنَ بجمالٍ ملكيّ باهر، ومعتادة على صرفِ كلّ من يطلبُ ودّها.

كان مكسيميليان قد رآها من بعيدٍ في استعراضٍ لعارضات أزياء وكانت الأكثر «سماويّة» وبالتالي محطّ رغبةِ الحضورِ من الرجال. أخذَ يراقبها مطوّلاً. للوهلةِ الأولى، أحرجَتْ تلك النظرة الثابتة والثاقبة الشابّة، ثمّ أثارتْ فضولها. لقد اكتشَفَ، بمجرّدِ النظر إليها، مُختلف المُعطيات التي أتاحتْ له، لاحقاً، وضعَ نفسِهِ على نفسِ موجتها. كانتْ ترتدي قلادةً مُزيّنةً برمزٍ

برجها: حوت. وتضع قرطاً سبّبَ التهاباً في شحمتي أذنيها. ومُضمَّخة بعطرٍ ثقيل.

جلسَ إلى جوارها، على المائدة، وشرعَ بحديثٍ عن علمِ التّنجيم. وقد توسّع بكلامهِ مُتناولاً قوّةَ الرموزِ والتبايناتِ بين الأبراجِ المائيّة والترابية والناريّة. بعد التحفّظ الأوّلي، أبدتْ سنتيا رأيها على نحوٍ طبيعيّ. ثمّ تحادثا عن أقراطِ الأذنين. تكلّم عن مادّةٍ جديدة مضادّة للحساسيّة تسمح بتحمّل خلائطِ معادن الحُلِيّ. ثمّ عرّجَ الحديثُ إلى عطرها، مكياجها، أنظمة الغذَاء، التنزيلات. «في المرحلة الأولى، يجبُ تركُ الآخرِ مُرتاحاً عبرَ اللّعبِ في ملعَبِه».

بعد أن تكلّمَ عن الموضوعاتِ التي كانت تعرفها، تناولَ الأشياء التي تجهلها: الأفلام النادرة، فن الطبخ الأجنبي، طبعاتٌ نادرة من الكتب. استراتيجيتهُ العشقيّة، في المرحلةِ الثانية هذه، بسيطة، تتجلّى عبرَ اللّعبِ على التناقض الذي لاحظَهُ: النساءُ الجميلات يرغبْنَ بأنْ نُكلّمهنّ عن ذكائهنّ، أمّا الذكيّاتُ فيُفضّلنَ مُحادَثتهنَّ عن جمالهنّ.

في الحركةِ الثالثة، أمسكَ إحدى يديها وتمعّنَ بخطوطِ راحةِ كفّها، لم يكنْ يعلمُ شيئاً عن هذا الموضوعِ إطلاقاً غير أنّه قد أسْمعها بما يرغبُ أيّ كائنٍ بشريّ بسماعه: لديها قدرٌ مميّز، ولسوف تعيش قصّة حبٍّ كبيرة، وتهنَأ بالسعادة، وسوف ترزقُ بطفلين: صبيّان.

أخيراً، في المرحلَةِ النهائيّة، ادّعى، ليُحكِمَ قبضتَهُ، الاهتمامَ بأعزِّ صديقاتِ سنتيا، وكان لذلكَ مفعُولٌ فوريٌّ في إيقاظِ غيرتها. وبعد ثلاثة أشهر، كانا متزوّجين.

نظَرَ مكسيميليان إلى الهرم. ربّما الاسْتحواذُ على ذاك المثلّث أكثر مشقّة. اقتربَ منه. لمسَه. داعبَهُ.

شعرَ بأنّهُ سمعَ صوتاً من داخل المبنى. أطبَقَ دفترهُ وألصَقَ أذنهُ على السّطح–المرآة. التقط أصواتاً. ثمّة أناس، دونَ أدنى شكّ، داخل هذا المبنى الغريب. كان يُصيخُ السمعَ حينَ سمعَ دويَّ عيار ناريّ. ارتدّ إلى الخلف، مُتفاجِئاً. الحاسّةُ المُفضّلة لدى الشرطيّ هي البصر، ولا يحبّذُ الوصُولَ إلى نتائجَ عبرَ سمعِهِ فقط. ومع ذلك هو متيقّنٌ بأنَّ دويَّ الطلقة أتى من داخل

الهرم. وضَعَ أذنه مُجدّداً على الجدار، وهذه المرّة، تناهت له صراخات متبوعة بصرير عجلات سيّارة. جلبة. موسيقى كلاسيكيّة. تصفيقات. حمْحَمة خيل. قعقعةُ رشّاش.

47. كالوبتريكس الفرصة الأخيرة

ما عادتِ النّمالُ الثلاث عشرة بقادرةٍ على التحمُّل. صمتَتْ عن بثّ أدنى جملة فيرومونية. إذ يتوجّب التقتيرُ حتّى آخر رطوبة في هذا البخارِ الذي يتيحُ لهنَّ التواصُل.

تميّزُ الرقم 103 بغتةً حركة في السماء الرتيبة. حشرة كالوبتريكس. تلك اليعاسيب الضخام التي يعود وجودها إلى أقدم الأزمنة، هي للنمال بمثابة النوارس للبحَّارِ التائه: تشير إلى الاقتراب من منطقة نباتيّة. تستنهض الجنديّات شجاعتهنّ. يحفِفْنَ عيونهنّ لجعل رؤيتهن أدقّ وليتابعن على نحو أوضحَ مسارات الكالوبتريكس.

ينخَفِضُ اليعسوب، ويكاد يلمسهنَّ بأجنحته الأربعة المُعرَّقَة. تلبثُ النمال في مكانهنّ شاخصات بأبصارهن نحو الحشرة المهيبة. كلّ عرق في أجنحتِهِ يسيلُ فيه دم نابض. اليعسوب ملكُ الطيران حقيقة. قدرته لا تقتصر على الثباتِ بالنسبة للأرض وهو في حالةِ الطيران، وإنّما هو الحشرةُ الوحيدة التي بوسعها، بأجنحتها الأربعة المُستقلّة، الطيران إلى الخلف.

يقتَرِبُ الظلُّ الهائل، يثبتُ، ثمّ يعاودُ الإقلاع مجدّداً، يحوم حولهنّ. يبدو أنّه يريدُ إرشادهنّ نحوَ برّ السلام. طيرانهُ الهادئ يوحي بأنَّ جسمه لا يُعاني أبداً من نقصٍ في الرطوبة.

تتبعُهُ النّمال. يشعرنَ أخيراً ببعضِ البرودةِ تتخلّل المناخ. تموّجاتُ شُعيراتٍ داكنةٍ تظهرُ في قمّةِ تلّة ذات واجهة جرداء. حشائش. حشائش! وحيثُ تتوفّر الحشائش يكمنُ النسغ ما يعني البرودة والرطوبة. لقد نجينَ.

ثلاثَ عشرةَ نملة يركضن نحو ذاك الملاذ. يُتخِمنَ أنفسهنّ بالبراعم وببعض الحشرات التي هي أَضْأَلُ مِن أنْ تُطالبَ بحقّها في البقاء. تعلو الحشائِش بضعةَ أزاهيرِ تتربّعُ على مرأى قرونهنّ النّهمة: ترنجان، نرجس،

زهور الربيع، خزامى، بخور مريم. وهناك أيضاً عنبُ أحراجٍ على شجيراتِ وبيلسان وبقس ونسرين وبندق وزعرور وقرّانية. إنّها الجنّة.

لم يرينَ من قبل منطقة بهذا الترف. أرجاؤها تزخر بالفاكهة والزهور والأعشاب، بالطرائد الصغيرةِ التي تدسُّ أنفها بكلّ شيءٍ وتركضُ أبطأً من رشقة حمض النمليك. الهواءُ الرائعُ مُشبع بغبارِ الطلع، الترابُ منثورٌ بالبذورِ التي تتبرعم. كلّ ما فيها يفيضُ سخاءً.

تتخم النملات أنفسهنّ، يُطفِحنَ مَعِدَهُنّ الهاضمة والاجتماعية. كلّ شيء يبدو لهنّ شهيّاً. لمّا يكون الجوع والعطش على أشدّهما تكتَسِبُ الأطعمة مذاقاً خارقاً. أصغرُ بذرة هندباء مُتشبّعة بشتّى الطُّعُوم، من الحلو إلى المالح وصولاً إلى المرّ. حتّى الندى الذي ترتشفهُ النمال عن مدقّات الزهور، مُتشرّبٌ بمروَحةٍ من النكهاتِ التي لم يُعرنَها بالاً في الماضي.

تمرّرُ الرقم 5، والرقم 6 والرقم 7 إلى بعضهنّ بعضاً أسدِيةَ زهرٍ لمجرّدِ التمتّع بلعقها أو مضغها كعلك. نهاية جذع بسيط هو لهنّ طبقٌ شهيّ. يسبَحْنَ بغبارِ طلعِ أقحوانة، ينتشينَ بهِ ويتقاذفنَ بكُرات صفراء منه كأنّها كراتُ ثلج.

يبثثن فيرومونات جيّاشةً بالبهجة تلذَعُهنَّ عندما يستقبِلْنَها.

يأكلن، يشربن، يغتسلن، ثمّ يأكلنَ مُجدّداً ويشربنَ مُجدّداً ويغتسلنَ مُجدّداً. متهالكات في النهاية، يحفِفْنَ أنفسهنّ بالحشائش ويمكثنَ في المكانِ مُتلذّذاتٍ غبطَةَ أنّهنَّ على قيدِ الحياة.

اجتازت المُحاربات الثلاث عشرة الصحراء البيضاء الشماليّة الواسعة وخرجن منها سالمات. وبعد أن شبِعنَ، يهدأن، يجتمعنَ، ويتَحادثن.

ينْعَمنَ بالهدوء أخيراً، فتُطالِبُ الرقم 10 الرقم 103 بأن تكلّمهنَّ عن **الأصابع** مجدّداً. ربّما تخشى موتَ المُستكشفةِ العجوز قبل أنْ تُفضي إليهنّ بجميعِ أسرارها.

تتحدّثُ الرقم 103 عن اختراع **للأصابع** يُثيرُ الدهشَة: إشارات المرور الضوئيّة. يضعونَ هذه الإشارات على المسارات بهدفِ تجنّبِ عرقَلة السير. عندما يغدو لون الإشارة أخضر، يتقدّم جميع **الأصابع** على المسار. ولمّا تغدو حمراء، يلبثون في أمكنتهم جميعاً كأنّهم ميتون.

تقولُ الرقم 5 أنّه قد يكون في هذا الشيء المُستخدمِ هناك حلٌّ جيّدٌ لوقفِ زحفِ **الأصابع**. إذْ يكفي نشرُ إشارات حمراء في النواحي. لكنّ الرقم 103 تعترض فهناك **أصابع** لا تحترمُ الإشارات. يجتازونها حسب أهوائهم. يلزم العثورُ على حلّ آخر.

والفكاهة، ما هي؟ سألت الرقم 10.

تقبلُ الرقم 103 أنْ تقصَّ عليهنّ دُعابةً إصبعيّة، لكن يتبيّن لها بأنّها لم تفهم أيّ واحدة، فلم تحفظ أيّاً منها. إلّا أنّها تتذكّرُ على نحوٍ مُبهمٍ قصّةً عن أسكيموي على طوفٍ جليديّ، ولكنّها لم تدرك قطّ ما يعني أسكيموي، وبالمناسبة ولا طوف جليديّ.

ومع ذلك. ثمّةَ واحدةٌ بوسعها ربّما أنْ ترويها. دُعابة النملةِ والزّيز.

كان هناك زيز قضى الصيفَ بأكمله يُغنّي ثمّ ذهب ليطلبَ طعاماً من نملة. تجيبُه الأخيرةُ بالنفي، ولا تقبلُ أن تعطيَهُ شيئاً.

عند هذه النقطة من الحكاية لا تدرك النملات الاثنتا عشرة لماذا النملة صابرة إلى اللحظة ولم تلتهم الزيز. تجيب الرقم 103 بأنّ هنا بالضبط تكمن الدعابة، لا شيء يُفهَمُ منها ومع ذلك، تثيرُ تشنّجاتٍ عندَ **الأصابع**. تُطالب الرقم 10 بمعرفة نهاية هذه القصّة الغريبة.

يرحل الزيز ويموت من الجوع.

الاثنتا عشرة استمتعنَ بالحكايةِ مع أنّ النهايةَ أحزنتهنّ. يطرحن أسئلةً في محاولةٍ منهن لفهمِ مغزاها. لماذا يغنّي الزيز طوال الصيف مع أنّ الجميع يعلم بأنّ الزيزان تغنّي فقط لاجتذابِ شريكاتِهم في المُجامَعَةِ ثمّ يصمتون بعد التّزاوج؟ لماذا لا تحاولُ النّملةُ جلبَ جثّة الزيز الميتِ جوعاً وتقطِيعها وصُنعَ هريسةٍ منها؟

يتوقّف الحديث فجأةً. تُحسُّ الفرقةُ الصغيرةُ بالحشائش تهتزُّ، بالبتلات تنقبضُ، بتغيّرٍ يطالُ نكهةَ نُسْغِ شُجيرات توتِ العلّيق. وتلوذُ حيواناتُ الجوارِ بالاختِباء. ثمّةَ نذيرُ خطرٍ يحومُ في الجوّ. ما الذي يحدُث؟ هل هنَّ، نمالُ الغابةِ الثلاثَ عشرة الصهباوات، يُخفنَهم إلى هذا الحدّ؟

أبداً. ثمّةَ تهديدٌ مكتوم يُرعشُ الأغصَان. تطفو رائحةُ ذُعرٍ. وتُظلِمُ السَّماء.

لا يزال الوقت ظهيرةً والطقس حارّ ومع ذلك كأنّ الشمس، مُستسلمةً أمامَ خصمٍ يفُوقها ضخامةً، تلقي بضعةً من أشعتِها وتختَفي.

تنصب النمال الثلاثَ عشرةَ قرونَهنّ. هناك عالياً في السماء، غمامةٌ داكنة تقترب. للوهلة الأولى يعتقدن بأنّ السحائب محمّلةٌ بعاصفة، ولكن هذا غير صحيح. ليس للأمر صلة بمطر أو ريح. تفكّر الرقم 103 بأنَّ أصابعَ طيّارةً، ربّما، تعبرُ المكانَ مُصادفةً؛ هذا أيضاً غيرُ صحيح.

تفهمُ النّمالُ رويداً رويداً، وإنْ كنَّ لا يملكنَ بصراً حادّاً ليرينَ في البعيد ماذا يكونُ هذا الغمامُ الطويل الداكن في الأعلى. يسودُ طنينٌ، وتزكم أجزاءَهنَّ القرنيّة رائحةٌ واخِزة. هذا الغمامُ المُنتشرُ على هيئةِ نُدفٍ في السّماءِ، هو...

الجراد!

غمامَةٌ منَ الجرادِ المُهاجر!

عادةً، يُعدُّ وجودهُ في أوروبا حالَةً استثنائيّةً. إذْ لم يُعرف له إلّا بعض الاجتياحاتِ النادرةِ في إسبانيا وفرنسا، على شاطئ الكوت دازور، لكن منذ أن ارتفعت معدّلات الحرارة، غدتْ حيوانات الجنوبِ تجتازُ نهر اللوار. وزادت الزراعاتُ الأُحاديّةُ من كثافةِ غيُومِهم الخطِرة.

جراد مهاجر! على قدر ما تكون الجرادة التي نُصادِفها بمُفردها حشرة دمثة، وبمنتهى الأناقة، مُهذّبة وطعمها شهيٌّ، تكون وسطَ القطيعِ بمثابةِ أسوأ الآفات.

حين يكونُ ذكرُ الجرادِ بمفرده يتّخذُ لوناً مائلاً إلى الرماديّ وهيئةً شديدةَ التَّواضُع. ولكن ما إنْ يجدَ نفسه مع أقرانه، حتّى يُغيّرَ الصّبغةَ متحولاً إلى اللون الأحمر، ثمّ الورديّ، ثمّ البرتقاليّ، وأخيراً الأصفر. يشيرُ لونُ الزعفران إلى أنّهُ في ذروةِ إثارتهِ الجنسيّة. عندئذ يتخِمُ نفسَهُ بالطعام ويتزاوج مع كلّ أنثى في متناوله. هياجهُ الجنسيّ مبهرٌ على قدرِ هياجه الغذائيّ. ومن أجلِ إشباع الاثنين معاً مُستعدٌّ لتدميرِ كلّ ما يأتي في طريقه.

وهو وحيد، يحيا الجرادُ في الليلِ مُتقافزاً. أمّا وسط الجماعة، يعيشُ في النهار طائراً. الجرادة الوحيدة تُجرجرُ نفسها في الصحاري متأقلمةً مع

الجفاف. أمّا الجراد القطيعيُّ يحتَمِلُ الرّطوبة ويجتاحُ دونَ خوفٍ الأراضي الزراعيّة، والأدغال والغابات.

أيكونُ هذا ظهورٌ جديد لِمَا يدعونَهُ **الأصابع** في تلفزيونهم «سلطة الجماهير»؟ حيث الجموع تُلغي الرّوادِع، وتدمّر الأعراف، وتنالُ من احترامِ حياةِ الآخرين.

تبثُّ الرقم 5 أمراً بالتراجُعِ إلى الوراء، إلّا أنّ الجميعَ يُدرِكُ بأنَّ الأوان قد فات.

تحدّق الرقم 103 في غمامة الموت تقترب.

إنّهم هناك في الأعلى، مليارات معلّقة بين الأرض والسماء، وبعد بضعِ ثوان، سينزلونَ الأرض. تنصُبُ البيلوكانيّات الثلاث عشرة قروناً فضوليّة ومذعورة.

تلتفُّ السحابةُ الداكنة في السماء كأنّها تريدُ مُسبقاً أن تُميتَ بالذعرِ كلّ ما ينبض تحتها. تحمل التيّارات الهوائيّة هذه الكتلة على هيئة دوّامات شبيهة بشريط موبيوس. تتمنّى بعض المُستكشفات بقوّة شديدة أن تكونَ مُخطئةً، دون أنْ تُؤمن بذلك حقّاً، وأنْ يكونَ الأمر مجرّد سحابة غبار، غبار شديد الكثافة.

تتمدّدُ السحابةُ الداكنةُ مشكّلةً رموزاً غامضة، تُنذِرُ بالخرَاب.

في الأسفل، لبثَت جميعُهنَّ دونَ حراك. جميعهنَّ ينتظرنَ. ينتظرنَ، ولا سيّما الرقم 103، صاحِبةُ الخبرة الكبيرة، بأنْ تجِدَ حلّاً مبتكراً.

ليسَ لدى الرقم 103 حلّ. تتفقّدُ ذخيرَةَ حَمْضِ النّمليك، في بطنِها، وتتساءل عن عدد الجراد الذي يمكن لهذه الكميّة أنْ تُسقِطَه.

تهبط الغمامة على مهل، مُدوّمةً. تُسمَع باطّرادٍ متزايدٍ طقطقةُ أعدادٍ لا تُحصَى من الفكوكِ النهمة. تتقوّسُ الأعشاب مُدركةً بالغريزةِ أنَّ حتفها على يدِ هذا الجرادِ الشّره.

تلاحِظُ الرقم 103 أنَّ السماء لا تلبث تتلبّد. تتحلّق الثلاث عشرة في دائرة، بطونهنَّ مُصوّبة، ومُتأهباتٍ للرمي.

يهبِطُ أوائلُ الجرادِ على الأرض، يهبِطُون مثلّ مظلّيي جيش جويّ هائل أتوا يستطلعون، عبر وثباتٍ خرقاء. ثمّ لا يلبثون أنْ ينتصبوا على أرجلهم ويشرعونَ بالتهامِ كلّ ما هو حيّ في الجوار.

يأكلون ويجامعون.

لا تكادُ أُنثى جرادٍ تصلُ الأرضَ حتّى يتبعها ذكرٌ للمُجامعة. وما تكادُ تنتهي المُجامعة حتّى تبدأ الإناثُ تبيض على الأرض، بخصُوبةٍ مُدهشةٍ ومُفزِعة. السلاحُ الأكثر فتكاً لدى الجراد هو براعتهُ في نثرِ بيوضِهِ بكثافة.

أَقوى من رشقَةِ حمضِ النمليك، وأرْعبُ من النهاياتِ الورديّةِ للأصابع: العضو الجنسيُّ للجراد!

48. موسوعة

تعريف الإنسان: هل يُمكن اعتبار جنين بعمرِ الستّة أَشهر، مع جميعِ أعضائِه النامية، إنساناً؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، فهل يُمكن اعتبارهُ بعمرِ الثلاثةِ أشهر إنساناً؟ هل تعدُّ بويضةٌ مُلقحة للتوّ إنساناً؟

ألا يزال بوسعنا اعتبارُ مريضٍ في حالة غيبوبة لم يستعِدْ وعيَهُ منذ ستّةِ أعوام، لكنَّ قلبَه يخفق ورئتاه تتنفّسان، إنساناً؟

هل دماغٌ حيّ لإنسان، منفصل في سائل مُغذٍّ، هو إنسان؟

هل يجدرُ بنا أنْ نُسمّي حاسوباً باستطاعتهِ إعادةُ إنتاجِ جميع آليّات تفكيرِ دماغ إنسان، كائناً بشريّاً؟

هل روبوت شكله الخارجي شبيه بالإنسان ومزوّد بدماغٍ شبيه بدماغِ الإنسان كائنٌ بشريّ؟

هل بشريٌّ مُستَنْسَخ، أُوجِدَ جرّاءَ التحويرِ الجينيّ ليُشكّل احتياطيّاً من الأعضاء تسُدُّ احتياجاً مُحتملاً لأخيه التوأم، يُمكنُ اعتِبارهُ كائناً بشريّاً؟

الأمر ليس بهذه السهولة. في العصر القديم وحتّى العصور الوسطى، لم تُعتبَر النساءُ والغرباءُ والأرقّاء بشراً. المُشرّع، عادةً، هو الوحيد الذي يُفترَضُ به معرفة من يُصنّف «كائناً بشريّاً» ومن لا يُصنّف كذلك. ينبغي أن يلزم أيضاً،

بالإضافةِ إليه، علماءَ أحياءٍ، فلاسفة، أخصّائيِّ معلوماتيّة، علماءَ جينات، رجالَ دين، شعراء، فيزيائيّين. إذ سيصبح، في الحقيقة، تعريفُ مفهومِ «الكائن البشريّ» أصعبَ على نحوٍ متزايد.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

49. انتقال إلى الروك

أمامَ بابِ السنديان الكبير والمنيع للمدخل الخلفيّ المسقُوف للمدرسة الثانويّة، أنزلت جولي حقيبة الظهر عن كاهلها. وأخرجتْ زُجاجةَ المُولوتوف التي أعدَّتها. ضغطَت عجلَةَ ولّاعتها التي قدَحَت شراراً ولكن بلا شُعلَة: حجر الزند مُستَهلك. بحثَتْ في فوضى حقيبتها ووجدت أخيراً علبة ثِقَاب. لا شيء سيمنعها، هذه المرّة، من أن تُلقي زجاجة المولوتوف على الباب. حكّت عود الثقاب وتأمّلت التوهج البرتقاليّ الصغير الذي سوف يُشعِلُ كلّ شيء.

- آه! أتيت، جولي؟

بحركةٍ تلقائيّةٍ أخفَتْ قُنبلتها الحارقة. من هذا المُنغّص الجديد الذي يحولُ دونَ أن تُلهِبَ النار؟ التفتت إلى الخلف. إنّه دافيد ثانيةً.

- قرّرت أخيراً الحضُورَ لسماعِ فرقتنا المُوسيقيّة؟ سألَ مدفُوعاً بنبوءةٍ غامِضَة.



تقدّم آذنُ المدرسة، متوجّساً، نحوهما.

- تماماً، أجابتْ وهي تُخفي زجاجتها جيّداً.

- اتبَعيني إذاً.

أوصَلَ دافيد جولي إلى القاعة الصغيرة تحتَ الكافيتريا حيثُ يُمارسُ الأقزام السَّبعة أنشطتهم. بعضهم كانوا مُنكبّينَ على دوزنةِ آلاتهم.

- انظروا، لدينا زيارة... نبّهتْ فرنسين.

القاعة صغيرة. لا تتسع سوى لمنصّةٍ تتبعثرُ عليها الآلات الموسيقيّة. وتغطّي جدرانها صور فرقتهم في إحياء أعياد ميلاد أو حفلات راقصة.

أوصدَ جيوونغ البابَ ليضمنَ ألّا يُزعِجهم أحد.

- خفنا ألّا تأتي، سخرَ نرسيس، مُوجّهاً كلامه إلى جولي.

- أردتُ فقط أنْ أراكُم وأنتم تعزفُون، هذا كلّ ما في الأمر.

- لا عملَ لكِ هنا. لسنا بحاجةٍ لسيّاح! صاحتْ زويه. نحن فرقةُ روك، من يأتي إلينا إمّا أنْ يُشاركنا أو يرحَل.

مُجرّد إحساسِ الفتاة ذاتِ العينين الرماديتين الفاتحتين بأنّها مرفوضةٌ ولّدَ في داخلها رغبةً في البقاء.

- كم أنتم محظُوظون، بأنْ يكون لكم حيّز خاصّ في الثانويّة، تنهّدت.

- كنّا بحاجةٍ ماسّة له مِنْ أجل البروفات، فسّرَ لها دافيد. وفي هذا الخصُوص، أبدَى المديرُ تعاوناً كبيراً.

- ذلك في مصلحته ليبرهن أنّه ينمّي، في ثانويّته، نشاطات ثقافيّة، أردف بول.

- يعتقدُ تلامذةُ الصفّ بأنّ الأمر لا يتعدّى رغبتكم بإنشَاءِ زُمرةٍ مُستقلّة، قالت جولي.

- نعلم، قالت فرنسين. وهذا لا يُزعجنا. لنعيشَ سُعداء، علينا التواري عن الأنظَار.

رفعت زويه رأسها.

- ألم تفهمي؟ أصرّت. نحن نُجري بروفات ويناسبنا البقاء بمفردنا. لا عملَ لكِ هنا.

بما أنّ جولي لم تتزحزَح من مكانها، تدخّل جي وونغ بدماثة، وسألها:

- أتجيدين العزفَ على آلة؟

- لا. لكنّي أخذتُ دروساً في الغناء.

- وماذا تُغنّين؟

- لديّ صوت سوبرانو. وأغني كلاسيكي ولا سيّما ألحان بُرسيل، رافيل، شوبرت، فوريه، ساتي... وأنتم ما نوع الموسيقى التي تعزفونها؟

- الروك.

- روك فقط، هذا لم يعد يعني شيئاً. أيّ نوع من الروك؟

استلَمَ بول الكلام:

- مصادرنا هي فرقة جينيسيس في مرحلتها الأولى التي تضمُّ ألبومات: Nursery Cryme، *Foxtrot* ،*The Lamb Lies Downon Broadway*، وصولاً إلى A Trick of the Tail... وأعمال فرقة Yes بكاملها، مع تفضيل لألبومي *Close to the Edge* و*Tormato*... وجميع أعمال فرقة بينك فلويد مع الأفضليّة، هنا، لألبومات *I Wish You Were Here*، *Animals*، و*The Wall*.

هزّت جولي رأسها بوصفها خبيرة.

- آه حسناً! تعزفون الروك بروغريسيف المُنتمي لعقدِ السبعينيّات والذي طواه الزمن!

لم تلقَ ملاحظتها صدى طيّباً. كان من الواضح أنّ هذه الموسيقى هي مصدَرُ إلهامهم. استدرَكَ دافيد:

- تقولين بأنّكِ تعلّمتِ الغناء، فلماذا لا تُجرّبين الغناءَ معنا؟

هزّت شعرها الداكن.

- لا، شكراً. صوتي مجروح. أُجريت لي عمليّة عُقيدَات وقد نصحني الطبيب بألّا أقسو على أوتاري الصوتيّة.

نظرت إليهم واحداً واحداً. في الحقيقة، كان لديها رغبة عارمة بأن تُغنّي معهم والجميعُ شعرَ بذلك. لكنّها لفرط ما هي معتادة على نُطق: لا، غدَتْ ترفضُ أيَّ اقتراح تلقائيّاً.

- إنْ لم يكن لديكِ رغبة في الغناء، فلن نُؤخّرك، كرّرت زويه.

لم يترك دافيد المُشاحنةَ تتطوّر.

- بإمكاننا أنْ نُجرّبَ مقطوعة بلوز[1] قديمة. البلوز، يقع بين الموسيقى الكلاسيكيّة والروك بروغريسيف. وأنت ارتجلي الكلمات التي تريدينها. ولستِ مُضطرّةً لأن تَقسي على صوتك. بوسعكِ أنْ تُدندِني فقط.

1- نوع من أغاني زنوج أمريكا تتصف بالبطء والحزن. عرفت انتشاراً واسعاً نحو 1911.

نالَ الاقتراحُ تأييدَ الجميع، باستثناء زويه التي ظلّت على ريبتها. أشارَ جي وونغ إلى الميكروفون وسطَ القاعة.

- لا تقلقي، قالت فرنسين. نحن أيضاً تأسّسنا كلاسيكيّاً. لقد أمضيتُ خمسة أعوام أتدرّب على البيانو، ولكن لفرط ما كان أستاذي محافظاً سرعان ما استهواني الانتقال إلى الجاز ومن ثمّ إلى الروك لمُجرّد إغاظته.

اتّخذَ كلّ فردٍ في الفرقة مكانه. دنا بول من طاولةِ الهندسة الصوتيّة وعايرَ مقاييس شدّة الصوت.

افتتحَ جي وونغ اللّحن بإيقاع بسيط ثنائي. عزّزته زويه بنغمة متكرّرة حيويّة من آلة الباص. ونقر نرسيس علامات البلوز المعتادة: مي ثماني مرّات، لا أربع مرّات ومن ثمّ مي أربع مرات، سي مرتان، لا مرّتان، مي مرّتان. أعادها دافيد بالقيثارة الكهربائيّة على شكل توقيعاتٍ نغميّة، وكذلك فرنسين على آلة الأورغ الخاصّة بها. تجهّزَ المناخُ الموسيقيّ، ولم يعد ينقصُ سوى الصوت.

تناولت جولي على مهل الميكروفون. لبرهةٍ بدا لها أنّ الزمنَ توقّف ثمّ انفرجت شَفَتاها، وارتخَى فكّاها، انفتحَ فمُها وغاصَت.

على لحن البلوز ذاك غنّت أوّل كلماتٍ خطرتْ في ذهنها.

فأرةٌ خضراء، تعْدُو بينَ العُشبِ...

بدا لها صوتها للوهلة الأولى كأنّه غائم؛ في المقطع الثاني، أصدَرَتْ أوتارها الصوتيّة، وقد انتعشت، صوتاً أقوى. فاقَ صوتُ جولي جميع الآلات الموسيقية واحدة تلو الأخرى دون أن يحتاج بول للمسِ مفتاحٍ من لوحِ جهاز الهندسة الصوتيّة. ما عاد يُسمَعُ الغيتار، ولا القيثارة، ولا الأورغ، صوتُ جولي كانَ طاغياً وحده يتردّد في الغرفة الصغيرة مع درامز جي وونغ، في الخلفيّة.

وستحصلون على حلَزون سا/////خن

أطبَقَت جفنيها وصدَحَت بنغمةٍ صافية.

//////////////.

حاولَ بول أنْ يُعايرَ مُكبّر الصوت ولكن لا شيء يحتاجُ إلى تكبير. إذْ تجاوزَ الصوتُ منطقةَ استطاعة الميكروفون.

توقّفت جولي.

- القاعَةُ صغيرة. لا أحتاجُ جهازَ هندسَةِ الصّوت.

أطلقتْ نغمة، وبالفعل، ردّدت الجدران صداها. جي وونغ ودافيد في حالة انبهار، نشّزت فرنسين بالعلامات الموسيقيّة، أخذ بول يتفحّص، منذهلاً، مؤشرات المرَاقم لديه. إذْ انتشر صوت جولي في القاعة، مالئاً الفضاء بأكمله وتسرّب عبر القنوات السمعيّة مثل جدول ماء عذب.

ساد صمت طويل. ابتعدت فرنسين عن لوحة مفاتيحها وكانت أوّل من صفّق، ثمّ سرعان ما جاراها الأقزام السبعة جميعهم.

- بالطبع هو مختلف عمّا نقدّمه عادةً، غير أنّه جدير بالاهتمام، علّق نرسيس جادّاً للمرة الأولى.

- نجحت في فحص الدخول، أعلن دافيد. إنْ شئتِ بوسعك البقاء معنا والانتماء إلى فرقتنا.

حتّى تلك اللحظة، لم تكن جولي قد عملتْ جدّياً مع غير أستاذها، إلّا أنّها راغبة في محاولة العمل ضمنَ فرقة.

أعادوا التجربة وغنّوا سويّة مقطوعة أكثر تماسكاً: «*The Great Gig in the Sky*» لفرقة بينك فلويد. تمكّنت جولي أن ترفع صوتها أعلى فأعلى حتّى أقاصيه، وأن تُحدثَ تأثيرات صوتيّة مهيبة. لم تصدّق نفسها. لقد استيقظت حنجرتها وعادت أوتارها الصوتيّة.

«مرحباً *أوتاري الصوتيّة*»، حيّتها في سرّها.

سألها الأقزام السبعة كيفَ تعلّمت السيطرةَ على صوتها بهذا الاقتدار.

- إنّه فنّ. يحتاجُ إلى الكثيرِ من التدرّب. كان لديّ أستاذُ غناءٍ رائع. علّمني أن أتحكّم باقتدارٍ في قوّة صوتي. كان يُجلسني في غُرفٍ مُغلقةٍ حيث كانَ عليّ، وسطَ الظلمة، أنْ أُصدِرَ أصواتاً تتيح لي تحديد حجم القاعة ومن ثم إشغالها بالصوت، مع الحرص أن أوقف الصوت قبل الجدار تماماً لئلّا يرتدّ الصدى. كان يجعلني أيضاً أغنّي برأسٍ مُطأطئ أو تحتَ الماء.

روتْ جولي بأنّ يانكلفيتش، معلّمها، كان يجعلُ تلامذتَهُ تعمل على

شكلِ مجموعة مُحاولين تشكيل «إغريغور[1]»، ما يعني أن يغنّي الجميع إلى أن يصلوا إلى الطبقة ذاتها، كما لو أنّهم جميعاً فم واحد.

اقترحَتْ جولي على الأقزام السبعةِ أنْ يُعيدوا معها تلكَ المُحاولة. أصدرتْ نغمةً مُحدّدة؛ حاول الآخرون ما بوسعهم اللحاق بها والوصول إليها. لم تكن النتيجة مُرْضية كثيراً.

- على أيّة حال، بما يخصّنا، قبلنا بك، وضّح جي وونغ. فإن شئت، ستكونين من الآن مُغنّيتنا المُعتَمدة.

- إنَّ الأمرَ...

- كفاكِ دلالاً، همست لها زويه في أذنها. فهذا سيُسْئِمنا في النهاية.

- حسناً... أوافق.

- أحسنتِ! صاح دافيد.

هنّأها الجميع، وقدّم لها دافيد كلّ عضوٍ بدوره.

- الأسمر الطويل ذو العينين الآسيويتين على الدرامز جي وونغ. ويمكن أن يمثّل في تصوّر الأقزام السبعة شخصيّة الفهيم. هو العقل. يظلّ غير متأثّر حتّى في أحلك الظروف. وإذا ما احتجت شيئاً، لا تتردّدي في طلب نصحه.

- أنتَ القائد؟

- لا قائدَ بيننا! صاحَ دافيد. نحنُ نُطبّق الديموقراطيّة المُدارَة ذاتيّاً.

- وما الذي تعنيه «الديموقراطيّة المُدارَة ذاتيّاً» هذه؟

- أي أنْ يفعلَ كلّ فرد ما يريده ما دام فعله لا يُزعج الآخرين.

ابتعدتْ جولي عن الميكروفون وجلست على دكّة صغيرة.

- وهل تنجحون في ذلك؟

- نحنُ ملتحمونَ بموسيقانا. نجبرُ حين نعزف معاً على دوزنة آلاتنا. إنّنا نُشكّلُ فرقة روك حقيقيّة، وأظنُّ أنّ في هذا يكمنُ سرّ تفاهمنا الجيّد.

1- مفهوم يحدّد روح المجموعة المتأثّرة بالرغبات المشتركة لعدد من الأفراد المتّحدين في هدف محدّد جيّداً، وتتغذّى هذه القوّة من أعضائها عبر طقوس ثابتة ومحدّدة.

- وفوق ذلك عددنا ليس كبيراً. ولا يصعبُ ممارسة الديموقراطيّة المُدارَة ذاتيّاً بسبعة أفراد، أشارت زويه.

- هذه، زويه، تعزفُ على آلةِ الباص، وهي تُقابلُ شخصيّةَ الغضبان، أقصِدُ الغضبانة...

أظهرتِ الفتاةُ البدينةُ ذاتُ الشعر القصيرِ تكشيرةَ استياء احتجاجاً على الإعلانِ بلقبها.

- زويه، بداية تتذمّر ثم تناقش، فسّر جي وونغ.

استأنف دافيد:

- بول على جهاز الهندسة الصوتيّة، شخصيّة البسيط التي تخصّنا. بدين. دائم الخشية من ارتكاب حماقة ويرتكبها بالفعل. كلّ ما يقع في متناول يده وله شبه بالطعام، يضعه في فمه ليتذوّقه. يعتبرُ أنَّ باللّسانِ يُمكنُ معرفة العالمِ المُحيطِ بنا على نحوٍ أفضَل.

أظهَرَ المدعو بول عبوساً.

- ليوبولد، عازفُ المزمار، هو المُقابل لشخصيّةِ الخجول. يقال إنّه حفيد أحد زعماء هنود النافاخو، ولكن بما أنّه أشقر وأزرق العينين، يصعُبُ تصديقُ ذلك.

بذل ليوبولد جهداً للمُحافظة على الملامح غير المتأثّرة التي يتّصف بها أجداده.

- هو مهتمّ بالمنازل على الأخصّ. أول ما تتسنّى له لحظة فراغ، يرسم منزله المثالي.

يتواصَلُ التعريف.

- فرنسين، عازفة الأورغ، المقابل لشخصيّةِ النعسَان. تظلُّ سارِحةً بخيالِها. تكرّس وقتاً طويلاً للألعاب المعلوماتيّة، وعيناها محمرّتان على الدوام بسبب ذلك.

الشابّة الشقراء صاحبة الشعر متوسّط الطول تبسّمت، ثم أشعلت سيجارة ماريخوانا ونفثت حلقة واسعة زرقاء من الدخان.

– على الغيتار الكهربائي، نرسيس، الفرحان الخاص بزمرتنا. يبدو للنظرة الأولى صبيّاً صغيراً عاقلاً ولكن، سُرعان ما ستكتشفين، أنّهُ مستعدّ دوماً ليسخرَ أو ليثبطَ العزيمة. يهزأُ من كلّ شيء. كما ترين، غندور، دائم التأنّق بملبسه. في الواقع، يصنعهُ بيدِه.

الصبيّ المتخنّث أرسل غمزة إلى جولي واستأنف التعريف:

– أخيراً، دافيد على القيثارة الكهربائيّة، ندعوه العَطّاس. دائم القلق، ربّما بسبب مرض عظامه. مشغول البال على الدوام، مصاب بجنون الارتياب تقريباً، ورغم ذلك يسعنا تحمُّلُه.

– الآن فهمت لماذا ندعوكم بالأقزام السبعة، قالت جولي.

– «قزم» من كلمة gnome، الآتية من الأصل اليونانيّ *gnōmē*، وتعني «المعرفة»، استأنف دافيد. كلٌّ منّا يُفضّل مجالاً يخصّه وبهذه الطريقة نُكمّل بعضنا بعضاً على أكمل وجه. وأنتِ، منْ أنتِ؟

تردّدت:

– أنا... أنا، إنّي بياض الثلج بالطبع.

– بوصفك بياض الثلج تبدين بالأحرى قاتمة، علّق نرسيس، مُشيراً إلى ملابسِ الفتاة السوداء.

– في واقع الأمر إنّي في حداد، فسّرت جولي. فقدتُ أبي مؤخّراً جرّاء حادث. كان مدير الدائرة القانونيّة للمياه والأحراج.

– وخارج الحداد؟

– خارج الحداد... ألبس الأسودَ أيضاً، اعترفت بنبرةٍ متمرّدة.

– وهل تنتظرين مثل بياض الثلج في الحكاية أن يوقظك الأمير الوسيم بقبلة؟ سأل بول.

– أنتَ تخلط بينها وبين الأميرة النائمة في الغابة، أجابت جولي.

– بول، ارتكبتَ حماقة إضافيّة، أعلن نرسيس.

– ليس أكيداً. في جميع القصص ثمّة فتاة نائمة تنتظر حبيبها أن يوقظها...

– أنرجع للغناء قليلاً؟ اقترحت جولي، التي عادت تستعذِبُ الغناء.

اختاروا عدّة مقطوعات يتدرّج أداؤها صعوبة. «*And You And I*» لفرقة Yes، ثمّ «*The Wall*» لفرقة بينك فلويد، وأخيراً «*Super's Ready*» لفرقة جينيسيس. استغرقتِ المقطوعَةُ الأخيرةُ هذه عشرين دقيقة وأتاحت لكلّ واحد أنْ يُظهِرَ نفسهُ على نحوٍ مُنفرد.

لفرط ما غدت جولي متحكّمةً في غنائها نجحت في إحداثِ تأثيرات قيّمة على كلٍّ من المقطوعات الثلاث بالرغم من تباين أساليبها.

أخيراً، قرّروا بأنّ موعد الرجوع إلى البيت قد حان.

– لقد تشاجرتُ مع أمّي ولا رغبة لي بالرجوع إلى منزل العائلة هذا المساء، هل بوسعِ أحدكم أن يستضيفني الليلة عنده؟ سألت جولي.

– دافيد وزويه وليوبولد وجي وونغ تلامذة سكن داخليّ وينامون في الثانويّة. غير أنّ فرنسين ونرسيس وأنا، سكن خارجي. وبوسعنا استضافتكِ كلٌّ بدوره إنْ احتجتِ لذلك. بوسعكِ أنْ تبيتي الليلةَ عندي، اقترحَ بول، لدينا غرفةُ أصدقاء.

لم يبدُ أنّ الفكرة حظيت بحماسة جولي. فهمت فرنسين بأنّ لا رغبة لديها في المبيت عند شابّ فعرضَتْ عليها النوم في شقتها. وهذه المرّة، أومأت جولي بالموافقة.

50. موسوعة

حركة *الأحرف الصوتيّة:* تخلو بعضُ اللغاتِ القديمةِ مثلَ المصريّة والعبريّة والفينيقيّة من الأحرفِ الصوتيّة، وتقتصرُ أحرفها على الأحرفِ السّاكنة. الأحرفُ الصوتيّة تمثّل الصوت. ولكن عندما نُجسِّدُ الكلمة خطيّاً، فإنّنا نُكسبها صوتاً، ونشحنها بقوّةٍ كبيرة، فتدبُّ الحياة في أوصالها.

يقولُ المثل: «إنْ استطعتَ كتابةَ كلمةِ خِزانة بدقّة، ستسقُط قطعةُ الأثاثِ على رأسك»

لدى الصينيّين الرأي عينهُ. ففي القرن السابع بعد الميلاد، أرسلَ الإمبراطور وراء وو داوزي، أكبر رسّامي عصره، وطلبَ منهُ أن يرسمَ لهُ تنيناً عظيماً. قام الفنان برسمه كاملاً باستثناء العينين. فسأله الإمبراطور: «لماذا

نسيت العينين؟». أجابه وو داوزي: «لأنني لو رسمت العينين، سيطير». أصرّ الإمبراطور، فامتثل الرسّام ورسم العينين وتزعم الحكاية بأنّ التنين حقاً طار.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث**

51. مبعوثو الغيوم

منذُ بضعِ دقائقَ خلت والرقم 103 وصديقاتها يُقاتلنَ الجراد بكلّ ما أوتينَ من عزيمة. جيبُ البطنِ الحمضيّ نفَدَ تقريباً. وليسَ من خيارٍ أمامَ النملة العجوز سوى أنْ تضربَ بالفكّ، وهذا يزيد القتال مشقّة.

لا يُبدي الجرادُ مقاومةً حقيقيّة. حتّى أنّهم لا يقاتلون. أعدادهمُ الغفيرة هي ما يُشكّل التهديدَ إذ إنّهم يهطلون بلا انقطاع من السماوات على شكلِ وابلٍ مشؤومٍ من الأرجل والفكوكِ الشَّرِهَة.

ما منْ بُرْهة لالتقاطِ الأنفاس وسطَ هذا المطرِ الرتيب.

الأرضُ مفروشة بحشراتٍ على مدّ النظر، وعلى عدّة طبقات، ربّما ستّة سُمُوكٍ أو سبعة من الجرَادِ المُهاجر. تطلِقُ الرقم 103 فكّيها في الحشودِ يقطعان، ويقطعان، ويقطعان الأجساد مثل حصّادة. هي لم تُفلح في اجتيازِ جميع تلك العقبات لكي تستسلمَ أمام صنفٍ لا يتعدّى ذكاؤهُ القدرةَ على إنجابِ كمياتٍ كبيرة من الصغار.

تتذكّر أنّه عندما يحدثُ فائض سكّانيّ بشري عند **الأصابع**، تبتلعُ الإناثُ هرمونات، يسمّونها أقراصاً، ليصبحنَ أقلّ خصُوبة. ربّما هذا ما ينبغي فعله: إزقامُ هذا الجرادِ المُجتاح بأقراص منع حمل. أين الجدارةُ في إنجابِ عشرين صغيراً في مكان لا نحتاج فيه إلّا لواحدٍ أو اثنين؟ ما النفعُ من أن نبيضَ شعباً غفيراً ونحنُ نعلم علمَ اليقين بأننا لن نستطيع علاجهُ ولا تربيته، وبأنّه لن يستطيع أن يترعرع إلّا عالةً على الأصنافِ الأخرى؟

ترفُضُ الرقم 103 الخضوعَ إلى دكتاتوريّةِ البيّاضات المسْعُورةِ هذه. تتطايرُ أشلاء الجرادِ من حولها. ويتشنّجُ فكّاها لفرط ما قتلت.

يثقبُ شعاعٌ من الشمسِ فجأةً الغيمةَ الداكنة ويُضِيءُ شجيرةَ أويسةِ

العنب. إنّها علامة. تُسارع الرقم 103 بتسلّقها برفقةِ شريكاتها. وليمنحن أنفسهن القوة والشجاعة من جديد يُزقِمنَ أنفسهنّ بالثمراتِ التي تنفجر مثل بالوناتٍ كحليّة، بفعل أطراف فكوكهن المدبّبة مثل سكاكين.

الهروب هو الحلّ.

تحاول الرقم 103 استعادة رباطة جأشها. ترفع قرنيها نحو السماء. ما عادت الأرض سوى فوران من الأجنحة الغمدية ولكن، هناك في الأعلى، انقطعَ مطرُ الجراد وعادتِ الشمسُ للظهور. ولتبثَّ في نفسها الشجاعة، تترنّمُ بالأغنيةِ البيلوكانيّة القديمة:

أدخلي أيّتها الشّمسُ هياكلنا المجوّفه
حرّكي عضلاتنا المُتوجّعة
ووحّدي شَتات أفكارِنا المتفرّقة.

النمالُ الثلاث عشرة مُعلّقاتٌ على أطرافِ الغصونِ العالية لشُجيرةِ أويسة العنب وموجةُ الجرادِ تزحفُ نحوهنّ. إنهنّ أشبهُ بإبرة وسطَ بحرٍ من الظهورِ المُتماوجة.

52. عند فرنسين

الطّابقُ السّابع. مُتعِبٌ بلا مِصعد. تلتقطان أنفاسهما عندَ العتبة. الوصولُ يولّد شعوراً بالارتياح. تشعرانِ هناك في الأعلى بأنّهما في منأى عن مخاطِرِ الشارع الزاحفة.

إنّه الطابقُ ما قبل الأخير، ومع ذلك كانت تصل إليهِ روائحُ عفنِ القمامة المتروكة من عمّال النظافة المُضْربين. فتّشتِ الشّابةُ الشقراء ذات الشعر المتوسّط الطول عن المفاتيحِ في قعرِ جيبٍ كبيرٍ تستعملُهُ بمثابة حقيبة، وبعد أنْ بحثت مُطوّلاً في أكداسِ أغراضٍ متنوّعة وصغيرة، أخرجتْ منهُ بظَفَرِ حلقة ثقيلة من المفاتيح.

فتحتْ أقفالَ بابها الأربعة ثمّ وجّهت ضربةَ كتفٍ قويّة «انتفخَ الخشَبُ بسببِ الرطوبة وباتَ البابُ يعلَق».

لم يكنْ هناك، في منزلِ فرنسين، غير الحواسيبِ ومنْفضَاتِ السجائر. وما كانت تدعوه بزهوٍ «شقّتها» لم يكن في الواقع يتعدّى استديو ضيّقاً. تسريب ماء قديم عند جيرانها في الأعلى بقّع السقف ببقعة يرشحُ منها الماء. إنّها القاعدة في العمارات: الجيران في الأعلى دائماً يتركون حوضَ استحمامهم يطوف. الجيران في الأسفل يسدّون مسارب القمامة بأكياس فضلات ضخمة.

كان ورق الجدران بنّياً. لا يبدو أنّ فرنسين تُخصّصُ وقتاً طويلاً لعملِ المنزل. إذْ يتراكمُ الغبار في أرجاء الشقّة كافّة. قيّمتْ جولي الوضعَ على العموم بأنّهُ مُثيرٌ للكآبة.

- تصرّفي كأنّك في بيتك، ارتاحي، قالت فرنسين مشيرةً إلى كرسيّ مُتهالك، عُثر عليه غالباً في مكبّ للأثاث القديم.

لمّا جلست جولي لاحظت فرنسين قيحاً يسيلُ من رُكبتِها.

- هذه هي الجروح التي سبّبها لك الجرذان السود؟

- لا أتألّم ولكن كأنّي أحسُّ بكلّ عظمة من عظامي في الداخل. كيف أفسّر لك؟ كأنّي أعي وجود ركبتيّ. أحسّ برضفتَيّ ومفصلَيّ، بكلّ هذا النظام المُعقّد الذي يتيحُ للعظمتين أنْ تعملا سويّة.

تفحّصت فرنسين الجرحَ والمنطقةَ المزرقّة حوله وتساءلت إذا ما كانت جولي مازوشيّة إلى حدّ ما. بدا بأنَّ جرحها يروقُ لها إذْ ينبّهها إلى وجودِ ركبتها...

- أخبريني، أيّ صنفٍ تتعاطين؟ سألت فرنسين. أتدخنين الماريخوانا؟ على أيّة حال سأعالجُ جرحك. لا بدّ أن لديَّ بعضاً من القطنِ واليود في مكان ما.

مستخدمةً المقصّ، قصّت فرنسين بدايةً تنورةَ جولي الطويلةَ المُلتصقة على الجرح وكشفَتِ الفتاة ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين، بلا عنفٍ هذه المرّة، عن ساقيها.

- تلِفَتْ تنورتي تماماً!

- أفضل، أجابتِ الأخرى وهي تُعالِجها. على ذلك، سنرى ساقيكِ أخيراً. هما جميلتان بالمناسبة. أوّل تنازل للأنوثة إظهارهما، وأيضاً، سيجفُّ جرحك بسرعة.

أشعلت فرنسين لاحقاً سيجارة قنّب هنديّ ومدّتها إليها:

- سأرشدكِ كيفَ تهربينَ بمخيّلتك. قد لا أعرفُ الكثير من الأشياء إلّا أنّي تعلّمت العيش في أكثر من حقيقةٍ موازية، وصدّقيني، يا عزيزتي، من الرائع أن نمتلكَ الخيار. في الحياة، كلّ شيء يخذلك إلّا إذا استطعت التنقّل بين أكثر من حقيقة، عندئذ تغدو الحياةُ محتملة.

اتّجهت نحوَ حواسيبها. تحوّلت الغرفة حين أشعلَت شاشاتها إلى مقصورةِ طائرة فوق صوتيّة. أخذتِ الأضواءُ تومض، والأقراصُ الصلبة تهدر ما يبرّرُ التغافلَ عن بؤس الجدران.

- لديك مجموعة رائعة من الحواسيب، علّقتْ جولي بإعجاب.

- بلى، كلّ اهتمامي ومدّخراتي تذهب في هذه الغاية. الألعاب هي شغفي. أديرُ مقطوعة قديمةً لفرقة جينيسيس لتشكّلَ موسيقى خلفيّة، وأشعلُ لُفافةَ حشيش صغيرة وأتسلّى بابتكار عوالم خياليّة. لعبتي المفضّلة حالياً هي *ارتقاء*. بوسعك مع هذا البرنامج إعادة تشكيل حضارات وإرسالها لمحاربة بعضها بعضاً. وأن تنمّي لها، في الوقت عينه، حرفاً يدويّة، زراعة، صناعة، تجارة أي كلّ شيء! ما يجعل مرور الوقت ممتعاً، ويمنحكِ شعوراً بأنّك تبنينَ تاريخ البشرية ثانية. هل ترغبين بأن تجرّبي؟

- لِمَ لا؟

شرحتْ لها فرنسين كيفَ تُؤسّس الثقافات، وتقودُ التطوّر التكنولوجي، وتُديرُ الحروب، وتشقُّ الطرق، وترسل مستكشفين إلى البحار، وتبرمُ معاهدات دبلوماسيّة مع حضارات مجاورة، وتُطلِقُ قوافل التجّار، وتجنّد الجواسيس، وتنظّم الانتخابات، وتتوقّع الآثار السلبيّة، والنتائج على المدى القصير والطويل والمتوسّط.

- ليس بالعمل الهيّن، أن يكون المرء إلهاً لشعب، ولو في عالم خياليّ، أكّدت فرنسين. حين أستغرق في هذه اللعبة، يبدو لي أنّني أكثر استيعاباً

لتاريخنا القديم وأستشرف مستقبلنا المُحتَمل. مثلاً، أثناء لعبي بذلك فهمت أنّه من الضروريّ، في التطوّر لشعب ما، وجودُ مرحلةٍ أولى من الاستبداد، وإذا أردنا القفز فوق هذه المرحلة لخلق حالة ديموقراطيّة مباشرة، سيعود الاستبداد لاحقاً. الأمر أشبه بعلبة السرعة في السيّارة، ينبغي التدرّج بالسرعات من الأولى إلى الثانية فالثالثة. أمّا إذا أردنا الإقلاع من السرعة الثالثة، فالسيّارة ستنطفئ. وعلى هذا أؤهِلُ حضاراتي بمرحلة طويلة من الاستبداد، يتبعها مرحلة ملكيّة، ثمّ أخيراً، حين يغدو الشعب مسؤولاً، أُفلِتُ له اللّجام ليتطلّع إلى الديموقراطيّة. وسيكون عندها ممتنّاً. غير أنّ الدولة الديموقراطية مفرطة الهشاشة... سوف تلاحظين ذلك أثناء اللعب.

بدت فرنسين قد وصَلَت، لكثرة ما أقامت في العوالم الخياليّة لجولات *ارتقاء*، إلى تحليل عالمها الخاص.

- ألا تعتقدين، أنّنا نحن أيضاً، لدينا لاعبٌ عملاق يتلاعبُ بنا؟ سألت جولي.

انفجرت فرنسين بالضحك.

- تقصدين أن تقولي إلهاً؟ بلى، ربّما. على الأرجح. المشكلة أنّ الله، إذا هو موجود، فقد ترك لنا حرية الإرادة. وعوضَ أن يدلّنا على ما ينبغي أن نسلكه من أفعال جيّدة أو سيّئة، كما أفعلُ مع شعبي في *ارتقاء*، يترك لنا أن نكتشفه بأنفسنا. وهو برأيي إلهٌ غير مسؤول.

- ربّما يفعل ذلك عن غاية. لأنّ الله ترك لنا حرية الإرادة فقد منحنا هذا الحقّ الأسمى بأن نرتكب حماقات، وحماقات هائلة حتّى دون أن يتدخّل.

بدتِ المُلاحظةُ أنّها أعطَتْ فرنسين مادةً غنيّةً للتفكير.

- لديك حقّ. ربّما ترك لنا حريّة الإرادة بداعي الفضول، ليرى ما الذي سنصنعه بها، أجابت ساهمة.

- ولنفترضْ أنّهُ تركَ لنا حريّتنا التامّة لأنّهُ ما من جاذبيةٍ له في رؤيةِ حشود من الرعايا المطيعين وعلى وتيرة واحدة في كلّ النواحي بلُطفِهم وخضُوعِهم؟ ربّما لأنّ الله يُحبّنا منحنا هذه الحرية الهائلة. حريّة الإرادة الكاملة، إنّها أكبر دلالة حبّ من إله إلى شعبه.

- من المؤسف، في هذه الحالة، ألّا نحبّ أنفسنا بما يكفي لنتمتّع بهذه الحريّة بذكاء، ختمَتْ فرنسين.

إلى اللحظة الراهنة، كانت تحبّذُ أنْ تدلَّ رعاياها على السبلِ التي ينبغي أنْ يسلِكُوها. رقنَتْ على الحاسُوبِ لتأمرَ شعبها بأن ينطلق في بحوثٍ زراعيّةٍ لتحسين إنتاجِ الحبوب.

- بما يخصّني، أساعدُهم على القيام بمُكتشفات. أعطتنا التكنولوجيا المعلُوماتيّة أخيراً الحقَّ في جنونِ العظمةِ الكامل وغير المؤذي. إنّني إلهةٌ مُرشِدة.

لعبتا معاً لساعة بمراقبة وقيادة شعب افتراضيّ. فركت جولي عينيها. عادةً، كل رفّة جفن تضع طبقة رقيقة تبلغُ 7 ميكرون من الدموع كلّ خمس ثوان لترطيب وتنظيف وتليين القرنية. ولكن البقاء لمدة طويلة أمام الشاشة يجفّف عينيها، فآثرت أن تشيح ببصرها عن العالم الافتراضي.

- بوصفي إلهة فتيّة، قالت جولي، أطلب التوقّف. ففي المحصّلة مراقبة عالم ما تُسبّبُ وجعاً للعينين. أنا متأكّدة أنّه حتّى إلهنا لا يبقى أربعاً وعشرينَ ساعة على أربعٍ وعشرين يتمعّن في كوكبنا، أو لديهِ نظّارات جيّدة.

أطفأَت فرنسين الحاسُوب وفركَت جفنيها.

- وأنتِ، جولي، ألديكِ شغف بشيء عدا الغناء؟

- أنا، لديَّ شيء أفضلُ بكثيرٍ من حواسيبك. يسعُ في الجيب، ووزنه أقلّ من هذا بمئةِ مرّة، يقدّمُ شاشةَ رؤية واسعة جدّاً، يتمتّع باستقلاليّة غير محدودة، وما إن نفتحه حتّى يعمل مباشرة، وينطوي على ملايين المعلومات ولا يعطَلُ أبداً.

- حاسوب خارق؟ أثرتِ اهتمامي، قالت وهي تُنقّطُ قطرةَ العين في قرنيّتها.

ابتسمت جولي.

- قلتُ «أفضل من حواسيبك». فضلاً عن أنّه لا يُوجِعُ العينين.

ولوّحت بالمجلّد السميك *لموسوعة العلم النسبيّ والمطلق*.

– كتاب؟ استغربت فرنسين.

– إنّه ليس أيّ كتاب. اكتشفته في غورِ نفق داخل الغابة. عنوانه موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، كتبه شيخ حكيم دار العالم على الأرجح ليجمع بين دفّتيه جميع معارف زمنه عن جميع البلدان، وكلّ العصور، وفي جميع المجالات.

– تبالغين.

– حسناً. أعترف أنّي لا أعلم شيئاً عن مؤلّفه، ولكن اطّلعي عليه وستُفاجَئينَ حقّاً.

ناولته لها وتصفّحتاه سويّةً.

عثرت فرنسين على مقطع يؤكّد أن تكنولوجيا المعلوماتيّة وسيلة لتحويل العالم ولكن، لتنجح هذه الوسيلة، ينبغي امتلاك حاسوب ذي مقدرة هائلة. الحواسيب من الطراز المتداول ليسَ لها غير قدرات محدودة لأنّها تخضع لتراتبيّة هرميّة. مثل النظام الملكيّ، مُعالجٌ دقيق يقودُ مكوّناتٍ إلكترونيّة تُحيط به. لذا يتوجّب خلق ديموقراطيّة في داخل شرائح الحواسيب نفسها.

وبدلَ مُعالجٍ دقيق مركزي، كان الأستاذ إدمون ويلز يقترحُ استخدامَ عدّة مُعَالجات دقيقةٍ صغيرة تعملُ في آن معاً، وتستشيرُ بعضها على نحوٍ مُستمر، ويأخذُ كلّ واحدٍ القرار بدوره. كان يُسمّي الآلة التي يتمنّاها «حاسوب ذو هندسة ديموقراطيّة».

استُثيرَ اهتمامُ فرنسين، وأخذتْ تتفحَّصُ المُخطّطات.

– آلةُ المُستقبل هذه، إذا كانت كما تدّعي حقّاً، فستُحيلُ جميع الحواسيب الموجودةِ إلى المتحف. الشّخصُ الذي تتكلّمين عنهُ لديه أفكار مثيرة. يصف هنا نموذج حاسوب جديد مزوّد ليس بعقل أو أربعة عقول تعمل بالتوازي، بل بخمسمائة تعمل معاً. أتتخيّلين إمكانيّة آلة كهذه؟

فهمت فرنسين بأنَّ *الموسوعةَ* لم تكن كتابَ حِكم فحسب وإنّما كتاباً مُتّصلاً مع الحياةِ مُباشرة، يقترحُ حلولاً عمليّة بالكامل يُمكنُ تطبيقها.

– جميعُ الحواسيبِ التي تُصنَّعُ إلى الآن بهندسةٍ متوازية فقط. لكن مع الآلةِ التي تصِفُها موسوعتك، «الهندسة الديموقراطيّة» هذه، ستشهدُ البرامجُ جميعها زيادةً في المقدرةِ تصلُ خمسمائةَ ضعف!

نظرت الفتاتان إلى بعضهما. تواطؤ متين نشأ بينهما للتوّ. في تلك اللحظة، ودون أن تتكلّما، عرفت كلتاهما أنّ بوسع الواحدة منهما الاعتماد على الأخرى دائماً. شعرت جولي بأنّ وحدتها أقلّ. ودونما سبب انفجرتا ضاحكتين.

53. موسوعة

وصفة المايونيز: يصعُبُ جدّاً مزجُ مواد مُختلفة. ومع ذلك، هناك مادة تبرهن على أنّ مزج مادّتين مختلفتين يُنتِجُ مادّة ثالثة تُرقّيهما: المايونيز. كيفَ يُحضّر المايونيز؟ يوضعُ صَفار بيضة وبعض الخردل داخل وعاء ويُخفقان على شكل كريمة بملعقة خشبيّة. يُضافُ الزيتُ بشكل تدريجيّ وبكمّيات صغيرة إلى أن يغدو المُستحلَب مُتماسكاً. يُضافُ إلى المايونيز المنتفج الملح والفلفل و2 سنتيلتر من الخلّ. الأمر الهام: وضعُ درجة الحرارة في الاعتبار. السرُّ الكبيرُ للمايونيز: أن تكونَ درجةُ حرارة البيضة والزيت واحدة. الدرجة المثاليّة: 15°. وستتكفّل فقاعات الهواء الصغيرة التي أُدخلت أثناء عملية الخفق في مزج عنصري المركّب. 1 + 1 = 3.

إذا فشلَ المايونيز، يمكنُ أنْ نُصلحهُ بملعقةٍ صغيرةٍ من الخرْدَل نضيفها ببطء، تدريجيّاً، أثناءَ التحريك، إلى مزيج الزيت والبيض الذي لم يذب جيّداً في الوعاء. يجدر الانتباه: يكمنُ السرّ برمّته في التدرّج.

ناهيك عن المادّة الغذائيّة، تقنية المايونيز هي أساسُ السرّ المشهور لرسمِ الزيت الفلامنديّ. الأخوين فان إيك هما من خطَرَ لهما في القرن الخامس عشر فكرة استخدام هذا النوع من المُستحلَبِ للحصول على ألوان ذات كثافة ممتازة. ولكن لم يعدْ يُستخدم في الرسم مزيج الماء والزيت وصَفار البيض، وإنّما مزيج الماء والزيت وبياض البيض.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

54. الزيارة الثالثة

أخرجَ المُفوّضُ مكسيميليان لينار من جِرابِه جهازَ الكشفِ الذي تزوّدَ به

من أجل زيارتهِ الثالثة للهرم. وما إنْ وصلَ عند قدمِ البناء، سحَبَ منه مُكبّرَ صوتٍ مصغّراً. ألصَقَهُ على الجدار وأنْصَت.

ما زالَ يُسمَعُ في الداخلِ دويٌّ انفجارات، ضَحِكات، سوناتة قصيرةٌ على البيانو، تَصْفيق.

أرهفَ السمع أكثر. هناك أشخاص يتكلّمون.

-...يف يمكن بستّةِ أعواد ثقابٍ تشكيلَ ليس أربعةَ مثلّثات متساوية الأضلاع بذاتِ الحجم، ولا ستَّة، وإنّما ثمانية، ودون لصقِ العيدان، أو ثنيها، أو كسرها؟

- هل بوسعكَ أنْ تُعطيني جملة مُساعَدة جديدة؟

- بالطبع. أنتِ تعرفينَ مبدأ لُعبتنا. لديك الحقُّ بأنْ تأتي لعدّةِ أيّام مُتتالية، وفي كلّ مرّة، نزوّدكِ بعنصُرٍ مُساعدة. عبارةُ اليوم هي التالي: «للعثور... يكفي التفكير».

تعرّفَ مكسيميليان على لغز عيدان الثقاب الستّة الذي يطرحُهُ الآن برنامج «فخّ للتفكير». مصْدَرُ جميع هذه الأصوات إذاً تلفزيون مُشْتَغل!

الذي، أو التي، أو الذين هم في داخل هذا الهرم الخالي من بابٍ أو نافذةٍ يُشاهدون التلفزيون ليس إلّا. خمّنَ الشرطيُّ عدّة احتمالات. المُرجّح بينها، أنّ ناسكاً أغلقَ الجُدران على نفسه في هذا المكان ليُمضي بقيّةَ أيّامِهِ أمامَ التلفزيون دون إزعاجٍ من أحد. وعلى الأغلب أعدَّ لنفسه مؤونة طعام، أو ربّما يكون محقوناً بمَصْلٍ، وقد بقي هناك، أمام شاشته، رافعاً الصّوتَ إلى أقصَاه.

- «بأيّ عالمِ مجانين نحيا»، فكّر المُفوّض. لا شكَّ بأنّ التلفزيون يتّخذ شيئاً فشيئاً أهميةً متزايدة في حياةِ الناس، الهوائيّات تتكاثرُ في جميعِ الأرجاء فوقَ الأسطح، ولكن أنْ يصلَ الأمرُ إلى حدّ أنْ يُقفل المرء فيه على نفسه في سجنٍ مجرّد من باب أو نافذة حتّى من أجل مشاهدتهِ دون إزعاج... أيّ كائن بشريّ وصَلَ به الجنونُ إلى درجةٍ تدفَعُه أن يختارَ طريقةَ انتحارٍ كهذه؟

كوّر مكسيميليان لينار كفّيه على شكلِ بوقٍ وألصقَ نفسَهُ بالجدار.

- «أيّاً تكن»، أصدَرَ أمراً، «أنتَ تعلمُ بأنّهُ لا يُسمَحُ لك البقاءُ هنا، هذا الهرمُ مبنيٌّ في محميّة، يمنَعُ فيها البناء».

همدتِ الجلَبةُ مباشرة. انقطعَ الصوت. واختفتِ التصفيقاتُ والضحكات وأزيز بندقيّة الرشاش. ما عادَ هناكَ «فخّ للتفكير». وأيضاً، ما مِنْ جواب.

عادَ المُفوّضُ وكرَّرَ نداءه:

- الشرطة! أُخرجْ! إنّه أمر!

سُمِعَ صوت مكتوم، كأنَّ بوّابة صغيرة فُتِحتْ في مكان ما. أخرجَ مُسدَّسه، تحسّباً، فتّشَ في الجوار، ودار حولَ الهرمِ ثانيةً.

ملمسُ معدنِ المقْبَض في يدِهِ أعطاهُ إحساساً بأنَّ لا شيءَ يُمكن أنْ يقفَ في وجهه. إلّا أنّ المسدّس لم يكن ذا نفع: فقد أعاقهُ، إذْ جعلَهُ أقلّ حيطة. فلمْ يلحظْ مكسيميليان الطنينَ الخفيضَ وراءه.

بززز... بززز...

ولم ينتبه أيضاً إلى اللّسعَةِ الصغيرةِ في عُنقه، بعدَ الطنينِ بجزءٍ من الثانية.

خطا ثلاثَ خطواتٍ ثمَّ فغرَ واسعاً فمه، دونَ أنْ يقدِرَ على إصدارِ صوت. اتّسعت حدقتا عينيه. تهالك على ركبتيه، أفلَتَ سلاحهُ، ومُطأطئ الرأس، طُرِحَ أرضاً.

قبلَ أنْ يُغلقَ عينيه رأى شَمسَين، الحقيقيّة والأخرى المُنعكِسةُ على مرآةِ الجدار. لم يقوَ على رفعِ ثقلِ جفنيه اللذين انسدَلا مثل ستَارةِ مسرحٍ سميكة.

55. إنّهم ملايين

لم يكفَّ منسُوبُ بحرِ الجرادِ عن الارتفاع.

حالاً، حالاً، ينبغي إيجادُ فكرة. حينَ تكونُ نملةً ينبغي عليكَ دوماً إيجادُ أفكارٍ مُبتكرة للبقاءِ حيّاً. تجتمعُ النملات الثلاث عشرة، وهنّ مُتشبّثاتٌ في نهايات أغصانِ شُجيرةِ أويسَةِ العنب، ويوصِلنَ قرونهنّ. عقلهنّ الجمعيّ منشَطِرٌ بين الذعرِ وشهوةِ القتل. بعضهنّ قد أذعنَّ إلى فكرةِ الموت. ولكن ليست الرقم 103. ربّما لديها حلّ: السّرعة.

تُشكّلُ دروعُ الجرادِ في الأسفل سجّادةً مُتقطّعة، فلماذا لا يُعتمدُ عليها عبرَ الجري فوقها بالسّرعةِ المطلوبة؟ لقد رأت المُحاربةُ العجوزُ أثناءَ

عبورها النهر حشرات تركضُ على السطح دونَ أنْ تغوصَ إلى القاع، بمُجرّد المُسارعةِ بأخذ خطوةٍ جديدةٍ كلّما كادَتْ أن تغرق.

تبدو الفكرةُ شديدة الغرابة، فما من وجهِ شبهٍ بين ظهورِ الجراد وسطح الماء. ولكن بما أنّ لا أحد لديه اقتراح آخر وبما أنّ الشجيرة الصغيرة ترزح تحتَ هجمات الجراد، يُتَّخذُ قرارٌ بمُحاولةِ أقصى ما يستطعن.

تُلقي الرقم 103 بنفسها أوّلاً. لفرطِ المهارة التي تندَفعُ بها على ظهورِ الجراد، لا يتسنّى لهم الوقت لفهم ما يجري. على أيّة حال، هم شديدو الانشِغالِ بالأكلِ والتكاثر إلى درجةٍ لا يولون معها انتباهاً كبيراً إلى هذا الحضورِ العابرِ فوقَ ظهورهم.

تتبعها الاثنتا عشرة الأصغرُ سناً مُتعرّجاتٍ بين القرونِ والأفخاذِ المثنيّة التي تنبو عن الظهور. في برهةٍ تزلُقُ الرقم 103 على هيكلٍ يتحرّك فتلتَقطها الرقم 5 في اللحظة الأخيرة من الياقة الضيّقةِ للجزء الصلب من صدرها. تعدُو البيلوكانيات بأقصى جهدهنَّ إلّا أنّ المسَافةَ طويلة.

ظهورُ الجراد على مدّ النظر، ولا شيءَ غير ظهورِ الجراد. بحيرة، بحر، محيط من ظهورِ الجراد.

تجري النمالُ الصّهباواتُ مُسرعاتٍ فوقَ الحشُود، عبرَ ارتجاجاتٍ كثيرة. تذوي الشجيرات حولهن تحتَ وقعِ فكوكِ الجراد. المزيدُ من شجيراتِ البندق والكشمشِ تتبدَّدُ تحت وقعِ المطر الحيّ اللاذع.

أخيراً، تميّزُ الفرقةُ النمليّة ظِلّاً مُطَمئِناً تُرخيهِ أشجار سامقة. إنّها بمثابةِ أبراج حصينةٍ ومَنيعة يصعُبُ قضمها. هنا أوقفَت النباتاتُ الجبّارة هذه تمدّد الجراد. قليل من الجهد بعد وتصل النمال إليها.

تمَّ الأمر! وصلَت المُستكشفات إليها. وصلنَ إلى غصنٍ طويل مُنخفض وسارعنَ بتسلّقه.

نَجيْنَ!

يعودُ العالَمُ إلى طبيعته مؤقّتاً. كم هو شعور جميل وضع الرجْل مُجدّداً على غصن ثابت بعد الإبحار زمناً في بحر رمال الصحراء والبحر المتحرّك لظهور الجراد!

يُطَمئِنُ بعضهنَّ بعضاً عبر تبادل المُداعبات والطعام. يقتلنَ جرادةً مُنفردةً ويأكلنَها. تقيّم الرقم 12 الحالةَ، بمعونة أعضائها الحسّاسة للحقول المغناطيسيّة، وتُحدّدُ اتّجاهَ السنديانة الكبيرة. تستأنِفُ الفرقةُ مباشرةً مسيرها. ولتجنّبِ الأرض حيثُ لا يزالُ مدُّ الجراد يُغطّي الجذور، تمضي النمالُ في المُرتفعات، مُتنقّلاتٍ مِنْ غصنٍ إلى غُصْن.

أخيراً تنتَصِبُ أمامهنَّ شجرة هائلة. إذا كانتِ الأشجارُ الباسقة أبراجاً محصّنة، فإنّ السنديانة الكبيرة بلا ريب هي الأثخَنُ والأعلى من تلك الأبراج المُحصّنة. جذعها لفرط ثخانته يبدو مُسطّحاً. وأغصانها لفرط علوّها تحجِبُ السماء.

تطأ النّمالُ الثلاث عشرة الموكيتَ السميكَ من المُخْمل المصنُوع من قبل مُستعمرة أُشْنات تُغطّي الوجه الشماليّ للسنديانة الهائلة.

المُتعارفُ عليه بينَ النمال أنَّ عمر السنديانة الهائلة هذه اثنا عشرَ ألف سنة. هو عمر مديد. غير أنّ هذه الشجرة مميّزة بالفعل. إذ إنّ كلّ نقطةٍ من لحائها، من أوراقها، من زهورها، من ثمارها، تنطوي على حياة. تُصادِفُ البيلوكانيات، في الأسفل، مروحَةً من شتّى أنواع الحيوانات السنديانيّة المحلّية، منها حشراتُ السّوسِ اللفّاف التي تصنَعُ بخطومها المدبّبَة نُقَراً في ثمراتِ البلوط لتضَعَ فيها بيوضاً لا تتجاوز بضعة ميليمترات، وبينما ذرَاريح ذات أجنحة مغمّدة معدنيّة تتذوّق غُصينات لا تزال غضّة، تحفر يرقات خنفساء السنديان طريلة القرن أروقةً في الجزء المركزيّ من اللحاء. أساريع قياسيّة تزدادُ بدانةً داخل أوراقٍ ملفُوفةٍ على شكل أبواق كان أهلها قد أوثقوها على شكلِ حُزَم.

إلى أبعد قليلاً، نجِدُ أساريع السنديانة الفتّالة الخضراء مُعلّقة في نهاية خيطٍ في الهواء لتصلَ الغصُون السُّفلى.

تقطَعُ النمال لها خيطَ التسلّق ويأكلنها ببساطة. لمّا يتدلّى الطعام من الأغصَانِ ما من سببٍ للتعفّف عنه. والشّجرة لو بوسعها النّطقُ، لقالت: شكراً.

تقول الرقم 103 في سرّها: إنَّ النمالَ في الحدّ الأدنى يتحمّلن مسؤوليّتهنَّ بوصفهنَّ مُفترسات. يقتلنَ ويأكلنَ جميع أصناف الطرائد دونَ أنْ يعتريهنّ

إحساسٌ بالذنب. أمّا **الأصابع**، فيريدون نسيانَ مكانهم ضمنَ الدائرة البيئيّة. لا يستطيعونَ أكلَ الحيوانِ الذي يرونَهُ يُقتل. وبالمناسبة، لا يرغبون إلّا بالأَطعمَةِ التي لا تُذكّرهم بالحيوانِ الذي أتت منه. وبالتالي تأتي كلُّها مُقطَّعة، مفرُومة، ملوَّنة، مُمتزجَةً حتّى لا تُميَّز. يريدُ **الأصابعُ** تبرِئَةَ أنفسهم من كلّ شيء، حتّى من جريمةِ قتلهم للدواب التي يأكلُونَها.

لكنَّ اللحظة ليست للتفكير. تنتَظِم، أمامهنَّ، ثمار فطر على شكل أنصافِ دوائر مثل درجاتِ سلّم حول الجذع. تلتقطُ النمالُ أنفاسَهنَّ ويصعَدْن.

ترى الرقم 103 إشارات محفورة على اللحاء: «ريتشارد يحبُّ ليز»، العبارة مكتوبة داخل قلب مثقوب بسهم. تجهل الرقم 103 فكّ أحرف الكتابة الإصبعيّة، غير أنّها تُدرك بأنّ عنف السكين يؤلم الشجرة. السهم لا يُثير نشيج القلب المُتخيّل، إلّا أنّ الخدشَ يجعلُ الشجرةَ تذرفُ دمعة من راتنج برتقاليّ.

تلتفُّ الفرقة متفادية عشَّ عناكب اجتماعية. أجساد شبحيّة معلّقة فيه، بلا رأس أو أعضاء، غارقة في غابةِ حريرٍ أبيض. تصعَدُ البيلوكانيات أعلى في البرج السندياني الواسع. يكتشفن أخيراً، عندَ الطّوابقِ المتوسّطة، ما يُشبه فاكهةً مُدوّرة، أساسها مُمدَّدٌ بأنبوب.

إنّه عشّ الزنابير لشجرة السنديان الكبيرة، أشارت الرقم 16، وهي تصوّبُ قرنها الأيمن نحوَ الفاكهةِ الورقيّة.

تجْمَدُ الرقم 103 مكانها. يبدأُ الليل بالهبوط، تقرّرُ النمالُ المبيتَ في عُقدةٍ خشبيّة، والرجوعَ في الغد.

تجد الرقم 103 صعُوبةً في النوم.

أيمكنُ أنْ يكونَ جنسها المُستقبليّ داخل هذه الكُرةِ الورقيّة؟ أيكون تولّيها مقامَ أميرة رهناً بهذا المكان، في مُتناولِ الرّجْل؟

56. موسوعة

***حراك اجتماعيّ*: شعب الأنكا كان يؤمنُ بالحتميّة وبالطبقات. لا يوجد عندهم مشكلةُ توجيه مهنيّ: تُقرَّر المهنة مع الولادة. أبناء المزارعين سيغدون**

مزارعين بالضرورة، وأبناء العسكريّين، عسكريّين. ولتجنّب الوقوع بأيّ خطأ، تُسجَّل الطبقة مباشرة على جسد الطفل. من أجل ذلك كان شعب الأنكا يضع الرؤوس ذات اليوافيخ الطريّة للولادات الحديثة في ملزمات خاصّة خشبيّة مصنوعة على هيئة جماجمهم. هذه الملازم المُفلطحة كانت تُعطي الشكلَ المطلوب لرؤوس الأطفال: مثلاً، الرؤوسُ المربّعة من أجل سلالة الملك. لم تكن العمليةُ مؤلمة، على أيّة حالٍ ليست أكثر إيلاماً من عملية وضع جهاز التقويم الذي يجبر الأسنان على النمو في اتّجاه معيّن. الجماجم الطريّة كانت تتجمّد بالقالب الخشبيّ. بهذه الطريقة، حتّى إذا كان الأبناء عراةً أو مهجورين، يبقى أبناء الملوك ملوكاً، يمكن للجميع التعرّف عليهم بما أنّهم الوحيدون الذين بوسعهم حمل التيجان، التي لها شكل مربّع. أمّا فيما يخصُّ جماجم أطفال العسكر، كانت مقولبة على اتّخاذ شكل مثلّث. ومن أجل أبناء المزارعين، كان الشكل مدبّب.

بهذه الطريقة غدا مجتمع الأنكا راسخاً. ليس هناك أيّ احتمال للحراكِ الاجتماعيّ، ليس هناك أدنى تهديد من طموح شخصيّ، كل فرد مطبوع إلى الأبد، على جمجمته، بطبقته الاجتماعيّة ووظيفته المهنيّة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

57. حصّة في التاريخ

جلس التلامذة كلٌّ في مكانه وأخرجوا، في آن معاً، دفاترهم وأقلامهم. كانت ساعة حصّةِ التاريخ.

وكأنَّ شيئاً لم يحدث في ذلك المساء، لم يُلقِ غونزاغ دوبيرون وشريكاه أدنى نظرة إلى جولي والأقزام السبعة حين عبروا في الممرّ بين المقاعِدِ ليجلسوا مُتجاورين.

دوّنَ مُعلّم التاريخ، بأحرفٍ كبيرة بيضَاء على اللوح الأسود: «الثورة الفرنسيّة 1798»، ولعلمه بأنّه لا يجبُ إدارة الظهر طويلاً إلى الصفّ، استدارَ وحدّج التلاميذ بنظرة ثمّ أخرجَ رُزمةَ أوراقٍ من حافظته.

- صحّحت دفاتركم.

وزّعها لأصحابها، مُتنقّلاً بين المقاعد، مع تعليق وجيز لكلّ واحد فيهم. «اعتَنِ بالإملاء أكثر»، «هناكَ بعضُ التقدّم»، «آسف، كوهين بندي، ليسَ في 1789 بل 1968».

ابتدأ بأعلى الدرجاتِ واستأنفَ بحسبِ الترتيبِ التنازلي.

وصل إلى درجة 3/ 20 ولم تسْتَلم جولي بعدُ دفترها.

أُنْزِلَ الحكمُ مثل سَاطور:

- جولي: 1/ 20. لم أعطك صفراً لأنّك أسهبتِ في وصفِ نظريّة خاصّة بسان جوست الذي قد يكون هو، بحسبِ رأيك، من أفْسَدَ الثورة.

كما لو لتُظهرَ بأنّها تتحمّل المسؤوليّةَ الكاملةَ عن أفكارها، رفعتْ جولي رأسها.

- فعلاً هذا ما أعتقده.

- ما الذي لديك ضدّ هذا العظيم سان جوست، رجل فاتن، مثقف كبير وقد نالَ على الأرجح درجات أعلى منك على مقاعد المدرسة؟

- سان جوست، قالت دونَ أنْ تفقدَ هدُوءها، كان يعتَقِدُ أنّه من المُحَال نجاحُ ثورة بلا عنف. لقد كتب: «تهدفُ الثورة إلى تحسين العالم وإذا لم يؤيّدها البعض، فيجبُ القضاءُ عليهم».

- ألاحظُ بسرورٍ أنّك لستِ جاهلةً بالكامل. في الحدّ الأدنى، ثمّة بعض الاقتباساتِ في رأسك.

لم يكن بوسع الشابّة أنْ تعترف له بأنَّ الأفكار التي كوّنتها عن سان جوست مأخوذة من موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*.

- ولكن هذا لا يغيّر شيئاً في صُلبِ الفكرة، استأنفَ المُدرّس، بالطبع، كان سان جوست مُحقّاً في العمق، من المُحال القيام بثورة بلا عنف...

دافعَت جولي عن فكرتها:

- أظنّ، أنّه بمجرّدِ حدوث القتل، بمجرّد إجبارِ الناس على التصرّفِ ضدَّ رغباتهم، نقدّمُ الدليلَ على نقصٍ في مُخيّلتنا، عن عجزنا بإيجادِ أساليب أخرى لنشر الأفكار. ثمّة طرق بالتأكيد للقيامِ بثورة بلا عنف.

تحدّى المُعلّم، مُثاراً، مخاطِبَتَهُ الشابّة:

- مُـ-حَا-ل. لا يَعرِفُ التاريخُ ثورةً بلا عنف. الكلمتان متناقضتان تقريباً.

- في هذهِ الحالة، ينبغي ابتكارها، ألقَت جولي كلماتها دون تأثّر.

بادرت زويه لمُساعدتها:

- الروكين رول، المعلوماتيّة... هي في الحقيقة ثورات بلا عنفٍ وقد غيّرتِ العقولَ دونَ إراقةِ دماء.

- إنّها ليست ثورات! قالَ المُعلّم مُستاءً. الروكين رول والمعلوماتيّة لم تُغيّر شيئاً في سياسَةِ الدول. لم تُطحْ بالدكتاتوريّين، ولم تمنح المُواطنين حرّية أكبر.

- الروك غيّرَ في الحياةِ اليوميّة للأفرادِ أكثر ممّا فعلت ثورة 1789 التي لم تُفضِ، في نهايةِ المطَاف، إلّا إلى استبداد أشدّ، أردفَ جي وونغ.

- مع الروك، بإمكاننا قلبُ المُجتمع، أضافَ دافيد داعماً.

اندهشَ تلامذةُ الصفّ وهم يرونَ جولي والأقزام السبعة مُتمسّكين بقناعاتٍ يجهلُها كتابُ التاريخ في منهاجهم.

عادَ المُعلّم إلى مكتَبه، وجلسَ مُرتاحاً في كرسيّه، كما لو أرادَ أنْ يُثبِتَ آراءه الخاصّة.

- جيّد جداً، لنُناقشَ الموضُوع. بما أنّ فرقة الروك المحلّية الخاصّة بمدرستنا تصرُّ على التشكيكِ بالثورة الفرنسيّة، هيّا بنا! دعونا نتكلّم عن الثورات.

بعد أنْ فردَ على الجدارِ خريطَةَ العالم، جالَ بمسطرتِهِ على مناطق مُختلفة.

- من ثورة سبارتكوس إلى حرب الاستقلال الأمريكيّة، دون أنْ نُغفلَ كومونة باريس في القرن التاسع عشر، بودابست 1956، براغ 1968، ثورة القرنفل في البرتغال، ثورات زاباتا المكسيكيّة وما سبقها، المسيرة الطويلة لماو ومناصريه في الصين، الثورة الساندينية في نيكاراغوا، وصول فيدل كاسترو إلى الحكم في كوبا، كلّ الذين، وأعني تماماً ما أقول كلّ الذين أرادوا تغيير العالم، مُقتنعونَ بأنَّ أفكارهم هي الأصحّ من أفكارِ الحكومات التي في سدّة الحكم، جميعهم أُجبِروا على القتالِ والكفَاح لفرضِها. ماتَ

الكثير. لا شيء دونَ ثمن: إنّهُ الثمنُ الذي ينبغي أنْ يُدفع. الثورات تحدث بالدّم. هكذا هو الأمرُ وهذا سببُ اللون الأحمر الذي دوماً، في موضعٍ ما، يصبغُ الأعلام الثوريّة المرفوعة.

رفضَت جولي الإذعانَ لتلكَ الهجمةِ البلاغيّة.

- مُجتمعنا تغيّر، قالت بحماسة. ينبغي أن يكون في وسعنا الخروج من حالةِ التصلُّب بسلاسة. زويه محقّة: الروك وتكنولوجيا المعلوماتيّة تمثّل بالفعل نماذجَ عن الثورات الناعمة. وما من أحمر في علَميهما ولم يتّضِح إلى الآن كامل أهميتهما. تكنولوجيا المعلوماتيّة تسمَحُ لآلافِ الناس أنْ تتواصَل بسرعةٍ عن بُعد؛ خارج الرقابة الحكوميّة. الثورة المُقبلة ستقومُ بفضلِ أدواتٍ كهذِه.

هزَّ الأستاذُ رأسه، تنهّد، وبنبرة غير مُبالية وجّه كلماته إلى الصفّ:

- أمقتنعون؟ حسناً، سأروي لكم حكاية صغيرة، تخصُّ تلك «الثورات الناعمة» وشبكات التواصل الحديث. سنة 1989، في ساحة تيان آن من، ظنَّ الطلّاب الصينيّون أنَّ بوسعهم استخدامُ التكنولوجيّات المُتطوّرة لابتكار ثورة مختلفة. ببداهة، فكّروا باستخدام أجهزة الفاكس. واقترحت صحف فرنسيّة على قرّائِها أنْ يرسِلوا فاكسات لدعم المُتآمرين. والنتيجة: أنّه من خلال مراقبةِ الاتّصالات القادمةِ من فرنسا، التَقطَتِ الشرطةُ الصينيّة أماكنَ تواجدهم وقبضَتْ على الثوريّين المُزوّدين بحواسيب وأجهزة فاكس واحداً واحداً! لا بدَّ أنَّ هؤلاء الشبّان الصينيّين الذين اعتقلوا في السجون، وعذّبوا، والذين نُزِعَ منهم - بتنا الآن نعلم - أعضاءٌ سليمةٌ لزرعها في حكّام مسنين أبلتهم السنون، هم في غاية الامتنان لأولئك الفرنسيّين الذين، بواسطة الفاكس، أرسلوا إليهم رسائل «دعم»! لديكم هنا مثلٌ جيّدٌ عن مُساهمةِ التكنولوجيّات المُتطوّرة بإنجاحِ الثورات...

تفرّسَ كلٌّ من التلميذة والمُعلّم في وجهَي بعضهما.

زعزَعتِ القصّة جولي بعضَ الشيء.

أسعَدت المواجهة تلامذة الصفّ والمُعلّم أيضاً. إذْ بفضلِ جدَل الأفكار، شعر بدماء الشبابِ تجري في عروقه. كان في الماضي شيوعيّاً

وقد تعرّض لخيبة كبيرة حين أمره حزبه بتقويض شُعْبتِهِ لأسبابٍ غامِضةٍ تخصُّ تحالفات انتخابيّة محليّة. «هناك فوق»، في باريس، كان قد شُطِبَ بجرّة قلم، هو وفرقته، من أجلِ المُحافظَةِ على كرسيّ، ولم يتكلّف أحدٌ حتّى عناء التوضيح. ممّا دفعهُ، مشمئزاً، إلى التخلّي عن السياسة، ولكن لا يسعهُ التصريحُ بذلك لتلامذته.

شعَرَت جولي بيدٍ على كتفها.

- دعكِ من الأمر، همسَ لها جي وونغ. فلنْ يتركَ لكِ الكلمة الأخيرة.

نظَرَ المُعلّم إلى ساعته.

- الساعة انقضت. ستسرّونَ الأسبوع القادم: سندرسُ الثورةَ الروسيّة سنة 1917. وسنشهدُ أيضاً مجاعات، مجازر، حكّاماً مُقطّعين ولكن، في الحدّ الأدنى، على خلفيّة مناخٍ ثلجيٍّ وأنغام آلة البالالايكة. إجمالاً، الثورات تتشابه، ما من شيء يفرّقُ بينها سوى الوسط البيئيّ والفولكلور.

نظَرَ إلى جولي لمرّة أخيرة:

- أعتمدُ عليكِ، آنسة بانسون، لأن تُعارضيني بحججك المُثيرة للاهتمام. جولي، أنت تنتمين إلى مَن يمكنني تسميتهم بـ «اللّاعنفيّين» العنيفين. إنّهم الأسوأ. هم الذين يطبُخُونَ سراطين البحرِ على نارٍ هادئة لأنّ ليس لديهم الشجاعة على رميها دُفعة واحدةً في الماء المغلي. في المُحصّلة: يتألّمُ الحيوان أكثر بمئة مرّة ولزمنٍ أطول. وبما أنّك موهوبة إلى هذا الحدّ، جولي، حاولي أنْ تجدي كيف كانَ يمكن للبلشفيّين، «بلا عنف»، أن يتخلّصوا من قيصرِ عموم روسيا. فرض عمل مثير للاهتمام...

عندَ هذهِ الكلمة أخذَ الجرسُ الرماديّ يرنُّ.

58. عشُّ الزَّنابير

يشبهُ جرساً رماديّاً. تجولُ حولهُ حارساتٌ من الزنابير الورّاقات ذواتِ الإبرِ السُّودِ الحادَّة.

كما بناتُ وردان أجداد للأَرَضَة، الزنابيرُ هم أسلافُ النمل. عندَ الحشرات، تستمرُّ أحياناً الأَصنافُ القديمة والمتطوّرةُ عنها في التعايش جنباً

إلى جنب. كما لو أنّ إنسان اليوم لا يزالُ يتعايشُ مع إنسان الأوسترالوبيتكس الذي تحدّرَ منهُ.

لا يعني كون الزنابيرِ بدائيّات أنّهنَّ أقلّ اجتماعيّة. هنّ يعشنَ على شكلِ جماعاتٍ في أعشاشٍ من كرتون، حتّى لو أنَّ هذه المُخطّطات البدائيّة للمُدنِ لا تشبهُ بشيءٍ الأبنيةَ الواسعة الشمعيّة عند النحل أو الرمليّة عند النمل.

تقتربُ الرقم 103 وشريكاتها من العُش. يبدو لهم خفيفاً جدّاً. تشيّدُ الزنابيرُ هذا النوعَ من القُرى من لُبابِ الخشب عبر مضْغِ ألياف الخشبِ الميّت أو المُسوّس بلُعابهم لفترةٍ طويلة.

تُلقي مُستَطلِعاتُ الزنابير الورّاقات فيرومونات إنذارٍ عندما يُبصرنَ هذهِ النمال تتسلّقُ نحوهنّ. يتبادلنَ بقرونهنَّ إشاراتٍ مُتعارفاً عليها ويندفعنَ مُسرعاتٍ، بإبرٍ مُنتصبة، مُستعدّات لأيّ شيء من أجل ردّ النملات الدخيلاتِ إلى الخلف.

التَّماسُ بين حضارتين لحظة حسّاسة دوماً. وغالباً ما يكون العنف هو ردّة الفعل الأولى. لذا تتخيّل الرقم 14 حيلة لاستمالة أولئكَ الزنابير الورّاقات. تجترُّ قليلاً من الطعام الذي تقدّمه إلى الزنابير. دائماً محلُّ دهشةٍ حين يقدّمُ لك مَنْ يُفترَضُ أنّه عدوّكَ هديّة.

تهبِطُ الزنابير الورّاقاتُ ويقتربن، متوجّسات. تُرسِلُ الرقم 14 قرنيها إلى الخلفِ إشارة إلى عدمِ وجودِ نيّة قتاليّة. تُربّتُ زِنْبارة بطرفي قرنيها على رأسها لترى كيفَ ستتصرّف. تلبثُ الرقم 14 ساكنةً. تُعيدُ البيلوكانيّات الأخريات أيضاً قرونهنّ إلى الخلف.

تبثُّ زِنْبارة ورّاقة لغةً شمّية بأنّهن هنا يَطَأْنَ أرضاً زنْبُوريّة وبأنَّ ليسَ للنمال ما تفعلُهُ في هذا المكان.

تشرحُ الرقم 14 بأنَّ واحدةً منهنّ تريدُ أنْ تُعطي نفسها جنساً وبأنَّ العمليّةَ هذه شديدةُ الإلحاحِ لبقاءِ المجمُوعة برمّتها.

تتحاورُ المُستطلِعاتُ الزنابير فيما بينهنّ. طريقةُ تحادُثهنَّ شديدةُ الخصُوصيّة. إذْ لا تقتصِرُ على بثّ الفيرومونات، وإنّما تلجأُ أيضاً إلى حركاتٍ واسعةٍ من القرون. فيعبّرنَ عن دهشتهن برفع قرُونهن، وعن الحذرِ

بتصويبها إلى الأمام وعن الاهتمام بتصويبِ قرن واحدٍ فقط. وأحياناً، تُداعبُ نهايات قرونهنَّ الطريّة نهايات قرونِ مُخاطبيهن.

تقتربُ الرقم 103 بدورها وتقدّمُ نفسها. هي الراغبةُ بالحصُولِ على جنس.

تربّتُ الزنابير على جمجمتها ثمّ يطلبنَ منها أنْ تتبعهنّ. أنْ تأتي، ولكن بمفردها.

تلِجُ الرقم 103 داخلَ الفاكهةِ الورقيّة التي تبيّنَ أنّها عشّ بالفعل.

المدخَلُ مُراقب بعديدٍ من الحَارسات. وهذا طبيعيّ. فما مِنْ مخرجٍ آخر، ومن هذا المكانِ فقط يُمكنُ للأعداءِ مُهَاجمة العُشّ ومن هذا الثقبِ أيضاً يُمكن التحكّم بدرجةِ الحرارة الداخليّة للمدينة. إذْ تُحرّكُ الحارساتُ أجنحتهنّ، لإثارة تيّاراتٍ هوائيّة داخلَ المدينة.

مع أنّهم أجدادُ النمل، إلّا أنَّ هذه الزنابيرُ تبدو مُتطوّرةً جدّاً. يتكوّنُ عشّهم من رفوفٍ مُتوازيةٍ من الورق، أفقيّة، ويحمِلُ كلّ واحدٍ منها صفّاً من المقابسِ التي تتّخِذُ، كما داخل قفرانِ النّحل، أشكالاً سُداسيّة.

تتصلُ الرُّفوفُ المُختلفة ببعضها عبرَ دعامات من الدانتيل الرّماديّ المَمْضُوغِ برهافة. عدّةُ طبقاتٍ من الورقِ المَمْضوغ والكرتون تحمي الفواصِلَ الخارجيّة من البردِ والصدَمَات. للرقم 103 بعضُ المعرِفَة بالزنابير. فقد علّمتها المُربّيات المُعلّمات في بيل-أو-كان كيف تعيشُ تلك الحشرات.

على خلافِ قفيرِ النحل، الذي هو مدينة دائمة، عشُّ الزنابير، لا يصمُدُ سوى فصلاً واحد. في الربيع، تذهبُ ملِكةٌ من الزنابير، مُحمّلة بالكثير من البيوض، باحثة عن مكانٍ تُنشئُ فيه عشّها. وعندما تجدُه، تبني مقبساً من كرتون وتضَعُ فيه بيوضها. وعندما تفقُسُ، تُطعِمُ اليرقاتِ من فرائسَ تُمضِي أيّاماً في اصطيادها. تستَغرقُ اليرقاتُ خمسة عشر يوماً حتّى تتحوّلَ إلى عامِلاتٍ فعّالات. بعد ذلك، يقتَصِرُ عمَلُ الأمّ المؤسّسةِ على البيض.

ترى الرقم 103 الأفراخ. كيفَ بوسْعِ البيوض واليرقات ألّا تسقطَ من المقابسِ المُنكّسة نحوَ الأسفل؟ تراقب الرقم 103 وتفهم. تُلصِقُ المُربيّات

البيوض واليرقات الفتيّة بالسّقفِ بواسطةِ مادة لاصقة يفرزنها. لم يكتشف الزنابير الورقَ والكرتون فقط، وإنّما الصمْغ أيضاً.

وبما أنَّ المسمار والبرغي لم يُخترعا بعد، فينبغي الإقرارُ بأنَّ الصّمْغَ، في العالمِ الحيوانيّ، هو الوسيلةُ الأكثر انتشاراً لجمْعِ المواد إلى بعضها. بالمُناسبةِ بعضُ الحشراتِ تُجيدُ صناعة صمْغٍ لفرطِ قساوته وسُرعةِ جفافه يتحوّلُ في لحظةٍ إلى مادّةٍ صُلبة.

تَمضي الرقم 103 صُعُداً في الممرّ المركزيّ. ثمّة جسور صغيرة كرتونيّة في كلّ طابق. ولكلّ مستوى ثقب في الوسط يسمحُ بالتواصلِ فيما بينها. لكنه على العموم أقلّ إثارة للإعجَابِ من القفير الذهبيّ الكبير للنحل. كلّ شيء هنا رماديّ وخفيف. عاملات بالأصفرِ والأسود، تبرزُ على جباههنَّ رسوم مُفزِعة، مشغولات بصناعةِ عجينة الورق بواسطَةِ سحقِ الخشَب، ليَحُكْنَ منها لاحقاً جدراناً أو مقابِس، مع دوام تحقُّقِهن من سمك منجزهن بقرونهن المقوّسة على شكل ملاقط.

أخريات يحمِلْنَ اللحوم: ذُباباتٍ وأساريع مُخدّراتٍ لن تدركَ سوء حظّها إلّا بعد فوات الأوان. حصّة من هذه الغنيمةِ مُخصّصَة لليرقات، تلك الديدان الجائعة التي لا تكفُّ عن التلوّي مطالبةً بالطعام. الزنابير هي الحشَراتُ الاجتماعيّةُ الوحيدةُ التي تُغذّي أبناءها باللحم النَّيء وحتّى دون هرس.

تجولُ ملكةُ الزنابير وسَطَ بناتها. هي الأكثرُ بدانةً وثقلاً وتوتراً. تهتُفُ إليها الرقم 103 ببعضِ الفيرومونات. توافِقُ الملكة على الاقترابِ وتشرَحُ لها النملةُ العجوز الصهباء عن سبَبِ زيارتها. عمرها أكثر من ثلاثِ سنواتٍ وباتَ موتها وشيكاً. غير أنّها تتفرّدُ بحملِ معلومةٍ فائقة الأهميّة ينبغي أنْ تُسلّمها إلى مدينة مسقَط رأسها. ولا تريدُ أن يُعاجِلها الموتُ قبل تأديةِ مهمّتها.

تجسُّ ملكة الزنابير الورّاقات الرقم 103 بطرَفِ قرنيها لكي تلتقط روائحها جيّداً. لا تفهَمُ لماذا تطلُبُ نملة مساعدَة زِنْبارة. كلّ صنفٍ، عادةً، يبحَثُ عن خلاصِهِ الفرديّ. ما مِنْ تعاونٍ بين الأصناف. تُلفِتُ الرقم 103 النّظَرَ إلى أنّ بحالتها، من المُحال التصرّف دون طلَبِ معونةِ الغُرباء. إذْ لا تعرفُ النملةُ كيف تُحضّرُ الهلامَ الهرموني الضروريّ لبقائها.

تُجيبها ملكةُ الزنابير الورّاقات بأنّهنَّ بالفعل يمتلكنَ، هنا، خبرةَ إعدادِ الهُلام الملكيّ المُشبعِ بالهرمونات ولكنها لا ترى سبباً يدفعها بأنْ تُعطي منه إلى نملة. المُنتج ثمينٌ جدّاً ولا ينبغي التفريطُ به.

تبثُّ الرقم 103 بمشقّةٍ عبارةً فيرومونيّة تُقلع من قرنيها وتستَغرقُ ثانية لتصلَ إلى قرني ملكةِ الزنابير.

للحصول على جنس.

الأُخرى في حالة استغراب. لماذا الرغبةُ بالجنس؟

59. موسوعة

***مثلّث لا على التعيين*: أحياناً أنْ تكونَ عاديّاً أصعبُ بكثيرٍ من أنْ تكونَ مميّزاً. الحالةُ واضحةٌ بالنسبةِ للمُثلّثات. معظم المثلّثات إمّا متساوية الساقين (ضلعان لهما الطول ذاته)، أو قائمة (بزاوية قائمة)، أو متساوية الأضلاع (ثلاثة أضلاع لها الطول ذاته).**

لفرطِ ما يوجدُ مثلّثات محدّدة يغدو رسمُ مثلّثٍ ليس خاص أمراً شديد التعقيد أو أنْ يقتصرَ الأمرُ على رسم مثلّثٍ مختلفِ الأضلاع إلى أقصى حدّ ممكن. لكنّ هذا ليسَ يسيراً. فالمثلّث غير المعيّن لا ينبغي أن يكون لديه زاوية قائمة، ولا زواياه متساوية ولا زاوية يتجاوز قياسها 90°. توصّلَ الباحثُ جاك لوبكزانسكي بصعوبة كبيرة إلى ابتكار «مثلّث لا على التعيين» حقيقيّ. لدى هذا الأخير خصائصٌ شديدةٌ... التّحديد. لتصميم «مثلّث لا على التعيين» مناسب، يجبُ جمعُ نصفِ مُربّع مقسوم بقطره، ونصفُ مثلّث متساوي الأضلاع مقسُوم بارتفاعه. ووضعهما متجاورين، يُفترض بنا بذلك الحصول على نموذج جيّد لمثلّث لا على التعيين. ليسَ هيّناً أنْ تكونَ بسيطاً.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

60. الاختِيَار

لماذا الرَّغبَةُ بالجنْس؟

لا يوجد أيّ سببٍ بيولوجي يجعلُ واحدةً عديمةَ الجنس، مولودة في طبقة عديمة الجنس، تشعرُ فجأةً بالرغبة في الحصول على جنسٍ دونَ اعتبارٍ لأصْلِها الطبيعيّ.

تفهَمُ الرقم 103 بأنَّ ملكة الزنابير هذه تضعها في اختبار. تبحثُ عن جوابٍ ذكيّ فلا تجد، فتكتفي بالتذكير أنّ «الجنس يسمح بالحياة زمناً أطول».

ربما لفرطِ ما سمِعَت حواراتٍ بلا معنى وخالية من المعلومات في المُسلْسَلات التلفزيونيّة الإصبعيّة، نسيت في التواصل الذهابَ مُباشرةً إلى صُلبِ الموضوع.

بينما تُجيدُ ملكةُ الزنابير الورّاقات، في المقابل، تكثيفَ جملها الشميّة جيّداً. يدورُ حوار. وكما جميع الملكات ذات الجنس، بوسعِ هذه التكلّم عن شيءٍ آخر غير الطعامِ والأمان. يُمكنها تناولُ أفكارٍ مُجرّدة في أحاديثها.

لا تتكلّم ملكةُ الزنابيرِ الورّاقات بالروائح فقط وإنّما تدوّرُ قرنيها في جميعِ الاتّجاهات أيضاً لكي تُشدّد نبرتها جيّداً. يُدعى هذا الأسلوب عند النمال «المُخاطبة بالقرنين الاستشعاريّين». تَلفُتُ الملكةُ النظر بأنّه، في شتّى الأحوال، سينتهي مطافُ النّملةِ بالموت. فلماذا السّعيُ، إذاً، لإطالةِ العمر؟

تُدركُ الرقم 103 بأنّ الجولة أصعب ممّا تظنّه. لا تزال مخاطِبَتها غير مُقتنعةٍ بصواب مشروعها. وبالمناسبة، إنّها مُحقّة، ما الجدير بالاهتمام في حياة طويلة أكثر ممّا هو في حياة قصيرة؟

تقولُ الرقم 103 بأنّها راغبة بالجنسِ للتمتّع بالمزايا الانفعاليّة لذوي الجنس: المزيدُ من رهافة الأعضاء الحسيّة، ومن القدرة على تلمّس المشاعر...

تُجيبُ الزِّنْبَارةُ الورّاقةُ بأنّ ذلك يبدو لها عائقاً أكثر ممّا هو مُتعة. معظَمُ المميّزين بحواس مُرهفةٍ ومشاعرَ شفّافةٍ سريعةِ التأثّر يعيشونَ في الخوف. إنّه السّببُ الذي مِن ورائِهِ تعيشُ الذكور حياةً قصيرة وتقضِي الإناثُ حياتهنَّ مسجُونات في منأى عن شرورِ العالم. رهافَةُ الحسّ مصدرُ ألم مُقيم.

تفتّشُ الرقم 103 عن ذرائع جديدةٍ أكثر إقناعاً. تريدُ جنساً لأنَّ الجنسَ يفيدُ بالتكاثر.

هذه المرّة، يظهر الاهتمام على ملكة الزنابير الورّاقات. لماذا الرغبة بالتكاثر؟ لماذا لا يكفيها وجودها بوصفه أنموذجاً فريداً؟

طريقة تفكير غريبة. عند الحشرات، على العموم، ولا سيّما غشائيّات الأجنحة الاجتماعيّة منها مثل النمل والزنابير، مفهوم «لماذا» ليس له وجود. هناكَ فقط مفهوم «كيف». لا يُبحثُ وراءَ سببِ الأحداث، وإنّما فقط في معرفةِ كيف يُمكن السَّيطرةُ عليها. وأنْ تسألها الزِّنْبارةُ هذه «لماذا» يبرهن للرقم 103 بأنّها قد خاضت هي أيضاً رحلة روحيّة أبعد من المعايير المُعتادة.

تفسّرُ النملةُ العجوز الصهباء بأنّها ترغب في توريثِ شيفرتها الجينيّة إلى كائناتٍ حيّة أخرى.

تحرّكُ ملكةُ الزّنابيرِ الورّاقات قرنيها بحركةٍ مُتشكّكة. هذه الرغبة، بالطبع، تُشرّع إرادةَ الاستحواذِ على جنس ولكن، تسألُ النملةَ، ما الذي يجعلُ شيفرتها الجينيّة مهمّةً كي تورّث؟ بالمحصّلة، هي بِيضَتْ من ملكة باضَتْ بالحدّ الأدنى عشرة آلاف توأم مزوّدين بميزات جينيّة مماثلة تقريباً لِمَا لديها. وجميع الأخوات التوائم لمدينة يتشابهنَ فيما بينهنّ ولهنّ القيمة ذاتها.

تفهَمُ الرقم 103 إلامَ ترمي الزِّنْبارة. إنّها مُصرّة على أنْ تُبرهنَ لها بأنّه ما من كائنٍ يتمتّعُ بحظوةٍ خاصّة. فهل يوجد، في العمق، غرور أكبر من تصوّرِ المرء بأنّ مُركّبَ جيناتِهِ ثمينٌ إلى الحدّ الذي يجعلهُ جديراً بأنْ يُكرّر؟ تفكير كهذا ينطوي على أنّنا نُعطي لذاتنا أهميّة تفوق الآخرين. يُطلَقُ عند النمل اسم لهذا النوع من التفكير، وحتّى عند الزنابير، يُدعَى «مرضُ الفردانيّة».

الرقم 103، التي خاضتِ الكثير من المُبارزات الجسديّة، وجدت نفسها، لأوّلِ مرّة، تخوضُ مبارزةً روحيّة. وهذا النوعُ أكثر مشقّة بكثير.

الزِّنْبارةُ هذه داهية. فليكن، ينبغي على المُحاربةِ العجوز أنْ تكونَ على قدرِ التحدّي. تبدأ جملتها الفيرُومُونيّة بالكلمةِ المُحرّمة: «أنا». تتلفّظُ في ذهنها ببطء فيروموناً شميّاً قبل أن تبثّه عبر أجزائها القرنيّة.

«أنا» استثنائيّة.

تُجفلُ الملكة. ويرتدّ مِنْ حولهما الزنابير، ممّن تناهَت إليهنَّ الرسَالة، إلى الوراء حائرات. حشرة اجتماعيّة تستعمل «أنا»، الأمر منافٍ لأدنى أُصُولِ اللباقة!

لكنّ هذه المُبارزةَ الحواريّة بدأت تروقُ لملكةِ الزنابير الورّاقات. لا تردُّ على الرقم 103 بخصُوصِ موضُوع «الأنا»، وإنّما تُهاجمها في الميدان الجديد الذي قدّمته لها للتوّ. تختالُ بقرنيها وتطلُبُ منها أنْ تُعدّد لها مزاياها الشخصيّة. ولاحقاً سيحكم الزنابير إذا ما النملةُ العجوز «استثنائيّة» بما يكفي لتستحقَّ أنْ تنقلَ شيفرتها الجينيّة إلى سلالة. في هذا الحوار، تستعمِلُ الملكةُ عبارة فيرومونيّة تمثّلُ الحالةَ الجماعيّة «نحنُ الزنابيرُ الورّاقات». تريد بذلك أنْ تُظهِرَ بأنّها باقية في معسكرِ اللواتي يعشنَ في جماعاتٍ مع بنات جلدتهنّ وليس في جهة الباحثات عن ميّزات لخدمة مصلحتهنّ الفرديّة.

أوغلَتِ الرقم 103 أبعدَ من أنْ تستطيعَ الرجوع. تعرِفُ بأنّها لن تُمثّلَ بالنسبةِ لجميع أولئك الزنابير، من الآن فصاعداً، أكثر من نملةٍ أُفسِدتْ لا يعنيها شيء سوى نفسها. ومع ذلك تمضي في فكرتِها حتّى النهاية. ستُعدّدُ مزاياها الشّخصيّة.

لديها مقدرة، قليلة الانتشَارِ في العالمِ الحشريّ، بأنْ تدرُسَ الأشياءَ الجديدة.

تمتلِكُ مواهب مُحاربةٍ ومُستكشفةٍ للمجهُول والتي من شأنها أنْ تُغني جنسَها وتُقوّيه.

لا يلبثُ الحوار يزيدُ من سرورِ ملكة الزنابير الورّاقات. هل يعني، بأنّ هذهِ النملة العجوز التي في رمقها الأخير تعتبِرُ بأنّ الفضولَ والبراعةَ في القتال مزايا؟ تُذكّرُ الملكةُ بأنَّ المُدنَ في غنى عمن هم دائماً يُشعلون نار الحرب، ولا سيّما من هم يُشعلون نار الحرب ويدسّونَ أنفهم في كلّ شيءٍ مُتخيّلين بأنّهم يفهمُونَ في كلّ الأمور.

تُخفِضُ الرقم 103 قرنيها. ملكةُ الزنابيرِ الورّاقات أمكَرُ بكثيرٍ ممّا ظنّت. لا ينفكُّ التعبُ ينالُ من النملةِ العجوز. الاختبارُ يُذكّرها بالاختبارِ الذي أخْضَعتها إليهِ بناتُ وردان في بلاد **الأصابع**. كنّ قد وضعنها أمامَ مرآةٍ وأخبرنَها: *سنتصرّفُ معك كما ستتصرّفين مع نفسك. إن صارعتِ صورتك في المرآة سنُصارعك، وإن تحالفتِ مع الذي سيظهرُ في المرآة، سنقبلُ فيك بيننا.*

غريزيّاً، تمكّنت من اجتيازِ ذلكَ الاختبار. علّمتها بنات وردان أنْ تُحبَّ

نفسها. غير أنّ الزِّنْبارةَ هذه تقترِحُ عليها مهمّة أكثر حساسيّة بكثير: أنْ تُبرّرَ هذا الحبّ.

تُعيدُ الملكةُ طرحَ سؤالها.

والنملةُ المُحاربة العجوز تعودُ عدّة مرّات على مَزِيَّتيها الأساسيّتين، القدرةُ على القتالِ والفضُول، اللذان سمحا لها بالبقاءِ حيّة في المكان الذي ماتَت فيه الكثيرات. اللواتي قضَين نحبهن إذاً شيفراتهنَّ الجينيّة أقلّ فعّاليّة من شيفرتها.

تلفتُ ملكةُ الزنابير الورّاقات الانتباهَ إلى أنّ كثيراً من الجنديّات الخرقاوات أو اللواتي يفتقدنَ للشجاعةِ يبقين أحياء في الحروب بفعلِ صُدفةٍ بسيطة. بينما تموتُ جنديّات شجاعات وبارعات. ذلك لا يعني شيئاً، إنّها قضيّةُ مصادفةٍ مَحْض.

مُتزعزعةً، ينتهي الأمرُ بالرقم 103 بأن تُلقي بحجّتها الصادمة:

إنّي مُختلفة عن الآخرين لأنّني قابلتُ ***الأصابع****.*

تلبثُ الملكةُ لبرهة.

الأصابع؟

تشرحُ الرقم 103 بأنَّ الظواهرَ الغريبةَ التي يزدادُ تواترُ ظهورها في الغابةِ هي في معظمِ الأوقات بسببِ ظهور جنسٍ حيوانيّ جديد، عملاق ومجهول: **الأصابع**. وقد التقَت هي، الرقم 103، بهم وحتّى حادثتهم. تعرِفُ نُقاطَ قوّتهم وضعفِهم.

لا تُبدي ملكةُ الزنابير تأثّراً. تُجيبُ بأنّها هي أيضاً تعرفُ **الأصابع**. وما من شيء خارق بذلك. الزنابير تُصادِفهم في كثيرٍ من الأوقات. هم ضِخام وبطيئون وطريّون، وينقلون أنواعاً شتّى من المواد الحلوة المذاق والجامدة. أحياناً يُغلقون على الزنابير في كهفٍ شفّاف ولكن عندما يُفتحُ الكهف، تلدغهنَّ الزنابير.

الأصابع... ملكَةُ الزَّنابيرِ لم تخشَهم يوماً. وحتّى تزعمُ بأنّها قتلتْ منهم. بالطبع، هم طوال وضخام ولكن ليس لديهم مثلنا دروع لذا يسهُلُ ثقبُ بشرتهم الطريّة بالإبرة. لا، آسفة، مقابلةُ **الأصابع** لا تبدو لها حجّة كافية لتبريرِ

رغبتها باقتطاعِ حصّة من الكنز الهُلاميّ الهرمُوني الملكيّ لعشّ الزنابير.

لم تتوقّع الرقم 103 ردّة الفعل هذه. فأيُّ نملةٍ تُكلِّمُ عن **الأصابع** تُطالبُ بالمزيد والمزيد من المعلُومات. ولكن، ها هنَّ الزنابير الورّاقات، يتصوّرنَ أنفسهنَّ عالمات بكلّ شيء. يا لها من علامةِ انحطاط! بلا ريب هذا هو السببُ الذي جعلَ الطبيعةَ تبتكِرُ النملة. الزنابير، أسلافهنَّ الأحياء، فقدوا فضولهنَّ الأصليّ.

على أيّةِ حال، هذا لا يخدُم في شيء مصلحةَ الرقم 103. إذا رفضتِ الزنابير الورّاقات إعطاءها ما تحتاجُهُ من الهُلام، فستكونُ نهايتها. كلّ هذه الجهود التي بُذلت لتظلَّ على قيدِ الحياة ثمّ تسقُطُ في النهاية ببسَاطةٍ من أكثرِ الخصُوم وضاعة: الشيخوخة. وا أسفاه.

تُطلقُ ملكةُ الزنابير الورّاقات سُخريتها الأخيرة: توضّحُ بأنّه إذا كان لدى الرقم 103 جنساً، فلا شيء يؤكّدُ بأنّ أطفالها سيكون لديهم المقدرة ذاتها على مُقابلة **الأصابع**.

بالطبع، مُقابلة **الأصابع** ليست صفةً وراثيّة. أطبقَ الخناقُ على الرقم 103. ثمّ بغتة، تُثارُ جلبة. عند المدخل الكرتونيّ زنابير يهبطنَ ويُقلعنَ متوتّرات.

يتعرّضُ العشّ لهجوم. ثمّة عقرب يتسلّقُ نحوَ الجرسِ المصنُوعِ من ورقٍ رماديّ.

على الأرجح طُرِدَ العنكبيُّ من حشودِ الجراد وهو أيضاً يبحثُ عن مأوى في الكثافات الخضراء. عادةً، تردُّ الزنابير المهاجمين بضرباتِ إبر محقونةٍ بالسمّ، غير أنَّ كيتينَ العقاربِ شديدُ السُّمكِ بالنسبة لهنَّ ولذا يتعذَّرُ اختراقه.

تقترِحُ الرقم 103 التكفّلَ بالعدوّ.

إذا نجحتِ في صدّهِ بمفردك، سنُعطيك ما طلبته، أعلنت ملكة الزنابير.

تخرُجُ الرقم 103 من الأنبوب-الردهة المركزيّ لعشّ الزنابير وترى العقرب. يتعرّف قرناها على الروائح. إنّها العقربة التي سبقَ للبيلوكانيّات أنْ صادفنها في الصحراء. تحملُ على ظهرها خمسة وعشرين عقرباً صغيراً، نُسَخٌ مُصغّرة عن أمّهم. مأخوذون باللعبِ والمُشاغبةِ برؤوسِ ملاقطهم وإبرهم الذيليّة.

تقرّرُ النملةُ أن تعترِضَ سبيلَ العقربة عندَ الشرفة الدائريّة. عقدة من السنديانة الهائلة تُشكّل ميدانَ مُصارعةٍ صغيرٍ مُسطّح.

تستفزُّ الرقم 103 العقربة بقذفةٍ من رشقةِ حمض. هذه الأخيرة لا ترى في النملةِ الصغيرة سوى فريسةٍ في مُتناول ملاقِطها. تُنزلُ صغارها وتتقدّم لأكلها، هاجمةً عليها برأسِ ملقطها الطويل.

اللّعبة الثانية:

بستوني

61. عمل على الهَرمِ الغامِض

رأسٌ شِبهُ شفّاف. مثلّث أبيض. مكسيميليان مُجدّداً أمام الهرم الغامض. في المرة الأخيرة توقّفَ تحقيقهُ جرّاء لدْغَة حشرة أغمتْهُ لأقلّ من ساعة بقليل. اليوم، كان عازماً ألّا يتركَ شيئاً يُباغته.

اقتربَ بخطواتٍ حذرة.

لمَسَ الهرم. ما زالَ دافئاً.

ألصَقَ أُذنه بالجدار وسمعَ أصواتاً.

حشَدَ تركيزه ليفهم ما يسمعه وبدا له أنّه التقطَ عبارةً مفهومة بالفرنسيّة.

– ماذا، بيلي جو، ألَمْ أكن أخبرتكَ ألّا تعود.

التلفزيون ثانيةً. إنّه، على الأرجح، فلم ويسترن أمريكي.

اكتفى الشرطيُّ بما سَمِعه. لقد طالَبَ المُحافِظُ بنتائج، ولسوفَ يحصلُ عليها. لذا تزوّدَ مكسيميليان لينار بالأدوات الضروريّة لنجاح مهمّته. فتح حقيبته الواسعة، وأخرجَ منها مِطرقة خشبيّة ورفعها باتّجاه انعكاسه. وضرَب، بأقصى قوّته.

وسطَ ضجيج مُصمّ تناثرت المرآة إلى شظايا حادّة. بسرعةٍ ارتدّ إلى الخلفِ لتفادي إصابتهِ بشظيّة.

– وإلى الجحيم، ما يخصُّ سنوات الشؤم السبعة[1]، تنهّد.

بعد أنْ تبدّدَ الغبار، تحقّقَ من الجدارِ الأسمنتي. أيضاً ما مِنْ باب ولا نافذة. فقط الرأسُ شبهُ الشفّاف في القمّة.

بقي وجهان من الهرمِ مُموّهين بالمرايا. حطّمهما أيضاً دونَ أنْ يُميّز أيّ فتحة. ألصقَ أُذنه على الجدار الأسمنتي. في الداخل، صمَتَ التلفزيون. هناك شخصٌ يتفاعلُ مع وجوده.

ومع ذلك ينبغي أنْ يكونَ ثمّة مَخرَج في مكان ما... باب قلّاب... نظامُ مفاصلٍ ما... وإلّا كيفَ دخلَ المُقيم الحاليّ إلى الهرم؟

1- اعتقاد مورُوث بأنّ المرء إذا كسر مرآة فستُطاردُهُ سبعُ سنوات شؤمٍ.

رمى حبلاً نحو قمّةِ الهرم. بعد عدّة مُحاولاتٍ فاشلة، أفلَحَ في تعلِيقه. شرَعَ الشرطيُّ، مُنتعلاً حذاءً غيرَ قابلٍ للانزلاق، بتسلّقِ الواجهةِ المُسطّحة من الأسمنت. عاينَ الجدار عن كثبٍ إلّا أنّه لم يجد أيَّ شقّ، أو ثقب، أو أخدود يسمَحُ بنفث دخانٍ إلى المُقيمِ أو المُقيمين. تفحّصَ من القمّة الواجهات الثلاث: الأسمنت سميك ومُتجانس في جميع نقاطه.

- اخرجْ وإلّا تأكّد بأنّنا سنعثرُ على طريقةٍ تجبرك على الخروجِ هرِعاً!

عادَ مكسيميليان ونزَلَ على حبلِه.

ما زالَ على قناعته بأنَّ ناسكاً قد أغلقَ على نفسِهِ بين جدران هذا المبنى الأسمنتيّ. هو يعلَمُ بأنّ بعضَ الكهنةِ المُتحمّسين في التيبيت كانوا يطلبونَ بأنْ يُغلقَ عليهم داخلَ أكواخٍ مُقفلة من اللبنات دونَ بابٍ أو نوافذ وكانوا يمكثون فيها لسنوات. ولكنَّ أولئكَ الكهنة كانوا في الحدّ الأدنى يتركونَ كوّة ليضَعَ فيها المُخلِصونَ لهم الطعام.

تخيّلَ الشرطيُّ حياةَ أولئك المُغلق عليهم بجدران، وهم يعيشُونَ في حجم لا يتجاوزُ مترين مُكعّبين، جالسِينَ بين فضَلاتِهم، دونَ هواءٍ أو تدفئة!

بززز... بززز...

أَجْفَل مكسيميليان.

إذاً لم تكنْ مُصادفة حين، في مُناداتِهِ الأولى، لدغتهُ حشرة. لهذه الحشرة صِلَة بالهرم، باتَ الشرطيُّ الآن مُقتنعاً بذلك. لن يسمحَ بأن يُهزمَ ثانية من قبلِ الملاكِ الضئيلِ الحارسِ للمبنى.

مصدَرُ الطنين كان حشرةً ضخمة طائرة. نحلة على الأرجح أو زنبور.

- اغربي عن وجهي، قال وهو يلوّح بيده.

اضطرَّ للمناورةِ وهو يُلاحقها بنظره. بدا الأمر كما لو أنّ الحشرة تفهمُ بأنّه ينبغي أوّلاً، لتنقضَ على ذاك البشريّ، الهروب من مجال رؤيته.

أخذَت الحشرةُ ترسمُ ثمانيات. فجأة، ارتفعت، ثمّ نكسَتْ عليه. حاولت أنْ تغرزَ إبرتها في قمّةِ الجُمجمة إلّا أنّ شعرَ مكسيميليان الأشقر كان كثيفاً ولم تستَطِع اجتيازَ ما كان بالنسبة لها غابةً من الأمشاطِ الذهبيّة.

لطَمَ مكسيميليان لطماتٍ قويّة على رأسه. عادت الحشرةُ وحلّقت من جديد لكنها لم تُحجِم عن نكسَاتِها الانتحاريّة.

تحدّاها رافعاً صوته:

- ماذا تريدينَ منّي؟ أنتم، الحشرات، أنتم آخرُ مُفترسينَ للإنسان، أليسَ كذلك؟ فشلنا في القضاءِ عليكم. منذ ثلاثةِ ملايين سنة، وأنتم تنغّصُونَ علينا، كما نغّصتم على أسلافنا، وكم سيطُولُ بكم الوقتُ في إزعاج أبنائنا؟

لم يبدُ على الحشَرةِ الاكتِراث بحديثِ الشرطيّ. لم يكنْ يجرُؤ على أنْ يُوليها ظهره. إذْ إنّ الحشرةَ الآن في وضعيّةٍ ثابتةٍ بالنسبةِ للأرض، وجاهزة للانقِضَاضِ ما إنْ تعثُرَ على ثغرةٍ في دفاعاتِ العدوّ الجويّة.

أخذَ مكسيميليان فردَةَ حذاء، وأمسكَ بها مثل مضربِ تِنِس، مُتهيّئاً لتنفيذ ضربة إرسالٍ ما إنْ تهجُمَ الحشرة.

- من أنتِ، أيّتها الزنبارةُ الضخمة؟ حارسَةُ الهرم؟ أيجيدُ النّاسِكُ تدجينَ الزنابير، أهكذا الأمر؟

بمثابَةِ جواب، اندفعَت الحشرة. وحالما اقتربت من عنقه، استدارت، دارتْ حولَ البشريّ، ثمّ نزلت ناكِسَةً نحو ربلة ساقِ الشرطيّ العارية ولكن قبلَ أنْ تلمسَهُ بإبرتها، تلقّت نعلَ حذاءٍ ضخمٍ على جبهتها.

لقد انحنى مكسيميليان كما لو أنّه سينفّذُ ضربةً مُنحنية، وبحركةِ معصمٍ قاسية، نجحَ في إيقافِ خصمه الطّائرِ الضئيل.

بصوتٍ مكتوم، ارتطمَتْ الحشرةُ بالنعلِ وارتدّت، مُفلطَحة.

- واحد-صفر. انتهت المُباراة، قال الشرطيُّ، مزهوّاً بضربته.

وقبلَ أنْ يبتعد، قرّبَ فمَهُ من الجدارِ ثانيةً.

- أنت، في الداخل، لا تتخيّل أنْ أتنازلَ عن الأمرِ بهذه السهولة. سأعود حتّى أعرف من يختبئُ داخل هذا الهرم. وسنرى جيّداً كم من الزمنِ ستصمِد، منعزلاً عن العالمِ داخِل أسمنتك، أيّها السيّدُ الناسِكُ هاوي التلفزيون!

62. موسوعة

تأمل: **بعدَ نهارٍ من العملِ والهمُوم، يكونُ من الجيّد أنْ يجدَ المرء نفسه وحيداً في الهدوء.**

ها هي طريقةٌ بسيطَةٌ للتأمّلِ العمليّ.

أولاً، استلقِ على ظهرك، وقدماكَ مُتباعدتان قليلاً، وذراعاك ممدودتان على طول جسمك دون أنْ تلمساه، والراحتان مُتّجهتان نحو الأعلى. واسْترخِ جيّداً.

ابدأ التمرينَ بالتركيز على الدم القاتم الذي يتدفّقُ من نهاياتِ القدمين، من كلّ إصبعِ قدم، ليذهبَ ويتجدَّدَ في الرئتين.

عندَ الزفير، تصوّر إسفنجَةَ الرئة المليئة بالدم توزّعُ الدم القاني، المُنقّى، والغنيَّ بالأوكسجين إلى الساقين حتّى أطرافِ أصابعِ القدمين.

امنح نفسك شهيقاً جديداً بالتركيزِ هذه المرّة على الدمِ القاتمِ لأعضَاءِ البطن لإيصَالِه إلى الرئتين.

عندَ الزفير، تصوّر هذا الدّم المُصفّى والمليء بالحيويّة عائداً يسقي كبدنا، وطِحالنا، وجهازنا الهضمي، وعضونا الجنسيّ، وعضلاتنا.

في الشهيقِ الثالث، اسحبْ الدمَ من أوعيةِ اليدين والأصابع، اغسله وأعدهُ مرّة أخرى نقياً من حيثُ أتى.

وأخيراً الشهيق الرابع، وأنتَ تتنفَّس أعمق، اسحَبْ الدم من الدماغ، وفرّغ كلّ الأفكارِ الراكدة، عبر ارسالها إلى الرئتين لتنقيتها ثم إعادة الدم القاني، المُفعَمِ بالطاقةِ والأوكسجين والحيويّة إلى الجُمْجمة.

تصوَّرْ جيّداً كلّ مرحلة. واربطْ جيّداً بين التنفّس وتحسُّنِ حالةِ الجسم.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

63. مبارزة

تهوي إبرةُ العقربةِ المسْمُومة غيرَ بعيدٍ عن النملةِ الصهباءِ العجُوز التي أحسّتْ أنّها كادت تلمِسُ قرنيها الاستشعاريّين.

تجنّبت ثلاثَ ضربات ملقطٍ إلى الآن وأربعاً من الإبرة. وفي كلّ مرّة تفقدُ توازنها وبالكاد تتفادى السلاحَ الفتّاك للوحش النحاسيّ.

الآن، ترى الرقم 103 عن كثَبٍ هذهِ العقربة المُدجّجة بالكثيرِ من أسلحَةِ الحرب. في المُقدّمة، ملقطان مُدبّبان، وكلّابان، يُستعملان لتثبيتِ الضحيّة قبلَ تسديد ضربةِ الناب السام.

على الجانبين ثمانيةُ أرجلٍ للتحرّكِ بسرعةٍ كبيرة في جميع الاتّجاهات ولا سيّما جانبيّاً. في الخلف ثمّةَ ذيلٌ طويلٌ مفصليّ تُحرِّكهُ ستّة أجزاءٍ مرنة وينتهي برأسٍ حادّ، مثلَ شوكةِ عُليق، شوكة صفراء ضخمة، لزجة بالسمّ القاتل.

أين هي الأعضاءُ الحسيّةُ للحيوان؟ لا تكادُ النملةُ تميّز عيوناً، مُجرّدَ عُيينات جبينيّة، ما من أُذُنين، ولا قرنين. تدُورُ حولَ الوحش فتدرِك، وهي تتظاهر بتجنّبه، بأنَّ الأعضاءَ الحسيّة الحقيقيّةَ للعقرب، هما ملقطان مُغطّيان بخمسِ شُعيراتٍ صغيرة حسّاسة والتي بفضلها، تلتقِطُ العقربةُ أدنَى حركةٍ في الهواء حولها.

تتذكّرُ الرقم 103 إحدى مُصارعات الثيران، في تلفزيون **الأصابع**. كيف كان أولئك يتدبّرونَ أمرهم؟ بعباءةٍ حمراء.

تأخذُ الرقم 103 بتلةَ زهرةٍ أرجوانيّة حملتها الريح لتجعلَ منها رايةَ مُصارعةِ ثيران وتشرع بالتلويح بها بين فكّيها. ولئلّا تُعرّضَ نفسها للريح أو يُطيح بها هذا الشراعُ المُرتَجَل، تحرصُ بأنْ تقفَ على الدوام مُسايرةً لاتّجاهِ تيّاراتِ الهواء. تُكرّرُ المُحاربةُ العجوز المُتعبة عدّة مسْحَات فيرونيكيّة[1] متفاديةً في اللحظة الأخيرة، كلّ مرّة، ضربات القرن الوحيد لخصمتها.

تزدادُ ضرباتُ الإبرةِ دقّة. عندَ كلّ مُحاولة، ترى الرقم 103 الرمح اللزج يندفعُ، مصوّباً نحوها ومن ثمّ يمضي إلى الأمام مثل خطّاف. تجنّبُ إبرةٍ أصعبُ من تجنّبِ قرنين وتقولُ لنفسها إذا كان على إصبعٍ-مصارع ثيران أنْ يواجهَ عقرباً عملاقاً، سيشهدُ دون شكّ صعوباتٍ تفوقُ بكثيرٍ ما يُعانيه في ميادين صراعَاتِهِ المُعتادة.

لمّا تحاولُ الرقم 103 الاقترابَ من عدوّتها، يندفع الملقطان المفتوحان

1- حركة لمُصارعِ الثيران يخدع فيها الثور بجعلهِ يمرُّ بالقربِ من جسْمه ماسحاً رأسهُ براية المُصارعة.



عليها. وعندما تحاولُ قذفَ رشقةِ حمضٍ من بطنها ينطبقُ الملقَطان على شكلِ ترس. إنهما سلاح هجوم ودفاع في آنٍ معاً. الأرجلُ الثمانية المُفرطةُ السرعةِ تُعِيدُ تركيزَ العقربة في الموضِع المُناسبِ للصدّ والضرب.

في التلفزيون، لم يكن مُصارِعُ الثيران يتوقّف عن الحركة في جميعِ الاتّجاهات ليُربك ثوره. على ذات النحو، تقفزُ النملةُ في جميعِ الاتّجاهاتِ مُحاولةً إرهاقَ خصمتها وهي تتجنّبُ ضرباتِ الملقطين والخطّاف.

تركّزُ الرقم 103 ذهنها وتبحثُ في ذاكرتها عن كلّ ما رأته في هذا المجال. ماذا كانت التعليقاتُ بما يخصُّ استراتيجيّة مُصارع الثيران؟ كان هناك دائماً، سواء الرجل أو الحيوان، واحدٌ في الوسطِ وآخر يدُورُ حوله. الذي يدور يُنهك أسرع إلّا أنَّ لديه إمكانيّة جعلِ الآخرِ يفقدُ توازنه. كان يُفلح مُصارعو الثيران البارعون في عرقلةِ خصمهم دون حتّى أنْ يلمَسُوه.

إلى الآن، الاستفادةُ الأهمّ من البتلة-راية مصارعة الثيران تظهر باستعمالها تُرسَاً. كلّما هوى الخطّافُ، تصدّهُ الرقم 103 ببتلتها القرمزيّة. غير أنّها ضعيفةُ المُقاومةِ ورأسُ الإبرة يثقبها بيسر.

لا للموت. بحقّ ما تعرِفهُ عن **الأصابع**. لا للموت.

بإصْرارِها على النّجاة، تنسَى النملةُ العجوزُ سنّها وتستَعيدُ ثانيةً رشاقةَ فتوّتها.

تواصِلُ الدورانَ في ذاتِ الاتّجاه. تغتاظُ العقربةُ من مقاومةِ هذا الكائن الهزيل إلى هذه الدرجة ولا تلبثُ طقطقةَ ملقطيها تعلو أكثر فأكثر. تُسرّعُ حركاتِ أرجلها عندما، بغتةً، تقفُ النملةُ وتشرَعُ بالدوران في الاتّجاهِ المُعَاكس. تُفقِدُ الحركةُ العقربَةَ توازنها فتتعثّر، وتنقلبُ على ظهرها، كاشفةً عن أعضَائِها الأكثر حسَاسيّة والتي لا تتوانى النملة لحظةً عن رشقها بقذفةِ حمض نمليك صائبة. لا يبدو على العقربةِ بأنّها تتوجّع كثيراً جرّاء ذلك، وسُرعان ما تنهضُ على أرجلها وتهجم.

يهوي الخطّاف، متبوعاً بالملقطين، على مسافةِ ميليمترات من جمجمة الرقم 103.

حالاً، ينبغي فكرة أخرى.

تتذكّرُ المُحاربةُ العجوز بأنّ العقاربَ غير مُحصّنةٍ من سُمّها. يُحكى،

في الملاحِمِ النمليّة، بأنّ العقاربَ حين تخاف، ولا سيّما حين تُحَاطُ بالنار، تنتَحرُ بلدغِ نفسها بإبرتها. لا تجيدُ الرقم 103 إيقادَ نارٍ بهذه السرعة.

ولا تُسهِم روائح التشاؤم المُنبعِثةِ من مُتفرّجاتِ الزنابير في رفعِ معنويّاتها.

ينبغي فكرة أخرى، حالاً.

تدرسُ النملة العجوز حالتها. أين مكمَنُ قوّتها؟ وأين مكمَنُ ضعفها؟

جسدها الصغير. صِغرها مكمَنُ قوّتها وضعفها.

كيف بوسعها تحويلُ ضعفها إلى قوّة؟

ألفُ مُقترحٍ يتزاحمُ في عقل النّملة العجوز ويُقيَّمُ على نحو عاجل. تقترح الذاكرة كلّ مخزونها من استعراضَاتِ القتال. تجمعها المُخيّلة لتُنتجَ منها حالات جديدة، أكثر ملاءمة لمواجهة عقرب. وبينما تُراقبُ عيناها الخصم، يبذلُ قرناها جهداً لإيجادِ حلّ في بيئةِ الأغصان. إنّها ميزة امتلاك نظامٍ ثنائيّ، بصريّ وشمّي، في رؤية محيطها.

فجأةً، ترى ثُقباً في اللّحاء. يُذكرها هذا بفيلمٍ من الرسوم المُتحرّكة لتكس أفري. فتعدُو النملةُ وتلج النفقَ الخشبيَّ. تلحقُ بها العقربة. وتشرعُ في دخولِ النفق غيرَ أنّ بطنها لا يلبثُ أنْ يمنعها. ما عادَ سوى طرفها الذيليّ خارج الثقب.

تواصِلُ الرقم 103 المضيّ في النفقِ الخشبيّ الضيّق وتخرجُ من منفذٍ آخر على وقعِ تحيّاتِ حلِيفَاتها.

تبرُزُ الإبرةُ المسمومةُ من اللحاء مثلَ بُرعمٍ مشؤوم. تتخبّط صاحبةُ الإبرة مُحاولةً الفكاك، وهي تتساءلُ إنْ كان من الحكمةِ أنْ تغورَ أعمق أم أنْ تعودَ إلى الخلفِ ساحبةً نفسها من هذا المأزق.

تُفضّلُ العقاربُ الصغار، وقد خامرها الشكُّ في انتصارِ أمّها، الابتعاد منذ الآن.

تدنو الرقم 103 بهدوءٍ. ليس عليها سوى قطعِ الرأسِ الخطير بفكّيها المُسنّنين. ثم، آخذة الحيطةَ بألّا تَمسَّ السمَّ، ترفعُ عالياً السلاحَ المسمُوم وتلدغُ به عدوّتها المحشورةَ في الثقب.

الملاحمُ النمليّة مُحقّة. ليستِ العقاربُ مُحصّنةً من سمّها. يتخبّط العنكبيّ مأخوذاً بتشنّجاتٍ ثمّ أخيراً يلبثُ جثّةً هامِدة.

ينبغي *دوماً مواجهة الأعداء بأسلحتهم*، هذا ما علّمته لها حاضِناتها. وهذا ما حدث. تتذكّرُ الرقم 103 ثانيةً فيلم تكس أفري الكرتونيّ، الغنيُّ بالتعليماتِ التكتيكيّة. ربّما في يوم ما ستبوح إلى بنات جِلْدَتها بجميع أسرار القتال لذاك الإصبع الاستراتيجيّ الكبير.

64. أغنية

أشارت جولي بالتوقّف. كان الجميعُ ينشُزُ في العزف وهي نفسها تُغنّي على نحو رديء.

– بهذه الطريقةِ لن نصل إلى مكان. أظنّ بأنّ هناك مشكلة أساسيّة علينا مواجهتها. ما من نفعٍ في أداء موسيقى الآخرين.

لم يفهم الأقزام السبعة إلامَ ترمي المُغنّية.

– ماذا تقترحين؟

– نحنُ مبدعون أيضاً. يجبُ علينا ابتكارُ كلماتنا، موسيقانا، مقطُوعاتٍ تخصُّنا.

هزّت زويه كتفيها.

– من تظنّينَ نفسك؟ نحنُ لسنا أكثر من فرقةِ روك مدرسيّة صغيرة لا تتلقى سوى تشجيعٍ باردٍ من المديرِ ليستطيعَ أنْ يُسجّل «نشاطاتٍ موسيقيّة» في تقاريرهِ عن الحياةِ الثقافيّة خارجَ المِنهَاج المدرسيّ لمؤسّسته. لسنا البيتلز!

هزّت جولي شعرها الطويل الأسود.

– من اللحظة التي نُبدِعُ فيها نغدو مُبدعين بين مُبدعين آخرين. لا ينبغي أنْ يكونَ لدينا عقدُ نقص. يمكنُ لموسيقانا ألّا تقلّ عن أيّةِ موسيقى أخرى. ينبغي فقط أنْ نكونَ أصلاء. بوسعنا تأليفُ شيءٍ «مختلف» عمّا هو موجود.

لم يعرف الأقزامُ السبعة، تحتَ وقع المُفاجأة، كيفَ ينبغي أنْ تكونَ ردّة فعلهم. لم يكونوا مُقتنعينَ والبعضُ منهم بدأ يندم على السماحِ لهذه الغريبةِ التدخّل في فرقتهم.

- جولي لديها حقّ، حسمت فرنسين قرارها. أرتني كتاباً، موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، والذي يضمُّ نصائحَ ستسمح لنا بأنْ نُصمّم أشياء جديدة. سبقَ أن اكتشفْتُ فيه مُخطّطات لحاسُوبٍ بوسعهِ أن يُحيّد جميعَ الحواسيب التي في السوقِ ويجعلها طيّ النسيان.

- من المُحالَ تحسين المعلوماتيّة، عارض دافيد. شرائح المعلوماتيّة تدور بالسرعة ذاتها لدى الجميع ولا يمكن أن تكون أسرع.

نهضَتْ فرنسين.

- من قالَ نريدُ شرائحَ أسرع؟ بداهةً لا نستطيعُ تصنيعَ شرائحَ إلكترونيّة. في المُقابل، بوسعنا أنْ نُرتّبها على نحوٍ مُختلف.

طلبت من جولي *موسوعتها* وأخذَتْ تبحثُ عن صفحاتِ المُخطّطات.

- انظروا. بدلَ الترتيب الهرمي للشرائح الإلكترونيّة، تتجسَّدُ هنا ديموقراطية الشرائح. ما مِنْ مُعالجٍ أعلى يحكُمُ شرائحَ تنفيذيّة، الجميعُ يحكُمُ بذاتِ المستوى. خمسمائة شريحة مُعَالِجة، خمسمائة عقل مُتكافئ وبذات الفعاليّة والتي، بالمُحصّلة، تتواصَلُ فيما بينها باستمرار.

أشارت فرنسين إلى تصميمٍ في زاويةِ الصفحة.

- المُشكلَةُ في العثورِ على تموضِعها. ينبغي التساؤل، مثل ربّة منزلٍ أثناءَ مأدبةِ عشاء، عن توزيعِ أماكِنِ الجلوس. إذا أجلَسنا الناس على نحوٍ عادي حولَ طاولةٍ طويلة مُستطيلة فلن يتحدّثَ الجالسون على الأطرافِ مع بعضهم، وفقط من هم في الوسط سيستأثِرُون بانتباهِ الجالسين. ينصَحُ مؤلّف موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* بتنظيمِ الشرائح جميعها على شكلٍ دائريّ ليتقابلَ الجميع. الدائِرةُ هي الحلّ.

أَرَتهم رسُوماتٍ أخرى.

- التكنولوجيا بحدّ ذاتها ليست هدفاً. قالت زويه. حاسوبكِ لا يُجيبُ عن سؤالِ هاجسِ الإبداع المُوسيقي.

- أفهم ماذا تَقْصِد. إن كان لدى هذا الرجلِ أفكار لتجديدِ أكثر الأدواتِ الموجودة تطوّراً، الحاسوب، فلا بدّ أنّهُ يستطيعُ مُساعدتنا في أنْ نُجدّدَ الموسيقى، علّق بول.

- جولي لديها حقّ. ينبغي أنْ نكتبَ قصيدةً تخصّنا، مضَى نرسيس أبعد. ربّما يُساعِدُنا هذا الكتابُ على ذلك.

فرنسين التي كانت *الموسوعة* لا تزال بين يديها، فتحتها لا على التعيين وقرأت بصوتٍ عالٍ:

نهاية، ما يحصُل هو النهاية.
لنفتّح جميع حواسّنا.
ريحٌ جديدة تهبُّ هذا الصباح،
وما من شيء بوسعِهِ إبطاءُ رقصها المجنون
ألفُ تحوّل سيعتَرِي عالمنا الرّاقد.
لا نحتاجُ عنفاً لنحطّم قيمه الجامدة
ولتندهشوا: نصنَعُ «ثورة النمل» ليسَ إلّا.

بعدَ هذا المقطَعِ استغرقوا جميعاً في التفكير.

- «ثورة النمل»؟ اندهشت زويه. لا معنى لهذا.

لم يُجِبْ أَحَد.

- نحتاجُ لازمةً، إذا كنّا سنؤلّف أغنية، وضّح نرسيس.

لبثت جولي صامتةً لبرهة، أطبقَت جفنيها، ثمّ اقترحت:

ما عادَ هناك راؤون
ما عادَ هناك مخترعون.

شيئاً فشيئاً، ومقطعاً تلو مقطع، أعدّوا كلمات الأغنية الأولى، مُستلهمين إلى حدّ كبير مقاطع من *الموسوعة*.

عثر جي وونغ، فيما يخصُّ الموسيقى، على مقطَعٍ يشرحُ كيف يبني الألحان على نحوٍ معماري. قسّم فيها إدمون ويلز أبنيةَ مقطوعاتِ باخ. رسم جي وونغ على اللوح ما يشبِهُ طريقاً رئيساً حدّد عليه مسارَ خطّ موسيقيّ. ثمّ

كلٌّ بدورِهِ رسمَ حولَ ذاك الخطّ البسيطِ مسَارَ آلته. انتهى الأمر باللحن أنْ غدا يشبِهُ طبقَ لزانيا كبيراً.

دوزنوا آلاتهم ومزجوا تأثيراتٍ لأنغام تتضافَرُ فيما بينها ودوّنوها على المُخطّط.

كلّما رأى أحدٌ من أعضاءِ الفرقة موضِعاً مُناسباً لإضفاءِ تعديل، كان يمحُو جزءاً من المسَارِ بخرقَةٍ ويعدّل رسمَ الشكل.

دندَنت جولي اللحن والذي كان يشبه معزوفة حماسيّة، صعدَ الصوتُ مِنْ سرّتها مُتسلّقاً قصبتها الهوائيّة. في البداية لم يكن سوى عملٍ دونَ كلماتٍ ثمّ غنّت الشابّة ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين ما تقرأه: المقطع الأوّل: «نهاية، ما يحصُل هو النهاية»، ثمّ اللازمة: «ما عادَ هناك راؤون، ما عاد هناك مُخترعون»، ثمّ مقطع ثان، مأخوذ من مقطع آخر من الكتاب:

أوَما حَلُمْتَ يوماً بعالمٍ آخر؟
أوَما حَلُمْتَ يوماً بحياة أخرى؟
أوَما حَلُمْتَ بيومٍ يهتدي فيه الإنسانُ إلى مكانِهِ في الكون؟
أوَما حَلُمْتَ بيومٍ يتواصلُ فيه الإنسان مع الطبيعة، الطبيعة برمّتها، فتجيبه بوصفها شريكاً لا عدوّاً خاضعاً؟
أوَما حَلُمْتَ يوماً بمحادثة الحيوانات، الغيوم والجبال، والعمل معاً، يداً بيد، وما من عداء؟
أوَما حَلُمْتَ يوماً بأناسٍ يجتمعُونَ مُحاولين ابتكارَ مدينةٍ يأتلفُ سكّانها بعلاقاتٍ مُختلفة؟
لن يكون هناكَ قيمة لأن تنجحَ أو تفشَل. ولن يمنَحَ أحدٌ الحقّ لنفسهِ بالحُكمِ على أحد. كلّ فرد سيغدو حرّاً بأفعاله ومشغولاً، في آن معاً، بنجاح الجميع.

راحَ صوتُ جولي بانسون يتفاوتُ بينَ صعودٍ وهبوط. فتارةً يؤدي جوابات حادّةٍ لفتاةٍ صغيرة ثمّ لا يلبثُ أنْ ينقلِبَ إلى قرارات أجشّة.

أداؤها أوحى لكلّ فرد من الأقزام السّبعةِ بمغنّيةٍ مُختلِفة. إذْ رأى فيه بول قُرباً من غناءِ كيت بوش، بينما اعتبرَ جي وونغ أنّه أقرب إلى جانيس جوبلين، وقاربه ليوبولد إلى حسّية بات بيناتار في *الهارد روك*، أمّا زويه فرجّحت بأنّها تقدّمُ كثافةَ المُغنية نوا.

في الحقيقة، كلّ واحد كانَ يميّزُ في صوتِ جولي جانباً يُعجبهُ في الصّوتِ الأنثوي.

توقّفت عن الغناء وانطلق دافيد بعزفٍ مُنفردٍ جنونيّ مُبهر على القيثارةِ الكهربائيّة. فأخذ ليوبولد فلُوت وشرَعَ يُحاورُه. ارتسمتْ ابتسامة على شفتي جولي وبدأت بمقطَعٍ ثالث:

أوَما حَلُمْتَ يوماً بعالمٍ لا يخشَى المُختلفَ عنه؟
أوَما حَلُمْتَ يوماً بعالمٍ يجدُ كلّ مَنْ فيه كمالَهُ في داخله؟
لتغيير عاداتنا القديمة، حَلُمْتُ بثورة.
ثورةُ صغارٍ، ثورةُ نمل.
وأكثرُ من ثورة: ارْتِقاء.
حَلُمْتُ، ولكنّها طوباوية ليس إلّا.
حَلُمْتُ بكتابٍ أكتبهُ لأرويها ويعيش الكتاب في الأزمان والأمداء أبعَدَ، أبعَدَ من حياتي.
إنْ ابتدعتُ هذا الكتاب، فلن يكون سوى حكاية. حكاية خرافيّة لن تكون يوماً.

تجمّعوا في دائرة أشبه بحلقة سحريّة كان ينبغي لها أن تتحلّق منذ أزمانٍ بعيدة، وأخيراً، في تلكَ اللحظةِ التأمّت.

أطبقت جولي جفنيها. مسكونةً بجاذبية. وأخذَ جسدها يتمايلُ من تلقائه على إيقاعِ قيثارة زويه ودرامز جي وونغ. هي التي لم يكنْ يستَهويها الرّقصُ أُخِذَتْ برغبةٍ لا تُقاوم في تحريكِ جسَدِها.

شجّعها الجميع على ذلك. خلعتْ عنها كنزتها الصوفيّة التي لا كَسْم

لها وتلوّت بانسِجامٍ مع النغمات، في تي شيرت أسودَ ضيّق، مُمْسِكةً الميكروفون بيدها.

شَرَعَ نرسيس يعزِفُ لازمته على الغيتارِ الكهربائيّ.

أكّدَتْ زويه بأنَّ خاتمةً مناسبةً ضروريّةٌ لتوازنِ العمل بأكملِه.

وهي لا تزالُ مُطبقَة العينين، ارتجلتْ جولي:

نحن الراؤون الجدد،

نحن المخترعون الجُدد.

بذلك، غدت خاتمة عملهم جاهزة.

ثمّ أنهَتْ فرنسين بمقطوعةٍ أخيرة على الأورغ وتوقّفَ الجميعُ في اللحظةِ ذاتها.

- رائع! هتفت زويه.

تناقشوا فيما أنجزُوه للتوّ. بدا كلّ شيءٍ يسيرُ على ما يُرام باستثناء صولو المقطع الثالث. أكّدَ دافيد بأنّه يجبُ التحديثُ في هذا الخصُوصِ أيضاً عبرَ إيجادِ شيءٍ مُغاير للازمةِ الغيتار الكهربائيّ التقليديّة.

ورغم أنّها أُولَى مقطُوعاتِهم المُبتكرة إلّا أنّهم شعروا بالزهو. مسحَتْ جولي جبينها المُتعرّق. وما إنْ وجَدَت نفسها بالـ «تي شيرت» حتّى اعتراها الخجل، وسارعَتْ إلى ارتداءِ كنزتها مُغمغمةً بالاعتذارات.

قالت، لتَصْرِفَ انتباههم، يُمكنُ زيادة التحكّم بالغِناء. لقد علّمها، يانكلفيتش، أستاذها بالغناء، بأن تُعالجَ نفسها بالأصوات.

- وكيف ذلك؟ سألَ بول الذي كان مُهتمّاً بكلّ ما يمتُّ للأصوات بصلة. أَرِنَا كيف.

فسّرت جولي بأنَّ رنينَ صوتِ «O»، على سبيلِ المثال، ملفوظاً بطبقةٍ مُنخفِضة يوثّر على البطن.

- صوت «OOO» يجعَلُ الأمعاءَ تهتزّ. فإذا أصابكم سوءُ هضم، اجعلوا الجهازَ الهضميّ يهتزُّ بهذا الصوت «OOOO». هذا أرخصُ من الأدوية ومتوفِرٌ دائماً. ذبذبة فحسب، وبمتناول جميع الأفواه.

أصدرَ الأقزامُ السبعة صوتَ «OOOO» عذباً، مُحاولينَ التقاطَ التأثيرِ على أجسَامهم.

- صوت «A» يؤثّرُ على القلبِ والرئتين. وأنتم تُصدِرونَهُ على نحوٍ طبيعيّ عندَ اللهاث.

ردّدوا على شكلِ جوقة «AAAAAA».

- يظهَرُ تأثيرُ صوتِ «E» على الحنجُرة. وصوتُ «U» يؤثّر على الأنفِ والفم. أمّا الصّوت «I» فيظهَرُ أثرهُ على العقلِ وقمّة الجُمْجُمة. انطقوا كلّ صوتٍ بعمق واجعلوا أعضَاءكم تهتزّ.

أخذوا يكرّرونَ كلّ حرفٍ من الأحرفِ الصوتيّة واقترحَ بول ابتكارَ مقطُوعةٍ علاجيّة قد تُسكّنُ أوجاع مُستمعيها.

- لديه حقّ، أيّدَهُ دافيد، قد يكون بإمكاننا ابتكارُ أغنية تتألّفُ من تعاقُبِ أصوات OOO وAAA وIII.

- ونعزف على آلةِ الباص تردّداتٍ صوتيّة خفيضة مُهدّئة، استكملت زويه. سيكون عملاً رائعاً لمعالجة مَنْ يسمعُوننا «الموسيقى التي تُشفي»، يمكنُ لهذهِ العبارةِ أنْ تكونَ شعاراً مُناسِباً.

- سيكون عملاً غير مسبُوقٍ على الإطلاق.

- تمزحين؟ علّقَ ليوبولد. إنّه معرُوفٌ منذُ عصُورٍ قديمة. لماذا برأيكِ لا تُبنى أغانينا الهنديّة إلّا بحروفٍ صوتيّةٍ بسيطة مكرّرةٍ إلى اللانهاية؟

أكّد جي وونغ بأنّ التقاليد الكورية تنطوي على أغانٍ مُكوّنةٍ من أحرفٍ صوتيّة فقط.

قرّروا تأليفَ مقطوعةٍ تحمِلُ نفعاً لأجسام مُستمعيهم. وهمّوا للشروعِ بها لمّا تردّدت ضربة درامز غير آتيةٍ من طبولِ جي وونغ في القاعةِ الصغيرة.

ذهبَ بول ليفتحَ الباب.

- تضجّون كثيراً، تذمّرَ المُدير.

كانتِ الساعةُ الثامنةُ مساء. وعادةً لديهم الحقّ في العزفِ حتّى التاسعةِ والنصفِ، إلّا أنّ المديرَ قد تأخّر في مكتبه ذلك اليوم لينهي كشوفه الخاصّة بالمُحاسبة.

دخلَ الغُرفةَ وتمعَّنَ في كلّ واحدٍ من المُوسيقيّين الثمانية.

– لم أستطع منعَ نفسي عن سماعِكم. لم أكن أعلَمُ بأنَّ لديكم مقطُوعاتٍ مُبتكرة. لا بأسَ بعملِكم على الإطلاق. وبالمناسبة، ربّما هذا الأمر أتى في وقته.

جلَسَ وهو يديرُ مسنَدَ الكرسيّ.

– افتتَحَ أخي مركزاً ثقافيّاً في حيّ فرانسوا الأوّل وهو يسعَى إلى تقديمِ حفلٍ لاختبار جاهزيّة المكان، وضبْطِ أجهزَةِ الصوت، وآليةِ إصدار التذاكر، أي كلّ ما يخصّ اللمسات الأخيرة! وقد اتفَقَ مع فرقة رباعي أوتار، غير أنّ اثنين من العازفين أصيبا بالإنفلونزا، ورباعيٌّ بشخصين، حتّى في مركز أحياء، لن يبدو جدّياً. وهو يبحث، منذ الأمس، عن أحدٍ بوسعه أنْ يحلَّ مكانهم سريعاً. وإنْ لم يجد فسيضطرُّ إلى تأجيلِ افتتاح المركز. وقد يخلّفُ هذا انطباعاً سيّئاً لدى المُختار. وعلى الأرجح، بوسعِكم أنتم إنقاذُ الموقِف. ألا يهمّكم العزفُ هناكَ في حفلِ الافتتاح؟

تبادلَ الثمانيةُ النّظرات، غيرُ مُصدّقين حسنَ حظّهم.

– بلى بالطبع! هتفَ جي وونغ.

– حسناً، استعدّوا سريعاً، ستعزِفُونَ السبت القادم.

– هذا السبت؟

– بكلّ تأكيد، هذا السبت.

كادَ بول أن يرفض، فذلكَ غير ممكن، لا توجدُ في قائِمة أعمالهم حتّى اللحظة سوى مقطُوعةٍ واحدة، إلّا أنّ نظرة جي وونغ ألزمته بأنْ يصمُت.

– ليس ثمّة أيّة مشكلة، أكّدت زويه.

أحسّوا بالقلَقِ والغبطة في آن معاً.

أخيراً، سيعزفونَ أمام جمهُورٍ حقيقيّ، انتهتْ السهراتُ الرديئة وحفلات الأحياء.

– ممتاز، أعتَمِدُ عليكم في خلقِ أجواءٍ مُمتِعة، قالَ المُدير، مُلقياً غمزَةَ تواطُؤ.

من مُفاجأةِ فرنسين، غيرُ المُصدّقة، أزلَقَتْ كوع ذراعِها على لوحةِ مفاتيح الأورغ مُصدرةً نغماتٍ مُتتابعةٍ غير مؤتلفة تردّدتْ مثل ضربَةِ مدفع.

65. موسوعة

بنية موسيقيّة-*الكَائنْ*: في الموسيقى، يُقدِّم «الكَائنْ» هيكلَ بناءٍ جدير بالاهتمام على نحو خاص. وأكثر الأمثلة المعروفة: «أخ جاك»، «نسيم منعش، نسيم الصباح» وأيضاً كائنْ باخلبيل.

يُبنى الكائنْ على ثِيمَة موسيقيّة وحيدة يَستكشِفُ فيها المؤدّونَ جميع أوجهها عبرَ وضعها في مقابلِ ذاتها. إذْ يبدأ صوت أوّل بعرضِ الثِيمَة الموسيقيّة. وبعد مدّةٍ مُحدّدةٍ سلفاً، يكرّرها صوتٌ ثانٍ ثمّ يعيدُ أداءها صوتٌ ثالث.

ولتعمل جميعها، هناكَ ثلاثة أدوار على كلّ نغمة أن تلعبها:

1. أنْ تنسُجَ اللحن الأساسي.
2. أنْ تُضيفَ مُصاحبةً إلى اللحن الأساسي.
3. أنْ تضيفَ مُصاحبةً إلى المُصاحبةِ وإلى اللحن الأساسي.

إذاً الأمرُ مُتعلّق ببناءٍ له ثلاثةُ مستوياتٍ وكلّ عنصرٍ فيه يلعب، بحسب موضعه، الدورَ الرئيس والدورَ الثاني والثانويّ، في آن معاً.

بالإمكانِ تطويرُ الكَائنْ دون إضافةِ نغمة، بمجرَّدِ تغييرِ درجَةِ النغمة، رفعِ مقطعِ الأوكتاف درجةً إلى الأعلى، أو خفضِهِ درجةً إلى الأسفل.

ومن المُمكن أيضاً تعقيدُ الكَائنْ بإطلاقِ الصوت الثاني بعدَ رفعهِ بنصفِ أوكتاف. فإنْ كانت الثِيمَة الأولى *بالدو*، ستكون الثانية *بالصول*، وهكذا، إلخ.

بوسعنا زيادة تعقيد الكَائنْ عبرَ سُرعة الغناء. في التسريع: يؤدي الصوت الأوّل الثِيمَة، بينما يكرّرها الصوت الثاني مرّتين بسرعة كبيرة. في الإبطاء: يؤدي الصوت الأوّل اللحن، بينما يكرّره الثاني مرّتين أبطأ. كذلك، الصوت الثالث يُسرّع أو يبطئ الثِيمَة، ممّا يؤدي إلى التمدّد أو التكثيف.

بإمكان الكَائنْ أنْ يتطوّرَ أيضاً عن طريق عكسِ اللحن. لمّا يعلو الصّوتُ الأوّل وهو يعزف الثِيمَة الأساسيّة، يهبطُ الصوتُ الثاني. يسهُلُ تحقيق كلّ ذلك حين نرسُمُ العلامات الموسيقيّة على شكلِ سهام معركةٍ كبيرة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

66. مكسيميليان يقيّم المُستجدّات

لم يكن يُسمَعُ سوى طقطقةِ الفكوك. أنْهَى مكسيميليان طبقَهُ بصمت.

في المُحصّلة، يتملّكُهُ شعورٌ قويّ بالملل وسطَ عائلته. وعندَ التفكيرِ بالوضعِ مليّاً، هو لم يتزوّج سنتيا إلّا ليُبهرَ أصدقاءه.

بدَتْ بمثابةِ جائزة وقد أثارت حسَدَ الآخرينَ حقّاً. المُشكلة بأنَّ الجمالَ وحدَهُ لا يكفي لبناء حياةٍ مُشتَركة. سنتيا جميلة، ولكن كم كان يضجَرُ معها! ابتسم، قبّلَ الجميع ثمّ نهضَ ليُغلقَ عليه مكتبهُ ويلهو بلعبة *ارتقاء*.

لا يلبثُ شغفهُ يزدادُ بلعبةِ *ارتقاء*. تسرّع في خلقِ حضارةِ أزتك وأفلحَ في إيصَالها إلى سنة 500 قبل الميلاد، مُنشئاً نحو عشر مدن ومرسلاً سفناً شراعيّة أزتكية تجول البحار بحثاً عن قارّات جديدة. كان يظنُّ بأنَّ مُستكشفيهِ الأزتك سيكتشفونَ الغربَ نحو سنة 450 قبل الميلاد ولكنَّ وباء الكوليرا أهلك الكثير من مُدنه. ثمّ أتت غزوات بربريّة أجهَزَتْ على حواضِره الرئيسةِ المريضة، ما أدّى إلى تدميرِ حضارةِ الأزتيك الخاصّةِ بالمفوّض لينار قبل إنهاءِ السنةِ الأولى من تقويمه.

– تلعبُ بشكلٍ سيّء. أثمّة ما يشغلُك، لاحظَ ماك يافيل.

– أجل، اعترف البشريُّ. عملي.

– هل تريدُ التكلّمَ عن ذلك؟ اقترَحَ الحاسُوب.

أومأ الشرطيُّ بحركةِ امتِعاض. إلى اللحظةِ، لم يكن الحاسوبُ بالنسبةِ لهُ يتعدّى كبيرَ الخدَمِ الذي يستقبلُهُ عندَ إقلاعِ جهازِهِ ويُرشدهُ وسطَ متاهات *ارتقاء*. أمّا أنْ يتركَ مجالهُ الافتراضيّ لكي يتدخّلَ في حياته «الحقيقيّة» فهذا غير متوقّع على الإطلاق. ومع ذلك لم يُمانع مكسيميليان.

– أنا شرطيّ، قال. أُجري تحقيقاً يسبّبُ لي متاعب كثيرة. وعلى عاتقي قصّة هرمٍ نبتَ مثلَ ثمرَةِ فطر، وسطَ الغابة.

– أتستطيعُ أنْ تُخبرني عنه أم هو سرّ؟

نبرةُ الجهازِ غير المُتكلّفة، الصوت الخالي تقريباً من اللُّكْنة الاصطناعيّة، فاجأت مكسيميليان، ولكن تذكّرَ بأنّه توافرَ في السوق مؤخّراً «أجهزة

محاكاة محادثة» بإمكانها التقليد جاعِلةً المرءَ يُصدّق أنّه يُجري حواراً طبيعياً. في الواقع، لا يتعدّى عملُ تلك البرامج التفاعل بكلماتٍ مفتاحيّة والإجابة بواسطةِ تقنياتِ مُحادثةٍ بسيطة، عبرَ عكسِ السؤال: «أتظنُّ حقّاً...» أو التركيز على «دعنا نتكلّم عنك...» ليس في الأمر أيُّ إعجاز. ولكنَّ ذلكَ لم يمنَع مكسيميليان من إدراك أنّه بقبولِهِ التحدّثَ مع حاسُوبه، فإنّه يقيمُ صلةً خاصّة مع مُجرّد آلة.

تردّد؛ في العُمق ليس لديه من يُحادثُهُ فعليّاً. لم يكن بوسعه التحدّثَ على قدم المساواة مع طلابه في مدرسة الشرطة ولا مع مرؤوسيه، الذين سيفسّرون أدنى تهاونٍ كعلامة ضعف. أمّا الحوارُ مع المُحافظِ الذي هو رئيسُه، فذلكَ ضربٌ من المُستحيل. كم يعزلُ التراتُبُ الهرميّ البشرَ قاطبة! وقد فشِلَ أيضاً في التواصُلِ مع زوجتِهِ وابنته. لم يكن يعرف مكسيميليان، بخصوصِ التواصل، سوى الحوار الأُحاديّ المُقدّم من تلفزيونه. وهذا الأخير كان يخبرُهُ بالكثيرِ من الأشياء الجميلة إلّا أنّه في المقابل لا يريدُ أنْ يسمَعَ شيئاً.

ربّما يهدُفُ هذا الجيلُ الجديدُ من الحواسِيبِ إلى سدّ هذا النقص.

دنا مكسيميليان من ميكروفون الجهاز.

- الأمرُ مُتعلّق ببناءٍ مُشيّدٍ دون إذنٍ في محمية الغابة. عندما أُلصقُ أذني إلى الجدار، أسمع من الداخل أصواتاً تبدو لي بأنّها آتية من برامج تلفزيونيّة. ولكن ما إنْ أطرقَ عليه حتّى تصمُتَ الأصوات. وما من باب ولا نوافذ، ولا حتى أدنى ثقب. أرغبُ في معرفةِ من يُقيم في الداخل.

سأله ماك يافيل بضعة أسئلةٍ مُحدّدةٍ مُتعلّقةٍ بمشكلته. ضاقت قُزحية عينه، علامةَ انتباهٍ شديد. فكّرَ الحاسوبُ لمدّة وجيزة ثمّ أعلنَ بأنّه لا يرى حلّاً سوى الرجوعِ إلى الهرم مع فرقة خُبراءِ مُتفجرات لتَفجيرِ الجدرانِ الأسمنتيّة. من الواضح أنَّ الحواسيبَ لا تعرِفُ الحلول الوسطيّة.

لم يكن مكسيميليان قد توصَّلَ إلى هذا القرارِ المُتطرّفِ بعد، ولكنّهُ اعترفَ بأنّه كانَ سيصِلُ إليه في نهايةِ المطاف. وكلّ ما فعلَهُ ماك يافيل هو تسريعُ تحليله. شكَرَ الشرطيُّ الجهاز. وأراد أنْ يستأنِفَ اللعب بـ*ارتقاء*؛ إلّا أنّ الجهاز ذكّرهُ بأنّه نسِي إطعامَ أسمَاكه.

في تلك اللحظة، وللمرّة الأولى، يقول مكسيميليان في سرّه إنّ الحاسُوبَ يغدو صديقاً وذلكَ أقلَقهُ بعض الشيء إذْ لم يكن له يوماً صديقٌ حقيقيّ.

67. الكنزُ الجنسِيُّ

تغلّبت الرقم 103 على العقرَبة. العقارِبُ الصغارُ اليتامى، التي راحت تُراقِبُ المشهدَ من بعيد، تلوذ هذه المرّة بالفرارِ دون أدنى التفاتة، مدركةً بأنّه من الآن فصاعداً عليها تدبّر أمرها بنفسها في عالمٍ لا قوانين لهُ سوى ما ستفرضه هي بقوّة السّوطِ الذيليّ المسْمُوم.

النملات الاثنتا عشرة المُستكشفات اللّائي دُعينَ إلى الدخولِ يهلّلنَ شمّياً لبطلتهنّ العجوز. تقبَلُ ملكة الزنابير الورّاقات أخيراً بأن تمنحها هلامها الهرموني. تنحو بالجندية إلى زاويةٍ من مدينتها الرماديّة الورقيّة وتشيرُ لها إلى مكانٍ تنتظرُ فيه.

فيما بعد، تجمَعُ ملكةُ الزنابير تركيزها وتجترُّ لعاباً بنيّاً ذا رائحةٍ نافذة. ثمّة عند غشائيّات الأجنحة سواء كنّ عاملات أو جنديّات أو ملكات تحكّم كامل في كيمياءِ جوفهن. إنّهن قادرات على زيادة إفرازاتهنّ الهرمونيّة أو إنقَاصِها بحسَبِ مشيئتهن، بغية التحكّم بوظائف جهازهنّ الهضميّ ونومهنّ، كما أيضاً بإدراكِ الألم والتوتّر على حدّ سواء.

تنجحُ ملكةُ الزنابير الورّاقات في إنتاجِ الهُلامِ الملكيّ المكوّنِ من هرموناتٍ جنسيّة شبه خالِصَة.

تقتَرِبُ الرقم 103، تريدُ أنْ تشُمَّ بقرنيها قبلَ أنْ تتذوّق، غير أنَّ ملكةَ الزنابير تُطبِق عليها، فارضَةً فمَها على فمِها.

قُبلَةٌ بينَ الأصنَاف.

تَمتَصُّ النملةُ الصهباء العجوز وتبتَلِع. يدخُلُ الغذاءُ السحريّ جوفها، دفعة واحدة. جميعُ الزنابيرِ تُجيدُ صناعةَ الهُلامِ الملكيّ عند الضرورة، إلّا أنَّ ما تُنتِجهُ الملكة، بداهةً، هو أشدُّ تأثيراً وأفخَرُ مِنْ مُنتَجِ عاملةٍ بسيطة. لفرطِ ثقل الروائِحِ في الجوارِ، تشتمُّ البيلوكانيات الأُخريات الأبخرةَ ذات التأثيرِ الأفيوني.

مذَاقُه قويٌّ: حامِض، حلو، مالِح، لاذِع، ومرّ في آنٍ معاً.

تبتلعُ الرقم 103 وينتشرُ الهُلام البنيّ في جهازِها الهضميّ. تسِيلُ العجينةُ في المعِدة وتنتَشِرُ في دمها، تتصَاعدُ في العُروقِ وصولاً إلى دماغها.

للوهلة الأولى، لا يحدث شيء وتظنُّ المُستكشفة العجوز بأنَّ التجربةَ فشِلت. ومن ثمّ، فجأة، تنقلِب. كما بفعلِ هبّةِ ريحٍ مُباغتة. شعورٌ أقربُ إلى الضيق.

تُحسُّ بأنها تموت.

ببساطة أعطَتها ملِكةُ الزنابيرِ سمّاً وهي ابتلعتهُ! تشعرُ بأنَّ المُنتجَ الموزّع في جسدها، ينشرُ ذاك الإحساس القاتم والحرقة في جميعِ شرايينها. تندمُ على وضْعِ ثقتها في الملكة. الزنابيرُ يكرهنَ النمال، ليس في الأمر سرٌّ. لم يتقبّلن قطّ أن تتفوّق عليهنّ بنات العمومةِ الجينيّات.

تتذكّرُ الرقم 103 كلّ تلكَ المرّات التي خرّبت فيها، أيّامَ شبابها بوصفها صيّادة، أعشاش الورق الرماديّ، راشقةً الحمضَ على مُدافعاتٍ مُنذهلاتٍ من الزنابيرِ اللّائي كنَّ يُحاولن الاختباءَ خلفَ متاريسِهنّ الكرتونيّة.

إنّهُ الانتِقام.

يُظلِمُ كلّ شيءٍ على نحوٍ مُرعب. لو كانت ملامحها قابلةً للتغيُّر، لتبدَّتْ على سحنتها تكشيرةٌ مروّعة.

ما من شيء يدور في ذهنها سوى الألم. تجدُ صعوبةً في ترتيبِ أفكارها. تجتاحُها الظلمةُ والحمْضُ والبرْدُ والموت. ترتجف. ينفتِحُ فكّاها وينطَبِقان دون سيطرةٍ عليهما. تفقِدُ التحكّمَ بجسَدِها.

تريدُ الانقضاضَ على ملكةِ الزنابير المُسَمِّمَة. تدنُو إلّا أنّها تنهارُ على رجليها الأماميّتين.

يتغيّرُ إدراكها للوقت، يبدو لها بأنّ كلّ شيءٍ يمضي ببطءٍ وبأنّ زمناً طويلاً مضَى بين اللحظَةِ التي قرّرت فيها تحريكَ إحدى أرجلها واللحظة التي استَجابت فيها الرجْلُ فعلاً.

تتخلّى عن فكرة النهوضِ على ستّ أرجل وتنهار.

ترى نفسها كأنّها خارِجَ ذاتها.

تتراءى لها مُجدّداً صور من الماضي. بدايةً من الماضِي القريب، ثمّ من الماضِي البعيد. ترى نفسها وهي تُقاتِل العقربة، ترى نفسها وهي تتزلّج على ظُهُورِ موجِ الجراد، ترى نفسَها وهي تجتازُ الصحراء.

ترى نفسها مرّة أخرى وهي هاربة من عالمِ **الأصَابع**، وهي تتحاور معهم للمرّة الأولى، الكلماتُ المدُوّخة شمياً.

يبدو كلّ شيءٍ مثل فيلمٍ يدور بالعكس على شاشةِ تلفزيون.

تعُودُ وترى الرقم 24 صديقةَ حمْلَتها، التي أسّست لاحقاً مدينتها الحرّة في جزيرة الكورنيجرا، وسَطَ النهر. تعُودُ وترى نفسها وهي تطيرُ للمرّة الأولى على متن جُعَلٍ وحيد القرن متعرّجةً بين قطراتِ المطرِ القاسية والخطيرة مثل أعمدة الكريستال.

تعُودُ وترى أُولى رحلاتِها الاستكشافيّةِ إلى بلاد **الأصابع** واكتشافها لحافّةِ العالم القاتلة، للطريق الذي تمحو عنه سيّاراتهم أيّ شكل للحياة.

تعود وترى نفسها تُصارِعُ الجِرذون، تُصارعُ الطير، تُصارِع أخواتها ذوات رائحةِ الصخرِ اللّائي كنَّ يتآمرنَ على عشّ النمل.

تعُودُ وترى الأمير 327 والأميرة 56 يكلّمانِها للمرّة الأولى عن اللغز. هناكَ ابتدأ الاستكشاف، اكتشافُ البعدِ الآخر، **الأصابع**.

تتدحرَجُ ذاكرتها وتعجَزُ عن إبطائِها.

تعُودُ وترى نفسها في حربِ الخشخاش، تقتُلُ كي لا تُقتَلَ. تعُودُ وترى نفسَها تشقُّ دروعاً عدوّة بفكّيها. تعُودُ وترى نفسها وسَطَ حشودٍ من ملايين الجنديّات، يبترن لبعضهنّ الأرْجلَ والرؤوسَ والقرونَ في معاركَ قد نسيَتْ إلامَ أفضَت.

تعُودُ وترى نفسَها تعدُو بين الأعشاب، مُطارِدةً مَساراتٍ شميّةٍ تتضوّعُ بطيبِ أخواتها.

تعودُ وترى نفسها نملة طفلةً تتسكَّعُ في ممرّات بيل-أو-كان، تُشاكِسُ جنديّات أكبر منها سنّاً.

تُوغِلُ الرقم 103 أبعدَ في الماضي. وترى نفسها مرّة أخرى حوريّة، ترى نفسها مرّة أخرى يرقة! يرقة تجفُّ في القاعةِ الشمسيّة في قبّة الغُصينات. ترى نفسها مرّة أخرى عاجزةً عن التحرّك بقدراتها الخاصّة، صارخةً فيروموناتٍ لتستأثِرَ وحدَها دونَ اليرقاتِ المجاورة باهتمامِ المُربّيات المُستعجلات.

أريدُ طعاماً! أيتها المربّيات، أعطوني طعاماً بسرعة، أريدُ أن آكلَ لأكبر، تصيحُ.

وصحيح بأنَّ أقصَى طمُوحها في تلك الأيّام، هو أنْ تكبُرَ بسرعةٍ.

تعُودُ وترى نفسها داخلَ شرنقتها، تصغُرُ على نحوٍ مُتزايد.

تعُودُ وترى نفسها بيضةً بيضَت، محشورةً بين أكداسِ البيوض في غرفةِ التخزين.

كم من غرابةٍ تنطوي في شعُورِ المرء أنّه يرى نفسَهُ مصغّراً إلى حجم هذه الكرة اللؤلؤيّة الصغيرة المُترعَةِ بالسّائل الصّافي. مُنذُ ذلكَ الحين كانت هي. قد كانَت تِلك.

قبل أنْ أكونَ نملة، كنتُ كرةً بيضاء.

الفكرةُ المُكوّرةُ تفرِضُ نفسَها.

تظنُّ أنّه لا يُمكِنُ العودَةَ في الماضي أبعدَ من البيضة. ولكن بلى! ذاكرتها المُتوثّبةُ تواصِلُ إرسَالَ الصُّورِ إليها.

تعُودُ بالزمنِ وترى لحظَةَ وضْعِ بيضَتِها. تعود وتصعدُ البطنَ الأموميّ وترى نفسها بويضَة. بويضَةً خُصّبت للتوّ.

قبل أنْ أكون كرة بيضاء، كنت كرة صفراء.

إلى الخلف. أبعدَ أيضاً، أبعدَ فأبعَد.

تشهَدُ التقاءَ المَشِيج الذكريّ والمَشِيجُ الأنثوي في قلبِ البويضة. وهناك، تجِدُ الرقم 103 نفسها في تلك اللحظةِ غير المرئيّة حيث يجري الاختيار بين ذكر، أنثى، مُحايد.

ترتَعِشُ البويضَة.

ذكر، أنثى، مُحايد؟ كلّ شيءٍ يهتزُّ في قلبِ البويضة. ذكر، أنثى، مُحايد؟

ترقصُ البُويضة. وتمتزِجُ سوائل غريبة، تتحلّل نواتها، مُشكّلةً صلصة رخوة بانعكاسَاتٍ مُتموّجة. تتشابك الكروموسومات مثل أرجل طويلة. X، Y، XY، XX؟ وفي النهاية يفوزُ الكروموسُوم الأنثوي.

تمَّ الأمر! الهُلام الملكيّ غيرّ مجرى تطوّرها الخلوِيّ بعودته إلى الإحالةِ الأولى، الإحالة التي حدّدت جنسها.

الرقم 103 غدَتْ الآن أنثى. الرقم 103 غدَتْ الآن أميرة.

تأخذُ ألعابٌ ناريّة تهتاجُ في رأسها كما لو أنَّ دماغها يُشْرِعُ، فجأة، جميعَ أبوابهِ الصغيرة تاركاً الضوءَ يتسلَّلُ إليه.

تُفتَحُ الصمّامات كافّة. تتضاعَفُ قُدرة حواسّها عشرةَ أضعاف. إحساسها بكلّ ما يُحيطُ بها أكثرُ حدّة، أشدّ إيلاماً، أعمق. تشعرُ سائِرَ جسدِها مُفرطَ الحساسيّة، يرتعِشُ لأدنى موجةٍ خارجيّة. تجتاحُ عينيها بقَعٌ مُتعدّدةُ الألوان، وتشعُرُ بحُرْقةٍ في قرنيها الاستشعاريّين كأنّهما بلّلا بكحولٍ نقيّ فجأة وتخشى أنْ تخسَرهما.

ليسَ الأمرُ مُمتعاً حقّاً، إلّا أنّهُ مُفرِط القوّة.

لشدّةِ ما تشعُرُ بنفسها مُرهفة تتملّكها الرغبةُ في حفرِ الأرضِ والاختِباء لتحمي نفسَها من غزارةِ هذه المعلومات السمعيّة، الشمّية، الضوئيّة التي تتدفّقُ من شتّى النواحي لتصبَّ في دماغها. تشعرُ بأحاسيس مجهولة، بمشاعِرَ مُجرّدة، إذْ تُعبّرُ الروائِحُ عن نفسِها بالألوان، إذْ تُظهرُ الألوان نفسها بالموسيقى التي تتجلّى عبر أحاسيس لمسيّة، إذْ تتكشّفُ الأحاسيس اللمسيّةُ عن أفكار.

تتدفّقُ هذهِ الأفكارُ في دماغها مثل نهرٍ جوفيّ إذا ما انْبَجس يستَحيلُ ينبوعاً. كلّ قطرةِ ماء منهُ هي لحظةٌ من ماضيها المُستَعاد، إلّا أنّها مُضَاءةٌ بحواسّها الجديدة وقدرتها الجديدةِ على الإحساسِ بمشَاعر وأفكار تجريديّة.

كلّ شيءٍ مُنوّر بنهارٍ جديد. كلّ شيءٍ مُختلف، أرهَفُ، وأعقَد، كلّ شيءٍ يبثُّ معلُوماتٍ أكثر بكثير مما ظنّته.

تعي بأنّها لم تعش، إلى اللحظة، بشكلٍ كامل. دماغها يتّسع. كانت

تستخدِم 10% من قُدرته، والآن ربّما، مع هذا المزيجِ الهرمونيّ، وصلَتْ إلى 30%.

كم مبهجٌ أنْ تتضَاعفَ حواسُّ المرءِ عشرةَ أضعاف! كم مُبهجٌ لنملةٍ ظلّت عديمةَ الجنسِ طوال هذا الزمن أن تغدو فجأةً، بفعلِ سحر الكيمياء، ذات جنس رهيفة!

رويداً رويداً، تعودُ وتتّصِلُ مع الواقع. إنّها في عشّ الزنابير. ما عادتْ تُميّز، في الدفءِ الاصطناعي لهذا العشّ المصنوع من الورق الرماديّ، إنْ كانَ الوقتُ ليلاً أم نهاراً. ليلاً على الأرجح. أو ربّما بزغَ الصبح.

كم من السّاعات، من الأيّام، من الأسابيع مضَتْ منذ أنْ ابتلعَت الهُلام الملكيّ؟ لم تشعُرْ بالوقتِ يمضي. إنّها خائفة.

تُبلِغها الملكةُ بأمرٍ ما.

68. حصّةُ الرّياضة

- هيّا، البسُوا سراويلكم القصيرة وابدأوا العدْوَ هرولةً.

صخَبُ التلامذةِ يلفُّ المكان. وبينما بعضُهم يمُطُّ أعضَاءَه، اتّخذَ الأغلبية مواقِعَهم بنشاطٍ عند خطّ الانطلاق.

ابتدأ اليوم بحصّةِ الرياضة.

- قلت انتظموا في الصفّ. لا أريدُ أنْ أرى سوى رأسٍ واحد. عند إشارة الانطلاق، ستعدونَ بأقصَى سُرعتكم، ارفعوا أفخاذكم جيّداً، وسّعوا خطواتكم، ابذلوا قُصَارى جهدكم، اركضوا ثماني دوراتٍ وسأقيسُ زمنكم، أعلَنت المُعلّمة. أنتم عشرون، وبالتالي سينالُ كلّ واحدٍ علامةَ ترتيبِ وصُوله، الأوّل على عشرين والأخير على واحِد.

انطلَقَت صفرةٌ حادّة، انْطِلاق!

امتثلَتْ جولي والأقزام السّبعةُ دونَ قناعةٍ كبيرة. كانوا مُتعجّلين على إنهاءِ حِصَصِهم ليرجعوا إلى قاعةِ الموسيقى ويعملوا على مقطُوعاتٍ جديدة.

وبالفعلِ كانُوا آخر الواصِلِين.

- ماذا، ألا تُحبّينَ الركضَ، جولي؟

هزّتْ جولي كتفيها دونَ أنْ تتكلّفَ عناء الإجابة. كانت مُعلّمة الرياضة ضخمَةَ البنية. سبّاحة قديمة رُشّحَتْ في الماضي للألعاب الأولمبية، وقد أُتْخِمت آنذاك بهرمُوناتِ الذكورة لتُكسِبها بنية عضليّة وطاقة.

أعلنتِ المُعلّمة بأنَّ التمرينَ التالي هو تسلُّقُ الحبل.

تشبّثَتْ جولي، تأرجَحَت أمام وخلف مُتظاهرةً بأنّها تستَجمِعُ زخمها، وارتسَمت تحتَ وطأةِ الجهدِ تكشيرةٌ شديدة على وجهها دونَ أنْ تُفلِحَ برفعِ نفسها أكثر من متر.

- هيّا، تحرّكي جولي!

قفزت الشابّةُ أرضاً.

- لا منفعةً، في الحياة، من إجادةِ تسلّق الحبل. لم نعُدْ في الغابة. المصاعدُ والسلالم مُنتشرة في كلّ مكان.

فضّلت مُعلّمةُ الرياضة، وقد علتها الدّهشَة، أنْ تُوليها ظهرها وتعتني بالتلاميذِ الأكثر اكتراثاً ببنيتهم العضليّة.

فرصة، تبعتها حصّةُ اللغةِ الألمانيّة والتي كانت مُعلّمتها عُرضة دوماً لمُشاغبات تلامِذتها. يقذفونها ببيض، وبكرات كريهة الرائحة، ينفخون عليها كريّات ورقٍ مُجعّد عبرَ أنابيب. لم تكن جولي تتحمّلُ اضطهاداتٍ كهذه إلّا أنها لم تمتلك الجرأة للدخولِ في مواجهةٍ مع الصفِّ بأكملِه.

ففي النهايةِ مُواجهةُ المُعلّمين أيسَرُ من مواجهَةِ التلاميذ. شعرتْ بأنّها جبانة. وشعرتْ بتعاطُفٍ مع تلكَ المرأة.

رنّ الجرسُ. أعقبت حصّةُ الألمانيّةِ حصّة الفلسفة. دخلَ المُعلّم حجرةَ الصفّ وحيًّا زميلتَهُ البائِسة بتهذيبٍ جمّ. كان على النقيضِ منها تماماً. مُسترخي الأعصاب دائماً، حاضر النكتَة دائماً، ويحظَى بشعبيّةٍ واسعة في المدرسة. يتركُ انطباعاً بأنّهُ يعرفُ كلّ شيء وبأنّه يسيرُ في الوجُودِ غير مبالٍ في منأى عن القلق. فتيات كثر كنّ يعشَقنهُ تقريباً. وكان يصِلُ الأمرُ ببعضهنَّ إلى البوح لهُ بمشكلات مراهقتهنَّ وعندئذ كان يلعبُ دورَ حافظِ الأسرار ببراعةٍ.

موضُوع اليوم: «التمرُّد». دوَّنَ الكلمةَ السّاحرة على اللوح، تريّثَ لبعضِ الوقتِ ثمّ بدأ:

- سرعان ما نُلاحِظُ في الحياة أنّه من السهل دوماً قول «نعم». «نعم» تسمَحُ بالاندماج في المجتمع بشكل ممتاز. وافقوا على مُتطلّباتِ الآخرين وسيحتَضِنونكم بسرور. مع أنّه، يأتي وقت تُصبحُ فيه الـ «نعم» التي كانت، حتّى اللحظة، تفتح الأبواب أمامنا تُغلقها فجأة. هنا، ربّما تكمُنُ لحظةُ العبورِ إلى المُراهقة: اللحظة التي نتعلّمُ فيها أنْ نقولَ «لا».

لمرّةٍ إضافيةٍ استطَاعَ اجتذابَ انتباهِ طلّابه.

- تمتلِكُ الـ «لا» في الحدّ الأدنى قُدرة الـ «نعم» ذاتها. الـ «لا»، هي حرّيةُ التفكير بطريقة مختلفة. «لا» تُعزّزُ الطّبع. «لا» تخيفُ الذين يقولُون: «نعم».

يفضّلُ مُعلّمُ الفلسفةِ تقديمَ معرفتهِ وهو يذرعُ قاعةَ الصفّ بدل الجلوس على مكتبه، وأنْ يتوقَّف، من حينٍ لآخر، ويجلسَ على طرفِ طاولةٍ موجّهاً كلامه إلى تلميذ. استأنَفَ:

- ولكن مثل الـ «نعم» تماماً، الـ «لا» لديها حدُودها. قولوا «لا» على كلّ شيء وستَجِدونَ أنفسكم مُحاصَرين، مُنعزلين، بلا مخارج. العبورُ إلى سنّ الرشد، هو العمرُ الذي نتعلَّمُ فيه أنْ نُناوبَ بين الـ «نعم» والـ «لا» دونَ المُوافقةِ على كلّ شيء على نحو حاسِم أو رفضه. فالمسألةُ لم تعد في إرادة المرء الاندماج في المجتمع بأيّ ثمنٍ أو رفضه جملةً وتفصيلاً. وإنّما هناك معياران يُحفّزان اختيار الـ «نعم» والـ «لا»: 1) تحليلُ النتائجِ المُستقبليّة على المديين المتوسّطِ والطويل؛ 2) الحدسُ العميقُ. ويُنسبُ توزيع الـ «نعم» والـ «لا» بحكمةٍ إلى الفنّ أكثر من نسبهِ إلى العُلُوم. الذين يعرفون أنْ يقولوا «نعم» أو «لا» بحكمةٍ لا ينتهي بهم الأمر إلى السّيطرةِ على بيئتهم المُحيطَةِ فحسب وإنّما، وهو الأكثر أهميّة، السّيطرة على أنفُسِهم.

كانت فتياتُ الصفّ الأوّلِ يتشرّبنَ كلماته، مأخوذاتٍ بنبرةِ صوتِهِ أكثر من الكلمات التي ينْطِقها. دسّ مُعلّم الفلسفة يديه في جَيْبَي بنطالِهِ الجينز وجلَسَ على طاولةٍ مقعد زويه.

- من أجل خُلاصة القول، سأذكّركم بالمقولة الشعبيّة القديمة: «من

الحمَاقَةِ ألّا تكونَ فوضويّاً في العشرين... لكنّ الأكثر حماقَةً أنْ تظلّ كذلك بعد الثلاثين».

دوّن الجملَةَ على اللّوح.

وأخذتْ أقلام نهمة لتدوين كلّ شيء تملأُ صفحاتِ الدفاتر. وراح بعضُ الطلّابِ يلفظونَ الجُملة بصمتٍ ليتذكّروها حرفيّاً فيما لو طُلبت منهم في امتحانِ البكالوريا الشفهي.

- وكم عمرُكَ أستاذ؟ سألت جولي.

استدَارَ مُعلّم الفلسفة.

- عمري تسعة وعشرون عاماً، أجاب بابتسامةٍ ماكرة.

دنا من الشابّة ذات العينين الرماديّتين.

- ... فإذاً ما أزال فوضويّاً أمامي بعض الوقت. انتهزي هذه الفرصة.

- وماذا يعني أنْ تكونَ فوضويّاً؟ سألتْ فرنسين.

- ألّا تخضَعَ لإلهٍ أو سيّد، أنْ تشعرَ بنفسِكَ إنساناً حُرّاً. وأنا أشعُرُ أنّي رجلٌ حرّ وأعتزم تعليمكم أن تغدوا كذلك أيضاً.

- لا إله ولا سيّد، يسهُلُ قولُ هذا، تدخّلت زويه. ولكن بالنسبَة لنا، هنا، أنت مُعلّمنا ونحنُ مُرغمُونَ على الإصغاءِ لك.

لم يتسنّ للفيلسوف أن يجيب. فُتِحَ البابُ بغتةً ودخلَ المُديرُ القاعة. وبسرعةٍ صعَدَ المنصَّة.

- ابقوا جالسين، طلبَ من التلامذة. أتيت أكلّمكم عن موضوع خطير. هناك مهووس بإشعال الحرائق يجُولُ في المبنى. لقد حدَثَ حريقٌ منذ بضعةِ أيّام في زاويةِ حاوياتِ القمامة، والآذِنُ اكتشَفَ زجاجة مولوتوف قرب الباب الخلفيّ، الذي هو من خشب. مبنى الثانوية أسمنتي ولكن هذا لا يُلغِي بأنَّ أسقُفها المُستعارةَ محشوّةٌ بالصوفِ الزجاجيّ، وأنّ ثمّة مواد بلاستيكيّة وجميعها قابلة للاشتعال بسرعة والتي يصدُرُ عن احترَاقِها أدخِنةٌ شديدة السمّية. وبالتالي قرّرتُ أنْ نتزوّد بأكثر الأنظمة المضادّة للحريق فعّالية. نحن من الآن فصاعداً لدينا ثمانية منافِذ إطفاء تحتوي على خراطيم ماء قابلة للفَرْدِ ببضع ثوان وتصل إلى أيّ مكان في مبنانا يتعرّضُ لأن يكون ضحيّة اللهب.

تردّدت صفّارة إنذارٍ غير أنّ المدير استكمل، بالصّوتِ الهادِئ ذاته:

- ... علاوةً على ذلك، صفّحتُ البابَ الخلفيّ الذي باتَ من الآن في منأى عن النار، بوسعي أن أؤكّد لكم، بأنّه بات آمناً تماماً. أمّا بخصوصِ الصفّارةِ التي تسمعونها الآن، فهي إشارة الإنذار التي تنبّه ببدايةِ حريق. من الآن فصاعداً، ما إنْ تسمعوها تنتظمون في رتل وتغادرون الصفّ، بلا تدافع، بأسرع وقت وتتجمّعون في الباحة أمام المدخل. دعونا نُجري اختباراً.

كادت الصُفارة تغدو مُصمَّةً.

نفّذَ التلاميذُ بسرور تدريبَ الإخلاء، مُبتهجين بالتلهي. وهناكَ في الأسفَلِ رجال إطفاء أرُوهم طريقةَ فتْحِ منافِذ الإطفاء، وإخراجِ الخراطيم، وتركيبِ الوصلات. علّموهم بضعةَ إجراءات للمحافظة على الحياة، كأن يضعوا قِطَعَ قماش مُبلّلة حول الأبواب، أو أن ينخَفِضوا طلباً للأوكسجين تحتَ غمامةِ الدخان. في أثناء هذه الجلبة، التفتَ المدير إلى جي وونغ سائلاً:

- أخبرني، بخصُوص الحفل، هل تستعدُّون له بحماسة؟ موعِدُهُ بعد الغد، لا تنسوا.

- نحتاج بعض الوقت.

تريّث بضع لحظات للتفكير، ثمّ أعلن:

- حسناً، استثنائيّاً، أعفيكُم من الحِصَص. تجاوزوها جميعها، ولكن أثبتوا جدارتكم بهذا الامتياز.

صَمَتَت الصافرةُ أخيراً. وأسرعت جولي والأقزام السبعة مندفعينَ إلى قاعتهم. وفيما بعد الظهيرة، أعدّوا مقطوعات إضافيّة. غدا لديهم ثلاثاً منتهية، فضلاً عن اثنتين قيدَ الإعداد. كانوا يُخرجونَ الكلمات من *الموسوعة* ومن ثمّ يجتهدونَ في منحِها الموسيقى القادرة على إبرازِ قيمتها.

69. موسوعة

غريزة حربيّة: أَحِبَّ أعدَاءَك. هذه الوسِيلَةُ الأمثل لتُفقِدهم أعصَابهم.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

70. لنغادِرَ بُرجَ السنديانة

عليكنّ المُغادرة.

تعيدُ ملكةُ الزنابيرِ رسالتها بإشاراتٍ قرنيّة. تُربّتُ على جُمجمةِ النملة بقرنٍ نافدِ الصبر، بينما تُشيرُ بالقرنِ الآخر إلى الأفق. الإشاراتُ هذه مفهُومة للجميع. يجبُ المُغادرة.

المُربّيات العجائز، في بيل-أو-كان، كنّ يقُلنَ:

ينبغي على كلّ كائنٍ أنْ يعرفَ تحوّلاً. إنْ فوّتَ عليهِ هذه المرحلة، فلن يكونَ قد عاشَ سوى نصفِ حياته.

إذن، تبدأُ الرقم 103 الجزءَ الثاني من حياتها. أمامها الآن اثنتا عشرة سنةً إضافيّة من الحياة وتعتَزِمُ استغلالها على أحسَنْ وجه.

أصبحَ الآن للرقم 103 جنس. إنّها أميرة وتُدركُ بأنّها لو صَادفَتْ ذكراً، فبإمكانِها التناسُل.

تسألُ الاثنتا عشرة نملةً أميرتهنّ الجديدة عن أيّ اتّجاهٍ يتّخذنَ. لا تزالُ الأرض تزخَرُ بالجرادِ والأميرة 103 تعتبرُ أنّ الأفضل مُواصلة السيرِ في المُرتفعات على الغصون وبأن يتوجّهنَ صوبَ الجنوب الغربيّ.

توافِقُ الاثنتا عشرة.

ينزلنَ من أعلى البُرجِ الذي تُشكّلهُ السنديانةُ الكبيرة وينعطفن نحو غصنٍ طويل؛ يسرنَ على هذا النحو مُتنقّلاتٍ من غُصْنٍ إلى غُصْن، واثباتٍ من حين لآخر، أو مُتأرجحاتٍ بأرجلهنّ مثل بهلواناتٍ لبلوغِ ورقةٍ بعيدة. يسِرنَ زمناً طويلاً قبل أنْ تغيبَ عنهنّ الرائِحةُ المُرّة للجراد.

ينحَدِرْنَ بحذَر، الأميرةُ 103 على رأسِ المجمُوعة، إلى أسفل شجرة جمّيزة ويلمِسنَ الأرض. لا يكادُ يفصلهنَّ عن غطاءِ الجرادِ نحوَ عشرة أمتار.

تشيرُ الرقم 5 إلى الأُخريات بأنْ يتسلّلنَ دون لفتِ النظر في الاتّجاهِ المُعاكسِ، غير أنّ هذا الحذر يظهرُ غير ذي نفع. إذْ بغتةً، وكأنّما يُلبّي نداءً غير مرئيّ، يعلو جميعُ الجرادِ في السماء.

تطيرُ، نُدَفُ الموت.

المشهَدُ مُذهل. للجراد عضلاتُ أرْجُلٍ أقوى ألف مرّة من مثيلاتها لدى النمل. ما يسمح له بأن يُلقي بنفسه إلى ارتفاعاتٍ تُعادِلُ طولَ جسَدهِ عشرين ضعفاً. عندما يصِلُ إلى ذُروةِ وثبته، يفردُ أجنحتهُ الأربعة إلى أقصاها ويُحرّكها بسرعةٍ كبيرة ليعلو أبعدَ في الأجواء. هذا الكمُّ من الحركاتِ يُصدِرُ جلبةً غير معقولة. أعدادُ الجرادِ لا تُحصَى ما يجعلُ الأجنحةَ تتصادمُ داخلَ غمامته. ويُسحَقُ بعضُهُ وسَطَ الحشُودِ من قبلِ أبناءِ جلدَته.

لا يلبثُ الجراد، من حولهنّ، أنْ يُقلِعَ مُحلّقاً. أكلَ كلّ ما يُؤكَلُ على الأرض، مُخلّفاً وراءَهُ أرضاً يباباً تنتَصِبُ فيها بضعُ أشجارٍ عارية بلا ورقة ولا زهرة أو ثمرة.

في أحيانٍ فائِضُ الحياة يقتلُ الحياة، تبثُّ الرقم 15 وهي ترنو إلى الجراد يبتَعد. إنّه منطقٌ صيّادة بالفعل مُعتادة على نزعِ الحياةِ مِنْ مُحيطها.

رغمَ ذلك لا تُدركُ الأميرة 103، وهي أيضاً تتأمّلُهُ يطير، حكمةَ الطبيعة في إنجابِ كائناتٍ من نوعِ الجراد. ربّما هو مُتحالفٌ مع الصحراء لتدميرِ الحياةِ الحيوانيّة والنباتيّة والإبقاءِ على الحياة الحجريّة فقط؟ أينَما يعبُرُ تتّسِعُ الصحراء، وتتقهقَرُ الحيوانات والنباتات.

تُولي الأميرةُ 103 ظهرها للمَرْأى الحزين للمرجِ المُدمّر. في الأعلى، هبوبُ الريح المُفاجِئ يمنَحُ غمامةَ الجرادِ سحنة وجهٍ يكشّر ويتمدّدُ في كلّ الاتّجاهات قبل أنْ تدفعَهُ الريحُ صوبَ الشّمال.

عليها الآن أنْ تُعْمِلَ تفكيرها في الخصَائصِ الإصبعيّةِ الثلاث: الفُكاهة، الحبّ، الفن. تدنُو منها الرقم 10، التي تسمَعُ أفكارها، وتقترحُ عليها أنْ تنتجَ فيرومون-ذاكرة حولَ علمِ الحيوان، تجمَعُ فيهِ كلّ ما ستُفضِي به الأميرة 103 لها بعد النموّ الكبيرِ لذاكرتها وقدراتها التحليليّة. تتناولُ قشرةَ بيضةِ حشَرةٍ وتعتَزِمُ تخزينَ السّائلِ الشمّي فيها.

توافِقُ الأميرةُ 103.

في الماضي، هي أيضاً فكّرت في إنجازِ شيء مُمَاثل، غيرَ أنّها في زحامِ مُغامراتها، أضاعَت البيضَةَ الزّاخرةَ بالمعلُومات. ويُسعِدها أنْ تتولّى الرقم 10 مُتابعةَ الأمر.

تتّخِذُ النملاتُ الثلاثَ عشرةَ طريقَ الجنُوبِ الغربيّ، جهة الحضَارة، جهة مدينةِ مسقَطِ الرأس: بيل-أو-كان.

71. لنفتح صفحة جديدة

في اليوم الذي سبَقَ الأمسية الكبيرة. في الصباح الباكر، كانت جولي لا تزالُ في سريرها تحلُم. حلمت بأنّها واقفةٌ أمام ميكروفون، عاجزةٌ عن إصدارِ أدنى صوت من حُنجرتها. حتّى الميكروفون سخِرَ منها. اقترَبَتْ من المِرآة ورأت بأنَّ ليسَ لديها فم. وقد نبتت عوضاً عنه لحية طويلة ملساء. ما عاد بوسعها أنْ تتكلّمَ أو تصرُخ أو تغني. بالكاد تستطيع رفعَ حاجبيها أو توسيع عينيها لتُشيرَ إلى ما تريد. أخذ الميكروفون يضحك ويضحك. وهي تبكي على فمها المفقود. كان هناك على طاولةِ المكياج شفرة ورغِبتْ بأن تشقَّ فماً آخر. لكنّ الشّقَّ يُخيفها. ولتهوّنَ العمليّة عليها، فكّرت بأن ترسمَ بقلمِ حمرة شكلَ فم. ثمّ قرّبت الشفرة إلى وسَطِ الرسم...

فتحت أمّ جولي بابَ الغُرفةِ مُحدثةً جلَبة.

- الساعَةُ التاسِعة، جولي. أعرفُ أنّكِ مُستيقظة. انهضي، ينبغي أنْ نتكلّم.

اعتدلَتْ جولي على مرفقيها وفركَتْ عينيها. ثم، على نحوٍ تلقائيّ، لمست فمها. وتحسَّسَت الشفتين الرطبتين. أوف! تأكّدت بيدها إنْ كان لديها حقّاً أسنان ولسان.

لبثت أمّها على العتَبة، وهي ترمُقها بملامح من يتساءل إنْ كان ينبغي، هذه المرّة، استدعاء طبيب نفسيّ.

- هيّا، انهضي.

- أوه لا! أمي! ليس الآن، ليس في هذا الوقت المبكر!

- لديّ كلمتان أقولهما لك. منذ موت أبيك، وأنتِ تعيشين كأنَّ شيئاً لم يحدُث. هل أنتِ بلا قلب؟ غير معقُول، لقد كانَ أبوكِ!

حشرَتْ جولي رأسَها تحتَ الوسادةِ كي لا تسمعها.

- تلهِين، وتتسكّعين مع ثلّةٍ من طلّاب الثانويّة كأنَّ شيئاً لم يكن. وصلَ

بكِ الأمر، في الأمس، أنْ تنامي خارجَ البيت. فإذن جولي، يجب أنْ نتحادَثَ نحنُ الاثنتان.

رفعَتْ بعضاً من الوسَادة، وتمعّنت في أمّها. الأرملة الثرية تزدادُ نحولاً.

بدا أنّ موت غاستون قد أمدَّ أرملتهُ بالقوّة. ينبغي القول إنّه بالإضافة إلى النظام الغذائيّ الجديد بدأَتْ أمّها تخضعُ لتحليلٍ نفسيّ. لم يكن يكفيها أن تُعيدَ الشباب إلى جسدها، وإنّما تريدُ أيضاً الرجوع إلى الخلف في ذهنها.

كانت جولي تعرف بأنّ أمّها، وفقاً للموضَةِ الواسِعَةِ الانتشار، تستَشِيرُ معالجاً نفسيّاً مُختصّاً بـ*rebirth*. لم يكن أولئك المُعالِجون يعودُونَ إلى الطفولَةِ فحسب، لكشفِ الصدَمات المنسيّة فيها وفكّ لغزها، وإنّما يعودُونَ بمرضَاهم إلى مرحلتهم الجنينيّة البعيدة. تتساءلُ جولي إذا ما كانَ الأمرُ سينتهي بأمّها، التي حرَصت دوماً على اختيارِ ملابِسها بما يتلاءم مع سنّها الروحي، إلى ارتداءِ أفرول مع حفّاضة أو أن تُقمّطَ نفسَها بحبلِ سرّة بلاستيكيّ.

من حُسنِ الطالعِ أنّ أمّها لم تختر بعد مُعالجاً نفسيّاً مُختصّاً بالـ «تقمّص». فأولئكَ يعودونَ إلى ما هو أبعد من الجنين، أبعد من البويضَة، يعُودون إلى الحياةِ السابقة. وعندئذ سترى جولي أمّها ترتدي الخِرقَ البالية للشَخصِ الذي كانت عليه قبل أنْ تنبعثَ ثانيةً.

– جولي، هيّا، يكفي صبيانية! انهضِي!

انكمشَت جولي إلى كُرةٍ صغيرة عندَ أسفلِ سريرها وسدّت أذنيها بأصَابعها. لا تريدُ أنْ ترى، أو تسمَع، أو تُحسّ.

إلّا أنَّ يدَ الواقعِ أتَتْ ترفَعُ الشراشف وظهرَ لها الوجه الأموميّ في نهايةِ جُحرها.

– جولي، إنّي جدّية. علينا التكلّم بصراحة، وجهاً لوجه.

– دعيني أنامُ، ماما.

كانت الأمّ مُتردّدة لمّا لفت بصرها كتاب مفتوح، على منضدةِ السرير.

موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* بقلم الأستاذ إدمون ويلز، المجلّدُ الثالث.

الكتابُ موضُعُ ريبةِ المُعالجِ النفسيّ. ما زالت ابنتها تحتَ الشراشِف، فأخذتهُ، دونَ صوت.

- اتفقنا، تستَطيعينَ النومَ لساعةٍ أُخرى ولكن، لاحقاً، ستتكلّم.

أخذَتْ الأمّ الكتابَ معها إلى المطبَخ وتصفَّحته. يدورُ حولَ ثورة، نمل، تشكيكٍ بالمُجتمع، استراتيجيّات قتال، تقنياتِ تلاعُبٍ بالجماهير. حتّى أنّه يحتوي على وصفاتٍ تُساعدُ على صناعةِ زُجاجات مولوتوف.

كانَ المُعالج مُحقّاً. وقد فعلَ خيراً باتّصالِهِ بها وتحذيرها من هذهِ الموسُوعةِ المزعومةِ التي تحرِفُ ابنتها. هذا الكتابُ مُخرِّب، باتت متيقّنةً من ذلك.

أخفتهُ في قَعرِ الرفّ العلويّ من خزانةِ المطبخ.

- أينَ كتابي؟

شعرَتْ أم جولي بالغبطَةِ لِمَا فعلت. لقد اكتشفَت مفتاح المُشكلَة. امنعُوا المُخدّر عن المُتعاطِي فيخضَع للحرمان. ابنتها تُواصِلُ البحثَ عن مُعلّم، أو أَب. في السابق كان هناكَ مُعلّم الغناء، والآن هذهِ الموسوعة الغامِضة. فعزَمَت في قرارتها على مَحْقِ جميعِ أولئكَ النمور الورقيّة واحداً واحداً إلى أنْ تعترفَ ابنتها بأنَّ لا ملجَأ لها سوى ملجأ واحد: أمّها.

- خبأْتُهُ وهذا لصَالحِك. في يوم من الأيّام، سوف تَشكرينني على ذلك.

- أعيدي لي كتابي، زمجرَتْ جولي.

- لا داعي للإصرار.

اقتربَتْ جولي من خزانةِ المطبَخ؛ فقد اعتادَت أمّها أنْ تضَعَ كلّ شيءٍ فيها. وكرّرت، فاصِلَةً بين الكلماتِ بعناية:

- أعيديهِ لي، فوراً.

- قد تكون الكتبُ خطيرة، دافَعتِ الأم. بسبب *رأسِ المال*، تحمّلنا سبعينَ عاماً من الشيوعيّة.

- أجل، وبسبَبِ العهدِ الجديد، تحمّلنا خمسمائة عامٍ من محَاكِم التفتيش، التي أنتِ مُتحدّرة منها.

عثرَتْ جولي على *الموسوعة* وسحبتها من الخِزانةِ التي كانت مَسْجُونةً فيها. هذا الكتابُ يحتاجُها على قدْرِ ما تحتاجُه.

لبثت أمّها بذراعين مُسبلَتين تتأرجَحان ترمقُها وهي تضمّهُ إليها. استدارَتْ جولي على عقِبها. أخذت عن مشجبٍ في الممرّ الرداءَ الأسود الطويل المُشمّع الذي يصلُ حتى كاحِليها، غطّت به قميصَ نومها، ثمّ أخذَتْ حقيبةَ ظهرها الصغيرة، دسّت فيها الكتاب، وخرجَتْ راكِضَةً.

تبعها آشيل، مُفعماً بالسرُورِ أنَّ أحداً فهمَ أخيراً بأنّهُ يُفضّلُ التنزّهَ صَباحاً وبالخطَواتِ السّريعة.

- واف، واف، واف! بثّ الكلب، وهو يعدُو بمزاجٍ رائق.

- جولي، عودي مباشرة! صرخَتْ الأمُّ من عتبة البيت.

نادت الشابّة تاكسي يعبُرُ مُتباطِئاً.

- إلى أينَ نَمْضِي، سيّدتي الصغيرة؟

أعطَتهُ عنوانَ الثانويّة؛ عليها أنْ تلتقي بواحِدٍ من الأقزامِ السّبعةِ على وَجهِ السّرعة.

72. على الطَّريقِ

نقود: النقود هي فكرة مُجرّدةٌ فريدة من ابتكارِ الأصابع.

وجَدَ الأصابعُ هذه الآليّةَ الذكية ليتجنّبوا تبادلَ أيّةِ أغراضٍ يصعُبُ حملها.

فبدلَ أن يحملوا معهم حجماً كبيراً من الطعام، يحملُونَ قطعاً ورقيّة مُزدانةً بالرسوم وتمتلكُ هذه القِطَع قيمةَ الأطعمةِ ذاتها.

وبما أنَّ الجميعَ مُتفق، يمكنُ لهذهِ النقود أنْ تُقايَضَ بالطعام.

حينَ نأتي على ذكرِ النقودِ مع الأصابع، يُبادرُ الجميع للقولِ بأنّهم لا يحبّون النقودَ ويتأسّفون لأنَّ مُجتمعهم قائم على أهميّةِ النقود.

رغمَ أنَّ وثائقهم التاريخيّة تُظهر بأنَّ الوسيلةَ الوحيدةَ قبل النقودِ لانتقالِ الثروات كانت... النهب.

مما يعني بأنَّ الأصابع الأعنف كانوا لمّا يصِلُون إلى مكان، يقتلون الذكور الذين فيه، يغتصبون الإناث ويسرقون ممتلكاتهم.

تنتَهزُ الرقم 10 برهةَ استراحةٍ جرّاء هبّاتٍ باردة لتسأَلَ الرقم 103. التي تُملِي عليها، في عُزلةِ مغارة، المعلُومات الثمينة عن الحياةِ والعادات والتقاليدِ الإصبعيّة لكي تملأَ منها فيرومون الذاكرة الذي يخصُّها حولَ علمِ الحيوان. لا تحوجُها الأميرةُ 103 إلى الطلَبِ مرّتين.

تقتَربُ النملاتُ الأُخريات لينتفعنَ هنَّ أيضاً من السّرد. تتناولُ الرقم 103 التكاثُرَ عندَ **الأصابع**.

لمّا كانت الرقم 103 تُشاهِدُ تلفزيونهم، استهواها على الأخصّ مُشاهدة ما يسمُّونهُ «أفلاماً إباحيّة».

تَدنُو الاثنتا عشرة أكثر ليشتَمِمْنَ جيّداً هذه الميّزة الجديدة للعاداتِ والتقاليد الإصبعيّة.

ما هي «الأفلام الإباحيّة»؟ تستفسِرُ الرقم 16.

تشرحُ الرقم 103 بأنَّ **الأصابع** تُعطي أهميّةً كبيرةً لجِمَاعِهم. يصوّرونَ أفلاماً لأفضلِ الجِمَاعات ويقدّمُونها مِثالاً للمُجامِعِين الرديئين.

وما الذي نراهُ في الأفلام الإباحيّة؟

لم تستَطِعِ الرقم 103 الإحاطَةَ بكلّ شيء، ولكن، على العمُوم، ثمّةَ إصْبَعٌ أنثى يأتي ويلتهم العضو الجنسيّ للذكر. ثمّ يتداخلان في بعضِهما وأحياناً مع عدّة أشخاص مثلَ بقّ الأسرّة.

لا يتزاوجون وهم يطيرون، بأجنحة ممدودة؟ سألت الرقم 9.

لا، تؤكّد الرقم 103 بأنَّ **الأصابع** يتزاوجُون على الأرض، وهم يتدحرجُونَ كما البزّاق. وعلى فكرة، غالباً ما يسيلُ لُعابهم مثلَ البزّاق.

تُبدي النمالُ اهتماماً كبيراً بهذا الشكلِ البدائيّ من المُمارسةِ الجنسيّة. يعلمُ الجميعُ بأنّ أسلافَ النمل كان لديهم منذ ما يُناهز 120 مليونَ سنةٍ مُمارسة جنسيّة شبيهة بهذا النوع. تقتَصِرُ على الجرجَرة على الأرض وحفّ الشريكين ببعضِهما أثناءَ التداخُل. يدورُ في خَلَدِ النمال، أنَّ **الأصابعَ**، في هذا الشأن، شديدو التخلُّف. الحبُّ أثناءَ التحليقِ، بالطيران في ثلاثةِ أبعَاد، أكثر إثارةً بما لا يُقاس من الحبِّ في بُعدين، لصيقينِ بالأرض.

ترتَفِعُ حرارةُ الجوّ في الخارج.

لم يعُدْ للنمالِ وأميرتهنَّ وقتٌ يبدّدنَهُ بالتحادُث. ينبغي عليهنَّ الاسْتِعجالُ إذا ما أردْنَ إنقاذَ المدينة من التهديدِ الرهيبِ لليافطَة البيضاء.

تسيرُ الأميرةُ 103 في المُقدّمة، لا ترتوي من نشوةِ السّعادةِ أنّها غدَتْ ذاتَ جنس. حتّى أداء عضوها جانستون، الحسّاسِ للحقولِ المغناطيسيّة الأرضيّة، باتَ أرهَف.

جميلَةٌ هي الحياة. جميلٌ هو العالم.

بفضلِ هذا العضو الخاصّ، تلتَقطُ النملةُ الموجاتِ التلوريّة بحدّةٍ مُدهِشة.

تعبرُ سطحَ الأَرضِ أمواج اهتزازيّة. تنتشِرُ عروقُ الطاقةِ المغناطيسيّة على القشرَةِ الأرضيّة التي بالكاد كانت الرقم 103 تميّزها وهي عديمةُ الجنسِ إلّا أنّها الآن تستطيعُ رؤيتها تقريباً كما لو أنّها ترى جذوراً طويلة.

تنصَحُ الاثنتي عشرة بمواصَلةِ السيرِ دون أنْ يحِدْنَ عن واحدةٍ من هذه القنواتِ الاهتزازيّة.

باتباعِ عروقِ الأرضِ غير المرئيّة، نحترمُ الأرضَ وهي، في المُقابلِ، تحمينا.

تفكّرُ **بالأصابع** العاجزينَ عن تمييزِ الحقول المغناطيسيّة. يشقّونَ طُرقهم في أيّ مكان، يقطعُونَ بالجدران المساراتِ القديمةِ للهجراتِ الحيوانيّة. ويبنُونَ أعشاشَهم في مناطِق ضارّة مغناطيسيّاً ويتفاجؤون لاحقاً من إصابتهم بالصداع النصفيّ.

مع أنّ بعض **الأصابع**، كما يُقال، كانوا يعرفُونَ سرّ عروقِ الأرض المغناطيسيّة. إذْ سمِعَتْ بالتلفزيون حديثاً حول هذا الموضوع. كانت مُعظم الشّعوب حتّى العصورِ الوسطى تنتظر كهنتهم أنْ يلتقِطوا عقدةً مغناطيسيّة إيجابيّة قبل أنْ يُشيّدوا معبداً. مثل النمل، الذي هو أيضاً، يبحَثُ عن «عقدة مغناطيسيّة» قبلَ أنْ يؤسّس مدينته. وفيما بعد، في عصر النهضة أخذ **الأصابع** يُصدّقونَ أنَّ بعقلهم فقط، يستطيعونَ فهمَ كلّ شيء دونَ حاجةٍ لأن يسألوا الطبيعةَ قبل شرُوعهم بأيّ شيء.

ما عاد الأصابع يسعونَ إلى التأقلم مع الأرض، يريدونَ من الأرضِ أنْ تتأقلَمَ معهم، قالَتْ الأميرةُ في سِرّها.

73. موسوعة

استراتيجيّةُ التلاعبِ بالآخرين: ينقسِمُ الناس إلى ثلاثِ مجمُوعات. هناكَ من يعتمِدونَ في حديثهم على اللغةِ البصَريّة، وآخرونَ يعتمدون في حديثهم على اللغةِ السمعيّة، وثمّة أيضاً من يعتَمِدونَ في حديثهم على لُغةِ الجسَد.

يقولُ البصَريّون على نحوٍ طبيعيّ: «ترى» لأنّهم يتحدّثونَ فقط من خلالِ الصور. يُظهِرون، يُلاحِظون، يصِفونَ بالألوان، ويحدّدُون أمراً ما بأنّه «واضِح، ضبابيّ، شفّاف». يستخدِمونَ تعابيرَ من قبيل «الحياة باللون الورديّ»، «واضِح للعيان»، «خوفٌ أزرق».

يقولُ السمعيّونَ على نحوٍ طبيعيّ: «تسمَع»، إنّهم يتحدّثونَ بكلماتٍ صوتيّة تُشيرُ إلى الموسيقى والضوضاء: «أذن صماء»، «صوت الجرس» ونعوتهم من قبيل: «رخِيم»، «نشاز»، «مسموع»، «مدوٍّ».

يقولُ الحسيّون الجسديون على نحوٍ طبيعيّ: «تشعُر»، يتحدّثونَ عن طريقِ الأحاسِيس: «تلتَقِط»، «تُكابِد»، «تَنْهار». تعبيراتهم: «يضيقُ صدرهُ»، «يسلُبُ اللبَّ». صفاتهم: «بارد»، «دافئ»، «مُهتاج/ هادئ».

يتضِحُ الانتماءُ إلى أيٍّ من هذهِ المجمُوعاتِ الثلاث عبرَ طريقة تحريكِ العينين.

عندما يُطلبُ من شخصٍ استعادةُ ذكرى، ويشخُصُ ببصرهِ إلى الأعلى، فهو بصريّ. وإذا أمالَ بصرَهُ جانباً، فهو سمعي. أمّا إذا أخفَضَ عينيه كأنّهُ يبحثُ عن أفضل الأحاسيسِ في داخله. فهو حسّي.

معرفةٌ كهذِهِ تسمَحُ بالتأثيرِ على شتّى أصنافِ المُحاورين عبرَ اللعبِ على المُستوياتِ اللغويّةِ الثلاثة.

من هنا، يُمكنُ الذهابُ أبعد من ذلك من خلالِ إنشاء مُرتكزاتٍ جسديّة. وذلك عبر الضّغطِ على موضعٍ من جسَدِ المُحاوِر عندما يُراد تحفيزهُ أثناءَ تسليمه رسالةً مُهمة، مثل «أنا أعتمدُ عليكَ لإنجازِ هذا العمل على نحوٍ

جيّد». إنَّ الضغطَ على ساعدِه، في تلكَ اللحظة، سوفَ يُحفّزه، وسيتجدّد التحفيزُ مع كلّ ضغطةٍ جديدة على نفسِ السّاعد. هذا هو أحدُ أشكالِ الذاكرة الحسّية.

ولكن، ينبغي الانتباهُ لعدَمِ تفعيلِ هذهِ الذاكرة في الاتّجاهِ المُعاكس. المُعالج النفسيّ الذي يستقبِلُ مريضَهُ بالتربيتِ على كتفِهِ مُشفقاً على حالِهِ: «آوه، صديقي المسكين، لستَ على ما يُرام إذاً»، مهما بذل لمُمارسةِ أفضل علاجٍ نفسيّ في العالم، سيستَعيدُ مريضُهُ على الفورِ كلّ مخاوفِهِ إنْ كرّرَ له، في لحظةِ المُغادرة، التربيتَ ذاته.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

74. خنازير وفلاسفة

السائِقُ مَرِح. لا بدَّ أنّه كان يصلُ إلى أقصَى درجاتِ الضجرِ وهو جالسٌ بمُفردهِ داخلَ سيارته، إذْ أخَذَ يتكلّمُ مع زبونتهِ الشابّة دونَ أنْ يلتقِطَ أنفاسه. في غضُونِ خمس دقائق، أخبرها قصّةَ حياتِهِ التي، بالطبع، لا تُثيرُ الاهتمامَ على الإطلاق.

وبما أنَّ جولي لبثَتْ صامِتة، عرضَ أنْ يحكي لها قصّةً مُضحِكة:

كانت ثلاثُ نملاتٍ تسيرُ في الشانزليزيه في باريس وفجأة، توقّفت سيّارة رولز رويس في داخلها زيزٌ يرتدي بدلةً من الفرو والقطَعِ الصغيرةِ البرّاقة. «مرحباً صديقاتي»، قال وهو يُنزلُ الزجاج. نظرَت النملات بدهشَةٍ إلى الزيز الذي كانَ يأكلُ كافيار ويشربُ شمبانيا. «مرحباً»، أجابت النملات. «يبدو أنّكَ حقّقتَ نجاحاً جيّداً، قل لنا إذاً!» - «آه بلى! مجالُ الاستعراضات الفنيّة، مُكسبٌ جدّاً في أيّامنا. إنّني نجم. هل ترغبنَ ببعضِ الكافيار!» - «آآه، لا، شكراً»، أجابت النملات. يرفعُ الزيزُ زجاجَهُ ويأمر سائِقهُ بالانطلاق. مضَت الليموزين، وتطلّعت النملات ببعضهنّ بعضاً، مُنذهلات، وعبّرت واحدة منهنّ عمّا كان يعتَمِرُ في صدورِ الأُخريَات: «يا لَبلاهةِ جون دو لافونتين!».

ضحِكَ السائقُ بمُفرده. ونمّت عن جولي إيماءةُ تشجيعٍ صغيرة وقالت

في سرّها: كلّما اقتربت الأزمَةُ الروحيّةُ للحضارة، أكثرَ الناسُ من تداولِ الدعابات. ذلكَ يُعفي من إثارةِ حِوارٍ جدّيّ.

- أتريدينَ أنْ أُخبِركِ واحدة أخرى؟

استأنفَ السائقُ كلامه وهو يتّخذُ طُرقاً مُختصرةً مزعومة ومؤكّداً على أنّه وحدهُ يعرِفُها.

كان الطريقُ الرئيسُ إلى فونتينبلو مقطوعاً بمُظاهرةِ مُزارعين، الذين أخذوا يُطالِبون بزيادةِ الدعمِ الماليّ، وبتقليصِ مساحة الأراضي البور والتوقّفِ عن استيرادِ اللّحوم الأجنبيّة. وتُعلن اليافطات: «لننقذَ الزراعةَ الفرنسيّة» و«الموتُ للخنازيرِ المُسْتَوردة».

استولُوا على شاحنةٍ مُحمّلة بخنازير قادمة من المجر وشرعوا بإغراقِ أقفاص الحيوانات بالوقود. ثمّ أشعلوا عيدان ثقاب. وعلَا قِباعُ البهائمِ التي تحترقُ حيّة، يا للفظَاعَة! لم تتوقّع جولي أنّ صراخَ الخنزيرِ على هذا النحو. يكادُ الصراخُ أنْ يكونَ بشريّاً! رائِحةُ اللحم المشويّ المنبعثةِ مُقزّزة. بدتْ الخنازيرُ أنّها تُريدُ، لحظَةَ الاحتضار، الإفصَاحَ بقرابتها للإنسان.

- أرجوك، لنرحلَ من هنا!

ما زالت الخنازيرُ تنتَحِب وتذكّرت جولي ما قالهُ المُعلّم في درس البيولوجيا: إنّ الحيوانَ الوحيدَ الذي يُمكن زرع أعضائه في البشر هو الخنزير. وشعرَت، فجأة، بأنّ مشهدَ موتِ أبناء العمومةِ المجهولين أولئك لا يُطاقُ بالمُطلق. نظرت الخنازير إليها بسحنٍ مُتضرّعة. جلدها ورديّ. عيونها زرقاء. أرادت جولي الابتعاد عن مكان العذابِ هذا، وبأسرع ما يُمكِن.

ألقت بورقةٍ نقديّة للسائق ونزلت من السيارة لتهربَ على قدميها.

لاهثةً، وصلت الثانويّة أخيراً واتّجهتْ مُباشرةً إلى قاعةِ الموسيقى متأمّلةً ألّا يلحَظَ وجودها أحد.

- جولي! ما الذي تفعلينهُ هنا صباحاً؟ ما مِنْ حصّةٍ لصفّك.

لاحظَ الفيلسُوفُ طرفَ قميص نوم ورديّ تحتَ ياقةِ الرداءِ المُشمّع الأسود.

- ستُصابين بالبرد.

عرَضَ عليها مشرُوباً ساخناً في الكافيتريا، وبما أنَّ الآخرين لم يصلوا بعد، وافقَت.

- أنتَ إنسان صالح. لا تُشبِهُ معلّمةَ الرياضيّات. فهي لا عمَلَ لها سوى التقليلِ من شأني.

- أتعرفينَ، المُعلّمونَ أناسٌ مثل الآخرين. بينهم الصالحُ والطالح، الأذكياء والأقلّ ذكاء، الطيبون والأقلّ طيبة. المُشكلة، بأنَّ المُعلّمين، لديهم يوميّاً المجالُ للتأثيرِ على ثلاثينَ شابّاً على الأقلّ هم في طَورِ التشكُّل. مسؤوليّة هائلة. نحنُ بستانيّو مُجتمعِ الغدّ، أتفهمين؟

فجأةً، رفَعَ الكلفة.

- يُخيفني أنْ أكونَ مُعلّمة، قالت جولي. إضافةً إلى ذلك، يرتَعِدُ بدَني حينَ أرى المُضايقاتِ التي تخضَعُ لها مُعلّمة الألمانيّة.

- معكِ حقّ. لا يكفي في مهنَةِ التدريسِ التمكّنَ جيّداً من المادّة يجبُ، علاوةً على ذلك، أن يكونَ المُعلّم بعضَ مُعالجٍ نفسيّ. أُسِرُّ لكِ بالمناسبة، إنَّ المُعلّمين جميعاً ينتابُهم قلقٌ من فكرةِ مُواجهة صفّ. فيرتدي البعضُ قناعَ السلطة، فيما يلعَبُ البعضُ دورَ العُلماء أو، مثلي أنا، دورَ الأصدقاء.

أبعدَ كرسيّهُ البلاستيكيّ ومدَّ لها حلقةَ مفاتيح.

- لديّ حصّة الآن ولكن بوسعكِ أنْ تأخذي قِسطاً من الراحة أو تأكلي شيئاً، أسكنُ في ذلكَ المبنى، عندَ زاويةِ الساحة. الطابقُ الثالث إلى اليسار. بوسعكِ الذهابُ إليهِ إنْ أردت. بعدَ الهرُوبِ نحتاجُ إلى ملاذٍ صغيرٍ آمن.

تشكرُهُ رافضةً العرض. إذْ إنَّ رفاقها في فرقَةِ الروك سيصِلونَ عمّا قريب وهم سوفَ يستقبلونها دونَ مُشكلة.

رمقها المُعلّم بنظرَة صريحةٍ ومهذّبة. شعرتْ بأنّها ينبغي أنْ تُعطيهِ شيئاً بالمُقابل. معلومة. كانَ فمها الذي نطَقَ أكثر منهُ عقلها.

- أنا التي أوقدتُ النارَ في زاويةِ حاوياتِ القُمامة.

لم يبد أنَّ الاعترافَ فاجأَ أستاذَ الفلسفة.

- ممم... تخطئينَ في عدوّكِ، وتتصرّفينَ بلا تبصّر. الثانوية ليست غايةً في حدّ ذاتها وإنّما وسيلة. استخدميها بدلَ أنْ تَخضَعي لها. النظامُ الدراسيّ هذا، رَغْمَ جميع ثغراته، صُمّمَ لمُساعدتكم. التربيةُ تجعَلُ الكائنات أقوى، أوعى، وأصلب. أنتِ محظُوظة بالدراسةِ في هذهِ الثانويّة. حتّى وإنْ كنتِ لا تشعرينَ فيها بالارتياح، هي تُثريك. كم أنتِ مُخطئة بإرادتك تدميرَ ما لا تعرفينَ استخدَامَهُ!

75. اتّجاهُ النهرِ الفضيّ

تلجأُ النملاتُ الثلاث عشرة إلى غُصينٍ ليعبرنَ وادياً مُدوّخاً لشدّة انحدَاره. يقطعنَ غابةَ هندباء بريّ. وينزلنَ مُسرِعاتٍ مُنحدراً وعراً من السراخس.

يُلاحِظن، في الأسفل، ثمرةَ تينٍ مُنفجرة جرّاءَ سُقُوطِها عن الشجرة. هذا البركان الفائر من السكّر والزاخِر بالألوان: البنفسجيّ، الأخضر، الورديّ، الأبيض، سُرعان ما يجتذِبُ ذبابَ الهاموش المُهتاج. تمنَحُ النمالُ نفسها استراحةَ طعامٍ. كم هي لذيذة الفاكِهة!

ثمّةَ أسئلةٌ كفَّ الأصابع عن طَرْحِها. فعلى سَبيلِ المثال: لماذا للفاكهةِ طَعْمٌ لذيذ؟ ولماذا الزهورُ جميلة؟

نحنُ، النمل، نعلَم.

تقولُ الأميرةُ 103 في سرّها إنّه ينبغي أنْ يوجَد، كما الرقم 10، إصبَع يكلّفُ نفسَهُ بوضعِ فيرومون عن علم الحيوانات خاصّ بالعلمِ النمليّ. بهذِهِ الطريقة بوسعِهم معرفة السرِّ وراء طعمِ الفاكهةِ اللذيذ وجمالِ الزهور.

إذا صادفَتْ هذا الإصبع، ستقولُ لهُ بأنّ الزهورَ جميلةٌ وعطريّة لاجتِذابِ الحشَرات. فالحشَراتُ هي مَنْ ينثُرُ غُبارَ طلعِها ويتيحُ تكاثرَها.

والفاكِهَةُ لذيذةٌ على أَملِ أنْ تُؤكَلَ من الحيواناتِ التي ستهضِمُها وتبصُقَ نواتها وبذورها القاسية بين روثها على مسَافةٍ أبعد. استراتيجيّة نباتيّة حاذِقَة: لا تقتَصِرُ على انتشارِ بذرةِ شجَرةِ الفاكِهةِ وإنّما، علاوةً على ذلك، تتزوَّدُ على الفورِ بالسّمادِ الضروريّ لخصُوبتها.

الفاكِهةُ جميعُها تَتنافسُ لكي تُؤكل وبهذا تنتَشِرُ في العالم. التطوّر، بالنسبةِ لها، هو زُيادةُ تحسينِ نكهتها، شكلها وعِطْرها، الأقلُّ جاذبيّةً مصيرها الزوال.

ولكنّ الرقم 103 رأَتْ في تلفزيون **الأصابع** أنّهم قد أفلَحُوا بإنتاجِ فاكهةٍ بلا بذور: شمّام، بطيخ أو عنب خالٍ من البذور. كانَ **الأصابع** بداعي الكسَل عن بصقِ البذورِ أو هضمِها، ليس إلّا، يُحوّلونَ أصنافاً بأكملها إلى أصنافٍ عقيمة. قالت لنفسها إنّها في المرّةِ القادمة التي ستُتاحُ لها فُرصَةُ التكلّم مع **أصابع**، سوف تنصَحُهم بإبقاءِ بذارِ الفاكهة، حتّى لو كلّفهم ذلكَ بصقها.

على أيّةِ حال، هذه التينةُ الطازجَةُ التي يلتهمْنَها لن تلقى صُعُوبة في جعلِ نفسها تُؤكل وتُهضم. تسبحُ الثلاث عشرة في رحيقها الحُلْو. يحشِرنَ رؤوسهنّ في لحمِها الطريّ، يبصقنَ البذورَ على وجوههنّ، ويسبَحنَ في هلام لبّها.

تستأنفُ النمال طريقهنّ، وقد أُترِعت مَعِدُهنّ الهاضِمةُ ومَعِدُهنّ الاجتماعيّة بسكَّر الفاكهة. يعبرن بطرقٍ تُحيط بها نباتات الهندباء والنسرين. تعطُسُ الرقم 16. لديها حساسيّة من غُبارِ طلعِ النسرين.

بعدَ مدّةٍ وجيزة، يظهَرُ لهنّ في البعيدِ خطّ فضيٌّ: النهر. ترفَعُ الأميرة 103 قرنَيها وتحدّدُ مكانها بغايةِ الدقّة. إنّهنّ في شمالِ شرقِ بيل-أو-كان.

من حُسنِ الحظّ أنَّ جريان النهر يمضِي من الشّمالِ إلى الجنوب.

يلجأنَ إلى شاطئ من الرمل الأسود. وعند اقترابهنّ تلوذُ قطعان من الدَّعاسِيق بالفرار تاركةً جثَثَ أرْقاتٍ نصفَ مُمزّقة.

لم تفهم الرقم 103 يوماً لماذا يَعتَبِرُ **الأصَابع** بأنَّ الدّعاسِيق «لطيفة». إنّها وحُوشٌ تفترِسُ مواشِي الأَرْقة. ظاهرة إصبعيّة غريبة أخرى: يُسبغونَ مزايا إيجابيّةٍ على نباتِ النفلِ بينما أيّة نملةٍ تعلَمُ بأنَّ النفل نبتَةٌ سامّة النُّسْغ.

تتوغّلُ المُستكشِفاتُ داخلَ السّاحلِ الرمليّ.

عيدانُ القصَبِ الرفيعةُ المُنتشِرةُ حولهنّ تُخفي الضفادعَ التي نقيقها المشؤوم يُموِّجُ الهواء.

تقترحُ الأميرة 103 نزولَ النهر بالمركبِ. تجهلُ المُستكشِفات الاثنتا عشرة تماماً معنى «مركب» ويتوقَّعنَ بأنّ الأمر مُرتبطٌ ثانيةً بابتكارٍ إصْبَعيّ.

تُريهنَّ الأميرة 103 أنّهُ بالإمكانِ الاعتمادُ على ورقةٍ لمَخْر عُباب الماء. إذْ إنَّها عبرت النهر، في الماضي، على أوراقِ أُذْنِ الفأر، غير أنّ هذه النبتَة ليست متوفّرة حيثُ يتواجدن. فيفتّشنَ الجوارَ باحثاتٍ بالعيون والقرون عن ورقةٍ تطفو على الماء. ثمّ تنبَثِقُ البداهة: زنابِقُ الماء. منذُ بدءِ الأزمان، وهي تعُومُ على سطحِ الماء، هل يُمكن التأمّل بورقةٍ تطفو خيراً منها؟

مع زنبقة، سنعبرُ دونَ أنْ نغرق.

تتسلّق الفرقةُ زنبقةً صغيرةً بيضاء وورديّة تتكئ على الضفّةِ برفق. لأوراقها ذات العنقِ الطويلِ شكلٌ بيضويّ. يُشكّلُ الوجْهُ العُلويّ ما يشبهُ مِصطَبَة خضراء ومدوّرة، أملسُ وشبهُ مبرنق، ما يجعلُ تصرِيفَ الماء يسيراً. تحتَ الورقةِ الأساسيّة وريقات فتيّة لا تزالُ مغمورة وملتفّة على شكل أبواق. سويقاتها مرنة وتتوفر على مسَاربَ مليئة بالهواء تتيحَ لها طَفْواً أحسَن.

تصعَدُ النمالُ النبتةَ إلّا أنّ هذهِ الأخيرة لا تتحرّك. يُظهِرُ البحثُ وجودَ مرساة تثبّتها. تمتدّ زنبقة الماء بجُذْمُورٍ طويلٍ ينزل تحتَ الماء مثلَ حبل. هذا الذّيلُ شديدُ المتانة، وسُمْكهُ يزيد على خمسَةِ سنتمترات وينغرِزُ في العُمقِ بنحو متر ليثبّتَ النبتة بالأرض.

تنحَني الأميرة 103 تحتَ سطحِ الماء لتقطَعه، تُخلّلُ عملها بوقفاتٍ لتتزوّدَ بالهواء.

تُساعِدها الأُخرياتُ ولكن، قبل أنْ تسدّدَ ضربتها الأخيرة المُحرّرة، تُشيرُ لهنَّ الأميرة 103 بالقبضِ على عُوَم. إذْ إنَّها ستستَخدِمُ الخنافسَ المائيّة تلك كأدواتِ دَفْع. تستدرجهنَّ النمالُ ببضْعِ طرائد ميتة التقطنها عن سطحِ النهر. حينَ تقتَربُ العُوَم منها، تُجري الرقم 103 تواصلاً قرنيّاً معها وتجِدُ الفيرومونات الضروريّة لإقناعها بتقديم العونِ في رحلتهنّ النهريّة.

تُلاحِظُ الأميرةُ 103، عبرَ بصَرها الجديدِ باعتبارها صَاحِبة جنس، بأنَّ ضفّة النهرِ المُقابلةِ بعيدَةٌ جدّاً، وإضافة إلى ذلك، الأوراق الميْتَة الطافيةُ على سطحِ الماء تدُورُ بسرعةٍ كبيرةٍ علامةُ دوَّامات. ولن يقوَى أيُّ مركبٍ على

اجتيازِهِ في ذلكَ المكان. الأفضل كان النّزُولُ مع النهرِ وترقُّبِ مكانٍ يضِيقُ فيهِ مجرى النَّهر.

تبدأُ البيلوكانيّات بإعدَادِ سفينتهم وتَحميلِها بالمؤونةِ التي ستُسهِمُ في تحمُّلِ أهوال رحلتِهنّ النهريّة. تغلُبُ الدعاسيق على هذهِ المؤونة مِمّن لم تتوفّر لديهم السّرعةُ الكافيةُ للفرارِ والعُوَمُ التي رفَضَت التعاون.

تؤكّدُ الأميرة 103 أنّ ما من فائدةٍ في الرحيلِ الآن فلن يستَطِعنَ الإبحارَ ليلاً. وتنصَحُ بالمُقابل تأجيلَ صعُودِ السفينة إلى صباحِ الغدّ. بما أنَّ الحياةَ توالي نهاراتٍ وليال، فلَنْ تقِفَ عندَ هذهِ الليلَة.

فإذن، يلجَأنَ إلى أسفَل صخرةٍ ويأكلنَ الدعاسِيقَ لاستِعادةِ قُواهنّ. فهناكَ رحلة طويلة بانتظارهنّ.

76. موسوعة

رحلة إلى القمر: هناك أوقات تبدُو فيها الأحلامُ الأكثرُ جنوناً قابلةً للتحقّق شريطَةَ التجرُّؤ على محاولةِ تحقيقها. في الصين، في القرنِ الثالث عشر، إبّانَ عهدِ الأَباطرة من سُلالةِ سونغ، سادت حركة ثقافيّة تستَهدِفُ التمتُّعَ بمرأى القمر. وما عادَ من مصدرِ إلهام لدى أعظم الشُّعراء، وأعظم الكتّاب، وأعظم المُغنّينَ سوى ذلك الكوكب القابع في السماء.

أرادَ أحدُ أباطرةِ سونغ، وهو شاعرٌ وكاتِب، أنْ يُحرِزَ معرفةً واضِحةً حولَ الموضوع. إذْ وصَلَ إعجابهُ بالقمَرِ إلى حدٍّ أرادَ معهُ بأنْ يكونَ أوّلَ مَنْ يحظَى بموطِئ قدمٍ على سطْحِه.

طلَبَ مِنْ عُلمَائه صنْعَ صارُوخ. وقد كانَ الصينيّونَ يُجيدونَ بالفعلِ استخدامَ البارُودِ ببراعَة. فوضَعُوا مُفرقعاتٍ نارية ضخمة تحتَ كوخٍ صغير سيتربّعُ في وسطِهِ الإمبراطور سونغ.

وقد أَملوا بأنَّ قوّةَ الانفجارِ ستقذِفُ بصاحِب الجلالةِ نحوَ القمر. وبالتالي كان أولئكَ الصينيّون، قبل زمنٍ طويلٍ من نيل أرمسترونغ، وقبل زمنٍ طويل من جول فيرن، قد صنعوا أوّلَ صارُوخٍ فضَائيّ. ولكن لا بدّ بأنّ الأبحاثَ الأوّليّة أُجريتْ بطريقةٍ سطحيّةٍ للغاية: فما كادتْ فتائلُ المُحرّكات تشتَعِل حتّى أحدَثَتْ مفعولاً مُشابِهاً للألعابِ الناريّة تماماً، أي انفجرت.

مع مركبته، تشظّى الإمبراطور سونغ وسطَ الحُزَمِ الهائلةِ، المُتوهجةِ والمُلوّنةِ، التي كان يُفترضُ بها دفعَهُ نحوَ نجمِ الليالي.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

77. الانْطِلاقةُ الأولَى

أمضوا الليلَ بطُوله، يؤلّفونَ المقطُوعات ويتمرّنون، دونَ انقطَاع. ثمّ انغمسُوا ثانيةً في العمل، صبِيحةَ الحَفل. راحوا يستقونَ نصُوصَهم من *موسوعة العلم النسبيّ والمطلق* فيما دأبهم ينصَبُّ على الألحان والإيقاعات.

وما إنْ حلّت الثامنةُ مساء حتّى كانوا في المركز الثقافي يُدوزنونَ آلاتِهم ويختبرونَ المقدِرةَ الصوتيّة للمكان.

قبلَ عشر دقائق من دخُولهم المسرح، وبينما هم في الكواليسِ يستجمِعونَ طاقتهم على التركيز، تقدّمَ صحفيّ لإجراءِ لقاءٍ لمصلحة الصحيفةِ المحليّة.

- مرحباً، أنا مارسيل فوجيرار، من صحيفة *كليرون دو فونتينبلو*.

رمقوا الرجلَ البدينَ قصيرَ القامة، وجنتاهُ وأنفُهُ تَشِيان بميلٍ واضِحٍ للوجباتِ الغنيّةِ بالكحول.

- أعلِمُونا أيّها الشبّان، أتنوونَ إصدارَ أسطُوانة؟

لم ترغَب جولي بالتحدّث. فتكفّلَ جي وونغ بالإجابةِ:

- نعم.

بدت سِماتُ الرضا على وجهِ الصحفيّ. أستاذُ الفلسفةِ مُحِق. النطقُ بكلمةِ «نعم» تبسُطُ السرائرَ وتيسّرُ التواصُل.

- وما عنوانها؟

أجابَ جي وونغ بأوّل كلماتٍ خطَرَتْ في ذهنه:

- *استفيقوا*.

دوّن الصحفيُّ بعناية.

- وعمَّ تتحدَّثُ كلماتها؟

- أوه... عن كلّ شيء، أجابَتْ زويه.

أتت الإجابة هذه المرّة أكثر غمُوضاً من أنْ تُرضِي الصحفيّ، استأنَفَ:

- ولأيّ تيارٍ تنتمي إيقاعاتكم؟

- حاولنا إيجادَ إيقاعٍ يخصُّنا، قال دافيد. نودّ أنْ نكون مبتكرين.

لم يتوقّفِ الصحفيُّ عن التدوين، مثل ربّةِ منزل تضَعُ قائمةَ مُشترياتها.

- آملُ أنّهم حجزوا لكَ مكاناً جيّداً في الصفّ الأوّل، أعربَتْ فرنسين.

- لا. ليسَ لديّ مُتّسعٌ من الوقت.

- كيف لا يوجد متّسعٌ مِنَ الوقت؟

رفعَ مارسيل فوجيرار دفترَ مُلاحظاتِهِ ومدَّ لهم يدَهُ مُصَافِحاً.

- لا يتّسِعُ الوقت. ما زالَ أمامي أعمالٌ كثيرة لهذا المساء. ولا أستطيعُ تخصيصَ ساعةٍ لسمَاعِكم. كنت أتمنّى ذلك ولكن، حقّاً، أعتذِر لا أستطيع.

- لماذا تكتُبُ مقالاً إذاً؟ علّقت جولي مُستغربةً.

اقتربَ من أُذنِ جولي كأنّهُ يُفشِي لها بسرّ:

- لتعلمي سرَّ مهنتنا الكبير: «لا نتكلّمُ جيّداً إلّا عمّا لا نَعرفُه».

طريقةُ التفكيرِ أذهلَت الشابّة، ولكن بما أنّ الصحفيّ يبدو راضياً عن واقع الحالِ هذا، لم تجرؤ أنْ تُصرَّ عليه أو تُحاولَ استبقاءه.

مثلَ إعصَارٍ دخلَ مُدير المركزِ الثقافيّ. إنّه شديدُ الشّبهِ بأخِيه، مدير الثانويّة، كأنّهما توأم.

- استعِدوا، حانَ دوركم.

أزاحت جولي السّتارةَ دونَ أنْ تلفِتَ النظر. هذه القاعة التي تتّسِعُ لنحوِ خمسمائة شخصٍ ثلاثةُ أرباعِها خالية.

لديها، كما الأقزام السبعة، رهبةٌ مِنَ المسرَح. أخذ بول يتسلّى بقضم ما يقع تحت يديه ليتمَالك نفسه. وراحت فرنسين تدخن الماريخوانا. بينما أطبقَ ليوبولد جفنيه محاولاً التأمّل. وانشغلَ نرسيس بالتأكّد من دوزنة غيتاره، وجي وونغ بتفقّد المدوّنات الموسيقيّة لدى الجميع. وبدت زويه تكلّم نفسها؛ في الواقع، كانت تُكرّر للمرّة الألف كلمات الأغاني لشدّةِ خوفِها من أنْ تخذُلَها ذاكرتُها في ذروةِ أحدِ المقاطِع.

وبما أنّه لم يتبقَّ لدى جولي أيُّ ظفرٍ ناجٍ من القرض، راحت تقرِضُ طرفَ بنصِرها. جرحت نفسها ومصَّتِ الجرح.

عن منصّة المسرح، أعلنَ المديرُ عنهم:

- سيداتي وسادتي، شكراً لقدُومِكم بهذِهِ الأعداد الكبيرة من أجلِ افتتاحِ المركزِ الثقافيّ الجديد في فونتينبلو. لم تنتهِ كامِلُ الأشغالِ بعد وأرجو منكم تفهّمَ الارتباكِ الذي سبّبهُ هذا التأخير. على أيّةِ حالٍ، لقاعَةٍ جديدة، مُوسِيقى جديدة.

في الصفّ الأوّل عايرَ المُسنّون سمّاعاتِ آذانهم، المُشترِكون الذين لا يفوّتون أيّاً من العروضِ التي تُقدّم إليهم، لمُجرّدِ الخروجِ من البيت.

ارتفَعَت نبرةُ صوتِ المُدير:

- ستسمَعونَ الآن أكثر الأعمالِ الإيقاعيّةِ التي تُنجَزُ في منطقتنا تشويقاً. الروك، قد يُعجبكم أو لا يعجبكم، ولكنّي على يقينٍ بأنّ عازفينا يستَحِقون أنْ تُصغُوا إليهم.

كان المديرُ يقودُهم نحو الكارثةِ مُباشرة. إذْ يقدّمهم كفرقةٍ فُولكلوريّةٍ محليّة.

عدّل المديرُ من أسلُوبِهِ بعدَما قرأَ السُّخطَ على وجُوههم:

- أمامكُم تشكِيلُ روك أند رول، والإضَافةُ الجميلَة، مُغنّيَتُهُ المُحبّبة إلى النفس.

لم يحظ بتجاوبٍ كبير.

- تُدعَى جولي بانسون. إنّها مُغنّية فرقةِ بياضِ الثلج والأقزام السبعة. هذا عرضُهم الأوّل ولنشجّعهم سنصفّق لهم بحرارة.

تردَّدَ تصفيقٌ واهنٌ في الصُّفوفِ الأولى.

سحَبَ المديرُ جولي من الكواليس ووضَعَها تحتَ الأضواءِ الكاشفة، وسطَ المسرَح.

وقفَتْ جولي أمامَ الميكروفون. وتمركَزَ خلفَها الأقزامُ السّبعة ببطءٍ أمامَ آلاتهم المُوسيقيّة.

أمعنَت جولي في ظُلْمَةِ القاعة. المُحالونَ على المعاشِ يحتلّونَ الصّفوفَ

الأولى. وفي الخلفِ يتوزّع بعضُ العاطِلينَ عن العمَلِ ممّن دخلوا المكانَ مُصادفةً على الأغلَب.

في نهايةِ القاعةِ صرَخَ أَحَدٌ:

- تعرّي!

الشخصُ الذي يُغيظها كانَ أبعَدَ من أنْ تستطيعَ تمييزَ وجهِهِ ولكن لا يصعُبُ أبداً التعرُّفَ عليه من صوته: غونزاغ دوبيرون. بلا ريب، أتى مع كامِلِ ثلّته ليفسِدَ كلّ شيء.

- تعرّي! تعرّي! صرَخَ الجميع.

أَصدَرَت فرنسين إشارةً بأنْ يبدؤوا سريعاً ليطغوا على النداءاتِ المُزعجة.

كانت قائِمةُ المقطُوعاتِ قد أُلصِقَت على الأرضِ بحسَبِ ترتيبِ أدائِها.

1. *مرحباً*

خلفَ جولي، حدَّدَ جي وونغ الإيقاع. وعلى لوحَةِ المفاتيح عايرَ بول مقاييسَ شدّةِ الصوتِ وأرسَلَتْ الأضواءُ الكاشِفَةُ على ستارةِ الخلفيّة أطيافاً بشتّى الألوان القُزحيّةِ المُبتذلةِ إلى حدّ ما.

وصدَحَت جولي أمام الميكروفون:

مرحباً،
مرحباً، أيها الحضُورُ المجهول.
موسِيقانا سِلاح لتغييرِ العالم.
لا تبتَسِموا. ذلكَ مُمكن. بوسعِكم فعله. يكفي أنْ تُريدوا شيئاً حقّاً ليَحدُث.

حينَ صمَتَت عَلَا بعضُ التصفيقِ الباهتِ. وصرّت بعضُ المقاعِدِ القابلةِ للطي. همَدَتْ رغبةُ بعضِ الحضُورِ في مُواصَلةِ الحفل. وعادَت مُجدّداً ترتفعُ هتافاتُ غونزاغ ورفاقِهِ من آخر القاعة:

- تعرّي! تعرّي!

لم يبدُر من القاعةِ أيّةُ استِجابة. أهكذا يكون أوّل ظهورٍ على المسرح؟ هل عرفت فرق جينيسيس وبنك فلويد وYes بداياتٍ مُماثلة؟ دونَ انتظارٍ شرعَتْ جولي بمقطُوعةٍ جدِيدَة.

2. إدراك

لا نُدرك من العالمِ إلّا ما نحنُ مُهيَّؤون لإدراكهِ منه.

بهدفِ إجراء اختبارٍ فيزيولوجيّ أُغلقَ على مجمُوعة قططٍ منذ ولادتها داخل غرفة صغيرة جدرانها مزّينة بزخرفة عموديّة.

انطلقَت بيضَةٌ من زاويةِ غونزاغ وسُحِقَتْ على البلوزَةِ السودَاء للشابّة.

– وهذه، هل أدركتِها جيّداً؟ أرعَدَ.

تعالَتْ بعضُ الضحِكات في القاعة. فهمَتْ جولي الآن كامِلَ مُعاناةِ مُعلّمةِ الألمانيّة أمامَ جمهورها العدائيّ.

بما أنّ فرنسين رأتْ بأنَّ الوضعَ مُعرّض للتحوّلِ إلى كارثةٍ رفعَت صوتَ أورغها، قبل أنْ تُطلِقَ عزفَها المُنفرد المُدْرَج بالبرنامِج، لتطغَى على ضوضَاءِ القاعة.

ثمَّ انتقلوا مُباشرةً إلى المقطُوعةِ الثالثة.

3. نوم متناقض

في أعماقنا، يوجدُ طِفلٌ نائم.

نوم مُتناقض.

حلمهُ مُضطرب.

في آخرِ القاعة، في مكانٍ ما، لم يكن البابُ يتوقّفُ عن الفتحِ والإغلاق ليسمَحَ بدخولِ المُتأخرين وخروج من شعروا بالخيبة. الأمر الذي شتّت تركيزَ جولي بالكامل. بعدَ مدّةٍ وجيزة، لاحظَتْ بأنّها تُغنّي بلا إحساس لفرط ما كانت أصواتُ خبطِ البابِ على الجدارِ تَسرِقُ انتباهها.

– تعرّي، جولي! تعرّي!

تأمّلَت أصدقاءها. الوضعُ كارثيّ. لشدّةِ عدَمِ ارتياحهم فَرَطَ عقدُ انسجامهم بالعزف. لم يُفلح نرسيس في أداءِ نغماته. أصابِعُهُ التي ارتَجَفَت على أوتارِ غيتاره أصدَرَتْ أنغاماً مُتنافرةً.

سعَتْ جولي إلى عَزلِ نفسِها عن المُحيطِ وأعادَت اللازمة. المُدرَجُ في برنامَجِهم أنْ تُرافِقهم القاعةُ مع التصفيقِ عندَ هذا المقطَع، لكنَّ الشابّة لم تجرُؤ على تحفيزِهم.

في أعماقنا، يوجدُ طفل نائم.
نومٌ متناقض.

وبالمناسَبة، بعضُ المُتقاعِدين في الصفوفِ الأولى راحوا يغطّونَ في غفوةٍ قصيرة.

نومٌ مُتناقِض، شدَّدَتْ بقوّةٍ على الجُملةِ لتوقِظَهم.

كانَ يُفترَضُ في تلكَ اللحظةِ أنْ يدخلَ عزفٌ مُنفرد على الفلوت لليوبولد إلّا أنّه، بعد عدّةِ نغماتٍ ناشزة، آثرَ أنْ يُوجِزه.

من حُسنِ الحظّ بأنّ الصحفيَّ غادَر. شعرَت جولي بالانهيار. شجّعها دافيد بحركةٍ من ذقنهِ وأومأ لها بألّا تكترِثَ بالجمهور وأنْ تُواصِل، من أجلِهم فقط.

نحنُ جميعاً فائزون. لأنّنا نتحدّرُ من الحيوانِ المنوي الوحيد الذي فازَ في السباق أمام ثلاثمائة مليون من منافسيه.

أصبحَ غونزاغ وجرذانهِ السود أمامَ المسرَحِ مع عبوات بيرة معدنيّة ورشقوهُ برغوةٍ كريهةِ الرائِحة.

استمرّوا، استمرّوا! مدوّراً جي وونغ يدَهُ علامةَ استمرار. لحظاتٍ كهذِهِ على الأرجح تحوّلنا إلى مُحترفينَ حقيقيّين.

بلغَ المُشاغِبونَ ذروةَ هياجهم. وقد تزوّدوا، زيادة على البيض والعبواتِ المعدنيّة، بأبواقِ ضبابٍ ورذاذ من شتّى الأنواع دونَ أن يتوقّفَ صياحهم:

- تعرّي، جولي! تعرّي!

لكنّهم بالغوا.

- دعوهم بسَلام، دعُوهم يَعْزِفون! صرَخَتْ فتاة قويّة البنية طُبِعَ على التي شيرت الذي ترتديهِ عبارة «نادي آيكيدو».

- تعرّي! أبحَّ غونزاغ صوتَهُ صارخاً.

التفَتَ إلى الجمهور مُخاطِباً:

- أنتم ترونَ بأنَّ ليسَ لديهم الجدَارة!

- إنْ كان لا يُعجِبك، فلا أحد يُجبركَ على البقاء، قالت الفتاةُ القويّة صاحبَةُ تي شيرت الآيكيدو.

مُهدّدة وبمفردها، تقدَّمَت، مُستعِدَّة لمُواجهةِ رعونة المُشاغبين. وبما أنّ الآخرين، أكثرُ عدداً، ويحتمَلُ أن تكون لهم الغلبة، انضمَّتْ حاضِرات أُخريات يرتدينَ ذات التي شيرت لمدّ يدِ العون لها، فيما نهضَ بعضُ الناسِ دعماً لهذا الفريقِ أو ذَاك.

المُتقاعِدون، الذين استيقظوا، غاصُوا في مقاعِدهم.

- اهدؤوا، أرجُوكم، اهدؤوا! رَجتهم جولي خائِفة.

- استمرّي بالغناء! ألزمَها دافيد.

تأمّلت جولي مصعُوقةً، أولئكَ الأشخاص الذين يتعاركون. لا يُمكن القول بأنَّ الموسيقى تهذّبُ الأخلاق. كان من المُلحِّ المُبادرة بفعلٍ وبسرعة. أشارَتْ للأقزامِ السّبعة بأنْ يوقفوا العزف، فما عادَ يُسمَعُ غير أصواتِ العِراك وأصوات إطباقِ المقاعِدِ المُتحرّكةِ للذينَ فضّلوا مُغادرةَ تلكَ القاعةِ الهائِجة.

ما كان ينبغي الاستسلام. أغمَضَتْ جولي عينيها لتركّزَ على نحوٍ أفضل وتنسَى ما يحدُثُ أمامها. سدّت بقوّةٍ شديدَةٍ أُذنيها. عليها أنْ تعزلَ نفسها وتستَجمِعَ شتاتَ ذهنها. تستَعيدُ تقنياتها الغنائيّة. وتتذكّرُ إرشادات يانكلفيتش.

«في الغناء، حقيقةً، ما من دورٍ كبير للحِبالِ الصوتيّة. فإذا اقتصرَ سماعُكِ على حبالِكِ الصوتيّة، لن تسمَعي سوى أزيزٍ مُزعج. فمك هو الذي ينغِّمُ

الأصوات. هو الذي يرسمُ النوتةَ المُوسيقيّة ليمنَحها عظمتها. رئتاكِ هما منفاخان وحبالك الصوتيّة أغشية قابلة للاهتزاز وخدّاكِ صندوقُ صوتٍ ولسانك أداةُ مُعايرة. الآن، صوّبي بشفتيكِ وأطلِقي».

صوَّبت. أطلَقَت.

علامة واحدة. سي بيمول. عظيمة. واسعة. قاسية. صدَرَتْ واحتلَّتْ قاعةَ المركز الثقافيّ الجديدِ بالكامل. حين بلغَتْ الجدران، أرجعتها الجُدران وغمرَتْ موجتها *السي* بيمول كلّ شيء. *السي* بيمول تَغمُرُ الجميع.

مثلَ مزمارِ القربة، انكَمَش بطنُ الشابّةِ ليزيدَ من شدّةِ الصّوت.

كانت العلامةُ هائلة. أكثر علوّاً من جولي نفسها. داخِلَ النطاقِ الهائلِ *للسي* بيمول هذه، شعرَتْ نفسَها محميّة وشعرت، والعينان لا تزالان مُغمضَتان، بنفسِها تبتَسِم وهي تُمدّدُ علامتها.

قناعُها الغنائيُّ في أوجِ صفائِه.

استيقَظَ كاملُ فمها وأخذَ يبحثُ عن الصوت المثاليّ. تزدادُ علامةُ *السي* بيمول صفاءً، بساطة، فعّاليّة. أخذَ حلقُها وأسنانُها يهتزّونَ داخل فمها. أمّا لسانها فمشدُودٌ وقد جمَدَ عن الحراك.

خيّمَ الهدوءُ على القاعة. حتّى مُتقاعدو الصفوفِ الأولى توقّفوا عن التلاعُبِ بسمّاعاتِ الأُذن. وأوقَفَ الجرذانُ السُّودُ وفتياتُ نادي الآيكيدو عراكهما.

منفاخا رئتيها قد أفرغَا جميعَ هوائِهما.

لا ينبغي فقدانُ السيطرة. فواصَلَتْ جولي سريعاً بعلامةٍ أُخرى. ري. انطلَقَتْ على نحوٍ ممتاز إذْ إنَّ *السي* بيمول قامت بإحماءِ الفم بكامله. تسلّلت *الري* إلى جميعِ العقول. عبْرَ هذهِ العلامة كانت تنقلُ سائِرَ روحها. كلّ ما عاشتهُ كانَ مُنطوياً داخل هذا الاهتزازِ المنفرد: طفولتها، حياتها، همُومها، لقاؤها بيانكلفيتش، مُشَاحنتها مع أمّها.

أُثيرت عاصِفةٌ من التصفيق. آثرَ الجُرذان السود المُغادرة. لمْ تعلَمْ إذا ما كانوا يهلّلون لرحيلِ غونزاغ وعُصبتهِ أم من أجلِ علامتها الجديدة المُعلّقة بالأجواء.

لا تزالُ العلامَةُ مستمرّة.

توقّفت جولي. لقد استعادَتْ طاقتها بالكامل. عـادَتْ وأمسكَتْ الميكروفون، وكان على بقيّةِ الفرقةِ أنْ تتهيّأ ثانيةً.

أطفأَ بول الأضواءَ الكاشِفةَ ليتركَ فقط مخروطاً من الضوءِ الأبيض يتوّج جولي بهالة. لقد فهِمَ هو أيضاً بأنّه ينبغي العودةَ إلى البساطَة.

نطقَتْ بوضُوحٍ على مهل:

- الفنُّ أداة للثورة. مقطُوعتنا القادمة بعنوان: ***ثورةُ النمل***.

أخذت من جديدٍ نفساً عميقاً وأطبقَتْ جفنيها لتصدَحَ:

لا جديد تحت الشمس
ما عاد هناك راؤون.
ما عاد هناك مخترعون.
نحن الراؤون الجُدد.
نحن المُخترعون الجُدد.

بمثابةِ إجابة عليها تردّدَت «أجل» بضع مرّاتٍ.

اندفَعَ جي وونغ بحماسَةٍ جنونيّةٍ على آلتِهِ الدرامز. تبعتهُ زويه على آلةِ الباص، ثمّ نرسيس على الغيتار. وعزَفَتْ فرنسين توقيعاتٍ نغميّة سريعة. وبول الذي أدركَ بأنّهم يُحاولون جعل الطيّارةِ تُقلِع، يضَعُ مُكبّرات الصوت على أقصَاها. ترتجُّ القاعَةُ بكاملها. إذا لم يحلّقوا مع كلّ ما فعلُوه فلنْ يُحلّقوا أبداً.

قرّبت جولي شفتيها إلى الميكروفون ودندَنَتْ رافعةً صوتها على نحو تدريجيّ:

نهاية، ما يحصُل هو النهاية.
لنفتّح جميع حواسّنا.
ريحٌ جديدة تهبُّ هذا الصباح.

وما من شيء بوسعِهِ إبطاءُ رقصها المجنون.
ألفُ تحوّل سيعتَرِي عالمنا الرّاقد.
لا نحتاجُ عنفاً لنحطّم قيمه الجامدة.
ولتندهشوا: نصنَعُ «ثورة النمل» ليسَ إلّا.

ثمّ، أقوى، وهي مُغمضَةَ العينين ورافِعةً قبضتها:

ما عاد هناك راؤون...
نحن الراؤون الجُدد.
ما عاد هناك مخترعون،
نحن المُخترعون الجُدد.

هذه المرّة، كلّ شيءٍ يسيرُ كما ينبغي. كلّ آلةٍ ترنُّ بشكلٍ صحيح. مُعايرةُ بول رائعة. صوتُ جولي، بنبرتِهِ الدافئة، مُتحكّمٌ بأدائِهِ على نحوٍ مثاليّ. كلُّ ذبذبة، كلّ لفظةٍ ترنُّ بصَفاء. كلُّ شيءٍ كانَ يجري من أجلِ أبْلَغِ تأثير على أعضَاءِ الجسَد. لو أنّ أولئكَ الناس يعلمونَ بأنّها سيّدة مُطلَقةٌ على صَوتها، وإنْ أرادَتْ بوسعِها بأصواتٍ مُعيّنة أنْ تُأثّر بدقّةٍ على البنكرياس والكبد!

رفَعَ بول الصوتَ أكثر. مُضخّماتُ الصوتِ الموضُوعةِ على ألفِ واط بثّتْ طاقةً هائِلة. لم تعُدْ القاعَةُ تهتزُّ وإنّما ترتَجِف. صَوتُ جولي، مُضخّماً بميكروفونها، مَلأَ طَبْلاتِ الأذنِ ووصَلَ الدماغ. كانَ مِنَ المُحالِ، في تلك اللحظة، التفكير بشيءٍ سوى صَوت الشابّة ذات العينَينِ الرّماديّتين.

لم تشعُرْ جولي يوماً بالحَماسَةِ إلى هذا الحدّ. الحدّ الذي أنسَاها أُمّها والبكالوريا.

غناؤها حمَلَ النّفْعَ للجميع. نزَعَ مُتقاعدو الصفّ الأوّلِ سمّاعات الأذنِ وراحوا يُتابِعونَ الإيقاعَ بحركاتِ أيديهم وأرجلهم. ما عادَ يُسمع صريرُ باب آخر القاعة. الحضُورُ بأكملهِ مأخُوذٌ بالإيقاعِ، ويرقصُ حتّى بين الصُّفُوف.

أقلَعت الطائِرةُ في النهاية. وينبغي عليها أنْ تعلُو.

أشارَتْ جولي إلى بول بأنْ يُخفِضَ الموسيقى درجةً ثمّ دنَتْ مِنَ الجمهورِ وشدَّدت على كلّ لفظةٍ بمُفردها:

لا جديدَ تحتَ الشّمس.
ننظرُ إلى العالَمِ بالطريقةِ ذاتها.
مأخوذونَ بدوّامةِ سُلّمِ منارةٍ حلزوني.
ومع كلّ طابقٍ جديدٍ نُطلّ على أخطائِنا التي لا نلبَثُ أنْ نُكرّرها.
آنَ أوانُ تغييرِ العالم.
آنَ أوان كسرِ الحلقَةِ المُفرغة.
ما يحصُل ليسَ نهاية. على العكسِ تماماً، إنّهُ بداية.

لعلْمِهِ بأنّ كلمةَ «بداية» تشير إلى خاتمةِ المقطوعة، فعَّلَ بول، على لوحةِ التحكّم، ميزة «ألعاب ناريّة» فارتفعَت فرقَعاتٌ ضوئيّة فوقَ الرؤوس.

وصفّقَتِ القاعة.

طلَبَ دافيد وليوبولد من جولي أنْ تُعيدَ الأغنية. لا يلبثُ صوتُ الشابّةِ أن يصبحَ أقوى. لم يعُد يرتَعِش أبداً. ما يدفَعُ للتساؤلِ كيفَ مُراهقة هزيلة إلى هذا الحدّ بوسعها أنْ تشحَنَ غناءها بهذا القدْرِ مِنَ القوّة.

ما عادَ هناكَ مُخترعون،
نحنُ المُخترعون الجُدد.
ما عادَ هناك راؤون...

كان لهذِهِ الجُملةِ تأثيرٌ مُفَجِّر. أجابَها الجمهور كما لو مِنْ فمٍ واحد.

- *نحن الراؤون الجُدد!*

لم تتوقّع الفرقَةُ تفاعُلاً كهذا فارتجلَت جولي.

- حسناً. إذا لم نُرد تغييرَ العالَم، فسنظلّ خاضِعينَ له.

علَتْ هُتافات جديدة. أفكارُ موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* تحقّقُ غاياتها. كرّرت:

- إذا لم نُرد تغييرَ العالَم، فسَنظلّ خاضِعينَ له. فكّروا بعَالَم مُختلف. فكّروا بطريقَةٍ مُختلفة. أطلقوا العنانَ لمُخيلاتِكم. ينبغي أنْ يوجَدَ مُختَرِعُون، ينبَغي أنْ يوجَدَ راؤون.

أطبقَتْ جفنيها. كانَ دماغها يمنَحُها شعوراً غريباً. ربّما هذا ما يدْعُوه اليابانيّونَ *ساتوري*. اللّحظةُ التي يتّحدُ فيها الوعي واللاوعي، حالةٌ من السعادةِ الكامِلة.

أخذَ الجمهُورُ يضربُ بيديهِ على وقْعِ نبضِ قلبه. ما زالتِ الحفلةُ في أوّلها والجميعُ يخشَى منذُ الآن اللحظةَ التي ستنتَهي بها، اللحظة التي ستَترُكُ السّعادةُ فيها والاتّحاد مكانهما لرَتَابةِ الأيّام.

لم تعُدْ جولي تكتفي *بال*موسوعة، أخذَتْ ترتَجِلُ كلمات. كلمات تخرجُ من فمِها دونَ أنْ تعرِفَ من أينَ تأتي، كما لو أنّها راغِبة بأن تُلفَظ وهي لها بمثابة وسيط.

78. موسوعة

***مجال نو (مجال الوعي البشري):* لدى البشر دِماغان مُستقِلّان: النصفُ الدّماغيُّ الأيمن والنصفُ الدماغيُّ الأيسر. ولكلّ منهما ذِهنٌ خاصٌّ به. يختصُّ الدماغ الأيسر في مُعالَجةِ المنطق، إنّهُ دماغ الأرقام. بينما يختصُّ الدماغُ الأيمن في مُعالجةِ الحدس، إنّهُ دماغُ الشكلِ. وبالتالي إزاءَ المعلُومةِ الواحدة، سيكون لكلّ نِصفِ كرة دماغيّة تحليلٌ مُختلف، ممّا قد يؤدي إلى استنتاجاتٍ مُتناقضة تماماً.**

يبدو أنّهُ في الليلِ فقط، النصِفُ الأيمن من الدماغ، المُستشارُ غير الواعي، يُعطي - بواسطة الأحلام - رأيهُ إلى النصفِ الدماغيّ الأيسَر، المُخْرِج الواعي، كما زوجان لمّا تهمِسُ المرأة، الحدسيّة، رأيها خِلسَة إلى الزوج، المادّي.

ووفقاً للعالمِ الروسيّ فلاديمير فرنادسكي، صاحبِ مفهوم «المُحيط

الحيوي»، والفيلسُوفِ الفرنسيّ تلار دو شاردان، الدماغ الأنثويّ الحدْسِيّ هذا مزوّد أيضاً بموهبة أخرى، وهي القدرة على الاتصال بما يسمونه «المجال نو». والمجال نو هو عبارة عن سحابة كبيرة تحيط بالكوكب تماماً مثل الغلاف الجويّ أو الغلاف الأيونيّ. هذه السحابة المتكوّرة غير المادية برأيهم مؤلّفة من سائر اللاوعي البشريّ المنبعث من الأدمغة اليمنى، ويُشكّلُ مجموعها عقلاً كامناً كبيراً، بمعنى من المعاني العقلُ البشريُّ الكوني.

واستناداً على ذلك يكونُ اعتقادنا بأنّنا نتخيّلُ أو نبتكرُ أشياء لا يتعدّى، في الواقع، أنَّ دماغنا الأيمن يجلُبها من هناك. وعندما يُصغِي دماغنا الأيسر باهتمامٍ لدماغنا الأيمن، تمرُّ المعلُوماتُ وتؤدّي إلى فكرةٍ مُؤهلةٍ لأنْ تتجسَّدَ بأفعال.

وبحَسَبِ هذه الفرضيّة، فإنَّ الرسّام، الموسيقيّ، المُختَرِع، أو الروائيّ، ليسوا أكثرَ من أجهزةِ استقبالٍ لاسلكيّةٍ يستطيعونَ، بدماغهم الأيمن، الذهاب لينهلوا من اللاشعور الجمعي ومن ثمّ السماح لنصْفَي الدماغ الأيمن والأيسر بالتواصُلِ بما يكفي من الحرّيةِ حتّى يتمكّنوا من تجسِيدِ هذه المفاهيمِ التي تجُولُ في المجالِ نو.

إدمون ويلز،

موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.

79. أرق

الليلُ مُخيّمٌ ومع ذلكَ لا تَنامُ النملَة. صَوتٌ ووميض أيقَظَ الرقم 103. لا تزال المُستكشِفاتُ الفتيّات الاثنتا عشرَةَ حولها يغطُّطْنَ في النوم.

في السابق، كلّ ما يحدُثُ أثناءَ الليل لم يكن لهُ وجود لأنَّ النومَ كان يُطفِئُ جسدَها بالكامل ويبرّدُ دمها. ولكن منذ أنْ أصبَحَ لها جنس، تنتابها حالَةٌ من السباتِ الناقِص. أدنَى إشارة توقظُها. إنّها إحدَى مساوئ امْتِلاكِ حواسّ أرْهَف. يغدُو المرءُ عُرضَةً للأرق.

تَنْهَض.

الطقسُ بارد إلّا أنّها أكلَتْ في الأمسِ ما يكفي ليكونَ لديها المخزُون الضروريّ من الطاقةِ لتبقى مُستيقظَة.

تخرُجُ إلى عتبَةِ الكهفِ لترى ما يحصُلُ في الخارج. ثمّةَ غَمامٌ أحمَرُ يرحَل.

توقّفت الضفادِعُ عن نقيقها. السماءُ مُظلِمة والقمرُ نِصف المكشُوفِ ينعكِسُ مُعيَّناتٍ صغيرة على سَطْحِ النهر.

ترى الرقم 103 خطَّ نورٍ يُخطِّطُ السماء. ثمّةَ رعد. رَعْدٌ يشبهُ شجرةً بأغصانٍ طويلةٍ تنبتُ في السّماءِ وتطُولُ حتّى تُلامِسَ الأرض. لفرطِ انْخِطافه، سرعانَ ما يغِيبُ عن نظرِ الأميرة.

بعدَ الدويّ، تزدَادُ وطأةُ الصّمْت. وتزدَادُ عتمَةُ السّماء. تميّزُ الرقم 103 كهرباء مغناطيسيّة في الجوّ بواسِطَةِ أعضَائِها جانستون.

ثمّ تسقُطُ قُنبُلَة. تنفَجِرُ كرة مائيّة على الأرضِ وترشُقُها. المَطَر. تَتبَعُ الكرة القاتِلة هذه الكثيرات من شقيقاتها. الواضِحُ أنّها ليسَت بخطورة الجراد، ومع ذلك، تُفضّلُ الرقم 103 الرّجوعَ ثلاثَ خطواتٍ إلى الخلف.

تتأمّلُ الأميرةُ المطَر.

الوحدَة، البرد، الظلْمَة، إلى الآن، كانَتْ تعتبرُها مَعانيَ مُتعارِضةً مع فكرِ عشّ النمل. غيرَ أنَّ الظُّلْمةَ جميلة. حتى البرْدُ لهُ جاذبيّته.

جلْجَلَةُ اصطدامٍ ثالثة. شجرةُ ضوءٍ كبيرة تنْبُتُ ثانيةً بين الغيُوم وتموتُ ما إنْ تُلامِسَ الأرض. أقرَب هذِهِ المرّة. يُضِيءُ الكهفُ للحظَةٍ بوميضٍ يُحيلُ المُستكشِفاتِ الاثنتي عشرَةَ إلى مَهْقَاوات.

تُصابُ شجَرَةٌ سودَاء مِنَ الأرض بشجرةِ السّماءِ البيضاء. وتندلِعُ فيها على الفورِ ألسِنةُ اللّهب.

النّار.

تتأمّلُ النملةُ النارَ التي تلتَهِم الشجرةَ تدريجيّاً.

تعلَمُ الأميرَةُ بأنَّ **الأصابع**، هناكَ في الأعلى، أسَّسُوا تِقنياتِهم على تمكّنهم مِنَ النّار. ورأَتْ إلامَ أفضَى ذلك: الصخُورُ الذائبة، الطعامُ المحرُوق، وعلى الأخصّ، الحروب بواسِطَةِ النّار. المجازِرُ بواسِطَةِ النّار.

النّارُ عندَ الحشرات، مُحرَّمَة.

جميعُ الحشَراتِ تعلَمُ بأنّه في الماضِي، منذُ عشراتِ ملايينِ السّنين، كانَ النّملُ يُسيطرُ على النارِ ويشنُّ حروباً رهيبةً تُدمّر أحياناً غاباتٍ بأكملها. ممّا أدّى، في أحدِ الأيّام، إلى اتفاقِ حظْرِ استخدَام هذا العنصُرِ الفتّاك. لهذا السَّببِ ربّما لم تُطوّر الحشراتُ يوماً تقنيةَ المَعْدِنِ أو المُتفجّرات.

النّار.

هل سيضْطَرون، هُم أيضاً، لكي يتطوَّروا أنْ يتجاوزُوا هذا المُحرّم؟

تطوي الأميرَةُ قرنيها وتستَسلم للنومِ مُهدْهَدةً بوقْعِ قطراتِ المطَرِ على الأرض. تحلُمُ بألسِنَة اللهب.

80. نضَجُوا معاً

ترتَفعُ الحَرارة.

مغمُورةً بهذا الحشدِ شعرَتْ جولي بأنّها على ما يرام.

كانت فرنسين تُأرجِحُ شَعْرها الأشقر، وزويه ترقُصُ بخصرها، ودافيد يؤالِفُ بينَ عزفِهِ المُنفرد وعزفِ ليوبولد، بينما يضرِبُ جي وونغ بعصَوَيه، شاخِصاً إلى الأعلى، على جميعِ طُبُولهِ معاً.

كانت أذهانُهم مُنصَهرةً معاً. ما عادوا ثمانيةً وإنّما واحداً، وتمنّت جولي أنْ تستَمرّ هذهِ اللحظَةُ الثمينةُ إلى الأبد.

كانَ على الحفلِ أنْ ينتَهي في الحَادية عشرة والنّصف ليلاً. إلّا أنّ أحاسِيسَهم مُفعمةٌ بالقوّة. كانَ لدَى جولي فيضٌ من الطّاقة، لم ترتوِ بعد حاجتُها إلى التّواصُل الجَمْعِيّ هذا. لديها شعور بأنّها تطِير، ورافِضَة أنْ تحطّ على أرض.

أشارَ لها جي وونغ بأنْ تُعيدَ أغنية «ثورة النّمل». راحتْ بناتُ نادي الآيكيدو يهتِفْنَ في الممرّات:

من هُم الراؤون الجُدد؟

من هُم المُخترعونَ الجُدد؟

تعلو الهُتافات.

نحنُ الراؤون الجُدد!

نحنُ المُخترعونَ الجُدد!

تغيّرَ لون عينَي الشابّة قليلاً. تفعّلَت في رأسِها عدّةُ آليّات، فاتِحةً أبواباً، مُحرّرةً صمّاماتٍ، مُمزِّقَةً شِبَاكاً. استلَمَ عَصَبٌ رسالةً ليحمِلها إلى الفَم. عبارة ينبغي نُطْقها. سارَعَ العصَبُ بتمريرِ الرّسَالة، وطلَبَ من الفكّ بأنْ يُفتَح، تحرّكَ اللسانُ وخرَجَت الكلِمات:

- هل أَنتم مُستَعدّون... القيامَ بالثورة... الآن وفي هذا المكان؟

هدَأَ الجميعُ فجأة. الرّسالةُ التي استُلِمت أَرسلَتها الأعصَابُ السمعيّةُ إلى الأدمِغةِ التي بدَورِها فكّكتِ المعنَى والأهميّةَ لكلّ مقطَعٍ صوتي. وفي النهايةِ أتَى جواب:

- أجاال!

الأعصَابُ المشحونةُ بالحرارةِ أخذَتْ تعمَلُ أسرَع.

- هل أنتم مُستعدّونَ لتغيير العالَم الآن وفي هذا المكان؟

أجابَت القاعةُ بصوتٍ أقوى:

- أجاال.

خفَقاتُ قلبٍ ثلاث، وجولي تردَّدت. تردَّدَت تردّدَ الفاتحين الذينَ لا يجرُؤونَ على تحمّلِ عواقبِ انْتِصَارهم. أحسَّتْ بذاتِ القلقِ الذي أحسَّهُ هنيبعل على أبوابِ روما.

«يبدو الأمرُ مُفرط السّهولة، لنتَريّث».

لبثَ الأقزامُ السّبعةُ بانتظارِ جملةٍ منها أو إيماءةٍ فقط. العصَبُ مشدُودٌ على أُهْبَةِ الاستعدادِ للمسَارعةِ بنقلِ الإشارة. الجمهورُ يترقَّبُ فمها. تلكَ الثورة التي تتناولها *الموسوعة* بإفراط، كانت في مُتناولِ الذّهن. الجميعُ يترقّبها. يكفي أنْ تقولَ: «لننطلق».

لبثَ كلّ شيءٍ كأنّهُ مُعلّقٌ في الزّمَن.

أطفأَ المديرُ مكبّراتِ الصوت، أخفتَ ضوءَ المسرحِ وأضَاءَ القاعة. انضمّ إليهم على المسرح وقال:

- حسناً، ها قد وصلنا إلى نهايةِ الحفل. لنُصفّق لهم بقوّة. ونشكُر ثانيةً بياضَ الثلجِ والأقزامَ السبعة!

لحظَةُ السحرِ قد عبرَت. توقّفت الجاذبيّة. صفّقَ الناسُ برخاوة. يعودُ كلُّ شيءٍ إلى مجراه. لم يكنْ ذلكَ أكثرَ من حفلٍ بسيط، حفلٍ ناجِح، بالطبع، مع أُناسٍ يُصفّقونَ وفيما بعد يغادرونَ، يفترقونَ ويعودونَ إلى النومِ في منازلهم.

- طابَتْ ليلتكم، وشكراً، همسَت جولي.

في جلَبَة، أصرّت المقاعِدُ المتحرّكة وصفَقَ بابُ آخرِ القاعة.

في حجرتهم، وبينما أعضاءُ الفرقَةِ يُزيلونَ مكياجهم، شعَروا بموجةِ مرارةٍ تعلو في داخِلهم. كانوا قريبينَ جدّاً من إحدَاثِ تحَرّكٍ جماعيّ. كم كانوا قريبين.

تأمّلَت جولي بأسى نُدفَ القطنِ المُشبعةِ بكريم الفونديتان الأسمر، كلّ ما بقي لها من زيّها القتالي. دخلَ المديرُ في الكواليس، مقطّبَ الحاجبين.

- آسفة، حدثت بعضُ الأضرارِ في العِراك أوّلَ الحفل، قالت جولي. سنعوّضُ لك، بالطبع.

ارتفعَ حاجِباه.

- آسفة على ماذا؟ على أنّكم جعلتمونا نقضِي ليلة رائعة؟

وغرقَ بالضحك، آخذاً جولي بين ذراعيه، وقبّلها على خديها.

- كنتم حقّاً رائعين!

- ولكن...

- نادراً ما يحدُثُ شيء مُثيرٌ للاهتمامِ في هذهِ المدينةِ الريفيّةِ الصغيرة... كنتُ أتوقّعُ أنْ أشهَدَ حفلةً شعبيّة إلّا أنّكم صنعتم حدثاً *happening*. مُديرو المراكزِ الثقافيّة الأخرى سينفَجرونَ غيرةً، أؤكد لكم ذلك. لم أرَ الجمهورَ بهذهِ الحماسة أبداً منذُ حفلةِ جوقة «بوتي شنتار أ لا كروا دي بوا». في مركزِ مون-سا-ميشال الثقافي. أريدكم أنْ تُقدّموا حفلاً آخر. وقريباً.

- أنتَ جادّ؟

أخرَجَ دفترَ شيكّاتِه، تأمّلَ قليلاً وسجّل: خمسةُ آلافِ فرنك.

- أتعَابُ حفلتكم لهذا المساء، وللمُساعدةِ في التحضيرِ لعرضِكم القادم. ينبغي الاهتِمامُ أكثر بأزياءِ العرض، ووضعِ مُلصَقاتٍ إعلانيّة، والتفكيرُ ربّما بنفّاثاتِ دُخان، بديكور... لا ينبغي أنْ تكتَفوا بنجاحِكم الصغير لهذا المساء. في المرّة القادِمةِ أريدُ حفلةً مُدويّة بالفعل.

81. صحافة

لو كليرون دو فونتينبلو
(الركن الثقافي)
مركز ثقافي:
حفل افتتاحيٌّ مُبْهِج

قدَّمت فرقةُ الروك الفرنسيّ الحديثة العهدِ، بياضُ الثلجِ والأقزامِ السبعةِ، حفلاً موسيقيّاً مُحبَّباً جداً مساءَ أمس في قاعةِ الموسيقى الجديدةِ لمركزِ فونتينبلو الثقافي. رقَصَ الجمهورُ مُتحمّساً. المُغنّيةُ الشابّة قائدةُ الفرقة، جولي بانسون، لديها كلّ مواصَفاتِ النجاح في الاستعراضِ الفنّي: جسَدُ إلهة، عيون رماديّة بوسِعها إغواء قديس وصوتُ جازٍ بامتياز.

إلّا أنَّ ما يدعو للأسفِ هو الضعفُ الإيقاعيُّ والكلماتُ المُبتذلة.

لكنَّ جولي مع حماسِها المُعدِي تُنسِي عيوبَ البداياتِ البسيطةِ هذه.

وحتّى يزعُمُ البعضُ أنَّ بوسعِها أنْ تكونَ ندّاً للمُغنّيةِ المشهُورةِ ألكسندرين.

دعونا لا نُبالغ. ألكسندرين مع مُعادلةِ الروك غلامور تمكّنَتْ مِنْ أنْ تستَحوذَ على قلوبِ جمهورٍ واسِعٍ يتجاوزُ بما لا يُقاس جمهورَ المراكز الثقافيّةِ في الضواحِي.

ومع ذلك تُعلِنُ بياضُ الثلجِ والأقزام السّبعة، مُتحرّرينَ مِنْ أيّ إحسَاسٍ بالدونيّة، عن إِصدَارٍ قادمٍ لألبوم بعنوانٍ لا يخلو من دلالة: «استفيقوا!».

وربما يدخُلُ قريباً في مُنافسةٍ مع النجاحِ الجديدِ لألبوم ألكسندرين: «حبيبي، أحبك»، الذي أحرَزَ المرتبةَ الأولى في قائمةِ الألبوماتِ الضّاربة.

مارسيل فوجيرار

82. موسوعة

رقابة: في الماضي، من أجلِ منعِ وصُولِ بعضِ الأفكارِ التي اعتُبرت هدّامةً من قبلِ السلطاتِ القائمةِ إلى عامّةِ الناس، أُنشِئَت هيئة بوليسيّة: رقابةُ الدّولة، والتي وظيفتها، ببسَاطة، منعُ انتشارِ الأعمَالِ «الهدّامة».

اليوم، تغيَّرَ وجهُ الرّقابة. وما عادت قلّةُ الأعمالِ تفعلُ فِعلها وإنّما وفرتها. في ظلّ التدفّقِ المُستمرّ للمعلُوماتِ التافهة، ما عاد أحدٌ يعلَمُ من أينَ يحصلُ على المعلوماتِ المفيدة. فمنتِجو الأسطوانات، عبرَ بثّهم عدداً هائلاً من المقطُوعاتِ من شتّى أنواعِ الموسيقى المُتشابهة، يعيقونَ ظهورَ التيّاراتِ الموسيقيّة الجديدة. والناشِرون، عبرَ إصدارهِم آلاف الكتبِ شهرياً، يُعيقونَ ظهورَ التيّاراتِ الأدبيّة الجديدة. وفي شتّى الأحوال ستُدفَن هذه تحتَ الركامِ الهائلِ من الإنتاج. وفرةُ المُنتجاتِ المُبتذلةِ المُتشابهةِ تحظُرُ المُنجزَ المُبتكر، وحتّى النقّادُ الذينَ على عاتِقهم تصفيةُ هذا الركَام لم يعد لديهم الوقتُ الكافي لقراءةِ كلّ شيء، ورؤيةِ كلّ شيء، والاستماعِ إلى كلّ شيء.

إلى درجةٍ أوصَلتنا إلى هذهِ المُفارقة: كلّما ازدادَت القنواتُ التلفزيونيّة، والإذاعاتُ، والصُّحف، ووسائلِ الإعلام، قلَّ التنوّعُ في الإنجاز. الرماديّ ينتشِر.

هذا جزءٌ مِنَ المنطقِ القديم نفسه: يجبُ ألّا يظهرَ أيُّ شيءٍ «مُبتكر» يمكنهُ أنْ يهزَّ النظام. تُبذَلُ جهودٌ هائلة ليبقى كلّ شيءٍ ساكناً.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

83. أثناءَ نُزُولِ النَّهر

يجري النّهرُ ذو اللونِ الفضيّ صوبَ الجنوب. انْطلَقَ مركبُ المُستكشفات

باكراً عندَ صباحِ هذا اليوم على أمواجٍ غير مُرحّبة، شاقّاً بسرعةٍ كبيرة عُبابَ هذا الشريطِ المُتلألئ. في الخلف، بمُحاذاةِ السطحِ ذي الألوانِ القزحيّةِ تسبحُ العُومُ في الماءِ برشاقة. لدروعها الخُضرِ حواف تميلُ إلى البرتقاليّ. وتزدانُ جباهُها بشارةٍ صفراء على شكلِ V. يروقُ للطبيعةِ أحياناً أنْ تُدْخِلَ بعضَ الزينة. فترسمَ زخرفاتٍ مُعقّدةٍ على أجنحةِ الفراشاتِ وتخطَّ خطوطاً أبسَطَ على درُوعِ العُوَم.

ربلاتُ سيقانِ العُوَمِ المُشعرةِ الطويلةِ تنثني وتنفَرِدُ لتدفعَ قُدماً الزورقَ النمليّ الثقيل. تقفُ الأميرة 103 والمُستكشفاتُ الاثنتا عشرة على البتلاتِ الورديّة العليا لزنبقةِ الماء يتمتَّعنَ بالمشهدِ الطبيعيّ الواسِعِ المُحيطِ بهنّ.

زنبقةُ الماءِ الصغيرةِ هي حقّاً سفينةٌ مثاليّة ليحمينَ أنفسَهنَّ من النهرِ القارس. ما مِنْ أحدٍ يُلاحِظُ ذلك إذْ مِنَ الطبيعيّ مَرأى زنبقة ماءٍ تنسابُ على سطْحِ الماء. تتفحَّصُ النمالُ مركبهنّ. ورقَةُ زنبقةِ الماء تُشكّلُ طوفاً كبيراً أخضَر، متيناً ومُسطّحاً. أمّا زهرتها فهي مُعقّدة إلى حدّ ما. تتألّفُ من أربعِ سبلاتٍ خُضْر وعدد من البتلَاتِ المشكُوكَةِ على نحوِ حلزوني والتي يتناقَصُ حجمها تدريجيّاً إلى أنْ تغدو أسْدِيةً في مركزِ الزهرة.

تتلهّى النمالُ بالصعُودِ والنزُولِ على الأشرِعةِ الورديّةِ الكبيرة هذه التي هي بمثابة أشرِعَة السفينةِ وصواريها: شراع ثانٍ، شراع أعلى، شراع ملكيّ من ألياف نباتيّة. من أعلى رأسِ الزهرةِ المائيّة، يميِّزنَ العقباتِ في البعيد.

مُترَصّدةً دائماً أحاسيسَ جديدة، تتذوَّقُ الأميرة 103 جذمورَ زنبقةِ الماء وتتفاجَأُ بإحسَاسٍ مُباشرٍ بالراحة. يحتوي الجُذْمورُ بالفعل على مادةٍ مُثبِّطَةٍ للشهوةِ الجنسيّةِ لها مفعُول مُهدّئ. يبدو كلّ شيء، تحتَ تأثيرِ هذا الرحيق، أودَع، أكثر سكينة، وأعذَب. وجهها لا يبتَسِم لكنّها تشعُرُ بنفسها على أحسَنِ ما يرام.

النهرُ جميلٌ عند الصباح. شمسٌ قرمزيّة تبلّلُ البيلوكانيّات بمطرٍ ذي انعكاسَاتِ ياقوت أحمر. قطراتُ الطلّ تتلألأ على النباتاتِ المائيّة التي تنسَابُ مع النّهر.

عندَ مرُورِ المركب، يُرخي الصفصافُ البابليُّ أوراقهُ الليّنة. يقدّمُ كستناءُ

الماءِ ثماره، حبّات مُحاطَة بكأسٍ مُزدانٍ بأشواك جانبيّة. وبطبيعةٍ أكثر مرحاً تلتَمِعُ أزهارُ النرجسِ مثلَ نجومٍ صفراءَ عطريّة.

يبينُ إلى اليسارِ وجه صخرةٍ على سطحِ الماء مُغطّى بالنباتاتِ الصابونيّة ذاتِ الأريجِ الناعم. تُلقي الأخيرةُ في الماء كبسولاتها التي تُحرّر، وهي تسقُط، الصابونِين، مادّة تُرغي وتُحدثُ فُقاعات. اضطرابُ الماءِ هذا يُلهِبُ العُوَم، التي تُخرِجُ رؤوسها لتنفُثَ نوافير صغيرة طاردةً الصابون من قصباتها الرِّئويه.

تحفُّ قمّة زنبقةِ الماء أوراقَ زهرةِ شكران فَتنبعِثُ منها روائح كَرَفْس نتنة وتنزُّ منها عصارة تميلُ إلى الصفرةِ وتُصبحُ أكثَرَ قتامةً لدى مُلامسةِ الهواءِ الطلق. تعرِفُ النمالُ بأنّ هذا العصير حلو ولكنّهُ يحتوي على مادّةٍ قوية شبه قلويّة، السُكُوتين، التي تشلُّ الدماغ. دفعَت الكثير من المُستكشفات حياتهنّ لتدخُلَ هذهِ المعلُومَةُ في الذاكرةِ الجمْعِيّة لبناتِ جلدتهنّ. لا ينبغي لمسُ الشكران.

فوقهنَّ في الأعلى، تحُومُ يعاسيب. تنظُرُ إليها النمالُ الشابّات بإعجاب. الحشراتُ الغابرةُ والرّصينةُ ترقُصُ رقصَةَ زفافها. كل ذكرٍ يحرسُ مساحتَهُ ويحميها من الذكورِ الآخرين. يتبارزون، فيما بينهم، مُحاولة منهم لتوسِيعِ مُلكيّتهم.

بالطبع، تُجذَبُ أُنثى اليعسوبِ إلى الذكَرِ الذي يمنَحها المساحةَ الأوسَع لرقصَةِ الجِمَاع والبيض الذي سيتبَعه.

إلّا أنّه، سواء أنجحَ الذكرُ أم فشِلَ في سعيِهِ لاجتذابِ الأُنثى، لا تنتهي المُنافسَةُ عندَ هذا الحدّ. إذْ بوسعِ الأنثى أنْ تحتفِظَ لعدّةِ أيّامٍ بمَنْي الذكرِ طازجاً في بطنها. وإذا جامَعَت عدّة مرّاتٍ مع عشّاق مختلفين، تستطيع أنْ تُنتِجَ لاحقاً بيوضاً من شَرِيكها الأوّل، والثاني، والثّالث.

وبالمُناسبة، ذكورُ اليعاسيبِ تعرِفُ ذلك فيُسَارعون، مدفوعينَ بالغَيْرة، قبلَ التزاوجِ مع الأنثى إلى إفراغها من مَنْي مُنافسِيهم. إلّا أنَّ ذلكَ لن يمنع السيّدة اليعسُوبة أنْ تعثُرَ على ذكرٍ آخر والذي سيُفرغها بدوره. والصدارةُ تغدو من نصيبِ منْي الشريكِ الأخيرِ الذي جامعها.

بحواسّها الجديدةِ بوصفِها ذات جنس، ينفُذُ بصَرُ الأميرة 103 في الماء. وترى، تحتَ سطحِ النهر، حيواناً يسيرُ بالمقلوب. يرمقها الآخر كما لو أنّهُ ينظُرُ من خلالِ زُجاج. إنّها من البقّ السابح ظهريّاً. تَحبُو قُدُماً بأرجُلِها الخلفيّةِ ما يجعلها تبدو كأنّها تعدو في المقلَبِ الآخرِ لمرآة سطحِ النهر. تُخزّنُ تحتَ أكواعِها، بغايةِ التنفّس، فُقاعاتٍ من الهواء التي تستَنشِقُها ثغورها التنفّسيّة رويداً رويداً.

بغتَة، ينبثِقُ رأس. يرقةُ يعسوبٍ يثِبُ وجهُها خارجَ الرأسِ ليختطِفَ ذُبابةَ مايو. تفهمُ الأميرةُ 103 ما جرى. فيرقَةُ اليعسُوبِ مُزوّدةٌ بقناع-وجه أوّل مُرتبط بمفصَلٍ طويلٍ يكونُ لها بمثابةِ ذقن. ولمّا تدنو من فرائِسها تُماطِلُ الفرائِسُ بالهرَبِ ظنّاً منها بوجودِ مسافةٍ كافية للفرار. فتمدُّ اليعسُوبةُ قناعها دُفعةً واحدةً بواسِطةِ ذقنها-ذراعها المُتمفْصِل. وينطلِقُ هذا الأخيرُ مثلَ منجنيق، يتلقّفُ الفريسةَ ثمَّ يجلبُها إلى باقي الرأس الذي ينشُبُ فيها فكّيه.

ينزلِقُ المركبُ-الزهرةُ وبالكادِ يتفادى الصخور الشِّعابيَّة.

وهي جالِسة في صُفرة قلبِ المركب-الزنبقة، تعودُ للتفكيرِ بقصّةِ النملِ الكبيرة. من حُسنِ الطالع، تعرِفُ جميعَ الأساطيرِ القديمة المُتناقلةِ من قرونٍ استشعاريّة إلى قرونٍ استشعاريّة منذُ الأزل. تعرِفُ كيفَ محَى النملُ الديناصورات عن وجهِ الأرض باحتلالهم من الأمعاء. وتعرِفُ كيف حارَبَ النملَ، لتسيّدِ الأرض، الأَرَضَةَ لعشراتِ ملايين السنين.

إنّهُ تاريخُها الذي لا يعرفُهُ **الأصابع**. لا يعرفونَ كيف جلَبَ النملُ من أراضي الشمسِ المُشرقةِ إلى بلادٍ أُخرى بذورَ زهورٍ وخضرواتٍ لم تكن موجُودةً فيها: البسِلّة، البصَل والجزَر.

استولَى عليها زهوٌ ببني جنسِها لمرأى هذا النهرِ المَهيب، مشهَدٌ لن يشعُرَ بِهِ **الأصابع** يوماً. إنّهم طوالُ القامةِ جدّاً، ضِخامٌ جدّاً، أقوياء جدّاً ليستطيعوا رؤيةَ زهورِ النرجسِ هذه، والصَّفْصافِ البابليّ هذا، كما هي تراها. لا تلتَقِطُ أبصَارهم الألوانَ ذاتَها التي تراها.

خطَرَ لها: *يرى **الأصابع** إلى البعيد بوضوحٍ ولكن مجالَ رؤيتهم شديد الضيق.*

بالفعل، فإذا كانَ النمل يرى بزاوية 180°، فإنّ **الأصابع** لا ترى إلّا بزاوية 90°، وأكثر من ذلك ليسَ بوسعهم تركيزُ انتباهِهم إلّا على 15°.

عرفَتْ من خلال برنامجٍ تلفزيونيّ وثائقيّ بأنَّ **الأصابعَ** اكتشفوا أنَّ الأرضَ مدوّرة، إذاً محدودة. لديهم خرائط لجميعِ الغابات، لجميعِ السهول... ما عاد بوسعِهم أنْ يقولوا لأنفسِهم: «أسيرُ نحوَ المجهول». ولا: «إنّي راحِلٌ نحوَ البعيدِ إلى بلدٍ غريب»، كلُّ بلادِ الكوكبِ الأرضيّ على مسافةِ يومٍ واحدٍ من آلاتِ طيرانهم!

تأملُ الأميرةُ 103 أنْ تُري **الأصابع** في يومٍ من الأيّامِ تقنياتِ بيل-أو-كان، كيفَ يُعدُّ عُسيل الأرْقة، كيفَ تُحترَمُ الفاكِهة، وكيفَ تجعلُ الحيوانات تفهَمُ ما يقولونَهُ والكثيرُ الكثيرُ من الأشياءِ التي يجهلُها **الأصابع** بالمُطلَق.

بينما تميلُ الشمسُ من الأحمرِ إلى البرتُقاليّ، يتناهَى إلى السّمعِ الكثير من الأغانِي لجَداجِد، بالطبع، وثمّة أيضاً علاجيم، ضفادِع، طيور...

حانَ وقتُ الغداء.

عندما كانتِ الرقم 103 عندَ **الأصابع** أخذَتْ عنهم عادةَ تناولِ الطعام ثلاثَ مرّاتٍ في اليوم بساعةٍ مُحدّدة. تنحني النمالُ لتلمَّ يرقاتِ بعوضٍ مُعلّقةً على سطحِ النّهر، والتي رؤوسها مُنكّسة إلى الأسفلِ وقصبةُ التنفّسِ إلى الأعلى. أتَتْ في وقتها، إذْ إنَّ الجميعَ جائِع.

84. مُفتاحُ الأغاني

دجاجٌ أم سمك؟

قائِمةُ المأكولاتِ في مطعَمِ الثانوية لهذا الاثنين: مُقبّلات؛ شَمَندر مع صَلْصة الخلّ، الطبق الرئيس بحسبِ الاختيار؛ سمك بانيه مربّع أو دجاج مع بطاطا مقليّة، التحلية؛ فطيرَةُ تُفاح.

تنزعُ زويه، بظفرِها الأطول، ذُبابةَ هامُوش مُمرّغة بمربّى فطيرةِ التفّاح.

- أترَينَ الأظافر مُفيدَةٌ أحياناً، همسَتْ لجولي.

احتمالٌ ضئيل أنْ تطيرَ ذُبابةُ الهاموش ثانيةً ولكنّ زويه لم تكن تودُّ أكلها. وضعتها على حافّةِ طبقها.

كان طلّابُ الثانويةِ ينتظِمونَ في رتلٍ مع صوانيهم على طُولِ سكّةِ الخدمة التي تقِفُ وراءها نادلة، مُسلّحة بمِغْرفَةٍ ضخمة، وكانت تسأَلُ كلَّ واحدٍ بدورِهِ على نحوٍ مُتواصِل السؤالَ الميتافيزيقي ذاته: «دجاجٌ أم سمك؟»

في المُحصّلة، إمكانيةُ الاختيارِ هذه هي ما تُميّزُ الكافيتريا الحديثة عن مطعَمِ مدرسَةٍ بسيط.

مضَتْ جولي تبحثُ، مع صينيّتها غير المتوازنَةِ بسبَبِ إبريقِ الماء الكبير الذي وضعته عليها، عن طاولةٍ واسِعةٍ تتّسعُ لجلوس جميعِ أفرادِ الفرقةِ.

– لا، ليسَ هنا، هذهِ الطاولةُ مخصَّصةٌ للمُعلّمين، قالَ رجل.

أبعد قليلاً، الطاولةُ الكبيرة مُخصّصة لموظّفي الخدمات. طاولةٌ أخرى في مكانٍ آخر مُخصَّصَةٌ لأعضَاء الإدارة. كلّ فئةٍ كانت متمسّكةً بحيّزها وبامتيازاتها الصغيرة، ولا مجالَ لإعادةِ النظرِ في أيّ منها.

أخيراً شُغِرَتْ كراسيُّ. وبما أنَّ ليسَ أمامهم سِوى عشرين دقيقة لتناولِ الغدَاء، كالعادة، يزدَرِدُون الطعامَ دونَ أنْ يُتاحَ لهم مَضغُه. مَعِدُهم، باتت مُعتادة على هذا الحال، وتعوّضُ عن كسَلِ الأضراس بإفرازِ حموضٍ معَوية ألذَع.

اقترَبَ تلميذٌ من الثانويّةِ إلى طاولَتهم.

– لم نحضُر أنا وأصحابي حفلَ السبت. يُقالُ بأنّهُ كانَ حفْلاً رائعاً. وبأنّكم ستقدّمُونَ أيضاً حفلاً آخر في السبتِ القادِم. هل بوسعِنا الحصُول على مقاعِدَ مجانيّة؟

– بلى، ونحنُ نُريدُ أيضاً، أعلنَ طالبٌ آخر.

– ونحنُ...

نحوَ عشرينَ طالباً تحلّقوا حولهم، جميعهم مُتلهّفونَ للحصُولِ على مقاعِدَ مجانيّة.

– ينبغي ألّا نستَرخي تحتَ إكليلِ الغار، أكّد جي ونغ. حينَ تسيرُ الأمورُ على ما يرام يجبُ بذلُ جهدٍ إضافيّ. بعدَ قليل، بعدَ حصّةِ التاريخ، بروفة للجميع. من أجلِ الحفلِ الكبيرِ يوم السبت القادِم، يلزمنا أغانٍ جديدة، ومُؤثراتٌ مسرحيّة جديدة. نرسيس، اصنَعْ ملابس. بول، اهتمَّ بالديكور.

جولي، كوني «أكثرَ إغواءً». لديكِ جاذبيّة، ولكن كأنَّكِ تمنعينها. دعي نفسَكِ على طبيعتِها.

- أنتَ لا تطلُبُ منّي أنْ أقومَ بالتعرّي؟

- لا، ولكن لماذا لا تكشفينَ عن كتفٍ في لحظة ما؟ سيكونُ لذلكَ مفعُولهُ المُحبّب. أشهرُ المُغنياتِ فعلنَ ذلك.

ارتَسَمت على وجهِ جولي ملامح مُرتابة.

عندئذ ظهَرَ المدير. هنّأهم. قال لهم أنْ يشدّوا عزيمتهم، وبأنَّ أخيهِ مُعتَمِدٌ عليهم جدّاً يومَ السبتِ القادم. أكّدَ بأنّه هو نفسُهُ تسنّت له الفرصَةُ ذاتها في شبابه، وما زالَ إلى الآن نادماً على تفويتها. سلّمهم مُفتاح البابِ الخلفيّ المُصفّح مؤخراً لكي يسعهم التمرّن، والذهابَ والمجيء كما يشاؤون، حتّى حينَ يُغلِقُ آذِنُ المدرسةِ السياج الكبير للمدخلِ الرئيس.

- وهذه المرّة، ألهِبوا المسرَح! أعلَنَ ذلكَ مصحُوباً بتربيتة لجي وونغ.

قالت جولي بأنّهُ ينبغي تحسينُ مظهَرِ الحفل. الألوان القزحيّة التي يسلّطها بول لا تكفي لإحداثِ مؤثّرٍ مسرَحي.

- أنجعلُ كتاباً كبيراً في الخلفيّة نُسقِطُ عليه ألواناً وشرائِح لصورٍ مركّبةٍ مأخوذةٍ من *الموسُوعة*؟ اقترحَ ليوبولد.

- أجل، بوسعنا أيضاً أن نصنَعَ نملةً ضخمة تُحرّكُ أرجلها مع الإيقاع.

- ولماذا لا ندعو استعراضنا دفعةً واحدة «ثورة النّمل»؟ ففي النهاية، هي المقطوعَةُ التي أنقذَتْ عرضنا الأوّل، اقترح دافيد.

أخذت الأفكارُ تتدفّقُ من كلّ حدبٍ وصوب، من إضافةِ ملابس وديكور، إلى أفكارٍ عن الإخراجِ المسرحي، وحتّى إدخال مقطوعةٍ كلاسيكيّة في معزوفة روك، فوغا لباخ على سبيل المثال.

85. موسوعة

فن الفوغا: «الفوغا» تعدُّ تطوراً مقارنة بالكَانُنْ. «الكَانُنْ» يُرهِق الثِيمَة نفسها في جميعِ الاتّجاهات ليرى كيف تتفاعل، على كافّة الأصعدة، مع نفسها. بينما الفوغا يُمكنها طرح عدّة ثيماتٍ مُختلفة.

الفوغا تطوّر تدريجيّ أكثر من كونها تكراراً.

التقدمة الموسيقيّة، لجان سيبستيان باخ، هي إحدى أكثر هندسيّات الفوغا جمالاً. هي مثل مُعظَم مقطوعات الفوغا، تنطَلِق بـدو مينور ولكن، في النهاية، بخفّة يد جديرةٍ بعُتاة المُشعوذين، تنتهي بـ ري مينور. وذلك، دون أن تلتقِطَ أذن المستمع الأكثر انتباهاً لحظة إجراء التحويل.

بمساعدة نظامِ «القفز» هذا إلى مقامٍ آخر، بوسعنا أنْ نُعيدَ إلى اللانهاية *التقدمة الموسيقيّة* حتّى تتحوّل إلى جميعِ علاماتِ السلّم الموسيقي. «هكذا مجدُ الملك الذي لا يكفُّ عن التسامي في الوقتِ الذي يجري فيه التغييرُ المقامي»، فسرّ باخ.

ذُروةُ أعمالِ الفوغا: مقطوعة *فن الفوغا* التي أرادَ فيها، قبل مماته بقليل، جان سيبستيان باخ أنْ يُفسّر لعموم الناس تقانته في التطوّر النغميّ الذي يتّجِهُ من البساطةِ الكليّة إلى التعقيدِ المُطلَق. توقّف في أوج زخمه بسبب مشكلات صحيّة (كان أعمى تقريباً). هذه الفوغا إذاً غير مكتملة.

وما يجدر ملاحظته أنّ باخ وقّعها مستخدماً أحرف اسمه الأربعة كثِيمَة موسيقيّة. في الصولفيج الألماني، **B** تُقابله علامة الـسي بيمول، و**A** تُقابل الـلا، والـ **C** الـدو، و**H** الـسي البسيطة.

باخ (**Bach**) = سي بيمول، لا، دو، سي.

أقحَمَ باخ نفسهُ داخلَ موسيقاه وكان يعتمِدُ عليها ليتسَامَى هو أيضاً مثلَ ملكٍ خالدٍ صوبَ اللانهائيّ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

86. هجومُ المُتزلجينَ المائيّين

بينما تنسَابُ السفينة-الزنبقة الورديّة ببطءٍ على الأمواج، تُلاحِظُ النمال ثلّة من الحشراتِ تسيرُ على الماء. إنّها من فصيلةِ شابِرَات الماء، بقّ مائيّ يشبِهُ بَعوضَ الماءِ العذْب.

طولُ رأسِ الواحدةِ منها يفوقُ طولَ جسدها والعينان كرويّتان، موضوعتان مثلَ لؤلؤتين على الجانبين، تمنحانِ الوجهَ هيئة قناعٍ إفريقيّ مشدود. السطحُ السُّفليّ للبطنِ مُغطّى بزغبٍ فضّي، مُخْمَليّ وطارِدٍ للماء. بفضلِه، يُمكنها السيرُ على الموج كما تشاء دون أيّة مجازفةٍ بالغرق.

تلتَقِطُ شابِرَاتُ الماءِ، أثناءَ بحثهنَّ عن البراغيث وجُثَثِ البعوضِ أو يرقاتِ عقاربِ الماء، ذبذباتِ مركبِ النمال. عندئذ، بغرابة، تتجمَّعُ ضِمنَ جَحْفَلٍ مائيّ وتهجُم.

تعدُو مُتزلّجةً على سطحِ الماء، الذي هو بمثابةِ نسيجٍ متينٍ لها. بالضغطِ عليه بكامِلِ رُسْغها، تحقّقُ لنفسِها ثباتاً راسخاً على النّهرِ الذي يستحيلُ جلداً رقيقاً.

مُدرِكاتٍ للخطَرِ المُحدِق، تنظُمُ النمالُ بطونهنّ في صفّ على أجنابِ سفينتهنّ، مثلما كانَ يصفُّ الفايكنج رماحهم وتروسَهم في الماضي.

نار.

تُطلِقُ البطونُ النمليّةُ رَشَقاتها.

عددٌ من شابِرَاتِ الماءِ يسقُطن، مُصَابات، ويجرُفهنَّ الموج إذْ تُبقيهنَّ البطُونُ الطارِدَةُ للماءِ طافياتٍ على السطح. بينما تتعرّجُ المُتزلّجاتُ الناجياتُ بين قذائِفِ حمْضِ النمليك.

الكثيراتُ من شابِرَات الماء يسقُطنَ مع أوائِلِ الرشقات، ومع ذلك ينجحُ بعضهنَّ في الاقترابِ من السّفينةِ، وبمُجرّدِ اتّكائهنّ عليها بأرجلهنّ الطويلة، يغمرنَ ورقَة الزنبقة بالماء. وتفيضُ المياهُ على النمال. يُحاوِلُ بعضهنَّ مُحاكاةَ الشابِرَات بالسيرِ على الماء، ولكنَّ التمرينَ يتطلَّبُ تحكُّماً ممتازاً في توزيعِ الوزن بالتساوي على كلّ رِجْل والنملُ لديهِ دائماً رجْلٌ تغرِز. فينتهي الأمرُ بأنْ تصِلَ المياهُ الباردة إلى بطونهنَّ وذقونهنّ، يَعُمْنَ محرّكاتٍ أرجلهنَّ دونَ جدوى.

ما دام الماءُ لم يتجاوز ذقونَ النمالِ فليسَ هناكَ أيُّ خطَرٍ بالغرقِ غيرَ أنَّ التهديدَ يكمُنُ في أنْ تتلقّفهنَّ حشَرَةٌ ما. يتوجَّبُ التنظيمُ سريعاً. الثلاث عشرةَ يتخبّطنَ في شتّى الاتّجاهات ويتراشقنَ بالماءِ أكثر من تقديمِ العونِ لبعضِهنّ

بعضاً. يبذلْنَ جهداً للتمسُّكِ بحافّةِ زنبقةِ الماء بينما تواصِلُ المُتزلّجات دفعهنّ والسيرَ فوق رؤوسهنّ لإغراقهنّ.

مِنْ كثرةِ ما يُسهمنَ في إعاقةِ بعضِهنَّ بعضاً، ينتهي الأمرُ باتّكاءِ النمالِ على بعضِهنّ على هيئةِ مِنصَّةٍ عائمةٍ والتي مِنْ عليها يتقوّسنَ ضاغطاتٍ بعزيمةٍ لتسلُّق سفينتهنّ-الزنبقة. بتكرارِ المُحاولَةِ ينجحنَ بصُعُودِ مركبهنَّ ثانيةً.

تُنتَشلُ بقيّةُ النملاتِ وتُؤسَرُ بعضٌ من شابِرَاتِ الماء المُعتديات.

وقبلَ أنْ يؤكلْنَ تَسألُ الرقم 103 الأسيرات عن سبَبِ هجُومهنَّ بجماعاتٍ فيما يُعرَفُ عن صَنْفهنّ بأنّه يتألّفُ من حيواناتٍ مُنفردة. تروي لها إحدى الشابِرَات بأن السببَ يعودُ إلى شابِرَة، متزلّجة تدعُوها **المؤسِّسَة**.

كانتِ **المؤسِّسَةُ** تعيشُ في مكانٍ كان فيهِ التيّارُ عاتياً. هناك، ليسَ بوسعِ الشابراتِ التزلُّج إلّا لمسافاتٍ قصيرةٍ ثمّ التمسّك، سريعاً، بعيدان القصب وإلّا جرَفَهُنّ التيّار. خطَرَ **للمؤسِّسَة** بأنَّ النصيبَ الأكبرَ من طاقتهنَّ يَهدُرْنَهُ في مُقارعةِ التيّار بينما لا أحد يعلَمُ إلى أينَ يُفضِي ذاك التيار. وعوضاً من أنْ تُنفِقَ عمرها في حمايةِ نفسِها منه خلفَ عيدان القصب، قرّرتْ أنْ تتركَ التيارَ يحمِلُها. جميعُ الشابِرَاتِ من جيرانها توقَّعْنَ لها الموت إذْ إنَّ التيّار العاتي سوفَ يقذِفُها على الصخُور. ومع ذلك ركِبَ العنادُ رأسَ **المُؤسِّسَة**، غادرت، وكما توقَّعَتْ لها بناتُ جنسها، أُخِذت، رُجَّت، غُمِرَت، أُرجِحَت، جُرِحَت، رُضّت. إلّا أنّها نجَت. حين رأتها مُتزلّجات أسفلِ النهر تعبُرُ اعتبروا بأنَّ شابِرةَ ماءٍ على هذا القدْرِ من الشجاعةِ جديرة أنْ تكونَ قدوة. وعلى هذا نصّبوها قائدةً عليهنّ وقرّرنَ العيشَ على شكلِ جماعة.

هكذا إذن، قالتِ الأميرةُ 103 في سرّها، كائِنٌ واحِد يكفي ليغيّرَ سلوكَ جنسٍ بأكمله. ما الذي اكتشَفتهُ تلكَ المُتزلّجة؟ بالتوقّفِ عن الخوفِ من التيّار، والتخلّي عن التشبّثِ بأمانٍ خادع وتركِ نفسك للتيارِ يحمِلك قُدُماً، قد تُعرّضُ نفسكَ للآلام المبرّحة ولكن يُمكنك، في نهايةِ المطَاف، تحسينُ شُروطِ حياتك وشُروطِ حياة جماعتِك في آنٍ معاً.

معرِفةُ ذلكَ يُعيدُ للأميرةِ شجاعتَها.

بنيّةِ أكلِ شابِرَةِ الماء تقتَرِبُ الرقم 15، إلّا أنّ الأميرة 103 تمنعُها. بحسْبِها ينبغي تحريرها لتعودَ إلى شعبها الذي غدا مؤخّراً اجتماعيّاً. لا تُدرِكُ الرقم 15 الغايةَ من العفو عنها، إنّها شابِرَةُ ماءٍ وطعْمُها لذيذ. وأضافت:

وربّما كان علينا البحثُ عن مؤسّستهم الشهيرة لقتلها.

تتفقُ النملاتُ الأُخرياتُ معها بالرأي. إذا بدأتِ الشابِرَاتُ تُحارِبُ على شكل جماعاتٍ وإذا لم تضَع النمالُ لها حدّاً مِنذ الآن ستُنشِئُ، بعد بضعِ سنوات، مُدنها البُحَيْريّة وستغدو الشابِرَاتُ سيّدات الأنْهُر.

وإنْ كانتِ الرقم 103 غير غافِلةٍ عن ذلك، فإنّها تقُولُ في سرّها بأنَّ لكلّ صنفٍ فُرصَته. وليسَ بالقضَاءِ على المُنافسينَ نُحافِظُ على تقدّمنا وإنّما بإحرازِ قصَبِ السّبْقِ عليهم.

تتدَارى الأميرةُ خلفَ حواسِها الجديدَةِ بوصْفِها ذاتَ جنسٍ لتبرّرَ شفقتها، مع أنّها تعلَمُ بأنَّ في هذا بُرهانٌ آخر على الانحِلالِ الذي طَالها جرّاءَ التواصُلِ الطويلِ مع **الأصابع**.

الأميرة 103 تعلَمُ بأنّ ثمّةَ مُشكلة في رأسها. في السابق، أصلاً، كان لديها ميلٌ لأنْ تكونَ أنانيّة. حواسّها التي تضاعفت عشرَ مرّاتٍ بسببِ جنسها لم تفعَل سوى أنْ تزيدَ عيبها سوءاً. في العادة، تُوصِلُ النملةُ نفسها بالذّهنِ الجمْعِيّ على نحوٍ مُتواصِلٍ ولا تفصِلُ نفسها إلّا نادراً لتُعالِج مشكلات «شخصيّة». غير أنَّ الرقم 103 هي على الدوام مُنفصِلة عن الذهنِ الجمْعِيّ. هي مُنعَزلة في جسدها، في ذهنها، في قفَصِ جمجمتها، ولا تبذِلُ أيَّ جهدٍ للتفكيرِ على نحو جماعيّ. وإذا استمرَّ الحالُ على هذا النحو، قريباً لنْ تُفكّر إلّا بنفسها. ستَغدُو مُتمركزةً حولَ ذاتِها مثل **الأصابع**.

وقد شعرَت الرقم 5 بوضوحٍ أيضاً أنَّ الأميرةَ ترفُضُ أثناءَ (أ.م)، الاتّصالاتِ المُطلقة، السّماحَ بزيارةِ مناطِقَ بأكملها من دماغها. ما عادَت تلتزمُ بقواعدِ الجماعة.

لكنّ الوقت غيرُ مناسبٍ للتفكيرِ بأمورٍ كهذه.

تُلاحِظُ الأميرة 103 بأنَّ صفيراً يصدُرُ عن بتَلاتِ-أشْرعةِ السفينةِ-الزنبقةِ. إمّا ريحٌ أو... السفينة تُسرِعُ بهم!

ليصعد الجميعُ إلى الأعلى.

تصعَدُ بضعُ مُراقباتٍ إلى قمّةٍ أعلى بتلاتِ الزنبقة. من الأعلى تُحَسُّ السرعةُ بوضوح. زغبُ الوجهِ والقرون الاستشعاريّة تَرتدُّ جميعها إلى الخلفِ مثلَ عُشبٍ عادي.

الأميرة مُحقّة بقلقها إذْ يرتَسِمُ، في البعيد، جدار يفورُ زبداً؛ وبالسرعةِ التي يتقدّمنَ بها سيصعُبُ عليهنَّ تجنّبه.

عسَى ألّا يكونَ شلّالاً، قالتِ النملةُ في سرّها.

87. هلمُّوا إلى الحفْلِ الثاني

جهّزتْ جولي ورفاقُها بعنايةٍ كبيرة حفْلَهم الثاني. أخذُوا يلتَقونَ يوميّاً في نهايةِ ما بعدِ الظهيرة، بعدَ الحِصَص، في قاعَةِ التدريب.

– ليسَ لدينا العدَدُ الكافِي من المقطُوعاتِ الخاصّة، وغباءٌ منّا أنْ نلجأَ إلى إعادةِ غناءِ النصُوصِ مرّتين من أجلِ تغطيةِ زمنِ حفلٍ اعتِياديّ.

وضعَتْ جولي على الطاولة موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* وانْحَنى عليها الجميع. أخذَت الشابّة تتصفَّحُ الكتاب وتُدوِّن المواضيعَ التي يُمكن الاستفادة منها. «عدَدٌ ذهبيّ»، «البيضَة»، «رقابة»، «مجال نو»، «فنُّ الفوغا»، «رحلة إلى القمر».

شرعوا بإعادةِ كتابةِ النصُوص ليسهُلَ تحويلها إلى موسيقى.

– ربّما يُستَحْسنُ أنْ نُغيّر اسمَ الفرقة، قالت جولي.

رفَعَ الآخرونَ رؤوسَهم. فأردَفَت:

– اسمُ «بياض الثلج والأقزام السبعة» أقربُ إلى الصبيانية، ألا ترونَ ذلك؟ علاوةً على أنّي لا أحبّ هذا الفصل: بياض الثلجِ والأقزام السبعة. أفضّلُ عليه «الأقزام الثمانية».

أدركَ الجميعُ إلامَ ترمي المُغنّية.

– «ثورةُ النّمل»، إنّها المقطُوعةُ التي أحرَزَت النجاحَ الأكبر. اقترَحَ علينا دافيد بأنْ نُطلِقَ هذا الاسم على الحفلِ القادم، فما الذي يمنَعنا من أنْ نُسَمّي فرقتنا بهِ أيضاً؟

- «النمل»؟ قالت زويه زامّةً شفتيها.

- «النمل»...، كرّرَ ليوبولد.

- وقْعُ الاسمِ لطيف. سبقَ وأنْ كانت البيتلز، بمعنى آخر «بناتُ وردان»، وهي حشراتٌ مُقرفة. وذلك لم يمنع أولئك الرجال الأربعة من أنْ يُحقّقوا نجاحاً باهراً.

راحَ جي وونغ يُفكّرُ بصوتٍ مسْمُوع.

- النّمل... ثورةُ النّمل... سيكونُ هناكَ اتّسَاق بين الاسمين، هذا صحيح. ولكن لماذا هذه الحشراتُ على وجْهِ الخصُوص؟

- لِمَ لا؟

- النمل، نسحَقُهُ بأقدامنا، بأصَابعنا. علاوةً على ذلك، ليسَ فيه ما هو مُمتِع.

- دعونا إذاً نختارُ حشراتٍ جميلة، اقترَحَ نرسيس. لنُطلِقَ على أنفُسنا «الفراشَات» أو «النحل».

- ولِمَ ليسَت «السّراعيف»؟ اقترحَ بول. لديها رؤوسٌ غريبة. ستُحدِثُ تأثيراً جميلاً على غلافِ الأسطوانة.

أخذَ كلُّ واحدٍ يقتَرحُ حشَرتهُ المُحبّبة إليه.

- «ذباب الهاموش»، هذا سيُعطينا شعار. «بالتمخّط نغدو ذباب هاموش![1]» اقترَحَ بول. ويصبحُ إخراجُ المنديلِ شارةَ تعارُفٍ بين جمهُورنا.

- هه، ولِمَ لا يكونُ «ذُباب النُّعَرَة»؟ سيسمَحُ لنا أنْ نلعبَ على كلِمةِ «زمن»، سخِرَ نرسيس. مثل: «أيّتها الذبابةُ النُّعرَة، أوقفي طيرانك» أو «ذُبابُ النُّعرة المُعاصِر» أو أيضاً «ذُبابةٌ جميلة لعُطلَةِ آخرِ الأسبوع».

- «الدعاسيق» ستَسمَحُ لنا اللعِبَ على عبارة «دابّة الله».

- «الطنّانات»، قالت فرنسين. «الطنّانات» الفرقةُ التي ستهزّكم.

بدا الأسفُ على ملامح جولي.

- ليسَ هذا المقصُود! أَصرّت. لأنَّ النملَ يبدو عديمَ الأهميّةِ إلى هذه

1- يلعب هنا على التشابه الصوتي بين اللفظتين الفرنسيّتين «se mouchant» و«moucheron».

الدرَجةِ تحديداً يُمثّل المرجعيّة الأنسب. إذْ علينا أنْ نجعَل من حشرةٍ تظهرُ للوهلةِ الأولى عديمة الأهميّةِ مثيرةً للاهتمام.

لم يقتنِع الآخرونَ تماماً.

- موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق* مليئةٌ بقصَائدَ ونصوص تخصُّ النمل.

هذه المرّة، أعطَت الحجَّةُ أُكُلها. إنْ كان عليهم أنْ يؤلّفوا سريعاً مقطوعاتٍ جديدة، فحريٌّ بهم اختيارُ الموضوعِ الأكثر تردّداً في *الموسوعة*.

- أوافِقُ على اختيارِ النمل، قَبِل دافيد.

- بالمُحصّلة، four-mis، مقطَعانِ صوتيّان مُتوازنان بشكلٍ جيّد، اعترفَتْ زويه.

كرّرتِ لفْظَةَ النملِ مُنغّمة بأكثر من صياغة: «Four-mis»، «Fourmis»، «نحنُ les fourmis»، «نحن des fous remis».

- دعونا ننتقِلُ إلى مسألةِ اليافطةِ الإعلانيّة!

احتلَّ دافيد كرسيّاً أمام حاسُوبِ قاعةِ التدريب. واستطاعَ أن يعثُرَ في أحدِ برامج التصميم على تأثيرٍ مُشابهٍ للرقّ القديم وانتقَى للأحرُفِ التاجيّةِ في أوائِلِ الكلماتِ خطّاً مُلتفّاً كثيفاً أحمرَ وخطّاً صغيراً أسود مع ظلّ أبيض لبقيّةِ الحُرُوف.

نظروا إلى صورةِ غلافِ موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، متمعّنينَ في النّمالِ الثلاث المتوضِّعةِ على هيئة Y وسطَ مُثلّثٍ مرسومٍ داخلَ دائرة. لنْ يلزم سِوى إعادةِ رسْمِ الصورة بمُساعدةِ برنامجِ تصميم، وسيغدو رمزُ الفرقةِ جاهزاً.

انْحنوا فوقَ الحاسُوب. كتبوا «النّمل» في الأعلى، وفي الأسفل، بينَ قوسَين: «التسميةُ الجديدَةُ لفرقةِ بياض الثلج والأقزام السبعة»، كي لا يلتبسَ الأمرُ على المُعجَبينَ بهم الأوائل.

وتحتَ ذلك: «السبت 1 نيسان، حفْلٌ في المركزِ الثقافيّ لفونتينبلو».

ثمّ، بأحرفٍ ضخمةٍ ذات كثافةٍ عالية: **ثورةُ النّمل.**

تفحّصُوا النتيجةَ التي وصَلوا إليها. اتّخذتْ يافطتهم الإعلانيّة المُستقبليّة، على الشاشة، شكلاً مُشابهاً تماماً لرقّ قديم.

سحبَتْ زويه منها ألفي نسخةٍ مُلوّنة عبرَ آلةِ المُديرِ الناسخة. واستعان

جي وونغ بأختِهِ الصُغرى للصقها بالمدينةِ مع زُملاءِ صفّها. قبلتْ الصّغيرةُ شريطةَ أنْ يُحجزَ لهم أماكنَ مجانيّة في الحفل، ثمّ ذهبت مع رفاقها تُلصِقُ اليافطات الإعلانيّة على جُدرانِ مواقعِ البناء وأبوابِ المحالِ التجاريّة. وبذلك يكونُ أمامَ الناسِ ثلاثةُ أيّامٍ لشراء بطاقاتهم.

- دعونا ننظّمُ كامِلَ العرضِ، هتفَتْ فرنسين.

- مع نفّاثاتِ الدخانِ والأضواءِ الكاشِفةِ لإحداثِ التأثيراتِ الخاصّة، اقترَحَ بول.

- قد نستطيعُ أنْ نُصمّمَ مجسّماتٍ عملاقةٍ لملءِ خشبةِ المسرح، أضافَ جي وونغ.

- بوسعي أنْ أُصَنّعَ كتاباً من البولسترين بارتفاعِ متر، قال ليوبولد.

- مع صفحةٍ مُتحرّكةٍ في الوسط ومجمُوعة من شرائحِ العرض، ما يُعطي انطباعاً لدى الناسِ بأنَّ صفحاتِهِ تتقلّب، أكّد دافيد.

- رائع! أنا، أتكفّلُ بصناعةِ نملةٍ عملاقة بارتفاعِ مترين بالحدّ الأدنى، وعَدَ جي وونغ.

اقترحَ بول بثَّ عطرٍ يُلائِمُ المناخَ الخاصَّ لكلّ مقطُوعة. إذْ يعتبرُ نفسه موهوباً بالكيمياء لدرجةٍ تُمكّنه من صناعةِ أورغ عطورٍ بسيط. تتنوّع عطورهُ من رائحةِ الخُزامى إلى رائِحةِ التراب، ومِنْ رائحةِ اليودِ إلى رائِحةِ القهوةِ أرادَ إحاطة كلّ موضوعٍ بديكورٍ شمّي حقيقي.

ونرسيس سيُصمّمُ أزياءً متطوّرة وأقنعة ومكياجاً والتي مِن شأنها إبرازُ كلّ أغنية.

بدأ التدريبُ الفعلي وانتقدَ دافيد العزفَ المُنفرد في مقطوعةِ «ثورة النمل». يحتاجُ إلى إعادةِ نظر. عندئذ تنبّهوا إلى أزيزٍ ظنّوهُ للوهلةِ الأولى صادراً عن النظامِ الكهربائي؛ ولمّا اقتربوا مِنْ مكبّرِ الصوتِ لمُعايرته، عثروا على جُدْجُدٍ بداخله، اجتَذَبتهُ حرارةُ المُحوّل.

خطَرت لدافيد فكرةُ تثبيتِ الميكروفون الصغير لأحَدِ أوتارِ قيثارتِهِ على الأجنحةِ الغمديّة للحشَرة. أجرى بول مُعايرةً وسرعانَ ما حصَل على صريرٍ لهُ تأثيرٌ مُفرطُ الغرابة.

– أظنُّ أنّنا عثرنا أخيراً على الموسيقيّ المُنفرد الرائع من أجل «ثورة النّمل»، أعلنَ دافيد.

88. موسوعة

المُستَقبل للمُمثّلين: المُستقبلُ للمُمثّلين. ليكسبَ المُمثّلون الاحترام، هم يُجيدونَ مُحاكاةِ الغضَب. ليحظى المُمثّلون بالتمجيد، هم يُجيدونَ مُحاكاة الحبّ. ليصنع الممثّلون لأنفسهم حُسّاداً، هم يُجيدون مُحاكاة الفرح. اخترقَ المُمثّلون جميعَ المهن.

توّجَ انتخابُ رونالد ريغان رئيساً للولاياتِ المُتحدةِ في عام **1980** بشكلٍ نهائيّ عصرَ المُمثلين. ما مِنْ حاجةٍ للأفكار أو للخبرةِ في أُصُولِ الحكم، يكفي أنْ يُحيطَ نفسهُ بفريقٍ منَ المُتخصّصينَ يتولّونَ كتابة الخطابات وهو يؤدّي لاحقاً دوره جيّداً تحتَ عدَساتِ الكاميرات.

فضلاً عن ذلك، لا يختارُ المرء، في مُعظَمِ الديمقراطياتِ الحديثة، مُرشّحهُ وفقاً لبرنامجِهِ السياسي (الجميعُ يعرِفُ حقَّ المعرفةِ بأنّه، في كلّ الأحوال، لن يتمّ الوفاءُ بالوعود، لأنّ لدى البلاد سياسة شاملة لا يمكنُ أنْ تحيدَ عنها)، وإنّما وفقاً لمظهره، وابتسامته، وصوته، وطريقته في ارتداءِ الملابس، وتآلفه مع المُحاورين، وكلماتِهِ المُؤثرة.

وقد حقّقَ المُمثلونَ المكاسِب، في شتّى الوظَائف، بلا هوادة. بوسعِ رسّام هو مُمثل بارع أنْ يُقنِعَ بأنَّ قطعةَ قماشٍ أُحاديةَ اللون هي تُحفة فنية. لا يحتاجُ مُطرب هو ممثل بارع أنْ يمتلكَ صوتاً إنْ أدّى أغنيتهُ المُصوّرةَ على نحوٍ مناسب. الممثلون يهيمنونَ على العالم. المُشكلة، لفرطِ تسليطِ الضوء على الممثّلين، يتّخذُ الشكلُ أهميةً تفوقُ المضمون، وعلى ما يكونُهُ المرءُ يحظَى المظهرُ بالأسبقيّة. فما عُدنا نستَمعُ إلى ما يقولُهُ الناس. وإنّما نكتفي بالنظرِ إلى الكيفية التي يقولونَ بها ذلك، وأيّة نظرة لديهم وهم يقولونه، وإذا ما كانت ربطَةُ عنقهم مُتناسبةً مع منديلِ جيبهم. أمّا من لديهم أفكار ولا يعرفونَ كيفيّةَ تقديمها، أولئكَ يتمُّ إقصاؤهم شيئاً فشيئاً عن المناقشات.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

89. محمُولاتٍ على ظهرِ الأمواج

الشلّال!

تنصُبُ النمالُ قرونَهنَّ دهشَةً.

إلى الآن، كانَ التيّارُ الضّعيفُ يُهدهِدهنَّ على امتِدَادِ الضّفةِ برِفقٍ ولكنْ، فجأة، أخذَ كلّ شيءٍ يتسَارع.

دخلْنَ في منطقةِ التيّاراتِ السريعة.

انحِدارٌ مليءٌ بالحصَى يُشكّلُ خطّاً مُسنّناً من زبدٍ أبيض. تحتَ تأثيرِ السّرعة، تهتزُّ الأشرِعةُ الورديّة للزنبقةِ وتصْطَفِق. صوتٌ مُصِمٌّ يملأُ الفضاء.

تُشيرُ الأميرةُ 103، وقرناها مُتشابكان لِصقَ وجهها، بحركاتٍ تؤكّدُ أنّهُ مِنَ المُفضّلِ اتّخاذُ الجهةِ اليُسرى، حيثُ يبدو التيّارُ فيها أقلّ اضطراباً.

طُلِبَ مِنَ العُوَم، في الخلف، زيادَة سُرعةِ التجديف. تتلقّفُ النّمالُ ممشُوقاتُ القدّ غُصيناتٍ طويلة، يشدُدْنَ عليها بينَ فكوكهنّ ويستخدِمنها كمحَاجِن لتوجيهِ المركَب.

تسقُطُ الرقم 13 في الماءِ وبالكادِ ينتَشِلنها.

تمشّطُ شراغيفٌ سطْحَ الماء، مُترصّدةً غرقَ السفينة. آكِلو جيفِ المياهِ العذبَةِ أولئكَ أشرَسُ من سمكِ القرش، بمقاسٍ أُسيّ مُختلف.

تتسَارعُ السفينةُ-الزنبقة وتتّجِهُ بقوّةٍ صوبَ ثلاث حصَواتٍ ضِخام. من شدّة تجديفِ العُوَمِ المُنفعلات للماءِ يطالُ الرشقُ كامِلَ المركب.

ينحرِفُ القاربُ، مُقدَّمُ ورقةِ الزنبقةِ يَفقِدُ اتّجاهه. وبالتالي، يرتَطِمُ جانبُ القاربِ بالحَصاةِ مُباشرةً. الورقَةُ الليّنةُ تتحمّلُ الصدْمَة. تهتَزُّ زنبقةُ الماء وتوشِكُ أنْ تنقلِبَ ولكنّ دوّامةً تأخذُها في الاتّجاهِ الآخر. تكادُ بتلةٌ أنْ تُفقدهنّ الوعيَ بضربةٍ ثمَّ تسقُطُ عن القارب.

تجاوزت النمالُ الشلّالَ الأوّل لكن سُرعانَ ما يظهرُ لهنّ جدار ثانٍ من الزبد. وتنضمُّ خنافسُ مائيّة إلى الشراغيفِ في مُطاردةِ البيلوكانيّات تتنوّعُ بين جرانيس ملساء ذات لونٍ أَسَود، وعقارب مائيّةٍ تتمدّدُ نهَايات بطونها بقَصَباتِ تنفّسٍ طويلة، وبقّ الجورس ذِي الأرْجُل الرفيعةِ المُدبّبة. إنْ كان

وجودُ البعضِ بهدفِ الحصُولِ على وجبة، فإنّ مجيءَ الآخرين لا يتعدّى الرغبةَ بالمُشاهدة. ترسلُ الرقم 5 فيرومونات إلى العُوَمِ لتوجّهَ السفينةَ نحوَ ممرّ يبدو لها أقلّ صخباً.

بادرَتْ ذُباباتُ هاموش، دونَ تكليفٍ مِنْ أحد، إلى اسْتِطلاعِ الأمكنةِ لهنَّ وعُدنَ مُتشائِمات.

لن يمرّ أبداً.

التيّار في الممرّ المائيّ أشدُّ قوّةً، وما عاد ركّابُ السفينة-الزنبقة يعرفونَ ماذا يفعلون: أيغيّرونَ المسار مع المُجازفةِ بفقدانِ السيطرةِ على المركب، أم يُحافظونَ على الاتّجاهِ بثباتٍ مُحاولين المُناورة بمهارةٍ لاجتيازِ الشلّال الثاني؟

فاتَ الأوان! المُستقبلُ ليسَ للمُتردّدين.

حين تصِلُ النمال إلى الحصَى، يفقِدنَ السيطرة على قاربهنَّ-الزهرة. السفينة المُسطّحةُ تُجرَفُ بسرعةٍ هائلة. ترتَطِمُ ورقة زنبقةِ الماء بإفريز أسنان النهر التي هي حصباء صغيرة، ومع كلّ اصطدام، توشِكُ ثلاثُ مُستكشفاتٍ أو أربع مِمَّن يفقِدْنَ توازنهنَّ أنْ يسقطنَ من فوق السياج. من حُسنِ الطالع، في أوراق زنبقةِ الماء من الأليافِ ما يكفي لتحمّلِ الضربات. يختَبِئُ الجميعُ عندَ أسفلِ الأسْدِيَةِ الصفراء وسَطَ النبتةِ المائيّة صارّاتٍ على الفكُوك.

يرتَطِمُ القاربُ مُجدّداً بالحصَى، يتردّدُ بأنْ ينقَلِب، يتأرجَح، ثمّ... يستوي. نجَا مِنْ ويلِ السيلِ الثاني دونَ أضْرار. تُفكّرُ الرقم 103 في سرّها؛ بأنّ عنصرَ النجاحِ الأوّل في أيّ عمليّة، والذي مهما قيل لن يُوفَى حقّه، هو الحظّ.

تُخْدَشُ الورقَةُ من الأسفلِ بصَخرةٍ مُثلثيّة كاشِطةً كتلةً وسطَ الطوفِ النباتيّ، راجّةً بشدّةٍ النمالَ اللواتي بالكادِ اعتدلْنَ حين تسارعَتْ زنبقة الماء مُجدّداً مجرُوفةً من شلّالٍ ثالث.

تبدأ الغابة برمّتها تردّدُ نقيقاً ضِفْدَعيّاً كأنّها كائنٌ حيّ والنهرُ لسَانُها الرّطِب.

من بين بتلاتِ زنبقةِ الماء، تُراقبُ الأميرة 103 الطبيعةَ الهائجة: هناكَ في الأعلى السماء مُفرطة الجمال، مُفرِطة الصفاء، وفي الأسفل، كلّ شيء، دونَ خطٍّ أُفقيّ مُعيّن، غضَبٌ واهتياج. ترتَفعُ أمامهنّ حصَاةٌ ضخْمَةٌ مُلقيةً ظلّها عليهنّ.

تُؤثِرُ العُوَم، مذعُورة، أنْ تتخلّى عن كلّ شيء، تاركةً نهائيّاً القارِب-الزهرة النمليَّ يُواجِهُ مصيره بمفرده.

مسلُوباً القارِبُ من نظامِ دَفْعِه، يدوّمُ مثل خُذْروف. والنمالُ في داخله، مأخوذاتٌ بالقوّة النابِذَة، عاجزاتٌ حتّى عن الجلوس. لم يعد بوسِعهنّ رؤيةُ شيء في الخارج. هناكَ السّماءُ في الأعلى، فوقَ الرؤوسِ الورديّة لزنبقة الماء، وفي الأسفل، كلّ شيءٍ يدُور.

الأميرةُ 103 والرّقم 5 مُلتصِقَتان ببعضِهما. يدُورُ القارب ويَدُور. ومِنْ ثمّ، يصطَدِمُ بالحصاة الكبرى. يحدثُ ارتِجاج. يقفِزْنَ ثانيةً. يرتَطِمُ بحصَاةٍ أُخرى. صحيح أنَّ القارب-الزهرة تزعْزَع ولكن لم يُقلَب حتّى اللحظة. ترفعُ الرقم 103 رأسها بحذَرٍ وترى بأنّ المركبَ يتّجهُ مباشرة نحو شلّال آخر مدوّخ، مُذهل بحقّ، لقسوةِ انحدارِهِ لا يَبينُ النهر وراءَ خطّ زبَده. لم يكن ينقُصُ غير هذا النياغارا...

لا يلبثُ القارِبُ يزدادُ سُرعة. صخَبُ السيلِ يصمُّ مَنْ على مَتْنِهِ. تلتَصِقُ قرونُ النمالِ بوجوههن.

لا بدّ، هذه المرّة، سيحصُلُ الطيرانُ الكبيرُ ومن ثمّ النّكْسُ. لا شيءَ يُمكنُ فعله. يتكوّرنَ في أسفلِ القلبِ الأصفرِ لزنبقةِ الماء الورديّة.

تُلقى السفينةُ في الجوّ. تميّزُ الأميرة، في البعيد، في النقطَةِ السُفلى، شريطَ النهرِ الفضّي.

90. في الكواليس

- هيّا، يا أولاد، لا تتحفّظوا، هذه المرّة، ألقوا بأنفسِكم في الماءِ بشجاعَة!

نصيحَةُ مُديرِ المركزِ الثقافيّ فائِضَةٌ عن الحاجة.

لا وقتَ لديهم يُضيّعونه.

بعدَ ثلاثِ ساعات، سيقدّمونَ حفلَهُم الغنائِي الثاني أمامَ الجمهُور.

لم تنتهِ بعد أعمالُ الديكور. لا يزال ليوبولد يُركّبُ الكتابَ العِملاق، ودافيد مُنهمِكٌ في مُجسّم النملة، وبول يُعايرُ آلتهُ الخاصّةَ بنفثِ الرّوائِح.

أطلَعَ زُملاءَه على آليّةِ عملِها.

- يُمكنُ مع آلتي تركيبُ جميع الروائح، من قُتارِ يخنَةِ اللّحمةِ إلى عِطرِ الياسمين، مروراً بالروائِح الكريهةِ للتعرّق والدم ورائحةِ القهوةِ والدجاجِ المشويّ والنعناع...

انْضمّت فرنسين إلى جولي في مقصُورتها، حاملةً فرشاة بين شفتيها، ثمّ قالت لها، بأنّ لهذه السهرة أهميّة خاصّة، وينبغي أن تظهرَ أكثر جمالاً من الحفْلِ الغنائِي الأوّل.

- لا ينبغي أنْ يوجدَ واحد في القاعةِ غير مفتُونٍ بكِ.

أحضرَت معها أدواتِ المكياجِ كاملة وبدأتْ ترسُمُ وجهَ جولي، مُحدّدةً عينيها برَسمِ طير. ثمّ مشّطَتْ لها شعرَها الأسودَ الطويل وثبّتتهُ بتاج.

- ينبغي هذا المساء أنْ تكوني الملكة.

ظهرَ نرسيس في الغُرفةِ الصغيرة.

- ومن أجلِ الملكة، صمّمْتُ فستانَ إمبراطورة. سيفُوقُ سحركِ الملكات جميعها، مِنْ جوزفين وملكةَ سبأ إلى كاترين الروسيّةِ وكليوباترا.

بسطَ ثوباً أزرقَ زاهياً، مُعرّقاً بالأبيضِ والأسود.

- خطرَ لي أنّهُ يُمكنُ إيجادُ جماليّاتٍ جديدة في *الموسوعة*. ستَرتَدين ألوانَ أجنِحةِ فراشةِ أوليس، اسمها اللاتيني «*Papilio Ulysses*». من القليلِ الذي أَعرفِهُ عنها أنّها تعيشُ في غاباتِ غينيا الجديدة وشمال كوينزلاند وجزر سليمان. حينَ تطيرُ وسَطَ الغاباتِ الاستوائيّة تُطلقُ بروقاً زرقاء.

- وهذا، ما هذا؟

أشارَتْ جولي إلى لُفافتين رقيقَتين من المُخمَلِ الأسود في نهايةِ الرداء.

- إنّهما زائِدَتا ذيلِ الفراشة. إنّهما الذّيلان الأسودَان الطويلان اللذان يُضفيانِ على طيرانِ الفراشَةِ أناقةً مُذهلة.

نشَرَ الفستان.

- جرّبيه، بسرعة.

خلَعتْ جولي كنزتها وتنورتها، وبقيت بالسروال الداخليّ وحمّالةِ النهدين. أخذَ نرسيس يتمعّنُ بها.

- أوه! لا تشغلي بالك، أنا أنْظُرُ فقط إلى مقاسِ الثوب إنْ كان يُلائمك. فيما يخصّني، لا تأثيرَ للنساءِ عليّ، قال غير مُبالٍ. بالمُناسبة، لو خيّرتُ لاخترتُ أنْ أكونَ امرأة، لمُجرّدِ نيلِ إعجابِ الرّجال.

- أكنتَ اخترْتَ حقّاً أنْ تكونَ امرأةً؟ سألت جولي مُتفاجِئةً وهي ترتدي ثيابها بسُرعة.

- تقولُ ملحمَةٌ يونانيّة بأنَّ النساءَ يستمتِعْنَ لحظةَ النشوةِ أكثر من الرّجالِ بتسعَةِ أضعَاف. الرجالُ أقلّ حظاً. وأيضاً، أتمنّى أنْ أكونَ امرأةً لأشعرَ بالحبل. ففي النهايةِ ما مِنْ عملٍ مهمّ حقّاً سوى: توريثِ الحياة. وجميعُ الرجالِ يفتَقِرونَ هذا الشعور.

ورغمَ ذلك كانَ نرسيس يتأمّلُ جسَدَ جولي بنظرةٍ ليست غيرَ مُباليةٍ على الإطلاق. تلكَ البشرة الفاتِحة، وذاكَ الشعْرُ الأسود الطويلُ المُفرط اللّمعان، وتلكَ العينانِ الواسِعتان الرماديّتان الموشومتان بجناحَي طير، تقِفُ نظرتهُ عندَ صدْرِها.

تلحّفَت جولي بالنسِيجِ كأنّهُ مِنشَفةُ حمّام. ملْمَسُ القماشِ ناعِم ودافِئ.

- إنّهُ ثوبٌ مُريحُ الملبَس، اعترفت.

- طبيعيّ. الثوبُ هذا من الحريرِ الذي يُنتِجهُ يسْرُوع فراشةِ أوليس. سرقنا خيوطَ البهيمةِ المسكينةِ التي كانت تسعَى لأنْ تحمي نفسَها داخلَ شرنقةٍ ولكن بما أنّ هذهِ الهديةَ لكِ فالهدفُ نبيل. عندما يُقتَلُ حيوان، عندَ هنودِ الوياندوت، تُشرَحُ له الأسباب الموجبةُ لصيدِهِ قبلَ إطلاقِ السهم. إنْ كان، مثلاً، بغايةِ إطْعامِ عائلةِ الصيّادِ أو نسْجِ لِباس. حين أُصبحُ ثريّاً، سأنْشِئ مصنعاً لحريرِ الفراشةِ ولسوفَ أُبْلِغُ الأساريعَ جميعها بقائمةِ الزبائنِ التي تمنَحُهم حريرها.

نظرتْ جولي إلى نفسِها في المرآةِ الكبيرةِ المُثبّتةِ على بابِ المقصُورة.

- إنّه ثوبٌ مُدهش نرسيس. لا يشبهُ شيئاً معروفاً. أتعرفُ أنّه يمكنُ أنْ تُصبحَ مُصمّم أزياء.

- فراشَةُ أوليس من أجلِ حوريّةٍ ساحرة، أيوجدُ ما هو طبيعيٌّ أكثرَ من ذلك! لا أعرفُ لماذا تمنّعَ ذاك البحّارُ اليونانيّ عن الاستسلامِ إلى إغواءِ أصوات أولئكَ النسوة.

عدّلت جولي الثوبَ بشكلٍ مُختلف.

- جميلٌ ما تقُوله.

- أنتِ الجميلة، باحَ لها نرسيس بجديّة. وببسَاطَةٍ صوتُكِ مُبهر. ما إنْ أسمَعْكِ حتّى يرتعِشَ النخاعُ الشوكيُّ داخلَ عمودي الفقريّ. يمكنُ لكالاس أنْ تتنحَّى.

انفجَرَتْ ضَاحِكةً.

- أنتَ مُتأكّد بأنّكَ لستَ مُنجذباً للفتيات؟

- بوسعِ الشخصِ مع ذلك أنْ يُحبَّ دونَ القيامِ بالفعلِ التناسلي. علّق نرسيس وهو يُداعِبُ كتفيها. أنا أحبّكِ بطريقتي. حبّي من طرفٍ واحدٍ ولهذا هو كامل. ولا شيءَ أطلبُهُ في المُقابل. اسمحي لي فقط أنْ أراكِ وأسمعَ صوتك، ذلكَ يكفيني ويزيد.

أخذت زويه جولي بين ذراعيها.

- ها هي، يسرُوعتنا وقد استحالت فراشة. بالجسَدِ على الأقلّ...

- إنّه نسخةٌ دقيقة عن جناحِ فراشةِ أوليس، كرّرَ نرسيس للواصلينَ الجُدد.

- مُذهل.

أخذَ جي وونغ يدَ جولي. لقد لاحظَتِ الشّابّة، منذُ بعضِ الوقت، بأنّه يروق لفتيان الفرقةِ جميعهم لمسُها، لسبَبٍ أو دونَ سبب. وهي كارهةٌ لذلك. كانت أمها تُكرّر دوماً بأنّه ينبغي على البشرِ ترك ما يُشبِهُ مسافةَ أمانٍ بينهم، مثل واقي الصدَمَاتِ في السيّارات، وبأنّهم، إذا ما بالَغوا بالاقترابِ متجاوزين الحدَّ، فذلك يسبّبُ المشكلات.

بدأ دافيد يُمسّدُ رقبتها والترقوتين.

- لتستَرخي، فسَّر.

بالفعلِ شعرَتْ ببعضِ الاسترخاءِ في ظهرها غيرَ أنَّ توتراً آخر، أشدّ، أحدَثتهُ أصابعُ دافيد. فحرّرت نفسها.

ظهرَ مُديرُ المركزِ الثقافيّ مُجدّداً.

- دعونا نُسرِع يا أولاد، اقتربَ دوركم وهناكَ جُمْهورٌ غفير.

مالَ نحوَ جولي.

- ولكنّكِ ترتعشينَ يا صغيرتي، هل تشعُرينَ بالبرد؟

- لا، لا بأس. شكراً.

لبسَتْ الخفَّ الذي أعطَتهُ لها زويه.

مضوا إلى المسرح، مُرتدينَ ألبسةَ العرض، ثمّ أجروا التعديلاتِ الأخيرة. بالإمكانَاتِ التي قدّمها مُديرُ المركز، أضفوا تحسيناتٍ على الديكور وباتَ أداءُ جهاز الهندسةِ الصوتيّةِ أَجْود.

فسّرَ المدير: بما أنّ المُشاغبين أثاروا متاعبَ في الحفْلِ الموسيقيّ الأوّل، فقد تحصّنَ هذهِ المرّة بخدماتِ سِتّ أذرعٍ مفتولةِ العضلاتِ لتتكفّلَ بأيّ طارئ. بوسع الفرقةِ الاسترخاءُ فلنْ يُلقَى عليها لا بيض ولا عبوات بيرة هذا المسَاء.

سارَعَ كلّ واحدٍ منهم لتأديَةِ مهمّته.

راحَ ليوبولد يُركّب الكتابَ العملاق، وبول الأورغ الخاصّ بالعطور، وزويه شرائحَ تصفّحِ الموسُوعة، ونرسيس يُسَوِّي ثنيةً هنا أو هناك ويُوزّعُ الأقنعة. ولَفَت فرنسين الأصْوات وبول الأضواء. بينما كانَ دافيد يضبِطُ الاسْتِطاعةَ الصوتيّة من أجلِ الجُدْجُدِ وجولي تُراجِعُ النصوصَ الصغيرةَ التي ستلزمها في الربطِ بين أغنيتين.

بالنسبةِ لِمَلابسِ المسرح، أعدَّ نرسيس لباسَ نملةٍ برتُقاليّاً لليوبولد، وثوبَ سُرْعُوفٍ أخضرَ لفرنسين، ودِرْع دُعْسُوقةٍ حمراءَ وسوداء لزويه، وقوْقَعة خُنفساء لجي وونغ، لباسُ نحلةٍ أصفرَ وأسودَ لبول، ومِنْ أجل دافيد ثوبَ جُدْجُدٍ قاتم. أمّا بالنسبة للجُدْجدِ الحقيقيّ فقد عُقِدَ لهُ فراشةٌ كرتونيّة صغيرة حولَ عُنقه. وأخيراً، من أجلِه، خصّصَ نرسيس رداءَ جُندبٍ مُتعدّدَ الألوان.

ظهرَ مارسيل فوجيرار ثانيةً لإجراءِ مُقابلة. سألَهم بسُرعةٍ وقالَ لهم: «اليوم أيضاً لَنْ أبقى. ولكن عليكم الاعتراف بأنَّ مقالي السابق كان دقيقاً، أليسَ كذلك؟»

خطَرَ لجولي إنْ كانَ الصحفيّونَ جميعاً يؤدّون عملهم مثله، فلا بدّ بأنَّ المعلُومةَ المُقدّمة في الصحافَةِ أو في أخبارِ الثامِنةِ ليلاً لا تعكِسُ سوى جزءٍ ضئيلٍ من الواقِع. غيرَ أنّها لم تقُل شيئاً، وأجابَتْ بنبرةٍ تصَالُحيّة:

- كانَ كذلك تماماً...

رَغمَ أنّ زويه غير مقتنعة، قالت:

- انتَظِر، فسّر لي، لم أفهَم.

- «لا نتكلّمُ جيّداً إلّا عمّا لا نَعرفُه»، فكّري بذلكَ جيّداً. إنّهُ منطقيّ. ما إنْ نطّلِعَ على بعضِ التفاصِيلِ حول موضُوع، حتّى نتجرّد من الموضُوعيّةِ، ونخسَر المسَافةَ الضروريّةَ للتكلّم عنه. يقولُ الصينيّون بأنَّ مَن يُقيمُ في الصين ليومٍ يُنجِزُ كتاباً، والذي يُقيمُ لأسبوعٍ يُنجزُ مقالاً، ومَنْ يقضِي عاماً كاملاً فيها لا يكتبُ شيئاً على الإطلاق. هذا بليغٌ جدّاً، أليس كذلك؟ هذه القاعِدَةُ تَنطبقُ على كلّ شيء. منذ أنْ كنتُ شابّاً...

فهِمَتْ جولي فجأةً بأنَّ أقْصَى ما يطمحُ لهُ هذا المُحاوِر أنْ يكونَ هو المُحاوَر. ليسَ لدى مارسيل فوجيرار أدْنَى فضُولٍ لمعرفَةِ شيءٍ عن فرقتهم وموسيقاها، ما عادَ لديه الفضول. كان سَئِماً. جُلُّ ما يتمنّاه هو أنْ تطرَحَ جولي عليه أسئلة، أنْ تسألَهُ عن الطريقةِ التي اكتشَفَ فيها هذهِ الحِكمة الصحفيّة، وكيفَ كانَ يُمارسُها، أنْ تسألَهُ عن مكانته، حياته، وسطَ أُسرةِ تحرير كليرون المحلّي.

قطَعَتْ الصوتَ في ذهنها واكتفَتْ بمُراقبةِ شفتيهِ تتحرّكان. هذا الصحفيّ يشبِهُ سائِقَ التاكسي في ذلك اليوم، لديهِ رغبةٌ عارمةٌ ليبثَّ وما مِنْ إرادةٍ ليستَقبل. في كلّ مقالٍ من مقالاته، كان يبُوحُ دون شكّ بقليلٍ من حياتِهِ الخاصّة وعلى الأرجح بجمْع جمِيع أوراقِه، يُمكنُ الحصُولُ على سيرةٍ ذاتيّةٍ كامِلةٍ لمارسيل فوجيرار، البطَلُ العاقِلُ لصحافَةِ الحدَاثة.

ظهرَ المُديرُ مُجدّداً، مسرُوراً جدّاً، وأبلغَهم بأنّ الأماكنَ ليست جميعُها مُباعَةً فحسب والقاعةُ ليست مُمْتلئةً فحسب وإنّما هناكَ جمهورٌ واقفٌ أيضاً.

- اسمعوهم.

أمامَ الستَارة، بالفعل، جمهورٌ غفيرٌ كانَ يهتُف: «جو-لي! جو-لي! جو-لي».

أَصاخَتْ جولي السمْع. لم تكنْ تحلُم. ما عادوا يُطالِبونَ بكامِلِ الفرقة، وإنّما بها، وبها فقط. اقتربَت، وأزاحَتْ الستارةَ دونَ أنْ تلفِتَ النظر، كانَ لمرأى جميعِ أولئكَ الناس يهتفُونَ باسمِها وقْعٌ صَادِم.

- هل ستكونينَ بخيرٍ، جولي؟ سأَلَ دافيد.

أرادَتْ أنْ تُجيب لكنّها لم تستَطِع أنْ تنطقَ بأيّ كلمة. كشحت حنجُرتها، عادَتْ وحاولَت ثانيةً، وبصعُوبةٍ همسَت:

- ما... عادَ... لديَّ... صَوْت...

تبادَلَ النّمالُ نظراتٍ مُرتعبةً. إنْ غدَتْ جولي بلا صوت، فسَيُقذَفُ العرضُ بأكملِهِ في البحر.

عادتْ إلى ذهنها صُورةُ وجهها بلا فمٍ مع ذقنها المُسْتَطيلِ إلى منْبتِ الأنف.

أوضَحَت الفتاةُ بالإشاراتِ بأنَّ ما مِنْ خيارٍ أمامهم سوى الإقلاعِ عن الحفل.

- لا عليكِ، إنّهُ الخوف، قالت فرنسين بنبرةٍ أَرادَتها مُطمئِنَة.

- إنّه الخوف، كرّرَ المُدير، وهو أمرٌ طبيعيّ، يحصُلُ دوماً في العُروضِ المُهمّة قبلَ دخولِ المسرح. وأنا لديّ العلاج.

اختفَى ثمَّ عادَ وهو يلهَثُ مُلوّحاً بعبوةِ عسل.

أخذَتْ جولي منهُ عدّة ملاعِقَ صغيرة، ابتلَعَتها، أغلقَتْ عينيها وأخيراً أطلَقَت: «آه آه آه».

سرى ارتياحٌ عامّ. لقد تملّكهم الخوفُ جميعاً.

- لحسنِ حظّنا حرَصَت الحشراتُ على إعدادِ هذا الدواء العالميّ، هتفَ مديرُ المركزِ الثقافيّ. زوجتي تعالجُ حتّى الإنفلونزا بالهُلامِ الملكيّ.

شرَدَ بول في عبوةِ العسَل، وفكّر: «لهذا الغذاء مفعُول مُذهلٌ حقّاً». لم تكنْ جولي تكفُّ، وهي في أقصَى سعادَتِها، عن تجريبِ صوتها الذي استعادتهُ مُحاولةً جميعَ أنواعِ الأصوات على درَجاتِ جميعِ السلالِم.

- حسناً، إذن، أنتُم جاهزون؟

91. موسوعة

فَمان: يؤكّد التلمود بأنّ للإنسانِ فَمّين: واحدٌ في الأعلى وآخر في الأسفل. يسمَحُ الفمُ العلويّ، عبر الكلمة، بحلّ مشكلات الجسد. لا تكتفي الكلِمةُ

بنقلِ المعلُوماتِ فحسب، بل تُفيد في الشفاء أيضاً. بواسِطة لُغةِ الفمِ العلويّ، يُحدِّدُ موضِعنا في الحيّز، وبالنسبةِ للآخرين. وبالمُناسبةِ يَنصَحُ التلمود بتجنّبِ تناولِ الكثير من الأدوية للعلاج، إذْ تتّخذُ هذه مساراً مُعَاكِساً لمسَارِ الكلمة. ولا يجبُ منعُ الكلِمةِ منَ الخروج، وإلا فإنها تتحوّل إلى مرض.

الفم الثاني، هو العضو الجنسيّ. عبر العضو الجنسيّ، تُحَلُّ مشكلات الجسد في الزمن. بواسطةِ الجنس، أي المتعة والإنجاب، يخلق الإنسان فضاءً من الحرية ويعرّفُ نفسَهُ بالتمايز عن والديهِ وأولاده. العضو الجنسيّ، «الفم السفلي» يُفيدُ في شقّ مسارٍ جديد مختلف عن مسارِ سُلالةِ العائلة. فلدى كلّ إنسان القدرة على جعلِ أطفالِهِ يجسّدونَ قيماً أخرى غيرَ قيم والديه.

الفمُ العلويُّ يؤثّرُ على الفم السفليّ. إنّها الكلمة التي من خلالِها سيُغوَى الآخر ويُوقِظُ عُضْوَه. الفم السفليّ يؤثّرُ على الفم العلويّ، فعبْرَ الجنسِ سيجد هويتهُ ولغته.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

92. أوّلُ مُحاولةِ فتحٍ

- نحن جاهزون.

تفحّصَ مكسيميليان مُختلفَ العبُواتِ النّاسِفةِ التي وُضِعَتْ على جوانبِ الهرم.

لن يهزأ منهم ذاكَ المبنى إلى الأَبد.

مدّ خُبراءُ التفجير الخيطَ الكهربائيّ الطويل الذي يصِلُ المُتفجّراتِ البلاستيكيّة بالمُفجّرِ وتراجعوا آخذينَ مسافة آمنةً من الهرم.

أشارَ المُفوّضُ بيده. رفعَ رئيسُ خُبراءِ الذّخائرِ ذراعَ المُفجّرِ وبدأ العدّ العكسِي:

- خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان...

بززززز...

فجأةً، انكبَّ الرجلُ على وجهِهِ فاقداً الوعي. مع ظهُورِ أثرٍ عندَ العُنق.

الزّنبارةُ حارِسَةُ الهرَم.

أمرَ مكسيميليان لينار رجالَهُ جميعاً أنْ يَحْموا جيّداً مناطِق الجلدِ المكشُوفةِ بملابسهم. ومن جهتِهِ أدخَلَ الشرطيُّ عُنُقه في ياقتِهِ ودسَّ يديه في جيبيهِ ثمّ، ضغَطَ بمرفقِهِ ذراعَ المُفجّر.

لم يحدُثْ شيء.

رفَعَ الخيطَ ورأى بأنّهُ قُطِعَ من شيءٍ يصِفهُ بفكوكٍ صغيرة.

93. ماء

تحُومُ زنبقةُ الماءِ للحظَةٍ في الأجواء. الزّمنُ مُعلّق. من هذا الارتِفاع، على متْنِ سفينتهنَّ-زهرتهنَّ المُعلَّقة، ترى الكائِناتُ النمليّة أشياءَ لم يتسنَّ لهنَّ رؤيتُها مِن قَبْلُ إلّا نادراً. من قبيل الطيورِ الطنّانة، وذُبابِ الفرَس، وعصفُورِ صائدِ السّمكِ المُترصّد.

يصْفُرُ الهواءُ على وجوهِهنَّ وفي الأشرعةِ الورديّةِ لزنبقةِ الماء.

تتلفَتُ الأميرَةُ 103 إلى رفيقاتها وهي تشعرُ في قرارتِها بأنَّ هذا المشهَد سيكون الأخيرَ الذي ستحمِلُهُ معها إلى موتها. قرون الجميع منتصبة دهشَة.

لا تزالُ السفينةُ-الزّنبقةُ في الأعلى. أمام بصَرهنَّ بضعُ غيُومٍ مُتفرّقةٍ تُخفي لَعِبَ وجذَلَ طَيري عنْدَليب.

حسناً! هذهِ آخرُ رحلةٍ لي، قالَت الرقم 103 في سرّها.

ولكن بعدَ أنْ لبثَ القاربُ مُعلّقاً في الهواء، يعودُ مُجدّداً للخضُوعِ إلى قانُونِ الجاذبيّةِ والذي، كما يدلُّ اسمُه، ليسَ فيهِ ما يُضحك. تهوي زنبقةُ الماءِ بسرعةٍ خاطِفَة. تغرزُ النّملاتُ مخالبهنّ في المصعَدِ المجنُونِ النازِلِ بهنَّ إلى الطوابقِ السفليّة. تخسَرُ زنبقَةُ الماء من جديد بتلَتينِ ورديّتين تُؤْثِران مواصلَةَ حياتهما بعيداً عن هذهِ السفينة التي تَعيثُ فيها النمالُ فساداً.

يتسَارَعُ السقُوط. ترى الرقم 12 أقدامها ترتفعُ منفصلةً تحتَ سَطوةِ السرعةِ وتُلفِي نفسها بهيئةٍ عموديّة، معلّقة بمخلَبٍ واحِدٍ فحسب. أرجلها

الخلفيّةُ إلى الأعلى ورأسها مُنكّسٌ إلى الأسفل. تضغطُ الأميرة 103 على الورقةِ غارزةً فكّيها لئلّا تطير. تطير الرقم 7. بالكاد تُمسِكها الرقم 14، الممسُوكة بدورها من الرقم 11.

تنثَني حوافُ زنبقةِ الماءِ نحوَ الأعلى مُشكّلةً ما يشبِهُ كأساً. على الأرجح، كان روّاد الفضاءِ الذين يحطّونَ على الأرضِ وهم داخِلَ كبسُولتهم يشعرونَ بالشيءِ ذاته. وبالمُناسبة، تبدَأُ أرضيّةُ زنبقةِ الماءِ تسخُن، جرّاء الاحتكاكِ مع الهواء.

تشعُرُ الأميرةُ 103 بمخالِبها تتفلّتُ واحداً تلو الآخر. تُدركُ بأنّها ستُطوّحُ عمّا قريب.

يقَعُ الاصطِدَام، يهوي القاربُ-الزّهرةُ بكامِلِ ثِقل هيكلِهِ على الماء. يغوصُ قليلاً ولكن لشدّة سرعة الأمرِ لا يتبلّلنَ بالماءِ ولكن، لجُزيءٍ من الثانية، تحظَى الأميرة 103 بمشهَدٍ فريد: النزُولُ في الماءِ جرّاءَ سقوطهنّ يضعُها وجهاً لوجهٍ تقريباً مع سكّانِ ما تحتَ الماء.

لا يكادُ يتسنَّى لها رُؤيةُ سمكةِ قابُودي ذات عينينِ مُكوّرتَين وحيواني سمَنْدَل ذي عُرفٍ حتّى يَصْعَد القارِبُ مُجدّداً إلى السَّطح، بتأثيرِ دافِعةِ الماء. ترشُقهنَّ موجة وتبلّل قرونهنَّ مانعةً لبرهةٍ أيّةَ رؤية.

اجتزنَ السّيل! هدأ النهر الفضيُّ كأنّه سئمَ تعذيبهنّ. لقد نجونَ جميعاً وما مِنْ شلّالٍ جديدٍ على مرمَى البصَر.

تنْفُضُ المُستكشِفاتُ قرونهنّ التي لا تزالُ مُبلّلة بفيرومُوناتِ الهلع والماء.

تلعقُ الرقم 5 نفسَها لتُجفّفَ الماء.

ثمّ يقمنَ بتطاعُماتٍ حُلوةِ المذاقِ تشدُّ أواصرهنّ. نجونَ من النهر. واجتزنَ رأسَ الكاب هورن[1] الخاصّ بهنّ. يعودُ كلّ شيءٍ إلى جريهِ الطبيعيّ. تُلتهَمُ رعّاشةٌ صغيرةٌ من يعسُوبةٍ ثمّ تُلتهَمُ بدورِها من سَمكةِ سَلْمون.

تنزلقُ السفينةُ-الزهرةُ مُجدّداً على الشريطِ الفضّي، محمُولةً على التيّارِ

1- مكان تشتدّ فيه العواصف في أقصى جنوب أمريكا الجنوبيّة.

الذي يقودُها صوبَ الجنوب. لكنّ الوقتَ مُتأخر، والشمسُ تعبَتْ مِنْ أنْ تُضيء. تهبِطُ مُجدّداً برفقٍ لتبيتَ في جُحرِها. وبينما تغُور، هناكَ في الأرض، يطفو الرماديُّ على الأرجاءِ جميعها. وينتشِرُ ضبابٌ كامِد. لم يعد يُرى لأبعدَ مِنْ سنتيمترات قليلة. يُعيقُ بخارُ الماءِ النمالَ من استخدَامِ راداراتِهنّ الشمّية. حتى فراشاتُ الحرير، أبطالُ تحدِيدِ الاتّجاه، تختَبئ. ينسدلُ ستارُ السديمِ على كلّ شيءٍ كأنّهُ يحجُبُ خَوَرَ الشّمس.

تحُومُ فوقَ الكائناتِ النمليّة فراشَاتُ شبيهاتِ الطاووس. تُتابعُ الأميرةُ 103 حرَكاتها المهِيبة. يكتنِفها شُعورٌ بالغِبْطةِ لأنّها لا تزالُ على قيدِ الحياة، ومِنْ ثمّ... الفراشات، كم هي جميلة!

94. موسوعة

فراشة: في نهايةِ الحربِ العالميّةِ الثانية، تمّ استدعاءُ الدكتورة إليزابيث كوبلر روس لعلاجِ الأطفالِ اليهودِ الناجينَ مِنْ مُعسكراتِ الاعتقالِ النازيّة. عندما توغّلت في المُخيّم حيث كانوا لا يزالونَ ممدّدين هناك، لاحظَت، على خشَبِ الأسرّة، حفراً لرسمةٍ لا تلبثُ أنْ تعود إذْ وجدتها لاحقاً في مُخيّماتٍ أخرى عانى فيها أولئكَ الأطفال. لم تكن تلكَ الرسمة إلا شكلاً واحداً بسيطاً: فراشة. فكّرت الطبيبةُ للوهلةِ الأولى بنوعٍ منَ الأخوّة التي يُمكنُ أن تتجلّى بينَ الأطفالِ الذين تعرّضوا للضربِ والجُوع. فاعتَقدَتْ بأنّهم وجدوا مع الفراشةِ طريقةً في التعبيرِ عن انتمائِهم إلى مجمُوعةٍ ما، تماماً مثلما المسيحيّونَ الأوائل في الماضي مع رمز السمكة. سألتْ العديدَ من الأطفالِ عمّا تعنيهِ هذهِ الفراشات إلّا أنّهم رفضُوا أنْ يُجيبُوها. في نهاية المطاف، أفشى لها ولد في السابعة من عمره عن المعنى: «هذِهِ الفراشات مثلنا. نحنُ جميعاً نعرِفُ في أعماقنا أنَّ هذا البدنَ الذي يُعاني ليسَ إلّا جسداً وسيطاً. نحنُ أساريع وذات يومٍ سوفَ تطيرُ أرواحنا بعيداً عن كلّ هذهِ القذارة وهذا الألم. في رسمِها نُذكّرُ بعضَنا بعضاً بذلك. نحنُ فراشات. وسوفَ نطيرُ قريباً».

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

95. تبدِيلُ السّفينة

بغتة، تظهَرُ صخرةٌ أمامهنّ. تعزِمُ النمالُ على الالتِفافِ حولها إلّا أنَّ الصخرةَ تفتَحُ عينين وتكشِفُ عن فمٍ هائل.

انتباه. إنّها صخورٌ حيّة! أطلَقتْ الرقم 10 صرخةً شمّية.

يتراكضنَ جميعهنّ على حاجزِ الجسر. يُسارِعنَ بالتزَحلُقِ على حوافِ ورقةِ الزّنبقة مثلَ رجالِ الإطفاءِ على الصواري. من الآن تُشهرُ الرقم 15 بطنها، مُستعدّة للإطلاق. لن يحظينَ باستراحةٍ أبداً.

وها هي الآن صخُورٌ حيّة!

تهرفُ النمالُ صائِحاتٍ بتوجيهاتٍ مُختلِفةٍ ومُتناقضة.

تميلُ الرقم 103 عن حافّةِ الزنبقة. مُحالٌ أنْ تسبَحَ أحجار وتَفْغَرَ *فماً*. تتفرّسُ بالصخرةِ بانتباه، فتلاحِظُ بأنّ هيئتَها مُفرطةُ الانتظَام. هذهِ ليست حصوة، بل سُلحفاة! ولكن، هذه لا تُشبِهُ بشيءٍ السلاحفَ التي يعرفْنَها: إنّها تسبَح. والنمالُ لم ترَ يوماً شيئاً مُماثلاً.

إنّهنّ لا يعرفنَ ولكن، في الواقع، هذه السلحُفاةُ المائيّة قادمة من فلوريدا. في البُعدِ الأعلى رائِجٌ بين الأطفالِ اللعبُ بنوعٍ كهذا من السلاحِفِ المائيّة. وبما أنَّ لديها شكلاً غريباً وأنفاً معقوفاً غدت بسهولةٍ المُفضّلة لدى الصغار الذين يضعُونها على جزرٍ شفّافةٍ من البلاستيك خاوية ومُزيفة. ولكن حينَ يملّ الأطفال من حيواناتِهم-ألعابهم الصغيرة، لا يجرؤون على رميها في حاويةِ القُمامةِ العائليّة، وبالتالي، يتخلّصُونَ منها عبرَ رميها في البُحيرة، أو في المُستنقَعِ أو في أقربِ مجرى ماء.

تتناسَلُ فيهِ السلاحفُ دونَ صعُوبة. في فلوريدا، المُفترسُ الأكبرُ لهذهِ السلاحِفِ طيرٌ لدى منقارِهِ هيئة خاصّة تسمَحُ لهُ بكسرِ قوقَعتها. ولمّا أُحضرت السلحفاةُ للزينةِ لم يخطُر في البال، بالطبع، استيرادُ المُفترِسِ الطبيعيّ لها، إذْ اتّضَحَ أنَّ هذه الدواب القادِمة من الشرقِ مصدرُ رُعبٍ حقيقيّ في بُحيراتِ أوروبا وجداولها. فقد قضَتْ على يرقاتِ ذوات الأجنحة، وعلى السمكِ والسلاحفِ الأصليّةِ للمنطقة.

ومَنْ تُهاجمُ الأميرةَ 103 ورفاقَ مُغامرتها الآن هي واحدةٌ من أولئكَ المُرعبين. يدنُو الوحشُ المُفلطَحُ مُطَقطِقاً بفكّيه، والعُوَمُ تجدّفُ في الماءِ بأقصَى سُرعتها على أملِ الفرارِ منها.

إنّهُ السباقُ بينَ الطوفِ-الزنبقةِ والوحشِ ذي العينين الصفراوين. هذا الأخيرُ أثقل، أسرَع، وتمتازُ حركاتهُ المائيّةُ بمرونةٍ أكبر. وإذن، يلحَقُ بالقاربِ-الزهرةِ دونَ أدنَى صعوبة. يقضُمُ العُوَمَ الدافِعةَ واحدةً تلو الأخرى ثمّ يُقرّبُ فمهُ الفاغرَ داعياً النملات أنْ يُسلِمْنَ أنفسهنّ للأكلِ طائعاتٍ دونَ مقاومةٍ لا طائلَ منها.

تُنظّمُ الأميرةُ 103 بدهاءٍ شديدٍ فرقتها، مُتذكّرةً مُسلسلاً عن مغامراتِ أوليس وأحداثِها المختلفة، وتقترِحُ على الحشَراتِ ذواتِ الفكوكِ الأضخم التقاطَ غُصينٍ قريبٍ متدلٍّ، وتدبيبَ طرفِهِ جاعلةً منهُ رُمحاً!

سُرعانَ ما تُعضّضُ السلحفاةُ المؤخَّر مُعرّضَةً المركبَ للغرقِ في أيّ لحظة. تُكابدُ بضعُ مُستكشِفاتٍ من أجلِ إبقاءِ الوحشِ على مسَافةٍ بتصويبِ قذفاتِ حمضِ النمليك إلى خياشِيمهِ من أعلَى بتلاتِ زنبقةِ الماء. دونَ جدوى. في المقدّمةِ يُسنّنُ الرّمحُ الخشبيّ. ولمّا تعتبر الرقم 103 بأنّه باتَ جاهزاً، يحمِلنهُ جميعاً ويعدونَ بِهِ على سطحِ زنبقةِ الماء هاجِماتٍ على الدابّة!

سنّدن نحو العين! صاحَت الرقم 103، مُتذكّرةً الحلقَةَ الخاصّةَ بأوليس والسيكلوب.

يُصيبُ الوتدُ وجهَ السّلحفاةِ المائيّةِ لكن لا ينغرزُ فيه. ينكسر. يظلُّ فمُ الدابّةِ الهائل فاغراً، ويوشِكُ أنْ يقتطِعَ خلفيّة السفينة. فإذن، تعودُ الرقم 103 إلى أساليب أحدَث وأكثر فعّاليّة. تباً لأوليس، تيكس أيفري هو الاستراتيجي الأبرع بالفعل. تُمسِكُ 103 الجزءَ المُتبقي من العودِ-الوتَد عموديّاً وتندفِعُ هاجمةً. عندما يحاولُ الوحشُ إعادة إطباقِ خطمهِ يظلّ العودُ عالِقاً بشكلٍ مائل.

مثل كلّ السّلاحِف، تُحاولُ هذه إدخالَ رأسِها في قوقَعتها، ولكنَّ الفمَ المفتوحَ بشكلٍ واسعٍ يسدّها، وكلّما جاهدَتْ لإدخالِ رأسها، انغرزَ الرمحُ أكثرَ في سَقْفِ حلقها.

يخطُرُ للرقم 15 أنّه في الإمكان انتهازُ الفُرصة. تُشير لرفيقاتها الأرقام

6،7،8،9، بالإضافةِ للرقم 5 بأنْ يقفزنَ للاقتِحام. يجمَعنَ زخمهنّ، وقبل أنْ يتسنّى للدابّةِ الابتعاد، يركضنَ، ثمّ يقفزن من القارب، يهبطْنَ على اللسانِ الأبيضِ ويخُضْنَ في لُعابِها.

تغوصُ السلحفاةُ لتغسلَ الفم وتُغرقَ المُحتلّاتِ لها. تُشيرُ الرقم 15، الجريئة، لرفيقاتِها بأنْ يهجُمْنَ داخلَ ممرّ المري. إذْ يُغلقُ هذا وراءهنّ بعدَ البلْع، حاجزاً بينهنَّ وبينَ المياهِ التي تجتاحُ الفم.

يحصلُ كلّ شيءٍ بسرعةٍ كبيرة. تُدركُ السّلحفاةُ بأنَّ النمالَ لم يغرقنَ وأنّهنَّ ماكثاتٌ في حلقومها، تبتلِعُ جُرعةً من الماءِ الأخضَر المُزْرقّ الذي يتدفَّقُ في المري. تنوّهُ الرقم 15، بحسّها الغريزي للجغرافية العضويّة لدى الحيواناتِ الضخمة، بأنّهُ لا ينبغي المُواصلةُ قُدماً لئلا يسقُطْنَ في المعِدةِ المُترعة بالعُصَاراتِ الحمضيّةِ اللاذعة. فيحفرنَ بالفكوكِ شارعاً جانبيّاً ويلتحِقنَ بقناةٍ موازية: القصَبةُ الهوائيّة. أوف! تمضي جُرعةُ الماءِ دونَ أنْ تمسَسْهنّ. القصَبة الهوائيّة ملسَاء وتفتَقرُ للسائلِ المُخاطِي؛ تُخفّفُ شُعيراتُ التصفيةِ الهوائيّةِ من وقْعِ سقوطهنّ. يستسلِمنَ للسقوطِ في قاعِ الجيوبِ الرئويّة. لتجنّبِ المُفرزاتِ الحليبيّةِ المسمُومةِ، وقبلَ التمادِي في تعذِيبِ الحيوانِ أكثر، تُرشدُ الرقم 15، بوصفِها صيّادة مُحترفة، الأخريات نحوَ القلب. وبالفكُوكِ يمزّقنَهُ، بعد بضعةِ تشنّجات، يتوقّفُ كلّ شيء عن أنْ يخفقَ أو يتحرّك.

تطفُو سُلحفاةُ فلوريدا مُجدّداً على السطح، مُثخنٌ داخلها بالطَّعَنات. تُفكّرُ الأميرة 103 بأنّه لا ينبغي التخلّي عن الجُثمان السُّلحُفاتي. إذْ تصلُحُ لتكونَ سفينةً أمنَع من زنبقةِ الماء. موهبةُ النمالِ الكُبرى تظهرُ في قدرتهنَّ على الاستِفادةِ مِنْ أيّ شيء.

بصبرٍ، تحفِرُ النمالُ الثلاثَ عشرةَ ثقباً في قمّةِ قوقعةِ السلحفاةِ ليغدو لهنَّ مسكناً. يأكلنَ اللّحمَ الأبيضَ ليمنحنَ أنفسهنّ طاقةً أكبر على العمل. أخيراً، يحصلنَ على ثقبٍ دائريّ يحشرنَ أنفسهنّ فيه. من المكانِ تفوحُ رائحةٌ نفّاذة، رائحةُ اللحمِ الميت، لكنَّ النّمالَ مرَّ عليهنَّ الكثير ولنْ يقفْنَ عندَ ذلك.

يُلَاحظُ وجودَ عُوَمٍ دافعة جديدة. بما أنّها تؤكلُ باستمرار، ما مِنْ خسارة

بوعدِها بطعامٍ وفير مُكافأةً لها. تبدأُ العُوَمُ بالتجديفِ لجعلِ السُّلحفاةِ الميتةِ تتقدّم. لا تُخفِي انزعاجها فالسّلحفاةُ أثقل في الدفعِ من ورقةِ زنبقةِ الماء. تقدّم لها الأميرة 103 بعضاً من الطعامِ المسحُوقِ وتمدّها بعُومٍ إضافيّة لزيادةِ قوّة دَفْعِها.

لم يعُدْ هذا قارب نزهة بل بارجة حربيّة. ثقيلة، مُصفّحة، متينة ويصعُبُ التلاعبُ بها، وبالتالي تشعُرُ البيلوكانيّات الثلاث عشرة بأمانٍ أكثر. يستأنفْنَ طريقهنَّ صوبَ الجنوب محمُولاتٍ على التيّارِ المائيّ. ثمّ يدخلنَ في منطقةِ ضبابٍ جديدة.

السُّلحفاةُ العائِمةُ بنظرتها المُجمّدة الساخِطة وخطمِها الفاغِر بوصْفِهِ مُقدَّم السفينة، تُرعِبُ الحشرات ما إنْ تتبدّى لها عبرَ السديم. رائحةُ جثّتها الآخذةِ بالتحلُّلِ تُضاعِفُ الأثرَ الرادعَ للسفينةِ الشبحِ الحافلة بالنملاتِ، قُرصاناتِ النهر.

تنتَصِبُ الرقم 16 في مُقدَّمِ السفينة، عندَ قمّةِ رأسِ الغرغول هذا. تأملُ من مكانِها أنْ تتداركَ أيَّ معُوقاتٍ مُحتملة.

ينسابُ المركبُ الحربيّ، مثل آلةٍ جهنّميّة، لولا بضعةُ أزواجٍ من القرونِ المُفرطَةِ الصغر، النّافرة، والمعقوفة تقريباً البارزة من القوقعة المثقوبة.

96. الحفْلُ الغنائيُّ الثاني

– إنّهم شبّان، مُفعَمونَ بالحيويّة، وسيسْحرُونكم، في هذا المَساءِ أيضاً. أفسِحُوا مُتّسعاً للإيقاع، للموسِيقَى. وصفّقوا لبياضِ الثلجِ والسَّبعةِ...

لاحظَ حركةً خلفَ ظهرهِ فاسْتدار. «نـ–مل»، همسَوا جميعُهم.

– آه، اعذروني، استأنفَ مديرُ المركزِ الثقافيّ، أصدقاؤنا بدّلوا اسمَ فرقتِهم. إذن أفسحوا مُتّسعاً **للنـ–مل**. ولنرحّب، باللـ... **بالنّمل!**

في الكواليس، أمسَكَ دافيد أصْدِقاءَه عن الظهُور.

– لا. لا تتعجّلوا. ينبغي التمهُّل لإثارةِ الاهتِمام.

ارتجَلَ مشهَداً. قبلَ أنْ تُضَاءَ خشبةُ المسرحِ وفيما القاعة غارقة في الظلمةِ والصمت، انتظرَ دقيقةً كاملة، ثمّ فجأة، علا صوتُ جولي وسطَ العتمة. غنّت، *أكابيلا*، بمُفردِها.

دندَنت لحناً مُرتجلاً بلا كلِمات. لشدّةِ ما كان صوتها كثيفاً، لشدّةِ ما كان قويّاً، لشدّة ما كان مُفعماً بالتجسِيم، أنْصَتَ الجميع.

لمّا انتهَتْ انفجَرت القاعَةُ بالتصفيق.

انطلَقَ درامز جي وونغ واصلاً إيقاعهُ على نفسِ إيقاعِ خفقاتِ قلُوبِ الحاضرين ذي الزّمنين. بيم، بام. بيم، بيم، بام. بيم، بام. بيم، بيم، بام. كأنَّ الكوريّ يدرّبُ فرقةً منَ الجذّافين. راحَت الأيدي ترتَفعُ على وقعِ الإيقاعِ. بيم، بام. بيم، بيم، بام.

أُشعِلتِ الولّاعات. فأبطَأ قليلاً ليهيّئ الانتقال من 90 ضربةٍ في الدّقيقةِ إلى 100.

عندئذ، بدأ غيتار زويه الباص يشتدُّ عاصِفاً. الدرامز يؤثّرُ على القفَصِ الصدريّ، أمّا الباصُ فأثَرهُ على البطون. إنْ وجِدت في القاعةِ حوامل، فلا بدّ أنّ الصخَبَ سيصِلُ حتّى جيوبِ السائلِ الأمنيوتيكي.

أضاءَ كشّافٌ جي وونغ وطبوله بضوءٍ أحمر. وكشّاف آخر ألقى ضوءاً أزرقَ على زويه.

توّجَتْ فرنسين بهالةٍ خضراء، وهي أمامَ أورغها تشرعُ بسمفونيّة *العالم الجديد* لدفوراك.

وبدأت على الفورِ تَعبَقُ في القاعةِ رائحةُ رذاذٍ وعُشبٍ مقصُوص.

يجبُ دوماً البدءُ بمقطُوعاتٍ كلاسيكيّةٍ لإظهارِ التمكّنِ بعلمِ القُدماء، هذا ما اقترحهُ دافيد. وقد اختارَ *العالم الجديد* في اللحظةِ الأخيرة بدلَ معزوفة الفوغا لباخ. استهواهُ العنوان أكثر.

ضوءٌ أصفَر، ويستلِم ليوبولد على البان فلوت. باتَ المسرَحُ في تلكَ اللحظةِ مُضاءً بأكملِهِ أو بمعظَمِه، باستثناءِ دائرة مُظلمة وسطَ الخشبة. تتراءى، في تلكَ البُقعةِ المُعتمة، هيئةُ شخصٍ على نحوٍ مُبهم.

أمسكَتْ جولي نفسَها مُتريّثةً للَفتِ الانتباه. بالكادِ كانَ الجمهورُ يسمَعُ أنفاسَها تُلامِسُ الميكروفون، وحتّى الصوتُ هذا كانَ دافِئاً ورخيماً.

وبينما شارفَت مُقدّمةُ سمفونيّة دفوراك على نهايتها، دخلَ دافيد اللعبة.

مواصِلاً عبرَ قيثارتِهِ الكهربائيّة المُفعَمةِ العزفَ الفرديّ لبان فلوت ليوبولد. وبذلك، فجأةً، اجتازَ العملُ الكلاسيكيّ عقوداً من الزمن. كانت تلكَ سمفونيّة العالَمِ الجديدِ-الجديدة.

تسَارَعت رشقاتُ الدرامز. أخذَ لحنُ دفوراك يتحوّلُ شيئاً فشيئاً إلى لحنٍ معدنيّ مُفرِط الحداثَة. أبدى الجمهور استِمتاعَهُ.

كان دافيد يجتذِبهم بطرفِ قيثارتِهِ الكهربائيّة. كلّما داعبَ أوتارها، شعرَ برعشةٍ تسْري عبرَ بساطِ الرؤوسِ المُمتدّ أمامه.

عادَ البان فلوت يدعَمُه.

فلوت وقيثارة. الآلتان الأقدم والأكثر انتشاراً. الفلوت، لأنّ أيّ إنسانٍ من قبلِ التاريخ سَمعَ الريحَ تهبُّ في عيدانِ الخيزران. القيثارة، لأنّ أيّ إنسانٍ من قبلِ التاريخ سَمعَ صفْقَ وترِ قوسِه. ومع مرُورِ الأزمان، انحفرَت الأصواتُ في قلبِ الخلايا.

حينَ عزفا بهذهِ الطريقة، قيثارة وفلوت في آن معاً، كانا يسرُدانِ أقدمَ قصّةٍ للإنسانيّة.

والجمهورُ يُحبّذُ أنْ تُروى لهُ القِصَص.

أخفَضَ بول الصوت. وهي لا تزالُ غير مرئيّة، تكلّمت جولي قائلةً: «في قاعِ وادٍ، عثرتُ على كتاب».

أضاءَ الكاشِفُ الكتابَ العملاق خلفَ الفرقَةِ الموسيقيّة، قلّبَ بول صفحاتهِ الميكانيكيّةَ بمهارةٍ مُعتمداً على مُفتاحٍ كهربائيّ. فصفّقتِ القاعة.

- هذا الكتابُ يقولُ بأنّهُ ينبغي تغييرُ العالَم، هذا الكتاب يقولُ بأنّه يجب إحداثُ ثورة... ويُسمّي هذه الثورة «ثورةُ الصِغار»، «ثورة النمل».

أبرزَ كاشِفٌ آخر نملةَ البولسترين التي حرّكت أرجلها الستّة وهزّت الرأس. المِصباحان اللذان بمثابةِ عينين للنملة أُضِيئا برفْق، مانِحَينِ الحياةَ لها.

- ينبغي أنْ تكونَ هذهِ الثورة جديدة. بلا عنفٍ، بلا زعيم، وبلا شُهداء. تقتَصِرُ على عبورٍ سلِسٍ من نظامٍ قديمٍ مُتصلّبٍ إلى مُجتَمعٍ جديدٍ حيث سيتواصَلُ الناسُ فيما بينهم ويبدؤون معاً تطبيق أفكار جديدة. وثمّةَ في الكتابِ نُصُوصٌ تفسّرُ كيفيّةَ فعلِ ذلك.

تقدّمتْ إلى وسَطِ خشَبةِ المسرَحِ التي لا تزالُ مُعتمة.

- وعنوانُ النصّ الأوّل «مرحباً».

طفَقَ جي وونغ بحيويّةٍ يضرِبُ على الدرامز. وباشرَ الجميعُ اللحنَ وصدَحت جولي بالغناء:

مرحباً، أيها المُشاهِد المجهول.
موسِيقانا سِلاحٌ لتغييرِ العالم.
لا، لا تَتبسّم. ذلكَ مُمكن.
بوسعِك فعله.

كشَفَ ضوءٌ أبيضُ ناصِعٌ عن جولي، الحشَرةُ الرائعة، التي رفَعَتْ ذِراعَيها وفردَت كُمّيها على شكلِ جناحَي فراشَة.

أطلَقَ بول بواسطةِ مِنفاخهِ تياراً هوائيّاً كبيراً جاعِلاً أجنِحَتها تخفِقُ وشعرها يتطَاير، نافِحاً في الوقتِ نفسه عبيرَ الياسمين.

عندَ نهايةِ الأغنيةِ الأولى، استولَى السّحْرُ على القاعة.

زادَ بول سطوعَ الكشّافات. فباتَتْ تُرى أوضَحَ ملابِسهم الدّالة على حشَرات.

للاستِدرَاك، حاولتِ الفرقَةُ تشكيلَ «إيغريغور». أرادوا مُباشرةً تقديمَ أفضَل ما لديهم والأكثر تركيزاً. أطبقَتْ جولي عينيها، وصدَحَت بصوتٍ انضمَّ إليه الجميع. وانطلَقوا بقوّة، سويّة. أُهمِلت الآلات؛ كانَ الثمانيةُ جميعُهم هناك، على شكلِ دائرةٍ وسطَ المسرَح، العيونُ مُغلَقة، والأذرُعُ ممدودَةٌ فوقَ رؤوسِهم كأنّ لديهم قروناً استشعاريّة.

في اللحظَةِ نفسِها، ارتفعَت وجوههم بتمهّلٍ سانِحةً لأبخرة أصواتِهم بالتصَاعد.

كان المشهد خلّاباً. كما لو أنّهم اهتزازٌ واحدٌ مُتناغم. تعلو فوقَهم كرةٌ، مِنطَادُ غِنائِهم.

لا تُفارِقُ البسمَةُ ملامِحَهم أثناء الغناء، وهم مُطبقو الجفون. كأنّما صوت

واحد يصدرُ عن الثمانية ويتأرجحُ في اتّجاهات عدّة مثل سجّادة حريرٍ كبيرة معلّقة فوقهم، وفوق الجمهور. ثبتوا لزمنٍ طويلٍ على هذا الإعجاز البوليفونيّ[1] البشريّ، وكلٌّ بدوره يُحرّكُ ملاءةَ الحريرِ الصوتيّ ويمنَحُها ما هو أبعدُ مِنْ أُغنية.

كانت القاعة تحتبِسُ أنفاسها. حتّى مَنْ كانوا يجهلون الإيغريغور بالمُطلَقِ كانوا مأخوذينَ ببراعةٍ كهذِه.

شعرَتْ جولي كما في الماضي ببهجَةِ الغناءِ ومُتعتِهِ بواسِطةِ قصَبةٍ بسيطةٍ ببسَاطةِ البلعومِ والوترين الصوّتيّين الرطبين. وأخذَت حنجرتها، وهي لا تزالُ مغمُورةً بالعسَل، تستيقظ.

صفّقَتْ القاعة. توقّفوا، تاركينَ برهةَ صَمْت. فهمت جولي بأنَّ التحكّمَ بالصمْت، قبل وبعد، كما الغناء له الأهميّة ذاتها.

تابعَت مع مقطُوعاتٍ جديدة: «المُستقبلُ للمُمثّلين»، «فنّ الفوغا»، «رقابة»، «مجال النو».

استأنفَ جي وونغ الإيقاعاتِ على نحوٍ علميّ. يعرفُ بأنّ أكثر من مئة وعشرينَ ضربة في الدقيقة تستَثيرُ الجمهور، وتحتَ هذا العدد، تُهدّئه. فأخذَ يتناوبُ بينَ حالٍ وآخر ليكسِرَ توقّع جمهورهِ ويُفاجئه.

أشارَ دافيد للرجوعِ إلى مقطُوعةٍ كلاسيكيّة أُدّيت بأسلُوبِهم الحديث. فانتقل إلى توكّاتا لباخ التي عزفها بأسلوب الهارد روك، بقيثارتِهِ الكهربائيّة المُشبعة.

صفّقَ الجمهُورُ مفتوناً.

وصَلَ الموسيقيّون أخيراً إلى «ثورة النمل». نشرَ بول رائحةَ ترابٍ مُبلّلٍ يشُوبهُ عطرُ الصعترِ البريّ والغار والميرميّة.

بسطَتْ جولي نصّها بثقةٍ وهي تُعطي النغمةَ الموسيقيّة. عندَ نهايةِ المقطَع الثالث سُمعَ صوتُ آلةٍ جديدة، موسيقى مُدهشة وغير مألوفة، كأنّها صادرةٌ عن خشخَشةِ كمانٍ جهير.

1- (بوليفوني، polyphonie): تأليفٌ متعدد الأصوات.

كشفَ شُعاعُ ضوءٍ رفيع، في الزاويةِ اليُسرى من المسرح، جُدْجُداً حقليّاً على وسادةٍ من الساتان الأحمر. وعلى أجنحتِهِ ميكروفون مُفرطُ الضآلة، يُشابه غناؤه المُكبّر من جهازِ الهندسَةِ الصوتيّة تشابكاً بين غيتارٍ كهربائيّ واحتكاك ملعقةٍ بمِبْشَرةِ جبن.

شرَعَ الجُدْجُد، الذي كانَ يعقدُ ربطةَ فراشةٍ صنعَها نرسيس، بغنائِهِ الفرديّ. أخذَتْ معزُوفته «الجيغ» المجنُونة تتسَارع؛ وجدت آلة الباص لزويه ودرامز جي وونغ صعُوبةً في اللحاقِ به. 150، 160، 170، 180 – ضربةً في الدقيقة. هذا الجُدْجد كان يُحطّم كلّ شيء.

بوسع عازفي الغيتار في فرقةِ الـروك العودَةَ إلى مقاعِدهم في الكونسرفاتوار، بمقدُورِ هذا الجُدجُدِ أنْ يؤدي لازماتٍ غنائيّة لا تُعقل. كان يبثّ موسيقى «لا بشريّة»، موسيقى «حشريّة». مُضخّمة بأحدَثِ أجهزةِ تركيبِ الصوتِ الإلكترونيّة، كانت غير مُتوقّعةٍ كلياً. لم تسمَع أذنٌ بشريّة أصواتاً كهذهِ من قبل.

في البداية، لبثَ الجمهورُ صامتاً، مُنذهلاً، ثمّ سرَت همسةُ حماسٍ تزايدت سريعاً، لشدّة إعجابِ المُستمعين.

أحسَّ دافيد بالهدوء؛ نجحَت التجربة. اللحظة كانت جديرة بأنْ تكونَ تاريخيّة، كانَ قدْ ابتكرَ للتوّ آلة جديدة: الجُدْجُد الحقليّ الكهربائيّ.

ليسمحَ للحضُورِ برُؤيةٍ واضِحةٍ للحشَرةِ وهي تعزِف، شغّلَ بول كاميرةَ الفيديو والكشّاف الذي أرسلَ إلى صفَحاتِ الموسُوعةِ العملاقة صوراً للجدجُدِ يغنّي.

غنّت جولي في ثنائيٍّ مع الحشرة مُتابعةً اهتزازاته. وحاورَ نرسيس أيضاً الحيوانَ بغيتاره. كأنَّ الفرقةَ جميعها تريدُ مُنافسة *السوبرانينو* هذا. الجُدجُد يزدادُ حرارة.

في القاعة، ساد جوّ من البهجة والسرور.

نشَرَ بول رائحةَ راتينج الصَّنوبر، ثمّ أضافَ إليها رائحةَ الصندل. لا تناقُضَ بينَ الرّائحتينِ، بل على العكسِ، مُتكامِلتان.

كانَ ثمّة خَفْقٌ قويّ بين الرّئات. ترتَفِعُ الأيدي تلقائيّاً لتُصفّقَ الواحِدةُ

بالأُخرى. في آخرِ القاعة، في المُقدّمة، بين صفُوف المقَاعِد، في كلّ الأرجاء، يتَمايلُ الناسُ على نغماتِ العزفِ المُنفردِ للجدْجُد. من المُحالِ مكوثُ المرءِ ساكناً على وقْعِ إيقاعٍ مُفرط الحيويّة إلى هذا الحدّ.

كان المُستَمعُونَ في ذروةِ حماسَتهم.

في الصفّ الأول، راحَتْ فتياتُ نادي الآيكيدو يحتككْنَ بالمُتقاعدين المُعتادين. لقد استبدَلْنَ قُمصَانهن التي شيرت الخاصّة بأوّل حفلٍ موسيقيّ بقمصانٍ أخرى كتبنَ هنَّ عليها، لأنّهنّ لم يجدنها في الأسواق، بالقلم وبخطّ مُعتنى به: «**ثورة النمل**»، اسمُ الحفلِ الموسيقيّ الجديد للفرقةِ التي غدَت معبُودتهنّ.

ولكن سُرعانَ ما تعبَ الجُدْجد، الذي كانَ هذا أوّلُ ظهورٍ لهُ أمامَ الجمهور، مهدُوداً بحرارة الكشّافات التي أضفَتْ بريقاً على أجنحتِهِ وجفّفت أغشيتهُ المُخاطيّة. كانَ يودّ لو يغنّي لزمنٍ أطول ولكن تحتَ الشمس وليس تحتَ sunlights. هذا الضوء يصعُبُ عليهِ تحمّلهُ. في حالةِ وهنٍ توقّف عندَ علامةِ دو مُرتفعة وأخيرة.

فإذن، انتقلَت المُغنّية إلى المقطَعِ الذي يليه، كما بعدَ عزفِ غيتارٍ كهربائيّ مُنفرد. طلَبت إخفاضَ الموسيقى درجة، واقتربت من حافّةِ الخشبة، على مقربةٍ من الجمهُور، وغنّت:

لا جديد تحتَ الشمس،
ننظرُ إلى العالَمِ بالطريقةِ ذاتها.
ما عاد هناك اختراعَات.
ما عادَ هناك راؤون...

مُفاجأة: تفاعَلَت القاعةُ مُباشرةً ومثلَ رجعِ الصّوتِ أجابها مَنْ حضَرَ الحفل الغنائيَّ الأوّلَ:

- *نحنُ الراؤون الجُدد!*

لم تتوقّع ردّة فعلٍ كهذه، أو اتّحاداً إلى هذا الحدّ. كانت تَعْني هذِهِ الأغنيةُ

التي غدَتْ نشيداً، لكلّ مَنْ حضَرَ الحفل الأوّل، بأنَّ السهرةَ تستأنِفُ اللحظةَ التي توقّفَت فيها مُبكراً أوّلَ مرّة. ملأت الحماسُة جولي:

– مَنْ نحنُ؟

– *نحنُ المُخترِعُون الجُدد!*

دونَ أنْ تُشيرَ لهم، استأنَفَ الجمهُورُ نشيدَ «ثورة النمل». لم يكونوا قد سمِعُوه سوى مرّة واحدة، ومع ذلك، حفظوا الكلماتِ عن ظهرِ قلب. جولي عاجزة عن التصدِيق. أشارَ لها جي وونغ بألّا تترك الأمورَ تُفلتُ من يدها. ينبغي المُحافظَةُ على حماسَةِ الجمهورِ مُتأجّجة. رفعَتْ قبضَةَ يدها.

– أتريدُونَ التخلّصَ من العالَمِ القديم؟

أدرَكت جولي بأنّها وصلَتْ إلى لحظَةِ اللاعودة. سُمِعَ في كلّ أرجاءِ القاعة صريرُ المقاعِدِ المُتحرّكة، وراحتِ الناسُ تقفُ رافِعةً القبَضات.

– تريدونَ الثورةَ هنا والآن؟

روت جُرعَةُ أدرينالين هائلةٍ عطشَ دماغها، مُعبّرةً عن خوفِها، حماسَتها، رغائبها، فضُولها. لا يجبُ المُماطلة بالتفكير. تركت فمها يتكلّمُ نيابةً عنها.

– هيا بنا! صَاحَت.

الفُقاعة انفجرَت.

ثمَّ علا على الفورِ هتافٌ هائل. تشكّل إيغريغور مُباغت. بِسَاطٌ من القبضَات أعقَبَ بِساطَ الأبخرةِ المُوسيقيّة. هبوبٌ عاصِف سرى بين الحضُور، ونهضَ الجميع.

حاولَ مُديرُ المركزِ الثقافيّ أنْ يُهدّئَ النفوسَ الهائِجة. قفزَ خارجَ الكواليس ليُمسِكَ الميكروفون.

– الرجاء ابقوا جالسين. لا تتحرّكوا. لا يزالُ الوقتُ مُبكراً، لا تكادُ بلغَت التاسعة والربع، والحفلُ الموسيقيُّ بدأ للتوّ!

حاولَ الستّةُ أصحاب العضلاتِ مِنْ خدمةِ الأمن السَّيطرةَ على الجمهورِ دونَ جدوى.

– ماذا نفعَل؟ همسَتْ زويه في أُذْنِ جولي.

– سنُحاولُ إقامة... يوتوبيا، أجابَت الشابّةُ ببرطَمةِ مُحاربةٍ وهي تُرسِلُ إلى الخلفِ شعرها الغزيرَ الأسود.

97. موسوعة

يوتوبيا توماس مور: يعودُ نحتُ كلِمة «يوتوبيا» إلى الإنكليزيّ توماس مور سنة 1516. اشتقّها مِنْ اللفظتين اليونانيّتين: ***u*** بادئة نفي، و***topos*** مكان، فإذن، «**utopie**» تعني «ليس في أيّ مكان». (وقد تأتي الكلمة بالنسبةِ للبعض، من البادئة ***eu***، بمعنى «مُناسب» وفي هذه الحالة، «**eutopie**، أوتوبيا» تكون «المكان المُناسب»). كان توماس مور دبلوماسياً، ينتمي إلى التيّار الإنسانيّ وصديق لإراسموس، وحاملاً للقَبِ مُستشارِ مملكةِ إنجلترا. يصفُ في كتابِهِ المُعنون ***Utopia*** جزيرة رائعة يدعوها بوضُوحٍ يوتوبيا حيثُ يزدَهرُ فيها مجتمع مثاليّ لا يعرفُ الضرائب، ولا البؤس، ولا السرقة. وكان يعتقدُ أنَّ الفضيلةَ الأولى لمُجتمعٍ «طوباوي» هو أنْ يكونَ مُجتمعَ «حرية».

وعلى هذا النحو يصِفُ عالَمهُ المثاليّ: يعيشُ على الجزيرةِ مئةُ ألفِ مواطِنٍ موزّعينَ ضمنَ عائلات. وكلّ خمسين عائلةٍ تُشكّلُ مجموعة تنتَخِبُ زعيماً لها، يُدعى السيفوجرانت. يُشكّلُ الزعماء السيفوجرانت المجلس، والذي ينتَخِبُ بدوره أميراً من قائمةٍ من أربعةِ مُرشّحين. يُنتخَبُ الأمير مدى الحياة، ولكن إذا أصبحَ استبدادياً يُمكنُ عزلهُ. توظّفُ جزيرة يوتوبيا لحروبها مُرتزقة، الزابوليت **Zapolètes**. من المُفترَضِ أنْ يُقْتَلَ هؤلاء الجنود مع أعدائِهم خلالَ المعركة. وهكذا، يتمُّ إتلاف الأداةِ أثناء الاستخدام. فينتفي أيُّ خطرٍ لانقلابٍ عسكريّ.

لا يوجَدُ مالٌ على اليوتوبيا، كلّ شخصٍ يأخذُ من السّوقِ وفقاً لاحتياجاتِه. كلّ المنازلِ مُتماثلة. لا توجدُ أقفال على الأبوابِ ويجبَرُ كلّ شخصٍ على الانتقالِ كلّ عشر سنواتٍ حتى لا يجمُدَ في عاداتِهِ. التبطّل ممنوع. ليس ثمّةَ ربّاتُ بيوتٍ، ولا كهنة، ولا نبلاء، ولا خدم، ولا متسوّلون. ما يُتيحُ تخفيضَ يومِ العملِ إلى ستّ ساعات.

الجميعُ مُلزمونَ بأداءِ خدمةٍ زراعية لمدّةِ سنتين لتزويدِ السوقِ المجّاني.

في حالةِ الزنا أو مُحاولةِ الهروب من الجزيرة، يفقِدُ مواطِنُ اليوتوبيا مكانتَهُ بوصفِهِ رجلاً حرّاً ويُصبح عبداً. وعندئذ، يجبُ عليهِ أنْ يُكابِد ويُطيعَ مواطنيهِ القُدامى.

نُزِعت الحظوة عن توماس مور عام 1532 لأنه لم يتبنَّ طلاقَ الملك هنري الثامن، وفي عام 1535 قُطِعَ رأسُه.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

98. الجزيرَةُ الخَربة

حتّى وإنْ تأخّرَ الوقتُ، لا يزالُ الطقسُ صحواً ودافئاً. تنزلُ الأميرةُ 103 والنملاتُ الشابّاتُ الاثنتا عشرةَ النَّهر. ما من سمكةٍ تجرؤُ على مُهاجمةِ السفينةِ-السُّلحفاة حصنهنّ المنيعُ. تقِفُ المُستكشِفاتُ من حينٍ لآخر لاصطيادِ بعضِ اليعاسيبِ بقذائف الحمْضِ ويأكلنها على بارجتهنّ.

يتناوبْنَ في الوقُوفِ عندَ المُقَدَّمِ الغرغولي لمُراقبَةِ ما يجري على مرمَى بصَرهنّ. تُلاحِظُ الأميرةُ 103، المُتمركزةُ على الرأس، عنكبوتاً مائيّاً يغُوصُ تحتَ الماء آخذاً معهُ فُقاعةَ هواءٍ محبُوسَةً داخلَ كرةٍ حريريّة يستعملُها بمثابةِ غوّاصَةِ الأعمَاق.

مُجرّدُ المُراقبةِ تضعُ الناظِرَ في ذُهُول.

قليل مِنَ الحشراتِ تُطيل الوقوفَ أمامَ هذه السفينة الكابوسيّة. يظهرُ جرنوس. الخُنفسُ السّابحُ على سطْحِ الماءِ هذا مُزوّدٌ بأربعِ عيون. اثنتان منهما تنظُرانِ تحتَ الماء، وأخريان تُراقبان فوقَ السّطح. بهذهِ الطريقةِ يُقارنُ المشهَدين المُرتسمينِ لديهِ عن هذه السفينةِ الغريبة. يجدُ صعوبةً في فهم سبَبِ وجودِ نِمال فوق السّلحفاةِ المائيّةِ هذه وعُوَمٍ تحتها. غير أنّه، بعدَ التفكيرِ، يُؤْثِرُ أنْ يظلَّ بعيداً عنها مُتلذّذاً ببضْعةِ براغيث مائيّةٍ.

على مسافةٍ أبعد، تُبطئهنَّ حشَائِش طويلة. فيضطرِرْنَ إلى تحرير أنفسهن بواسطةِ محاجِن، ثمّ يُستأنَفُ نزول النهرِ الفضيّ.

تخفُّ كثافةُ الضّباب.

يابسةٌ في الأفق! أعلَنَتْ الرقم 12، التي تقومُ بدورِ الراصِد.

تتعرّفُ الأميرةُ 103 مِنْ بعيد، من خلالِ سحائبِ السُّدُم الزاحِفَة، على أكاسيا الكورنيجرا.

هكذا فعلَ النّهرُ إذاً، أوصَلَها إلى الرّقم 24.

الرقم 24.

تتذكّر الأميرة 103 الرقم 24، المُفرِطَة الخجل، والمُتحفّظة. كانت تبقَى دائماً، إبّانَ الحملةِ على الأصابع، في المؤخّرة وخِصْلتها السيئة بأنّها تضلّ الطريقَ دوماً، ممّا أبطأ زحفَ القوّاتِ عدّةَ مرّات. التوهان، لدى هذه الجنديّة الصغيرة عديمة الجنس، طبيعَةٌ ثانية. لكن يومَ اكتشَفوا جزيرةَ الكورنيجرا، عندئذ، أعلَنتْ الرقم 24:

لطالما تهت في حياتي. وتبدو هذه الجزيرة لي المكانَ الرائعَ لخلقِ مُجتمعٍ جديدٍ، هنا والآن، بين كائنات طيّبةِ الإرادة.

ينبغي الاعترَافُ بأنّ خصوصيّةَ جزيرةِ الكورنيجرا تأتي من شجرةِ الأكاسيا الكورنيجرا الكبيرة، كما أنَّ هذا الصنف من الأشجارِ يعيشُ بتكامُلٍ كلّي مع النمال. الأكاسيا تحتاجُهنَّ لحمايةِ نفسِها من هجَماتِ الأَساريعِ والأرقات والبقّ آكِلِ النُّسْغ. ومنْ أجلِ أنْ تجتذِبَ النمل، صمَّمَت، دونَ مُواربة، داخلَ لحَائِها، مقصُوراتٍ مُجوّفةً وممرّات. فضلاً عن ذلك: يرشَحُ إلى بعضِ تلكَ المقصُوراتِ سائِلٌ رائعٌ مُغذٍّ للأفراخ. كيف بوسعِ نباتٍ كهذا التآلفَ مع النمالِ بعلاقةٍ عضويّة؟

كانت الرقم 103 تكرّرُ لنفسِها دائماً بأنَّ الفرقَ بين شجرةِ أكاسيا ونملةٍ أكبرُ من الفرقِ بين نملةٍ وإصبع. وإذا نجحت النمالُ في التعاونِ مع الأشجارِ فلِمَ سيفشلنَ بالتعاونِ مع الأصابع؟

بالنّسبةِ للرقم 24، الجزيرة، هي الفردوس. في ظلّ الأكاسيا العملاقةِ والحامية، فكّرت أنْ تُشيّد مجتمعاً طوباوياً مُؤسّساً على الصفَةِ الوحيدةِ المُشتركة: الشّغفُ بالحكاياتِ الجميلة. إذْ طوّر معشَرُ الحشراتِ الذينَ بقَوا على الجزيرة انحرافاً جديداً: ابتكارُ قصَصٍ من أجلِ بهجةِ القرون. على هذا النحو، يمضون حياتهم، لا يصطادون إلّا من أجلِ قوت يومهم، يأكلون ويقضونَ مُعظمَ وقتِهم في ابتكارِ قِصَصٍ خياليّة.

تشعُرُ الأميرةُ 103 بالسّعادةِ أنَّ التيّارات حملَتها إلى صديقتها القديمة. وتتساءلُ في قرارتها عن الكيفيّةِ التي تطوّرَ إليها مُجتمعها الطوباويّ منذُ افترقتا. تتربّعُ الشجرةُ الصديقَةُ وسطَ الجزيرةِ مثلَ رمزٍ مُطَمْئِنٍ وحامٍ.

مع ذلك، وبينما الملّاحات النمليّاتُ الثلاثَ عشرةَ يتقدّمنَ وسحائِبُ السَّدِيم تتبدّد، يُطبِقُ على الأميرةِ توجُّسٌ مُبهَم.

يصطَدِمُ مُقدّمُ البارِجَةِ بكُراتٍ قاتمة: جُثَثُ نمالٍ مُخرّقةٍ بالحَمْض. الأمر الذي لا يبشّر بالخير...

كلّ شيءٍ ميت. الكورنيجرا دون نِمالٍ تتآكلها الأَرَقات. تشيرُ الأميرةُ للعُومِ بأنْ ترسو. تجرُّ النمالُ السفينةَ-السلحفاة إلى الشاطئ. حتّى سحَالِي السمندَر المائيّة التي كانت تقطُنُ هنا هلكَت. ما مِنْ شيءٍ سوى نملةٍ واحدة بُترتْ منها أرجلها الستّة وبطنها. تتلوّى مثلَ دودةٍ صغيرة.

تحثُّ الملّاحاتُ الناجيةَ الوحيدةَ على التكلّم. تروي لهنَّ بأنّهنّ تعرّضنَ للتوّ إلى هجومٍ مُباغِتٍ من القزمات. أطلَقَ جيشُ النّمالِ القزَمات حملةً باتّجاهِ الشرق. بتحفيزٍ من ملكتهنّ الجديدة شي-غا-بو، وهدفُ أولئك القزمات غزو الشّرقِ البعيد.

هذا ما يفسّرُ لقاءنا بنملاتٍ مُستطلعاتٍ قزمات، نوّهت الرقم 5.

تُلزِمُ الأميرة 103 النّاجيةَ بأنْ تقولَ المزيد.

حدَّدَتْ نملاتٌ قزَماتٌ مُستطلِعاتٌ الجزيرةَ ونزلنَ فيها. من فرطِ ما تبادلَت صديقاتُ الرقم 24 قِصَصاً خيّاليّة في العالمِ المُغلقِ المحميّ من شَجَرتهن، افتقدنَ عادةَ القتالِ والدفاعِ عن أنفسهنّ في العالَمِ الواقعيّ. وما مِنْ خيارٍ أمامَ حيوانٍ لا يُجيدُ القتالَ سوى الفرار. حدثت مجزرة. نجَحَت الرقم 24 وفرقةٌ صغيرة فقط في أنْ يلذنَ بالفرارِ والاختباءِ داخِلَ تجمّعٍ من عيدانِ القصَبِ المُجوّفِ في الجرفِ الغربيّ من النَّهر. إلّا أنَّ القزَمات تُحاصِرهنَّ بغايةِ قتلِهن.

اختلَجَتِ النملَةُ البتْراءُ بحشرجةٍ أخيرة. سيكونُ الموت وهي تَروي قصّةً موتاً جميلاً بالنّسبةِ لنملةٍ من تلكَ الجماعةِ التي بنَتْ تماسكها على المُتعةِ بالروايةِ والإصْغاء.

تصعَدُ الأميرةُ 103 أعلَى الأكاسيا وتمدُّ قرنيها الاستشعاريّين لالتقاطِ معلُوماتٍ بعيدة. بحواسّها الجديدةِ بوصفِها ذات جنس، تبحَثُ بينَ عيدانِ القصَب عن النّاجين من الجماعَةِ الحرّة للكورنيجرا.

تنجَحُ في تمييزهم، في المكانِ ذاته الذي دلّتها عليهِ المُحتَضِرة ولكنَّ، جُنديّات مملكةِ النّمالِ القزمات يُحاصِرْنَهم على زنابقِ الماء ويعرّضونهم إلى إطلاقاتِ حمضٍ حالما ما يظهرُ من فوّهات القصب طرفُ قرنٍ لصهباء. تُلاحِظُ الأميرة 103 بأنّ القزَمات تدَاركنَ تخلّفهنّ. لم يكنّ يُجِدْنَ، في السابق، استخدامَ غدتهنّ السميّةَ لقذفِ حمْضِ النمليك.

تتذكّرُ 103 بأنّ القزَمات، الأصغَرُ حجماً والأكثرُ خصُوبة، لديهنّ القدرةَ على التعلّمِ أسرعَ من نمالِ الغابةِ الصهباوات. فبمُجرّد أن وصلَت هذه النّمالُ (التي يسميها **الأصابع** نِمالَ الأرجنتين لأنّهم يزعمون بأنهم استوردوها مُصادفةً داخل أُصُصِ نباتاتِ الدُّفلى التي يُفترض أن تُبهِجَ طُرُقَ الكوت دازور) من بلد بعيد رُغماً عن إرادتهنّ اسْتَطعنَ التأقلُم في غابةِ فونتينبلو ما يُبرهِنُ جيّداً عن ذكائهنّ. وبالمناسبة، لقد دفعت النمالُ السُّود والنمال الحصّادات ثمناً غالياً بإرادتهنَّ الهجُومَ على أولئك القادِماتِ الجديدات، لقد أُبِدْنَ.

كانت الرقم 103 على يقينٍ دائم بأنّ النمال القزمات سيغدينَ في يوم من الأيّام سيّدات الغابة. ولكن مِنَ المُهمّ تأجيلُ هذا الموعِد، بالابتكَار، بالمُجازفه، بالاستكشَاف، بمواصَلةِ اختبارِ الأفكارِ الجديدة.

إنْ أظهَرت النّمالُ الصّهباواتُ أدنَى ضَعفٍ، فسترسلهنّ النمالُ القزَماتُ إلى المكبّ مثل صنفٍ عفَا عليه الزّمن.

حتّى اللّحظة الراهنة، الرقم 24 ورفيقاتها في اليوتوبيا هنَّ من يدفعنَ الثمن. المسكيناتُ مُحاصرات على رؤوس عيدان القصب. ينبغي مُساعدتهنّ. تُعيدُ الأميرةُ 103 السلحفاة-البارجَة إلى الماء. وتُتْخِمُ المُستكشِفاتُ أنفسهنّ بالحمض، مُتأهِباتٍ لإخراجِ سِلاحِ المدفعيّة. وتتّخِذُ العُوَم، في الخلف، مواقعها مُستعدّاتٍ إلى توجيهِ السُّلحفاةِ-الفرقاطة الحربيّة نحوَ عيدانِ القصَبِ والزنابق المائيّة، ميدانِ المعركةِ البحريّة.

تنصبُ الأميرة 103 أطرافَها الحسيّة. ترى الآن أعداءَهنَّ بوضوح. تتمركزُ النملاتُ القزَمات على البتلاتِ الواسِعةِ البيضاء والورديّة لزنابقِ الماء المُحيطَة. تحاول الأميرة 103 عدّهنّ. مئة على أقلّ تعديل.

بواحِدةٍ مُقابل عشرة، تنطَوي القضيّةُ على صُعوبات. تضَعُ العُومُ نفسها على السّرعةِ القصوى وتهجُمُ وما تكاد تصل في مرمى زنابقِ الماء حتّى تظهَرَ بطونٌ على هيئةِ إفريز فوقَ البتلات. أعدادهنّ تفوق المئة بلا ريب. يُمشّطُ وابلٌ من حمضِ النمليك المنطقة. تُجبرُ النمالُ الثلاث عشرة الصهباوات على الاختباءِ في قاعِ السلحفاة المُصفّحةِ لتفادي الطلَقاتِ القاتلة.

تتجرّأُ الرقم 103 على المُجازفةِ بإخراجِ رأسِها فوقَ المَخبأ وتُطلِق. تَقتُلُ قزَمَةً ولكن تنهالُ عليها قذفاتُ حمْضٍ من نحوِ خمسين عدوّة.

تقترِحُ الرقم 13 الاقتحام بالسفينة-السلحفاة وسَطَ التجمّع ثمّ الانتشار على زنابق الماء فارِضَاتٍ القتال بالفكّ. بهذه الطريقة بوسْعِ النمالِ الصهباواتِ استغلالَ ميزة حجمهنّ. ولكن الرقم 5 ترفَعُ قرنيها، ازدادتْ كثافةُ الرّطوبةِ في الهواء. تُنبّهُهنّ إلى مطَرٍ وشيك.

ليسَ بوسْعِ أَحدٍ الصمُودَ في وجهِ المطَر.

تستديرُ النّمالُ الثلاث عشرة وسفينتهنّ عائداتٍ أدراجهنَّ إلى الجزيرة ويختبئن داخل جسد أكاسيا الكورنيجرا التي سيأوينَ بها ليلةً أُخرى. الشجرة الشابّة لا تُجيدُ لغةَ الحشراتِ الفيرومُونيّةِ ولكن كلّ حركةٍ بأغصَانها، برائِحةِ نُسْغها التي تغيّرت، تُعبّرُ عن بهجتِها برؤيةِ النّمالِ الصهباواتِ ثانية.

بالتالي، تحتلُّ الثلاثَ عشرةَ مُستكشفةِ الشّجرةَ المُجوّفه، يقطنَّ الممرّات الحيّة ويُسارعن إلى قتل الطفيليّين الذين يقرضُونها. إنّه عمَلٌ طويل، فهناك ديدان وأَرَقات وخنافِس مثل خُنفسِ ساعة الموت، والذي سُمّي هكذا لأنّهُ يُصدِرُ صوتَ تِك-تَك وهو يَحفِرُ الخشَب. تُطارِدهنّ رفيقاتُ الأميرة، واحداً تلو واحد. ثمَّ يلتهمنهم. تتنفّسُ الأكاسيا؛ تنتَعِشُ ثانيةً وتشكرُ بطريقتها النّمال بتركِ نُسْغها ينزّ والذي تُحضّرُ منهُ النّمالُ صَلصةً بجانبِ اللّحُوم.

تحريكُ لحمِ خنفساء ساعة الموت مع نُسْغ الأكاسيا، يُهيّئ طبقاً حشرياً بامتياز، يتلذّذنَ جميعهنَّ بالطعمِ الجديد. ربّما في هذه اللحظةِ نشأ فنُّ الطهي النمليّ.

يبدأُ المطرُ ينهمرُ في الخارج كما أنبأَ اكفهرارُ السماء. زخّاتٌ مُتأخّرةٌ

لآذار تَسقُطُ في الأوّلِ من نيسان. تتوارى النّمالُ داخل أعمقِ أغصانِ الشجرة الصديقة.

يدوّي الرعد. تنبَثِقُ بروقٌ مِن الضوءِ وتلتَمع عبرَ فوّهات الشجرة التي هي بمثابةِ كوى. تجلسُ الأميرة 103 مُتأمّلةً المشهَدَ الرائع للسماءِ الهائِجة وهي تروّضُ كائناتِ الأرض. الرّيحُ تحني الأشجار، ورشقُ القطراتِ القاتلة يَجلدُ الحشرات الطائِشة التي لم تُفكّر بعد باللجُوء إلى مأوى.

في الحدّ الأدنى، عندَ رؤوسِ عيدان القصَبِ المُجوّف، ستكون الرقم 24 ورفيقاتها محميّاتٍ من هجُومِ المطَر.

العاصِفةُ تَصفق. تُزعِجُ البروقُ عيني 103. صخَبُ الرّعدِ يبدو خارجاً من خلفِ غِطاء الغيوم. حتّى **الأصابع** تخضَعُ لهذه القوّة. ثلاثةُ خطُوطٍ تشقُّ العتمة، تُضفي على المكان بياضاً كاملاً. تلتَمِعُ الأزهارُ والأشجار والأوراق وسطحُ الماءِ مُلقيةً ظلالاً سوداء هائلة ثمّ تتأرجَحُ لتستعيدَ لونها الأصليّ. أدنَى زهرة نرجسٍ بريّ تتّخِذُ هيئاتٍ مُقلقة تحتَ العاصِفة. تومضُ أعطَافُ الصّفْصافِ البابليّ. يُظنُّ أنّ كلَّ شيءٍ هدأ ثمَّ تضجُّ جلبة هائلة. على شكلِ سِلسِلة بروقٍ تُخطّط كبدَ السّماءِ المُتفحّم. حتّى شبكاتُ العناكبِ تستَحيلُ دوائرَ بيضاء حيث يهرَعُ أصحابها في الدّاخلِ في شتّى الاتّجاهاتِ وقد استولَتْ عليهم أقصَى حالاتُ الذّعرِ من الماء.

استراحَةٌ لبرهةٍ قصيرة ثمّ تُعاوِدُ السماءُ التمزّقَ على نحوٍ أعنف. كلّ الحواس المغناطيسيّة لدى النمال تُعلن لهنّ بأنَّ العاصِفةَ تقترب. الفواصِلُ بين البرُوقِ وهزيمِ الرّعدِ لا تلبثُ أن تغدو أقصَر. البيلوكانيّات الثلاثَ عشرةَ ينكفئنَ على بعضِهنّ مُتشابكاتِ القرون.

فجأةً ترتَعدُ الشّجرةُ كأنّها تكهرَبَتْ للتوّ. قلَقٌ مُباغت يرعشُ كامِلَ اللحاء. تقفِزُ الرقم 5 هَلِعَةً.

النار!

ضَرَبت صاعِقةٌ الأكاسيا وانْدلَعت النار فيها. تمّ الأمر! بينما بصيص كبير يتوهّج في قمّةِ الشجرة، ينزُّ النُّسْغُ من اللحاءِ، في جميعِ الأرجاء، ما يُشيرُ إلى توجّعِ النبات. تقفُ المُستكشِفاتُ عاجزاتٍ عن الإتيانِ بأيّ فعلٍ لإنقاذِها، ويغدو الهواء سامّاً في الممرّات المجروحة.

تفرُّ النمال، مُنشَّطات بفعلِ حرارةِ الجوار، نحوَ الأسفل، عبرَ الجذُور، ويحفرنَ الترابَ بفكوكهنّ ليحصلنَ على ملاذٍ آمن من الماء والنار. يمنَحهنّ الرملُ المبتلُّ حول رؤوسهنّ هيئات وحُوشٍ ذات رؤوسٍ مُكعّبة.

يَحشُرنَ أنفسَهنّ مُختبئاتٍ وينتَظرن.

تحتَرقُ الأكاسيا صارخةً بألم شجرة تحتَضِر وهي تبثُّ روائِحَ نُسْغٍ نتِنة. تنقَبِضُ أغصانُها كأنّها سترقُصُ لإظهَارِ عذابِها. تزدَادُ الحرارة. في الخارج، لفرطِ ارتفاعِ شُعلةِ النار ترى النمالُ توهُّجها عبرَ سَمْكِ الرّملِ الذي يرتفعُ فوقهنّ بمثابةِ سقف.

تحترقُ الشجرةُ بسرعةٍ كبيرة، وبعدَ الحرارةِ المُرتفعةِ جدّاً، يأتي البردُ المُباغت. يتزجّجُ سقفهنّ الرمليّ وتعجز المُستكشفات عن ثقبهِ بالفكّ. ومن أجل أنْ يخرجن، هنَّ مجبوراتٌ على القيامِ بالتفافةٍ واسعةٍ تحتَ أرضيّة.

توقّفَ المطرُ بالسرعةِ ذاتها التي انهمرَ بها. يطغَى البؤسُ على كلّ شيء. لم يكن للجزيرةِ مِنْ ثروةٍ سوى شجرة أكاسيا الكورنيجرا هذه والتي اسْتَحالت رماداً كئيباً.

تُنادي الرقم 6 الجميعَ. تريدُ أنْ تُريهنّ شيئاً.

تركضُ الكائناتُ النمليّة نحوَ ثُقبِ الأرضِ حيثُ ينتَفِضُ بداخلهِ حيوانٌ أحمرُ اللون يتنفّس بعمقٍ. لا، ليس حيواناً، ولا نباتاً، ولا حجراً. تتعرّفُ الأميرة 103 مُباشرةً على هذا الشيء. إنّها جمرةٌ لا تزالُ مُتوهّجة. سقطَتْ داخِلَ الحُفرةِ وحَمَتْها باقي الجمرات مِنَ المطر.

تقرّبُ الرقم 6 رِجلاً. يلمسُ مخلباها المادّةَ الحمراء المائلة للبرتقاليّ، ويا للرعب، يذوبُ مخلباها. مشهدٌ فظيع: تسيلُ رِجْلُها اليُمنى وتذُوب. يغدُو مكانَ الرِّجْل والمخلبَين شِلْوٌ مُدوّرٌ تماماً ومَكوِيّ.

تجفّفُ المُستكشفةُ جذْعَتَها بلُعابِها المُعقِّم.

ربّما تكون هذه وسيلةً لهزيمةِ النمال المَقرُومات، بثّت الأميرة.

ترتَعِشُ الفرقةُ بأكملِها من المُفاجأةِ والخَوف.

النار؟

تقولُ لهنَّ الرقم 103 بأنّنا نخشَى ما نجهلُهُ. وتُصرُّ: بالإمكانِ استِخدامُ النار. تُجيبُ الرقم 5 بأنّه، على أيّةِ حال، من المُحالِ لمسها، سبَقَ ودفعَت الرقم 6 ثمنَ ذلك. تُفسّر الرقم 103 بأنَّ هناكَ قواعد دقيقةً ينبغي مُراعاتها. مِنَ المُمكنِ التقاطُ هذهِ الجمرة ولكن يُمنَعُ لمسُها مُباشرة، يجبُ وضعها على حصوةٍ مُجوّفة. لا تستطِيعُ النارُ فعلَ شيءٍ إزاءَ الحصَى المُجوّف.

وللمناسبة، هذهِ الحصَواتُ متوفرةٌ في مُحيطِ الجزيرة.

بواسِطَةِ اسْتِعمالِ سيقانِ نبتٍ طويلة بمثابةِ رافِعات، تنجَحُ النملاتُ الثلاثَ عشرةَ في رفْعِ الجمرةِ وإدخالها ضِمنَ قطعةٍ من الصوّان. تُشبِهُ الجمرةُ، وهي داخل تلكَ العلبةِ الحجريّة، ياقوتاً ثميناً.

تفسّرُ الرقم 103 بأنَّ النار عنصرٌ قويّ وهشٌّ في آن معاً. مُفارقَةُ النّار: تملكُ من القوّة ما يُدمّرُ شجرة وحتّى غابة بأكملها مع قاطنيها؛ مع أنَّ خفقَةَ جناحي ذُبابةٍ هاموشٍ بسيطةٍ تكفي أحياناً لتُطفئها.

تبدُو هذهِ النارُ مريضَة جدّاً، تُلاحِظُ المُحاربةُ الخبيرة وهي تُري المناطِقَ الحمراءَ تَسْوَدُّ، وفقاً لها فإنّ هذه علامَةُ اعتلالٍ لأيّةِ شُعلة. ينبغي إحياؤها مِنْ جديد.

كيفَ؟ بإعادَةِ إنتاجها. يُعادُ إنتاجُ النّارِ بالتواصُل. أُشعِلتْ ورقَةٌ جافّة، لا تتوفّر كثيراً في الجوار غير أنَّ العثورَ عليها ممكنٌ تحتَ الأرض. تتحصّلُ النّمالُ على خيالٍ أَصْفرَ كبير، النارُ الطفلة أشدُّ إبهاراً من أمّها الجمرة.

لم ترَ مُعظم النمالِ ناراً من قبل والمُستكشِفاتُ الاثنتا عشرة الشابّات يرتدِدْنَ إلى الخَلف، خائفات.

ترجوهنّ الأميرة 103 ألّا يبتَعدن. تنصُبُ قرنيها عالياً وتبثُّ بوضُوحٍ الجملةَ الفيرومونيّةَ القديمة:

عدوّنا الحقيقيّ الوحيد هو الخوف.

جميعُ النّمالِ تُدركُ المعنَى وتعرِفُ قصّةَ هذهِ الجُملة. «عدوّنا الحقيقيّ الوحيد هو الخوف» هذه آخرُ عبارةٍ نطقتها الرقم 234 الملكة بيلو-كيو-كيوني من سُلَالةِ الني للنمالِ الصّهباوات، وذلكَ منذ أكثر من ثمانيةِ آلافِ سنة. البائِسَةُ بثّت هذه الجُملةَ أثناء غرقها وهي تُحاولُ ترويضَ أسْمَاكِ

الترويت. كانت تُفكّر الملكة بيلو-كيو-كيوني 234 بإقامَةِ تحالُفٍ بين النمال وترويتِ النهر. ومنذ ذلكَ العهد، أقلَعنا عن أيّ تواصُلٍ مع شُعوبِ أسماكِ النهر، ولكن بقيت الجُملةُ بمثابةِ صرخة أمل ضِمنَ احتِمالاتِ النّمل اللانهائيّة.

عدوّنا الحقيقيّ الوحيد هو الخوف.

كما لو أرادت طمأنتهنّ، بعدَ أنْ شبّتْ الشعلَةُ الطفلةُ عالياً ثمّ عادَتْ فانكفأت.

ينبغي نقلها إلى مادّة أَسْمَك، تقترِحُ الرقم 6، مُترفّعةً عن حقدِها على عُنصرِ النار.

وبالتالي، مِنْ ورقةٍ جافّةٍ إلى عود جافّ، من عودٍ جافّ إلى قطعَةِ خشَب، ينجَحْنَ في إعدادِ موقدٍ صغيرٍ يُحافِظنَ عليهِ في أسفلِ حوضٍ حجريّ. ثمّ، تبعاً لنصَائِحِ الأميرة 103، ترمي النّمالُ داخِل المُستوْقَدِ قِطعاً صغيرةً من العيدانِ التي تُسارعُ النارُ لالتقاطها بشراسةٍ.

لاحقاً توزّعُ الجمرةُ المُنتجةُ على هذا النّحوِ بكثيرٍ منَ الحذرِ على حصواتٍ مُجوّفةٍ صغيرة، عُثرَ عليها تحتَ الأرضِ أيضاً. تُظهِرُ الرقم 6، على الرغمِ من رِجْلها المُفحّمة، بأنّها أمْهَرُ مهندسةِ نار. بما أنّها لمستها، هي تعرِفُ كيفَ تحتاطُ منها. وبناءً على توصياتها، تجمَعُ الأُخريات كنزاً من الجمَرات.

بهذا سننقضُّ على القزمات! هتفَتْ الأميرة 103.

يبدَأُ الليلُ بالهبُوط، ولكنَّ صناعةَ النارِ تبهرهنّ. يُحمّلن على سفينتهنّ-السُلحفاة ثمان صخراتٍ مُجوّفةٍ وكلٌّ منها مُذخّرة بجمرةٍ مُتوهجة. تنصبُ الأميرة 103 قرنيها وتُطلِقُ الفيرومونَ اللّاذع والذي فحواهُ:

اهجمنَ!

99. موسوعة

***حملة الأطفال*: في الغرب، جرَتْ أوّلُ حملةٍ صليبيّةٍ للأطفالِ سنةَ 1212. لقد توصّلَ الفتيانُ العاطلينُ عن العملِ إلى ما يلي: «فشِلَ الكبارُ والنبلاءُ في تحريرِ القُدسِ لأنّ أرواحهم يعوزها النقاء. أمّا نحن، فأطفال، وأرواحنا**

نقيّة». انتشرَ هذا الاندفاعُ بشكلٍ أساسيّ في الإمبراطوريةِ الرومانيّةِ الجرمانيّةِ المُقدّسة. غادرَ مجموعةٌ من الأطفال الإمبراطوريّةَ لينتشروا على الطُرقِ المؤدّيةِ إلى الأرضِ المُقدّسة. لم يكن لديهم خرائِط. ظنّوا بأنّهم ذاهبونَ صوبَ الشَّرقِ لكنّهم، في الواقع، كانوا يمضونَ نحوَ الجنوب. نزلوا وادي نهر الرون، وعلى الطريق، نمَا حشدُهم ليشمَلَ عدّةَ آلافٍ من الأطفال.

على الطريق، نهبوا وسلَبوا المُزارعين.

أخبرهُم السكّانُ بأنّهم إذا ما استمرّوا قُدماً فسيَصطَدِمُون بالبحر، وهذا طمأَنَهم. إذْ كانوا على يقين بأنَّ البحر، كما من أجل موسى، سيُشقُّ ليسمح لهذا الجيش من الأطفال بأن يعبر وسيوصِلُهم إلى القُدسِ دونَ أنْ تُبلَّ أقدامهم.

وصَلَ الجميعُ إلى مرسيليا، حيث البحر لم يُشقّ. وانتظروا على الميناءِ دونَ جدوى إلى أنْ عرَضَ عليهم رجلانِ من صقلية أنْ يأَخذاهم بالسّفينةِ إلى القُدس. آمنَ الأطفالُ بالمُعجزة. لم يكن هناك معجزة. كان الصقليّان مُرتبطانِ بعصَابةٍ مِنَ القراصِنةِ التونِسيّين الذينَ قادُوهم ليسَ إلى القدس وإنّما إلى تونس، حيثُ بيعوا جميعاً، بثمنٍ مُجزٍ، كعَبيدٍ في السّوق.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

100. الكرنفال الكبير

- لنْ ننتظرَ بعد الآن. هيا بنا! صرَخَ صوتٌ بينَ الحضور.

لم تكن جولي تُدركُ إلى أينَ سيأخذُهم ذلكَ الاندفاع، إلّا أنَّ فُضُولها كانَ الأقوى.

- إلى الأمام! أيّدَت.

أخذ مُديرُ المركزِ الثقافيّ يرجو الجميعَ أنْ يلزموا أماكِنهم ويُحافِظوا على هدوئهم.

- الهدوء، الهدوء، أرجوكم، هذهِ ليست أكثرَ من حفلةٍ غنائيّة.

شخصٌ ما قطَعَ لهُ الميكروفون.

وجدَت جولي نفسَها هي والأقزامُ السّبعةُ في الشارع، مُحاطينَ من حشدٍ صغيرٍ مُتحمّس. كان ينبغي المُسارعةُ بإعطاءِ هدَف، اتّجاه، معنى إلى ذاكَ الحشدِ السّائر.

- إلى الثانويّة، صاحَت جولي. سنَحتفل!

- إلى الثانويّة، كرّرَ الآخرون.

لم يلبثِ الأدرينالين أنْ تصَاعدَ في عُروقِ المُغنّية. لا سيجارة ماريخوانا ولا كحول أو مُخدّر بوسْعِه أنْ يُحدِثَ مفعولاً كهذا، كانت مُفرطةَ الحماسَةِ حقّاً.

الآن وبعد أنْ زَالت أضواءُ المسْرحِ التي تفصِلُها عن جمهورها، بدأت جولي تميّزُ الوجوه. ثمّةَ أناس من شتّى الأعمار، رجال بعدد النساء، شبّان كثر وبأعدادٍ مُماثلةٍ ناضِجين. ربّما كانوا خمسمائة يتراصّونَ حولهم بهيئةِ موكِبٍ كبير مُتعدّدِ الألوان.

غنّت جولي «ثورة النّمل». وغنّى جميعُ المُتحلّقينَ حولها مُتمايلينَ على طُولِ شارعِ فونتينبلو الرئيس على هيئةِ رقصَةِ سرابند كرنفالي.

نحن المخترعون الجدد.

نحن الراؤون الجدد! صاح الجميع سويّة.

ارتجلَتْ فتياتُ نادي الآيكيدو فرقةَ انْضِباطٍ ومنعَتْ على الفورِ مُرورَ السيّاراتِ التي قد تُشوّش على الحفلَة. سُرعانَ ما أُغلِقَ الشارعُ العريضُ وتقدَّمت فرقَةُ الروكِ ومُعجَبوها بحريّة.

لم يلبَثْ الحَشدُ أنْ تضَخّم. فليسَ هناكَ عادةً الكثير من التسلية، عندَ المسَاء، في فونتينبلو. انضمَّ مُتسكّعونَ إلى الفرقَةِ مُسْتَعلِمينَ عمّا يحدُث.

ما مِنْ لافتةٍ أو يافِطةٍ تتقدَّمُ المسير، مُجرّدُ فتياتٍ وفتيانٍ يتمايلونَ على عزفٍ مُنفردٍ لآلتي القيثارة والفلوت.

أخذَ صوتُ جولي القويُّ والدافِئ يردّد:

نحنُ المُخترعون الجدد،
نحن الراؤون الجدد

كانت ملكتهم ومعبُودتهم، حوريتهم السّاحِرة وباسيوناريا[1] التي تخصُّهم. وأكثر من ذلك، كانت تضَعهم في حالةِ انجذابٍ روحاني. كانت الشامان الذي يخصُّهم.

كانت جولي منتشيةً بشعبيّتها، مُنتشيةً بالحشدِ المُلتفّ حولها والذي يحملُها إلى الأمام. لم تشعُر بنفسها يوماً «أقلّ وحدةً» إلى هذا الحدّ.

ظهَرَ بُغتةً نِطاقٌ من الشّرطةِ أمامهم، بادرَتْ إليهم فتياتُ الصفُوفِ الأولى مُبتدعاتٍ استراتيجيّةً غريبة: غمرنَهم بالقُبل.

كيف يُمكنُ والحالُ هكذا تسديدُ ضرباتٍ بالهراوةِ؟ نطاقُ قوّاتِ حفظِ النظام توزّع. وإلى مسافةٍ أبْعَد، راحَتْ تقتَرِبُ حافلةٌ من الشّرطةِ إلّا أنّها آثرَت التراجُع وعدَم التدخّل أمامَ الضّخامةِ التي يتّخذُها الحدَث.

– إنّها الحفلَة، هتفَتْ جولي. سيّداتي، سادتي، آنِسَاتي اخرجوا للشارع، اتركُوا أحزانكم وانْضمّوا إلينا.

انفتَحَت النوافذ، وانْحنَى أُناسٌ لرؤيةِ المَجمُوعةِ المُبرَقَشة الطويلة.

– بماذا تُطالبون؟ سألَت سيّدة عجوز.

– لا شيء. لا نُطالِبُ بشيءٍ أبداً، أجابَت أمازونيّة من نادي الآيكيدو.

– لا شيء؟ إذا كنتُم لا تُطالِبونَ بشيء، فهذِهِ ليسَت ثورة!

– بلى هي هكذا، تماماً، سيّدتي. هذا هو المُبتكر. نحنُ أوّلُ ثورةٍ بلا مطَالِب.

كما لو أنَّ الجمهور رفَض بأنْ تقتَصِرَ الحفلةُ على ساعتين من الموسيقى في مكانٍ مُقابلَ مائة فرنك. أرادَ لها الجميعُ أنْ تتمدّد في الزّمانِ والمكان. كانوا، بأعلَى صَوت، يستأنِفُون:

1- مناضلة إسبانية، من أبرز الوجوه السياسية خلال الجمهورية الإسبانية الثانية (1931 – 1939). عُرفَت بهتافاتها، وهي صاحبة العبارة الشهيرة «لن يمروا».

نحن الراؤون الجُدد،
نحن المُخترعُون الجُدد!

بعضُ الذينَ توافدوا إلى المكان، أتوا حامِلينَ معهم آلاتِهم الموسيقيّة للمُشاركةِ في الجوقة. البعضُ الآخر أحضَرَ أدوات مطبَخٍ لاستعمالها بمثابةِ طبلٍ وعصيّ. وفريق ثالث جلبَ معهُ أوراقاً حلزونيّة وقُصاصَات ورقيّة.

ومثلما علّمها أستاذها العجوز في الغناء، أوصَلَت صوتها إلى أقصى اتّساعٍ وتابعَ الجميع، حولها، ترديدَ كلماتها. ومعاً، نجحوا تقريباً في تشكيلِ إيغريغور بخمسمائة صوتٍ وتردَّدَ صدى جوقتهم في المدينةِ بأكملها:

نحن الراؤون الجُدد،
نحنُ المُخترعُون الجدد!
نحنُ النمال الضئيلة التي ستقضُم العالَمَ القديم المُتصلّب.

101. موسوعة

ثورة أطفال تشنغدو: حتى عام 1967، كانت تشنغدو، عاصِمةُ مُقاطعةِ سيتشوان بالصين، مدينة هادئة. تقعُ على ارتفاع 1000 مترٍ فوقَ مُستوى سطحِ البحر على سفح جبال الهيمالايا، وتضمُّ هذه المدينة المُحصّنة القديمة ثلاثة ملايين نسمة، مُعظَمُهم لم يكن مطّلِعاً على ما يحدُثُ في بكين أو شنغهاي. غير أنّه، في ذلك الوقت، بدأت هذهِ المدنُ الكبيرة بالاكتظاظ، وقرّرَ ماو تسي تونغ تفريغها. تمَّ فصلُ العائلات، وبينما أرسِلَ الآباءُ إلى الريفِ ليكدحوا في الحقول، أُلحِقَ الأطفالُ بمراكزِ تدريبِ الحرسِ الأحمر ليغدوا شيوعيّينَ جيّدين. كانت هذِهِ المراكز مُعسكرات عملٍ حقيقيّة. شروطُ الحياةِ فيها شاقّة جدّاً. كانَ الأطفالُ يُعانونَ من سوءِ التغذية. جرّبت عليهم أطعِمةٌ سليلوزيّة مصنُوعة من نشارةِ الخشَب وكانوا يموتون مثلَ الذباب.

ومع ذلك، كانت بكين مُضطربة بسببِ نزاعاتِ القصر. ممّا أدّى إلى خسَارةِ لين بياو حُظوته، الرجلُ الثاني الرسميّ بعد ماو والمسؤول عن

الحرس الأحمر. فأخذَتْ كوادرُ الحزبِ تُحرّضُ أطفالَ الحرسِ الأحمر على التمرّدِ ضدَّ سجانيهم. حذاقة صينيّة محض: إذْ باسمِ الماويةِ أصبحَ لدى الأطفال واجبُ الهروبِ من مُعسكراتِ الماويّين وضربِ مُدرّبيهم.

بعدَ أنْ تحرّرَ أطفالُ الحرسِ الأحمر، انتشروا في شتّى أرجاءِ البلاد تحتَ ذريعةِ التبشيرِ بالكلمةِ الطيبةِ الماوية في وجهِ الدولةِ الفاسِدة؛ في الواقع، معظمُهم كانوا يسعونَ بالدرجةِ الأولى إلى الهرُوبِ من الصين. اقتحموا محطّاتِ القطارات وذهبوا باتّجاه الغرب حيث أكّدت الشائِعاتُ وجودَ شبكةٍ سرّيةٍ تُتيحُ للأطفالِ عبورَ الحدُودِ بطريقةٍ غير شرعيّةٍ ودخول الأراضِي الهنديّة. إلّا أنّ، المحطّة الأخيرة لجميعِ القِطاراتِ المُتَّجهةِ غرباً كانت تشنغدو. لذا نزلَ هذه المدينة الجبلية الآلافُ من «الكشّافة» الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و15 سنة. بدايةً، لم يبدُ الأمر سيئاً جدّاً، تحدّث الأطفال عن معاناتهم في مُعسكراتِ الحرسِ الأحمر وأشفقَ سكان تشنغدو عليهم. قدموا الهم الحلوى، وأطعموهم، وأعطوهم الخيام للنوم، والبطانيات للتدفئة. لكنّ التدفّقَ اسْتَمرَّ على محطّةِ القطارات في تشنغدو. كانوا في البداية ألفاً، وسُرعانَ ما وصلوا إلى مِئتي ألفٍ منَ الهاربين.

ومنذ ذاك، لم تعُدْ النيّةُ الحسنةُ لمواطِنِي المكان كافيةً لإرضَائِهم. انتشَرتْ السرقة. ومن رفَضَ من التجّارِ أنْ يُسرَقَ أُبرِحَ ضرباً. اشتكوا إلى رئيس بلدية المدينة، الذي لم يُتَح لهُ وقت للتصرّفِ لأنّ الأطفالَ جاؤوا بطلبِهِ لإرغامِهِ على تقديمِ نقدٍ ذاتيّ علني. ونتيجة لذلك، اعتديَ عليهِ بالضربِ وأُجبرَ على المُغادرةِ سريعاً.

عندئذ، نظّمَ الأطفالُ انتخابات رئيسِ بلديّةٍ جديد وقدّموا «مُرشَّحهم»، وهو فتى سمين يبلُغُ من العُمرِ ثلاثةَ عشر عاماً، بدا أكبر قليلاً من سنّه، ولا بدَّ بأنّهُ كان يتمتّعُ بكاريزما جعلَت الآخرينَ من الحرسِ الأحمر يحترِمُونه. كانت المدينة مُغطاة بمُلصقاتٍ تحثُّ الناخبينَ على التصويتِ لِصَالحه. ولأنه لم يكنْ مُتحدّثاً جيداً، فإن الصحائفَ الحائطيّةَ تكفّلت بالتعريفِ عن برامِجه. جرى انتخابُهُ دونَ صعوبة، وأنشأ حكومةَ أطفالٍ كانَ عميدها عضواً في مجلسِ المدينة عمرُهُ خمسةَ عشرَ عاماً.

لم تعُدْ السرقةُ جريمة. كانَ جميعُ التجّارِ مُلزمونَ بضريبةٍ من اختراعِ رئيسِ البلديّةِ الجديد. توجّبَ على كلّ ساكِن تقديمُ سكَنٍ للحرسِ الأحمر. وبما أنَّ المدينةَ كانت مُنعزلةً للغاية، لم يعلَم أحد بالانتِصَارِ الانتخابيّ للأطفال. غير أنَّ البرجوازيةَ المحليّة كانت قلقةً وأرسلَتْ وفداً لإبلاغِ حاكمِ الإقليم. وهذا الأخير أخذ المسألةَ على محملِ الجدّ وطلبَ من بكين دعمَ الجيشِ لإخضاعِ المُتمرّدين. مُقابلَ 200 ألف طفل، أرسلَت العاصِمةُ مئاتِ الدبّابات وآلاف الجنودِ المُدجّجينَ بالأسلحة. تعليماتهم: «قتلُ جميعِ من أَعْمَارهم دونَ الخامسَة عشر». حاولَ الأطفالُ أنْ يُقاوموا في هذه المدينةِ المُسوّرةِ بخمسةِ جُدرانٍ حصينة، لكنَّ شعبَ تشنغدو لم يدعمهم. كانَ مُهتماً بالدرجَةِ الأولى بحمايةِ شبابِهِ من خلال البحثِ لهم عن ملاجِئ في الجبل. استمرّت حربُ الكبارِ ضدَّ الأطفالِ لمدّةِ يومين؛ اضطرَّ الجيشُ الأحمر للّجوءِ إلى عملياتِ قصفٍ جويّ لإخضَاعِ آخرِ جيوبٍ للمُقاومَة. جميعُ الصّبيةِ قتلوا.

لم يُكشَف عن القضيّةِ حينها إذْ التقى، بعد مدّةٍ وجيزة، الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون بماو تسي تونغ ولم يعُد الظرف مناسباً لانتقادِ الصين.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

102. نَسْفُ الهرمِ الغامِض

هذهِ المرّة، سيُنسَف! عادَ مكسيميليان وشرطيّوه مُجدّداً وطوّقوا الهرمَ الغامِض.

لقد قرَّرَ المُفوّض بأنْ يُنفّذَ العمليةَ ليلاً لأنّ – وفقاً له – مُفاجأةَ المُقيمِ أو المُقيمينَ في المبنَى أثناء نومِهم ستكون أنْجَع.

أخذَتْ الفرقَةُ تُنيرُ المبنَى الحِراجي بمَصابيح الجيب؛ ولكن بما أنَّ ضوءَ المغيبِ لم يأفل تماماً، لم يكن ذلك أكثر من دعمٍ إضافيّ. وكما ملّاحو أعالِي البِحار، ارتدَى الرّجالُ ألبسةَ حمايةٍ ذات قماشٍ مُشمّع وقد اختاروا هذه المرّة سِلكاً كهربائيّاً مقوّى لا تستطيعُ الفكوكُ قرضَهُ. كان مكسيميليان على وشكِ أنْ يأمرَ بإطلاقِ النار لمّا سمِعَ الطنين.

- انتبهوا من الزنبارة! صَاحَ المُفوّض. احموا أعناقكم وأيديكم.

شهرَ شُرطيّ مُسدّسَهُ وصوَّب. هدفه مُفرِط الصغر. بالوضعيّةِ التي اتّخذَها ليُطلِق كشَفَ الرجلُ قطْعَةً من بشرتهِ وعلى الفور لُدِغَت.

لَدَغت الحشرةُ شُرطيّاً آخر قبلَ أنْ تطيرَ مُبتعدةً عن متناولِ اليدين اللّتين تبحثان في الهواء. أخذَ الجميعُ الآن يترقّب قلقاً، والآذان مُتنبّهةٌ لأدنَى نأمةٍ قد تصدُرُ عن زنبور.

باغتَت الحشَرةُ شُرطيّاً ثالثاً بالنكسِ نحوهُ مُباشرة، حامتْ حولَ أذنِهِ اليمنى قبلَ أنْ تغرِزَ إبْرتها في ودَجِ عنقِه. خرَّ الرّجلُ أرضاً بدوره.

خلَعَ مكسيميليان فرْدَةَ حذائه، أشْهرها، وكما في زيارتهِ الأولى، أفلَحَ بإصابةِ الحشرةِ وهي في أوجِ طيرانها. المُهاجِمةُ الباسِلةُ سُحِقت على الأرض، دونَ حِراك. حيثُ لا ينفعُ المُسدّس، كانَ نعلُ الحذاءِ يفعلُ العجائب.

- اثنان-صفر.

- تأمّلَ ضحيّتهُ. لم تكنْ زنبوراً؛ كانتِ الحشَرةُ أقرب إلى نملَةٍ طائرة. سحقَها بنعلِه مُتشفّياً.

هرَعَ الناجُونَ لمُساعدةِ الشرطيّينَ المُنهارين. أحضَروا لهما النّجدةَ ليحولوا دونَ نومِهما. قرّرَ مكسيميليان أنْ يُسارِعَ بالتفجيرِ قبل أنْ يظهرَ حارسٌ ضئيلٌ وخطير آخَر.

- كلّ العبوات جاهزة؟ تأكّد الخبيرُ من اتّصالِ نقاطِ التماس الكهربائيّةِ بالمُفجّر وانتظَرَ أمرَ المُفوّض.

- مُستَعِد؟

رنينُ هاتفِهِ المحمُول قطَعَ العدَّ التنازلي. في الجهةِ الأُخرى من الخطّ طلبَ منهُ المُحافظُ دوبيرون بأنْ يحضُرَ في الحال. هناكَ حوادِثُ في المدينة.

- مُتظاهِرونُ سيطَروا على شارعِ فونتينبلو الرئيس. يُمكنُهم أنْ يُحطّموا كلّ شيء. دَع فوراً كلّ الذي بينَ يديك، وعُدْ إلى المدينةِ وفرّق لي جمْعَ أولئكَ المجانين.

103. في حرارةِ عيدانِ القصَب

يُنازِعُ النهارُ الغسَق في طقسٍ دافِئ. يُرخِي القمرُ ضياءَهُ على التّراب. دفءُ الأَرضِ، بعدَ المطَر، يُشيعُ الحرارة في الأجساد. تندَفِعُ السّفينةُ–السّلحفاةُ النمليّة نحوَ عيدانِ القصَب.

تراها القزَماتُ آتية. تتكفّلُ حرارةُ الجِمارِ وتوهجها بإنذارهنّ. قِمَمُ الأوراقِ الورديّةِ الصافيةِ مُكتظّة بالمدفعيّاتِ الجاهزاتِ للإطلاق. ومِنَ البعيد، مِن قصَبتها المُتضرّرة، تُرسِلُ الرقم 24 نداءات استغاثة.

أعدادُ الأعداءِ تفُوقُ قدرةَ المُحاصَراتِ على الدفَاع. العديدُ من الجُثَثِ مُنتفخَةٌ بالماء أسفَلَ القصبة، إلى درجةٍ لا يُعرَفُ معها إلى أيّ مُعسكرٍ تنتَمي، تطفو، شاهدةً على ضراوةِ المعاركِ السابقَة.

اعتقَدَ نِمالُ الكورنيجرا الصّهباوات أنّه بالإمكان العيشُ على مُجرّد سردِ الحكايات فيما بينهنَّ. كُنَّ مُخطِئات. لا يكفي تبادلُ سَردِ الحكايات، ينبغي أنْ تُعاش أيضاً.

في مقصُورةِ البارجة–السلحُفاة، الرقم 103 ومُستكشِفاتها يُرهِقنَ أنفسَهنَّ كثيراً. ليست النار سِلاحاً عمليّاً للاستخدام عن بُعد. يبحثنَ عن طريقةٍ لقذفها إلى زنابقِ الماءِ التي تُسيطِرُ عليها النّمالُ القزَمات.

عندَ النمال، يُفكّر بالتلمّس. يبثُّ كلّ واحدٍ اقتراحَه. الرقم 6 تقترحُ بأنْ تُرسلَ نحوَ العدوّات أوراقاً طافيةً مُحمّلةً بالجمرات، ومدفُوعةً من العُوَم. غير أنّ العُوَم ترتعِدُ خشيةً من النار. بالنسبةِ لها، تبقى النارُ سِلَاحاً مُحرّماً وترفضُ الاقترابَ منه.

تُحاولُ الأميرة 103 جاهدةً تذكّر آليةٍ إصبعيّة تسمَحُ برمي النارِ بعيداً جدّاً. يدعونَ ذلكَ المنجنيق. بطَرفِ القرنِ الاستشعاري، ترسُمُ شكلَ هذا الشيء، ولكن لا أحد يفهَمُ لماذا ستطيرُ النارُ في الجوّ إذا ما وضِعت في آلةٍ مُجمّعة كهذه. يصرفون النظر.

تريدُ الرقم 5 أنْ تُلهبَ طرفَ إحدى هذهِ العيدان الطويلةِ التي تُستخدَمُ كرماحٍ وتلكزُ بها زنابِقَ الماء. يُوافَقُ على الاقتراح.

توقِفُ النّمالُ المُحرّكاتِ العُوَميّةَ ويَشْرَعن بالبحثِ عن أطولِ عودٍ مُمكن. يعثرنَ على واحدٍ مُناسبٍ في الفروعِ التي على سويّة الماء ويَحملْنَه على بارجتِهنَّ–السلحفاة.

عندما تقتَربُ السلحُفاةُ المسَافةَ المُناسبة، تأخُذُ رشقاتُ الحمضِ تُطلَقُ بكثافة. ينحني الطّاقَمُ البحريّ على السفينةِ دونَ أنْ تُفلتَ الفكُوكُ العودَ الطويل. تُعلِنُ الأميرة 103 بأنَّ وقتَ تماسّ طرفِهِ بالجمرةِ قد حان. تشتَعِلُ نهايته. يرفعنَ صاري النارَ بسرعة.

تُسارعُ العُوَمُ مُخلّفاتٍ إرغاء زبَدٍ في إثرِ المركَب. تندفِعُ المُدرّعة هاجِمَة. وفي أعلاها، يسترسِلُ الطرفُ المتوهّجُ بالسّرعةِ مثلَ رايةٍ طويلةٍ مُضيئة بلا نهاية.

ترفَعُ الرقم 14 قرناً–منظاراً لتستوضِحَ مكانَ الأعداءِ وتُشيرُ للآخرين إلى الموضِعِ الذي ينبغي أنْ يوجّهوا إليه الصّاريَ الثقيلَ المُدخّن.

يلمِسُ الرمحُ ذو الرأسِ المُشتَعل ظاهِرَ بتلاتِ زنبقةِ الماء. في النباتِ رطوبةٌ تمنَعُ النارَ أنْ تندلِعَ بهِ مُباشرة، غير أنَّ الاصطدامَ بالرّمحِ أفقدَ جميعَ المدفعيّاتِ توازنها ما جعلَها تتساقَطُ في الماءِ على الفور. في هذه الحالةِ بالتحديد، لم يكن للنارِ نفعٌ سوى تقديمِ الحجّة على إصرارِ واستعدادِ المُحارباتِ الصهباوات لاستخدامِ الأسلحة كافّة حتّى المُحرّمة منها.

أمام هذا النجاح، تستَعيدُ المُحاصَرات ثقتهن. ويُطلِقن ذخائِرَ الحمضِ التي اسْتَبقينَها للهجومِ الأخيرِ مُحدِثاتٍ أضراراً بالغةً في صفوفِ القزَمَاتِ.

من جهتها، فهمت الأميرة 103 كيف توجّهُ على نحوٍ أدقَّ الرمح–ألسنة اللهب وتحرِقُ زنابقَ الماءِ واحدةً واحدة. أدّى ذلكَ إلى تصاعُدِ الكثير من الدخان. تؤثِرُ المُهاجِماتُ، مذعوراتٍ برائِحةِ الزنبقِ المحرُوق، أنْ يلتحِقنَ باليابسَةِ ويلُذنَ بالفرار. وهذا مِن حُسْنِ الطالعِ إذْ بدأَ العودُ يحترِقُ هو أيضاً. هذه هي المُشكلة مع النار، تُحدِثُ أضراراً عندَ مُستخدميها بقدرِ ما تُحدِثُهُ عند المُتعرّضينَ لها سواءً بسواء.

لم تحظَ البيلوكانياتُ بفرصةِ الخوضِ في نِزالاتٍ فرديّةٍ صاخبةٍ حيث فيها تُظهِرُ النمالُ فنّهنَّ في المُبارزةِ بالفكّ. يَخيبُ أمل الرقم 13، أكثرهنَّ

شغفاً بالحرب، بأنّها لم تُطيّر درعين على الأقلّ لتلك النمال القزمات المُتغطرسات.

تشيرُ الرقم 103 إلى رمي العودِ المُلتهب في أبعدِ مكانٍ مُمكن في الماء.

تصِلُ البارجةُ-السلحفاةُ القصَبةَ المُحاصرة.

لعل الرقم 24 نجت، تمنّت الأميرَةُ 103 في قرارتها.

104. معركة الثانويّة

انْطلَقوا خمسمائة من المركزِ الثقافيّ، وصلوا ثمانمائة إلى السّاحةِ الكبيرة، أمامَ الثانويّة.

لم تكنْ الغايةُ من مُظاهرتِهم عرضاً مطلبيّاً؛ كانَ كرنفالاً حقيقيّاً، بكلّ معنَى الكلمة.

كان للكرنفالِ في العُصُورِ الوسطى معنى مُحدّد. كان يوماً للمجانين، يوماً تتحرَّرُ فيهِ جميعِ التوتّرات. في يومِ الكرنفالِ الكبير تُداسُ جميعُ القوانين بالأقدام. يحقُّ للمرءِ أنْ يَشدَّ شواربَ رجالِ الجندرما ويدفعَ رؤساءَ البلديّةِ إلى الجدول. يُمكنُ طرقُ أيّ بابٍ ورمي الطحين على وجْهِ أيٍّ كان. كان يُحرَقُ الرجلُ الكرنفاليُّ، الدميةُ المُتحرّكةُ العملاقة من القشّ، والتي ترمُزُ إلى جميعِ السُّلُطات.

ولأنّه كان هناكَ يوم مُحدّد يُقام فيه الكرنفال، كانت السُّلْطةُ المُمسِكةُ بزمامِ الأمورِ مُحتَرمة.

في أيّامنا، غاب المعنَى الحقيقيّ لهذا التعبير الضروريّ اجتماعيّاً. الكرنفالُ الآن ليسَ أكثر من حفلٍ للتجّار، مثلَ عيدِ الميلاد، عيد الأب، عيد الأم، أو عيد الجدّات؛ ما عادتْ سِوى أعيادٍ مُكرّسة للاستهلاك.

نسينا الدورَ الأساسيَّ للكرنفال: إعطاءُ الشعبِ وهمَاً بأنَّ التمرّدَ مُمكن، ولو ليومٍ واحدٍ فقط.

بالنسبةِ لجميعِ أولئكَ الشبّان وحتّى لمن هُمْ أقلّ شباباً، كانت المرّةُ الأولى منذُ ولادتِهم تُتاحُ لهم، في ذلكَ المكان، فرصَةُ التعبيرِ عن رغبتهم

بالاحتفال، وأيضاً ثوراتهم وإحباطاتهم. ثمانمائة شخصٍ درَجُوا منذ مولدهم على كبْحِ غضَبهم، أخذوا بغتةً يُطلقونَ العنانَ لأنفُسِهم على هيئةِ رقصَةِ سرابند عارِمة.

هواةُ الروك والمُتسكّعونَ راحوا يتقدّمونَ على شكلِ عُصبةٍ صاخبةٍ ومُزركشة. لمّا وصلوا ساحةَ الثانويّة، وجدوا ستّ حافلاتٍ لشرطة الـ CRS[1] تَسدُّ عليهم الطريق.

وقفوا.

حدجَ المُتظاهِرونَ قوّاتِ حفْظِ النظامِ بنظرةِ ازْدِراء. وبادلَتْ قوّاتُ حفْظِ النظامِ المُتظاهرينَ نظرةَ الازْدِراء ذاتها. فيما أخذَتْ جولي تروزُ الوضع.

كانَ المُفوّضُ مكسيميليان لينار يقِفُ، وشريطَةٌ تطوّقُ عَضُده، أمامَ رجالِهِ بمواجهةِ الحشدِ الصّاخِب.

- تفرّقوا، صرَخَ عبرَ مُكبّر الصوت.

- لا نُسبّبُ أذيّة لأحد، أجابَتْ جولي دونَ مُكبّرِ صوت.

- تُحدِثونَ اضطراباً في النظامِ العام. السَّاعةُ تجاوزت العاشِرة. ويريدُ الأهالي أنْ ينامُوا وأنتم تُثيرونَ فوضَى ليليّة.

- كلّ ما نريدُهُ هو أنْ نُقيمَ حفلنا في الثانويّة. أجابت جولي.

- الثانويّةُ مُغلَقة في الليل وليسَ لديكم الإذنُ بفتحِها. لقد أحدثتُم ما يكفي من الضَّجيج. تفرّقوا، عُودوا إلى منازلكم. أكرّرُ لكم أنَّ من حقّ الناسِ أنْ تنام.

تردَّدَتْ جولي، للحظَة، ولكن عادَت وتماسكت ثانيةً بسُرعة، لا تزالُ تقومُ بدورِها كاملاً بوصفها باسيوناريا:

- لا نُريدُ للناسِ أنْ تنام. فليصحُو العالم!

- أهذهِ أَنت، جولي بانسون؟ سألَ المُفوّض. عودي إلى بيتك، لا بدّ أنّ أمّك الآن قلقةٌ عليك.

1- وهي اختصار: (Compagnies républicaines de sécurité)، قوى الأمن الداخلي.

– أنا حرّة. نحنُ جميعاً، أحرار. ولا شيءَ سيُوقفنا. إلى الأمام من أجل الـ...

لم تكنْ الكلمةُ قادرة على الخُروجِ من حُنجرتها. صدَرَتْ بصوتٍ خفيضٍ في البدايةِ ثمَّ نطَقتها ثانيةً، باقتناعٍ أكبر وبوضوحٍ:

– إلى الأمام من أجلِ الـ... ثورة.

علَتْ صرخَةٌ من الجموع. الجميعُ كانَ مُستعدّاً لدخولِ اللعبة. لأنَّ ذلكَ ليس أكثر من لُعبة، حتّى ولو أنَّ الحضُورَ الشُّرَطيّ بوسْعِهِ أنْ يجعلَ مِنها خطيرة. دونَ أنْ تطلُبَ جولي منهم، رفعوا قبضَاتِهم عالياً وبدأوا يغنّونَ أنشودَةَ الاحتفال:

نهاية، ما يحصُل هو النهاية.
لنفتّح جميع حواسّنا.
ريح جديدة تهبُّ هذا الصباح.

فاتحين أذرُعهم، مُمسكينَ بأيدي بعضِهم بعضاً ليُظهِروا عدَدهُم ويحتلّوا السّاحةَ بأكملها، تقدّموا نحوَ الثانويّة.

تشاورَ مكسيميليان مع مرؤوسيه. انتهى وقتُ المُفاوضات. تعليماتُ المُحافِظِ كانت واضِحة. من أجلِ استعادَةِ النظام العام، كان ينبغي تفريقُ مُثيري الشّغَبِ بأسرعِ وقت. اقترَحَ استخدامَ تكتيكِ النقانق، الذي يُمكنُ إيجازهُ بالهجومِ على الوسَط ليتفرّقَ المُتظاهرون نحوَ الجوانِب.

وجمعَتْ جولي من جهتها الأقزام السّبْعَة لتتحاورَ هي أيضاً، حولَ تبعاتِ الأحداث. وقرّروا تشكيلَ ثمانيةِ فرقٍ مُستقلّةٍ منَ المُتظاهرين، ويرأسُ كلّ فرقةٍ منها واحِدٌ منَ المُوسيقيّين.

– ينبغي أنْ تتوفّرَ إمكانيّةُ التواصُلِ بيننا، قالَ دافيد.

سألوا الحشدَ المُتحلّقَ حولَهم إنْ كانَ لدى البعضِ هواتِفٌ محمولة يُعيرُونها للثورة. هم بحاجةٍ إلى ثمانيةِ هواتِف. قُدّمَ لهم أكثرُ من المطلُوب. على ما يبدو، حتّى عندَ حضورِ حفلة، ليس بوسعِ النّاسِ مُفارقَةُ أجهزتهم.

– سنستَخدِمُ تقنيةَ القرنبيط، قالت جولي.

وشرحَتْ على الملأ الاستراتيجيّةَ التي ارتَجلَتها للتوّ.

استأنَفَ المُتظاهرونَ مسيرهُم. في الجهة المُقابلة، طبّق الشرطيّون مُخطّطهم. وفاجأهم كثيراً أنّهم لم يجدوا مقاومة. القرنبيطُ الذي ابتكرتهُ جولي، تفتَّت. ما إنْ اقتربَ رجالُ الشّرطةِ توزّعَ المُتظاهرونَ في ثمانيةِ اتّجاهاتٍ مُختلِفة.

تفكّكتْ صُفُوف رجالِ الشرطَةِ المُتراصّةِ لمُطاردتِهم.

– ابقوا مُتراصين! احْمُوا الثانويّة، أمرَ مكسيميليان عبرَ مُكبرِ الصّوت.

أعادَ رجالُ الـ CRS، مُدركينَ الخطَر، تشكيلَ كتيبتهم وسَطَ السّاحةِ بينما تابعَ المُتظاهرونَ مُناورتهم.

راحَتْ جولي وفتياتُ الآيكيدو يقتَربنَ على نحوٍ مُتزايدٍ من قوّاتِ حفْظِ النظامِ مُوجّهاتٍ لهم الكثيرَ من الابتساماتِ والقُبلاتِ المُسْتفزّة.

– اقبضوا على المُحرّضة، قالَ المُفوّض وهو يُشيرُ إلى جولي.

اتَّجهتْ كتيبةُ الـ CRS نحوَ جولي مُباشرةً وأمازونيّاتها. هذا بالضبطِ ما أرادتهُ الفتاةُ ذاتُ العينين الرماديّتين الفاتحتين. أعطَتْ الأمرَ بالفرارِ الجماعيّ وأعلَنتْ بهاتفها:

– تمَّ الأمر. القِطَط تُلاحِق الفِئران.

ومن أجلِ وضْعِ الشّرطيّين في حالةِ بلْبَلة، مزّقت الأمازونيّاتُ قُمصَانهنَّ التي شيرت، كاشِفاتٍ بعضاً من جاذبيتهنّ. عبقَ الهواء برائحةِ الحربِ والعطُورِ الأنثويّة.

105. موسوعة

استراتيجيّة ألِنسْكي: نشرَ سول ألِنسْكي، المُحرّضُ الهِبّي والشَّخصيّةُ الرئيسيّةُ في الحركةِ الطلابيّة الأميركيّة، سنة 1970، دليلاً يتضمّنُ عشر قواعِدَ عمليةٍ للقيامِ بثورةٍ ناجِحَة.

1. ليسَت القوّةُ بما تملِك وإنّما بما يتخيّلُ خَصمكَ أنّكَ تملُكه.

2. اخرج مِنْ مجالِ خبرةِ خصمك. واخترع ساحات قتالٍ جديدة يجهَلُ أُصولَ قواعِدها.
3. قاتل العدوَّ بأسلِحته. واستخدِم للهجوم عليهِ عناصِرَ رمزِهِ المرجعيّ.
4. أثناءَ المُشادّةِ الكلاميّة، تُشكلُ الفكاهَةُ السلاحَ الأكثر فعاليّة. إذا تمكّنا من إلحَاقِ السّخريةِ بالخَصْم، والأفضل، لو نقودَهُ إلى موقع يجعلُ هو من نفسه سخرية، عندئذ، تغدُو عودتهُ إلى المواجهةِ مُفرطةَ الصعوبة.
5. لا ينبغي أبداً أنْ يُصبحَ تكتيكٌ مُعيّن روتينياً، وخاصّةً عندما يُؤتِي أُكُله. كرّرهُ عدّةَ مرّاتٍ لقياسِ قوّتِهِ وحدودِه، ثمَّ بدّله، حتّى لو لجأتَ إلى اعتمادِ تكتيكٍ مُغايرٍ تماماً.
6. أَبقِ الخصْمَ في موقفٍ دفاعيّ. لا ينبغي أبداً أنْ يتسنّى له القول لنفسِه: «حسناً، لديَّ استراحة، دعونا ننتهِزُ الفرصَةَ لإعادَةِ تنظيم أنفسِنا». يجِبُ استخدامُ جميع العناصِرِ الخارجيّةِ المُمكِنة لإبقاءِ الضّغط.
7. إنْ كانَ المرءُ لا يمتَلِكُ وسائِلَ الانتقالِ إلى الأفعَال لا يجبُ أن يخدَع أبداً، وإلا سيفقدُ أيَّ مصداقيّة.
8. يُمكِنُ أنْ تتحوّل العوائِق الظاهرةُ إلى أفضلِ نقاط قوّة. ينبغي تحمُّلُ مسؤوليّةِ كلّ خاصّةٍ من خواصِكَ باعتبارها قوّة وليسَت نُقطةَ ضَعف.
9. التركيزُ على الهدَفِ وعدم تغييرهِ أثناءَ المعركة. يجِبُ لهذا الهدَفِ أنْ يكونَ هو الأصغَرُ والأدقُّ والحامِلُ لأكبرِ تمثيلٍ مُمكِن.
10. إذا تحقَّقَ النصر، يجبُ أنْ نكونَ قادرين على تحمّلِ ذلك وملءِ الأرض. إذا لم يكنْ لدينا جديد نقترحُهُ، فلا جدوى من مُحاولةِ الإطاحَةِ بالسّلطةِ القائِمة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

106. التلاقي مُجدّداً

تُجسّرُ النّمالُ المسَافةَ مع زنبقةِ ماءٍ نَجَتْ مِنَ النارِ ومن قذائفِ المدفعيّات.

تُجري النمالُ المُحرَّراتُ تطاعُماً مع مُحرِّراتِهنّ. وبما أنَّ الليلَ والبردَ يُفتِرانِ الهمم، يُدفِئنَ بعضهنَّ بعضاً مُستَضيئاتٍ بالجِمار.

الرقم 24 سالِمة.

تدنو الأميرةُ 103 بتمهّلٍ من رفيقتها إبّانَ الحملَة.

تتلاقيانِ في القلبِ الأصفرِ لزهرةِ زنبقةِ الماء. وخلفهما بتَلَة شِبهُ شفّافة تسمَحُ لضوءِ جُذوةٍ برتقاليّةٍ ودفئِها أنْ يتسلّلا.

تُقبِّلُ الأميرةُ 103 صديقتها بشراهةٍ لتمنَحها تطاعُماً حُلْو المذَاق. ترسلُ الرقم 24 قرنيها بخجلٍ إلى الخلفِ علامةَ قبُول، ثمّ، متضوّرةً من الجوع، تبتلعُ الطعامَ نِصْفَ المَهضُومِ المَحفوظَ في المَعِدةِ الاجتماعيّةِ للنملَةِ الصَّهباء.

الرقم 24 تغيّرت. ليسَ بسَبَبِ إرهاقِ القتالاتِ الأخيرةِ، بل تحوّل جسدها. واخْتلَفَ كلُّ ما يخصُّ رائِحتها، مظهرها، اشْرِئْبابُ عنُقها.

تقولُ الأميرةُ 103 في سرّها لعلَّ الحياةَ التي عاشتها بين جماعتِها الطوباويّة الصغيرةِ هي مَنْ قلَبَ كِيانها على هذا النحو.

تودُّ الرقم 24 أنْ تشرَحَ حالها ولكنَّ الوسيلَةَ الأبسَط، بالنسبةِ للنملتين، هو إجراءُ ا.م (اتّصالٍ مُطلَق).

توافِقُ الرقم 103 على توصِيلِ دماغيهما ببعضِهما. سيتَّصِفُ حوارهما بهذه الطريقةِ بالكثافة، والعُمقِ وسرعةٍ لا مثيلَ لها. تُقرّبُ الاثنتان أجزاءهما الحسيّةِ برفقٍ، الأجزاء التي راحت تبحث عن بعضها متلمّسةً كأنّهما أرادتا، على سبيل الدعابة، أنْ يُخلّفا انطباعاً بأنّهما نسيتا كيف يُجرَى التواصُلُ الحارّ.

تمَّ الأمر! التصقَتْ قرونُهما الاستشعاريّةُ الأربعةُ اثنان لِصْق اثنين. يدخلُ ذهنُ الواحدةِ ذهنَ الأخرى بتواصُلٍ مباشر.

تفهمُ الأميرةُ 103 أنَّ ما اعتقدَتْهُ تغيّراً بسيطاً عند الرقم 24 هو في الواقعِ أكثر من ذلكَ بكثير. المُستكشِفةُ الشابّةُ زوّدَتْ نفسَها بـ... جنس. وهي أيضاً! الرقم 24 تُبرّرُ وَضْعَها؛ شغفُها بالقِصَصِ الجميلةِ منحَها رغبَةَ التمتّعِ

بحساسيّةٍ أكبر. وبالتالي راحَتْ تبحَثُ عن عشّ زنابير. وفي نهايةِ المطَاف استطاعَت الحصُولَ على هلامٍ هرمونيّ ملكيّ في عشّ من زنابير الريسه.

لأسبابٍ غير مُحدّدة، لعلّها الحَرارة، أو الطريقَةُ التي هضَمَتْ فيهِ هذا المزيجَ الهرمونيّ، ألْفَتْ نفسها صاحِبةَ جنسٍ... ذكَر.

الرقم 24 الآن ذَكَر.

الرقم 24 أصبَحتْ أميراً.

أنتِ تغيّرت أيضاً، تفوحُ من قرنيكِ روائِحُ مُختلفة. أنت...

لا تدَعُهُ الأميرةُ يُكمِل.

أنا أيضاً، بفضلِ هُلامِ الزّنابير، حصلْتُ على جنسٍ، وغدوتُ أُنثى.

تَجمَدُ القرونُ في مكانِها، حائرةً. الأمرُ مُفرِطُ الغرابة. تفارقتا جنديّتانِ عديمتا الجنس، اثنتانِ هامشيّتانِ بلا أهميّةٍ مُبرمجتانِ لتعيشا ثلاثَ سنواتٍ على أحسن تقدير. والآن، بفضلِ حيلةٍ رائعةٍ لأسلَافِهم الزنابير، ارتقيتا أميراً وأميرة بين النمل، مزوَّدَينِ بالقدرةِ الرائِعةِ على منْحِ خصائِصهما إلى ذُريّتهما المُستقبليّة.

تندفِعُ النّملتانِ دونَ تفكيرٍ إلى القيامِ بتطاعُمٍ جديدٍ حلو، أشدُّ عُمقاً من سَابقه.

في الاتّجاهِ المُعاكسِ يُعيدُ الأميرُ 24 إرسالَ الطعامِ الذي منَحتهُ له الأميرة 103 ثمّ تقدّمُ لهُ الأميرة 103 ثانيةً جُرعةَ عجينٍ مُغَذٍّ.

بعضُ الأغذيةِ قطَعتْ ثلاثَ مرّاتٍ المسافةَ بين المعِدةِ الاجتماعيّةِ الأولَى والثانية. إذْ إنّهما شغُوفانِ بتبادُلِ مُحتوى معدتيهما الاجتماعيَّتين. هذا التبادل يبعثُ على الطمأنينة. وبينما الصّاحِباتُ، مِنْ حولِهما، مشغولاتٌ كلّ واحدةٍ بقصِّ أوديستها، الاثنتانِ المتحوّلتانِ تَعتَزلانِهن بينَ أسْديَةِ زنبقةِ المَاءِ اللؤلؤيّة.

دونَ إبْطَاء، تشرَحُ الأميرةُ 103 ما عرفتهُ عن **الأصَابع**، تتكلّمُ عن التلفزيون، عن آلةِ التواصُلِ مع **الأصابع**، اختراعاتِهم، ما يثيرُ قلقهم، كلّ شيء...

وبالطبع يفكّرُ ذَوا الجنسِ أنْ يتزاوجا.

إلّا أنَّ الرقم 103 ترتدُّ إلى الخلفِ.

لا تُريدينَني؟

لا، السّببُ مُتعلّق بشيءٍ آخر. والنملتانِ تُدركانِ ذلك. في المُجتمَعاتِ الحشريّة، تموتُ الذكورُ أثناءَ المُمارسَةِ العشقيّة. ربّما رومانسيّةُ الأصَابع حرّفَت الأميرةَ 103 لكنّها لا تُريدُ أنْ ترى موتَ صديقها الرقم 24. بقاؤهُ على قيدِ الحياةِ يعنيها أكثر من التّزاوج.

باتّفاقٍ مُشترَك، يُقرّران ألّا يُفكرا بالتزاوجِ.

يهبِطُ الليل. وتغفو نِمالُ جماعةِ الكورنيجرا ونِمالُ المُدرّعةِ–السُّلحفاةِ في تَجويفِ كهفِ جُحْرِ أفاعٍ. غداً، سيكونُ الطريقُ طَويلاً.

107. موسوعة

يوتوبيا الآدميّين: حدثَتْ سنة 1420 ثورةُ الهوسيّين في بوهيميا. طالبَ مُبشّرو البروتستانتيّة بالإصلاحِ الكَنَسيّ ورحيلِ اللوردات الألمان.

انشقّتْ عن الحركةِ مجموعَةٌ أكثر جذرية: الآدميون. شكّكوا ليس بالكنيسة فحسب وإنّما بالمُجتمع ككلّ. رأوا بأنَّ أفضلَ طريقةٍ للتقرّبِ من الله هي العيشُ في نفسِ الظروفِ التي عاشها آدم، الرّجلُ الأوّلُ قبلَ الخطيئةِ الأصليّة. ومن هنا جاءَ اسمهم.

أقامُوا على جزيرةٍ في نهر مولداو، ليست بعيدةً عن براغ. وكانوا يعيشونَ عُراة، في مُجتمَعٍ مُصغّر، واضعينَ كلّ مُمتلكاتِهم في متناول الجميع على نحو مُشترك، باذلينَ قُصارى جهدِهم لإعادةِ تهيئةِ ظرُوفِ حياةِ الجنّةِ الأرضيّة، قبلَ «الخطيئة».

نَبذُوا جميعَ الهياكلِ الاجتماعيّة. ألغوا المالَ، العملَ، النبلاء، البرجوازيّة، الإدارة، والجيش. امتنَعوا عن زراعةِ الأرضِ وتغذّوا على الفاكهةِ والخُضرواتِ البريّة. كانوا نباتيّينَ ومارسوا العبادةَ المُباشرة لله، بدونِ كنيسةٍ ولا رجالَ دينٍ وسطاء.

وكانَ لا بدّ أنْ يثيروا حنقَ جيرانهم الهوسيّين الذين لم يَرق لهم هذا القدْرُ مِنَ التطرّف. بالتأكيد، يُمكِنُ للمرءِ أنْ يُبسّطَ عبادةَ الله، ولكن ليس إلى هذا

الحدّ. قامَ السّادة الهوسيّون وجيشهم بمُحاصرةِ الآدميّينَ على جزيرتهم وذبح، إلى آخر فرد، أولئكَ الهبيّونَ قبلَ الأوان.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

108. بالماءِ والهَاتِف

بينما انشَغَلت قوّات CRS بمُطاردةِ جولي والأمازونيّات، قامتِ الفِرقُ السبعُ الأُخرى مِنَ المُتظاهرين، وعلى رأسِ كلّ فرقة قزم، باسْتدارةٍ كبيرةٍ عبرَ الشوارعِ المُجاورة وأخذوا يجتمِعونَ خلفَ الثانويّة، حيثُ لا وجودَ لأيّ شُرْطيّ.

أخرَجَ جي وونغ ببساطةٍ المُفتاحَ الذي أعطَاهُ لهُ المديرُ لتسهيلِ البروفات، وفتَحَ البابَ المُصفّح ضِدَّ الحريق. بأكثرِ تكتّمٍ مُمكن، ولَجَ الحشدُ الثانويّة. حينَ انتبَهَ مكسيميليان إلى الخطّةِ لمّا رأى وجوهاً باسِمةً تظهرُ على سياجِ الثانويّةِ الأماميّ، كانَ الأوانُ قد فات.

– يتسلّلونَ مِنَ الخلف! صرخَ بمُكبّرِ الصوت.

استدارَ رِجالُهُ إلى الوراء، تاركينَ هناكَ جولي ورفيقاتِها. ولكنّ أكثرَ من سبعمائةِ شخصٍ قد دخلوا مثلَ إعصَارٍ وقد سَارعَ جي وونغ إلى إعادةِ إغلاقِ الأقفالِ المتينة للبابِ المُصفّح. وقفَ رجالُ CRS عاجزينَ أمامَ هذا الواقي السَّميك.

– المرحلَةُ الثانية، انتهَت، صرخَ دافيد عبرَ هاتِفه.

عندئذ التمّت فرقَةُ جولي أمامَ السياجِ الذي أُخليَ مِنْ رجالِ الشرطة، أقبلَ دافيد ليفتَحَ لهم ونحو مائةٍ من «الثوّارِ» الجُدد انضمّوا إلى الآخرين داخلَ الثانويّة.

– يتسلّلونَ من الجهةِ الأماميّة، عودوا! أمرَ مكسيميليان.

من كثرةِ ما ركضُوا في شتّى الاتّجاهاتِ بكاملِ عِتادهم: خوذة، تُرس، قاذفةُ–قنابل، سُترة واقيةٌ من الرصاص وحذاء ذو نعلٍ ثقيل، وصلَ رجالُ

CRS إلى درَجَةِ الإنْهاك. علاوةً على ذلك، كانت الثانويّة أوسَعُ من أنْ يصِلوا إلى البابِ في الوقتِ المُناسِب.

وجدوا السياجَ مُغلقاً، ومِنْ ورائهِ، أخذَت الأمازونيّات، بالقدْرِ ذاته من الإثارة والمُشاكسَة، يسخرنَ منهم.

- إنّهم جميعاً في الدّاخِل، سيدي، ومتَمَترِسونَ أيضاً.

على هذا النحو احتلَّ ثمانمائة شخصٍ الثانويّة. وما يجعَلُ جولي مسرُورةً أكثر هو نجاحهم في هذَا الإنْجازِ دونَ أيّ صِدام، والاقتِصَارُ على إرهاقِ خصُومِهم بتحرّكاتٍ تكتيكيّة.

لم يكُنْ مكسيميليان مُعتاداً على رؤيةِ مُتظاهرينَ يتّبعونَ استراتيجيّات حربِ العصَابات. إذْ كانَ يتعامَلُ دوماً مع حشُودٍ تتقدّمُ دونَ أنْ تُفكّر.

أمّا أنْ يتحرّكَ المُتظاهرون، وليس على رأسهم حزب سياسيّ ولا حتّى نقابة تقليديّة، على شكلِ جموعٍ مُتراصّة، فالأمرُ أثارَ إعجابهُ وقلقَهُ في آنٍ معاً.

وحتّى عدَمُ وجودِ جرحَى في كِلَا المُعَسكرين لم يكن يُطمئِنه. في مثلِ هذا النوعِ منَ الاشتباكات، يسقُطُ عادةً ثلاثةُ جرحَى بالحدّ الأدنى، من هذا الطرفِ أو ذاك. على الأقلّ مَنْ يتعثّرونَ أثناءَ ركضِهم أو يُلوىَ كاحِلهم. أمّا هنا، في مُظاهرة تضَعُ ثمانمائة شخصٍ في مواجهةِ ثلاثمائةٍ من رجالِ CRS، ولم يحصَل أيُّ حادثٍ يدعُو للأسَف.

وضَعَ مكسيميليان نِصفَ رجالِ الـ CRS في واجهةِ الثانويّة والنصفَ الآخَرَ في الخلف، ثمَّ اتّصلَ بالمُحافظِ دوبيرون ليُطلِعهُ على مُجرياتِ الأحداث. طلبَ منهُ هذا الأخير أنْ يستَعيدَ الثانويّة دونَ إثارةِ قلاقِل، والتأكّدَ جيّداً إنْ كانَ ثمّةَ أيُّ صحفيّ. أكّدَ مكسيميليان، أنّه إلى اللحظةِ لا يتواجَدُ أيّ صحفيّ هناك.

بعدَ أنْ اطمأنَّ، طلَبَ منهُ المُحافِظُ دوبيرون الإسراع، ويفضَّلُ بلا عنف، إذْ إنَّ شهوراً قليلةً فقط تفصِلُ عن الانتخاباتِ الرئاسيّةِ ولا بدَّ أنَّ هناكَ بينَ المُتظاهرينَ أبناءُ عائلاتٍ مَرمُوقَة.

جمّعَ مكسيميليان أركانَ قوّاتِهِ الصغيرةِ وطلبَ ما أسِفَ على أنّه لم يطلبهُ منذُ البداية: مُخطّطُ الثانويّة.

- اقذفوا قنابلَ مُسيّلَة للدموعِ عبرَ السياجِ. انفثوا الدخانَ عليهم وسيخرجُونَ في النهايةِ مثلَ ثعالِبَ من وجَارِها.

سُرعان ما أرهَقَ سيَلانُ الدموعِ ونوباتُ السُّعالِ المُحاصَرين.

- ينبغي فعلُ شيء، وبسُرعة، قالَتْ زويه مُقطّعة الأنفاس.

قدَّرَ ليوبولد بأنّه يكفي تقليلُ نفوذيّةِ الشِباك. فلِمَ لا تُستخدَمُ ملاءاتُ الأسرّةِ في المهاجِعِ ستائِرَ حماية؟

ما إنْ قيلَ ذلكَ، حتّى نُفّذَ. لفعَتْ فتيات نادي الآيكيدو أنوفهنَّ بمَناديلَ مُبلّلةٍ كي لا يستنشِقوا الغاز وتدرّعنَ بأغطيةِ حاوياتِ القُمامةِ لوقايةِ وجُوهِهنَّ من رشَقاتِ القنابل، ثمّ ثبّتنَ الملاءات على السّياجِ بسلكٍ حديديّ عُثِرَ عليهِ في مُلحَقِ الحارِس.

فحالَ ذلكَ دونَ رؤيةِ رجالِ الشرطةِ لما يحدُثُ في باحةِ الثانويّة. عادَ مكسيميليان وأخذَ مُكبّر الصّوت:

- لا حقّ لكم في احتلالِ المبنَى. إنّهُ مبنًى عام. آمركُم بإخلائهِ على الفور.

- نحنُ فيه، وسنبقَى فيه، ردَّت جولي.

- أنتم في وضعٍ غير قانونيّ أبداً.

- إذن تعالَ وأزِحنا مِنْ هنا.

جرَت مُشاوراتٌ سريّة في السَّاحة، ثمَّ رجعت الحافلاتُ إلى الخلفِ، بينما أخذَ رجالُ الـ CRS ينسحبونَ إلى الشوارعِ المُجاورة.

- كأنّهم أقلَعُوا عن الهجُوم، لاحظَتْ فرنسين.

أعلَمَهُم نرسيس بأنَّ الشّرطةَ قد أخلَت موقِعَ البابِ الخلفيّ أيضاً.

- ربّما رِبحنا، نطقَت جولي دونَ اقتناعٍ كبير.

- لنتريّثَ قليلاً قبلَ أنْ نُطلِقَ صرخةَ النصرِ. قد تكونُ خدعةً لصرفِ النظر، علّقَ ليوبولد.

انتظروا، وهم يترقّبونَ الساحَةَ الخالية، التي تُضيئها مصابيحُ الشارعِ بالكاملِ. ببصَرِ هنديّ النافاخو الثاقِب، أخيراً، التقطَ ليوبولد تحرّكاً، ولم يلبث الآخرونَ أنْ أبصَرُوا سحابةً مِنَ الشرطَةِ تتقدّمُ بإصرارٍ نحوَ السياج.

- هجموا. يُريدونَ مُداهَمَةَ المدخلِ! صرَخَتْ إحدَى الأمازونيّات.

فكرة. هناكَ حاجَة مُلحّةٌ لفكرة. لمّا وجدَتْ زويه الحلّ، كانَ رجالُ الشرطَةِ قد اقتربوا كثيراً من السياج. عرَضَتِ الحلَّ على الأقزامِ السبعةِ وعددٍ من الأمازونيّات.

حين استعدَّ رجال الـ CRS، بمطَارِق كبيرة، لكسرِ الأقفالِ المعدنيّةِ لشباكِ البوّابة، برَزَتْ خراطيمُ إخمادِ الحرائقِ التي كانَ المُديرُ قد وضَعها للسيطرةِ على كارثةٍ مُحتَمَلة.

- نار! قالت جولي.

نشِطَت الخراطيم. لفرطِ شدّةِ الضغطِ احتاجَت الأمازونيّات إلى ثلاثٍ أو أربعٍ منهنَّ من أجلِ الإمساكِ بواحدٍ من مدافعِ الماءِ تلكَ وتوجيهها جيّداً.

في السّاحة، كانَ رجالُ الشّرطَةِ وكلابهم مُمدّدينَ أرضاً وقَد حصَدَتهُم الخراطِيم.

- يكفي!

ولكنّ قوّات حفظِ النّظامِ أخذَتْ تتجمَّعُ بعيداً من أجلِ هجُومٍ جديدٍ يبدو أشْرَس.

- انتظروا الإشارة، هتفَت جولي.

هجمَ الشرطيّونَ هرولَةً، مُتّجهينَ بمُحاذاةِ الزوايا الميّتةِ حيثُ لا يُمكنُ للخراطيمِ أنْ تصِلَ إليهم. بلَغوا السّياج، رافعينَ الهراوَات.

- الآن، صَاحَت جولي، صارّة على أسنانها.

مرّة ثانيةً فعلتْ خراطِيمُ الماءِ فِعلَها. وعلَتْ صيحَاتُ الانتصَارِ وسَطَ صُفوفِ الأمازونيّات.

اتّصلَ المُحافِظُ دوبيرون بمكسيميليان يسألُهُ عمّا وصلَتْ إليهِ مهمّته. أخبرهُ المفوَّضُ بأنّ مُثيري الشغب ما زالوا مُتمترسينَ في الثانويّةِ ويقاومُونَ قواتِ حفظِ النّظَام.

- حسناً، أحيطوا بهم دونَ أيّ هجومٍ عليهم. ما دامَ هذا العصيانُ-الصغيرُ محصوراً داخِلَ الثانويّة فما من مُشكلةٍ حقيقيّة. ما ينبغي تجنّبهُ بأيّ ثمن، هو ألّا يتوسّع.

توقّفت هجَماتُ الشّرطةِ.

أعـادَتْ جولي التذكيرَ بالتعلِيمَات: «لا عُنف. عدمُ تحطِيم شيء. المُحافظةُ على نقائِنا». أرادَت أنْ تتحقَّقَ، لمُجرّدِ مُعارضةِ معلّمها في التاريخ، إنْ كانَ نجاحُ ثورةٍ بلا عُنفٍ أمراً ممكناً.

109. موسوعة

يوتوبيا رابليه: اقترح فرانسوا رابليه، سنة 1532، رؤيتَهُ الشخصيّةَ للمدينةِ الطوباوية المثالية من خلالِ وصْفِ دير ثِليم **Thélème** في *غارغانتويا*. والتي عليها أنْ تكونَ بلا حكومة لأنَّ رابليه يعتَقد: «كيفَ يُمكنُ للمرءِ أنْ يحكُمَ الآخرين وهو عاجزٌ عن حُكمِ نفسه؟» بلا حكومة، وبالتالي يتصرّفُ سكّانُ دير ثِليم «وفقاً لمشِيئتهم» مع رفعِ شِعار «افعَلْ ما تشَاء». ولكي تنجَحَ اليوتوبيا، يُنتقَى سُكّان دير ثِليم بعنايةٍ شديدة. إذْ لا يُقبَلُ فيهِ إلّا الرجَالُ والنّساءُ المولودون في أُسَرٍ ميسُورة، متحررو العقول، المُتَعلّمُون، الفاضِلُون، حسَنُو الخَلْق و «الخُلُق». ويسمحُ للنسَاءِ الالتحاقُ بالدّيرِ في عُمرِ العاشِرة، أمّا الرجالُ فبعُمرِ الثانيةَ عشرة.

إذن، أثناء النهار، كلُّ واحدٍ يفعلُ ما يشاء، يعمل إنْ رغِبَ في العمَلِ، أو الاسْترخَاء، أو الشُّرب، أو التسلية، أو مُمارسَة الحبّ. أُزيلَتِ السّاعات لتجنُّبِ أيّ فكرةٍ عن الزّمَنِ الذي يمرّ. يستيقِظُ وقتَما يشَاء، يأكلُ حينَما يجوع. الصّخَبُ والعنفُ والشّجاراتُ تعدُّ أفعالاً محظُورة. يتكفّلُ الخدَمُ والعمّالُ الحِرَفيّون المقيمُونَ خارجَ الديرِ بالأعمَالِ الشاقّة. يسهبُ رابليه في وصفِ مكانِهِ الطوباويّ. سوفَ يشيّدُ الديرُ على ضفّة نهر اللوار، في غابة بور–هيو. وسوفَ يضمُّ تسعةَ آلافٍ وثلاثمائة واثنتين وثلاثينَ غُرفة. ما من جدرانٍ تسوّرهُ إذْ إنَّ «الأسوار تُذكِي المؤامرات». وثمّةَ ستّةُ أبراجٍ دائريّةٍ بقطر ستّينَ خطوة. ويرتَفِعُ كلّ مبنى إلى عشرة طوابق. يصبُّ مصرَفُ المجاري في النّهر. وسيكونُ هناكَ مكتباتٌ عدّة، وحديقة فيها متاهَةٌ ونافورة في الوسَط.

رابليه ليسَ مُغفّلاً. هو يدرِكُ بأنَّ الغوغائيّة والمُعتقدَات الرّعْناء والشّقاق،

وحتّى مُجرّدُ الترّهات، سوفَ تُدمِّرُ، بلا ريبٍ، ديرَهُ المثاليّ ورغمَ ذلك كان على يقينٍ بأنَّ الأمرَ جديرٌ بالمُحاولة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

110. ليلَةٌ جميلَة

يُجافي النومُ الرقم 103.

أرقُ ذات الجنسِ مرّة أخرى. خطَرَ لها. *ينعَمُ عديمو الجنسِ على الأقلّ بسهولةٍ في النوم.*

ترفَعُ قرنيها الاستشعاريّين، تُعدّلُ جلسَتها فتميّزُ وميضاً أحمَر. هذا ما أيقظَها. ليسَ شُروق الشمس، بل نورٌ من داخلِ عشّ الأفعَى الذي يأوونَ إليه.

تتقدَّمُ نحوَ الوميض.

تجِدُ بِضعَ نملاتٍ يَتحلّقْنَ حولَ الجمرةِ التي أحرَزَت لهنَّ الانتصار. جيلهنَّ لم يعرف النار وهنَّ بالطبعِ مفتُونات بهذا الوجُودِ الدافِئ.

تؤكّدُ نملَةٌ بأنّهُ يُستَحسنُ إطفاؤها. تقولُ الأميرةُ 103، على أيّة حال، هنَّ أمام خيارٍ من المُحالِ تجنّبه: «التكنولوجيا ومجازفاتها» أو «الجهلُ وهناءتُه».

تقتَربُ الرقم 7 ليسَتْ النارُ ما يَشغُلُ بالَها، وإنّما الظِلالُ المُتراقِصةُ للنملاتِ التي تُلقيها ألسِنةُ اللّهبِ على جدارِ الجُحْر. تُحاوِلُ إجراء مُحادثةٍ معها ثمّ – متيقنةً مِنَ استِحالةِ ذلك – تستَفسِرُ مِنَ الرقم 103 التي تُجيبها بأنَّ الظاهرةَ هي بعضٌ مِن سرّ النّار.

النارُ تصنَعُ لنا توائم داكِنة تلبثُ لِصقَ الجدران.

تسألُ الرقم 7 عمّا تأكلُهُ هذهِ التوائِمُ الداكنةُ وتُجيبُ الأميرَةُ 103 بأنّهم لا يأكلُونَ شيئاً. يُعيدونَ إنتاجَ حركاتِ توأمِهم تماماً ولا يتكلّمون.

سيتاحُ لهنَّ غداً مُناقشَةُ كلّ هذا ولكن يُفضّلُ الآن النوم لاستِعادَةِ قواهنَّ من أجلِ السفر.

لا يشعُرُ الأميرُ 24 بالنعاس. إنّها الليلة الأولى التي لا يجبِرهُ البردُ على الهجُوعِ إلى السُّباتِ ويريدُ أنْ ينتهزَ ذلك.

يرمُقُ الجمرةَ المتوقّدةَ التي لا تكفُّ عن الإيمَاض.

*كلّميني أكثر عن **الأصَابع**.*

111. الثورةُ تسيرُ إلى الأمَام

راحَتِ الأصَابعُ تبحثُ عن حُزمِ عيدانٍ لتُشْعِلَ ناراً.

عثرَ عليها المُتظاهرونَ في مرأبِ البستانيّ القديمِ وأرادُوا إشعالَ موقدَةٍ كبيرةٍ وسَطَ الحشائِشِ ليرقُصوا حولَها.

كُدّست حُزمُ العيدانِ عمودياً ثمَّ أحضَرَ بعضُ الشبّان ورقاً، ومع ذلكَ لم يفلِحوا في إلهابِ الموقِدَة.

ما إنْ تترمّدَ الأوراقُ حتّى تتكفّلَ الريحُ بإطْفاءِ الشّراراتِ القليلة. من ثمانِمائة شخصٍ تَحدّوا، وقاومُوا بشَجاعةٍ ودفعوا حافلاتٍ مُكتظّةً برجال الـ CRS إلى التّراجُع، لا أَحَدَ يُجيدُ إيقادَ جُذوة نار!

بحثَتْ جولي في *الموسُوعةِ* لعلّها تجِدُ مقطَعاً يوضّحُ فيه كيفيّةَ إيقادِ النار. وبما أنَّ الكتابَ يخلُو من فهرسٍ أو ترتيبٍ أبجدِي، لم تكن تعرِفُ أينَ تعثُرُ عليه بين جميعِ تلكَ النصُوصِ الموزّعةِ عشوائيّاً. *موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق* ليست قامُوساً، وليسَ لِزاماً عليها أنْ تُجيبَ على أسئِلتنا. أخيراً، حاوَلَ ليوبولد مُساعدَتهُم بشرحِ ضرورةِ بناءِ حائطٍ صغيرٍ يقي جذوةَ النارِ ثمّ وضْعِ ثلاثةِ أحجارٍ تحتَ الحطَبِ لإتاحةِ فرصة وصُولِ تيّارِ هواءٍ سُفليّ.

ومع ذلك، أبَتِ النارُ بعنادٍ أنْ تندلِع. عزمَتْ جولي على رمي ورقتِها الأخيرة وليكنْ ما يكون، بحثَت في قاعةِ الكيمياء عن المكوّناتِ الأساسيّةِ لزجاجةِ مولوتوف. بعدَ أنْ عادت إلى الباحَة، رمتها على حُزمِ العيدان وهذهِ المرةّ قبِلَت ألسِنَةُ اللهبِ أنْ تندَلِع. «حقّاً، لا شيءَ سهل في هذا العالم»، تنهّدت جولي. منذُ زمنٍ طويلٍ وهي راغِبةٌ في إشعالِ الثانويّة، وها هي رغبَتُها تتحقّقُ أخيراً.

صبغَت شُعلةُ اللّهبِ قلب الباحَةِ بالبرتقاليّ. وعلا صَخَبٌ قبائليّ.

أنزلَ المُتظاهِرونَ علَمَ الساريةِ المركزيّةِ مع شِعاره: «من الذكاءِ يولَدُ العقل»، ثمَّ أعادوا رفعَهُ ثانيةً بعدما ألصقوا على وجهيهِ شعارَ الحفلَةِ الغنائيّة: الدائرةُ ذاتُ النملاتِ الثّلاث.

أَزِفَ الوقتُ لإلقاءِ كلمة. كانت شُرفَةُ المدير، في الطابقِ الأوّل، تُشكّل منبراً مثالياً. اعتَلَتها جولي لتتوجّه إلى الجمْعِ المُحتَشدِ بالباحة.

- أُعلِنُ رسمياً بدايةَ احتلالِ الثانويّة مِن عُصبةٍ مِن البشرِ يتوقون إلى الفرَح، إلى الموسِيقى والاحتفال لا غير. وسنؤسّسُ، لزمنٍ غير معلُوم، في هذا المكانِ قريةً طوباويّةً تهدفُ إلى جعلِ الناسِ أكثرَ سعادَة، بادئينَ من أنفُسِنا.

مُوافقات وتصْفيقات.

- افعلُوا ما تشاؤون ولكن لا تُخرّبوا شيئاً. إنْ كانَ علينا البقاءُ هنا مدّةً طويلَة، فلنستَعمِلِ الأدواتَ بكاملِ كفاءتها. بالنسبةِ لمن يودُّ قضاءَ حاجة، المراحيضُ في آخرِ الباحة، إلى اليمين. وإنْ أرادَ أحدٌ منكم أنْ يرتاحَ فالمهاجعُ وأسرّتها تحتَ تصرّفكم في الطابقِ الثالث، وفي الطابقين الرابعِ والخامِس من المبنى B، أمّا بالنسبةِ للبقيّةِ فأقترِحُ البدءَ مُباشرةً بحفلَةٍ عارمةٍ ولنرقُص ونغنّي حتّى الثُّمالَة!

من ناحيتهم، المُغنّيةُ والموسيقيّون كانوا مُرهَقينَ وهم بحاجَةٍ لتقديرِ الوضع. تركوا آلاتِهم الموسيقيّةَ الخاصّةَ بقاعةِ التدريبِ عندَ أربعَةِ شبانٍ أخذوها بحماسَة، عازِفينَ موسيقا أقرَبَ إلى السالسا مِنها إلى الروك، غيرَ أنّها مُلائمةٌ تماماً للظرف.

ومضَتْ فرقَةُ «النّمل» لتناولِ مشرُوبٍ مُنعِشٍ قُربَ آلةِ المشرُوباتِ القريبةِ مِنَ الكافيتريا، مكانِ الراحَةِ المُعتادِ لتلامذة الثانويّة.

- حسناً، أيّها الرفاق، هذه المرّة، وصلنا، قالَت جولي مُتنهّدة.

- ما الذي سنفعلُهُ الآن؟ سألَتْ زويه، ووجنتاها تتوهّجانِ حرارةً.

- أوه، هذا لن يستَمرَّ طويلاً. غداً ستكُونُ النهاية، رجّحَ بول.

- وإنْ استمرّ؟ سألت فرنسين.

تبادَلَ الجميعُ النّظرات، ومسْحةُ قلقٍ شابتِ العيُون.

- يجبُ فعلُ كلّ شيءٍ من أجلِ أنْ يستمرّ، تدخّلَت جولي بقوّة. لا رغبةَ

لي على الإطلاقِ في العودةِ صباحَ الغد لأستعدَّ للبكالوريا. نحنُ الآن لدينا فُرصَةُ بناءِ شيء هنا، ويجبُ تلقّفُ هذهِ الفُرصَة.

– وما الذي تنوينه، بالضّبط؟ سألَ دافيد. لا نستطيعُ أنْ نُقيمَ حفلةً إلى الأبد.

– لدينا مجمُوعةٌ من الناسِ ومكانٌ مُغلَق ومحميّ ليأوينا، لماذا لا نسعَى إلى تنظيمِ قرية طوباويّة؟

– قرية طوباويّة؟ انْدَهشَ ليوبولد.

– بلى، مكانٌ نُحاولُ أنْ نخلقَ فيهِ علاقاتٍ جديدةٍ بينَ الناس. دعونا نُحاولُ تجربَةً، تجربَةً اجتماعيةً لكي نعلمَ إنْ كانَ مُمكناً ابتكارُ مكانٍ نشعُرُ فيهِ بأنّنا جميعاً معاً في حالةِ ارتيَاح.

تأمّلَ النملُ لبرْهةٍ بكلماتِ جولي. في البَعيد، كان صَدَى السالسا يتردَّد، وكانَت تُسمَعُ فتياتٌ وفتيانٌ يضحَكونَ ويُغنُّون.

– بالطبع، سيكونُ هذا رائعاً، اعترَفَ نرسيس. ولكن، ليسَ سهلاً قيادُ حَشد. لقد كنتُ مرشِداً في مُخيّم للمُراهقين وأؤكّدُ لكِ بأنَّ السيطَرةَ على الناسِ بوصفِهم جماعَةً، ليسَ بالأمرِ الهيّن.

– كنتَ بمُفردِكَ، أمّا نحنُ فثمانية، ذكّرت جولي. معاً، نحنُ أقوى. تماسُكنا يُضاعِفُ مواهبنا الفرديّةَ عشْرَ مرّات. لديَّ شُعُور بأنَّ بوسعنا، مُجتمعين، قلْبُ جِبَال. ثمانمائة شخصٍ تبِعُونا لأجلِ موسِيقانا، فلِمَ لا يتبعوننا لأجلِ فكرتنا الطوباويّة؟

جلَسَتْ فرنسين لتُفكّرَ على نحوٍ أفضَل. وراحَ جي وونغ يحكُّ جبينَه.

– يوتوبيا؟

– بلى، يوتوبيا! تتكلّمُ عنها *الموسُوعة* مِراراً. تقترِحُ خلقَ مُجتَمعٍ أكثر... تردَّدَت.

– أكثرُ ماذا؟ سخِرَ نرسيس. أكثرُ لطَافة؟ أكثرُ رِقّة؟ أكثرُ مرَحاً؟

– لا، ببساطةٍ أكثرُ إنسانيّة، نطقَتْ جولي بنبرَتها العَميقة والدافِئة.

انفجَرَ نرسيس بالضّحِك.

– تورّطنا يا أولاد. جولي أخفَتْ عنّا مطامِحَها الإنسَانيّة.

حاولَ دافيد أنْ يفهَم:

- وما الذي تقصِدِينهُ بمجتَمعٍ أكثرَ إنسانيّة؟

- لا أعرِفُ بعد. ولكنّي سأجِد.

- أخبريني، جولي، جُرحتِ أثناءَ المعركةِ مع رجالِ الـCRS؟ سألَتْ زويه.

- لا، لِمَ تسألين؟ سألتِ الشابّةُ مُتفاجِئةً.

- هناكَ... بُقعة حمراء على لباسِك.

أدارتِ الفُستان مُستَغرِبةً. زويه مُحقّة. ثمّةَ بالفعلِ بُقعةُ دمٍ ناجِمةٌ عنْ جُرحٍ لم تكنْ تشعُرُ به.

- هذا ليسَ جُرحاً، هذا شيءٌ آخر، أكّدَت فرنسين.

تنحّتْ بها جانباً في الممرّ حيثُ تبعَتهُما زويه

- ببسَاطةٍ أنتِ في دورتكِ الشّهريّة، أخبرتَها عازفَةُ الأورغ.

- أنا في ماذا...؟

- دورتكِ الشهريّة، تدخّلَتْ زويه، ألا تعرفينَ ما هي؟

صُعِقَتْ جولي بالخبَر. لبرْهَة، انتابها شُعُورٌ بأنّ جسَدها قتلها للتوّ. وهذا الدّمُ دمُ جريمةِ قتلِ طفُولتها. هكذا انتهَت! في اللحظةِ التي اعتقَدَتْ أنّها لحظَةُ سعادة، خانَها جسَدُها. لقد أعادَها إلى أكثرِ ما كانت تزدَريه: إرغامُها بأنْ تكونَ راشِدة.

فتحَتْ فمَها واسِعاً وأخذَتْ نفسَاً عميقاً. ارتفَعَ صدْرُها بصعُوبة. وغدا وجهُها قرمزيّاً.

- بسرعة، صرَخَت فرنسين مُناديةً الآخرين. جولي تُعاني أزمَةَ رَبْو. تحتَاجُ فانتولين.

بحثوا في حقيبةِ ظهرِها المُلقاة من حُسنِ الحظّ عندَ أسفلِ درامز جي ونغ. وجدُوا البخّاخَ وأدخَلُوهُ في فمها ولكن كلّ مُحاولاتِ الضّغطِ عليهِ باءَت بالفشَل، لم يخرُج منهُ شيء، كانَ فارغاً.

- الـ... فا... نتو... لين، لهثَت جولي.

بدأ الهواءُ يتناقَصُ حولَها.

الهواء، اعْتِيادنا الأوّل. نبدأ، في الطفُولةِ المُبكرةِ جدّاً، نفردُ بُطَيني التنفّسِ لنُطلِقَ الصرخَةَ الأولى وفيما بعد، ولبقيّةِ حياتنا، لا يُمكننا الاستغناءُ عنه. الهواء. أربَعٌ وعشرونَ ساعة على أربعٍ وعشرينَ ساعة، نحتاجُ الهواء، ويُفضّلُ نقيّاً. في تلكَ اللحظة، لم يكنْ ثمّةَ ما يكفي منه. كانت مُجبَرةً على بذلِ جهدٍ مُضْنٍ للحصولِ على شهقَةٍ واحدة تتنفّسها.

أسرَعَت زويه إلى الباحةِ لتسأَلَ إنْ كانَ أحدٌ يحملُ معهُ فانتولين. أبداً.

عبرَ هاتفِ دافيد المحمُولِ اتّصلوا بأطباءِ SOS-الإسعافات الأوّليّة. جميعُ الأرقامِ مشغُولة.

- لا بدّ أنَّ هناكَ صيدليّةً مُناوبة في الحيّ، قالت فرنسين غاضِبَة.

- رافِقْها جي وونغ، نصَحَ دافيد. أنتَ أقوانا؛ فإنْ عجزَت عن الوصُولِ إلى هناك فبمقدوركَ حملها على كتفيك.

- ولكن كيفَ الخرُوجُ مِنْ هذا المكان؟ الشّرطَةُ على الجانبين.

- هناكَ بابٌ آخر، قالَ دافيد. اتبعوني.

قادَهُم إلى قاعةِ بروفاتهم.

بعد دفْعِ الخزانةِ تبيّنَ وجودُ مخرَج.

- عثرتُ عليهِ مُصَادَفةً. لا بدَّ بأنّ هذا الممرّ يُفضي إلى أحدِ أقبيةِ المنازلِ المُجاورة.

أنّاتٌ مُتقطّعةٌ كانَت تصدُرُ عن جولي. حملَها جي وونغ على كتفهِ وغاصَا في النفق. وصلا إلى مُفترَق. تنبعِثُ رائحةُ مجارٍ نتنة من الجِهةِ اليسرى. أمّا مِنَ اليمين، فتفُوحُ رائحةُ قبوٍ مُغلَق. فاختارا اليمين.

112. حولَ النار

على وهجِ الجمرة، تتحدّثُ الأميرةُ 103 عن **الأصَابع**: تتناوَلُ عاداتِهم، وتكنولوجيّتهم، وتلفزيونهم.

و*اليافِطَةُ البيضَاء، التي تنذرُ بالموت*، تُذكّرُ الرقم 5 التي لم تنسَ هذا البلَاء.

ترتَعِدُ النمالُ الصّهباواتُ المُتحلّقات حولَ النارِ حين يعلمنَ بأنَّ مدينةَ مسقَطِ رأسِهنَّ مُعرّضةٌ لخطَرِ التدْمير. لكن خلافاً لهذا التهديد، تُقرُّ الأميرة 103 بأنّها باتت على يقينٍ بأنَّ لدى **الأصَابع** الكثيرَ لنقلِهِ إلى الحضَارةِ النمليّة. وما يُعزّزُ فِكرتها هذه أنَّ ثلاثَ عشْرةَ نملة، بفضلِ النار، استطعْنَ هزيمةَ حشُودٍ من النمالِ القزَمات.

صَحِيح أنّها لا تُتْقنُ استخدَام الرافِعة جيّداً، ولا تعرِفُ آليّات عمَلِ المجانيق... إلّا أنّها تعتَبر المسألةَ، كما بشأنِ الفنّ والفكاهَةِ والحبّ، ليست إلّا مسألةَ وقتٍ. إنْ وافقَ **الأصَابعُ** أنْ يلعَبوا اللعبَة، فستفهَمُ بالنهاية.

*ألا يوجَدُ خطَرٌ في الاقترابِ منَ **الأصَابع**؟* سألَت الرقم 6 التي لا تزالُ تفرُكُ جَدَعتها المحرُوقة.

تُجيبُ الرقم 103 بالنفي. لدَى النّمال من الذكاءِ ما يكفي للسيطرةِ عليهم.

يرفعُ الرقم 24 قرناً.

هل تحدّثتِ معهُم عن الله؟

الله؟ يريدُ الجميعُ معرفةَ ما هو بالضّبطِ. هل هو آلة؟ مكان؟ نبتة؟

يُخبرهُم الأميرُ 24 بأنَّه في الماضِي، في بيل-أو-كان، كان ثمّةَ **أصابع** يجيدُونَ التواصُلَ مع النّمالِ وقد استغلّوا ذلكَ لجعلهنَّ يُصدّقْنَ بأنّهم لهنَّ أسيادٌ وخالقون. فرضَ أولئكَ **الأصَابعُ** على النمالِ طاعةً عمياء بحجّةِ أنّهم عمالقة وكلّيو القُدْرة. وزعمَ أولئكَ **الأصَابع** بأنّهم «آلهة» النمال.

اقترَبَتِ الحشَراتُ جميعُها.

وماذا يعني «الله»؟

تفسّرُ الأميرةُ 103 بأنَّ هذهِ الفكرة فريدَة في العالَمِ الحيَواني. يعتَقدُ **الأصَابعُ** بوجودِ قوّةٍ غير مرئيّةٍ فوقَهُم تتحكّمُ بهم وفقَ مشيئتها. يُطلِقونَ عليها اسمَ الله ويؤمنُونَ بها حتّى ولو أنهم لا يرونَها. حضَارتُهم مؤسَّسةٌ على فكرةِ الإيمانِ بقوّة غير مرئيّة تُسيطِرُ على كاملِ وجُودِهم.

يحاولنَ تخيّلَ ما الذي يُمكنُ أنْ يكونَهُ الله دونَ أنْ يروا الأهميّةَ العمليّةَ لوجوده. بماذا يُساعِدُ اعتقادُهم بوجودِ الله فوقهم؟

تُجيبُ الأميرة 103 على نحوٍ أخرق بأنّه ربّما لأنَّ **الأصَابع** حيواناتٌ أنانيّة وهذهِ الأنانيّةُ تغدُو، بعدَ مدّةٍ طويلةٍ منَ الزمن، ثقيلة عليهم ويَصعُبُ تحمّلها. وبالتالي هم بحاجةٍ للتواضُعِ وأنْ يشعُروا بأنفسِهم مخلُوقاتٍ خاشعةٍ لكائنٍ يفُوقُهم حَجماً: الله.

المُشكِلة، أنَّ بعضَ الأصابعِ أرادُوا غرزَ هذهِ الفكرة نفسها فينا ومنْ ثَمَّ إيهامَنا بأنهم آلهةُ النّمال! بثَّ الرقم 24.

تُومِئُ الأميرةُ 103 برأسِها مُوافِقة.

وتُقرُّ بأنَّ ليسَ جميعُ **الأصابع** بريئونَ من إرادةِ السيطَرةِ على جميعِ الأجناسِ المُجَاورة. مثلما يوجَدُ بينَ النمالِ القُساةُ والودودون، الأغبياءُ والأذكياء، الكُرماءُ والاستِغلاليّون. ولا بدّ أنَّ من صَادفَهم أولئكَ النّمال كانوا استغلاليّين.

*ولكن لا ينبَغي إطلَاقُ حُكمٍ سلبيّ على **الأصَابع** بسببِ تقديم بعضهم أنفُسَهم بوصفهم آلهةَ النّمل. وعلى العكسِ يُظهِرُ هذا التنوّعُ في السلُوكِ ثراءَ عقُولهم.*

بما أنَّ المُستكشِفات الاثنتَي عشرةَ فَهِمْنَ فكرةَ الله على نحوٍ مُبهَم، يسألنَ بسذاجَةٍ إذا ما كانتِ **الأصَابعُ** حقّاً... آلهتهنَّ.

تقُولُ الأميرةُ 103 إنّ الجنسَينِ، برأيها، يتبَعانِ مسَاراتٍ مُتوازيةً وبالتالي، لا يُمكنُ أنْ يخلقَ **الأصَابعُ** النمالَ. ولو لسَببِ الأقدميّة فحسب، فالنّملُ ظهرَ على الأرضِ قبل **الأصابعِ** بزمنٍ طويل. كذلك من غير المُرجّح أنْ يكونَ النملُ خلَقَ **الأصَابعَ**.

ورغمَ الإيضَاحِ تبقَى ظِلالُ شكّ تُخيّمُ على الحضُور.

ميزةُ الإيمانِ بالله بأنّها تُتيحُ شرحَ ما لا يُمكِنُ شَرحُه. بعضُ النّمالِ جاهزات مُسبّقاً لتفسِيرِ الصّاعقةِ أو النارِ على أنّها ظواهِرُ تصدُرُ عن آلهتِهم الإصبعيّة.

تُكرّرُ الأميرة 103 بأنّ **الأصابعَ** جنسٌ حديثٌ ظهَرَ منذُ نحو ثلاثةِ ملايينِ عامٍ بينما النملُ موجُودٌ منذ مائةِ مليونِ عام.

كيفَ يُمكنُ للرعيّةِ أنْ تظهَرَ قبلَ خالقِها؟

تسأَلُ المُستكشِفاتُ الاثنتا عشرَة كيفَ تعلَمُ هي بذلك والأميرة 103 تُكرّرُ بأنّها سَمِعت ذلكَ في التلفزيون في أحدِ برامِجهم الوثائقيّة.

الحضُورُ في حَيرةٍ من أمره. حتّى وإنْ كانت جَميعُ النمَالِ الحاضِرات مُقتنِعاتٍ بأنَّ **الأصابع** ليسوا مَنْ خَلَقهنّ، غيرَ أنّهنَّ جميعاً مُصِرّاتٌ على الاعترافِ بأنَّ هذا الحيوانَ «الفتيَّ» مُتفوّق ويعرفُ الكثيرَ من الأشياءِ التي تجهلُها الحشَرات.

وحدَهُ الأميرُ 24 غيرُ مُوافق. بالنسبةِ له، ليسَ لدى **الأصَابع** ما يحسُدُهم شَعْبُ النملِ عليه؛ وفي حالِ تمّ لقاء، سيكون جليّاً أنَّ لدَى النمل معارِفُ يعلّمها **للأصابع** أكثر ممّا لدَى **الأصابع** ليعلّموه. أمّا بالنسبةِ للألغازِ الثلاثة: الفنُّ، الفُكاهةُ والحبُّ، فما إنْ يُدركَ النّملُ المقصُودَ منها بالضّبط، حتّى يُجيدَ مباشرةً اسْتِنسَاخَها وتحسِينَها. هو مُتيقّنٌ مِنْ ذلك.

في ركنٍ، نمال من الكورنيجرا، اللواتي أثار استخدام رمح اللهب دهشتهن في معركة القصب، جرّوا جمرةً على ورقة. يختبرنَ تأثيرَ الجمْرةِ على عدّةِ موادّ. يحرقنَ بالتتابعِ ورقَة، زهرة، تراباً، جذوراً. تتّخِذُ الرقم 6 دورَ مُرشدتهنّ. ويحصَلنَ معاً على أدخنةٍ ضاربةٍ إلى الزرقةِ وروائح كريهة؛ على الأرجَحِ هكذا فعلَ أوائلُ المُخترِعِينَ في عالَمِ **الأصابع**.

*لا بَدّ أنّ **الأصابعَ** حيواناتٌ مُعقّدة رغَمَ كلّ شيء...*، تنهّدَتْ نملَةٌ كورنيجريّة طفَحَ قرناها تبرّماً مِنْ كلّ هذه القِصَصِ عن العالَمِ العُلويّ. تنكمِشُ على نفسِها وتَغفُو ثانيةً تاركةً الآخرينَ يتَجادلُونَ حتّى التُّخْمَة، ويواصِلُونَ لعِبهم بالنَّار.

113. موسوعة

كعكة *عيد الميلاد*: نفخُ الشموعِ بمُناسبةِ كلّ عيدِ ميلادٍ هو واحدٌ من الطقُوسِ الأكثرِ دلالةً في سُلوكِ الجنسِ البشريّ. إذْ يتذكّرُ الإنسانُ على هذا النحوِ، على فتراتٍ مُنتظمة، بأنّه قادرٌ على إيقادِ النارِ ثمَّ إطفائِها بأنفاسِه. تُشكّلُ السيطرَةُ على النارِ واحداً مِنْ طُقوسِ العبُورِ لكي يتحوّلَ الطفل إلى

شخصٍ مسؤول. فقدانُ كبارِ السنّ للأنفَاسِ اللازمَةِ لإطفاءِ الشمُوعِ يُبرهنُ في المُقابِلِ أنّهم أصبَحوا اجتماعيّاً مُستَبعدين من عالَمِ الإنسَانِ الفعّال.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

114. فقْدُ هواء

تَتدلّى جولي مُستَسلِمةً عن كتفِ جي وونغ المسرُورِ من تحقّقهِ بأنَّ القبوَ أفضَى بهما بعيداً عن حافلاتِ الـ CRS. حثّ الخُطَا بحثاً عن صيدليّةٍ مُناوبة لا تزالُ أبوابها مفتوحةً عندَ الثالثةِ صباحاً.

وبينما كانَ جي وونغ يطرُقُ على بابِ مبنَى مُغلق، بدافِعِ اليأس، فُتِحتْ نافذةٌ في الأعلَى وأطلَّ منها رجلٌ بالبيجامة:

– لا داعي لتجْمَعَ الجِوار. الصيدليّةُ الوحيدَةُ التي لا تزالُ أبوابها مفتُوحةً في مِثلِ هذهِ الساعة، هي الصيدليّةُ الموجُودةُ في الملهَى الليليّ.

– أتمزَح؟

– أبداً. إنّها خدمة جديدة. إذْ وجدُوا أنَّ وضعَ الصيدليّاتِ في الملاهي الليليّة يُسهِّلُ الأمورَ ولو من أجلِ بيعِ الواقياتِ الذكريّة فقط.

– وأينَ هو، ملهَى الليلِ هذا؟

– في نهايةِ الطريقِ إلى جهةِ اليمين، في زُقاقٍ ضيّقٍ مسدُود، إنّهُ هناك. اسمُهُ لا يتوّه أبداً، يُدعى «الجحيم».

فعلاً كانَ «الجَحِيم» يومِضُ بأحرُفٍ ناريّةٍ مُطوّقة بشياطينَ صغيرة مُجنّحةٍ بأجنِحةِ خفافيش.

كانت جولي تحتَضر.

– هواء! أرجوكم، هواء!

لِمَ الهواءُ بهذه النَّدْرة على هذا الكوكَبِ؟

وضَعَها جي وونغ على الأرضِ ودفَعَ ثمنَ تذكرَتي دخولِهما كأنّهما

ثنائيّ رقصٍ كما الآخرين. لم تظهَر على الحارس، بوجهِهِ المُزدحِمِ بثقوبِ الأقراطِ والوشُوم، ملامِحُ الدهشَةِ لمرأى فتاةٍ في حالةٍ يُرثى لها إلى هذا الحدّ. مُعظَمُ الزبائِنِ الذينَ يرتادُونَ «الجحيم» يصِلونَ شِبهَ فاقدي الوعي بسبَبِ المُخدّراتِ أو الكحُول.

في القاعة، كانَ صوتُ ألكسندرين يهمِسُ «I loveuue you، حبيبي، أحبُّوك» وأزواجٌ مُتعانقونَ وسطَ هالةٍ منَ الأدْخِنة. رفعَ الدي-جيه الصوتَ وما عادَ بوسْعِ أحدٍ أنْ يسمعَ أحداً. وأخْفَتَ الضوءَ مُبقياً فقط على وميضِ مصابيحَ صغيرةٍ حمراء. إنّهُ يُدركُ ما يفعلُه. فمَنْ ليسَ لديهِ الكثيرُ ليقولَهُ أو مَنْ لم تَحْبُوْهُ الطبيعَةُ ميزاتٍ، ستُتاحُ له وسطَ هذِهِ الظلمةِ وهذه الضوضَاءِ المُصِمَّة فُرصُ الآخرين ذاتُها في انتهازِ رقصَةِ السلُو للإغواء.

«حبيبي، أُحـبُّـوووووووووكَ، my loveeuuue»، راحَتْ تصدَحُ ألكسندرين.

اجتازَ جي وونغ ساحةَ الرقصِ دافعاً أزواجَ الرّاقصينَ دونَ مُراعاة، ولا همَّ لهُ سوى إيصال جولي إلى الصيدليّةِ بأقصَى سُرعة.

كانت في الداخلِ سيّدةٌ ترتَدي مريولاً أبيضَ مُستغرِقةً في مجلّةٍ مُختصّةٍ بالجمَالِ وتمضَغُ علكة. لمّا رأتْهما نزعَت السُّداداتِ القطنيّةِ التي تحمي مجرَى سمعها. صرخَ جي وونغ ليطغَى صوتُهُ على الموسِيقَى فأشارت لهُ بأنْ يغلقَ الباب. بعضٌ مِنْ وحدَات الديسيبل[1] بقيَت في الخارج.

- فانتولين، إذا سمَحت، للآنسة، بسُرعة. إنّها في شدّةِ نوبة رَبْو.

- ألديكَ وصفَةٌ طبيّة، سألَتْ الصيدلانيّةُ ببُرود.

- أنتِ ترينَ جيّداً أنّها مسألَةُ حياةٍ أو موت. سأدفَعُ لكِ ما تطلُبين.

لم تكنْ جولي في حاجةٍ لبذلِ أيّ جُهدٍ لاستدرارِ الشَّفقَة. فمها الفاغِرُ أشبَهُ بفم سمكةِ مَرْجانٍ خارجة منَ البحر. لكن ذلكَ لم يليّن قلبَ المرأة.

- أعتذِر. هذهِ ليسَت بِقالة، يُمنَعُ علينا بيعُ الفانتولين دونَ وصفَة، هذا غيرُ

1- (Décibel، الديسيبل): وحدة لقياس شدة الصوت بالنسبة لقدرتنا البشرية على السماع.

قانونيّ. لستما أوّل منْ حاولَ خِداعي. الجميعُ يعلَمُ بأنّ الفانتولين موسّع أوعيةٍ يفيدُ السادَةَ خائِري القوى!

عندَ هذا الحدّ طفَحَ الكيلُ بجي وونغ، فانفجَر. أمسَكَ الصيدلانيّة من ياقةِ مريولها، وبما أنّه لا يحمِلُ أيّ سلاحٍ، أخذَ مِفتاحَ شقتهِ وضَغطَ رأسَهُ المدبّبَ على نَحْرِها.

وبنبرةٍ مُهدّدةٍ تلفّظَ بوضُوح:

- أنا لا أمزح. الفانتولين، أرجُوك، وإلّا أنت، سيّدتي الصيدلانيّة مَنْ سيحتاجُ الأدويةَ سواء بوصفَةٍ أو بغيرِ وصفَة.

وسطَ هذهِ الجلَبَة، لا داعيٍ لمُحاولَةِ استدعاءِ شخص ما والذي بالمُناسَبة، في مكانٍ كهذا، سيصفٌ إلى جانب الثنائي الذي في حالةِ حِرمان أكثرَ منهُ إلى جانِبها.

هزّتِ السيّدةُ رأسَها علامةَ استِسْلام، وأحضَرَت عبوةَ الرذاذِ وقدّمتها لهُ مُرغمةً.

لقد آنَ وقتُها. فجولي في حالةٍ انقطَعَ فيها تنفّسها. ما أجبرَ جي وونغ أنْ يُباعِدَ بينَ شفتيها ويدسّ طرفَ عبوةِ الرذاذِ في فمها.

- تشجّعي، هيّا، تنفّسي، أرجُوكِ.

بجهدٍ جهيد، استنشَقَتْه. كلُّ ضغْطَةٍ كانت أشبهَ ببُخارٍ ذَهبيّ يُشيعُ الحياة. أخذَتْ رئتاها تتفتّحانِ مثلَ زهرةٍ مُجففة داخِلَ الماء.

- كم نهدُرُ وقتاً في الشكليّات! ألقَى جي وونغ على مسْمَعِ الصيدلانيّة التي كانت تضغَطُ دونَ أنْ تلفِتَ النظرَ على دوّاسةِ الإنذارِ الموصُولَةِ إلى الشرطَة. النظامُ المُصمَّمُ تحسّباً لأيّ هجومٍ عليها من مُدمِنينَ في حالَةِ حرمَان.

جلسَت جولي على المِقعدِ لتجمَعَ شِتاتَ أفكارها. وسدّدَ جي وونغ ثمنَ عُبوةِ الرذاذ.

سلكَا دربَ العودَة. عادَ يَضجُّ مُجدّداً صَوتُ سلو مُصِمّ. أغنيَةٌ جديدَة لألكسندرين حظيت بالنجَاحِ أيضاً، «ولعُ العِشق».

مُدركاً لدورِهِ الاجتماعيّ، رفَعَ الدي-جيه الصوتَ درجتينِ إضافيّتين، وأخفَتَ الضوءَ مُبقياً فقط كرةً مُغطاة بموزاييكِ مرايا تدُورُ مُرسلةً أشعةَ نورٍ ناعِمَة.

«خُذني، أجل، خُذني بأكملي، خُذني، حبيبي إلى الأبد وعلى مرّ الحيااااة. ولعُ العِشق، هو ولااااااع العِشْق»، كانت تهتفُ المُغنّية، التي أُعيدَ تركيبُ صوتها بمُركّبِ صوتٍ وجرَت مُطابقتُهُ على صوتٍ حقيقيّ لمُغنيةٍ حقيقيّة.

تمنّتْ جولي، بعدَ أنْ أدركَت أخيراً مكانَ تواجُدها، أنْ يأخُذها جي وونغ بينَ ذراعيه. رمقَتِ الكوري.

جي وونغ شابٌّ وسيم. فيه شُبْهَةٌ مِنْ قطٍّ وحشيّ. والنظَرُ إليهِ في ظرُوفٍ غامِضةٍ كهذه وفي مكانٍ غريبٍ كهذا أضْفَى عليهِ المزيدَ من الجاذبيّة.

كانت مُنقسمةً بين الخَجلِ من جهةٍ، والخوفِ بكونِها امرأةً موقوتَةً من جهَةٍ أخرى، والرغبَةِ الجديدةِ شبْهِ الحيوانيّة، بأن «تلتهم» جي وونغ من جهة ثالثة.

- أعرِفُ، قالَ جي وونغ، لا تنظُري إليَّ هكذا. أنتِ لا تحتَملينَ التلامُسَ لا مَع رجلٍ ولا مع أيٍّ كان. فلا تخافِي، لن أقترِحَ عليكِ أنْ ترقُصِي!

كادتْ أن تُكذّبَ قولَهُ لمّا ظهرَ شُرطيّان. لقد أعطتهما الصيدلانيّة مواصفاتِ مُعنّفَيها وأشارت لهما مِنْ أينَ ذهبا.

سحَبَ جي وونغ جولي إلى وسطِ ساحَةِ الرقص، حيثُ الظلمةُ الأعمَق، وبما أنَّ للضرورةِ أحكَاماً، ضمَّها إليه.

ولكن الدي-جيه قرّرَ في تلكَ اللحظةِ إعادةَ إشعال الأضواءِ كافّة فوقَ ساحةِ الرقص. فظهرت، فجأة، جميعُ مخلُوقاتِ «الجَحيم». ثمّة هناكَ مُخنّثون، ساديّون-مازوشيّون-يرتدونَ الجِلد، المُغايرُونَ جنسيّاً، ثنائيّو الجنس، مُتنكّرات بهيئةِ رجال، مُتنكّرونَ بهيئةِ إناث، مُتنكّرونَ بهيئةِ رجالٍ يظنّونَ أنفسهم نسَاء. كانَ الجميعُ هائجٌ مُتعرّقُ الوجْه.

مضَى الشرطيّان بينَ الراقِصين. إنْ تعرّفا على «النّملتين»، سيوقفانهما. جولي، مُتنبّهةً لذلك، قامَت بما لا يُمكِنُ توقّعه. أخذت بين يديها وجهَ الكوريّ، وبقوّة، قبّلتهُ على فمِه. ذُهِلَ الشاب.

أخذَ الشُّرطيّان يحومانِ حولَهما خِلسَة. قُبلتُهما كانت مُستمرّة. لقد قرأت جولي بأنَّ النمالَ أيضاً يُقدِمْنَ على تصرّفاتٍ مُشابهة: التّطَاعُم. يجتَرِرْنَ الطعامَ ويتبادلنَهُ بالفم. إلى اللحظَةِ لم تكن تشعُرُ بأنّها قادرةٌ على مآثِرَ كهذه.

رمقَهما أحَدُ الشرطيّينِ بارتياب.

أغمضَ الاثنان عينيهما مثلَ النعامَة. ما عادَا يريدانِ رؤيةَ الخطَر. ما عادَا يسمعانِ صوتَ ألكسندرين. رغبَتْ جولي لو أنَّ الفتَى يضمُّها، يضمُّها أقوى بينَ ذراعيهِ المفتولَتَي العضَلات. غيرَ أنَّ الشرطيّين غادرا. ومثل مغناطيسين التصَقا ببعضِهما صُدفَةً وتباعدا في حَرَج.

- سامحيني، صرَخَ في أُذنِها لتسمَعَ وسطَ كلّ تلكَ الجلبة.

- لم يترك الظرفُ لنا خياراً، أوجَزَت.

أخذَها من يدِها، غادرا «الجَحيم» وانضمّا إلى الثورةِ عبرَ القبو ذاته الذي مكّنهما مِنَ الخروجِ منها.

115. موسوعة

***الانفتاحُ عبرَ الألعاب*: في فرنسا، في الستينيّات، اشترى مالكُ مزرَعةِ خيولٍ أربعةَ فُحُولٍ نشيطةٍ رماديةَ اللونِ وجميعها مُتشابهة، إلّا أنَّ مِزاجها كانَ سيئاً، وبمُجرّدِ تركها مُتجاورةً تتعاركُ ومنَ المُحالِ قَطْرها معاً لأنّ كلّ واحدٍ كانَ يَمْضِي في اتّجاهٍ مُختلف.**

خطرَتْ لطبيبٍ بيطريّ فكرةُ صفّ مرابطها الأربعة في نسقٍ مع وضعِ ألعابٍ على الجُدرانِ الفاصِلة: عجلاتٌ تُدارُ بطرفِ الخَطْم، كراتٌ تُضرَبُ بالحافرِ كي تنتقلَ مِنْ حظيرة إلى أخرى، وأشكالٌ هندسيّة مُبرقشة مُعلّقة بخيوط.

وأخذَ يُبدّلُ بانتظَامٍ ترتيبَ الخيولِ لكي تتعرّفَ جميعها على بعضِها بعضاً وتلعَبَ سويّة. وبعد مضيّ شهر، أصبَحتِ الخيولُ الأربعَةُ لا تفترق. ليسَ فقط أنّها وافقَت على أن تُقْطرَ معاً، ولكن بدا أيضاً أنّها وجدَتْ جانباً مَرِحاً لعمَلِها.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

116. في أوَجِ الفورَان

تأخذُ الرّقم 7 قطعَةَ فحْم بردَت من قُربِ الموقِدِ، إذْ لاحظَتْ بأنَّ النارَ تُرسِلُ ظلّاً مُتضخّماً للحشَراتِ القريبةِ منها، وتقرّرُ أن تنقُلَ على غِرارِهِ شكلاً ثابتاً على أحَدِ الجُدران. وبعد أنْ تفرغَ من عملِها، تعرضُهُ على الآخرين فيحاولُونَ مُكالَمته، ظناً منهم بأنّهم أمامَ حشَرةٍ حقيقيّة.

تجدُ الرقم 7 صُعوبةً بالغةً في أنْ تشرَحَ أنّه مُجرّدُ رَسْمٍ ليس إلّا. لكن على هذا النحوِ يتطوّر أسلوبُ تجسِيدِ الأشياء الذي للوهلَةِ الأولى، يُشبهُ جدّاً المنحُوتاتِ الصخريّة لمغاورِ لاسكو، بيدَ أنّه يتطوّرُ لاحِقاً ويتّخذُ في النهايَةِ أسلوباً أكثرَ خصُوصيّة. بثلاثِ ضَربات فحم، تبتَكِرُ الرقم 7 للتوّ الرسمَ النمليّ. تتأمّل عمَلَها مُطوّلاً وتُقدّر في سرّها بأنَّ الأسودَ غيرُ كافٍ لتَصويرِ الأشياء بشكلٍ جيّد، ينبغي أن تُضافَ إليه ألوان أُخرَى.

ولكن كيفَ يُمكنُ إضافةُ ألوان؟

أوّلُ فكرةٍ تخطُرُ في ذهنِها هي أنْ تُسيلَ دمَ نملةٍ رماديّةٍ أتت تنظُرُ بإعجابٍ إلى عملِها. إذْ تتحصّلُ بذلكَ على بياضٍ من دمِها يَمنَحُ، فيما لو تمدّدَ، بروزاً للوجهِ والقرنَين. على العمُوم النتيجَةُ ناجِحَةٌ. أمّا بما يخصُّ النملَةَ الرماديّة، فلتَغتَبط في قرارتها ولا تَشتكي، فقد قدّمَتْ أوّلَ تضحيةٍ حشريّة للفنّ.

لمّا رأتِ النّمالُ ذلك، يُصيبهنَّ جنُونٌ إبداعيّ. وتدورُ رحَى مُنافسةٍ نادرةٍ بين اللواتي يختَبِرْنَ النار، واللائي يرسِمْن، وأولئكَ المُنكبّاتِ على دراسَةِ الرافِعة.

يبدُو لهنَّ كلّ شيءٍ مُمكناً. مجتمعهنّ الذي تصوَّرنَهُ في أوجِ تطوّره السياسيّ والتقَاني، يتّضِحُ فجأةً بأنّه مُفرِطَ التخلّف.

وجدَت كلّ مستكشِفةٍ من الفتيّاتِ الاثنتي عشرة مجالَها المُفضّل. تُهيّئ لهنَّ الأميرةُ 103 الحافزَ والخِبرة. فتغدُو الرقم 5 المُعاونةَ الأساسيّة لها. والرقم 6 الأمهَرُ بينَ مُهندِسَاتِ النار. وشغَفُ الرسْم والتلوين يتملّكُ الرقم 7. أمّا الرقم 8 فتبرَعُ بدراسَةِ الرافِعة والرقم 9 بدراسةِ الدولاب. وتُدوّنُ الرقم 10 فيرومُونَ الذاكِرة الخاصّ بها حَولَ علمِ الحيوانِ الذي يتناولُ عاداتِ **الأصابع**. بينما تهتمُّ الرقم 11 بالهندَسَةِ والطرُقِ المُختلفةِ لإنشاءِ الأعشَاش. وتنجذِبُ الرقم 12 إلى فنّ الملاحة بالدرَجةِ الأولى وتُدوّن مُلاحظاتٍ حولَ

مراكبهنّ النهريّةِ المُختلفة. وتفكّرُ الرقم 13 بأسلِحتهنّ الجديدة؛ الغُصين المُلتَهب، البارجَةُ-السّلحفاةُ... ويستَهوي حوار الأصنافِ الغريبة الرقم 14. أمّا الرقم 15 فتُشرّحُ وتتذوّقُ الأغذيةَ الجديدةَ التي عرفْنَها أثناءَ رحلتهنَّ الطويلة. بينما ترسُمُ الرقم 16 خريطَةَ المسَاراتِ المُختلفةِ التي سلكنَها حتّى بلغنَ هذا المكان.

تُخبِرُ الأميرةُ 103 ما تعرِفُهُ عن **الأصَابع**. تروي عن التلفزيون الذي ينقلُ قِصَصاً ليسَت حقيقيّة. تأخذُ الرقم 10 مُجدّداً فيرومونَ الذاكرةِ حولَ علمِ الحيون لتدوّنَ فيهِ المعلُوماتِ الجديدةِ عَنِ **الأصَابع**:

روايات.

*تبتكرُ **الأصَابعُ** أحياناً قِصَصاً ليست حقيقيّةً يُسمّونها رواياتٍ أو سيناريوهات.*

يبتكرونَ الشخصيّات، ويبتكرُونَ الدّيكورات، ويَبْتكِرون قواعِدَ لعوالَم مُتخيّلة.

غيرَ أنَّ ما يتناولُونَهُ في قصَصِهم ليسَ لهُ وجودٌ في أيّ مكانٍ أو في مُعظَمهِ على الأقل.

وما نفعُ التكلّمِ عن شيءٍ لا وجودَ له؟

سَرْدُ قِصَص جميلةٍ ببساطَة.

إنّهُ نوع مِنَ الفنّ.

كيفَ يبنُونَ هذهِ القِصَص؟

يبدو للرقَم 103 ممّا رأَتهُ في الأفلام بأنّها تخضَعُ لقواعد الدّعاباتِ ذاتها، تلك الطُرفُ القصيرة الشّهيرة الغامِضَة التي تحفّزُ حالةَ «الفكاهة».

يكفي وجودُ بدايةٍ ووسَطٍ وخاتِمةٍ غيرُ متوقّعة.

يُصغي الأميرُ 24 بانتباهٍ إلى الأميرةِ 103، ومع أنّهُ لا يُشاطِرها حمَاستَها ذاتها باكتِشافِ عالَمِ **الأصَابع**، يخطُرُ لهُ أنْ يقصَّ ما تخبرُهُ عن **الأصَابعِ** ولكنْ عبْرَ إخراجِهِ بقصّةٍ غيرِ حقيقيّةٍ «رواية».

واقِعُ الأمرِ أنَّ الأمير 24 راغِبٌ بإبداعِ أوّل روايةٍ نمليّةٍ فيرومُونيّة. ويتصوّر ذلكَ جيّداً: ساغَا[1] عن **الأصَابع**، مُشيّدةً على شاكلةِ السرديّات النمليّة الكُبرَى. يشعرُ أنَّ بوسعهِ، بواسِطَةِ حساسيّتهِ المُحْدثة بوصفِهِ ذا جنسٍ، تخيّلَ سرداً لمُغامراتٍ تستَندُ على ما ظَنَّ أنّهُ فَهِمَهُ عن **الأصَابع**.

وقد عثَرَ على العُنوانِ من الآن، سيختارُهُ الأبسَط: ***الأصابع***.

تقتَربُ الأميرةُ 103 من لوحَةِ الرقم 7 وتتأمّلها.

تُصارِحُها الفنّانةُ عن حاجَتها لأصبغةٍ من شتَّى الألوان. تقترِحُ عليها الرقم 103 أنْ تستَعملَ غُبارَ الطّلعِ من أجلِ اللونِ الأصفر والعشبَ للونِ الأخضَر وبتَلات الخشْخاشِ المفرُومِ للأحمر. تمزُجُهنَّ الرقم 7 باللّعابِ والعُسيل لتتماسَكَ في قوامٍ واحِد ثمَّ تبدأ، مع نملتينِ أُخريين أقنعتهما بمُساعدَتِها، بتجسِيدِ الموكبِ الطويلِ للحَمْلةِ المُضادّة على ورقَةِ دلْب. ترسُمُ ثلاثَ نملاتٍ وفي العُمقِ كرة ورديّة تفلحُ باستنباطِ لونِها بمزجِ طباشيرَ مع بَتلاتِ خشْخَاشٍ مفرُومة. وبغبارِ الطّلْع، ترسُم خطّاً يفصِلُ النمالَ عن **الإصْبع**.

*إنّها النار. النارُ هي الصّلةُ بينَ **الأصابعِ** والنمال.*

تتأمّلُ الأميرةُ 103 عمَلَ زميلتها، وتخطُرُ فكرة في ذِهْنها. لِمَ لا تُسمّى حملَتهنَّ بدلاً من الحَمْلةِ المُضادّة، «**ثورة الأصابع**»؟ فبالمُحصّلة، لا بدَّ أنْ تقودَ معرفةُ عالمِ **الأصَابعِ** إلى انقِلابات في مُجتَمعهنَّ النمليّ وبالتالي يغدُو هذا العنوانُ أدقَّ.

يتواصَلُ احتِدامُ الشّجاراتِ حولَ النار. الحشَراتُ الخائِفةُ من الجمْرِ تُطالبُ بأنْ تُطفأ وتُنبَذَ إلى الأبد. فينشُبُ عراكٌ بينَ المواليات للنارِ والمُعارضاتِ لها.

لا تُفلِحُ الأميرَةُ 103 في فضّ النزاعِ بينَ الخصُوم. كانَ ينبغي انتظارُ سقوطِ ثلاثة قتلى حتّى يُستأنَف الحوارُ الهادِئ. تُطالبُ بضْعُ نملاتٍ بإصرارٍ اعتبار النّارِ مُحرّمة. فتردُّ أُخريات بأنّ الأمرَ مُتعلّق بارتقاءٍ حداثيّ وإنْ كان

1- تشير Saga بالاستخدام الحديث إلى القصص الملحميّة الخياليّة التي تُغطي مدّة طويلة من الزمن أو أجيالاً مُتعاقبة. تعود نشأتها إلى الثقافة الاسكندنافيّة حيثُ لعبَ التراثُ الشفوي دوراً كبيراً في تطورها.

الأصابع يستخدِمُونها دونَ خوف، فالمنطقُ يفرِضُ على النمالِ فعل الشيء ذاته. ويؤكّدن بالمُناسَبةِ أنّه حينَ أُقرّتِ النار تابو فوّتنَ عليهنَ مراحلَ من ارتقائهنَّ التِّقاني. ولو أنَّ النمال، منذ ما يربو على أكثر من مئةِ مليونِ سنة، درسنَ النارَ بموضُوعيّة، ووضعنَ بجدّية منافِعها وأضرارها في الميزان، لكانَ الآن لديهنّ ربّما «الفنّ» و«الفكاهة» و «الحبّ».

تردُّ مُعارضَاتُ النار بأنَّ الماضي برهَنَ أنّه باستخدام النار يُمكنُ تدميرُ قطّاعٍ كبيرٍ من الغابةِ دُفعةً واحدة. تزعُمُ النمالُ بأنّهنَّ لا يملكنَ الخبرةَ الكافيةَ لاستخدامها بذكاء. تُجيبُ الموالياتُ للنار أنّه منذُ أنْ بدأت تستخدَمُ النار لم تحدُث أيّة أضرار. بل على العكس هزمْنَ النمالَ القزَمات وتمكنَّ منْ إنتاجِ أنواعٍ مختلفةٍ من العجائنِ والمَواد الغريبَة التي عليهنَّ الآن درَاسَتها.

يجري الاتفاقُ على مُواصَلةِ دراسةِ النار ولكن مع رفْعِ مُستَوى الحيطَة والحذر. يُقرَّرُ حفرُ خندقٍ حولَ المِجْمَرة ليحدَّ من سُهولةِ انتشارِ النار إلى إبرِ الصنوبرِ المُتناثرةِ على الأرض. فالحريقُ يندَلِعُ بسُرعة...

تخطُرُ في ذهنِ نملةٍ مواليةٍ للنارِ فكرةُ حرقِ شريحةِ جُندبٍ وتعلِنُ بأنَّ لحمَهُ ألذّ مشوياً. ولكن لا يتسنّى لها مُشاطَرةُ الآخرينَ الرأي إذْ اشتعلَتْ للتوّ إحدَى أرجُلها التي اقتربَتْ كثيراً من الموقِدة وفي ثوانٍ قليلةٍ تذوبُ الحشَرةُ وبمَعِدَتها وجبَتها اللّذيذة.

تُتابعُ الأميرةُ 103 كلّ هذهِ الاضْطِرابات بقرْنٍ مُتكلّف. يُشكّل اكتشافُ **الأصَابع** وعاداتِهم للجميع انقلاباً جذريّاً إلى حدٍّ لا يعرفنَ معهُ بماذا يبدأن. يدُورُ في خلَدِ الرقم 103 أنهنّ يشبهنَ قليلاً الحشرات العطشَى، التي تندفعُ ما إنْ ترَى بركةَ ماءٍ، وتشرَبُ منها مُتعجّلة، فتمُوت مُباشَرة. يُستَحْسَنُ الشرْبُ رويداً رويداً حتّى يعتادَ عليهِ الجسَد.

إنْ لم ينتَبه جماعَةُ **ثورةِ الأصَابعِ** إلى ذلك، فيُمكِنُ أنْ يتدهورَ كلّ شيءٍ ولا تعرف الرقم 103 بأيّ اتّجاه.

لا يسَعُها إلّا أنْ تُلاحِظَ بأنّها الليلة الأولى التي فيها، برفقةِ لَفيفٍ من بناتِ جِلدَتها، لا تنامُ أبداً. الشمسُ في الداخل، ومِنْ شقّ الكهف، في الخارج، ترى الليل.

117. اليومُ الثاني على ثورةِ النّمل

مضَى الليل. وارتفعَتِ الشمسُ برفقٍ في السّماء كما في كلّ الأيامِ التي قرّرتْ فيها الارتفَاع.

كانت السابِعةُ صباحاً، وثانويّةُ فونتينبلو تبدأُ اليومَ الثاني من ثورتها.

ما زالَتْ جولي نائِمة.

تحلمُ بجي وونغ. يفكُّ أزرارَ قميصِها واحداً واحداً، ويحلُّ حمّالةَ نهديها الضّاغِطَة على صدْرِها، ينزَعُ عنها ثيابها ببطء، وفي النهايةِ يُدني شفتيهِ من شفَتيها.

– لا، احتجّت برخاوةٍ وهي تتلوّى بين ذراعيه.

فأجابَها بهدُوء:

– كما تُريدين. فبالمُحصّلةِ هو حُلمكِ وأنتِ صاحِبةُ القرار.

جعلَتها هذهِ العِبارةُ الملفوظةُ لفرطِ صراحَتها تنقلِبُ مباشَرةً إلى أرضِ الواقِع.

– اسْتيقظَتْ جولي. تعالوا بسُرعة، صاحَ أحدُهم.

ساعدَتها يَدٌ على النّهُوضِ.

تنبّهت جولي إلى أنّها نامت في الخارجِ فوقَ كُدْسٍ من الكرتونِ والأوراقِ القديمَةِ المُفترَشَةِ على العُشب. تساءلَت عن مكانِ تواجُدها، وعمّا يحدُث. كانَ هناكَ مجهُولون يتحلّقونَ مُنحنين عليها، نحوَ عشرينَ شخصاً على الأقلّ، بدَتْ غايتُهم حمَايتها.

رأت الحشْدَ، واستعادَت ثانيةً كلَّ ما جرَى وشعرَت بصُداعٍ نصفيّ شديد. أوه، يالَوجعِ الرأسِ هذا! تمنّت لو أنّها تلزَمُ بيتها، تَنتعِلُ الخفَّ القماشيّ، وتحتَسِي كوبَ قهوةٍ كبيرٍ بالكريما وفيرَ الرغوةِ وتفتّتُ خبزَة صغيرة بالشوكولاتة وهي تُصغي لأخبَارِ العالَمِ عبرَ المِذْياع.

راودَتها الرّغبةُ بالفرار. بأنْ تأخُذَ الحافِلة، وتبتاعَ صحيفة لتعرفَ ما الذي جرى، وتتبادَلَ أطرافَ الحديثِ مع الخبّازة كما في كلّ صباح. لقد غفَتْ دونَ أنْ تُزيلَ المكياجَ عن وجهها وهذا يُمْقِتها، إذْ يُسبّبُ البثورَ لها. طلَبت أوّلاً حليباً مُزيلاً للمكياجِ ثمَّ فطوراً غنيّاً. جُلبَ لها كأسُ ماءٍ بارد لتمسَحَ

وجهها، وبمثابةِ وجبةٍ، كأسٌ بلاستيكيٌّ مملوء بقهوَةٍ جافّةٍ نِصفُ ذائبة في ماء فاتر.

«الحَرْب هي الحَرْب» تنهّدَتْ وهي تحتَسِيها.

كانت لا تزالُ مُوزّعةً بينَ الحلُمِ والواقِع وتستَعيدُ تدريجيّاً مشهَدَ باحةِ الثانويّة وهياجَها. ظنّت للحظةٍ بأنّها تحلُم عندما رأت هُناكَ في الأعلى، على السَّاريةِ المركزيّة، علَمَ الثورةِ يُرفرِف، ثورتهم الصغيرة التي تخصّهم، مع دائرتِهِ ومثلّثِهِ ونملاتِهِ الثلاثة.

انضَمَّ الأقزامُ السّبعةُ إليها.

- تعالِي وانْظُري.

رفَعَ ليوبولد بعضاً من غِطَاء السّياجِ ورأت رجال شُرطَةٍ يهجُمُون. إيقاظٌ صاعِق، بالفعلِ كانَ إيقاظاً صَاعِقاً.

أعادَتْ فتياتُ نادي الآيكيدو تسلُّحَهنَّ بخراطيمِ إطفاءِ الحرائِق، وما إنْ أصبَحَ الشرطيّونَ في مرمى خراطيمهنّ أغرقنهم ممّا دفعَ أولئكَ إلى التراجُعِ مُباشَرة. باتَ ذلكَ اعتياديّاً.

مُجدّداً، كانَ النصْرُ حليفَ المُحاصَرين.

أُحتُفِيَ بجولي، ورفَعتها الأيدي عالياً حتّى شُرفةِ الطّابقِ الأوّل. ومِنْ عليها ألقَت كلمتها القصيرة:

- في هذا الصباح حاولَت قوّاتُ النّظام مُجدّداً طردَنا مِنْ هنا. سيعُودُونَ وسنُجبرهم على التراجُعِ ثانية. إنّنا نُسبّبُ لهم الإزعاج لأنّنا خلقنا فضاءً منَ الحرّيةِ يُفلتُ من سيطَرةِ النظَامِ القائِم. لدينا الآن مُختبرٌ رائع لنصنَعَ فيهِ شيئاً من حيواتنا.

دنَتْ جولي من حافّةِ الشّرفة:

- سوفَ نكونُ سادَةَ مصائِرنا.

فعلُ التكلّمِ أمامَ الجمهُورِ يختلِفُ عن الغناءِ أمامَهُم بيدَ أنّهُ يحمِلُ القدْرَ ذاتهُ منَ النّشوَة.

- لنبتكرَ شكلَ ثورةٍ جديداً، ثورة بلا عُنف، ثورة تنطوي على رؤى جديدةٍ للمُجتَمع. قالَ تشي غيفارا في الماضي: الثورةُ فعلُ حبّ قبلَ أيّ شيء. وهو لم يُفلِح في ذلكَ إلّا أننا نحنُ سنُحَاول.

- أجل، وهذهِ الثورة، ثورةُ ضواحٍ وشبّانٍ سئِمُوا رجالَ الشّرطَة. كانَ ينبغي علينا قتلُ أولئكَ البُلهَاء، صرَخَ أحَد.
وعلا صوتٌ آخر:
- لا، هذه ثورةُ حماةِ البيئةِ للحدّ من تلوّثِ البيئةِ وانتشارِ النووي.
- إنّها ثورة ضِدّ العنصريّة، صرخَ ثالِث.
- لا، هي ثورة الطبقاتِ ضِدَّ المُستَحوذين على رأس المال، احتجَّ آخر. نحنُ نحتلُّ هذهِ الثانويّة لأنّها رمز استغلالِ البرجوازيينَ للشَعب.
فجأة، ثارَت فوضَى. أرادَ كثيرونَ تجييرَ المُظاهرةِ لصَالِحهم، لصالِحِ قضَايا مُختلِفة ومُعظَمُ الوقتِ مُتناقِضَة. وقد شابت الكراهيّة بعضَ النظَرات.
- إنّهم أشبَهُ بقطيعٍ بلا راعٍ أو هدَف. هم مُستعدُّونَ لفعلِ أيّ شيء. حاذري، ثمّةَ خطَر! همسَتْ فرنسين في أُذنِ صديقتها.
- علينا أنْ نُعطِيهم صورة، موضُوعاً يُوحّد، قضيّة، وبسرعة، قبل أنْ تسُوءَ الأوضَاعُ أكثر، أضافَ دافيد.
- ينبغي التحدِيدُ بشكلٍ نهائيّ اتّجاه ثورتنا لئلّا تُجيّر لصالح أحد، ختَمَ جي وونغ.
شعرَت جولي بأنّها في مأزِق.
أجالَت بصَرها التائِهَ في الحَشْد. في أولئكَ الذين كانوا بانتظارِ أنْ يُحدَّد الميدان ومتأهّبين للإصْغاءِ إلى مَنْ ستكونُ لهُ الكلمةُ الأخيرة.
النّظرةُ الحقودَةُ التي لمَحتها في عَينيّ مَنْ أرادَ الحربَ مع الشرطةِ مدّتها بالعزيمة. عرِفَته. إنّه أحدُ التلامذةِ الذينَ يضطهدونَ المعلّمينَ الضعفاء. مُشاغِبٌ صغيرٌ بلا شجاعةٍ أو قناعَة، كان يسلِبُ تلامذةَ الصفُوفِ الصغيرة. إلى مسافة أبعد، كان هناك النظراتُ السّاخِرةُ لنَصِيرِ البيئةِ والناشِطِ في الصّراعِ الطّبقيّ والتي لم تكنْ أكثر وداعة.
لم تكنْ تُريدُ التخلّي عن ثورتـِ«ها» للمُشاغِبينَ أو السياسيّين. وجبَ تحريضُ الحشدِ في اتّجاهٍ آخر.
في البدءِ كانتِ الكلِمَة. يجبُ تَسْميةُ الأشياء. إطلاقُ اسْم. ولكن بماذا يُمكنُ تَسْميةُ ثورتِها؟

فجأةً تفرِضُ البداهةُ نفسَها. **ثورَةُ الـ... نمل**. إنَّهُ اسمُ الحفْلِ الغنائيّ. الاسمُ المكتُوبُ على المُلصَقاتِ وقُمصَانِ الأمازونيات. هو النشيدُ الجَامِع ورسْمَةُ العلَم.

رفعتْ يدَيها بحركَةٍ تهدئة.

- لا. لا. دعونا ألّا نتشتّت بهذِهِ القضَايا القدِيمةِ التي تبيّنَ مدَى عُقمِها. الثورة الجديدة تفترِضُ أهدافاً جديدةً.

لم تصدُر ردّةُ فعل.

- أجل. نحنُ مثل النّمل. صِغار، قوّتنا تكمُن في اتّحادنا. مثلَ النَّمل حقّاً. نمنَحُ الأولويّةَ للتواصُلِ والابتكار على التمسُّكِ بالشكليّات والعَلاقات المُخملية. نحنُ مثل النّمل. لا نتهيّب الهجُومَ على مَنْ هو أضخَم، على القلَاع الشديدةِ التحصّن لأنّنا معاً نحنُ أقوى. النّملُ يُرشِدُنا إلى طريقٍ يمكنُ أنْ نسلُكَهُ فيه منافِعٌ لنا. والجميلُ به أنّهُ لم يُطرَق قطّ.

ثارتْ جلَبَةٌ وسَطَ الحشدِ المُرتَاب.

لم تَجِد كلمَاتها الصَّدى المطلُوب. فسَارعَتْ جولي مُستأنِفةً كلامها:

- ضَئيلُ الحجمِ غيرَ أنَّ باتّحادِهِ يُذلّلُ جميع العقباتِ التي تواجهه. النّملُ لا يُقدّم قيماً اجتماعيّةً مختلفةً فحسب، وإنّما تنظيماً اجتماعيّاً مُختلفاً، وتواصُلاً مُختلفاً، وإدارة مُختَلفة لعلاقاتِ الأفراد.

سادَ مناخٌ مُبهم سَارعَ المُنادُونَ إلى ملئِه.

- والتلوّث؟

- والعنصريّة؟

- والصّراعُ الطبقيّ!

- ومشكلات الضّواحِي؟

- أجل، إنّهم مُحقّون، صرَخَ البعضُ من الجمهُور مُباشرة.

تذكّرت جولي جُملةً ورَدَتْ معها في *موسُوعةِ العلم النسبيّ والمُطلق*. «احذروا الحُشُود. فبدلَ أن ترقى بميزاتِ كلّ فردٍ منها تميلُ إلى طمسها. مُعامِلُ الذكاءِ لحشدٍ هو أقلّ من مجمُوعِ مُعامِلِ ذكاءِ الأفرادِ الذين يُشكّلونه. ففي حالة الحشد تبطل معادلة 1+1=3 وتصبح 1+1=0.5».

خطَرَت نملَة طائِرة أمام جولي. رأتْ في مجيءِ الحشرةِ كأنّهُ موافقة من الطّبيعةِ المُحيطَةِ بها.

- ثورَةُ النّملِ هي ما يحصُل هنا، ثورَةُ النّملِ لا غير.

سادَت لحظَةُ تردّد. المصِيرُ كلّهُ معلّقٌ بتلكَ اللّحظَة. إنْ لم يجِد كلامها آذاناً صاغية، فهي مُستعدَّة للتخلّي عن كلّ شيء.

أشارَت جولي بحرفِ V شارةَ نصرٍ والنملةُ الطائرةُ حطّت على واحِدةٍ من الإصْبَعين. ذُهلَ الجميعُ بالمشهد. إنْ كانت حتّى الحشرات موافقة...

- جولي مُحقّة. تحيا ثورَةُ النمل! صرخَت إليزابيت، قائِدةُ الأمازونيّات، العضُواتُ السّابِقات في نادي الآيكيدو.

- تحيا ثورَةُ النّمل، ردَّدَ الأقزامُ السّبعة.

كان ينبغي الإمْسَاكُ بتلكَ اللّحظَة. هتفَت، كمَن يفتَحُ المِظلّة في اللّحظَةِ الأخيرة:

- أين هم الراؤون؟

ما مِن تردُّدٍ هذهِ المرّة. أخذَ الحشدُ يُردّدُ الشّعار.

- نحنُ الراؤون!

- أين المُخترعون؟

- نحنُ المُختَرِعون!

تصدَحُ:

نحنُ الراؤون الجُدد،
نحنُ المُخترعُون الجدد!
نحنُ النمال الضئيلة التي ستقضُم العالَمَ القديمَ المُتصلّب.

في هذا المِضْمارِ ليسَ بوسعِ الزّعماءِ الصغارِ المُحتملينَ مُنافستها، وإلّا توجَّبَ عليهم أخذ دروس غِناء مُباشَرة...

فجأة، استولَت حماسَةٌ عامّة على المكان. وحتّى الجدجد الذي لم يكن بعيداً بدأ يصرّ كما لو أنّه أحسّ بحدُوثِ شيءٍ ما مُثيرٍ للاهتمام.

شرَعَ الحَشدُ يُغنّي بصوتٍ واحدٍ نشيدَ النّمل.

تملّكَ جولي شُعور، وهي رافعةٌ قبضَتها، بأنّها تقودُ شاحنةً وزنها خمسَةَ عشرَ طناً. ينبغي بذلُ طاقةٍ كبيرة لدى كلّ مُناورةٍ ولا سيّما تجنّبُ أدنى انحرافٍ للمسَار. وإنْ كانَ هُناكَ مدارِسُ تمنَحُ شهادة قيادَةِ مركباتٍ ثقيلَةٍ فمن أينَ يُمكِنُ الحصُولُ على شَهادةِ «ثورة»؟

ربّما كانَ عليها أنْ تُصغي لحِصَص التاريخِ أكثر لتعرِفَ كيفَ تدبّر مَنْ سبقُوها في ظروفٍ مُشابهةٍ أمرهم. ما الذي كان سيفعلُهُ تروتسكي ولينين وتشي غيفارا أو ماو في مكانِها؟

المُنادونَ أصحَابُ البيئة وقاطِنوا الضّواحِي، والخ. تجهّموا، وبصَقَ بعضُهم أرضَاً أو تَمْتموا بالشتَائِم، ولكن، مُدركين بأنّهم قلّة، لم يجرؤوا أنْ يَتشدّدوا في مَواقِفهم.

من هم *المُخترِعُون الجُدد*؟

من هم *الراؤون الجُدد*؟ كرّرت، متمسّكةً بهذهِ العِباراتِ كما تتمسّكُ بطوقِ نَجاة.

انْشِغالُها الشّاغلُ كانَ في تلكَ اللّحظَةِ توجيهَ الحَشدِ. اسْتِنْهاضَ طاقتهِ وتركيزها للحصول على أفضل ما لديه وثمّ البناء معه. المُشكِلةُ الوحيدَةُ هي عدَمُ معرفتِها ما الذي ستَبْنِيه.

فجأةً أقبلَ شخصٌ راكضاً وهمسَ في أُذنِ جولي:

- الشّرطَةُ أغلَقت جميعَ المدَاخِل، وعمّا قريب لن نستَطيع الخرُوج.

ثارَت بلْبَلة بينَ صُفوفِ الحَشد.

أخذَتْ جولي المِيكروفُون ثانيةً.

- أبلَغوني للتوّ بأنَّ الشّرطةَ أحكَمَت الحِصَار حولَ المبنَى. وهذا المكانُ الذي نحنُ فيهِ أشبهُ بجزيرة خاليةٍ مع أنّنا وسطَ مدينةٍ حديثة. فمَنْ يريدُ المُغادرة عليه أنْ يُقرّر مُباشرةً قبلَ أنْ يغدو الأمرُ مُستحيلاً.

توجّهَ ثلاثمائة شخصٍ نحوَ السّياج. مُعظَمهم من الأشخاصِ الناضِجينَ الذينَ خافوا أنْ يُسبّبوا القلقَ لعائلاتِهم، أشخاص كانَ لعملهم أولويّة على الذي، بعدَ كلّ حسابٍ، ليسَ بالنّسبةِ لهم أكثر مِنْ حفلة. كما كان هناكَ فتيان

بينهم يخشونَ توبيخَ الأبوينِ بعدَ ليلةِ أمس التي قضوها خارجَ المنزِلِ دون إِخبارِهم، آخرون كانوا بالفعلِ يُحبّونَ الرّوك ولكن لا تعنيهم ثورةُ النّملِ هذه لا مِن قريبٍ ولا منْ بعيد.

وأخيراً قادةُ مُناصري البيئة وسكّان الضواحي وإلغاء الطبقات الذين حاولوا تجيير المظاهرة لصالحهم غادروا أيضاً وهم يُبرطِمُونَ احتجاجاً.

فُتِحَت بوّابةُ السّياج. ورمَقَ رجالُ CRS في الخارجِ المُغادرينَ بلا مُبالاة.

– الآن بعدَما بقينا وحدنا أصْحابُ العزيمةِ، فللحفلَةِ أنْ تبدأ! هتَفت جولي.

118. موسوعة

يوتوبيا هنود أمريكا: جميعُ هنُودِ أمريكا الشّماليّةِ، سواء كانوا سيو، شايان، أباتشي، كروز، نافاخو، كومانشي، إلخ، يتقاسَمونَ المبادِئ ذاتها.

أولاً، يعتبرونَ أنفسَهم جزءاً لا يتجزّأ من الطبيعةِ وليسُوا أسياداً عليها. كانت قبائِلُهم تُهاجِرُ من المِنطَقةِ التي تُستَنْفَدُ طرائِدها كي تستَطيعَ الطريدَةُ إعادَةَ تشكيلِ نفسِها. وهكذا فإنَّ اسْتنزافهم الأرض لم يكن يُهلِكها.

في منظُومةِ القيمِ الهنديّة. الفرديّةُ مدعاةٌ للعار بدلاً من الاعتزاز. يُعدُّ منَ الفُحشِ أن يعملَ المرءُ شيئاً لنفسه، إذْ لا يمتلكُ المرء أيّ شيء، ولا يحقُّ لهُ التصرّفَ في أيّ شيء. وإلى أيّامنا هذِه، يعرفُ الهنديُّ الذي يشتري سيّارة أنّهُ يتوجّبُ عليه إعارتها إلى أوّلِ هنديّ يطلبُها منه.

تتربّى أطفالُهم دونَ إكراهَات. في الواقِع، كانوا يُربّونَ أنفسَهم بأنفسِهم.

اكتشَفوا عمليّاتِ تَطْعِيم النباتاتِ التي اسْتخدمُوها على سبيلِ المثال لاستنباطِ هجائِنَ من الذّرة. اكتشفوا مبدأ عدمِ تسرّب الماءِ للقماشِ بواسطةِ عُصَارةِ شجرةِ المطّاط. وأجَادوا صِناعةَ الملابسِ القطنيّة التي لم يكن يوجَدُ مثيلٌ لدقّةِ نسيجها في أوروبا. وقد عَرفوا أيضاً التأثيراتِ المُفيدةِ للأسبرين (حمْضُ الصّفْصَاف) والكينين...

في المُجتمعِ الهنديّ في أمريكا الشماليّة، لم تكن هناكَ سُلطة وراثية ولا قوّة دائِمة. عندَ كلّ قرارٍ، يُقدّمُ كلّ شخصٍ وجهةَ نظره أثناء انعقاد ***pow-wow***

(مجلِسُ القبيلَة). وذلكَ كان قبلَ نِظَام المجالس (وقبلَ ثوراتِ الجمهوريات الأوربيّة بكثير). وإن فقَدَت الأغلبية ثقتها بالرئيس، فسَوفَ ينسَحبُ هو من تلقاءِ نفسِه.

كانَ مُجتمَعَ مُساواة. ثمّةَ بالطبعِ رئيسٌ غيرَ أنّهُ لا يكونُ كذلكَ إلا إذا تبعَهُ الناسُ بشكلٍ تلقائيّ. فإذن تبوّء منصِب القيادةِ هي مسألَةُ ثقة. والقرارُ الذي يُتّخذُ في *pow-wow* لا يُلزم على الطّاعةِ إلّا الأشخاص الذين صوّتوا لهذا القرار. وبمقاربتنا الأمر، عندنا، يكون الأشخاص الذين وجدوا بأنّ قانوناً ما عادل هُم فقط منْ يعملُ على تطبيقه!

حتّى في أَوجِ مجدِهم، لم يكن لدَى الهُنودِ الحُمْر أبداً جيشٌ احترافيّ. وعندما يقتَضِي الأمرُ يُشاركُ الجميعُ في المعركَةِ، غير أنّ المُحاربَ قبل أيّ اعتبار معتَرفٌ به اجتماعياً بوصفِهِ صيّاداً ومُزارعاً وربَّ أُسرة.

في النظامِ الهنديّ، أيّ حياة، مهما كانَ شكْلُها تستحقُّ الاحترام. لذلك احترَمُوا حياةَ أعدائِهم حتّى يفعل هؤلاء الشّيءَ ذاتهُ. هناكَ دوماً فِكرةُ المُعاملَةِ بالمِثل: لا نفْعَل للآخرين ما لا نُريدُ أنْ يفعلُوهُ بنا.

اعتُبِرَت الحَربُ لُعبَة حيثُ كان على المرء إظهار شجاعته. ما مِنْ رغبةٍ في تحطيمِ جسدِ الخَصم. أَحَدُ أهدافِ قِتالِ المُحارِبِ على وجهِ الخصُوص لمْسُ العدوّ برأسِ عصَاتِه المُستَديرِ. يُعدُّ ذلكَ شرفاً أقوى من قتلِه. وتُحسبُ «لمسَة». يتوقّفُ القتالُ ما إنْ يُسالَ دم. نادراً ما كان يسقُطُ قتلَى.

الهدَفُ الأساسِيُّ للحرُوبِ بينَ الهنودِ هو سَرقةُ خيولِ العدوّ. ثقافياً، كانَ يصعُبُ عليهم فهمُ الحَربِ الشّامِلةِ التي يُمارسها الأوروبيّون. فوجئوا للغايةِ عندما رأوا أنَّ البيضَ يقتلُونَ الجميع، بمن فيهم الشيوخ والنساء والأطفال. بالنسبة لهم لم يكن الأمر مريعاً فقط، وإنّما أيضاً غيرُ معقُولٍ وغيرُ منطقيّ وغيرُ مفهُوم. ومع ذلكَ قاومَ هنودُ أميركا الشمالية لزمنٍ طويلٍ نسبياً.

لقد كانَ مِنَ الأَسْهلِ الهجُومُ على مُجتمَعاتِ أميركا الجنوبية. إذْ كان يكفي قطْعُ الرأس الملَكي حتّى ينهار المُجتمع بأَسْره. هنا يكمُنُ الضّعفُ الكبيرُ في أنظمة التسلسُلِ الهرميّ والإدارةِ المركزيّة. نُمسِكُهم عن طريقِ ملكهم. أمّا في أمريكا الشّماليّة، فبُنيةُ المُجتَمعِ أكثر تشَظٍّ. لقد تعامَل رُعاةُ

البقَرِ مع مئاتٍ مِنَ القبائِلِ المُهاجِرة. لم يكن ثمّةَ ملِكٌ أعلَى مُقيم، بل مِئات من القادة المُتحرّكين. فإنْ تمكّنَ البيضُ من إخضاعِ أو تدمير قبيلة مِنْ مِئةٍ وخمسين شخصاً، توجّبَ عليهم مِنْ جديدٍ مُهاجمة قبيلَةٍ ثانيةٍ مِنْ مئةٍ وخمسينَ شخصاً.

ومع ذلكَ حدَثَت معجزَرة هائِلة. في سنة 1492، بلغت أعدادُ الهنودِ الحُمرِ عشرة ملايين. وفي سنةِ 1890، لم يتبقَّ منهم سوى مئةٍ وخمسينَ ألفاً، معظمهم في حالةِ احتِضارٍ جرّاء الأمراضِ التي جلَبَها الغربيّونَ.

شَهِدت معركةُ ليتل بيغ هورن في 25 حزيران 1876، أكبرُ تجمّعٍ للهنُود: مِنْ عشرةٍ إلى اثني عشر ألفِ هنديّ، لا يتَجاوزُ عددُ المُحاربينَ مِنهُم ثلاثة آلافٍ إلى أربعة. سحَقَ جيشُ الهنودِ الحُمْرِ جيشَ الجِنرال كاستَر. إلّا أنّ إطعَامَ هذا العدَدِ من الناس في بقعةٍ صغيرة أمر بالغُ الصعُوبة. فإذن، تفرّقَ الهنُودُ بعدَ الانتِصَار. واعتبروا أنّهُ بعدَ الذلّ الذي تعرّضَ له البيض، لن يجرؤوا أبداً على عدَمِ احترامِهم.

في الواقع، لقد هُزِمَت القبائِلُ واحدةً تلو الأُخرى. حاولَت الحكُومةُ الأمريكيّةُ حتّى سنة 1900 تدمِيرهُم. واعتقدَت، بعدَ سنة 1900، أنَّ الهنود الحُمْرَ سوفَ يندَمجُونَ في بوتقةِ الانْصِهار ***melting-pot*** مثلَ السّودِ والتشيكانوس والأيرلنديّين والإيطاليّين.

غير أنَّ هذه الرؤيَةَ كانت قاصِرة. إذْ لم يرَ الهنُودُ الحُمْر قطّ ما يُمكنُ أنْ يتعلّمُوهُ من النظامِ الاجتماعيّ والسياسيّ الغربيّ الذي اعتبروه صراحةً أقلَّ تطوراً مِنْ نِظَامِهم.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

119. ثمّةَ ما يتقمَّر

بمجرّدِ ما إنْ يغدُو ضوءُ الشمسِ في الخارجِ أقوى من ضوءِ الجمرة في الداخل، تتجمّعُ النمالُ على الضفّة، ثم يمضينَ نحو أراضِي الغربِ البعيدَة. لَسْنَ أكثرَ من مئةِ نملةٍ إلّا أنّهنَّ يشعرنَ أنْ بوسعهنّ معاً، تغييرُ العالَم.

تُدركُ الأميرة 103 بأنّها بعد أنْ أطلَقَتْ حملةً من الغربِ إلى الشّرقِ لتكتشِفَ بلادَ **الأصابع** الغامِضَة، الآن تُجهّزُ حملةً أُخرى بالاتّجاهِ المُعاكسِ لتشرَحَ للآخرين بلاد **الأصَابع** الغامِضةِ تلك وعلى هذا النحو تُحرّض حضارتها على التطوّر.

يعبّرُ مَثَلٌ نمليّ قديمٌ عن ذلكَ جيّداً: *كلّ ما يمضِي في اتّجاه يعودُ في الاتّجاهِ المُعاكِس*.

ربّما لن يكون بوسْعِ **الأصابع** فهمُ مقولةٍ كهذهِ وتقولُ الأميرةُ 103 في سرّها بأنّه على الرغمِ مِنْ كلّ شيءٍ للنمل ثقافَةٌ خاصّة به.

تجتازُ الكتيبةُ السّهولَ النّتِنة حيثُ تهطِلُ الثمارُ المُجنّحة، ثمارُ المرّان والدّردار، إنّها بمثابةِ صُخورٍ تهوي من السّماء. تعبرُ غاباتٍ من السرخسِ البنيّ الذي يغزُو المِنطقةَ برمّتها. الندى يجلدُ النّمالَ ويُسبِلُ قرونهنّ اللزجةَ على وجناتهنّ.

يبذُلُ الجميعُ قُصارى جهدِهِ لإنقاذِ الجمْرِ عبرَ تظليلِه بالأوراق. الأمير 24 فقَط، الرافِض بأنْ يقعَ كما الآخرين في تَبجيلِ عالَمِ **الأصابع**، يبقَى مُحايداً، باذِلاً ما يستطيع ليظلّ في وئام مع عالـمِهِ الوحيد.

بزَغَ الصّبحُ، مُحمّلاً بحرارةٍ خانِقة. ولمّا تبلغُ موجَةُ الحرّ أوجَها يأوينَ إلى أرومةٍ مُجوّفةٍ حامياتٍ أنفسهنّ.

تُحرِقُ فنيّاتُ النارِ شيئاً مُفرِطَ القذَارةِ تنبعثُ مِنهُ رائِحةٌ كريهَة تعبَقُ سريعاً في الجوار. تستَفسِرُ دعسُوقة عن ذلك فيخبرنها بأنّه خنفس. وبما أنّها خنفساء، لا تُلحّ على معرفةِ التفاصِيل، ولإزالةِ توتّرها، تمضِي وتلتَهِمُ بضعةَ قُطعانِ أرْقَةٍ ترعَى في الجوار.

من جهتها، تَبدأُ الرّقمُ 7 لوحةً جداريّة كبيرة بالحجمِ الطبيعيّ تريدُ أنْ تُجسّدَ فيها موكِبَ «ثورة **الأصابع**». ومن أجلِ أنْ تُحاكي الهيئةَ الصّحيحةَ لكلّ حشَرة، تطلُبُ منهنّ اتخاذَ وضعيّةٍ أمامَ النارِ ثمّ عِندئذ ترسُمُ ظلالهنّ على ورَقتها. مُشكلتُها، عدَمُ الثباتِ الجيّدِ للأصباغ. هناكَ مُجازفَةٌ بأنْ تُمحَى اللّوحة بينَ لحظَةٍ وأُخرى. تُساعِدُ نفسَها باللّعابِ لكنّه لا يفعلُ أكثر من تمدِيدِ الأَصبِغَة. ينبغي البحثُ عن شيءٍ آخر.

تلمَحُ الرقم 7 بزّاقاً فتقتلُهُ دونَ اكتراثٍ باسْمِ الفنّ. تُجربُ بُصَاق البزّاق.

المفعُول الذي تحصَلُ عليه أفضَلُ بكثيرٍ من مفعولِ اللّعابِ. بُصَاقُ البزّاق لا يُمدّدُ الأصْبِغةَ وإنّما يُثبّتها وهو يَجفّ. إنّهُ طِلاءُ لكَ مُمتاز.

تأتي الأميرة 103 لترى وتؤكّد، أجل، هذا هو الفنّ. إنّها الآن تتذكّرهُ جيّداً، الفنّ هو إنتَاجُ رسُومٍ وأشياءَ ليسَ لها نَفْع، ولكنّها تشبهُ ما هو موجُود.

الفنّ هو مُحاولةُ مُحاكاةِ الطّبيعة، لخَّصَت الرّقم 7 في حَالةِ إلهامٍ لا تَنفكُّ تزدَاد.

توصّلَت النّمالُ للتوّ إلى حلّ أوّل ألغازِ **الأصَابع**. يبقَى أمامهنَّ اكتشَافُ «الفكاهة» و «الحبّ».

تؤخَذُ الجنديّةُ 7 بنشوةٍ تُحفّزها على الاستغراقِ أعمق في عملِها. الرائِعُ في الفنّ، كلّما حدَثَ اكتشاف، تظهَرُ مشكلات جديدة مثيرة للاهتِمام.

تتسَاءلُ الرقم 7 كيفَ يُمكنُ نقلُ البُعدِ الثالثِ للأراضِي التي مرّوا بها بأمانَة. تتسَاءلُ أيضاً كيفَ تُثبّت في لوحتها الديكورات النباتيّةِ المُحيطَة بهم.

ينصِتُ الأميرُ 24 والرّقم 10 إلى الأميرة 103 تكلّمهما عنِ **الأصَابع**.

حواجب:

*لدى **الأصَابع** شَيءٌ عمليّ جدّاً على مقرُبَةٍ من العيُون، الحواجِب.*

هو خطّ من الشُّعيرات يرتفعُ فوقَ العين يمنَعُ قطَراتِ المطَر عنها.

وإنْ لم يكفِي ذلكَ فلَديهم شيءٌ آخَر: التجويفُ العينيّ الغائِرُ قليلاً عن مستوى الجمْجُمة، ما يؤدي إلى تساقُطِ الماءِ حولَ العينِ وليسَ داخِلها.

تدوّن الرّقم 10 المُلاحظَات.

ولكنّ الرقم 103 التي راقبت **الأصَابع** جيّداً تُردِفُ بأنَّ هذا ليسَ كلّ شيء.

دُمُوع:

*لدى عيونِ **الأصَابع** دمُوع أيضاً.*

إنّه نِظَامُ حقن لُعاب عينيّ يسمَحُ لهم بترطيبها وغسلِها في آنٍ معاً.

وبفضلِ الجفون، التي هي نوع من ستائرَ مُتحرّكةٍ تُسدَلُ كلّ خمسِ ثوان، عيونُهم مُغطّاةٌ دوماً بطَبقةٍ رقيقةٍ مِنْ مُزلّقٍ شفاف يحميها من الغُبارِ والهواءِ والمطَرِ والبَرد.

الأمرُ الذي يجعلُ عيونَ الأصَابع نظيفة دائِماً دونَما حاجةٍ إلى فَركِهما أو لَعقِهِما.

تُحاولُ النّمالُ تخيّلَ عيُون الأصَابعِ المُفرطَةَ التعقيد. إذْ ثمّةَ صُعوبة في تصوّرِ عُضْوٍ مُركّبٍ إلى هذا الحدّ.

120. دَعِ الأمرَ يتعفّن

عيونٌ مفتوحَة إلى أقصَاها، سنتيا لينار وابنتها مارغريت جالِسَتانِ تُشاهِدان التلفزيون. في ذلكَ المسَاء كانت سنتيا مَنْ يُمسِكُ جهازَ التحكّم، مُتنقلَةً بينَ القنواتِ بسرعةٍ أقلّ من مارغريت، وعلى الأرجَحِ لأنَّ هناكَ أشياءَ أكثرَ تهمُّها.

قناة 45. أخْبار. ابتكرَ أخَوانِ توأم لغةً خاصّة بهما رفضاً منهما للّغةِ الرسميّةِ التي تُدرّسُ في المَدارِس. لذا قرّرت الإدارةُ تفريقهما ليتعلّما الفرنسيّة. تُبدي جمعيّة طبّ الأطفالِ اسْتياءها من وزارةِ التربيةِ التي لم تترُك لها الوقتَ لدراسَةِ هذهِ اللغة العفويّة التي تُتيحُ للأخوين التعبيرَ عن الأشياء على نحوٍ مُختلِف.

قناة 673. إعلان. «تناولوا اللّبن الرائِب! تناولوا اللبَن الرائِب! **تناولوا اللّبَنَ الرّائِب!**»

قناة 345. دُعابةُ اليوم: إنّها قصّةُ الفيلِ الذي يخرُجُ من البركَةِ بالمايو و ...

قناة 678. أحدَاثُ اليوم. فرنسا. سياسة: أعلَنت الحكومَةُ بأنَّ البطالَةَ قضيّة وطنيّة غايةٌ في الأهميّةِ وستجعَلُ من مُحاربةِ هذهِ الكارثة هدفَها الأوّل. أحدَاثٌ خارجيّة: مُظاهرةُ التيبت ضِدَّ الاستغلالِ الصينيّ. جنُودُ بكين أبرَحوا المُتظاهرين السّلميّينَ ضرباً وأجبروا شخصيّاتِ اللاما على ذَبْحِ حيواناتِ

لكي يُلطِّخوا كارماهم. وتُذكّر مُنظّمةُ العفوِ الدوليّ بأنَّ بكين نجحَت، لفرطِ ما اقترَفَت مِن مذابح بحقّ شَعبِ التيبت، بأنْ يغدُو عددُ الصينيّينَ الآن في التيبت أكثر من التيبتيّين.

قناة 622. ترفيه. «فخّ للتفكير»: (هل سَتُفلِحينَ في أنْ تُشكّلي، بستّةِ أعواد ثِقاب، ثمانيةَ مُثلّثاتٍ مُتساويةَ الأضْلاع؟ أُذكّرك، مدام راميريز، بالعِبارةِ التي تهدُفُ إلى مُساعدتك: «يكفي التفكير»).

بعدَ أنْ اختَزنُوا نحوَ مئَةِ معلُومةٍ غير مُكتملةٍ ومُجزّأة، جلسَ مكسيميليان وعائِلتُهُ إلى المائِدة. في قائِمةِ ذلكَ المسَاء، كانَ ثمّةَ فطائر البيتزا المُجمَّدة، فتائلُ سمَكِ القدّ مع الكرّاث والتحليةُ عُبوات لبنٍ رائِبٍ بنكهاتٍ مُختلِفة.

غادرَ مكسيميليان المائدةَ فجأةً تاركاً زوجةً وابنة أمامَ عُبواتِهما الصّغيرة، مُعلناً أنَّ لديهِ عمَلاً وأغلَقَ على نفسِهِ داخلَ مكتَبه.

اقترَحَ عليهِ ماك يافيل بأنْ يبدَأ جَولةً جديدةً من *ارْتِقاء*. أنشأ المُفوّض، وفي مُتناولِ يدِهِ عبوة بيرة بارِدَة، حضَارةً من نَمُوذجٍ سلافي وقادَها حتّى سنة 1800، بلا مشكلات تُذكَر. ولكن في سنة 1870 هزمَهُ الجيشُ اليونانيُّ جرّاءَ فَرْطِ تأخرهِ في إنْشَاء مُدنٍ مُحصَّنة، إضافةً إلى أنَّ الروحَ المعنويّةَ لشعبِهِ كانت في الحَضِيض أمامَ الترَدّي الناجِم عن فسَادِ إدارتِه.

لفَتَ ماك يافيل انتباهَهُ إلى وجُودِ خطَرِ حدُوثِ اضْطِرابات. كان أمامه خَيارٌ من اثْنَين، إمّا أنْ يُرسِلَ الشّرطَةَ لقمْعِ المُتمرّدينَ أو يزيدَ العرُوضَ الكوميديّة ليستَرخي شَعبُهُ ويُزيلَ عنهُ التوتّرات. دوّنَ مكسيميليان على دفترِ اللّعبِ بأنَّ بوسْعِ الكوميديّين مدّ يد العَونِ لإنقاذِ حضَارةٍ في خطَر. وحتّى أنّه أضَاف: «لا يقتَصِرُ مفعولُ الفكاهةِ والدّعاباتِ على العِلاج في المدَى القصيرِ وإنّما أيضاً على إنقاذِ حضَاراتٍ بأكملِها». وشعَرَ بالأسفِ لعدَمِ تدوينِ دُعَابةِ اليوم عن الفيلِ في مايو السِّباحَة.

غيرَ أنَّ الحاسُوبَ قدْ أوضَحَ بأنَّ الكوميديّين إنْ استطاعوا رفْعَ الرّوحِ المعنويّةِ للأهالي المُحبَطينَ، فإنّهم في المُقابِل يُذْهِبونَ مهابَةَ حُكّامِهم. إذْ إنَّ أكثر ما يُمتّع الشّعب، هو السخريةُ من السُّلطَةِ الحاكِمَة.

دوّنَ مكسِيميليان ذلكَ أيضاً.

أشارَ لَهُ ماك يافيل أيضاً، مُجرياً تقييماً للجَولة، بأنَّ منَ الضّروريّ عليهِ تعلُّمُ مُحاصَرة الحصُونِ العدوَّة. فدُوْنَ الاسْتِعانةِ بالمَجانيقِ أو المُصفّحاتِ سوف يخسَرُ الكثيرَ منَ الرّجالِ أثناءَ الإغارةِ على الأَسْوار.

– تبدو لي مشغولَ البالِ، بثَّ الحَاسُوب. أما زلتَ مهمُوماً بمُشكلَةِ الهرمِ في الغَابة؟

كالعَادَة، دُهِشَ مكسيميليان بمواهِبِ هذهِ الآلة، القادِرة على لَعِبِ دورِ مُحاورٍ حقيقيّ بمُجرّدِ وصْلِ جُملٍ ببعضِها.

– لا، هذِهِ المرّة، ما يشْغَلُ بالي هو شَغَب في إحدَى الثانويّات. أجابَ، عفوَ الخَاطِرِ تقريباً.

– أَتُريدُ مُحادَثتي بالأمر؟ سألَت عينُ ماك يافيل التي شغلَت كامِلَ الشّاشةِ لتُظهرَ حُسْنَ إصْغائِها.

حكَّ مكسِيميليان ذقنَهُ سَاهِماً.

– الطريفُ في الأمر أنّها المرّةُ الأولَى التي تتطابَقُ فيها مشكلاتي في الواقعِ مع مشكلاتي في لُعبَةِ *ارتقاء*: حِصَارُ القِلَاع.

قدّمَ مكسيميليان وصفاً لأعدائِهِ في الثانويّةِ والحاسُوبُ اقترَحَ أنْ يُجري معَهُ أبحَاثاً في تاريخِ الحِصَارِ للحصُونِ في العصُورِ الوسطَى. بمُساعَدةِ المُودِمِ، وصلَتِ الآلةُ نفسَها إلى شبكَةِ موسُوعاتٍ تاريخيّةٍ والتي أرسلَت لهُ بدَورِها صُوراً ونصُوصَاً.

بدهشَةٍ كبيرةٍ اكتشَفَ مكسيميليان بأنَّ حِصَارَ القِلاعِ يتطلَّبُ استراتيجيّاتٍ أكثرَ تعقيداً ممّا يُمكنُ تخيّلهُ أثناءَ مُشاهدَةِ الأفلَامِ الحافِلَةِ بالمكَائِد. لقد بحثَ كلّ قائِدٍ منذُ العصرِ الرومانيّ عن أفكارٍ ليقتَحِمَ أسوارَ المُدنِ والحصُونِ. على هذا النّحوِ عَرِفَ بأنَّ دورَ المجانيقِ لمْ يكن مُقتصِراً على إطلاقِ القذائِف. فأضرارها محدُودَةٌ جدّاً. أبداً، فهدفُ المجانيقِ الأساسِيّ إحبَاطُ معنويّاتِ المُحَاصَرين. كان يقذِفُ المُحاصِرون إليهم براميلَ قيءٍ وبرازٍ وبول، يُلقونَ عليهم رهائنَ أحيَاء، كانوا يستخدِمونَ السّلاحَ الجرثوميّ بإرسَالِ جثَثِ حيواناتٍ نافِقة جرّاء الطّاعونِ إلى نُقاطِ الماء.

وعلاوةً على ذلك كانَ المُحاصِرون يحفرُونَ أنفاقاً تحتَ جُدرانِ

الأَسْوار، ويودِعونَ فيها الخشَب ويملؤونها بحزمِ الحطَب. وفي لحظَةٍ مُحدّدةٍ، يُلهبونَ فيها النار فتنهارُ الأنفاقُ وفي الوقتِ عينه تَخسِفُ الأسْوار. عندئذ لا يتبقّى سوى الهجُومِ مُنتهزينَ عُنصُرَ المُفاجأة.

كان يستخدِمُ المُحاصِرونَ أيضاً كراتٍ حديديّةٍ مُحمّاة، من هنا أتَت عِبارةُ «الرّمِي بكُراتٍ حَمْراء[1]». لم تكن الأضْرارُ بالِغة ولكن يسْهُلُ تخيّلُ مخاوفِ السكّانِ المُرتَعبينَ في كلّ لحظَةٍ مِنْ أنْ تنزلَ كُرة حديديّة مُلتهبة من السّماءِ على رؤوسِهم.

كان مكسِيميليان يتَابع، مُنذَهلاً، الصّورَ المُتعاقبة على شَاشتِه. ثمّةَ ألفُ تِقنيّةِ حِصَار. وعليه أنْ يبتكِرَ تِقنيّة مُلائِمةً لأخذِ ثانويّةٍ من الأسمنت مُربّعة الشكل، تنتَمِي إلى عصْرنا.

رنَّ الهاتِفُ. أرادَ المُحافِظُ معرِفةَ آخرِ أخبارِ الشّغَب. أبلَغَهُ المُفوّضُ لينار بأنَّ المُتظَاهرينَ مُحاصَرينَ داخِلَ الثانويّة، تُحيطُ بهم الشّرطَة، وما مِن أحدٍ يستَطيعُ الدّخولَ إليها أو الخرُوجَ مِنها.

هنّأَهُ المُحافِظ. فَأشَدُّ ما خَشيهُ هو أنْ تنتشِرَ هذه المزْحَة. النقطَةُ الجوهَريّةُ هي منْعُ الشغَبِ منَ التضخُّم.

نوّهَ المُفوّضُ لينار عن نيّتِهِ ابتكارَ تِقنيّةِ هجُومٍ لاستِعادةِ الثانويّة.

– إيّاكَ أنْ تفعَل، أجفَلَ المُفوّض. لا تقل لِي أنّكَ تريدُ تحويلَ مُثيري الشّغبِ الصغَارِ أولئكَ إلى شُهَداء؟

– لكنّهم يتكلّمونَ عن قلبِ العالَم رأساً على عقِب، عن إشْعَالِ ثَورَة. أهلُ الحيّ يسمَعونَ الكلماتِ التي تُلقِيها الباسيوناريا زَعيمَتُهم ويشعُرونَ بالقلَق. لدينا شِكَايات رسْميّة. زيادةً عن ذلك، أجهزَتُهم الصوتيّةُ تمنَعُ الناسَ، ليلاً ونهاراً، مِنَ النّومِ...

أصرَّ المُحافِظ على نظريّتِهِ «تَركُ الأمر يتَعفّنُ».

– لا تبقى أيُّ مُشكلَةٍ دونَ حلّ إنْ طُبّقَ هذا الأسلُوب: عَدمُ الاتيانِ بأيّ فعلٍ وتركُ الأمر يتَعفّنُ.

1- ترجمة للعبارة الفرنسيّة الشائعة «tirer à boulets rouges» والتي تُستخدم مجازاً لوصف هجوم عنيف على أحَد.

بحسْبِهِ، العَبقريّةُ الفرنسيَّةُ بكَامِلِها ماثِلةٌ في هذهِ العِبارة: «تَرْكُ الأمرِ يَتَعفَّنُ». بتركِ عصيرِ العِنبِ يتخمّر نتحصّلُ على أجوَدِ أنواعِ الأنبِذَة. بتركِ الحليبِ يتعفّن نُنْتِجُ أَجوَدَ الأجبَان. حتّى الخُبز هو مزيجٌ مِنَ الطّحينِ والخَميرَة، أي فِطْريّات.

– دَعِ الأمرَ يتَعفَّنُ، دَعِ الأمرَ يَتعفَّنُ، عزيزي لينار. هؤلاء الأولاد لنْ يصِلُوا إلى شَيءٍ. بالمُناسَبة، جميعُ الثّوراتِ تتَعفَّنُ من تلقاءِ ذاتِها. الزّمَنُ أسوأُ عَدوّ لها، يُخمّر كلّ شيء.

نوّهَ المُحافِظُ بأنَّهُ في كلّ مرّةٍ يُرسِلُ فيها لينار رِجَالهُ للهجومِ كانَ يُعيدُ اللُّحْمَةَ إلى صُفوفِ المُحاصَرين ويَجعلُهُم أشدَّ ترابُطاً. فليدَعهُم بسَلامٍ ولسوفَ ينتَهي بهم الأمْرُ إلى تَمْزِيقِ بعضِهم بعضَاً مثلَ قطيعِ جُرذانٍ مُقفلٍ عليهِ داخلَ صندُوق.

– أتعلَمُ، عزيزي مكسيميليان، العَيشُ في مُجتَمعٍ أَمرٌ بالِغُ المَشقّة. أنْ يعيشَ أكثرُ مِنْ شخصٍ في شِقّةٍ، فهذا تَحدّ كبير. هل تعرِفُ، أنتَ، الكثيرَ من الأزواجِ الذينَ لا يتشَاجَرونَ؟ فتخيّل إذن خمسُمائةَ شخصٍ يعيشُونَ في ثانويّةٍ مُغلَقةٍ! لا بدَّ أنّهم بدأوا مِنذُ الآن يتشَاجَرونَ حولَ قِصصٍ من قبيلِ تسْريبٍ في صنْبورِ ماء، أغراض مسرُوقَة، تلفزيون عاطل أو أشخاص يدخّنونَ بالقُربِ من آخرينَ لا يَحتَمِلونَ الدخَّان. يصعُبُ العيشُ ضِمنَ جمَاعَة. صدّقني، عمّا قريب سيحلُّ الجَحِيمُ هناكَ في الداخِل.

121. اللّحظَةُ التي لا تَحتَمِلُ الخَطأَ

ذهبَت جولي إلى قاعَةِ عِلم الأحيَاء وكسَرت القواريرَ كافّة. حرّرتِ الفئرانَ البيضَ التي تُستَخدَمُ للاختِبار. حرّرتِ الضفادِعَ وحتّى دِيدانَ الأرضِ.

جَرحَت شظيّةُ زُجاجٍ ساعِدَها فراحَت تَمصُّ قطرات الدّمِ التي سالَتْ على بشْرَتها. ثمّ مضَتْ إلى قاعةِ الحِصَصِ حيثُ مُعلّمُ التاريخ قَدْ تحدّاها بأَنْ تبتَدِعَ ثورةً بلا عُنفٍ بوسْعِها تغييرُ العالَمِ.

وهي بمُفرَدِها في الصفّ الخَالِي، تصفَّحَت موسُوعَة *العلم النسبيّ*

والمُطلقِ، باحثةً عن مقاطِعَ تتناولُ الثورات. وثمّةَ جُملَة مِنْ درسِ التاريخِ تضجُّ في رأسِها: «مَنْ لم يَفهَموا أخطَاءَ الماضِي محكُومُونَ بالوقُوعِ فيها».

قلّبت صفَحاتِ الكتابِ باحِثةً عن جميعِ التجَاربِ المُمكنة. يجبُ أنْ تعرِفَ كيفَ تدبَّر الآخرون أمرَهُم وعندَ أيّ لحظةٍ أفلتَ الأمرُ مِنْ يدِهم، وتجعلِ ثورتَها تَستَفيدُ مِن ذلك. يجبُ أن تنتَفعَ مِنْ أخطَاءِ هؤلاء الطوباويّين السّابقينَ ومُبادراتِهم كي لا تكونَ حياتهُم قد ذهبت سُدَىً.

التهمَت جولي بنَهمٍ تاريخَ الثوراتِ المَعرُوفةِ وغير المعرُوفةِ التي بدا أنَّ إدمون ويلز استمتَعَ بمكرٍ في إدْراجِها ضِمنَ قائِمة: ثورةُ تشنغدو، حملَةُ الأطفال... والأكثرُ نُضجاً، ثورَةُ الآميش في راينلاند وثورَةُ الآذان الطويلة في جزيرةِ القيامَة.

الثورةُ - في المُحصّلة - مادّةٌ بينَ موادَّ أخرى، مادّة غيرُ مُدرَجةٍ في برنامج البكالوريا، غيرَ أنّها شدِيدَةُ الإثارةِ ويُمكنُ أن تُدرّس على أنّهَا كذلك.

أرادَت أنْ تُسجّلَ مُلاحظات. فهناكَ، في نهايةِ الكتابِ، صفَحَات بيضاء كُتب على رأسِها: «دوّنوا هنا اكتشافاتكم». فكّر إدمون ويلز بكلّ شيء. لقد أنجزَ كتاباً تفاعليّاً حقيقيّاً. تقرؤونهُ، ثمّ تكتُبونَ فيهِ. هي التي أَجلّت الكتابَ إلى حدّ تهيّبت معه، حتّى اللّحظَة، أنْ تخُطّ أيّ شيء فيه، أجازَت لنفسِها أنْ تكتُبَ في الموسُوعةِ بقلَمها: «مُسَاهَمةُ جولي بانسون. كيفيّةُ نجاحِ ثورَة عمليّاً. مقطَع رقَم 1 أُلحِقَ وفقاً لتجربَةِ ثانويّةِ فونتينبلو».

دوّنَت الدّروسَ التي اسْتخلصتَها مِنْ تجرُبَتها في الثانويّةِ وآرائِها من أجلِ المُستَقبل:

قاعِدة ثوريّة رقَم 1: حفلاتُ الرّوك تُصْدرُ مِنَ الطاقةِ وتولّدُ من التعَاطُفِ ما يكفي لاسْتثارةِ حركاتٍ ثوريّة لحَشد.

قاعِدة ثوريّة رقَم 2: لا يكفِي شخصٌ واحد لقيادةِ حَشْد. وبالتالي ينبغي ألّا يكونَ على رأسِ ثورةٍ شخصٌ واحدٌ وإنّما ثمانيةُ أشخاصٍ أو سَبْعةٌ في الحدّ الأدنَى. ولو من أجلِ أخذِ الوقتِ فقَط للتفكيرِ والاسْتراحَة.

قاعِدة ثوريّة رقَم 3: يُمكنُ قيادةُ حشْدٍ مُختلِط بتقسِيمهِ إلى مجمُوعَاتٍ مُتحرّكة على رأسِ كلّ منها قائد لديهِ وسائِلُ اتّصَالٍ سريعةٍ مع باقي القادَة.

قاعِدة ثوريّة رقَم 4: الثورةُ الناجِحَةُ تصنَعُ حسّاداً بلا ريب. ومهما كانَ الثّمنُ لا ينبغي أنْ تُفلِتَ الثّورةُ من يدي صُنَّاعِها. حتّى ولو هناكَ جهل بماهيّةِ الثورَة بالضّبطِ، ينبغي على نحوٍ حاسِم معرِفةُ ما لا يمتُّ للثورة. ثَورتُنا ليسَت عنيفَة. ثَورتُنا ليسَت عقائديّة. ثَورتُنا لا تمتُّ بصِلةٍ لأيّة ثورةٍ قديمَة.

هل هي على يَقينٍ منْ ذلكَ حقّاً؟ شطَبت الجُملةَ الأخيرَةَ. فهي لا ترفُضُ وجوُدَ صِلةٍ مع ثورةٍ قديمة ولكن شريطَةَ أنْ تِجدَ ثورةً وادِعَة. ولكن هل وُجِدَ في الماضِي ثَورات «وادِعَة»؟

فتحَت مجدّداً الموسُوعة من أوّلها. لم تُظهِر التلميذةُ يوماً هذا القدْرَ من الاجتهادِ. لقد حفظت عن ظهر قلبٍ مقاطِع بأكملها. درسَت ثورة السبارتاكيون، كومونة باريس، ثورة زاباتا في المكسيك، ثورتا 1789 في فرنسا و1917 في روسيا، ثورة السيبوي في الهند...

هناكَ ثوابِت. في بداية الثورات عُموماً، تسُودُ مشاعرٌ طَيبة. فيما بعد، يظهرُ مُتحَاذِق ينتهِزُ الفوضَى العامّةَ للهيمنةِ على اندفاع الجُمُوع ويرسّخُ استِبدَاده. أمّا الطوباويّونَ فيُذبَحونَ في مجرى الأحداث ويُستَخدَمونَ بوصْفِهم شُهداء لتمهِيدِ الطّريقِ أمامَ المُتحَاذِقين.

قُتِلَ تشي غيفارا، بينما حكَمَ فيدل كاسترو. قُتِلَ ليون تروتسكي، مُؤسّسُ الجيش الأحمر، وجوزيف ستالين تربّعَ على الحُكم. قُتِلَ دانتون وحَكَم روبسبير.

دارَ في خَلَد جولي أنّ لا أخلاقَ في العالَم، ولا حتّى في عالَم الثورات. قرأَت بعضَ مقاطِعَ أُخرى وفكّرت، إنْ كانَ ثمّةَ إله، فلا بدّ أنّه يُكِنُّ للإنسان احتراماً جمّاً ليتركَ لهُ كلّ هذا القدْرِ من حريّةِ الإرادة ويسمح له بأنْ يقترِفَ كلّ هذه المظَالِم.

ثورتُها، إلى اللّحظة، جوهَرةٌ جميلة جديدَة وينبغي المُحافَظةَ عليها منَ المُفتَرِسين، في الخارجِ والدّاخل. لقد أبعدَتْ مُحاولِي الهيمنَة من اليوم الأوّل غير أنّها تعرِفُ أنّه يُمكنُ، بينَ اللحظةِ والأخرى، أنْ يظهرَ آخرون. كان ينبغي إظهارُ الحزمِ قبلَ أنْ يسمَحَ المرءُ لنفسِهِ بترَفِ اللّطف. توصّلَت، متنقلةً مِنَ استنتاجٍ إلى استنتاجٍ، إلى المُحصّلَةِ الصّعبةِ بأنّ الدولَ غير المُستقرّةِ لا

تسمَحُ لنفسها التمتّع بالمُمارسَةِ الدّيموقراطيّة. من الواجبِ إظهارُ القوّة، حتّى لو أُرخِي الزّمامُ لاحقاً، وشيئاً فشيئاً تتعلّمُ الجماعةُ إدارةَ نفسها بنفسها.

دخلَت زويه إلى قاعةِ التاريخ. جالبةً معها بنطال جينز، وكنزةً وقميصاً أَزْرَقين.

- لا تستطيعين مواصَلَة التجوّلِ بفُستانكِ الفراشَة.

شكرَت زويه، وأخذَت الأغراض، أطبقَت تلكَ الموسُوعةِ التي لا تُفارِقها ومضَت إلى مقصُوراتِ الاستِحمامِ التابعةِ للمهاجِع. تحتَ الماءِ السّاخنِ، فركَتْ جسَدها بصابونةٍ قاسية، كأنّها أرادت سلخَ جِلْدِها القديم.

122. في مُنتَصَفِ السَّردِ

انْعكاسٌ. جولي بانسون غدَت الآن نظيفَة. لبسَت الملابِسَ التي جلَبتها لها زويه، لونُ الجينزِ كان أزرق، لونُ القميصِ كان أزرق، للمرّة الأولَى في حياتِها لا تَرتَدي الأسودَ.

مسَحَت البُخارَ بيدِها عن مِرآةِ المِغسَلة، وللمرّةِ الأولَى أيضاً، وجدَت نفسَها جميلة. على أيّةِ حالٍ، لا يشكُو جمَالها من شيءٍ. فلديها شَعرٌ أسودَ جميل، وعينان كبيرتانِ بلونٍ رماديّ فاتِح تميلَانِ إلى الزرقَةِ قليلاً وتزيدُ الثيابُ الزّرقاء من إيضاحِها.

تأمّلت نفسَها بالمرآة. فأوحَى لها ذلكَ بفكرة.

قرّبَت موسُوعة *العلم النسبيّ والمُطلق*، المفتُوحَةِ بالكامل، ولاحظَت بأنَّ الموسُوعةَ ليسَت أجزاؤها مُتماثِلة فقط وإنّما تحتَوي على جُملٍ كامِلَة... لا يُمكنُ قِراءتها إلّا عبرَ صُورتِها المُنعكسَةِ على الزُّجَاج!

اللّعبة الثالثة:

ديناري

123. موسُوعة

الأوانُ المُناسِبُ للزراعَة: يجِبُ ألّا نُخطئَ التوقيتَ في عمل أيّ شيء. فالفعلُ قبل المَوعِدِ سَابقٌ لأوانه، وبعدَهُ يكونُ الأوانُ قَد فات. يظهرُ الأمرُ جلياً في حالةِ الخُضار. فإنْ أردنا إنْجاحَ حديقة خُضْرواتٍ منزليّة، يجبُ علينا معرفة الموعِدِ المُلائِمِ للزراعة والحصَاد.

الهِلْيُون: يُزرَع في آذار، ويُحصَد في أيّار.

البَاذِنْجان: يُزرَعُ في آذار (يُعرَّض جيّداً للشمْس). ويُجْنَى في أَيلُول.

الشَّمندَر: يُزرَعُ في آذار. ويُجْنَى في تِشْرين الأوّل.

الجَزر: يُزرَعُ في آذار. ويُجْنَى في تَمّوز.

الخِيار: يُزرَعُ في نَيسَان. ويُجْنَى في أيلُول.

البصَل: يُزرَعُ في أَيلُول. ويُجْنَى في أيّار.

الكُرّاث: يُزرَعُ في أَيلُول. ويُجْنَى في حُزيران.

البطَاطَا: تُزرَعُ في نيْسَان. وتُجْنَى في تَمّوز.

البنَدورَة: تُزرَعُ في آذار. وتُجْنَى في أَيلُول.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

124. دَعِ الأمُورَ في جَرْيها

تَتَقدّم ثورةُ الأصَابعِ زاحِفةً كأفعَى بينَ الغَاباتِ. تَسْتَديرُ حولَ بضْعِ نباتاتِ هِلْيُون برّي. الأميرَةُ 103 على رأسِ المجمُوعَةِ الصّغيرةِ المُتَنافِرة. تتسلّقُ النّمالُ شجرةَ صنوبرٍ كبيرةٍ، إذْ يبدَأُ الطّقسُ يَميلُ إلى البرُودَة، ثمّ يَأوينَ إلى فُتحةٍ في اللّحَاء، جُحْرُ سنجابٍ مَهجُورٌ على الأغلَب.

في هذا الملْجَأ، تستأنِفُ الأميرةُ 103 كلامَها عن الأصَابع. لا تفتأ حِكَاياتُها تغدُو أكثرَ ملحَميّةً. تنصَرِفُ الرّقم 10 إلى تحريرِ فيرومُون ذاكِرةٍ كاملٍ حولَ موضُوعِ اليوم:

فيزيولوجيا إصْبَعيّة

*ليسَت **الأصَابعُ** في الواقعِ سوى نهاياتِ قوائِمهم.*

وبدلَ أنْ يكونَ لديهم، مِثلنا، المِخْلَبان اللّذان تنتهي بهما كلّ رجلٍ منْ أرجُلنا الستّة، فإنّ لديهم رأساً مجسّياً في كلّ نهايةٍ منَ النّهاياتِ الخمْس.

يتمفْصَلُ كلّ إصْبعٍ إلى ثلاثِ قِطَع، ممّا يُتيحُ لها اتّخاذَ أشكالٍ مُختلفةٍ واللّعِبَ مع البقيّة.

*يُمكنُ أنْ يُشكّلَ **إصْبَعان** في وضْعٍ ثنائيٍّ ملْقطاً.*

*ويُمكنُ بتَقبُّضِ **الأصَابع** الخمسَة إلى بعضِها صُنْعَ مِطْرَقة.*

*بضمّ **الأصَابع** على شكلِ حوضٍ يُشكّلونَ إناءً صغيراً تُجمّعُ فيهِ السَّوائِل.*

*وبمدّ **إصْبَعٍ** واحدٍ يحصلونَ على مِهْمَاز ذي نَهايةٍ مُكوّرة بوسْعِهِ سَحقُ أيّ واحِدةٍ منّا.*

*وعندما يمدّونَ **أصَابِعهم** ويرصُّونَها يَحوزونَ على نَصْلٍ.*

***الأصَابعُ** أداةٌ رائِعة.*

***بأصَابِعهم**، يقومُونَ بأشياء خَارقةٍ مثل عقْدِ خُيوطٍ أو قصّ أورَاق.*

***الأصابع**، علاوةً على ذلك، تنتَهي بمَخالِبَ مُسطّحةٍ تسمَحُ لهم بالحَكّ أو القصّ بدقّةٍ عَاليةٍ.*

*وعلى قدْرِ **الأصَابع**، ينبَغي الإعْجَابُ بما يدعُونَهُ «الأقدَام» الخاصّةِ بهم.*

*إذْ تُتيحُ **للأصَابعِ** الوقوفَ بوضعيّةٍ عمُوديّةٍ على القائِمتين الخلفيّتين دونَ أنْ يسقطُوا أرْضاً. أقدامُهُم تُقدّم لَهم التّوازنَ الأفضل على الدّوام.*

بوضْعيّةٍ عَموديّةٍ على القائِمتَين!

تُحاولُ جميع الحشَراتِ الحاضِرةِ تخيّلَ كيفيّةِ السَّيرِ على قائِمتين. صحيحٌ أنْ سبقَ لها رؤيَةُ سناجِب أو خَراذينَ تجلِسُ على رجْليها الخلفيّتين دونَ أنْ تقَع، ولكن ليس إلى حدّ أنْ يكونَ كامل سيرها على رجْلَين...

لا تَنتبهُ الرقم 5 إلى نفسِها إلّا وهي تشرعُ بالسَّيرِ مثلَ **الأصَابعِ** على القائِمتَين الخلفيّتين.

مُتكئةً على جدارٍ مأواهنّ برجليها الوُسطَيَين وبمُسَاعدةِ رجْلَيها الأماميّتين للمُحافَظَةِ على توازُنِها، تنجحُ في البقاءِ نحوَ ثانيتين واقفةً في وضعيّةٍ شبهِ مُنتَصِبة.

ترمُقُ حشَراتُ الزّمْرة جَميعُها المَشْهَدَ.

مِن هُنا في الأعلى أرى إلى مسَافةٍ أبعد قليلاً وألتقطُ أشياءَ أكثر، أعلَنَت.

تُحرّضُ المعلُومَةُ الرقَم 103 على التّفكير. منذُ زمَنٍ طويلٍ والأميرةُ تتسَاءلُ عن سِرّ الفِكرِ الغرائبيّ الإصْبعيّ. تصوّرت لبرهةٍ أنّ مردّه إلى قامَاتِهم المُرتَفعة، غير أنَّ الأشجارَ طَويلَةٌ أيضاً وليسَ لديها لا تلفزيون ولا سيّارة. ثمّ ظنّت أنَّ تشكيلَ أيدِيهم الذي يُتيحُ لهم صُنْعَ أشياءَ مُعقّدة، كان هو الشرارة في انطلاقِ حضارتهم، ولكنَّ السّناجِبَ أيضاً لديها أيدٍ مكتظّةٌ **بالأصَابعِ** ولا يصْنَعونَ بها ما يُثيرُ الاهتِمَامَ حقّاً.

ربّما يُمكنُ ردُّ طريقةِ التفكيرِ الغريبةِ عندَ **الأصَابع** إلى الوقوفِ بتوازنٍ على القائمتينِ الخلفيّتين. بانتِصَابهم على هذا النّحو يُبصِرونَ إلى بعيد. ثمّ تكيّفَ كلّ شيءٍ مع هذا النّحو: العَينَان، الدّمَاغ، أسْلُوبهم في إدارةِ أقالِيمهم وحتّى طُمُوحهم.

بالفعل، على حدّ عِلْمِها، **الأصَابعُ** هم الحَيَواناتُ الوحيدَةُ التي كلُّ سَيرها على القائِمتَينِ الخلفيّتين. حتّى الحَراذينُ لا تَثبتُ أكثر منْ ثوانٍ قليلةٍ في هذه الوَضْعيّةِ غيرِ المُستَقرّة.

وبالتَّالي، تُحاولُ الأميرَةُ 103 بدورِها الوقُوفَ على رِجْليها الخلفيّتين. الأَمرُ شَاقٌّ للغايةِ، تلتَوي مفاصِلُ كواحِلها وتبْيَضُّ تحتَ تأثيرِ الضَّغطِ. تُحاولُ بِضْعَ خطَوات، مُكابرةً على الألَم. تؤلِمُها أرْجُلها بشدّةٍ وتتقوّسُ. تفقدُ الرّقم 103 التّوازنَ وتُكَبُّ للأمَام. تَخْفقُ بأذْرُعها الأربَعِ لتثبّتَ نفسها دونَ جَدْوى ثمّ تَهوي على جَانِبها، وبالكاد تنجَحُ في التّخفيفِ من شدّة الارتِطَام بذراعَيها الأماميّتين.

تتَعهّد لنفسِها ألّا تُعيدَ الكرّة ثانيةً.

تنجَحُ الرقم 5، مُتكئةً على سَاقٍ، في البقاءِ واقفةً لبرهةٍ أطولَ بقليلٍ.

الوقُوفُ على رِجلين، أمرٌ خارقٌ، أعلَنَت على المَلأ قبلَ أنْ تتهاوى بدورِها.

125. في حَالةِ غلَيان

- الوَضْعُ غيرُ مُستقرٍ على الإطْلَاق!

إنّهم مُتّفقون. ينبَغي حالياً تعزيزُ الثورة عبر إشَاعَةِ الانْضِبَاط، وَضْعِ الأهدَاف، والتّنظِيم.

اقترَحَ جي وونغ جَرْد كامِلِ مُحتوياتِ الثانويّة. عدَدُ الشّراشِفِ، أدَوات المائِدَة، كميّة المَؤونة، كلّ شيءٍ كان مهمّاً.

أَحْصَوا عددَهم أولاً. خمسُمائة وواحِدٌ وعشرُونَ شخصاً يحتلّونَ الثانويّة بينما مساكن التلامذة ليسَت مهيّأةً لاستيعابِ أكثر مِنْ مِئتَي تِلْميذ. اقترحَت جولي نصبَ خيمٍ بالشّراشِفِ والمكانِس وسَطَ الأراضِي المُعْشِبة. لحُسْنِ الطالع، هذان الغرَضَانِ متوفّرانِ بكثرة داخِلَ المُنْشأةِ التعليميّة. استلمَ كلٌّ منهم شَراشِفَ ومكانِسَ وشرَعَ في رفْعِ خيمَته. أرشدَهُم ليوبولد إلى نصْبِ خيمٍ من طراز التيبي[1] لقبائلِ النافاخو التي تؤمّنُ داخلَها ارتفاعاً مُلائِماً للسّقفِ وأيضاً تحكّماً بالتّهويةِ بواسِطَةِ كمّ واحدٍ فقَط. وفسّرَ أيضاً أهميّة تشييدِ البيوتِ بشكلٍ دائريّ.

- الأرضُ مُدوّرة. باختيارِ شكلِهَا لمنزلِنا نتواشَجُ معها.

انْغَمسَ الجميعُ في أعمَالِ التّخييطِ واللّصْقِ والرّبْطِ مُستَعيدينَ مَهارةً يدويّة غفِلوا عَنها، إذْ لم يُتَحْ لَهم منْ قبلُ فُرصَةُ القيامِ بحَركَاتٍ دقيقةٍ في عالَمٍ مِنْ «أزْرَارٍ كهْرَبَائيّة».

نصَحَ ليوبولد الشبّانَ الذينَ أرادوا نصْبَ خيمهم على نسقٍ، كما تُنصبُ في المُخيّماتِ عادَةً، بأنْ يضَعُوها على شكلِ دوائِر مُتّحدَةِ المركَز. حيثُ تُشكّلُ جميعها التِفَافاً حَولَ المركزِ مكان النّار والسّاريةِ التي تَخفِقُ فوقها الرّاية وطوطَم نملَةِ البولسترين.

- هكذا، سَيغدُو لقريتنا مركَزُها، وبالنّسبةِ إليهِ سنُحدّدُ موقعَنا بسُهولة، النّارُ بمثَابَةِ الشّمسِ لمَجمُوعَتنا الشّمسيّة.

حَظِيت الفكرةُ بالإعْجَابِ وتبادَرَ الجميعُ إلى نَصْبِ خيمِهم التيبي

1- (Tipi، المسكن باللغة المحكيّة للهنود الحمر): وهي خيم مخروطيّة الشكل.

وفْقَ الطريقةِ التي نصَحَ بها ليوبولد. فنرى في الأرجَاءِ كافّة مَنْ يقُصُّ هنا، ومَنْ يربِطُ المكانِسَ هُناكَ، ومَنْ يستَخدمُ الشّوكَ بمثابةِ أوتادٍ هنالك. بينما راحَ ليوبولد يُدرّبُ على فنّ العُقَدِ لشدّ الأقمِشَة. ومِنْ طيبِ الحَظّ، الفناءُ المَركزيُّ المُعشَوشِب للثانويّةِ واسِعٌ بما يكفي. استقرَّ شَديدُو التأثّرِ بالبردِ على مقرُبةٍ من النّارِ فيما رَغِبَ الآخرُونَ بالتوجّهِ إلى الأطْرَاف.

وُضِعَت مِصْطَبَةٌ على الجانِبِ الأيمنِ منَ الثّانويّة، عبرَ ضَمّ طَاولاتِ المُدرّسينَ إلى بَعْضِها، لتُستَعمل منبراً للكلِماتِ التي ستُلقَى، وبالطّبعِ للحَفَلاتِ أيضاً.

وما إنْ أصبَحَ كلُّ شيءٍ في مكَانِهِ، عادوا للاهتمَامِ بالمُوسِيقى. كانَ ثمّةَ الكثير مِنْ هُواةِ المُوسِيقى ذوي المهارةِ العَالية، المُختصّينَ بأنواعٍ موسيقيّةٍ شتّى، والذينَ راحوا يتناوبُونَ على المِنصَّة.

ارْتَجلَت بناتُ نَادِي الآيكيدو فِرقَةً لحِفظِ الأمْنِ مُساهِماتٍ في حُسْنِ سيرِ الثّورَةِ. انتصارهنّ على CRS جمّلهُنّ. كنَّ بقُمصَانِهنَّ «ثورة النّمل» المُمزّقةِ على نَحوٍ فنّي، وشُعورهُنّ المُشعّثة، والهيئاتِ الوحشيّةِ الجَديرةِ بنَمِراتٍ ومَقْدِرتهنّ على القتالِ الفرديّ، يُشْبهنَ على نَحوٍ مُتزايِدٍ أمازونيّات حَقيقيّات.

تكفّلَ بول بتقدِيرِ مؤونَةِ مطعَمِ المدرسَةِ. لن يُعاني المُحَاصَرُونَ مِنَ الجُوعِ. فثمّةَ في الثانويّةِ ثلّاجَاتٌ هائِلة كُدّسَت فيها أطْنانٌ مِنَ الأغذيةِ المُختلِفة. أدركَ بول الأهميّةَ التي تكتَسِبُها الوجْبَةُ الأولَى الحقيقيّة «الرسْميّة» المُشتَركةُ فقرّرَ أنْ يُولِي مُكوّناتِها عنايةً خاصّةً. فاختار المُقبّلات: بندورَة – جبنَة – ريحان – زيت زيتون (كانَت متوفّرةً بكثرة)، أمّا الطّبقُ الرئيسيّ: سُفُّودٌ صَغيرٌ مِنْ مَحَار سان جاك بالإضافةِ إلى سمَك يُرافِقهُ أرْزٌ بالزّعفران (مُتوفّرٌ منها ما يملأ الطناجِر لأسابيعَ عدّة)، وبمثَابةِ تَحْلِية: سلطة فاكهة أو حَلوى بالشوكولاتة المُرّة.

– أحسَنْتَ! هنّأتهُ جولي. سنُشعِلُ أوّلَ ثورةٍ في فنّ الطّهي.

– هذا لأنَّ الثلّاجَات لم تكنْ قَدْ اختُرِعَت بَعْد، تملّصَ بول بتواضُعٍ.

وعَرَضَ أنْ يكونَ الشّرابُ هو الهيدروميل، شَرابُ آلهةِ الأولِمب والنّمل.

وصْفَتهُ: مزْجُ الماء بالعسَلِ والخَميرَة. يُبيّنُ البرميلُ الأوّلُ، الذي أعدَّهُ، أنَّ المُنتَجَ لذِيذ، حتّى وإنْ لم يتَخمَّر كما يَجِب (خمْسٌ وعشرُونَ دقيقةً مُدّة قَصِيرة لإنتَاجِ خَمْرٍ مُعتّق جيّد).

- لنشرَب نَخباً.

روَتْ زويه بأنَّ عادةَ شُربِ نخْبٍ بقرعِ الكؤوسِ تَعودُ إلى تقليدٍ مِنَ القرونِ الوسْطَى. إذْ بقرْعِ كأس بكأس، تسقُطُ قَطْرةٌ من كلّ واحدةٍ في الأخرى، حامِلةً بذلِكَ البرهانَ على خلُوّ الشّرابِ منَ السمّ. وكلّما قُرعَ الكأسُ بقوّةٍ زادَ احتِمالُ تطَايرِ الشرابِ وزادَ معهُ اعتبارُ القارِعِ جديراً بالثّقةِ.

قُدّمَت الوَجْبةُ في الكافيتريا. مبْنَى ثانويّةٍ هو مكانٌ مُلائِم حقّاً لإشْعَالِ ثَورة: يتوفّرُ فيه الكهرباء والهاتِفُ والمطَابِخُ وطاولات الطّعام ومهاجِعُ الطّلَبةِ وشَراشِف لنصبِ الخيم وجميع الأدواتِ الضّروريّةِ للأشغالِ العمَليّة. ما كان بوسْعِهم أن يُنْجِزوا ما أنْجزوهُ في الهواءِ الطّلقِ وسطَ حقْلٍ.

أكلُوا بشهيّةٍ، مُتأثّرينَ باسْتِحضَارِ أحوالِ ثوّار الماضِي، الذينَ اضْطرّوا - بلا ريبٍ - إلى الاكتِفاءِ بالفاصُولياء البيضَاءِ المُعلّبةِ والخُبزِ الجَاف.

- هذا بحدّ ذاتِهِ تجدِيد، قالَت جولي، التي أنْسَاها ما تعيشُهُ فقدانَ شهيّتها.

سَويّة، غسَلُوا الأطبَاقَ وهم يغنّون: «لو رَأتني أُمي لنْ تُصدّق عينيها» خطرَ لجولي، إذْ لم تُفلِح يوماً في جَعلِها تَغسِلُ الأطبَاق. ولكنّها، هنا، تَفعَلُ ذلكَ مُستَمْتِعةً.

بعدَ الغدَاء، داعبَ فتَى أوتار غيتارٍ فوقَ المِصْطَبَةِ مُدنْدِناً أنغاماً شَجيّة. أخذَ بِضْعةُ أزواجٍ من الرّاقِصين يتمايلونَ ببطءٍ على الأرضِ العُشبيّة. دعا بول إليزابيت، فتَاة بدينة، اصْطَفتها أمازونيّات نادي الآيكيدو تلقائيّاً لتكونَ قائدتهنّ.

انْحنَى ليوبولد أمامَ زويه ورقَصَا أيضاً، مُتلاصِقَين.

- لا أعلَمُ إنْ كنّا نفعلُ حسَناً بتركِهِ يُغنّي، قالَت جولي مُغتَاظَةً وهي تَرمُقُ المُغنّي العاطِفيّ. تركُهُ يُظهِرُ جانباً رَخواً لثورَتِنا.

- هنا يَحقُّ لكافّةِ أنواعِ المُوسِيقى التعبيرُ عَنْ نفسِها، أعادَ تذكيرها دافيد.

كانَ نرسيس يُمازِحُ شَابّاً طَويلاً مفتُولَ العضَلاتِ يُخبرهُ كيفيّةَ اعتِنائِهِ

بجسَدِهِ عبرَ مُمارسَةِ رياضَةِ كمَالِ الأجسَام. فسألَهُ، بما أنَّ طَعْمَ المُقبّلاتِ ما زالَ في فَمِه، إنْ خطرَ لَهُ دهن جسَدِه بزيتِ الزّيتونِ لإبرازِ عضلاتِهِ الأكثر انْتِفاخاً.

دعا جي وونغ فرنسِين؛ رقَصَا مُتَعانِقَين.

مدَّ دافيد يدَهُ إلى فتاةٍ تَميلُ إلى الشُّقرةِ من الأمازونيّات واستطاعَ أنْ يرقُصَ معها جيّداً بلا عُكّازه. على الأرجَح كانَ يتّكئُ على شَريكتِهِ الحُلوة، أو أنَّ الثّورةَ قَدْ أنْستهُ التِهاب المفَاصِل الرُّوماتيزميّ المُزْمِن.

مُدركينَ لسُرعَةِ زَوالِ اللّحظَة، سعَى الجميعُ إلى التمتّع بها. هناكَ أزْواجٌ يتبادلُونَ القُبل. تأمّلَتهم جولي، تَتَنازعُها البهجَةُ والغَيرة.

دوّنَت القاعِدَةَ الثوريّة رقَم 5: الثّورةُ، بالمُحصّلة، تُثيرُ الشّهوةَ الجنسِيّة نوعاً ما.

قبّلَ بول إليزابيت بشَراهَة. أهمُّ اللّذاتِ بالنّسبةِ لهُ، وهو المُفرِطُ الاهتِمَامِ بالحَواسّ، تمرُّ عبرَ الفَمِ واللّسَان.

– أترقُصِينَ جولي؟

كانَ مُعلّمُ الاقتِصَاد واقفاً أمَامها. انْدَهشَت:

– هه، أنتَ هُنا؟

وكانت دهشتها أكبر لمّا علِمَت بأنّهُ حضَرَ حفْلَ فرقتِهم، ثمّ شارَكَ في معرَكةِ CRS وبأنّه سُعِدَ في الحَالَتين.

يُمكِنُ حقّاً أنْ يُصبحَ المُعلّمون أصدِقاء، قالَت في سِرّها.

حدّقَت باليدِ الممدُودَة. بدَت لها الدّعوة في غيرِ محلّها. ثمّة حاجِزٌ بينَ المُعلّمينَ والتلامذة يَصعُبُ تَجاوزه. بَدا واضِحاً أنّهُ مُسْتعِدّ للقيامِ بخَطوة. لكن هي غيرُ مُسْتَعدّة.

– لا أهتمُّ للرقْصِ، أعلَنَت لَهُ.

– وأنا أيضاً لا يرُوقُ لي، أجابَ وهو يأخذُهَا من ذِراعِها.

أسلَمْت قيادَهَا لهُ لبِضْعِ خطَواتٍ ثمّ حرّرَت نفسَها:

– أُعذرني. لا مِزاجَ لديّ للرقص حقّاً.

شُدِهَ مُعلّمُ الاقتِصَاد.

عِندَئذ أخذَتْ جولي يدَ إِحدَى الأمازونيّات ووضَعَتْها في يَدِ مُعلّمِ الاقتصَاد.

- ستَرقُصُ أفضَلَ منّي بألفِ مرّة، قالَت.

لم تكَدْ تبتَعِد حتّى انْتَصَبَ أمامَها شخْصٌ مُفرِط النّحُولِ.

- أأسْتَطيعُ أنْ أقدّمَ نفسِي؟ نعم أَم لا؟ سأقدّمُ نفسِي على أيّةِ حَال: إيفان بُوديُولي بائِعُ مسَاحاتٍ إعلانيّة. وجدتُ نفسِي بالمُصادَفةِ مأخوذاً بحفلتكِ الصّغيرة وربّما لديَّ ما أقترحُهُ عليكِ.

دونَ أنْ تُجيبَ، تريّثَت بخطَواتِها، وهذا كانَ كافياً لتَشجيعِ الآخر. سرّعَ مِنْ وتيرةِ تدفُّقِ كلماتِهِ ليجْتَذبَ اهتمامها.

- حفلَتكِ الصّغيرةُ جيّدة بالفعلِ. لديكِ موقِع مناسِب، يضمُّ أعداداً كبيرةً مِنَ الشبّان وفرقَةَ روك وفنّانين في طور البدايةِ، هذا كلّهُ سوفَ يجتَذبُ الإعلانات دونَ شكّ. أظنُّ بأنَّ هناك حاجة للعثورِ على رُعاةٍ لإكمَالِ حفلةِ الرّقصِ بشكلٍ أفضَل. بوسعي - إنْ أردت - أن أحصّلَ لكِ بضعة عقودٍ مع ماركات لمشروبات الصودا، لثياب، ولإذاعات ربّما.

أبطَأت أكثر، والآخر فسَّرَ ذلكَ على أنّهُ قبُول.

- لا داعي لأنْ نُبالغ. مُجرّد بعض اللّافتاتِ هنا وهناك، هذا سيُحقّقُ لكِ، بالطّبعِ، دَخْلاً ماليّاً لزيادةِ رفاهيّةِ حفلَتكِ الصّغيرة.

تردَّدَت الشابّة. توقّفت، بدَت مُضْطَربةً. ثمّ حدّقَت في الرّجُل.

- آسِفة. لا. ما تقترحهُ لا يهمُّنا.

- لِمَ لا؟

- هذهِ ليسَت حفلَة صغيرة. إنّها ثَورَة.

كانَت مُغتَاظةً، إذْ تَعرِفُ حقَّ المَعرِفَة، ما دامَ لمْ تسْقُط ضَحيّة، فلنْ يرَى الرّأي العامّ في تجمُّعهم غيرَ حفلٍ رعَائي. ولكن ليسَ إلى درجَةِ أنْ تَتَحوّلَ إلى مِهرجانٍ إعلاني، شَتّانَ ما بينَ الاثْنين.

بلَغَت أوجَ غضَبها. لماذا ينبغي أنْ يسِيلَ دَمٌ حتّى تؤخذ الثّورةُ على مَحْملِ الجدّ؟

حاولَ إيفان بوديُولي تَدارُكَ خطَئِه:

- اسمعيني، منْ يعلَم. إذا غيّرت رأيك بوسعي الاتصال بأصدقاء و ...

أفلَتت مِنهُ وسطَ الرّاقِصين. أخذَتْ تتخيّلُ الثورةَ الفرنسيّة وسطَ الرّاياتِ ذات الألوان الثّلاثةِ وقدْ خضّبها لونُ الدّم، ولافِتةٌ تدعُو: «اشربوا سان-كيلوت[1]، بيرةُ الثوّارِ الحقيقيّين الشّغوفينَ بالانْتِعاشِ ونكهةِ عشبةِ الجُنْجُل». ولِمَ لا نتخيّلُ الثورةَ الرّوسيّة مُرفقةً بإعلاناتِ الفودكا، والثّورة الكوبيّة مع إعلاناتِ السّيجار؟

مضَت إلى قاعَةِ الجُغرافيا.

كانت سَاخِطةً إلّا أنّها هدّأت انْفعَالَها. أرادَت أنْ تغدُو خبيرَةً بالثّورةِ مهما كلّف الأمر وفتَحَت *الموسوعَةَ* لتدرسَ التّجارِبَ الثوريّةَ الأخرى. كشَفَت لها القراءَةُ المَعكوسَةُ في المرآةِ نصُوصَاً جديدةً مخفيّة داخِلَ النّصوصِ.

وضعَتْ مُلاحظَاتٍ على هَامِش كلّ تَجربةٍ مِنْ تلكَ التّجارب، وخطّاً تحت كلٍّ من الأخطاء والابتكارات. تأمّلَت بأنْ تستَخلِصَ بالمُثابَرةِ والانتباهِ القواعِدَ الثوريّة الكبرى وتَجدَ نموذجَ المُجتَمعِ الطّوبَاويّ القابلِ للتحقّقِ في هذا المكانِ وهذا الزّمان.

126. موسوعة

يوتوبيا فورييه: ولدَ شارل فورييه في مَدينةِ بيزانسون عام 1772، كانَ والِدهُ تاجرَ أقمشَة. أظهرَ منذُ بدءِ ثورَةِ 1789 طُموحاتٍ مُذهلةٍ للبشرية. إذْ أرادَ تغييرَ المُجتَمع. وفي عام 1793 شرَحَ مشَاريعَهُ إلى أعضَاءِ مجلِس الإدارَةِ الحكُوميّ الذين قابلُوهُ بالسُّخرية.

عندئذ، قرّرَ شارل فورييه الابتِعاد وأنْ يُصبحَ أَمينَ صنْدُوقٍ. ومع ذلك واصلَ، في أوقاتِ فراغه، هوسَهُ في البحثِ عن مُجتمعٍ مثاليّ والذي سوفَ يَصفُهُ بالتّفاصِيلِ الدقيقةِ في عدَدٍ من كتبه منها: _العالَم الصّناعيّ والجَماعيّ الجَديد_.

1- Sans-culottes (أي من دون سراويل قصيرة): وهو الاسم الذي عرف فيه الثوّار الفرنسيّون الذين كانوا يرتدون سراويل طويلة لتمييز أنفسهم عن النبلاء الذين كانوا يرتدون سراويل حريرية قصيرة.

وفقاً لهذا الطُّوباويّ، ينبغي أنْ يعيشَ الناسُ على شكلِ جماعاتٍ صغيرةٍ يتراوحُ أعدَادُها بين ألفٍ وستمائة عضوٍ وألفٍ وثمانمائة. الجَماعَةُ، التي يَدْعُوها فالانج[1]، تحلُّ محلَّ العائلةِ. وفي غيابِ العائِلةِ، تُلغَى العلاقاتُ الأبويّة والعلاقاتُ السّلطَويّة. نِطاقُ عملِ الحكومةِ يكونُ في حدّهِ الأدنى، وتتّخذُ القرارَاتُ الهامّة جماعيّاً، بشكلٍ يوميّ، في السَّاحةِ المركزيّة.

يَقطُنُ كلّ فالانج في بيتٍ-مدينةٍ يُطلِقُ عليه فورييه اسم «الفالانستير». ويَصِفُ بدقّةٍ بالغةٍ الفالانستير المثاليَّ في نظَرِهِ: حِصْنٌ من ثلاثِ طبقاتٍ إلى خَمْس. في المُستَوى الأوّل، تُرطَّبُ الشّوارعُ في فَصْلِ الصّيفِ بواسِطَةِ نوافيرِ الماء، ويتمُّ تسخِينها في فصْلِ الشّتاء بواسِطةِ مواقِدَ كبيرةٍ. يوجَد في الوسَطِ برجُ مُراقبةٍ يضمُّ المَرْصَد ومِقرَع الأجراسِ والتلِغراف شَابْ والمحرَسَ اللّيليّ.

كما أنّه رَغبَ باسْتِنبَاطِ صِنْفٍ حيوانيّ أليفٍ وجديد عبرَ التّهجينِ بينَ الأسودِ والكلاب. يُستفادُ من هذهِ الكلابِ الأسودِ كمطَايا وحُرّاس على الفالانستير في آنٍ معاً.

كانَ لدى شارل فورييه قناعة بأنّ أفكارهُ إذا طُبّقت بحذافيرها في جميعِ بِقاعِ العالَم، فسوفَ يَشْهدُ سُكانُ تجمّعاتِ الفالانستير تطوّراً طبيعيّاً على أجسَادِهم واضِحاً للعيانِ، ولا سيّما من خلالِ نموّ ذراعٍ ثالثةٍ على مُستَوى الصّدر.

قامَ أميركيّ مُخلِصٌ لخُطَطِ فورييه ببناء فالانستير، إلّا أنّه فشلَ فشلاً كليّاً بسبَبِ مشكلاتٍ مِعمَارية. كانت حظيرَةُ الخنازيرِ مَع جُدرانِها الرّخاميّةِ الحَيزَ الأكثرَ إتقاناً في المكانِ، لكنَّ المُشكِلَة كانَت في نِسيانِ تَجهيزِهِ بالأبوابِ فتوجّبَ إدْخَال الخنازير بواسِطَةِ الرّافِعات.

أُنشِئت فالانستيرات تقريبيّةٌ أو جمَاعَاتٌ بذهنيّةٍ مُماثِلة من أتباعِ فورييه في أماكنَ شتّى في العَالَم، ولا سيّما في الأرجنتين والبرازيل والمكسيك والولايات المتحدة. وعندَ وفاتِهِ، أنكرَ فورييه جميع أتباعِهِ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

1- Phalange، تترجمُ كتيبة، وتعني مجتمعاً صغيراً خياليّاً يعيشُ أفراده على الاشتراك في الإنتاجِ والتوزيع، ولكن آثرنا إبقاء «فالانج» لسعة الدلالة عند فورييه.

127. اليَومُ الثّاني لثورَةِ الأصَابع

فيرومُون إنْذارٍ.

يَستيقظنَ مَصْعوقَاتٍ. في الأمْسِ هَجعْنَ جميعاً إلى النّومِ وهنَّ يحلُمنَ بالتّقاناتِ المُستقبليّةِ **للأصَابع** وبتطبيقاتِها غير المحدُودَة، وعندَ الصَّباح، تجتَاحُ فيرومُونات لاذِعةٌ مُخيّم الثوريّاتِ المُوالياتِ **للأصَابع**.

إنذار.

تَنْصُبُ الأميرَةُ 103 قرْنَيها. في الحَقيقةِ، الصّبحُ لم يبزغْ بعد. هذا الضّوءُ وهذا الدّفءُ ليسَ مَبعَثهما، ولا بأيّ حالٍ منَ الأَحْوالِ، بُزُوغ الشّمسِ. ثمّةَ للنمَالِ شَمسٌ صغيرة تخصّهنَّ داخلَ مأوى خشَبِ الصّنوبر، وهي تُسمّى... حَريقاً. عشيّة الأمْسِ أغفَت مُهندسَاتُ النّارِ تاركاتٍ الجَمْرَ على مقربةٍ مِنْ ورقةٍ جافّة. كان ذلكَ كافياً ليُلهِبها، وببضْعِ ثوانٍ، انْدلَعت أورَاقٌ أخرى. لم يتسنَّ لأحدِ التصرّفُ. إذْ استَحالَ الضّياءُ البهيُّ المُتَقزّح بألوانِهِ الصّفراء والحمرَاء وحُوشَاً مُضيئةً آكلةً للُّحُومِ.

لنهرُب!

يَسْتبدُّ بهنَّ الهلعُ، والجميع يُريدُ الخروجَ بأقصَى ما يستَطيعُ منْ فُتْحَةِ الشّجرة. ولزيادَةِ الطّينِ بِلّة، يتّضِحُ بأنَّ ما ظَنَنَّهُ عشَّ سِنجابٍ كانَ بالفعلِ كذلكَ غيرَ أنَّ ما اعتَقَدْنَ أنّهُ طُحْلبٌ في القاعِ لم يكنْ كذلك. إنّهُ السّنجابُ بشَحمهِ ولَحمهِ.

أيقَظَتهُ النّارُ، وبوثبةٍ ألقَى الحيَوانُ الضّخمُ بنفسِهِ خارِجَ الفُتْحَة، قالباً بمرُورهِ كلَّ شيءٍ ودافعاً النّمالَ إلى أسْفلِ الجذْعِ المُجوّفِ.

يسْقُطنَ في الشَّركِ. تتَعاظَمُ النّارُ بتيّارِ السّقوطِ وتُحاصِرهنَّ بأدْخِنةٍ تكادُ تخنُقهنَّ.

تَبحَثُ الأميرَةُ 103 بأقصَى ما تَسْتَطيعُ عن الأميرِ 24. تبثُّ فيرومُوناتِ نداءٍ.

الرقم 24!

ولكنّها تتذكَّرُ: إبّانَ الحملَةِ الأولَى، كانتِ الكائِنَةُ المسكِينَةُ مُصابَةً بلَعنَةِ أنْ تَتيهَ بصَرفِ النّظَرِ عن المكان.

تتّسِعُ النّارُ.

يَبْحَثُ كلّ واحِدٍ عن سلامتِهِ حَسَبَ اسْتِطاعتِهِ. تحفِرُ الحشَراتُ الخاشِباتُ جذَارَ الكهفِ الخشبيّ بفكُوكٍ محمُومةٍ.

تأخُذُ النّارُ بالتّشامُخ. وتلعَقُ ألسِنةُ اللّهَبِ الطَّويلةُ الجُدرانَ الدّاخليّة. تلُومُ النّمالُ المُعارِضَات للنارِ بأنّهُ كانَ من الأجدى لو أعَرْنَهن آذاناً صاغيةً: ينبَغِي أنْ تظلَّ النّار مُحرَّمة. يُرَدُّ عليهنّ بأنَّ الوقتَ غيرُ مُناسِبٍ للجدَلِ. ليسَ المُهمُّ مَنْ كانَ مُصيباً أو مُخطِئاً، المُهمُّ الآن أنْ يَنْجُو كلّ فردٍ بكيتينِهِ.

تبذلُ الثوريّاتُ المُوالياتُ **للأصَابعِ** جهدهنّ في تَسلُّقِ الجُدرانِ غيرَ أنَّ كثيراتٍ منهنَّ يُعاودنَ السُّقوط، وتنهارُ أجسَادهنّ وسَطَ الأورَاقِ الجافّةِ المُشتَعلةِ وتشبُّ فيهنَّ النّار مُذيبةً دروعَهن في أُتُونِها.

غير أنَّ طِباعَ النَّارِ لا تَنْطَوي على السيّئات فقط، إذْ ثمّةَ طَاقة إضَافيّة تمْنَحُها للحشَراتِ التي تعتَمِدُ حيويّتها على درَجَةِ الحَرارةِ.

الرقم 24! صرخَت الأميرَةُ 103.

ما مِنْ أثرٍ للأمِيرِ 24.

المشْهَدُ الفظيعُ يُعيدُ إلى ذَاكرَةِ الأميرةِ 103 حريقَ أتلانتا، المَشهدُ الكبير في فيلم ذهبَ *مع الرّيح*. غير أنَّ الوقتَ ليس للحَنينِ إلى تلفزيونِ **الأصَابعِ**. نَظرةٌ واحِدةٌ حولَها تكفِي لمعرفَةِ أين أوصلتهنَّ الرغبةُ بالأخذ سريعاً عن **الأصَابع**.

لنْ نعثَر عليهِ. لنُحاولِ الخُروجَ مِنْ هذا المكان، بثَّتِ الرقم 5 وسَطَ الفوضَى العارِمَة.

يبدو على الأميرَةِ 103 أنّها سَتُطيلُ بحثَها عن ذي الجِنسِ، لذا تدْفَعُها الرقم 5 مُشيرةً لها نحو ثُقبٍ في الخشَبِ لم تكدْ تفرغُ مِنْ حَفْرهِ حشَرةٌ خاشِبة حتّى سدَّهُ خُنفُسٌ مُفرِطُ الضّخَامةِ. يَضْربنَ بجماجِمهنّ ويدفَعْنَ بأرجلهنّ لنزْعِهِ منهُ لكنّ قواهنّ لا تكفي.

تُفكّرُ الأميرةُ 103. كما لتقَانَةٍ إصْبعيّةٍ غيرِ مُتحَكّم بها جيّداً أنْ تُؤذي، يُمكِنُ لتقانةٍ إصْبعيّةٍ أخرى مُتحكّم بها جيّداً أنْ تُصْلِحها. تطلُبُ من

المُستكشِفاتِ الشابّاتِ الاثنتي عشرة أنْ يجِدنَ غُصيناً ويدخِلْنَه في الفَجوةِ لاسْتِعمَالِهِ رافِعةً.

الفِرقَةُ التي شَهِدت النتيجَةَ المُتواضِعةَ للرافِعَةِ على بيضَةِ الخَرْشَنَه، لا تُبدِي حمَاسةً رَغمَ الحِجَجِ التي تَسُوقها الرّقم 103. على أيّةِ حَالٍ، ما مِنْ أحَدٍ لديهِ حلّ آخر يقترِحُهُ والوقتُ لا يتّسِع لأفكَارٍ أُخرى.

إذنْ تُولِجُ النّمالُ العودَ ويتشبّثنَ بطَرفِهِ لتكتَملَ الرّافِعَة. تتعلّقُ الرّقم 8 في الهواءِ مُنفّذةً تمرينَ العُقلَةِ بأرْجُلها لتزيدَ مِنْ ثِقلِها. هذه المرّة، ينجَحُ الأمرُ. تتضَاعفُ قوّتهنّ وينزاحُ الخُنْفسُ-السّدادَة. أخيراً ثمّةَ مَخْرجٌ منْ هذا اللّهب.

ثمّةَ غَرابةٌ في مُغادرةِ هذا الضّوءِ الحيويّ والحَار ليجدْنَ أنفسهنَّ في الخَارجِ حيثُ لا شيء سوى العتْمَةِ والبَرد.

غيرَ أنَّ ظلامَ اللّيلِ لا يَطُولُ إذْ، فجأةً، تتحوّلُ الشّجرَةُ بأكملِها إلى مِشْعَل. النّارُ عدوّةُ الأشجَارِ حقّاً. تُطلِقُ النّمالُ سِيقانهنّ للريحِ والبُطُونُ لِصْقَ الأرضِ والقرُونُ مُسْترسِلةٌ إلى الخلْفِ، بغتةً، تقذفُهنَّ هبّةُ انفجارٍ حارّةٍ قُدماً.

تغْدُو حولَهُنّ حشَراتٌ مذْعُورةٌ من كلّ الأصْنافِ.

فقدَتِ النّارُ حياءَها. واسْتَحالَت وحشاً هائِلاً لا يلبَثُ أنْ يشبَّ ويتّسِعَ مُصمّماً على مُطارَدتِهنّ، رَغمَ أنّهُ بلا أرْجُلٍ. يشتَعِلُ طَرفُ بَطْنِ الرّقم 5 فتُطفِئهُ بدعكِهِ بالأعشَابِ.

تَرتَعِشُ الطّبيعَةُ وتزدَانُ بأصْباغٍ أُرجُوانيّةٍ. الأعشَابُ حمْراء، الأشجَارُ حمْراء، الأرضُ حَمْراء. تَعدُو الأميرَةُ 103، والنّارُ الحمْرَاءُ في إثْرِها.

128. في ذرْوةِ الحَماسَةِ

في مسَاءِ اليَومِ الثاني، راحَت فِرقُ الرّوك تتأسّسُ تلقائيّاً وتَتناوبُ على المِصْطَبَة. كانَ «النّمل» الثّمانيةُ قد فرِغوا منَ العَزفِ واجتمعوا في قاعتِهم الخاصّةِ بنادِي المُوسِيقى لعَقد *pow-wow* (مجلِسُ القبيلَة).

أخذَت نَبْرةُ جولي تُظهِرُ إصْراراً مُتزايداً.

- يجِبُ أنْ نَجْعلَ ثَورة النّملِ تُقلِع. إذا لم نتصرّف، فإنّ الحدَثَ سيَخفُتُ

مثلَ الكعْكِ النّافج. نحنُ خَمسُمائة وواحِدٌ وعشرون كائِناً بشَرِيّاً في هذا المكَانِ. لنسْتَغلّ هذا الوسَط. لنَستَفِدْ من أفكارِ الجَميعِ وتخيُّلاتِهِم إلى الحدّ الأَقصَى. يجبُ أنْ نوسّعَ معاً حُدُودَ طَاقاتِنا.

تَصمُت بُرهَةً:

- ... 1 + 1 = 3 مُمْكنٌ أنْ يكونَ شِعَاراً لثورَتِنا ثورةَ النّملِ!

علاوةً على ذلك، الصّيغةُ مُدوّنة مُسبقاً على الرّايةِ التي تَخفقُ فوقَ السّارِيَة. وهُمْ بذلكَ لا يكتشِفُونَ إلّا ما هو أَصْلاً بينَ أيديهم.

- أجل، هذا أكثر مُناسبة لنا من «حرّية-مُسَاواة-إخَاء»، أقرّت فرنسين. 1 + 1 = 3 يعني أنَّ حاصِلَ اتّحادِ المَواهِب هو أكبرُ مِنْ مُجرّد جَمْعِها.

- ذلكَ يُحقّقُ نِظَاماً اجتِماعيّاً يعمَلُ بكامِلِ طَاقتهِ. يوتوبيا جميلَة، أقرَّ بول.

لقد أمْسَكوا بشِعَارِهم.

- علينا الآن أنْ نمنَحَ الآخرينَ حَافزاً يَسْتَجيبُون لَه، قالَت جولي. أقتَرِحُ أنْ نَسْتغرِقَ اللّيلَ بطُولِهِ نُفكّرَ في ذلكَ وعندَ الصَّباحِ نلتَقي ليقدّمَ كلّ واحدٍ منّا تُحفَتهُ، أيْ مشرُوعاً مُبتكراً يعبّرُ فيه عن أكثرِ ما يُجيدُ عملهُ.

- كلُّ مَشروعٍ يُنتَخَب سيُطبَّقُ عمليّاً ليُعزّزَ المَواردَ المَاليّة للثورة، وضَّحَ جي وونغ.

ذكّرَ دافيد بوجُودِ حواسِيب في الثّانويّة. يُمكنُ من خلالها نَشرُ أفكارِ ثورةِ النّملِ إنْ وصِلَت إلى الإنترنت. ويُمكِنُ اسْتِخدَامُها أيضاً لتأسِيسِ شَركاتٍ تجاريّة، وبالتالي تأمين دَخْلٍ ماليّ دونَ حَاجةٍ للخُروجِ منَ الثانويّة.

- لماذا لا نوفّر لنا خِدمَة الاتّصَالاتِ عن بُعد؟ اقترَحَت فرنسين. على هذا النّحوِ سيُتَاحُ المجالُ لمَنْ يُريدُ أنْ يدعمَنا عنْ بُعدٍ أو يُقدّمَ تبرّعاتٍ أو يقترِحَ مشَاريع علينا. بواسِطَةِ الرّسائِل الإلكترونيّةِ سنُصَدِّرُ ثَورتنا.

حازَ الاقترَاحُ على المُوافقةِ. بغيابِ وسَائِلِ الإعلام سَيستَعمِلونَ تكنولوجيا المعلُومَاتيّة بوصْفِها بديلاً من أجلِ نَشْرِ أفكَارِهم ونَسْجِ شبكة تكافُليّةٍ مع مَنْ وراء أسْوارِهم.

في الخَارِجِ، اتّسَمَت حفلَةُ المسَاءِ الثالِثِ بجنُونٍ يفوقُ حفلَتَي اليومينِ السّابِقينِ. سالَ الهيدروميل بوفرةٍ، ورقَصَ شُبّان وشَابّاتٌ حولَ النّارِ، وكانَ هناكَ أزواجٌ يتَعانقونَ على مَقربةٍ منَ الجَمرِ، دارَت سَجائِر الماريجوانا ذاتُ النوعيّةِ الجيّدةِ بسخاءٍ باعثةً أَدْخِنةً عبّقَتِ السّاحةَ برائحةٍ لها أَثرٌ أفيونيّ، وكانت قَرْعَاتُ طَبلَاتِ تام تام[1] تُشِيعُ مناخاً هذيانيّاً.

ومع ذلك لم تُشارِكْ جولي وأصْدِقاؤها في الرّقصِ. كانَ كلُّ واحِدٍ مِنَ «النّملاتِ» في قاعةِ صَفّ مُنكبّاً على صَقْلِ مشْرُوعِهِ. نَحو الثّالثةِ صبَاحاً، قدّرَت جولي، التي بَدأَت تشعُرُ بالإرهاقِ والتي كانَ أكلُها في ازْديادٍ، بأنّه حانَ مَوعِد نَومِهم. استلقَى الثّمانيةُ في قاعَةِ التّدريبِ تحتَ الكافيتريا، جُحْرِهِم.

غيّرَ نرسيس ديكورها لتَتلاءَم مع الظّرفِ. إلّا أنّه لَمْ يجِد زينةً سِوى شَراشِف وأغطِية. فإذن، وزّعَها في كلّ الأرجَاء. غطّى بها الأرضيّةَ والجُدران وحتّى السّقفَ بسماكاتٍ مُتباينةٍ. صنَعَ منها أرائكَ وكراسيَّ ومِنْضَدة. لم يَعُد هناكَ حيّزٌ واسِعٌ ليعزفوا ولكن باتَ لديهم عشّ دافِئ ومُناسِب. فكّرَ ليوبولد بأنّهُ يجِبُ أنْ تحتوي الشّقَقُ على غُرفةٍ مُشابِهةٍ، بلا خطُوطٍ مُستَويةٍ وبلا زوايا، مع أرضيّةٍ بتضَاريس طَريّةٍ وقابلةٍ للتغييرِ باستِمْرار.

أَعجَبَ التّصمِيم جولي. ثمَّ على نَحوٍ طَبيعيّ جدّاً، وبلا خَجلٍ في غيرِ موضِعهِ، أَتَى الآخرونَ إليها مُتدحرِجينَ والتَصَقوا بها. خطَرَ لهم بأنَّ اللّحظَةَ أكثر هناءةً مِنْ أنْ تَستمرَّ. غلّفت جولي نفسَها بالأَغْطيةِ على هيئةِ مُومياءَ مِصْريّة. أحسّت بدافيد وبول لِصقها. كانَ جي وونغ في الطَّرَفِ الآخرِ من الفرشَةِ، ومع ذلك هو مَنْ حلُمَت بهِ.

129. موسوعة

***الانفتاحُ عبرَ الأماكن:* النّظَامُ الاجتمَاعيّ الحَالي يُعانِي منْ خَلَل: فهوَ لا يسْمَحُ للمواهبِ الشّابةِ بالظّهور، أو لا يسْمَحُ لها بالظّهورِ إلّا بعدَ مُرورِهم بجميعِ مَراحِلِ الاصْطِفاءِ التي شيئاً فشيئاً، تُطفِئ جذوةَ حمَاسَتِهم.**

1- تام تام (tam-tam) طبلة إفريقيّة.

ينبغي إنشَاءُ شَبكةٍ من «الأماكنِ المفتُوحَة» حيثُ يستَطيعُ كلّ واحدٍ، من دون شَهاداتٍ أو توصِياتٍ خاصّة، عرضَ أعمالهِ أمامَ الجمهُورِ بحريّةٍ.

مع أماكنَ مفتوحَةٍ يغدُو كلّ شيءٍ مُمكِناً. ففي مسرحٍ مفتوحٍ، على سبيل المثال، بوسْعِ أيّ واحِدٍ أنْ يُقدّم عرضَهُ أو مشهدهُ دونَ أنْ يخْضَعَ لانتقاءٍ مُسبَق. الإجْراءات اللّازمَة: أنْ يُسجّلَ الشخصُ قبلَ بدءِ العرضِ بسَاعةٍ على الأقلّ (لا ضرورة لتقديم أوراقه، تكفي الإشارة إلى اسمه الأوّل) وألّا يتجاوزَ العرضُ سِتَّ دقائِق.

مع نِظَام كهذا، من المُرجّح أنْ يُعاني الجمهُورُ بعضَ المُنَغّصات، ولكن بالمُقابل ستلقَى العُروض السيئة صيحاتِ الاسْتهجان والجيّدةُ سيُحتَفَظُ بها. وليكونَ هذا النّوعُ منَ المسرَحِ مُجدياً اقتصَاديّاً، سيَحْجزُ المُشَاهِدونَ أَمكِنتَهم فيهِ بالسّعرِ المُتدَاول. وهُم سيَقبلونَ بسُرورٍ لأنّهم سيَحضُرونَ في غضُونِ ساعتين، عرضاً متنوّعاً. ومِنْ أجلِ إثارةِ الاهتِمام، وكي لا تكون السّاعتان مُجرّد عَرضٍ لمُبتدِئينَ قليلي المهَارة سيأتي - إنْ لَزمَ الأمرُ - مهنيّونَ مِمّنْ ثَبُتت جدارتُهم على فتراتٍ مُنتظمة لدَعمِ المُتقدّمينَ. سيكونُ لهم هذا المسرَحُ المفتُوحُ بمثابةِ نُقطَةِ انطِلاق، ولو لمُجرّدِ أنْ يُعلنوا: «إنْ كنتم راغِبينَ في مُشاهدةِ بقيّة المسرَحيّة، ننتَظِرُ حضُوركم في اليومِ المُحدّد وفي المكانِ المُحدّد».

يُمكِنُ توزيعُ هذا النّوعِ منَ المكانِ المفتُوحِ على النّحوِ التّالي:

- سينما مفتُوحَة: تَعرِضُ أفلاماً قصيرةً لا تتجاوزُ الدّقائِق العشر حاملةً توقيعَ مُخرجينَ مُبتَدئين.

- قاعَةُ حفلاتٍ مفتُوحَة: للمُغنّينَ والمُوسيقيّينَ النّاشِئينَ.

- معرِضٌ مفتُوح: وَضعُ مسَاحةِ مِترين مُربّعين تحتَ تصرّفِ كلّ واحدٍ من النّحاتين أو الرسّامين غير المعرُوفينَ بعد.

- معرِضُ اختراعَاتٍ مفتُوح: مسَاحَةُ المُختَرعينَ والفنّانينَ تخضَعُ للشُروطِ ذاتها.

يمكنُ لهذا النّظَامِ منَ العرضِ الحرّ أنْ يتوسّع ليشملَ المُهندسِينَ المعماريين، والكتّاب، وأَخصَّائيي تكنولوجيا المعلوماتيّة، ومندُوبي

الإعلانات... مُتخطّياً الحَركةَ الإداريّةَ البطيئة. وبالتّالي سيكونُ لدى المهنيّينَ الرّاغبينَ بتوظِيفِ مواهِب جديدةٍ أماكنُ يلجَؤونَ إليها، دونَ المرُورِ بالمكاتِبِ التقليديّة التي تعمَلُ على الدّوامِ كغرفةِ اصْطِفاء.

عندئذ سيحصلُ الجمِيعُ على الفُرصَةِ ذاتها بغضّ النّظرِ أكانُوا أطفالاً أم شُبّاناً أو مسنّين، جميلين أو قبيحين، أغنياء أو فقراء، مواطنين أو غرباء، ولن يُحكَمَ عليهم إلا وفقاً للمعَايِيرِ الموضُوعيّة فقط: جودَةُ عملهم وأصالته.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

130. نُدْرةُ المَاء

لتشُبَّ النّارُ وتَنتشِر تحتَاجُ إلى ريحٍ ووقُودٍ قريب. وبما أنَّ الحريقَ لَم يجدْ لا الرّيحَ ولا الوقود، اكتفَى بالتِهَامِ الشّجرة. ثمَّ أودَت بهِ في النّهايةِ زخّةُ مطَرٍ خفيفةٍ مُباغتة. منَ المؤسِفِ أنَّ هذا الماء تَساقطَ مُتأخِراً.

تُحْصِي الثوريّات المُوالياتُ **للأصَابع** أنفسهنَّ. تشَتّتَتِ الصّفُوف، وماتَت الكثيرات، هولُ الصّدمةِ كانَ هائلاً بما يَخصُّ النّاجِيات اللواتي تمنّينَ لو يرَجِعنَ إلى أعشَاشِهنَّ العَتيقَةِ أو إلى غابَةِ ما قبلِ التاريخِ حيثُ سينَمْنَ فيها بلا خَوفٍ مِنَ الاستيقَاظِ علَى شُعلٍ آكلةٍ للحُومِ.

الرّقم 15، الخَبيرةُ في الصّيدِ، تقترِحُ على التجمُّعِ بأنْ يبدأَ البحثَ عن قُوتِهِ، إذْ النّارُ قَدْ نفّرتِ الطّرائدَ مئاتِ الأمتارِ في شتّى النّواحِي.

تُؤكّد الأميرةُ 103 بأنَّ هناكَ في الأعلَى، يأكلُ **الأصَابعُ** طعامَهُم محروقاً. *بل يؤكّدُ **الأصابع** بأنّهُ ألذُّ من اللّحمِ النيئ.*

بما أنَّ النّملَ **والأصَابع** كِلاهما قارت (نباتي ولاحِم)، فلربّما ما يصلُحُ للأكلِ عندَ **الأصَابع** يَصلُحُ للنمل. المُلتفّاتُ حولَها غير مُقتنِعات. تأخُذُ الرّقم 15 بشجَاعةٍ جُثّة جُندبٍ مفحّمة. تنزع بفكّيها فخذَ الحشَرةِ المشْويّ وتُقرّب طَرفي شفتيها.

لا تكادُ تَتذوّقُ فُتاتةً منهُ حتّى تَقفزَ منَ الألَم. شَديدُ الحرارةِ. لقد اكتشَفَت

الرقم 15 للتوّ القاعِدَةَ الأولَى لآدابِ الطّعام: لتناولِ طعَامٍ ناضِجٍ ينبغي أولاً انتظَارهُ حتّى يبردَ قليلاً. ثمنُ هذا الدّرس: فِقدانُها الإحساسَ بطَرفي شفَتيها وستكونُ وسِيلَتُها في التعرّفِ على مذَاقِ الطّعامِ لعدّةِ أيّام، تشمّمهُ بقَرنيها.

تُلاقي الفكرةُ صَدَى طيّباً. يتلمّسُ الجميعُ الحشَرةَ النّاضِجةَ ويَجِدُونَها ألذّ. إذْ إنَّ الخنافِسَ الناضجةَ تكونُ مُقرْقِشة ودرُوعها قابلة للتفتُّتِ ممّا يُسهّلُ مَضْغها، والبزّاقُ الناضجُ يكتسي لوناً جديداً ويقطّعُ بيسرٍ، أمّا النّحل الناضجُ فيُصبحُ كراميل شَهيّ الطّعمِ.

تندَفِعُ النّمالُ ليلتَهِمنَ رفاقَ مُغامرتهنّ بشهيّةٍ مُفرِطةٍ ولا سيّما أنَّ الخوفَ وسَّع مِعدهنَّ الخاصّة منها والاجتِماعيّة.

لا تزالُ الأميرةُ 103 مَسكُونةً بالقلَق. قرناها مُنسَدِلَانِ على عينيها ورأسُها مُطأطِئ.

أينَ الأميرُ 24؟

تبحَثُ عنهُ في الأرجَاءِ كافّة.

أينَ الرقم 24؟ كرّرت، وهي تَعدُو يَمْنَةً ويَسْرة.

شُغِفَت نَفْسُها بتلكَ الرقم 24، أعلَنت شابّة بيلوكانيّة.

الأمير 24، صحَّحَت أُخرَى.

الجميعُ باتَ الآن يعلَمُ بأنَّ الرّقم 24 ذكرٌ والرّقمَ 103 أنثى. وهكذا، في مَعْمَعَةِ هذا الحديث، تولّدَ سلُوك نمليّ جديد: القِيلُ والقَال فيما يخصُّ حياةَ الأفرادِ المَعرُوفِين. ولكن بما أنَّ الصّحافَةَ لم تُوجَد بَعد عندَ الثوريّاتِ المُوالياتِ للأصَابع، فالظّاهرة لم تتضخّم.

أينكَ أيها الأمير 24؟ بثّتِ الأميرَة، وقلقها آخِذٌ في التّزايدِ.

تَطوفُ بينَ الجُثَثِ بحثاً عن صَدِيقها التّائهِ. أحياناً، تنهرُ بعضَ النّمالِ ليفلتنَ الطّعامَ الذي يأكلنه بغيةَ التأكّدِ إذا ما كانَ هو الأميرُ 24. أحياناً أُخرَى، تضمُّ بعضاً من رأسٍ إلى شلوِ صَدرٍ مُحاولَةً إعادةَ تجميعِ صَاحبها المفقُود.

تقنَطُ بعدَ كلّ هذهِ المشقّة، وتكفُّ في النّهايةِ عن البحثِ لابِثةً في مكانِها خَائرةَ القوى.

ترى الأميرَةُ 103 على مسَافةٍ أبعد مُهندِسَات النّار. مُسبّبو الكوارثِ هم دائماً أوّل مَنْ ينجو. ينشَبُّ عِراك بينَ مُؤيّدي النّارِ ومُعارضِيها، إلّا أنَّ عدمَ إدراكِ النّمل حتّى اللّحظَةِ لمفهُومَي الذّنبِ والمُحاكَمةِ إضَافةً إلى شَغفِهِ بكلّ هذهِ الأَطْعِمةِ اللّذيذةِ المشويّة المُتناثرةِ، يضَعانِ حدّاً للشِجَاراتِ.

تُبادِرُ الرّقم 5 إلى الوقوفِ على رأسِ الفرقَةِ نيابةً عن الأميرةَ 103 المشغُولَةِ بالبحثِ عن الرّقم 24.

تجتَمعُ بالفرقَةِ وتقتَرِحُ الابتِعادَ عن أرْضِ الموتِ هذه بحثاً عن مَراعٍ خضراءَ جديدَة، والمُحَافظَة على اتّجاهِ الغَربِ. تقولُ بأنَّ تهدِيدَ اليافِطَةِ البيضَاء لا يزالُ ماثلاً يُرخي ظلّهُ على بيل-أو-كان وإنْ كانَ **الأصَابع** مُتحكّمينَ بالنّارِ والرّافِعةِ، التّقانتان اللتان عَرفْنَ شدَّةَ فتكِهما، فلا بدَّ قادرينَ على تَدمِيرِ مَدِينتِهم وجِوارِها.

تُصِرُّ نملَةٌ مُهندِسةُ نارٍ على أخذِ جُذوةٍ صغيرةٍ تُدارى ضِمنَ حصَاةٍ مُجوّفة. للوهلَةِ الأولَى أرادَ الجَميعُ منعها عن ذلِك، غير أنَّ الرقم 5 تُدرِكُ أنّها قد تكونُ ورقتهنَّ الرّابِحةُ الأخيرة للبقاءِ على قيدِ الحياة حتّى يصِلنَ العُشّ. شرَعَت ثلاثُ حشَراتٍ إذاً في نقْلِ الحصَاةِ الجَوفاء وجمْرتِها البرتُقاليّة كأنّها تنقلُ تابوتَ العهدِ مع الآلِهةِ ذات الكِياسَة.

يتملّكُ السّخطُ نَملَتينِ لمَرْأى النّارِ المُدمِّرةِ مُصَانةً إلى هذا الحدّ منَ الفرقةِ فتُؤثِران مُغادرَتها. في المُحصّلةِ لا يتَبقّى سوى ثلاثٍ وثلاثين نَملةً، المُستكشِفاتُ الاثنتا عشرة والرّقم 103، إضَافةً إلى بضع نملات ثانويّات من جزيرة الكورنيجرا. يَتْبَعنَ مسَارَ الشّمسِ البعيدَةِ وسَطَ السَّماء.

131. الشّمُوعُ الثَّماني

اليومُ الثالِث. ما إنْ بزغَ الفجرُ حتّى استيقظَ الثّمانِيةُ ليصْقُلَ كُلٌّ مِنهُم مشرُوعَهُ.

– ربّما مِنَ الجيّدِ أنْ نجتَمِعَ في مُختَبرِ تكنولوجيا المعلُوماتيّة صباحَ كلّ يومٍ قُرابةَ التاسِعة لتقييم الوضْعِ، اقترَحَتْ جولي.

وقَفَ جي وونغ أوّلاً وسَطَ دائرةِ زُملائِه. أعلَنَ بأنَّ مُخدّم المعلُوماتيّة

«ثورَة النّمل» باتَ جاهِزاً على شَبكةِ الإنترنت. انكبَّ يَعملُ عليهِ منذ السّادسَة صباحاً وسُرعان ما أَصْبحَ لَديهِ بِضْعةُ اتّصالات.

أَشْعلَ الشّاشةَ وعرضَ مُخدّمَه. ثمّةَ على صفْحةِ العَرضِ رَمزهم ذو النّملاتِ الثّلاث على شكلِ Y، والشّعار 1 + 1 = 3 مع عنوانٍ كبير: **ثورةُ النّملِ**.

جالَ بهم جي وونغ بينَ أقسَامِ الخَدمَات؛ أولاً «أغورا» الذي يُتيحُ المجالَ للمُناقشَاتِ العَامّةِ، ثمّ قِسْمُ الإعلام الذي يُخبِرُ عَن نشَاطَاتِهم اليوميّة، وأخيراً قِسْمُ الدّعمِ الذي يَسْمحُ للمتَّصِلينَ أنْ يُسجّلوا في البرامِجِ الجَاريةِ.

– وهي كلّها تَعْمَل. يُريدُ المتّصِلونَ أنْ يعرِفُوا على وجهِ الخصُوصِ لماذا أَسْمينا حركتَنا «ثورةُ النّمل» وما عَلاقتُها بتلكَ الحشَرات.

– تماماً، هذه الخُصُوصِيَّةُ يَنبَغي إثراؤها. الارتِباطُ مع النّمالِ أمرٌ غير مُتوقّعٍ بالنّسبةِ لتمرّد، وهذا سَبَب إضافيّ لنتمسَّكَ بهِ، أكّدَتْ جولي.

وافقَها الأقزامُ السّبعةُ.

أبلَغهُم جي وونغ أنّهُ عبرَ الحاسُوبِ أيضاً، دونَ أنْ يَخرُجَ مِنَ الثانويّة، سجَّلَ اسْمَ «ثورةِ النّمل» وفتَحَ SARL (شركة محدودة المسؤوليّة) التي ستُمكّنهم مِنْ تَطويرِ مشَاريعهم. رقنَ على لَوحةِ المفاتيحِ وظَهرت البياناتُ الأساسيّةُ للشَركة ونِظَام المُحاسَبةِ المُستقبلي.

– منَ الآن فصَاعِداً، لسنَا فرقةَ روك فقَط، أو مجموعةَ شبّان يستَحوِذُونَ على الثانويّة ومُخدّم المعلوماتيّة، وإنّما أيضاً شَركة اقتِصَاديّة رأسماليّة بكلّ ما في الكلمةِ مِنْ معنَى. هكذا، سنَهزمُ العالَمَ القديمَ بأسْلِحته، أعلَنَ جي وونغ.

أمعَنَ الجَميعُ في الشّاشَة.

– هذا جيّد، قالَت جولي، ولكن شركة «ثورة النمل» محدُودة المسؤوليّة يجبُ أنْ تنهضَ على ركائِز اقتصَاديّةٍ متينَة. إذا اكتَفينا بالاحتِفالِ ستَخبو الحَركةُ سَريعاً. فهل أَعددتُم مشَاريعَ تُشغّلُ شَركتنا؟

بدورِهِ وضَعَ نرسيس نفسَهُ في مَرمَى الأَبصَارِ.

– فِكرتي هي تَصْميمُ مجموعَةٍ منْ مَلابِس «ثورة النمل»، مُستَوحاةٍ من

الحشَرات. سأفضّلُ الموادَ المُصنَّعةَ في بِلَادِ الحشَرات، وعدَم الاقتِصَار على حريرِ دُودَةِ القزّ بل أيضاً حَريْر العنكبُوتِ الذي يُستَخدمُ لخِفّته ومتانتِهِ ومُرونتهِ في صِناعةِ السُّتراتِ الواقيةِ للرصَاصِ في الجيشِ الأمريكيّ. أنوي نَقل زخَارفَ أجنِحةِ الفراشَات على الأقمِشة وزخَارِفَ دُروعِ الجِعْلان من أجلِ سِلسِلةِ مُجوهَرات.

قدّم لهم بِضْعَةَ رُسُومٍ أوليّة وعيّناتٍ عملَ عليها اللّيلَ بطولِهِ. وافقَ الجَميعُ؛ وعلى هذا النّحوِ أنشَأت شركةُ «ثورة النّملِ» محدودة المَسؤوليّة فَرْعَها الأوّل الخاصَّ بالألبسَةِ والموضَة. افتتحَ جي وونغ وحدَة إداريّة مُخصَّصَةً لمُنتجاتِ نرسيس. اسْمُ الرّمز: «**شَركةُ فراشَة**». وفي الوقتِ نفسِه ابتكرَ واجِهةً افتراضيّة يقدّمُ للمُتّصلِينَ من خلالِها المُوديلاتِ التي سيبتكِرها نرسيس عبرَ مُراقبتِهِ الحشَرات.

ثمَّ أتَى دورُ ليوبولد في تقدِيمِ مشرُوعِهِ.

– تنطَوي فِكرتي على تأسِيسِ مكتبٍ هندسِيّ لتشييدِ منَازل مُتداخِلةٍ مع تلالٍ.

– ما أهميّةُ هذا؟

– التّرابُ يقي بشكلٍ مِثاليّ من الحرّ والبردِ ومنَ الإشْعَاعاتِ أيضاً، يَقي من الحُقولِ المِغناطيسيّة ومنَ الغُبارِ، فسّرَ. التلّ يُقاوِمُ الرّيحَ والمطَرَ والثلج، التُّرابُ هو المادّةُ الأفضَلُ للحيَاةِ.

– في الواقع، أنتَ تُريد بناءَ نماذِجَ لمنازلِ سُكّان الكهفِ. ألن تكونَ مُعتِمةً بعضَ الشّيء؟ سألَت جولي.

– أبداً. يكفي حفرُ فُتحةٍ مُزجّجةٍ في الجنُوبِ ليكونَ قاعَةً شَمسيّة، وكُوّة رأسيّة في القمّةِ تُتيحُ رُؤيةً مُتواصِلةً لتتابُعِ الأيّامِ واللّيالِي. هكذا، سيعيشُ سكّانُ هذا النّوعِ منَ المنَازلِ وسَطَ الطّبيعةِ تَماماً. يستمتعونَ بالشّمْسِ في النّهار، ويسمّرونَ بشَرتَهم قُربَ النّافذة. وفي اللّيلِ يغفُونَ وهُم يُراقِبونَ النّجُوم.

– وفي الخَارج؟ سَألَت فرنسين.

– ستُغطّى الجُدرانُ الخارجيّةُ بمسَاحَةٍ عُشبيّة وزهور وأشْجار. وستُعطّرُ

الخُضْرةُ الهواءَ بطيبِ الرّائحةِ. إنّهُ منزلٌ مُؤسَّسٌ على الحَياةِ وليسَ مثل منازلِ الإسْمنْتِ! ستَتَنفَّسُ جُدرانُه، وتقومُ بعَمليّةِ التّمثيلِ الضّوئِيّ. ستُكسَى الجُدرانُ بالحَياةِ النّباتيّةِ والحَيوانيّة.

– لفتةٌ ذكيّة. زِد على أنَّ أبْنيتكَ لن تُشوّهَ الطّبيعةَ، لاحظَ دافيد.

– وبالنّسبةِ لمصَادِرِ الطّاقَة؟ سألَتْ زويه.

– سَتمدُّ مُجمِّعاتُ الطّاقةِ الشّمْسيّةِ في قمّةِ التلّ المنزلَ بالكهرَباءِ. يُمكِنُ العَيشُ في منزِلٍ مُتداخِلٍ مع تلّ بطَريقَةٍ جيّدةٍ دونَ التّنازلِ عن الرّفاهيّةِ والحدَاثَة، لفتَ الانتبَاه ليوبولد.

قدَّمَ لهم مُخطّطاتِ منزلهِ المِثاليّ. كانَ على شكلِ قُبّةٍ وبالفعل يَبدُو مُريحاً وواسِعاً.

إذنْ هذا ما دأبَ ليوبولد على إتْقانِهِ منذ أنْ بدأ يرسِمُ منَازلَ طُوباويّة! الجَميعُ يعلَمُ أنّهُ، مثل غَالبيّةِ الهنُود، يبحَثُ عَن مَخْرجٍ مِنْ فِكرةِ المَنزلِ المُربّع لإدخَالِ أشكَالٍ دائِريّة. في الواقِعِ ليسَ المنْزلُ–التّلُّ ذاكَ سِوى خيمَةِ تيبي كبيرَة، بيد أنّ جُدرَانَها أسْمَك.

شعروا بالحَماسَة، وسَارَعَ جي وونغ إلى إضَافَةِ الفرعِ الهندَسيّ الجَديدِ إلى حاسُوبهِ. وطلَبَ مِنْ ليوبولد أنْ يرسُمَ مَنْزلَهُ المِثاليّ ويُجسّمَه بصُورٍ تركيبيّةٍ ليسْتَطيعَ النّاسُ زيارتَهُ وتأمُّلَ ميزاتِهِ. سُمِّي الفرعُ الثّاني هذا: «**شَركَةُ قريةِ النّملِ**».

أتَى دَورُ بول لدخُولِ الحَلَقَة.

– فِكرتي هي ابْتكارُ سِلْسِلةٍ منَ الموادِ الغذائيّةِ المُعتَمدةِ على المُنتَجاتِ الحشَريّة: عَسَل، عُسَيل، فِطْر وعِكْبِر أيضاً، هُلَام ملكيّ... أعتَقدُ بأنّي قادِرٌ على ابتكارِ طُعُومٍ غير معرُوفةٍ ونكهاتٍ جديدةٍ بالأخذِ مِنْ عالَمِ الحشَرات. النّملُ يصنَعُ مِنْ عُسيل الأرْقَةِ كحولاً شَبيهاً بالهيدروميل شَرابنا، مِنْ هنا فِكرتي في تَنْويعِ خمُورِ الهيدروميل لاكتشَافِ نكَهاتٍ مُختلِفةٍ منهُ.

أخْرجَ قارورةً وأذاقَهم قليلاً مِنْ مشرُوبِهِ. اعترَفَ الجَميعُ بأنّهُ ألذُّ من البيرةِ وخَمرِ التّفاحِ.

- أَضَفتُ إليهِ نكهةَ عُسَيلِ الأزْقَة، وضَح بول. عثرتُ عليهِ في شُجيراتِ وردِ الثّانويّةِ وتركتُهُ اللّيلةَ يتخمَّر مع خميرةٍ في مُعوجّات قاعَةِ الكيمْياء.

- لنبدَأ بتَسْجيلِ ماركة الهيدروميل، قالَ جي وونغ وهو يَعملُ على الحَاسُوبِ. وسنَبيعُهُ لاحِقاً بالمُراسَلة.

الشّركةُ وسِلْسلَةُ أغذيتها أُطلِقَ عليها اسْمُ «هيدروميل»

دَوْرُ زويه.

- يزْعُمُ إدمون ويلز، في *موسُوعةِ العلم النسبيّ والمطلق*، بأنَّ النّملَ قادِر على إجراءِ ا.م (اتّصالات مُطلقة) عبرَ تَلاقِي القُرونِ الاسْتشعاريّةِ وبهذه الطّريقةِ تتّصِلُ أدْمِغتُهم إلى بعضِها. ذلكَ جعلَني أحلُمُ. إنْ كانَ النّملُ قادِراً على هذا الشّيء، فلماذا لا يستَطيعُ البشَر؟ يقتَرِح إدمون ويلز صناعةَ تقويماتٍ اصْطِناعيّةٍ للأنوفِ مُتكيّفة مع النّظامِ الشمّي البشَريّ.

- تُريدينَ أنْ تُجْري حِواراً فيرومُونيّاً بشريّاً؟

- بلى. فِكرتي هي مُحاولَةُ صِناعةِ هذهِ الآلة. حينَ يُزوّد البشرُ بقرُونٍ سيفهمونَ بَعضهم بَعضاً على نحوٍ أفضَل.

اسْتَعارت *الموسُوعة* من جولي وأَرَتْهم مُخطّطَاتِ الآلةِ الغريبةِ التي رسَمها إدمون ويلز: مَخرُوطان مُلتَحِمان ينْبتُ مِنْهما قَرنانِ رهيفان مَعقُوفانِ.

- في ورشَةِ الأعمَالِ التّطبيقيّةِ لشَهادَاتِ الدراسَاتِ الفنيّةِ، يوجَدُ كلّ ما يلزَم لصناعَةِ ذلك: القوالِب، الرّاتِنج الصّناعيّ، المُكوّناتِ الإلكترونيّة... من حُسنِ الحَظّ أنَّ الثانويّةَ تَضمُّ القِسْمَ الفنيّ هذا، بهِ سيكونُ بين أيدِينَا مَشْغَلٌ حقيقيٌّ مُجهّزٌ بمُعدّاتٍ تقنيّةٍ عاليَةٍ.

أبدَى جي وونغ تشكّكاً، إذ لم يرَ أيّ نفعٍ اقتصَاديّ وراءَ ذلكَ على المدَى القصيرِ. ولكن، بما أنَّ فِكرةَ زويه أسرّت بقيّةَ أعضَاءِ الفِرقَة، اتُّخِذَ القرارُ بتخصِيصِ ميزانيّةٍ لها تحتَ مُسمَّى «بحث نَظريّ في التّواصُل» لتبدَأ التّجريبَ في صِناعَةِ «قُرونٍ اسْتِشعاريّةٍ إنسَانيّة».

- مشروعي أيضاً لا يَدرُّ رِبحاً، نوّهت جولي وهي تأخذُ مكانَها وسطَ الدّائرة. مُرتبِطٌ أيضاً باختراعٍ غريبٍ موصُوفٍ في *الموسُوعةِ*.

قلّبت الصّفَحاتِ وعرَضَت عليهم تَصميماً، مُخطَّط مُكتظّ بالعلاماتِ المُشَارِ إليها بالأَسْهُم.

- يَدْعو إدمون ويلز هذهِ الآلة «حجَرَ رشيد»، إحياءً لِذكرى شامبليون الذي أطْلَقَ الاسمِ ذاته على قِطعَةِ حَجَرٍ أتاحَت لهُ فكَ رُموزِ الهيروغليفيّة لُغَة مِصْر القديمَة. آلَةُ إدمون ويلز تفكُّ الجُزيئاتِ العِطريّةِ لفيرومُوناتِ النّملِ بحيثُ يتمُّ تحويلها إلى كلِماتٍ مفهومَةٍ من البشَر. وكذلكَ في الاتّجاهِ المُعاكسِ، تُفكّكُ كلماتنا لكي تُترجمها إلى فيرومُوناتٍ نَمليّة. فكرتي هي مُحاولَةُ إنشَاءِ هذهِ الآلة.

- تمزَحين؟

- أبداً! منذُ زَمنٍ طويلٍ يُمكنُ، على المُستَوى التقنيّ، تَحليلُ فيرومُوناتِ النّملِ وإعادَةِ تركيبها؛ لكن ما مِنْ أحدٍ فهِمَ النّفعَ من وراءِ ذلك. المُشكلَةُ، أنَّ جميعَ الدّراسَاتِ العلميّةِ التي تخصُّ النّملَ هدفُها دوماً إبادتهُ لتنظِيفِ مطَابِخنا مِنهُ. كما لو أنّنا عَهِدنا دراسَة الحِوارِ مع المخلُوقاتِ الفضَائيّةِ إلى مُؤسّساتٍ مُختصَّةٍ بالجِزارة.

- ما المُعدّاتِ التي تحتاجينَها؟ سألَ جي وونغ.

- آلة مِطيافِ الكتلَة، جِهازُ كروماتوجرافيا، حاسُوب، وقريَةُ نَملٍ بالطّبع. سبَقَ وأنْ عثَرتُ على الآلتَين في قِسْمِ التّحضِيرِ لشَهادةِ الإعِدادِ المهنيّ لِصناعَةِ العُطُورِ. وبِخصُوصِ قريةِ النّملِ رأيتُ واحِدةً في حديقةِ الثانويّة.

لم تبدُ الحمَاسَةُ على المجمُوعَة.

- من الطّبيعيّ أنْ تهتمَّ ثورةُ النّملِ بالنّملِ، أصرَّتْ جولي، أمامَ سِحْناتِ أَصْدِقائها المُتشكّكة.

رأى جي وونغ أنَّ منَ الأفضَلِ أنْ تحتَفظَ مُغنّيتهم بمكانَتِها قائدة لثورتِهم وألّا تُشتّتَ نفسَها في أبْحاثٍ خفيّة. حاولَت مَعَهم اسْتِجدَاء حُجَّةٍ مُفحِمة:

- ربّما تُساعِدنا مُراقبةُ النّملِ والاتّصالُ معَهُ في إدارةِ ثورتنا على نَحوٍ أفضَل.

رضَخوا لذلكَ ووضَعَ جي وونغ ميزانيّةً ثانيةً تحتَ مُسمَّى «بحث نظريّ».

ثمَّ أتَى دورُ دافيد.

- أتمنّى أنْ يكونَ مشرُوعكَ أكثرَ رِبْحاً في المدَى المَنْظورِ مِنْ مشرُوعَي زويه وجولي، قَالَ الكوريُّ.

- بعدَ الجَمالِ النمليّ، بعدَ النَكهاتِ النمليّةِ، بعدَ الهنْدَسَةِ النمليّة، بعدَ الحِوارِ القرني، بعْدَ التّواصُلِ المُباشرِ مَع النّملِ، فكرتِي تَصْميمُ فوران تواصُل شَبيه بما نَجِدهُ في مَنْمَلة.

- وضِّح فِكرتكَ.

- تَخيّلوا مُلتقَى طُرقٍ تتجمَّعُ فيهِ المَعلُومات وتُقارنُ ببعضِها، بغضّ النّظرِ عن مَجالَاتِها. إلى اللّحظَةِ أُسَمّيهِ «مركزُ الأسئلَة». هو ببسَاطةٍ مُخدِّم معلُوماتيّة يُجيبُ عن جميعِ الأسْئِلةِ التي قدْ تخطُرُ في بالِ إنْسَان. إنّهُ المفْهُومُ ذاتُهُ الذي تنطَوي عليهِ *موسُوعةُ العلمِ النسبيّ والمُطلَق*: تَجميعُ معَارِف الأزمان وإعادَةُ توزيعها لكي يستَطيعَ الجَميعُ الاسْتفادَةَ منها، هذا هو أيضاً ما أرادَ تَحقيقَهُ كلّ مِنْ رابليه، ليوناردو دافنتشي، ومُؤلّفي الموسُوعاتِ في القَرنِ الثّامِنَ عشر.

- عمَلٌ مُهمٌّ آخر لنْ يَدرَّ علينا أيّ ربْحٍ! تنهَّدَ جي وونغ.

- ليسَ كذلكَ أبداً! على رِسْلِك، احتجَّ دافيد. لن تكونَ الأجوبةُ بالمجّانِ سوفَ يُدْفعُ لقاءَ كلّ إِجَابةٍ ثَمنٌ مُتناسِبٌ مع مدَى تعقيدِها وصُعوبةِ الحُصُولِ عليهَا.

- لم أفهَم.

- الثَّروةُ الحَقِيقيّةُ في زَمنِنا هي المَعرِفَة. مضَى عَهدٌ وكانَت فيهِ الزّراعَة، ثمَّ السّلَعُ المُصنَّعةُ، التّجارة، الخدَمات؛ أمّا في أيّامنا، فإنّها المعرِفَةُ. المَعْرفةُ بحدّ ذاتِها مادّة أَوليّة. مَنْ لديهِ معرِفةٌ كافيةٌ بالأرصَادِ الجويّةِ ليتوقّع بدقّةٍ طقسَ السّنةِ القادِمَة قادِرٌ أنْ يُشيرَ لنا أينَ ومتَى نزرَعُ الخُضرَوات للحصُولِ على أقصَى رِبْحٍ. العَارِفُ بدقّةٍ أينَ يَضع مصنَعهُ ليحقّقَ أعلَى إنتاجٍ بأقلّ تكلفةٍ سَوفَ يجني رِبْحاً أوفَر. الذي يعرِفُ وصفَةَ حسَاءِ البيستو اللّذيذةِ حقّاً بوسْعِهِ أنْ يفتَحَ مَطْعماً يجني مِنْ ورائِهِ المَال. ما أقترِحُهُ هو إنْشَاءُ بَنكِ بياناتٍ مُطلَقةٍ تُجيبُ، وأكرّرُ ذلكَ، على جَميعِ الأسئِلةِ التي قَدْ تخْطُرُ على بَالِ إنْسَان.

– حسَاءُ البيستو، ومتَى نَزرَعُ الخُضْراوات؟ قالَ نرسيس سَاخِراً.

– بلى، الأمرُ مفتُوحٌ إلى اللاّنِهاية. يبدأُ بـ «كمْ السّاعَةُ بالضّبطِ؟» السُّؤالُ الذي سيكونُ زهيدَ الثّمنِ، إلى «ما هوَ سِرُّ حجَرِ الفلاسِفَة؟» الذي سيكون باهِظَ الثّمنِ بالطّبع. ستُغطّي أجوبتنا جميعَ مناحي الحَياة.

– ألا تَخاف بأنْ تُفشِي أَسْراراً لا ينبغي إفشَاؤها؟ سَألَ بول.

– حينَ لا نكونُ مُستَعدّينَ لسَماعِ جوابٍ أو فهمِهِ، فلَن نستفيدَ مِنهُ. إذا أَعْطَيتكَ، في هذِهِ اللّحظَةِ، سِرّ الحجَرِ الفلسَفيّ أو سرّ الكأسِ المُقدّس، لنْ تعرِفَ ماذا تَصْنعُ به.

الجَوابُ كانَ كافياً لإقنَاعِ بول.

– وأنتَ، ماذا ستَفْعلُ لتَحصُلَ على أجوبَةٍ عنْ كلّ شَيء؟

– ينبَغي تنْظيمُ خطَواتِنا. سَوفَ نتّصِلُ مع جميعِ قواعِدِ بياناتِ المَعلُومَاتيّة المُتدَاولة، العِلميّةُ منها والتاريخيّة والاقتصَاديّة، إلخ. وسَوفَ نَستَخدمُ الهاتفَ أيضاً طلباً للأجوبَةِ من المَعاهِدِ الاسْتطلاعيّة، ومِنَ الحُكماءِ القُدماء، وسَنلجأ إلى مُشابَكةِ المعلُوماتِ، وإلى وكالاتِ التّحرّيين الخَاصّين، وإلى مكتَباتِ العالَمِ برمّتهِ. في الواقع، أَقترِحُ اسْتِخدَامَ الشّبكاتِ وبُنوكِ المعلُوماتِ بذكاءٍ والتي هي مَوجُودة أَصْلاً لخلقِ نُقطَةِ تواصُلٍ مَعرفيّة.

– حسَنٌ جدّاً، سأفتَحُ فرعَ «**مركز الأسئِلَة**»، أعلنَ جيوونغ. وسنُخصّصُ لهُ أكبر الأقراصِ الصّلبَةِ وأَسْرع أجهزةِ المُودِم في الثانويّة.

وقفَت فرنسين بدورِها وسَطَ الدّائرةِ. بعدَ مشرُوعِ دافيد، بدَا مِنَ المُحَال المُنافسَة. ومَع ذلك ظَهرَ على فرنسين أنّها واثِقَة بنفسِها، كأنّما أبقَت الأفضَل إلى النّهايَة.

– لمشرُوعِي علَاقة بالنّملِ أيضاً. فما هو النّملُ بالنّسبَةِ لنَا؟ إنّهُ بُعدٌ موازٍ لكنّهُ أَصْغَر، لذا لا نُعيرُهُ انتباهنا، لا نَأسفُ لموتِهِ. قادتُه وقوانينهُ وحُروبُه واكتشافاتُه مَجهُولَةٌ بالنّسبةِ لنا. مع أنّنا مُنْجذِبون له بالفِطْرةِ، فنحنُ نَعلَمُ غَريزيّاً، منذُ الطّفولةِ، بأنَّ مُراقبتَهُ تَجعلُنا أكثرَ معرفَةً بأنفُسِنا.

– إلى أينَ تُريدينَ الوصُول؟ سَألَ جي وونغ، الذي لمْ يَكن يَشغلُهُ سوى مدى قَابليّةِ الفِكرَةِ لِتخصِيصِ فرعٍ لَها أمْ لا.

تريَثت فرنسين.

– مِثلنا، يعيشُ النّملُ في مُدنٍ مُزدحِمةٍ بمسَاراتٍ وطُرقات. يَعرفُ الزّراعَة. يَشنُّ حُروباً حاشِدةً وهو مُجتَمعٌ مُنْقسِمٌ إلى طبقات... عالَمَهُ يُشْبهُ عَالَمنا، إلّا أنَّ حَجْمهُ أصْغَر، هذا كلّ شَيء.

– حسَناً، ولكن كيفَ سيُفضِي هذا إلى مَشرُوع؟ قَالَ جي وونغ نافِدَ الصَّبرِ.

– فِكرتي هي خَلْقُ عالمٍ أَصْغَر نُراقبهُ لنأخُذَ مِنهُ دُروسَاً عمليّة. مَشرُوعِي هو ابْتكارُ عالَمٍ معلُوماتيّ افتِراضِيّ نَضَعُ فيهِ سُكّاناً افتراضيّينَ، طَبيعَة افتراضِيّة، حيَوانَات افْتِراضِيّة، منَاخَاً افتراضِيّاً، تَعاقُباتٍ بيئيّة افتراضِيّة حتّى يكونَ كلُّ ما يحدُثُ هُناكَ شبيهاً بالذي يَحدُثُ في عالَمِنا.

– يُشْبه لُعبَة *ارْتِقَاء* بعضَ الشّيء؟ سألَتْ جولي التي بدأت تَفهَمُ إلامَ تَرمي صَديقتُها.

– أجل، غيرَ أنَّ السكّان في لُعبَةِ *ارْتِقَاء* يَفعلُونَ ما يأمُرهُم بهِ اللّاعِبُ. أمّا ما أنْوي أنا فعلهُ فهو دَفْعُ الشَّبهِ مَع عَالمِنا أكثَر. في *انفرا–وورلد*[1] (ما تحتَ العَالَم)، الاسمُ الذي أطلقتُهُ على مَشْرُوعي، سيَكونُ للسكّانِ مُطلَقُ الحُرّيةِ والاسْتقلال. هل تَذكُرينَ جولي الحَديثَ الذي دَارَ بيننا حَولَ حُرّيةِ الإرادَة؟

– بلَى، قلت بأنَّ أكبرَ دلالَةٍ على حُبّ الله لنا هوَ تَركُنا نَرتكِبُ الحَمَاقات. وقُلت بأنَّ ذلكَ أفضَل من إلَهٍ تَوجيهيّ، لأنّ ذلك سيُتيحُ لنا أنْ نَعرِفَ إذا كنّا نريدُ التصرّفَ بطَريقَةٍ جيّدةٍ وإذا كانَ لَدينا القُدرَة على إيجَادِ الطّريقِ الجيّد بأنفسنا.

– تماماً. «حُرّيةُ الإرادَة»... عدَمُ التدخُّل؛ هو الدّليلُ الدّامِغ على مَحبّةِ الله للإنسَان. حسَناً، هذا ما أنْوي تقدِيمهُ لشَعبِ *انفرا–وورلد*. حُرّية الإرادَة. أنْ يُقرّروا بأنفسِهم تَطوّرهم دونَ عَونٍ مِنْ أَحَد. بهذِهِ الطّريقَة، سَيكونُون مِثلنا حقّاً. وسَأوسّعُ مبدأ حُرّيةِ الإرادةِ الجَوهَريّ ليطَالَ جميعَ الكائِناتِ، الحيوانيّةِ مِنْها والنّباتيّة وحتّى الجَمَاد. *انفرا–وورلد* هوَ عالَم مُستقلّ وهو بذلكَ سَيكون، على ما أظنُّ، شَبيهاً بعالَمِنا. وسَتزوّدنا مُراقبتُهُ أيضاً بمعلُومَاتٍ ثمينَةٍ حقّاً.

1- Infra-World.

- تُريدينَ القَولَ بأنّهُ على عكسِ لُعبَة *ارْتِقَاء*، لنْ يُوجَد هناكَ أَحَد يُوحِي لهم بشَيء؟

- لا أَحَد. سنُراقِبهم فقط وأقصى ما سَنفعلُهُ هو إدْخَالُ عناصِر إلى عالَمِهم لنرَى كيفَ سيتَفاعلُونَ معَها. الأشْجارُ الافتراضِيّةُ ستَنْبتُ مِنْ تلقَاءِ نفسِها. النّاسُ الافتراضِيّون سَيقطِفونَ فاكِهتَهم غريزيّاً. وعلى نَحوٍ طبيعيٍّ جدّاً، ستُصَنّعُ مِنها المصَانِعُ الافتراضيّة مُربّياتٍ افتراضيّة.

- ... والتي سَتُأكل لاحقاً مِنْ قِبلِ مُستهلِكينَ افْتِراضيّينَ، أَتْبعَت زويه المُثارةُ بالفِكْرة.

- ما فَرقُه عنْ عالَمِنا إذاً؟

- الزَّمَن. سَيمضِي هُناكَ أَسْرع بعشرةِ أَضْعَافٍ عنْ هنا. ممّا سَيُتيحُ لنا مُراقبةَ الظّواهِرِ الكليّة. كما لو أنّنا نُراقِبُ عالَمَنا على نَحوٍ مُسرَّع.

- وأينَ جَدْواهُ الاقتِصَاديّة؟ سأَلَ جي وونغ، وهو لا يَزالُ مَشْغولاً بالرّبح.

- إنّهُ هائِل، أجابَ دافيد الذي تَنبّهَ إلى النتائِجِ المُترتّبةِ عَن مَشروعِ فرنسين. سَيكونُ بالإمكانِ اخْتِبارُ كلّ شيء في *انفرا–وورلد*. تخيّلوا عالَماً مَعلُوماتيّاً يختَزنُ جميعَ أَنْماطِ السّلُوكِ غيرَ المُبرمَجةِ مُسْبقاً، وإنّما تُصدِرُها أذْهان الشّعُوبِ الافتراضيّةِ بحُريّة.

- ما زِلتُ لا أَفهَم.

- إذا أَردْنا أن نَعرِفَ عن ماركَةِ مُنظّفِ غسِيل إنْ كانَت ستُثيرُ اهْتِمامَ النّاسِ أمْ لا، يكفِي إدْخَالُها في *انفرا–وورلد* لنرَى ردّةَ فعلِ النّاس إزاءَهَا. سيَختارُ السكّانُ الافتراضيّونَ المُنتَجَ أو يرفُضُونه بحُرّية. وبذلك نَحصُلُ على أَجوبَةٍ دَقيقَةٍ وأَسْرع بكثيرٍ مِنْ معَاهِد الاسْتِطلاع لأنّه عِوضاً عنْ اختِبارِ الماركة على عيّنةٍ من مِئةِ شَخصٍ حقيقيّينَ، سنَختَبرها على شُعوبٍ تَصِلُ أَعدادُها إلى الملايينِ منَ الأشْخاصِ الافتِراضيّين.

قطَّبَ جي وونغ حاجِبيهِ ليستوعِبَ جيّداً جدَوى مشْرُوعٍ كهذا.

- وكيفَ ستُدخلينَ براميلَ مُنظّفِ الغسِيلِ لاختِبَارها في *انفرا–وورلد*؟

- عَن طَريقِ أُناسٍ–جُسُور. أَفراد بمظَاهِرَ عاديّة: مُهندِسُون، أَطِبّاء، باحِثون منْ عالَمِهم والذّينَ سنُسلّمُهم موادَ الاختِبار. هُمْ وحدَهُم سيَعرِفونَ

بأنَّ عالَمهم ليسَ لَهُ وجُود وما مِنْ هدَفٍ لَهُ سِوى تنفيذِ تجارِبَ لمصلَحةِ البُعدِ العُلْويّ.

لقد بدا لَهم أنَّ تجَاوزَ طُموحِ مَشرُوعِ دافيد «**مَركزُ الأسئِلَة**» صَعبٌ غيرَ أنَّ فرنسين نَجَحت بذلك. إذْ بَدأوا يتلمّسُونَ حَجْمَ مشرُوعِها.

– وسَيُتاحُ لنا أيضاً اختبارُ سِياسَاتٍ برمّتها في *انفرا–وورلد*. ولسوفَ نتحقّقُ مِنَ النّتائِجِ النّاجِمةِ عن اللّيبرَاليّة والاشْتراكيّة والفوضَويّة والبيئيّة... في المدَى القَصِير والمتَوسّط وعلى المدَى الطّويل. سيرَى نُوّابُ البرلَمان مفْعولَ قانُونٍ ما. سَتكُون إنْسَانيّة مُصَغّرة تحتَ تصرّفنا للاخْتبَار، تُوفّر لنا زمناً بتَجْنيبِ الإنسَانيّة ذات الحَجمِ الطّبيعيّ المُضِيّ في طَريقٍ خاطِئ.

عندَ تلكَ النُّقطةِ، بلَغَت الحَماسَةُ ذُروتَها لدَى الثّمانية.

– عظيم! صَاحَ دافيد. سَتكُون *انفرا–وورلد* داعِمةً لمَشْرُوعي «**مَركزُ الأسئِلة**». فلا بدّ بأنّكِ ستعثرينَ من خلالِ عالَمِكِ الافتراضِيّ على أجوبَةٍ لشتّى الأسئلةِ التي ليسَ بوسْعِنا الإجَابةُ عَنْها مِنْ مَصْدرٍ آخَر.

شفَّت نَظرةُ فرنسين عن عُمقٍ مُتبصّر.

نكزهَا دافيد مِنْ ظَهرِها.

– فعليّاً، تظنين نفسك إلهاً. ستَخلقين عالَماً صَغيراً مُختلَقاً بكلّ تفاصِيلِهِ وستُراقبينَهُ بذاتِ الفُضُولِ الذي راقَبَ فيهِ زيوس وآلهةُ الأولِمب هذهِ الأرض.

– ربّما سَبقَ أنْ اختُبرَت عندنا مُنظّفاتُ الغَسيلِ لصَالِحِ بُعدٍ أعلَى، تدخّل نِرسِيس مُتهكّماً.

انْفجَروا ضَاحِكينَ ثمَّ ما لَبثَ ضَحِكهُم أنْ خفتَ وغدَا أقلَّ طَبيعيّةً.

– ... ربّما، همسَت فرنسين، وقَدْ شردَتْ فجأةً في أفكَارِها.

132. موسوعة

***لعبة إليوزيس:* الهدَفُ مِنْ لُعبةِ إليوزيس هو إيجادُ... قانُونِها.**

تتطلّبُ الجَولَةُ أَربَعة لاعبينَ على الأقلّ. أولاً، يُسمّى واحِدٌ من اللّاعبين الربّ، الذي يبتَدِعُ بِدَورِهِ قانُوناً ويكتُبُهُ علَى مِزقةِ ورَق. يُطلَقُ

على هَذا القانون اسْمُ «قانُونِ العَالَم». ثمّ توزَّعُ رُزمَتانِ بالكَامِلِ مِنْ نَوعِ الـ 52 بِطَاقة بينَ اللّاعبينَ. ثمَّ تبدَأُ الجَولةُ بإنْزالِ لاعِب بِطَاقة مُعلِناً: «يَبتَدئُ وجُودُ العَالَم». اللّاعِبُ المُسمّى الرّب يَحكُمُ بقولِهِ: «هذهِ البطَاقةُ صَالِحة» أو «هذه البِطَاقةُ غير صَالِحةٍ». تُهمّشُ البِطَاقاتُ غير الصّالِحةِ، وترتّبُ البِطَاقاتُ الصّالِحةُ على خَطّ واحدٍ مُشكّلةً سِلْسِلة. يراقبُ اللّاعبونَ تَسلسُل البِطاقَات التي يَقْبلُها الربُّ أثناءَ اللّعب ويَسعَون لإيْجادِ المنْطقِ الذي يحكُمُ هذا الانْتِقاء. عندَما يَعتقدُ أَحدُ اللّاعبين بأَنَّهُ وجدَ قاعِدةَ اللّعبةِ يرفعُ يدهُ ويعلنُ نفسَهُ «نبيّاً». ثمّ يتكلّمُ في مكانِ الربّ ليقولَ للآخرين إنْ كانت البِطَاقةُ الأخيرَةُ الموضُوعَةُ صَالِحة أم غيرَ صَالِحَة. يُراقِبُ الربّ النّبي، إنْ وجدَهُ مُخطئاً يعزِلُهُ، أمّا إنْ كانَ النّبي قَادراً على إعْطاءِ الإجاباتِ الصّحيحَةِ لعشْرِ بِطَاقاتٍ مُتتالية، فيُعلِنُ عن القانونِ الذي اسْتَنتجهُ ويقارنهُ الآخرون مع ما كُتِبَ على الورقَة. فإذا كانا مُتَطابِقين، يفُوزُ وإلّا يتمُّ عزلُهُ. وفي حالِ أُلقيت المِئةُ والأربَعُ بطَاقاتٍ ولَم يَجد أَحد القَانُونَ وثَبُتَ أنَّ جميعَ الأنبياءِ كَانوا على خَطَأ، يكونُ الرَّبُّ قدْ فازَ.

لكن يَنبَغي أنْ يكونَ مِنَ السَّهلِ اكتشِافُ قانونِ العَالَم. الفائدة من اللّعبة، هوَ تَخيُّلُ قَانُونٍ يكون بسِيطاً ويَصْعُبُ العثورُ عليه في آنٍ معاً. فمثلاً، مِن الصَّعبِ جدّاً اكتشَاف قانُون «تناوب بِطَاقةٍ تَزيدُ عنْ تِسعَةٍ مع بِطَاقةٍ تَنقُصُ عن تِسعَةٍ أو تُساويها» لأنَّ اللّاعبينَ يَميلونَ بطَبيعَةِ الحَال إلى إعْطَاءِ اهتِمامِهم بالكامِلِ إلى الأشكالِ وتناوبِ اللّونينِ الأحمَر والأسْوَد. تُمنَعُ القوانينُ التي يَصْعُبُ جدّاً كشْفُها مثل: «البِطَاقات الحَمراء فقَط، باستِثناءِ البِطَاقةِ العَاشِرة، والعشْرين، والثّلاثِين» أو «جَميعُ البِطَاقاتِ باسْتثناءِ سَبعةِ الكوبَة». إنْ كانَ قانُونُ العَالَم لا يُمكِنُ إيجَادُه، يُستَبعدُ اللّاعبُ «الربّ». فما ينبَغي أنْ يستَهدِفهُ هوَ «البسَاطَةُ التي لا نُفكّرُ بها على الفَور».

ما هي أفضَلُ اسْتراتيجيةٍ للفوز؟ لدَى كلّ لاعِبٍ مصْلَحةٌ في المُسارعَةِ بإعلانِ نفْسِهِ نبيّاً حتّى لو كانَت مُجازفَةً.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثالث.

133. الثورةُ تسيرُ إلى الأمَام

تَنخَفِضُ الأميرَةُ 103 لمُتابعةِ حركة قَطيعِ قُراد ينتَجِعُ الكلأ بين مَخالبِ رجْلِها الأَماميّة، على مقرُبَةٍ منْ ثُقبِ أرومَةِ تنّوب.

بلا رَيبٍ هذا القُراد صغيرٌ بالنّسبةِ لنا كما نَحنُ صِغار بالمُقارنةِ مع ***الأصَابع***، فكّرت.

تُراقبهُ بدَاعِي الفضُول. ينشقُّ اللحَاءُ الرماديُّ البَاهتُ طولانياً شرائِحَ صَغيرةً ورفيعة، كاشِفاً عن أخادِيدَ ضيّقةٍ تَعجُّ بالقُراد. تَميلُ الرقم 103 وتشهَدُ حرباً بين خمسَةِ آلافٍ من القِرْدان، وتميّزُ صنفَهم المُنتَمي إلى القُرادِ الخنفُسيّ، في مواجهةِ ثلاثمائةٍ منَ القُرادِ المائيّ. ترمُقها الأميرةُ 103 لبُرْهة. مُدهِشٌ القُراد الخنفسيُّ ولا سيّما مَخالِبهُ النابتَةُ في كلّ مكان، على المَرافقِ والأكتَافِ وحتّى في الوجهِ.

تتسَاءلُ الأميرةُ عن السّبَبِ الذي يدفَعُ القُراد المائيّ الذي معظَمُ تواجدِهِ في المَاءِ إلى القدُومِ لغزو الأشجَار. تلكَ القشريّات المُشعِرةُ الضّئيلةُ، المُجلّلة، المُسلّحةُ بأنيابٍ ومناشِرَ وخنَاجِر وخُطومٍ مُدبَّبة معقّدةٍ، تَشنُّ معاركَ ملحَميّة. من المؤسِفِ ألّا يكونَ لدى الرقم 103 الوقتُ لمتابعَةِ مُشاهدتها. لا أحد سيعلَمُ بحروبِ شعبِ القُرَادِ ولا بغزواتِهِ ولا بمآسيه أو طُغاتِه. ما مِنْ أحدٍ سيعلَمُ من انتصَر، القُرَادُ الخنفسيُّ أم القُراد المائيّ، في المعركةِ المُتناهيةِ الصّغر، معركَةُ الشقِّ الطوليّ الثلاثين في جذعِ شجرةِ التنّوبِ الكبيرة. ربّما، في شقّ آخر، قِرْدان أُخرى أكثرُ إدهاشاً من قَبيلِ: القارِمَةِ الجَرَبيّة والتيروغليفوس والجَامِد وناخِسُ الجِلدِ أو بُرامُ الطّير، تشنُّ معارِكَ أروع في سبيلِ تحدّياتٍ أشدَّ إثارة. ولكن لا أحدَ يهتمُّ بذلكَ ولا النّمل، ولا حتّى الرقم 103.

بالنّسبةِ لها، قرّرت أنْ تصبَّ اهتمامَها على **الأصَابع** العَمالقةِ ومنْ ثمّ على نفسِها. ذلكَ يكفيها.

تَستأنِفُ الطّريق.

لا يلبَثُ رتلُ ثورةِ **الأصَابع** حولها يتَضخّم. كانوا ثلاثاً وثلاثينَ بعدَ الحَريق، والآن قَاربوا المِئةَ حشرةٍ من شتّى الأصنافِ. لا تُخيفُ أدْخِنةُ

البراسيرو[1] الفضوليّينَ أبداً وإنّما تَجتَذبهم بالفعلِ، يَأتونَ لرؤيةِ النّارِ التي لطالَما سَمِعوا عنها وللإصْغاءِ إلى حِكايات أُوديسة الرّقم 103.

تُعيدُ الأميرةُ 103 سُؤالَ كلّ واصِلٍ جديد إنْ كانَ قَدْ رأى ذكَرَ نَملٍ روائِحُ جَوازِ سَفرهِ تَتَطابَقُ مع الرّقم 24. ما مِنْ أَحدٍ مرَّ عليهِ هذا الاسم. الجَميعُ يُريدُ رُؤيةَ النّار.

هذهِ هي النّارُ الفظيعةُ إذاً!

يبدُو الوَحشُ، وهو أَسيرٌ في حَاويتهِ الحَجريّة، قَد نَالهُ النُّعَاس، ومع ذلك تُحذّرُ أُمّهاتُ الخنَافسِ صِغارها مِن مَغبَّةِ الاقترابِ مِنهُ، إنّهُ خَطير.

تقتَرِحُ الرّقم 14، المُختصّة بالتّواصُلِ مع الشّعُوبِ الغَريبَة، أنْ يَحمِلَ حَلَزُون البراسيرو، إذ إنّه ثقيل. تنجح بإيْصَالِ طلَبها إلى الرّخويّ وتُقنِعهُ بأنّ السّخونَةَ على الظّهرِ مُفيدةٌ جدّاً للصِحّة. تَقبلُ الدابّةُ خَوفاً منَ النّملِ أكثر مِن أيّ سَببٍ آخَر. تقتَرِحُ الرّقم 5، راضِيةً لتلبيتِهِ الطّلَب، أنْ تُحمّل حَلازينَ أُخرى بالطّريقةِ ذاتها الطّعامَ وأوعِيةَ البراسيرو.

الحَلَزون حَيوان بَطيء صَالِح للسَيرِ في شتّى التّضاريس. طَريقَةُ تنقّلهِ غَريبةٌ حقّاً. يُرطّبُ الأرضَ ببزاقهِ ثمَّ ينزَلِقُ على شَريطِ التزلّجِ الذي هيّأهُ أَمامَهُ. النّمِالُ اللّواتي إلى اللّحظةِ كُنَّ يأكلنَهُ دونَ أَنْ يُراقِبنَه، لا يُصدّقنَ عيونهنّ وهنَّ يَرينَ هذِهِ الحَيوانَاتِ تُفرِزُ بُزاقاً إلى مَا لانهَاية.

بالطّبعِ، تُثيرُ المَادّةُ مُشكلةً عندَ النّمالِ اللّواتِي يَسِرنَ في الخلفِ ويَجدنَ أنفسهنّ يخُضنَ فيها. ممّا يُجبرهن على التقدّمِ ضِمنَ رَتلينِ إلى جانِبي خطّ البُزاقِ.

ثمّةَ ما يُثيرُ الدّهشَة في مَوكبِ النّملِ هذا الذي تتخلّلهُ حَلازِين قُرمزيّة تَتَصَاعَدُ منها الأدْخِنة. تخرجُ مِنْ بينِ الأدغَالِ حشَراتٌ، مُعظَمُها منَ النّمل، بقرونٍ مُتسَائِلةٍ وبُطونٍ مُنطَوية. في هذا العَالَمِ المُبتَذلِ ما مِن يَقينٍ مطلقٍ، فِكرةُ السّيرِ سويّةً لاكتِشَافِ سِرّ كَوني، تَجتَذِبُ بَعضاً من المُسْتكشِفاتِ الغرِيباتِ السّائِمات وبِضْعَ مُحارباتٍ شَابّاتٍ جسُورات.

1- (Brasero، إسبانيّة الأصل): وعاء جَمر للتدفئة.

تتضَاعَفُ أَعدَادهم مِنْ مِئةٍ إلى خمسمائة. ثورةُ المُوالينَ **للأصَابِع** تأخُذُ هيئةَ جيشٍ كبيرٍ في حَالةِ ارْتِحَال.

العُنْصُرُ المُفاجِئُ الوحِيد، فُتورُ حمَاسَةِ الأميرةِ البَاسِلة. لا تسْتَوعبُ الحشَراتُ كيفَ يُمكن إعطَاء فَرْد كلّ هذهِ الأهميّةِ الخاصّة، حتّى لو كانَ الأميرُ 24. غيرَ أنَّ الرّقم 10 تُذْكي الملحَمةَ جيّداً وتُفسّرُ بأَنَّهُ مرّة أخرى مرَضٌ إصْبعِيّ نَموذَجي: الشّغفُ بأشخَاصٍ مُميّزين.

134. يَومٌ جَمِيل

وهُم مُنْهمِكونَ في بناءِ ثَورتِهم الصّغيرة، تملّكَ جولي ورِفاقها شُعورٌ بالتجدّد: أنْ يرَى المرءُ ذِهنهُ الفرديَّ وقَد غدا ذِهْناً جمَاعيّاً كما لو، فجأةً، تكشَّفَ أَمَامهُ سرٌّ خَارقٌ: لا يُحدُّ العَقْلُ بسِجْنِ الجَسَد، لا يُحدُّ الذكاءُ بكَهفِ الجُمْجُمة. كانَ يكفي لجولي أنْ تُريدَ حتّى يخرُجَ ذِهْنُها منَ الجُمجُمةِ ويَسْتَحيلَ مُطرّزةَ دانتيل هَائِلة تتوسَّعُ دونَ حُدودٍ ناشرةً الضّياءَ حولَها.

كان بوسِع ذِهْنها احتِضَانُ العَالَم! لطَالَما عَرفَت بأنّها ليسَت مُجرّد كيسٍ كبيرٍ منَ الذرّات، لكنْ لَم يَخطُر في بالِها التِقاطُ هذا الشُّعور بالقُدرَةِ الكليّةِ الرّوحيّةِ...

وفي الوَقتِ ذاتِهِ انتابَها شُعورٌ قويّ آخَر: «أنا غيرُ مُهمّة». بما أنّها توسَّعت، بما أنّها حقّقت نفسَها في مجمُوعةِ ثوّارِ النّمل، ثمّ بالقُدرَةِ على مدِّ ذِهْنها إلى العَالَم، باتَت أقلّ اكتراثاً بفرديّتها. بدَتْ لها جولي بانسون شَخصاً خارجاً عنها تَتْبعُ تصرّفاتِهِ كأنّ الأمرَ لا يخصّها بشكلٍ مُباشَر. كانت حَياة بينَ حيَواتٍ أُخرَى كثيرة. تخلّصَت من البُعدِ الفريدِ والتّراجيدِي الذي ينطَوي عليهِ مصِيرُ كلّ بشَريّ.

شَعرتْ بخفّة.

إنّها تَعيشُ، وسَوفُ تَموت، وماذا يَعنِي هذا الأمرُ العَابرُ وغير المُهمّ. في المُقابل، كانَ ذِهْنُها يُبقي إمكانيّةَ اجْتيازِ الفضَاءِ والزّمَن، يَطيرُ مثلَ مُطرّزةِ ضِياءٍ هائِلَة! هذا الشّيءُ مَعرِفةٌ خَالِدة.

«مرحَبا، ذِهْني»، تَمْتمَت.

ولكن بما أنّها لم تكن مُهيّأة للتعامل مع شعور كهذا بدماغها الذي لا يعمل إلّا بـ 10% من اسْتِطَاعتهِ مثل دماغ أيّ شَخص، رَجعَت إلى دَاخلِ شقّة جُمْجُمتها الضّيقة. هُناكَ، لبَدت مُطرّزةُ ضِيائِها، مُنكمشةً، مُجعّدة في أسفل جُمْجُمتها كما منْديلٍ ورقيّ مُبتذَل.

كانت جولي مُنهمكةً في تركيبِ طَاولاتٍ ونقل كراسيَّ وربْطِ حِبالِ الخيمِ وغَرزِ الشُّوكِ-الأوتادِ، تُحيّي الأمازونيّات، تهرَعُ لمُسَاعدةِ ثوّار آخرينَ على إبقاءِ إنشاءٍ مُتوازن، تأخُذُ جرعَة هيدروميل لتُعيدَ الدّفءَ إلى أحشَائِها، تُدنْدنُ وهي تَعمَل.

تصبّبت بضعُ حُبيباتٍ من العرَقِ من جبينها وعن أعلَى فمها، ولمّا انحدَرتْ إلى زاويتي شفَتيها، ارتشفتها دُفعةً واحِدة.

ثوّار النّمل أمْضوا اليومَ الثالِثَ من احتِلالِ الثانويّةِ في إنْشَاءِ أَجْنحةٍ يُقدّمونَ مشَاريعَهُم مِنْ خِلَالها. فكّروا بدايةً أنْ تكونَ مَواقِعها في قاعَاتِ الصفّ ولكن ارتأَت زويه بأنَّ وضعها في الأسفل على عُشبِ البَاحَة أكثر وِدّاً، بجِوارِ الخيمِ والمِصْطَبَة. وبذلك يكُونُ بوسْعِ الجَميعِ زيارتُهم ومُشَاركتُهم.

لم يكن إنْشَاءُ وحدَةٍ اقتِصَاديّةٍ قابلةٍ للعيشِ يحتاجُ سِوى خيمة تيبي وحَاسُوبٍ وسِلك كهرباءٍ وسِلك هاتِف.

بفضْلِ الحَواسيبِ، في غضُونِ سَاعَات، كانت مُعظَمُ المشَاريعِ الثّمانيةِ جاهزةً للعمَل. وإنْ كانَت الثّورةُ الشّيوعيّة هي «السُّوفييت زَائِد الكهربَاء»، فإنّ ثورتَهُم «النّملُ زَائِد المَعلُومَاتيّة».

في جنَاحِ الهندسَةِ الخاصّ به، كانَ ليوبولد يَعرِضُ نَموذجاً ثُلاثيَّ الأَبعَادِ مِنَ الصّلْصَال لمنزلِهِ المِثاليّ ويَشْرحُ مبدأ تيّاراتِ الهَواءِ الحَارّة والباردَةِ وهي تدُورُ بينَ الأرضِ والجُدران لتعديلِ درَجةِ الحَرارةِ كما في قريةِ نَمل.

كانَ جناحُ مركزِ **الأسئلَةِ** لدافيد يعرِضُ حاسُوباً بشَاشةٍ كبيرةٍ وقُرصاً صَلباً ضَخْماً يُصْدرُ أزيزاً وقد خُزّنت فيهِ المعلُوماتُ ضِمنَ مجمُوعَاتٍ. كانَ دافيد يُقدّمُ عُروضَاً عمليّةً لآلتِهِ وشَبكتِه. وهناكَ أشخَاصٌ عرضُوا عليه المُسَاعدَة في إنْشَاءِ مجَاسّ للبحثِ عن المعلُومات.

في جنَاحِ «شركةِ ثورةِ النّملِ محدُودةِ المسؤوليّة»، أخذَ جي وونغ يُرتّبُ

اندِفاعَاتِ الحماسَةِ الثوريّةِ وينشُرُ المعلُوماتِ عن فعّاليّاتهم. سُرعانَ ما ظَهَرَت، في بعضِ أرجاء العالم، ثانويّات، جامعات، وحتّى ثكنات راغِبونَ بالتطوّعِ لتَنظِيمِ تجَاربَ مُشابِهةٍ في مُؤسَّسَاتِهم.

كان جي وونغ يَستَخلِصُ لأجلِهم دُروسَاً من التّجربةِ ذاتِ الثّلاثةِ أيّام: البدءُ بحفلَةٍ ثمَّ المُتابعةُ بتشكيلِ شَركةٍ وإنشاءُ فُروعٍ بمُساعدةِ أدواتِ المعلُوماتيّة.

أملَ جي وونغ بأنْ تَغتَني ثَورةُ النّملِ بمُبادراتٍ جَديدةٍ إذا ما انتشَرت على نِطَاقٍ جُغرافيّ واسِع. كما راحَ يقترِحُ على كلّ ثورةِ نَملٍ خارجيّةٍ مُحاكاةَ تَجربتَهم.

كانَ الكوريّ يُعطِي مُخطّط موقِعِ المِنصّة، خِيمُ التيبي، النّار. ويَعرِضُ رموز ثورتهم: النّملُ، المُعادلَةُ «1+1= 3»، الهيدروميل، ولعبة إليوزيس.

في جنَاحِ «المُوضَة»، أحاطَ نرسيس نفسَهُ بأمازونيّاتٍ ليكنَّ عَارضَات أزيَاءٍ أو خيّاطَات مُبتَدئات. كانَت بعضُهنّ يُقدّمْنَ ملابسَهُ المَطبُوعة برسُوم حَشَريّة، وأخريَات كنَّ يرسِمْنها على شَراشِف بيضَاء مُقتدِياتٍ بتوجِيهَاتِ المُصَمّم.

أبعدَ قليلاً، زويه التي لَمْ يكُن لديها الكثير لتعرِضَهُ غيرَ أنّها كانت تَشْرحُ طُمُوحَها لاتّصَالٍ مُطلَق بينَ البشَرِ وفِكرتُها أنْ تقُومَ بذلكَ بواسِطَةِ قُرونٍ اسْتشعاريّةٍ أنفيّة. في البدايَةِ كانَ ذلكَ يُثير الضّحكَ ولكن، بسرعة، ينتَهي الأمرُ بالنّاسِ إلى الإصْغَاءِ إليها، وإنْ لمُجرّدِ الحُلم بعَملٍ باهرٍ كهذا. في الواقِع، تحسّرَ كلّ واحِدٍ مِنهم لأنّه لم يُجرِ قطّ اتّصالاً حقيقيّاً مع أحدٍ، ولو لمرّةٍ واحدَةٍ.

في جنَاحِ «حجَرِ رشِيد»، راحَت جولي تُثبّتُ قريةَ النّمل. ساعَدها مُتطوّعونَ بالحفْرِ عَميقاً في الحديقَةِ لأخذِ القريةِ بأكملِها، بما فيها المَلِكة. وضَعتهُ جولي لاحِقاً في حَوضِ سمكٍ جُلبَ مِنْ قاعةِ عِلمِ الأحيَاء.

لم يَخلُ المكَان منَ التَّسَالي. فقد تُرِكت الطّاولاتُ مكانَها في قاعاتِ البينغ بونغ حيثُ راحَتِ المُبارياتُ تتوالى، وباتَت قاعَةُ مَخبرِ اللّغاتِ، بأجهزَتها الفيديو، تُستعملُ قاعةَ سينما. أبعد قليلاً، ثمّةَ مَنْ يلعَبُ لُعبَةَ إليوزيس التي

وردَت في موسُوعةِ *العلم النسبيّ والمطلق*. هدَفُها كانَ اكتشافَ قانُون اللّعبَة المُناسِب لتطويرِ المُخيّلاتِ وسُرعانَ ما غَدَت اللّعبَة الأكثر حُظْوَة.

مِنْ أجلِ وجَباتِ الغدَاء، كانَ بول يتَبجّحُ بأنّه يُعدُّ ألذّ وجباتٍ. وفسّر: «كلّما كانَ الطّعامُ لذيذاً، تأجّجت حماسَةُ الثوّار»، طَامِحاً بأنْ يحتلّ مطْبخ ثورةِ النّملِ مرتَبةً مرمُوقَةً ضِمنَ الأدلّةِ السياحيّة. كانَ يحرُصُ شخصيّاً على إعدَادِ الأطباقِ في المَطبخِ وابتكارِ نكَهاتٍ جديدَة بعسَلِهِ الغرائبيّ. عسَلٌ مقليّ، عسَلٌ مَكْبوس، عسَلٌ مَسحُوق، صَلْصَة عسَل، جرّبَ احْتِمالاتِ طُرُقِ التّحضِيرِ كلّها.

وبما أنّه يوجَدُ طَحينٌ في المُستَودعاتِ، اقترحَ بول بأنْ تُصنّعَ الثّورةُ خُبزها بنفسِها إذْ مِنَ المُحالِ الخُرُوج وشراؤه مِنَ المَخبزِ. فكَّ ناشِطُون جِدَاراً صَغيراً للحصُولِ على القرميدِ الذي بنوا بهِ فُرناً. كان بول يُشرِفُ على العِنايةِ بحديقَةِ الخُضَارِ والبُستان اللذين سَيزودانِهم بفاكهةٍ وخُضْراواتٍ طازجةٍ حتّى في حالَةِ الحِصَارِ المُطبق.

كانَ بول في جناحِهِ «فنُّ الطّهي» يؤكّدُ بصَوتٍ عالٍ على المَلأ بأنَّ على المرءِ الوثُوقَ بحاسّةِ شمّهِ ليميّزَ الأطعِمةَ الجيّدة، وعندَما يراهُ المرءُ وهو يشمُّ عصَائر عسَلِه وخُضرواتِهِ يُدرِكُ بأنّه سَيحصُلُ على نَوعيّةِ طَعامٍ فاخِرة.

أَتَتَ إحدى الأمازونيّاتِ تُخبِرُ جولي بأنَّ هناكَ أحداً يُدعَى مارسيل فوجيرار ينتَظرُ على الهَاتفِ، صَحفيّ محلّي، ويريدُ مُكالَمةَ «زعيمِ الثّورة». وقَد أَخبَرتهُ بأنّهُ ما مِنْ زَعيم، ولكن يُمكِنُ اعتبارُ جولي مُتحدّثةً باسْمِهم، فأرادَ إجْراءَ مُقابلَة. أخذَت السمّاعة.

- مرحباً، سيد فوجيرار. إنّي مُتفاجِئةٌ باتّصَالكَ. توقّعتُ أنّكَ تتكلّمُ أفضل عن الأحدَاثِ التي لا تَشْهدُها، علّقت جولي بمكرٍ.

تَجاهلَ المُلاحظَة.

- وددتُ أنْ أعرفَ عددَ المُتظَاهِرين. أخبرتني الشُّرطَةُ بأنَّ نَحوَ مِئةٍ اسْتولُوا على ثانويّةٍ وأغلَقوا على أنفُسِهم، مُعطّلينَ عملَها الطبيعيّ، أردتُ أنْ أعرِفَ تقدِيرَكِ.

- ستَضَعُ رَقَماً مُتوسّطاً بينَ رَقمِ الشّرطَةِ والرقَمِ الذي سُأعطيهِ لك؟ لا داعي. فلتَعلَم أنّنا خمسُمائة وواحِدٌ وعُشرونَ بالضّبطِ.

- هل تَنْسِبونَ أنفسَكُم إلى التّيارِ اليَساريّ؟
- أبداً.
- التّيارُ اللّيبراليُّ إذاً؟
- ولا هذا.
بدا الرّجُلُ في الجِهةِ الأُخرَى مِنَ الخطّ مُغتَاظاً.
- الانتِماءُ بالضَّرورةِ لليمينِ أو اليسَارِ؟! أكّد فوجيرار.
شَعرَت جولي بالضّجر.
- لا يبدو أنّكَ قادِرٌ على التّفكيرِ سِوى باتّجاهين، تنهّدَتِ الشابّة. لا يَسِيرُ المرءُ إلى اليمينِ أو إلى اليسَارِ فقط. يُمكنُ أيضاً المُضِيُّ إلى الأمَامِ أو الرّجوعَ إلى الوراء. نحنُ، نَمضِي «إلى الأمَام».
قلّبَ مارسيل فوجيرار الجَوابَ بذِهْنِهِ مُطوّلاً شَاعراً بالخيبةِ لعدَم تلاؤمِهِ مع ما كتَبَهُ سَابقاً.
أخذَت زُويه التي كانت تُصغِي على مَقرُبةٍ مِنْ جولي السمَّاعةَ:
- إنْ كانَ لا بُدَّ مِنْ ربطِنا إلى حزبٍ سياسِيّ، فيَجبُ ابْتِكارُ الحزبِ وتسميته «الارتِقَائيّ»، أبلَغتهُ. نَحنُ مُؤيدو فِكرةِ أنْ يتَطوّرَ الإنسَانُ على نَحوٍ أسْرَع.
- تماماً، هذا ما اعتَقدته، أنتُم يسَاريّونَ، ختَم الصّحفيُّ المَحلّي، مُرتاحاً لاعتقَادِه.
أغلَقَ السمَّاعةَ شَاعِراً بالغِبطَةِ أنَّ ظنَّهُ كانَ في مكانِهِ مُجدّداً. مارسيل فوجيرار هاوٍ شَغوف بالكلِماتِ المُتقاطِعةِ، ويُحِبُ أن يُدخِلَ كلّ شيءٍ في مُربّعات. بالنّسبَةِ له، لم يكن المَقالُ سِوى جَدولٍ جَاهِزٍ بالكامِلِ نُدخِل فيهِ عناصِرَ بالكادِ متغيّرة. وعلى هذا النَّحوِ لديهِ سِلْسِلة كامِلةٌ منَ الجَداوِلِ. واحد للمقَالاتِ السياسيّة، وواحد للمُناسَباتِ الثّقافيّة، وآخر للحوادِث، وواحد أيضاً للمُظاهرات. بدأ ينقُرُ مَقالَهُ ذا العُنوانِ المُعدّ مُسبقاً: «ثانويّةٌ تحتَ حِراسَةٍ مُشدّدة».
شَعرَت جولي، وقَد أغضَبتْها تلكَ المُحادثة، بحَاجَةٍ غَريبةٍ لأنْ تأكلَ. انضمَّت إلى بول في جناحِه. كانَ قد ابتَعدَ قليلاً إلى الشرق لئلّا تُضايقهُ الأصْواتُ الصّادِرةُ عن المِنصّة.

تحادثنا معاً عن الحَواسّ الخَمس.

برأيِ بول يكتفي البشرُ ببصَرِهم فقط لنقلِ ثمانينَ بالمائةِ من المعلُوماتِ إلى أدمِغَتِهم. ثمّةَ مُشكلة لأنّ البصرَ، بالنّتيجَة، يتحوّلُ إلى حاسّةٍ طَاغيةٍ جاعِلاً حِصّةَ الحواسّ الأخرى ضَئيلة. ولتتحقّقَ من ذلكَ بنفسِها، عصَبَ لها عينيها الرّماديّتين الفاتِحتين بوشَاحِهِ وطلَبَ منها تحديدَ الرّوائحِ المُنبعثةِ منْ أورِغِ الرّوائح. قبلَت اللّعبةَ برحَابةِ صَدر.

تعرّفَت بيسْرٍ على الرّوائِح السّهلةِ مثل رَائِحةِ الزّعترِ أو الخُزامى، وضيّقت فُتحَتي أنفها لتُسمّي يَخنةَ لَحمِ البقَر، الجَوربَ المُستَعمل أو الجِلدِ القدِيم. أخذَ أنفُ جولي يَستيقظ. ميّزت وهي ما زالت مُغمضَةَ العينينِ الياسمين، النَّجيلَ الهنديّ والنّعنَع. وحتّى أنّها نَجَحت، وهو إنْجازٌ صَغير، بالتعرّفِ على رائِحةِ البندُورة.

- مرحَباً، *أنفي*، قالَت.

قالَ لها بول بأنَّ الرّوائِح مَثَلُها كَمَثَلِ المُوسِيقى والألوان، هي ذَبذَبات واقترَحَ عليها بأنْ تتعرَّفَ على الطّعُومِ مع إبقاءِ عَينيها مَعصُوبَتين.

اختبرَت مأكولاتٍ ذات طعُومٍ يَصعُبُ التعرّفُ عليها. وحاولَت، بجِماعِ سَقفِ حَلقِها الذي أخذَ يستَيقظ معرفَةَ أسْمائِها. في الواقع، لم يكنْ هناكَ سوى أَربَعةِ طُعُوم: مرّ، حامِض، حُلْو، مالِح وجَميع الرّوائِح الآتيةِ بواسِطةِ الأنف. بانتِباهٍ كانت تُلاحِقُ مسَارَ لُقمَةِ الطّعام. مَدفوعةً في الزّحفِ على الجِدارِ الأنبوبيّ، راحَت تَنزلِقُ في مَريها قبل الوصُولِ إلى معِدتها حيثُ تَنتَظرها هناكَ أنواع شتّى منَ العُصَاراتِ المعديّة لتشْرَعَ بالعَمل. أَضحكتها مُفاجأة الإحسَاسِ بها.

- مرحَباً *معدتي*!

جسَدها كانَ سَعيداً بالطّعام. جِهازُها الهضميّ كانَ يعرّفها عن نَفسِه، ظلَّ مَسجُوناً زمناً طَويلاً. شعرَت جولي بالشّراهةِ للطَعام. فَهمت بأنّ جسَدَها يتذكّرُ جيّداً نَوباتِه لفُقدانِ الشهيّة، لذا أصبحَ يتشبّث بأقلّ جزءٍ منَ الطّعامِ خوفاً من أنْ يُحرَمَ منهُ ثانية.

بدَت السكّريّات والأغذيةُ الدّسِمة على الأخصّ تُبهجُ جسَدها بعدَ أنْ

باتَت مُصْغيةً لَه. قدّم لها بول لُقيماتٍ من الكعكِ الحُلو والمالِح وهي لا تزالُ مَعصُوبة العَينين، ثمّ منَ الشّوكولاتة، ومنْ حبّاتِ العِنَب والتُفاح والبُرتُقال. كلّ مرّة كانت تُصْغِي إلى حُليماتِها الذوقيّةِ وتُسمّي ما تتذوّقه.

- الأعضاءُ تنامُ حينَ لا نُفكّر باسْتِخدامها، أشارَ بول.

ثمّ، وهي لا تَزالُ مَعصُوبة العَينينِ، قبّلها على فَمها. جَفِلت، تردَّدت، وفي النّهايةِ دَفَعته. تنهَّد بول:

- سامِحيني.

وهي تَنزِعُ عِصَابتها، بدا على جولي أنّها مُحرجة أكثر مِنهُ تقريباً:

- لا عليكَ. لا تُؤاخِذْني فأفكَاري مَشغُولة في هذهِ الآونَةِ بشيءٍ آخر.

خَرجَت. لَحِقت بها زُويه التي تابَعتِ المَشْهد.

- ألا تهتمّينَ بالرّجَال؟

- أكرهُ المُلامسَة الجلديّةَ على العُمُوم. ولو أنَّ الأمرَ مُتعلّق بي لكنتُ وضَعتُ واقيَ صدَمات هائِل لأحصّنَ نفسي من جَميعِ أولئكَ النّاس الذين، بسَببٍ ومن دون سَبب، يأخذونَ يدكِ ويَضمّونَ كتفيك، ناهيكَ عمّن يَعتَبرون أنّهُ من الضّروريّ تَقبِيلكِ من أجلِ أن يقولوا: مَرحباً. يُريّلونَ على وجنتيكِ وهذا...

سألَت زُويه جولي بِضْعةَ أسئلةٍ أُخرى عن حياتِها الجنسيّة وصُدِمت لمعرِفَتها بأنّها هي التي بعُمرِ التاسِعة عشر، المُحبّبةُ للنفسِ، ما زالت عَذراء.

فسَّرت لها جولي بأنّها لم تكن تَرغَبُ بالعلاقاتِ الجنسيّةِ لأنّها لا تُريدُ أنْ تُشبهَ أبويها. بالنّسبةِ لها، الجِنسُ، الخُطوةُ الأولَى نَحو تَشكيلٍ ثُنائيّ، ثمّ نَحوَ الزّواج وأخيراً حياة بُرجوازيّينِ مُسنّين.

- عَندَ النّملِ طَبَقةٌ خاصةٌ، عديمةُ الجِنْس. تُتركُ بسَلامٍ، وهذا التّركُ لا يُكدّر صَفوها. وما منْ أحدٍ يلحُّ عليها بأسْطوانةِ العارِ جرّاء حالتي «العانِس» أو الوحدَة.

انفَجرت زويه ضَاحكةً ثمّ أمسكَت كتِفيها.

- نحنُ لَسنا حشَرات. نَحنُ مُختلِفون. لا يوجدُ بيننا عَدِيمُو جنس؟

- إلى الآن لا يُوجَد.

- المُشكِلة، أنّكِ تَغفلِينَ عَن فِكرةٍ أساسيّة: ليسَ الجنْسُ هو التّناسُلُ فقط، وإنّما اللذّة أيضاً. حينَ نُمارِسُ الحبّ نستمتع. نمنح لذّة. ونتبادل اللذّة.

علَت سِحْنةُ جولي تكشِيرةُ ارتياب. لم تَجدْ، إلى اللّحظةِ، مبرّراً لتَشكيلِ زَوْج، وأكثر من ذلك للتواصُلِ باللّمْسِ مع أيٍّ يكُن.

135. موسوعة

***أسلُوب مُضَاد للعُزوبيّة*: بقيَ الفلّاحونَ حتّى عام 1920 في بعضِ القُرى، في جِبالِ البيرنيه، يحلّونَ مشكلات القِران بطَريقَةٍ مُباشرة. كانَ هُناكَ ليلةٌ في السّنةِ تُسمّى «ليلَة حفلاتِ الزّفافِ». في تلكَ اللّيلةِ، يُجمَعُ كلّ الفتيان والفتَياتِ الذينَ بلَغوا السّادِسَة عشَر منَ العُمْر. يتدبّرون الأمرَ للحصُولِ على العدَدِ ذاته بالضّبطِ من الفتياتِ والفتيان.**

كانَت تُقامُ وليمَة كبيرةٌ في الهواءِ الطَّلْق، على سَفْحِ الجَبل، ويأكلُ القُرويونَ ويشربونَ بوفرة.

وعِندَ سَاعةٍ مُعيّنة، تَسبِقُ الفتياتُ الفتيانَ في المغادرةِ. يَركُضْنَ لإخفَاءِ أنفُسِهنَّ بينَ الأدغَال. كما هو الحَالُ في لُعبَةِ الغُميضَة، ثمَّ يَمضِي الفِتيان إلى صَيدِهم. أوّلُ مَنْ يكتَشِفُ فتاةً تُخصَّصُ له. كانت الجَميلاتُ بالطّبعِ هنَّ الأكثرُ طلَباً ولَم يكن لديهنَّ الحَقُّ في رفْضِ مَنْ يعثُر عليهنَّ أوّلاً.

لكن، ليسَ بالضّرورةِ أنْ يكونَ أجملُ الفتيان هم أوّل مَنْ يكتشفهنَّ وإنّما دوماً كانَ الأسْرَعُ والأكثرُ مُلاحظَة والأشدُّ مكراً. وليسَ أمامَ الفِتيان الآخرين سِوى القبول بالفتَياتِ الأقلّ جَاذِبية لأنّهُ لا يُسْمَحُ لأيّ شابٍّ بالرّجُوعِ إلى القريةِ دونَ فتاة. إن كانَ أَحدُهُم بَطيئاً، أو أقلّ حِيلَة، ورفضَ القُبولَ بفتَاةٍ قَبيحةٍ وعادَ بيدينِ فارِغَتين، يُنفى خَارجَ القريَة.

لحُسْنِ الحَظّ، كلّما تقدَّمَ اللّيلُ أكثرَ أَعْطَت الظُّلمةُ امتِيازاً لمنْ هنَّ أقلّ جمَالاً.

في اليومِ التّالي، تُعقَدُ حَفلَاتُ القِران.

ومن نافِلةِ القَولِ التّذكيرُ بأنّ عدَدَ العَانِسِينَ والعَانِسَات كانَ قليلاً هناكَ في تلكَ القُرى.

إدمون ويلز،

موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.

136. بالنّارِ والفكّ

بلَغَت الكتيبَة الطّويلَةُ لثوّارِ النّملِ المُوالينَ **للأصَابع** حشداً عديدُهُ ثلاثونَ ألفاً.

يَصِلُون أمامَ مدينة يَدْي-بي-ناكان. ترفُضُ المدينَةُ السّماحَ لهم بالدّخولِ. فيقرّرُ الثوّارُ الموالُونَ **للأصَابع** حرقَ هذا العُشّ النمليّ غيرِ المُرحِّب، ولكن يبدو الأمرُ مُستَحيلاً إذ إنَّ المدينَةَ مسقُوفَة بقبّةٍ منَ الأوراقِ الخضْراء غير القَابلَةِ للاحتراق. فترتَئي الأميرَةُ 103 اسْتِغلَالَ البيئَةِ المُحيطَةِ. ثمّةَ صخرةٌ كبيرةٌ تعلو الجُرفَ المُشرِفَ على المدِينَة. إذن، لا يبقَى سِوى اللجوء إلى الرّافِعةِ لرمي الصَّخرةِ الضَّخمَةِ المُكوّرة هذهِ على المَدينةِ. تتحرّكُ الصَّخرةُ بعدَ لَأي، تَتأرجَحُ ثمَّ تَتدحرَجُ وتَهوي على قبّةِ الأوراقِ الرّطبةِ تماماً. إنّها أَضْخَمُ وأَثقَلُ قُنبلةٍ تَسْقطُ على مدينةٍ يُناهزُ عددُ سكّانها المِئةَ ألف.

لا يبقَى سِوى إخْضَاع العُشّ، أو ما تَبقّى مِنهُ.

في المسَاءِ، داخِلَ المَدينَةِ المُفلطَحة، وبينَما يأكلُ الثوّارُ، تُواصِلُ الأميرَةُ 103 سَرديّاتها عنْ عادَاتِ **الأصَابعِ** الغَريبةِ وتُدوّنُ الرّقَم 10 مُلاحظَاتٍ شَميّة:

مورفولوجيا

*تَوقّفَ شكلُ **الأصَابع** عن التطوُّر.*

فيما نرى أنَّ الحيَاةَ تَحت المَائيّة شكّلَت، عندَ الضّفادعِ، بعدَ مِليون سَنةٍ زعَانفَ عندَ أطرافِ الأرجُلِ لزيادةِ تكيّفها مَع المَاء، نجِدُ أنَّ كلّ شَيءٍ عندَ الإنسَانِ يُحلّ بالتّقويمَات.

فَلكي يتكَيّفَ مع الماءِ، يصنَعُ الإنسانُ زعَانِف ينزَعُها ويَضعُها وقتما يشَاء.

وعلى هذا النّحوِ لم يَعدْ لَديهِ أيّ سَببٍ ليتكَيّفَ مُورفولوجياً مع المَاءِ وينتَظرَ ملْيون سَنةٍ لتظهرَ لَهُ زعَانفٌ طَبيعيّة.

ولكي يتكيّفَ مع الهَواء، يَصنَع أيضاً طَائراتٍ تُحاكي الطّيور.

ولكي يتكَيّفَ مع الحرّ أو البرد، يَصْنعُ المَلابِس بمَثابةِ فَروٍ.

ما يُنتِجهُ الإنسَانُ اصطناعيّاً ببضْعةِ أيام عبرَ التّلاعُبِ بالموادِ المُحيطَةِ به فقط، كانَ يستَغرِقُ مَلايين السّنين ليُشكّلهُ صِنفٌ بجسَده.

هذه البَراعةُ تَنوبُ كلّياً عَن تَطوّره المُورفولوجي.

نَحنُ أَيضاً، النّملُ، لم نَتطوَّر منذُ أمدٍ بَعيدٍ لأنَّ بوسْعنا حَلُّ مشكلاتنا دونَ اللّجوءِ إلى التطوّر المورفولوجيّ.

شكلُنا الخَارجيّ هو نفسُهُ منذُ مِئةِ مليونِ سَنة، وهذا بُرهانٌ على نجَاحِنا.

نَحنُ حَيوانٌ بلغَ طَورَ الاكتِمال.

وبينَما تَخضَعُ جميعُ الأصْنَافِ الحيّةِ إلى الاصْطِفاءِ الطّبيعيّ عبرَ المُفترسِينَ والمنَاخِ والأمراضِ، نَجِدُ الإنسانَ والنّمل قد اسْتُثنيا منْ هذا الإرغَام.

نَجحنَا نَحنُ الاثنين بفَضْلِ نِظَامينا الاجْتمَاعيّين.

مُعظَمُ صِغارنا المَولُودينَ حديثاً يَصلُونَ إلى سِنّ النُّضجِ ومتَوسّط العُمرِ المَأمُول في ارتِفَاع.

ولكن يَجِدُ الإنسَانُ والنملُ نفسيهما أمامَ المُشكلَةِ ذاتها: بما أنّهما توقّفا عن التأقلُمِ مع البيئةِ، لا يتبقّى أمَامَهُما سِوى إجْبار البيئةِ على التأقلُمِ معَهما.

عليهما تخيّلُ العَالَم الأكثرَ هَناءً. عِندئِذٍ يكفُّ الأمرُ أنْ يكونَ ذا صِلةٍ بالبيولوجيا وإنّما يغدو مُشكِلَةً ثقافيّةً.

إلى مسَافةٍ أبعدَ، تَستأنِفُ مُهندِسَاتُ النّارِ تَجاربَهنّ.

تُحاوِلُ الرّقم 5 السّيرَ على قَدمين باسْتِخدامِ عُودينِ مُتفرّعين بمثابةِ عُكّازين. وتُتابعُ الرّقم 7 لوحتَها البانوراميّة التي تُجسّد أُوديسَة الرّقم 103 واكتشافَها **للأصَابع**. وتُحاولُ الرّقَم 8 صِناعةَ رافِعاتٍ بثقلٍ مُتوازنٍ منَ الحصَى باستِخدَام عيدانٍ وكفّاتٍ من الأوراقِ المَجدُولَةِ.

بعدَ أنْ تحدّثت لزمَنٍ طَويلٍ عن **الأصَابع**، تَشعُرُ الرّقم 103 بالسَّأمِ. تُفكّرُ مُجدّداً بالساغا التي أرادَ الرّقم 24 كتَابتَها: ***الأصَابع***. الآن، بعدَ أنْ ماتَ الأميرُ بالحَريقِ فاتَت فُرصَةُ ولادَة أوّل روايةٍ نَمليّة.

تَنضَمُّ الرقَم 5 إلى الرقم 103 بعدَ أنْ وقَعت على الأرضِ مُجدّداً أثناءَ مُحاولَتها السّيرَ على رِجْلَين، وتُفضِي لها بأنَّ المُشكِلَةَ مع الفنّ هشَاشتهُ

وصعُوبة نَقلِه. البيضَةُ التي شَرعَ الرّقم 24 بمَلئِها بروايتِه، لا يُمكِنُ على أيّة حالٍ نقلُها لمسَافاتٍ طَويلة.

كان ينبغي أنْ نُحمّلها على حلَزون، بثّت الرّقَم 103.

تُذكّرُ الرقَم 5 بأنَّ الحَلازينَ تلتَهِمُ بيضَ النّملِ أحياناً. وبحَسْبها يجبُ ابتِكارُ فنّ رِوائيّ نَمليّ خفِيفٍ قَابل للنقلِ ويا حبّذا ألّا يكونَ مُستَساغاً طعاماً لدَى الرّخويّات.

تأخذُ الرّقم 7 ورقَةً لتبدأ عُنصُراً جَديداً في لَوحتِها البانوراميّة.

وهذا أيضاً لا يُمكنُ نقله أبداً، تقولُ لَها الرقم 5 التي اكتشَفَت التحدّيات المُعرقِلةِ لمسيرةِ الفَنّ.

تتَشَاور النّملتان، وفَجأةً، تلتَمِعُ فِكرة في ذِهْنِ الرّقَم 7: التّشْطِيب. لماذا لا تُرسَم، برأسِ الفكّ، رسُومات على دُروعِ النّمالِ مُباشرة؟

تَروقُ الفِكرةُ للرقَم 103. تعرِفُ بأنَّ لدى **الأصَابع** فنّاً ينتَمي لهذا النّوعِ يَدْعُونه «وشم». غيرَ أنَّ بشَرتَهُم الطريّة تضطرّهم على حَقنِها بصِباغٍ، أمّا بالنّسبةِ للنملِ فلا أسهل مِنْ خَدْشِ الكيتين برأسِ الفكّ كَأنّهُ قِطعَةُ كهرمان.

ترغَبُ الرقَم 7 على الفورِ أنْ تُشطّبَ درعَ الرّقَم 103، غير أنَّ النّملةَ الصّهباء قبلَ أنْ تكونَ أميرةً شَابّة كانت مُستكشِفةً عجُوزاً ودِرعُها قد أُثخِنَ بالخدُوشِ ممّا سيَجعلُ مِنَ الصُّعُوبةِ تَمييزُ أيّ شيءٍ عليهِ.

فيقرّرن إحضَارَ الرّقَم 16 النّملةُ الأكثر فتوّةً في الفرقة، والتي تَملِكُ على الأقلّ دِرعاً لا تشُوبهُ شَائِبة. فإذن، تبدأُ الرّقَم 7، بِعنَايةٍ، بطَرفِ فكّها اليمين المُستَعملِ سكيناً تَجريحَهُ بما يَخطُرُ لها مِنْ زخرفَات. فِكرتُها الأولى تَجسِيدُ عُشّ نَملٍ تَندلِعُ مِنهُ النّيران. ترسُمهُ على بَطنِ الشابّةِ البيلوكانيّة. تُشكّل الخُطُوط زَخْرَفات أرابيسك وحلَقات واسِعة تَتشَابك مثلَ خِيوط. النّمالُ اللّواتي يُميّزنَ الحركَةَ على الخُصُوصِ، يهتَمِمْنَ بالمسَاراتِ أكثرَ مِنْ تفاصِيلِ أشكالِ ألسِنةِ اللّهب.

137. مكسيميليان في منزله

انتشَلَ مكسيميليان مِنْ حوضِهِ أسْماكَ الغوبي النّافِقة. حتماً، لم يتسنَّ لهُ

في اليومينِ الأخيرينِ الاعتِناءُ بها كمَا يَجب. ومرّة أُخرَى، تُعنّفهُ الأسمَاكُ أسوأَ تعنيفٍ بتَسليمِ نفسِها للهُزالِ. «أسْماكُ الحوضِ هذا هي نِتاجُ عمليّاتِ تَهجينٍ جِينيّ واصْطفاء وفقاً لجمَالِ شكلِها، فهي سَقيمة بالمُحصّلة»، فكّرَ الشرطيُّ، وتسَاءلَ إنْ لم يكنْ مِنَ الأجدى لهُ لو اخْتارَ أصنافاً بريّة، بالطّبعِ هيَ أقلّ جمالاً غيرَ أنّها أقدَرُ على التكيّفِ والمُقاومَةِ.

ألقَى جُثثَ اليومِ في القُمامَةِ ومضَى إلى حُجرةِ الصّالونِ ينتَظِرُ العشَاء.

أخذَ عَدَداً مِن صَحيفةِ *كليرون دو فونتينبلو* المُوضُوعةِ على الكنَبة. كانَ هُناكَ في الصّفحَةِ الأخيرةِ مقالٌ صَغيرٌ بقلَم مارسيل فوجيرار بعنوان: «ثانويّة تَحتَ حِراسةٍ مُشدّدة». خافَ للوهلَةِ الأولَى أنْ يَضعَ الصّحَفيُّ الأهالي في صُورةِ ما يحدُثُ حقّاً في ذلكَ المكانِ. لكن لا، فوجيرار البَارعُ أدّى عملَهُ جيّداً. تناولَ اليسَاريّينَ والمُشَاغِبين وتكلّمَ عن شكاوى الجِوارِ جرّاءَ الصَّخَبِ الليليّ. ودَعَم مَقالَهُ بصُورةٍ مُفرطةِ الصّغر، بورتريه للزعيمَةِ مع إيضَاحٍ: «جولي بانسون، مُغنيّة ومُتمرّدة».

مُتمرّدَة؟ هيَ جَميلَة في المقامِ الأوّل، فكّرَ الشرطيّ. لم يلحَظ ذلكَ مِنْ قبل إلّا أنَّ ابنَةَ غاستون بانسون جَميلَةٌ حقّاً.

جلَسَت العَائلةُ على المَائِدة.

الوجبةُ المُعدّة: حَلازين بالزّبدةِ مع البقدونِس مُقبّل، وأفخَاذ ضَفادعَ بالأرزّ طَبقٌ رئيسيّ.

استرقَ النّظرَ إلى زوجَتِهِ التي اكتشَفَ فيها فَجأةً تصرّفاتٍ لا تُحتَمل. تأكُلُ رَافعةً خِنصرها. لا تنفكُّ عن التبسُّمِ وهي تواصِلُ تفحُّصَ مَلامِحه.

أذِنَ لمارغريت بإشعَالِ التلفزيون.

قناة 423. أحوالُ الطقس. تجاوزَ مُستَوى التلوّث في المُدنِ الكبيرة مرحلَةَ الطّوارئ. وما يدعُو إلى القلَقِ تزايُدُ المشكلات التنفسيّةِ والتهيّجاتِ العينيّة على نَحوٍ مُطّرد. تفكّرُ الحُكومَةُ مِنْ جهتِها البدءَ بحوارٍ في البرلمان حولَ المَسألة، وحتّى ذلكَ الحين، كُلّفت لَجْنَة منَ الخُبراءِ أنْ تقتَرحَ حلولاً. وسيُفضِي الأمرُ إلى تقريرٍ والذي بدوره...

قناة67. إعلان. «**تناولوا اللّبن الرائِب! تناولوا اللبَن الرائِب! تناولوا اللّبَن الرّائِب!**»

قناة 622. ترفيه. وها هو برنامَجُ «فخّ للتفكير» مع لُغزِ أعوادِ الثقابِ الستّة والمُثلّثات الثّمانيةِ مُتساويةِ الأضْلَاع...

نزَعَ مكسيميليان جهازَ التحكُّمِ من يدِ ابنتِهِ وأطفأ التلفزيون.

– لا! بابا. أريدُ أنْ أعرِفَ إذا حلَّت السيّدة راميريز لُغزَ عيدانِ الثقابِ التي تُشكّلُ ثمانيةَ مُثلّثات!

ربُّ الأسرةِ لم يتنازل. إذْ كانَ مُمْسكاً في تلكَ اللّحظَةِ بجهَازِ التحكّم؛ في أيّ خليّةٍ أُسريّةٍ بشريّة، القابِضُ على ذاكَ الصّولَجان هو مَلكُها.

طلَبَ مكسِيميليان من ابنتِهِ الكفَّ عن اللّعبِ بالمَمْلَحةِ ومِنْ زوجتهِ التوقُّفَ عن ابتلاعِ لُقْماتٍ كبيرة.

كلُّ شيءٍ كانَ يُثيرُ غَضبهُ.

لمّا اقترَحَت عليهِ زوجَتهُ طبقَ حلوى جديد مِنْ ابتكارِها؛ فَطيرة بالقِشدة على هيئَةِ هَرم، طفَحَ بِهِ الكيلُ، فآثرَ تركَ المائِدةَ واللّجوءَ إلى حُجرةِ مكتَبهِ.

وليطمئِنَّ لعدَمِ إزعاجِهِ، أقفلَ بابَهُ.

بما أنَّ ماك يافيل مُشغَّل دوماً، لم يكنْ عليهِ سِوى أنْ يَضغَطَ المِفتاحَ ليدخلَ لُعبة *ارتِقَاء*. وأنْ يستَرخي وهو يُحارِبُ الشّعوبَ الخارجيّةَ التي تُهدّدُ حضَارتهُ المَغوليّة الأخيرَة مع أنّها في ذُروةِ ازدِهَارها.

في هذهِ المرّة راهنَ بكلّ شيءٍ على الجَيْش. لم يَعُد يستَثمِرُ لا في الزّراعةِ ولا في العلُومِ ولا في التّربيةِ أو الأنشِطَة. ما مِنْ شيءٍ سِوى جيشٍ هَائلٍ وحكومَة اسْتبداديّة. أدهشَتهُ النّتائجُ المُثيرَةُ التي نَجمت عَن هذا الخِيار. زحَفَت قَبيلَةُ المغُول منَ الغربِ إلى الشّرقِ، منَ الألبِ الإيطَاليّ إلى الصّين، غازيةً جميعَ المُدنِ التي على طَريقها. الطّعامُ الذي لم يحصُلوا عليهِ بالزّراعَةِ، استولُوا عليهِ بالنّهبِ. والعلوم التي أهمَلُوها، اسْتولُوا عليها من مَخابرِ المُدنِ المُحتلّة. أمّا بالنّسبةِ للتربيةِ فما عادَ لها مِن ضَرورَةٍ. فبعْدَ كلّ حِساب، كلّ شيء يجري بيُسرٍ وسُرعَة مَع ديكتاتوريّةٍ عَسكريّةٍ. ألفَى نفسَهُ سنة 1750 مَع عرباتِهِ ومجَانيقهِ قَدْ استولَى على مُعظمِ الأرضِ تقريباً. ولكن للأسَف حدَثَ تمرّد في إحدَى العَواصِم أثناء مُحاولتِهِ نقلَ نِظَامِها من الاسْتِبدادِ المُطلَق إلى المَلكيّة المُستَنيرة. وبما أنَّ الانتِقالَ لم يكنْ مُوفّقاً لم يَسْتطِع إحكامَ قبضَتهِ فتمدَّدَ التمرّدُ إلى مُدنٍ أخرَى.

عندئذ، لم يَجدْ بلَدٌ مُجاوِرٌ صَغيرٌ، غيرَ أنّهُ ديمقراطيٌّ، أيّةَ صُعوبةٍ في احتلَالِ حضَارتهِ.

ظَهرَ فجأةً سَطرٌ مِنْ نصّ على الشّاشَة.

أنتَ سَاهٍ عن اللّعبة. أهناكَ ما يشغلُ بالك؟

- كيفَ تعرِفُ ذلك؟

بثَّ الحاسُوبُ عبرَ مُكبّراتِ الصّوت:

- مِنْ طَريقتكَ في نقرِ مفاتِيحي. أصَابِعكَ تزلقُ مُعظَمَ الوقتِ وتضرِبُ مِفتاحين في آنٍ معاً. هل أَسْتطيعُ مُسَاعدتك؟

اسْتغربَ المُفوّض:

- بماذا يَستطيعُ أنْ يُسَاعدَني حاسُوب في إخْضَاعِ تمرّدِ تلامِذةِ ثانويّة؟

- في الحَقيقَة...

ضغَطَ مكسِيميليان على المِفتاح.

- أعطِني جولَةً أُخرى، إنّها الطّريقةُ المُثلَى لمُسَاعدَتي. كلّما لَعبتُ، أفْهَم أكثر العالَم الذي أعيشُ بهِ والخِياراتِ التي أُجبرَ عليها أسْلَافي.

اختارَ حضَارةً من النّمطِ السُّومري وتقدّمَ بها حتّى سنة 1980. هذه المرّة، استَطَاعَ أنْ يَسلُكَ خطَّ ارْتِقَاء منطِقيّ: استبداديّة، ملكيّة، جمهُوريّة، ديمُقراطيّة؛ نجحَ بأنْ يُنشِئ أمّة كبيرةً متقدّمة تكنولوجيّاً. فجأةً، في مُنتَصفِ القرنِ الحَادي والعشرين، أُهْلِكَ شَعبُهُ بسببِ وباءِ الطّاعُون. لم يَكنْ قد اعْتنَى جيّداً بالنّظَافةِ العمُوميّةِ لسُكّانهِ ولا سيّما إغفالُهُ بناء مجرُورٍ رئيسِيّ في المُدنِ الكبيرة. ولاحقاً، بغيابِ صَرفٍ مُنظَّم، تحوّلتِ الفضَلاتُ المُتكدّسةُ إلى مُستَنْبتات بكتيريا في المُدنِ ممّا جذَبَ الجُرذان. أعلنَ لهُ ماك يافيل بأنّه ما مِنْ حاسُوبٍ يقتَرفُ خطَأً كهذا.

فكّرَ مكسيميليان في تلكَ اللّحظةِ تَحدِيداً، قد يكونُ من المَصْلَحةِ في المُستَقبلِ وضْعُ حاسُوب على رأسِ الحكُومَاتِ لأنّهُ هو الوَحيدُ القادِرُ ألّا يَغفلَ عن أيّ تَفصِيل. الحاسُوبُ لا ينامُ أبداً، ليسَ لَديهِ مشكلات صحيّة ولا اضْطِراباتٌ جنسِيّة، ليسَ للحَاسُوبِ عائِلة أو أَصْدِقاء. ماك يافيل محقّ. ما كان لحاسُوبٍ أنْ يَغفلَ عن حَفرِ المَجرُورِ الرئيسيّ.

أقلعَ مكسِيميليان في جَولةٍ جدِيدةٍ مع حضارة من نَمطٍ فرنسيّ. كلّما تقدّم

في اللّعبِ ازدَادَ حذراً من الطّبيعةِ البشريّة، الشّريرة في جَوهَرها، العاجِزة عن إدراكِ مَصلَحتِها على المدَى الطّويل، والنّهمة للملذّاتِ الآنيّةِ.

على الشّاشَةِ، في تلكَ اللّحظَةِ تماماً، كانَ يُشاهدُ ثورةً طلّابيّة في إحدَى عواصِمهِ سنة 1635 حسبَ تقويمِهِم. أولئكَ الصّبيةُ الذينَ كانوا يَضْرِبونَ الأرضَ بأقدامِهم مثلَ أطفَالٍ أفسَدَهُم الدّلالُ لأنَّ رغباتِهم لَم تلبَّ على الفَورِ....

ألقَى بفرَقِهِ في مُواجَهةِ الطّلبة وانتهَى بهِ الأمرُ إلى إبادَتِهم.

وجّهَ لهُ ماك يافيل مُلاحظَةً غَريبَةً:

- ألا تُحبُّ أبناءَ جِلدَتكَ البشَر؟

تناولَ مكسيميليان عُبوةَ بيرة منْ برّادِهِ الصَّغيرِ وشَربَ. يحبّذُ إنْعَاشَ حنْجَرتِهِ وهو يتَسلَّى مع جِهازِهِ المُحاكِي للحضَارات.

فعَّلَ المؤشّرَ للقضَاءِ على آخرِ جُزرِ المُقاومَةِ، وبعدَ أنْ سُحِقت الثّورةُ أخيراً، أنشَأَ حراسَةً بوليسيّةً مُشدّدةً وزرَعَ شبكة من كاميراتِ الفيديو لمُراقبةِ أدقِّ تحرّكاتِ سُكّانهِ على نَحوٍ صَارِم.

نظرَ مكسِيميليان إلى شَعبهِ في مُضيّهم جيئةً وذهَاباً ضِمنَ حلَقةٍ مُفرغَةٍ، مثلما تُراقَبُ الحشَرات. أخيراً، قَبلَ أنْ يُجيب.

- أُحبّ البشَر... غَصْباً عنهم.

138. وليمَة عَامِرة

شَيئاً فشيئاً، غَدَتِ الثّورةُ فوضَى إبْدَاعيّة لا حدودَ لَها.

في فونتينبلو، أخذَتْ ضَخَامةُ حفلَتِهم بُعداً تَجاوزَ قليلاً الثّمانيةَ أصْحَابَ المُبادَرة. إذْ إضافةً إلى المِصْطَبةِ وأجنِحتَهم الثّمانية، تكاثَرت المِنصّات والطّاولاتُ مثل الفِطْر في شتّى أرجَاءِ الباحة.

بذلكَ ولِدَت أجنِحةُ «رَسْم»، «نَحْت»، «اخْتِراع»، «شِعْر»، «رَقْص»، «ألعَاب مَعلومَاتيّة»، حيثُ قدّمَ فيها شُبّانٌ ثوريّون أعمَالَهم بشكلٍ تِلقائيّ. تَحوّلت الثانويّةُ تَدريجيّاً إلى قَريةٍ تَضجُّ بثَراءٍ لَوني يرفَعُ سُكّانها الكُلفةَ فيما بينَهم، ويتَخاطَبون بُحرّية، يقضُونَ معاً أوقَاتاً مُمْتِعة، يبْنُون ويجرّبُون ويَختَبرُون ويُلاحِظُون ويَتذوّقُون ويلْعَبُون أو يَستَسلِمونَ للراحَة.

تَصْدَحُ من على المِنصّةِ معزُوفاتٌ من شتّى الأنواع لآلافِ الفرقِ المُوسِيقيّةِ بواسِطَةِ أورغ فرنسين الكهربائي دونَ انْقطَاعٍ، ليلاً ونَهاراً، والموسُيقيّونَ الذين لديهم بَعضُ الخِبرةِ يتَمتّعونَ بذلك. هنا أيضاً عمِلَت التّقاناتُ المُتقدّمة منذُ اليومِ الأوّل ظَاهِرة غريبةً: تَمازُجُ جميعِ أنواعِ موسِيقى العَالَم.

وبذلكَ يُمكنُ أنْ يُشاهَدَ عازِفُ سِيتار هندي يُشارِكُ فرقَةَ مُوسِيقى الحُجْرة، مُغنيّة جازٍ تُرافِقُها فرقَةُ إيقاعٍ بالينيّة[1]؛ وسُرعان ما التَحقَ الرّقصُ بالمُوسِيقى، وأخذَت راقِصَة من مَسرحِ كابوكي الياباني تُؤدّي رَقصَة الفراشَةِ على إيقَاعِ التّام تام الإفريقيّ، وقدَّمَ راقِصُ تانغو أرجنتيني عرضَاً على مُوسِيقى تيبيتيّة، وقامَ أربَعةُ طُلّاب رقْصٍ منْ الأوبرا بحَركاتٍ تَصالُبيّة على خَلفيّةِ مُوسِيقى العَصْرِ الجَديدِ السَّماويّة. عندما لَم يَعُد الأورغ كَافياً، كانَت تُبتَكرُ آلات.

المقَاطِعُ الأكثر جُودَة كانت تُسجّلُ وتُبثُّ على شبكَةِ المعلُوماتيّة. ولكن ثَورة فونتينبلو لا تكتَفي بالبثّ، وإنّما تَستَقبلُ أيضاً مُوسِيقى مُؤلّفة مِنْ «**ثَوراتِ النّمل**» الأخرَى، في سان فرانسيسكو، برشلونة، أمستردام، بيركلي، سيدني وسيؤول.

بتَوافقٍ بينَ الكامِيراتِ والميكروفُوناتِ الرقميّةِ على حواسِيبَ موصُولة مع الشّبكةِ المعلُوماتيّةِ العالَميّة، نجَحَ جي وونغ بجَعلِ بعضٍ من المُوسيقيّينَ المُنتمينَ إلى ثوراتِ النّملِ الخَارجيّة أنْ يعزِفُوا معاً ببثٍّ مُباشَر. شَاركَت فونتينبلو بالدرامز، وسَان فرانسيسكو بالغيتار الإيقاعيّ والغيتار الفرديّ، ومنْ برشلونة الأصْوَات، أمّا أمستردام فلوحَةُ المفَاتيح، وسيدني الكونترباص وسيؤول الكمان.

فِرقٌ من أصُولٍ مُختلِفة كانت تتعاقَبُ على الطُّرقِ الرقميّة. من أمريكا، من آسيا، من أفريقيا، من أوروبا وأستراليا، مُوسِيقى كَونيّة تَجريبيّة هَجينة آخِذة بالانتِشَار.

في رُقعَة باحةِ ثانويّة فونتينبلو انتَفَت حدُودُ الزّمَان والمَكانِ.

لم تَتوقّف آلةُ الطّباعَةِ في الثانويّة عن الدّورانِ طَابِعةً جَدولَ اليَومِ (مُلخّص الأحدَاثِ الرئيسيّة المُعدّة لليَوم: فِرق مُوسِيقيّة، مَسرح، أجْنِحة

1- نسبة إلى جزيرة بالي في إندونيسيا.

تَجريبيّة، إلخ. كما هناكَ قصَائد، قِصَصٌ قَصِيرة، مَقالات مُثيرة للجَدل، أُطْرُوحات، وحدَات فرُوعِ الثّورة، وحتّى أُدرِجَت، منذُ قليل، صُورٌ لجولي التُقِطت أثناءَ الحَفلِ الثّاني وبالطّبعِ قائِمةُ طعامِ بول).

كانَ المُحاصَرونَ قد بحثوا في كُتبِ التّاريخ وفي المكتَبةِ، وعثَروا على صُورٍ لثوريّينَ كبار أو لمُغنّي روك مَعرُوفينَ منَ الماضِي. نَسَخوا منها ما راقَ لهم وعلّقوها في ممرّاتِ المبنَى. يُمكنُ التعرّفُ على عددٍ من الشّخصيّاتِ ولا سيّما لاو تسو، غاندي، بيتر غابرييل، ألبرت أينشتاين، الدلاي لاما، البيتلز، فيليب كـ. ديك، فرانك هربريت وجوناثان سويفت.

في الصّفحاتِ البيضَاءِ في نِهايةِ *الموسُوعة*، دوّنت جولي:

«قاعِدة ثَوريّة رقم 54: الفوضَى مَصدَرُ الإبدَاع. بدأ النّاسُ، مُتحرّرينَ منَ الضّغطِ الاجتِماعيّ، بشكلٍ طَبيعيّ جداً بالاختِراعِ والابتكَار، بالبَحثِ عن الجَمالِ والذكاء، بالتّواصُلِ بأحسنِ ما يَستَطيعونَ. في تُربةٍ خَصْبةٍ صَالحةٍ حتّى أَصْغر البِذارِ تمنَحُ أَشْجاراً باسِقةً وفاكهةً يانِعة».

كانت تتشكّل تلقائيّاً مَجمُوعاتُ مُناقشة في قاعَاتِ الصُّفوف.

في المسَاءِ كانَ يوزّعُ مُتطوّعونَ أَغْطيةً ليتلحَّف بها في الخَارجِ شابّان أو ثلاثة، مُتراصّينَ على بعضِهم للمُحافظةِ على الدّفءِ الإنسَانيّ.

قدّمَت أَمازونيّة في الباحَةِ عرْضَ تاي تشي تشوان وشرَحَت بأنَّ هذهِ الرّياضَة التي تَعودُ إلى آلافِ السّنين تَعتَمدُ الإيماءَ في مُحاكاةِ الحَركاتِ الحَيوانيّة. تقلِيدها بهذِهِ الطّريقَة، أتَاحَ فهماً أفضَل لذهنِ تلكَ الدّواب. أخذَ الراقِصُونَ يَستلْهِمُونَ مِن تلكَ الفِكرةِ ويُعيدُونَ إنتاجَ حَركاتِ النّملِ. لاحَظُوا بأنَّ حَركاتِ الحشَراتِ هذهِ شديدةَ المُرونَة. أناقةُ حَركاتِها غرائبيّة وشَدِيدَةُ الاختِلَافِ عنْ حَركاتِ السنّوريّاتِ والكلبيّات. ابتكرَ الرّاقِصُونَ خطَواتٍ جديدةً وهم يحفّونَ أَذْرعهم المرفُوعَة كقرُونٍ اسْتشعَاريّة.

– أَتُريدينَ شيئاً منَ الماريجوانا؟ عرَضَ شَابٌ منَ الحُضُورِ مُقدّماً سِيجَارةً لجولي.

– لا شُكراً، سَبقَ وأفسَدت التطَاعُمات الدخانيّة حبالي الصوتيّة، يكفيني تأمّلُ هذه الحفلَة الهائِلة لأغيبَ بالنّشوَة.

- مَحظُوظَة، يكفيك القَليلُ لتَحفّزي...

- تُسمّي هذا قليلاً؟ اندَهشَت جولي. أنا لم أَشْهَد سِحراً كهذا مِنْ قَبل.

كانت جولي مُدرِكةً لأهميّة إدْخالِ بعض النّظامِ إلى هذهِ الفوضَى وإلّا سَتُدمّر الثورةُ نفسَها بنفسِها.

ينبَغي إضْفاءُ معنَى على كلّ ذلك.

أَمْضَت الشابّة ساعَةً تتأمّلُ في حَوضِ النّملِ المُخصَّصِ لتَجاربِ التّواصُلِ الفيرومُونيّ. أكّد إدمون ويلز بأنّ مُراقبةَ سُلوكيّاتِ النّملِ تُقدّمُ عوناً كبيراً لمَنْ أرادَ ابتكارَ مُجتَمعٍ مِثاليّ.

هي لم ترَ في الحَوضِ سوى دُويباتٍ سُود مُنفّرة بادٍ عليها الانصرافُ بغَباءٍ إلى مشَاغِل «بهيميّة». ووصَلَت إلى نتيجَةٍ مفادُها بأنّها ربّما كانت على خطَأ منذُ البداية. لا بدَّ أنّ إدمون ويلز كانَ يتكلّمُ بالرّمُوز. فالنّملُ هو النّمل، والبَشرُ هُم البَشر، ولا يُمكِنُ أنْ تُطبّقَ عليهم قَوانينُ حياةِ حشَراتٍ تَصغرُهُم حجماً بألفِ ضِعفْ.

صَعَدت طَوابقَ المبنى، وجلَسَتْ على مكتَبِ أُستاذِ التّاريخ، فتَحت *الموسوعة* وبحثَت عن نَماذِجَ أُخرى منَ الثّوراتِ يُمكنُ استِلهامُها.

اكتشفَت قِصّةَ الحركَةِ المُستقبليّة. في السّنواتِ المُمتدّة بينَ عَامي 1900 و1920، تكاثَرت الحَركاتُ الفنيّةُ في شتّى الأرجَاء. وُجِدَ الدادائيّون في سويسرا، التعبيريّون في ألمَانيا، السُّورياليّون في فرنسا والمُستَقبليّون في إيطاليا وروسيا. ومن هاتين الأخيرتين كان هناك فنّانون وشعراء وفلاسفة، نقطة الالتقاء بينهم تقديرهُم للآلاتِ والسّرعةِ ولكلّ تكنولوجيا مُتقدّمة على العُموم. اعتَقدوا بأنّهُ سَيجيء يوم تُنقِذُ فيهِ الآلةُ الإنسان. كما قدّمَ المُستقبليّون مسرحيّات أنجدَ فيها مُمثّلونَ مُتنكّرونَ بزيّ روبوت البشَر. غيرَ أنّ مَع اقترابِ الحربِ العالميّةِ الثانيّة، انْحازَ المُستقبليّونَ الإيطَاليّونَ المُلتفّونَ حولَ مارينتي إلى الإيديولوجية التي مجّدها المُمثّل الرّئيسُ للآلات، الديكتاتور بينيتو موسوليني. وما الذي فَعلَهُ، على أيّة حال، غير تَصْنيعِ دبّاباتٍ قتاليّةٍ ومعدّات أخرى لغَرَضِ الحَرب؟ في روسيا، وللأسبابِ ذاتها، انضمَّ بعضُ المُستقبليّينَ إلى حزبِ جوزيف

ستالين الشّيوعي. في الحَالتين، استُخدِموا من أجلِ الدّعايةِ السياسيّة. ومنْ لَم يقتلُه ستالين أرسلَهُ إلى الغولاغ.

ثمَّ اهتمّت جولي بالحركةِ السّورياليّة. جميعهم، لويس بونويل السّينمائي، ماكس إرنست، سلفادور دالي ورينه ماغريت الفنّانون، أندريه بروتون الكاتب، اعتَقدوا أنَّ بوسْعِهم تَغييرَ العالَمِ بفنّهم. في هذهِ النّقطةِ يُشبِهونَ إلى حدّ ما عُصبتهم الثّمانية، كلّ واحِدٍ يعمَلُ في مجَالهِ المُفضّل. غير أنَّ السّورياليّين كانوا مُفرطي الفردانيّة يَغرقُونَ سريعاً في الشّجاراتِ الدّاخليّة.

ظنّت بأنّها وجدَت ضَالّتها في نمُوذَجٍ مُثير للاهتِمام مَع الموقِفْيّين الفرنسيّين في الستينيّات. كانوا يَدعُونَ إلى الثّورةِ بالخُدعَة، رافضينَ «مُجتَمع الفُرجة»، مُبتَعدينَ بشراسةٍ عَن أيّ لُعبَةٍ إعلاميّة. بعدَ سَنواتٍ انتحرَ زعيمُهم، جي ديبور، بعدَ أنْ أعطَى أوّل مُقابلةٍ تلفزيونيّة. ما أبقَى الموقِفْيّون غيرَ معرُوفينَ خارجَ دائرةِ المُتخصّصينَ في حركة أيّار 1968.

تَجاوزَتها جولي مُنتَقلةً إلى الثّوراتِ الفعليّة.

في التمرّداتِ المُعاصِرة، هناكَ ثورةُ هنُود ولاية تشياباس، في جنُوبِ المكسيك. كان ماركوس نائِبُ القائد، على رأسِ هذه الحَركةِ الزاباتيّة، هنا أيضاً ثوريّ أعطَى لنفسِهِ الحقَّ بأنْ يُنجِزَ أعمالاً تحتَ عُنوانِ السُّخريَة. غيرَ أنّ حركتهُ نَهضَت على مشكلات اجتماعيّة شديدة الواقعيّة: بُؤسُ الهنودِ المكسِيكيّين وسَحقُ الحضَاراتِ الهِندُو-أمريكيّة بينما ثَورة جولي لم تكنْ تقوم على غضَبٍ اجتماعيّ حقيقيّ. قدْ يُصنّفها شيوعيّ بأنّها «ثورةٌ برجوازيّة صَغيرة» ما مِنْ حافزٍ لها سِوى السّأمِ من الجُمُود.

كان ينبغي العُثور على شيءٍ آخر. قلّبَت مَزيداً منْ صفَحاتِ *الموسُوعة* خارجَةً منْ نِطاقِ الثّوراتِ العسكريّة الخالِصة لتَصِلَ إلى الثّوراتِ الثقافيّة.

بوب مارلي في جمايكا. ثمّةَ شَبهٌ بينَ ثورةِ الراستا وثورتِهم، إذ خَرجَت الاثنتان منَ المُوسِيقى. علاوةً على الخِطَابِ السّلْمي، والمُوسيقى الموصُولَةِ إلى خفقانِ القلب، والاسْتِخدام المُعمّم للفائِفِ الحَشيش، والأسطُورة التي تَستمدُّ جذُورها ورمُوزها من ثقافةٍ قديمَة. استَندَ الراستاويّونَ في مرجعيّتهم

على قِصّةِ الملِكِ سُليمان وملِكَة سَبأ في الكتابِ المُقدَّس. غير أنَّ بوب مارلي لم يَسْعَ إلى تَغييرِ المُجتَمعِ وإنّما اكتفَى بأنْ يُخفّفَ مُناصِرُوه تَوتُّرهم وينْسَوا عِدائيّتَهم وهمُومَهم.

أسّسَت بعضُ جمَاعاتِ الكويكرز أو الأميش في الولايات المتّحدة أشكالاً من التّعايشِ مُثيرةً للاهتِمامِ ولكنّهم عن سَابقِ قَصدٍ قطَعوا صِلَتهم بالعالَم وأرسُوا قواعِدَ حياتِهم على إيمَانِهم فقَط. بالمُحصّلة، لم تَعملْ مجمُوعات علمانيّة جيّداً منذُ زمنٍ طويل سوى الكيبوتسيّين في إسرائيل. أعجبَ جولي أنّهم أنشأوا قرى لا تَتداولُ النّقودَ في مُعامَلاتِها، وأبوابهم دونَ أقفالٍ ويتعاونُ الجَميع فيما بينَهم. غيرَ أنَّ الكيبوتسيّين فرضُوا على كلّ واحدٍ مِنهم العملَ في فلاحةِ الأرض؛ ولكن هنا، ما مِنْ حقلٍ للفِلاحةِ ولا بقر ولا كروم.

فكّرت، قرضَت أظَافرها، نَظرت إلى يديها وفجأةً شَعرت بما يُشبِهُ التِماعَة.

لقد عثرَت على الحلّ. كان تحتَ بصرها منذُ زمنٍ طَويلٍ جدّاً، كيفَ لم يَخطُر لها مِنْ قبل؟

النّموذَجُ الذي ينبَغي الاقتداءُ بهِ... هو...

139. موسوعة

الجِسْم الحيّ: ما مِن أَحدٍ يَحتاجُ دليلاً لإثباتِ الانْسِجام التّامِ السّائِد بين الأجزاءِ المُختلفةِ من جِسْمنا. جَميعُ خَلايانا سَواسِيَة. العينُ اليُمنَى لا تَغارُ منَ العَينِ اليُسرَى. الرّئةُ اليُمنَى لا تَحسِدُ الرّئةَ اليُسْرَى. جَميعُ الخَلايا في جَسَدِنا، وسَائِرُ الأعضَاءِ، وجميعُ الأجزاءِ، ما مِن هدَف لَها سوى خِدمَة الجِسْم بكامِله بحيثُ يعمَل هذا على أحْسَنِ نَحوٍ.

تَعرِفُ خلايا جِسْمنا، وبنَجاح، الشيوعيّة والفوضويّة. الجميع مُتسَاوون، كلّهُم أحرار، إلّا أنَّ هَدفهم مُشتَرك: العيشُ معاً بأفضَلِ ما يُمكن. بفضْلِ الهِرمُوناتِ والتدفُّقاتِ العصَبيّة، تنتَقلُ المعلُوماتُ على الفَورِ عبرَ جسْمنا لكن لا يتمُّ إيصَالها إلّا إلى الأجزاءِ التي تَحتاجُ إليها.

ما مِن قائِدٍ في الجِسْمِ ولا إدارة أو مَال. الثروةُ الوحيدَةُ هي السّكرُ

والأوكسِجين، والأمرُ بكامِله متروكٌ للجِسْم هو يُقرّرُ أيّاً منَ الأعضاءِ يحتَاجُها أكثرَ مِنْ غَيره. فعندَما يكونُ الجوّ بارداً، على سبيلِ المِثال، يَحْرِمُ جِسْمُ الإنسانِ نِهاياتَ أَطْرافِه مِنْ بعضَ الدم ليُغذّي بها المَناطِق الأكثر حيَويّة. وإلى هذا يعودُ سَببُ ازرِقاق أصَابعِ اليدينِ والقدَمينِ أولاً.

بالنّقلِ عن المِقياسِ الكونيّ (ماكروكوسميك) macrocosmique الذي يَحدُثُ في جِسْمنا على مقياسٍ مُصغّر (ميكروكوسميك) microcosmique، نأخُذُ مِثالاً عن جِهازِ التّنظِيم الذي أثبَت كفاءتَهُ منذُ زَمنٍ طَويل.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

140. معركة بيل-أو-كان

تَتمدّدُ ثورةُ **الأصَابع** مثلَ اللّبلَابِ الزّاحِف. تَخطّى عَددُ الحشَراتِ الآن الخَمسينَ ألفاً. تتقدَّمُ الحَلازِينُ مُثقلةً بالأحْمالِ والمَؤونَة. المُوضَة الفنيّة الرائِجة بينَ الحَشْد المُترحّل هي بلا ريبٍ تَشطِيبُ رَسْمةِ النّارِ على الصُّدُور.

لدَى النّمالِ شُعور بأنهنّ أشبهُ بحَريقٍ يلتَهِمُ الغابةَ شَيئاً فشَيئاً، ولكن عِوضاً عَن تَدمِيرها يكتَفيْنَ بنَشرِ مَعرفةِ وجُودِ **الأصَابع** وأسلُوبِ حيَاتِهم.

تَصِلُ النّمالُ الثوريّاتُ إلى سَهلٍ مِن ثِمارِ العَرْعَر تَرعَى فيهِ بهدُوءٍ ما يقربُ ألفَ أرْقَة. وبينما يأخُذنَ بمُلاحقَتها وإسْقاطِها بقذائِفِ حمْضِ النّمليك، يُفاجَأنَ بشيء ما: انْقِطاعُ أيّ صَوت.

إنْ كانت الوسِيلةُ الأسَاسيّة للتواصُلِ عندَ النّمالِ هي الشمّ، فلا يَعني ذلكَ أنْ يكنَّ أقلّ تأثراً بهذا السّكون.

يُبطِئنَ خَطواتهنّ، ومِنْ خلفِ عُشبَة، يرتَسِمُ لَهنّ الظلُّ المُذهِلُ لعَاصِمَتهنّ: بيل-أو-كان.

بيل-أو-كان، المَدينةُ الأمّ.

بيل-أو-كان، أكبرُ عشّ نَملٍ في الغَابة.

بيل-أو-كان، التي ولِدَت فيها وماتَت أكبرُ مَلاحِم نَمليّة.

تَبدو لهنَّ مَدينةُ مسقَطِ رُؤوسِهنّ أوسَعَ وأعلَى. كأنَّ المَدينة تتضخّم وهي تتقدّم في السنّ. آلافُ الرسَائلِ الشميّةِ تَعبقُ في هواءِ هذا المكان الحيّ.

حتّى الرّقم 103 تَعجزُ عن إخْفاءِ تأثّرها بالعَودَةِ ورُؤيتها من جَديد. إذنْ، كلّ هذا الترحُّلِ عنها من أجلِ الرّجوعُ إليها.

تتعرّفُ على آلافٍ من الرّوائحِ المألُوفة. لَعبت بينَ هذهِ الحشَائِش وهي لا تزالُ بعدُ مُستكشفةً فتيّة. هذه هي المسَاراتُ التي سَلكتها للذَهابِ إلى الصّيدِ في الرّبيع. ارتَعشَت. الإحسَاسُ بالسّكُونِ يتَضاعَفُ بعارضٍ مُفاجِئ آخر: انْعِدامُ الحَركةِ لدى الاقترابِ منَ العاصِمةِ.

لطَالَما كانت تَرى المسَاراتِ الواسِعةَ مُكتظّة بالصيّاداتِ اللّواتي كنَّ يُجرجِرن كنُوزَهن الثّمينةَ مُعرقِلاتٍ طُرقَ الذّهابِ والإياب. أمّا الآن، ما مِنْ أَحد. عشّ النمل خالٍ من الحَركةِ. لا يبدُو على المدينةِ الأمّ أنّها سَعيدةٌ بعودَةِ ابنتها المُشاكِسة بجنسٍ جَديدٍ، وبرفقةِ ثلّةٍ من الثوريّات المُوالياتِ **للأصَابع** وجِمَارٍ مُتوهجة مُحمّلة على حَلازِين يتَصاعدُ مِنها الدّخان.

سوفَ *أفسّرُ لكِ كلّ شَيء*، بثّت الرقم 103 نحوَ مَدينتها الشّاسِعة. غير أنَّ أوانَ الشرحِ قد فاتَ إذ سُرعانَ ما يَبرزُ منْ وراءِ الهرَمِ منَ الجَانِبين، رتلانِ طَويلانِ منَ الجُنديّات. يَظهرُ الرّتلانِ الطّويلانِ العسكريّانِ، تَحتَ بصَرِ الأميرة، مثلَ فكّين لبيل-أو-كان.

تهرَعُ أخواتهن نحوهنَّ ليسَ للتهنئَة بالسلامة وإنّما لإيقافهنّ مرّة واحدة وإلى الأبد. بالفعلِ، نبأُ اقترابِ النّملِ الثوريّ المُوالي **للأصَابع** لم يستغرق زمناً طَويلاً حتّى شَاعَ في الغَابةِ. النّملُ الذي يَستَخدِمُ النّارَ المُحرّمة ويُبجّل التّحالفَ مع الوحُوشِ هناكَ في الأعلَى.

تقلَقُ الرّقم 5 لِمرأى العَدوّ.

في الجِهةِ المُقابلة، تتّخذُ فيالقُ الخصُوم وضعيّةَ المَعركةِ وفقَ التكتيكِ الراسِخِ في وَعي الرّقم 103 منذُ نُعُومةِ أظْفارِها: في المُقدّمةِ المِدفعيّات اللّواتي سَيقذفْنَ رشَقاتهنَّ من حَمْضِ النّمليك، على الجَانبِ الأيمَن وحدَاتُ الخيّالةِ التي تَضمُّ الجُنديّات العدّاءات، وعلى الجَانبِ الأيسَر الجُنديّات ذوات الفكُوكِ الطّويلةِ البتّارة، وفي المؤخّرة الجُنديّاتُ ذواتُ الفكُوكِ القصيرةِ اللّائي سيُجهزنَ على الجَرْحَى.

تُحرّكُ الرّقم 103 والرّقم 5 قُرُونَهما بمُعدّل 12000 ذبذبة/ ثانية لتُحدِّدا بدقّةٍ الخصُومَ. لا تَميلُ الكفّةُ لصَالِحهنَّ.

فلسنَ سِوى خمسينَ ألفَ ثوريّة مواليةٍ **للأصَابع** يتوزّعن على أصْنافٍ شتّى مُقابِل مِئة وعِشرينَ ألفاً من الجُنديّاتِ البيلوكانيّات المُتجانِسَات والمُتمرّسَات.

تَرمي الأميرةُ 103 ورقتَها الأخيرةَ للتصَالُح. وتبثُّ على نَحوٍ جَسُور:

نحنُ أخوات أيتها الجُنديّات.

نحنُ بيلوكانيّات أيضاً.

عُدنا إلى العشّ لنُحذّرَ المدينةَ مِن خطَر مُحدق يتهدّدها.

ينوي الأصَابعُ غزوَ الغابَة.

ما مِنْ مُجِيب.

تُشيرُ الأميرةُ 103 بالقرنِ إلى اليافِطةِ البيضَاء. وتؤكّدُ بأنَّ هذهِ هي رَمزُ التّهديد.

نُريدُ التحدّثَ مع الأمّ.

هذهِ المرّة تَنتصِبُ الفكوكُ البيلوكانيّةُ مثلَ مِشطٍ مُصدرةً خَشْخشةَ عيدانِ خشَبٍ جافّ. الفِرقُ الفيدراليّة مُصرّة على الهجُوم. ما عادَ مِنْ متّسعٍ للتفاوضِ. ينبَغي وضْعُ خطّةِ دفَاعٍ على وجهِ السّرعة.

تقترِحُ الرّقم 6 التوجّهَ إلى نُقطَةٍ مُحدّدة في الميمنة ومُهَاجَمة الجُنديّاتِ ذوات الفكوكِ الضّخمَة.

تأملُ بأنْ يُثرنَ مع النّارِ ما يكفي منَ الهلَعِ لتَرهيبِ هذه الدّواب الضّخمَة الخَرقَاء إلى حدّ يَجعلُها تَعدُل عن قرارها وتَنقضُّ على تَشكِيلاتِ جيشِها.

تَستَحسِنُ الأميرةُ 103 الفِكرةَ إلّا أنّها تعتقدُ بأنّ الجَمرات ستكونُ أشدَّ فعّاليّةً في جانبِ وحدَاتِ سِلاح الخيّالة.

يُعقَدُ اجْتماع مُغلَق سَريع. المُشكلَةُ في ثَورة **الأصَابع** أنّها تتألّفُ من حشَراتٍ غير مُتجانِسة حيثُ لا يُمكنُ تَخمينُ ردُودِ فعلِها أثناء اشْتباكِ الجُمُوع. ماذا ستَفعلُ النّمالُ الضّئيلةُ التي ليسَ لديها حتّى فُكوكٌ حَربيّة؟ ناهيكَ عن الحَلازِين المُفرطةِ البطءِ التي تَحملُ الجَمرات... هي التي بالأحرَى يُخشَى عليها من الإصَابةِ بالهلَعِ حينَ تَجدُ نفسَها مغمُورة بالنّملِ العِدائيّ.

يتقدّمُ الجَيْشُ الفيدراليُّ بعناد، بكتائِبِهِ المنتظمة جيّداً بحسَب الطّبقةِ، بحسَبِ حَجمِ الفكّين وحساسيّة القرنين. تظهر أيضاً تعزيزات جديدة. كم هنّ؟ مِئاتٌ ومِئاتُ الآلافِ رُبّما.

حالَما يقتَربُ العدوّ، تفهَمُ الثوريّاتُ المُوالياتُ **للأصابع** بأنَّ المعركةَ خاسِرة سَلفاً. الكثيرُ مِنَ الحشَراتِ، الضئيلة المُنْضَويةِ بدَاعي التسكُّع، تُفضّلُ العُدولَ عن رأيها واللّوذ بالفرار.

لا يلبَثُ الجَيشُ الفيدراليُّ أنْ يقتَرب.

الحَلازِين-المَقطُورات التي أخيراً فَهمَتْ ما الذي يحصُل تَفغرُ أفواهَها الواسِعة لتَصرخَ ذُعرَها بصوتٍ مكتُوم. لدَى الحَلازِين 25600 سنّاً صَغيرةً مُدبّبة تُمكّنها من تَمزِيقِ أوراقِ الخَسّ.

الحَلازِين العُسر، والتي تُعرَفُ مِنْ التفافِ قَوقَعتها نحوَ اليَمين، هي الأكثرُ تَوتّراً. تُلقي عالياً قُرونَها باعثةً الكرات العينيّة إلى أطْرافِها مثل براعِم مُصدرةً صوتَ رَشفة. بعضُ الحَلازِين ترفَعُ صَدْرها ناطِحةً قَوقَعتها برأسها لتُسقِط عنها الحشَراتِ النمليّةِ وأمتِعتهنَّ الفائضةَ عن الحاجَة. ثمّ تفرُّ من ميدَانِ المَعركة.

دونَ إبطاءٍ يتَّخذُ الرّتلُ الأوّل من المِدفعيّات العدوّة وضعيّةَ الرّمي مُشكّلاً صفّاً مُتراصّاً شِبهَ نَموذجيّ. تنتَصِبُ البُطونُ وتُلقي وابلاً من قطَراتٍ حارقةٍ، تَنطَلقُ القذائِفُ الصفراء وتَهوي على الصّفُوفِ الثوريّة الأولَى. تتلوّى الأجسَادُ المُصابةُ ألماً.

سُرعانَ ما يَحلُّ رَتل ثانٍ منَ المِدفعيّاتِ مكانَ الرّتلِ الأوّل، ينتَصِبُ مُحدثاً في الحدّ الأدنى القَدْر ذاتهُ من الأضْرارِ.

تحدثُ مجزرة في صُفُوفِ الثوريّاتِ المُوالياتِ **للأصابع**. يزدَادُ عدَدُ الفارّينَ في مُؤخّرة الفِرقَة. ولاؤهم **للأصَابع** ليسَ قويّاً إلى حدّ الانْجرارِ إلى مُواجَهةٍ مع فيدراليّةِ النّمالِ الصّهباواتِ العُظمَى.

الحَلازِين التي أصَابَها الحَمْضُ تَمدُّ أعْناقَها إلى السّماءِ، وقَدْ أفقدَها الهلَعُ صَوابَها، تدُورُ مُبرزَةً أسْنانها الدقيقةَ جاحِظَةً عينيها الطّويلتين. عندما يَصِلُ الذّعرُ فيها هذا المَبْلَغ، تتضاعَفُ كميّةُ البُزاقِ التي تَفرزُها، ربّما هي ردّةُ

فعلٍ للتَمكّنِ من الهَربِ بسُرعَة. الثوريّات المُوالياتُ **للأصَابع** واللواتي هنّ على مقربة من الحَلازِين يتمرّغن بالبزاق. وتتعرّضُ بعضُهنّ للعضّ بأسنانِ آكلاتِ الأعشَابِ الواخِزةِ كالإبر.

يتَواجَهُ الجيشَان مثلَ حيوانين ضَخْمينِ مُنهَكين مُفرطي السَّعَر. إلى اللّحظة، كلّ شيء هادئ. لكنَّ الجَميع يُدركُ أنّهُ عمّا قريب سَيبدأُ التّلاحُم الكبير.

تَعِدُ المَعركةُ أنْ تكونَ عظيمَة، مِئتان وعشرونَ ألفاً مُقابلَ أقلّ مِنْ خمسِينَ ألفاً. ترفَعُ إحدى النّمالِ الفيدراليّات قرناً وتُطلقُ رائِحة.

اهجُموا!

وعلى الفورِ يَعلُو زَئيرُ روائِحِ الحَربِ فوقَ آلافٍ منَ القُرُونِ المُنتَصبة.

تَغرزُ الثوريّات فُكوكَهنّ عَميقاً في الأرضِ ليثبتْنَ عندَ الاصْطِدام.

المِئاتُ من الفَيالقِ الفيدراليّةِ تَهجُم إلى الأمامِ مُباشَرة. وحدَاتُ الخيّالةِ تَعدُو. المِدفعيّاتُ تَسْتَعجل. والبتّاراتُ يَركضْنَ رافِعات الرّؤوسَ لئلّا يُعقن بعضهنّ بعضاً بسيوفهنّ الفمويّةِ الطّويلة. يَندفِعُ المُشاةُ على أجسَادِ المُشَاة الضّخامِ ليكونوا أسْرع كأنّهم على بِسَاطٍ مُتحرّك. تهتزُّ الأرضُ تحتَ أعدَادِهم.

يُوشِكُ الجَيشانِ على التّماسِ.

يقَعُ الاصْطِدامُ. تتشَابكُ فكُوكُ صُفوف الفيدراليّين الأولَى بفكُوكِ صُفوفِ الثوريّين الأولَى.

هذهِ القُبلَة المَشؤومَةُ الهائِلة التي أُخِذت، تفرِدُ فيالِقَ الجَيشينِ على الجَانبينِ موسّعةً الابتِسَامةَ الجَنائزيّةَ. الفُكوكُ المُجرّدةُ تبحَثُ في غَاباتِ الأرْجُل عن رُكَبٍ تَبترها. دوّامة من الفيالقِ الاتّحاديّةِ تَندفِعُ في صفّ الدّفاعِ الثوريّ.

عُشرونَ نَملة بينَ الأقوى في المُعسكرِ الثوريّ المُوالي **للأصَابع** يُبقينَ سلاحَ الفُرسانِ الاتّحاديّ على مَسافةٍ مِنهنّ عبرَ التلويحِ بعودٍ مُشتَعل. صَحيحٌ أنَّ الحَركةَ تَدبُّ الخَوفَ في قلوبِ القَريباتِ مِنهُ غيرَ أنّها لا تَكفي لتعوّضَ

القلّة العَديّة. علاوةً على ذَلك، لا بدّ أنَّ وحدَات الخيّالة قد أُنذِرَت وبالتالي تَوقّعت ظُهورَ النارِ المنقُولَة عبرَ الغابةِ في ميدانِ القِتالِ، فقد اسْتَجمَعت قواتها بسُرعةٍ واستدارت حَولَ الرّمحِ المُلتَهبِ الطّويل.

يَحدثُ الاشتباكُ الكبيرُ. يَحدثُ الإطلاقُ والجَلْدُ والعَضّ وصَيحاتُ الرّوائحِ المُتوعّدة. يتَعانقنَ لتُطَقطِق تحتَ ملاقِط فكوكهنّ أدرعُ الخُصُوم. أشْلاء الكيتينِ المُكسّرِ تتكشّفُ عنها لُحُوم سَائلةٌ مسلُوخة. يتَطَاعنّ دون هوادة، يتسَاقطنَ مغشيّات. يَنفثنَ في الوجُوهِ روائِحَ كريهَة مُفعمةً بالكلِماتِ البذيئةِ. يتَحاجزْنَ، يَغرزنَ القُرُونَ في المفاصِل. يَقْصِلنَ الأعناقَ. تُلوى العيُون، تُثنَى الفكُوك، وتُجدَعُ الشّفاه.

وَصلَ السّخطُ الشّديدُ القاتلُ ذروتهُ وبعضُ النّمال اللّواتي أسكرهنَّ القَتلُ، يَنحرْنَ دونَ تَمييزِ الحَلِيفات والعدوّات.

أجسَادٌ بلا رُؤوسٍ تُواصِل جَريها فوقَ مَيدانِ المَعركة، مُضيفةً على الفوضَى فوضَى. رُؤوسٌ بلا أجسادٍ تتقافزُ لأنّها فهمَت أخيراً جُنونَ حُروب الحُشُود. ولكن ما مِنْ أُذنٍ تُصغي إليها.

من أعلَى تلّة، تُطلقُ الرقم 15، مُمْسِكةً بطنَها، دَفَقاتٍ ضخمةً بتتابُعٍ سَريعٍ. تُدخّن مُؤخّرتُها. حينَ يَفرغُ بَطنُها، تَهجُمُ ناطِحةً بالرأسِ الشوكيِّ لجُمْجُمتها. الرقم 5 وهي مُنتَصبةٌ على أربَعةِ أرجُلٍ تُلقي الصّفعات دافِعة رِجليها الأماميّتين مثلَ سُوطَينِ ينتَهيانِ بسنَانيرِ مخَالبها. الرقم 8 في هِياجٍ كامِل، تلتقِطُ جثّة عدوّة تُدوّرها حولَ رأسِها قبلَ أنْ تَرميها بكلّ قُوّتِها على رتلٍ من فِرقةِ الخيّالة. يَخطرُ للرقم 8 بأنَّ المَنْجنيق سيُتيحُ بسَالة كهذه. تُريدُ تكرارَ الإنجازِ ولكن سُرعان ما تتلقّفها بِضْعُ جُنديّات عدوّة وتخدّشُ هيكلَها.

يَختبئ الجَميعُ في ثُقوبِ الأرضِ الصّغيرةِ لمُباغَتةِ العدوّ. يَدورُونَ حولَ الأعشَابِ لإنهاكِ الخَصم. تُحاولُ الرقم 14 إقناعَ عدوّة بالحِوارِ دونَ أنْ تُفلِح. الرّقم 16 مَغمُورةٌ بالمُقاتِلات، تُخفقُ في تَحديدِ مكانِها في مَيدانِ المَعركة على الرّغمِ مِنْ روعةِ أعضَائها جونستون. تتكوّرُ الرقم 9، ومُنكمِشةً على هذا النّحوِ، تَتَدحرَجُ على مَجمُوعةٍ من الأعداءِ وتَنجَحُ في إفقادِهنَّ

التّوازن. عِندئذ لا تَحتاجُ أكثرَ من قَطعِ قُرونهنّ الاستشعاريّة قبلَ أنْ يستَعِدنَ وعيهن. دُونَ قُرونٍ، لا تَستَطيعُ النّمالُ القِتالَ.

حَشدُ المُهاجِماتِ مُفرِطُ الكثافةِ.

الأَميرةُ 103 مُنذَهِلة مِنْ أنْ يُبيدَ أفرادُ العائِلةِ الواحِدةِ بعضَهُم بعضَاً على هذا النّحو. ففي آخرِ المطَاف، سَواء أكنَّ حليفات أم عدوّات، وسطَ مَيدانِ المعركةِ الغارِقِ في الحِداد، هنّ في مُعظَمهنّ أخوات.

ومع ذلكَ عليهنّ أنْ ينتَصِرنَ.

تُشير الرقم 103 إلى زَميلاتِها الاثنتي عشرَة بأنْ ينضَمِمْنَ إليها وتَشرَحُ لهنّ خِطّتها. تتمركزُ الفرقَةُ وسَطَ أَضْخَم تَجمّع للثوريّات، مُحصّنةً داخلَ سُورِ أَجسَادهنّ، وتَحفرُ نَفقاً. تَحملُ ثلاثٌ مِنهنَّ جَمرةً في عُلبتِها الحَجريّة. للخُروجِ منْ ميدانِ المَعركة، تَحفرُ المُستكشِفاتُ الثلاثةَ عشَرة باستِقامةٍ لمدةٍ طَويلَة. حَرارةُ النّارِ تَمنَحهنّ الطّاقة. يُحدّدنَ بأجهزتهنَّ الحسّاسَةِ للحُقولِ المِغناطيسيّةِ الأرضيّةِ نِقاطَ علّامٍ باتّجاهِ بيل-أو-كان.

تهتزّ الأرضُ فوقهنّ تحتَ جَلبةِ المَعارك. يَحفِرنَ تحتَ الأرضِ بأقصَى طَاقةِ فكُوكهنّ. يأتي وقت يخفُّ فيه توهجُ الجَمرةِ فيتَوقفنَ مُحرّكات القرونَ بسرعةٍ فوقها لإحداثِ تيّار هواء صغيرٍ يُسهمُ في إحيائها منْ جديد.

يكتَشِفنَ أخيراً مِنطقةً قابلة للتفتُّتِ. يُزحنَ تُربتَها ويَصِلنَ إلى مَمرّ. إنهنّ في مَدينةِ بيل-أو-كان. بسُرعة، يَصعَدْنَ طَوابِقها. بالطّبع لدى مرورهنّ تتَساءلُ بعضُ العامِلات عمّا تَفعلْنَهُ هذه النّمال في مدينتهنّ، إلّا أنّهنَّ لسْنَ جُنديّات وليسَ دورهنّ ضَمان أمنِ المدينة؛ فلا يَجرُؤنَ على التدخّل.

عُمرانُ المدينَةِ تغيّرَ كثيراً مُنذُ آخرِ زيارةٍ للرقَم 103. بيل-أو-كان الآن عاصِمةٌ واسعة حيثُ يَبدو سكّانها مُستغرقينَ في أعمَالِهم بنشَاطٍ. للحظَة، تتردَّدُ النّملة. هل هي في الطّريقِ إلى ارتِكابِ ما لا يُمكنُ إصْلَاحُه؟

تتذكّرُ زَميلاتها في ثَورةِ المُوالياتِ **للأصَابع** وهنَّ الآن في الخارِج يتعرّضنَ للإبادةِ وتقولُ في سِرّها بأنَّ ليسَ لديها الخِيار.

تناولَت ورَقةً جافّة وقرّبتها من الجَمرةِ إلى أنْ انْدلَعَت فيها النّار. يَضعنَ غُصيناتٍ بمُلامسَةِ ألسِنةِ اللّهبِ جَمعْنَها حُزماً بين فكوكهنّ. وعلى الفورِ

يَشبُّ الحَريق. تمتدُّ الكارثةُ بسرعةٍ إلى غُصيناتِ القبّة. يدبُّ الهلَعُ، وتندَفعُ العَامِلاتُ إلى الحاضِناتِ لإنقاذِ الأفراخ.

ينبَغي الهُروبُ سَريعاً قبلَ أنْ يَعلقْنَ داخلَ الحَريق. تَجدُ الثوريّات المَخارجَ مسدُودَة بالعامِلات. عندئذ تتخلّى الفِرقةُ عن وقيدِها، ويندفِعْن سَريعاً نحوَ الطّوابقِ السفليّةِ وبينما يُقفِلنَ عائِداتٍ عبرَ النفَقِ الذي حفرنَه، يتناهى إلى سَمعهنّ من الطّابقِ الأعلَى وقْع أرجلٍ تَعدُو مُسْرعةً.

تَخرُجُ الأميرةُ 103 من جَديد، مُظهرةً رأسَها مثل مِنظارٍ أُفق فوقَ مُستوى الأرضِ وتتحقّق، منْ بينِ الأرجلِ العدوّة، ممّا يَحدُث. يُخلي الاتّحاديّونَ مَيدانَ المعركةِ ليهرَعوا إلى إطفاءِ الحَريق.

تُدوّر الرّقم 103 رأسَها. الحَريقُ يزحَفُ ليغطّي قمّةَ المدينةِ بالكامِل. الدّخانُ اللّاذع، المُحمّل بالروائحِ الكريهَةِ للخشَبِ المحرُوقِ وحمضِ النّمليكِ والكيتين الذائب، ينتَشرُ في المُحيط.

سُرعانَ ما تُخلي العامِلاتُ البيُوضَ عبرَ مَخارج الطّوارئ. تَبذلُ النّمالُ البيلوكانيّات أقصَى جُهدهنَّ، في كلّ الأرجاء، مُصرّاتٍ على إخمادِ ألسنَةِ اللّهب بالبُصَاقِ ورشَقاتِ الحَمضِ قليلِ التركيز. تَخرجُ الرقم 103 منَ الأرضِ وتُشيرُ لِفرقِها، أو بالأحرى لمَا تبقّى مِنها، بأنْ تنتَظرَ فالنّارُ تَخوضُ الحَربَ بدلاً عنها.

تَرمقُ الرّقم 103 بيل-أو-كان تَحترَق. تُدركُ بأنّ ثورة المُوالياتِ **للأصَابع** لا تَزالُ في بِدايتها. وستَفرضُها بسُلطةِ الفكُوكِ وهِياجِ ألسِنةِ اللّهب.

141. في دِفْء المُثُل

في صَباحِ اليومِ الخامِس، كانت لا تزالُ رايةُ ثَورةِ النملِ تَخفقُ فوقَ ثانويّة فونتينبلو.

لقد فَصَل شاغِلو المكان الجرسَ الكهربائيّ الذي كانَ يرنُّ كلّ سَاعة، ورويداً رويداً، تخلّصَ الجميعُ من سَاعَاتهم. هذهِ إحدى النّواحِي غير المُتوقّعةِ لثورتِهم، ما عادَ من الضّروريّ لهم تعيينُ أنفسهم في الزّمنِ بدقّة. تعاقبُ الفِرقِ أو العازفين المُنفرِدين على المِصطَبةِ كانَ كافياً لَهم ليدرِكوا بأنّ اليومَ يَمضِي.

كما كثيرون كانَ يتملّكهم شُعورٌ بأنّ كلّ يومٍ يستغرِقُ شهراً. كانت ليَاليهم قَصِيرة. بفضْلِ تقنياتِ التحكّم بالنّومِ العَميقِ التي اطّلعوا عليها في *الموسُوعة*، أخذُوا يتعلّمونَ كيفيّةَ إيجادِ الدّورةِ المُحدّدةِ لنومِهم. على هذا النّحوِ بوسْعِهم استِعادةُ قِواهم من التّعبِ بالنّومِ ثلاثَ ساعاتٍ عِوضَاً عن ثمانيةٍ وبذلك لم يظهَر على أحدٍ الإرهاق.

لقد غيّرتِ الثورةُ العَادات اليوميّةَ للجَميع. لم يتخلَّ الثوّارُ عن سَاعاتهم فحسب، وإنّما نَزعوا أيضاً حلَقَات المَفاتيحِ الثقيلَة تلك، مفَاتيح الشّقةِ والسيّارة والكراجِ والخِزَانةِ والمكتَبِ، في هذا المَكانِ ما مِنْ سرقةٍ لأنّه لا يُوجدُ ما يُسرَق.

تَخلّى الثوّارُ عن محَافِظهم؛ إذْ يَسمحُ هذا المكَان بالتجوّل بجيوبٍ فارِغة.

كذلكَ، وضَعوا في دُرجٍ وثائِقَهم الشّخصيّة. يَعرفُ الجَميعُ بَعضهم بَعضَاً بالشّكلِ أو بالاسْمِ الأوّل، ماً عادَ ضروريّاً أنْ يقدّمَ الشخصُ كِنيتهُ ليحدّدَ نفسَهُ عرقيّاً، أو عِنوانهُ ليحدّدَ نفسَهُ جُغرافيّاً.

ولكن ليسَت الجيوبُ وحدَها التي فرغَت، الأذْهانُ أيضَاً. لم يَعد النّاسُ داخلَ الثّورةِ بحَاجَةٍ إلى عَرقلَةِ ذاكرتِهم بأرقَام شِيفرةِ الدّخول، بطَاقاتِ الاعتِماد، وكلّ تلكَ الأرقامِ التي يُطلَبُ منّا أنْ نَحفظَها غيباً وإلّا سَنُجازِفُ بالتشرّدِ في غُضُونِ الدّقائقِ الخَمس التي تَتبَعُ نِسيانَ الأرقامِ الأربَعة أو الخَمسة الضرُوريّة للحَياة. يَجِدُ الفِتيانُ والمسنّون، الفقراءُ والأغنياء أنفسَهُم مُتسَاوينَ في العَملِ كما في النّشَاطَاتِ الترفيهيّة والمُتَع.

كانَ الانْجِذابُ الخاصّ ينشَأُ من الاهتِمامِ المُشتَركِ في أحدِ أنوَاعِ العَملِ، والاحترامُ يتأسّسُ على مُلاحظَةِ العَملِ المُنْجزِ.

ورغمَ أنَّ الثورةَ لم تكنْ تُطالِبُ أحَداً بشيءٍ، لم يَكنْ مُعظَمُ أولئكَ الشبّان، دونَ أنْ ينتَبِهوا إلى ذلكَ، مُنشَغِلينَ يوماً إلى هذِه الدّرجةِ.

الأَدمِغةُ مُستَثارة على الدّوامِ بأفكارٍ وصُورٍ ومُوسِيقى أو مفاهِيم جَديدة. هناكَ الكثيرُ من المشكلات العمليّةِ التي تَحتاجُ حلّاً!

عندَ السّاعةِ التاسِعة، صعدَتْ جولي المِصطَبَةَ الكبيرةَ لتقييم الوضْع

الرّاهِن. أعلَنت بأنّها عثَرت أخيراً على مثالٍ يُقتدَى بهِ في ثَورتها: الجِسْم الحيّ.

– في داخلِ الجَسَد، ما مِنْ مُنافَسةٍ أو صِراعاتٍ داخليّة. التّعايُشُ الكامِلُ لجميعِ خَلايانا يُبرهِنُ بأنّ في داخِلنا مُجتَمعاً مُنسَجِماً. وما علينا إلّا أن نفعَلَ في الخَارجِ ما هُو لدينا أَصْلاً في الدّاخل.

راحَ الجُمهُورُ يُصغِي بانتِباه. فاستأنَفَت:

– أعشَاشُ النّملِ تَعملُ مثلَ أجسَامٍ حيّةٍ مُنسَجمةٍ. لهذا السّببِ تندَمِجُ هذه الحشَراتُ جيّداً في الطّبيعَةِ. الحَياةُ تقبَلُ بالحَياةِ. الطّبيعةُ تُحبُّ ما يُشبِهها.

قالَت الشابّةُ وهي تُشيرُ نحوَ طَوطَم البولسترين وسَطَ الباحَة:

– ها هو النّموذَجُ، ها هو السرُّ: «1 + 1 = 3» كلّما كنّا مُتضَامنين، سيَسْمو وعينا أكثر وندخُل في انْسِجام مع الطّبيعَة، داخليّاً وخارجيّاً. منَ الآن فصَاعِداً، هدَفنا تَحويلُ الثانويّة هذهِ إلى جِسْمٍ حيّ كامِلٍ.

فَجأة، بدا لَها كلّ شيء بسيطاً. جسدها هو جِسْم صغير، الثانويّة المُستحوذُ عليها جِسْم أكبر، الثّورةُ المنتَشرةُ في العالَمِ بفضْلِ شبكاتِ المعلُوماتيّة هي جِسْم أكثر ضَخَامة ولسَوفَ يعيش.

اقترحَت جولي إعادةَ تَسميةِ مُحيطهم وفقَ مفهُوم الجِسْم الحيّ.

فتكونُ جُدرانُ الثانويّةِ بَشَرَته، الأبوابُ مسَاماته، أَمَازونيات الآيكيدو الخَلايا اللّمفاويّة، الكافيتريا الأَمْعاء. أمّا مَالُ شَركةِ «ثَورة النّمل» مَحدُودَة المسؤُوليّة، فهو الغلوكوز الضّروريّ لضَخّ الطّاقةِ ومُعلّمُ الاقتِصاد الذي ساعَدَ في سَيرِ الحِسَاباتِ بشكلٍ جيّد هو مَنْ يُديرُ سُكّر الغلوكوز هذا. الشّبكةُ المعلُوماتيّة هي الجِهازُ العَصبيّ المُساهِمُ في انتِقالِ المَعلُومات.

ومَنْ يكونُ الدّماغُ إذاً؟ تُفكّرُ جولي. تَخطُرُ لها فِكرة تَشكيلِ نِصْفي كُرة. الدّماغُ الأيمَن، الحدْسِي، سيكون مَجلِس *pow-wow* الصّباحيّ المعروف، تَجمُّع ابتكاريّ يَبحَثُ عنْ أفكارٍ جديدة. أمّا الدّماغُ الأيسَر، الانتِقَائي، سيكونُ تجمّعاً آخر يتكفّلُ بفرزِ أفكارِ الدّماغِ الأيمنِ وتَطْبيقها على أرضِ الواقِع.

– من سيُقرّرُ من هو المُشَاركُ في هذا المَجلِس أو ذاك؟ سأَلَ أَحدَهم.

تُجيبُ جولي بأنّه على اعْتبارِ الجِسْم الحيّ لا يَخضَعُ للترتيبِ الهَرمي

يَحقّ لأيّ أَحدٍ المشاركةُ تَلقائياً في المَجْلسِ الذي يَختارُهُ وفقاً لِمزاجِ يَومِه. أمّا بالنّسبةِ للقراراتِ فستتّخذُ بالتّصويت.

– ونحنُ الثّمانية؟ سأَلَ جي وونغ.

هم المُؤسّسُون ويجِبُ أنْ يُشكّلوا مَجمُوعةً مُستقلّة، عضواً يُفكّر على نَحوٍ مُنفصِل.

– نَحنُ الثّمانية، قالتِ الشابّة، القِشرة الدّماغيّة، الدّماغُ الأوّلي الذي هو أَصْلُ نِصفَي الكُرة. سنُواصِلُ الاجتِماعَ من أَجلِ حِواراتنا في قاعَةِ التمرين تَحتَ الكافيتريا.

كلّ شيء اكتَملَ. كلّ شيءٍ باتَ في مكانِهِ.

«مرحباً، *ثورتي الحيّة*»، تمتَمت.

في الباحَةِ، أخذَ الجَميعُ يناقِشُ هذا المفهُوم.

– سنَعقدُ الآن جلسَتنا الابتكاريّة في الملعَبِ الرياضيّ المسقُوفِ، أعلنت جولي. يحضُر مَنْ يُريد. وستُنقَلُ أفضَلُ الأفكارِ إلى الجلسَةِ العمليّةِ التي سَتُحوّلها إلى فروعٍ في شَركَةِ «ثَورة النّمل».

تَجمْهَرَ حشَد. قَعدَ الناسُ على الأرضِ مُثيرينَ جَلَبَة كبيرة بينما راحَت الأطعِمةُ والمشروباتُ تدورُ بينَهم.

– مَنْ يُريدُ البدء؟ سأَلَ جي وونغ، وهو يَضعُ لوحاً أسود كبيراً ليدوّنَ عليهِ الأفكار.

أكثرُ من شَخصٍ رفعَ يدَهُ.

– أَتَتْني الفِكرةُ وأنا أَرى مشرُوعَ فرنسين *انفرا–وورلد*، أعلَنَ شابّ. فكّرتُ أنْ بوسْعنا تأسِيسُ برنامجٍ مشَابهٍ يُتيحُ لنا اختِصَارَ الوقتِ أكثر. بذلك سنَعرِفُ مآلَ تَطوّرنا المُحتَمل في المُستَقبلِ البعيدِ ونَستَدرك الأخطَاءَ التي لا يَجبُ أنْ نقَعَ فيها.

تدخّلَت جولي.

– يذكرُ إدمون ويلز ما يُشبهُ ذلكَ في موسُوعته. يدْعُوه «البحثُ عن VMV[1]»، أيْ «مسَار أقلّ عُنفاً».

1– (Voie de Moindre Violence): مسار أقلّ عنفاً.

اتّجهَ الشابُّ إلى اللّوحِ.

- VMV. مسَار أقلّ عُنفاً، لِمَ لا؟ يكفي، لتَحقيقِ ذلكَ، رسْمُ مُخطّط يتَضمَّنُ جميعَ المسَاراتِ المُمكنةِ للإنسانيّةِ والبَحثُ في نتائِجها على المدَى القصيرِ والمُتوسّطِ والطّويل والطّويلِ جدّاً. إلى الآن، لا تُقيّم المشكلات إلّا لمُدّةٍ رئاسيّةٍ خُماسيّةٍ أو سُباعيّة، بينما ينبَغي دِراسَةُ التطوّرِ خلال المائتي سنَة القادِمَة أو الخمسِمائة لنوفّرَ لأبنائِنا أفضَلَ مُستَقبلٍ مُمكن، أو أقلّ هَمجيّةٍ في الحدّ الأدنى.

- تطلُبُ إذاً، أنْ نبتكرَ برنامجَ احتِمالاتٍ يَختَبرُ أشكالَ المُستَقبلِ كافّة؟ أوجَز جي وونغ.

- تماماً. VMV يُجيبُ، مثلاً، عن الذي سَيَحدُث إذا ازدَادتِ الضّرائبُ، إذا حُدّدتِ السّرعَةُ بـ 100 كم/ سا على الأوتوستراد، إذا سُمح باستخدَام المُخدّرات، إذا أُتيحَ للأعمالِ الصّغيرةِ أنْ تتطوّر، إذا شُنّت حرب ضدَّ الديكتاتوريّات، إذا ألغيت الامتيازاتُ النقابيّة... ثمّةَ فائِضٌ بالأفكارِ التي تحتاجُ للاختِبار! ينبَغي دِراسَة الآثارِ السّلبيةِ أو النّتائجِ غير المُتوقّعة لكلّ موضوعٍ على مرّ الزّمن.

- هل يُمكنُ تَحقيقُ ذلك، فرنسين؟ سأل جي وونغ.

- ليسَ في *الانفرا-وورلد*. حيثُ الزّمنُ يَجري بشكلٍ أبطأ من أنْ نستَطيعَ إجراءَ اختبارٍ كهذا. ولا يُمكنني المسَاسُ بعُنصُرِ تَدفّقِ الزّمن. ولكن يُمكننا باستِغلَالِ تِقنيّة *انفرا-وورلد* تخيّل برنامجٍ آخرَ لمُحاكاةِ العالَم. ويُمكننا تَسميةُ البرنامَج البَحثُ عن VMV.

تدخّلَ رَجل أَصْلَع:

- ما الذي نَجنيهِ من اكتشَافِ السّياسَةِ المُثلى إذا لم يكن في وسْعِنا تنفيذها؟ إذا أردْنا تَغييرَ العالَم، والمضيّ بأفكارنا إلى مُنتَهاها، يجبُ أنْ نَستَحوذَ على السّلطةِ قانونيّاً. تَفصِلنا عن الانتخَاباتِ الرئاسيّة بِضعة أشهُر. لندْخُل في الحَملةِ ونُقدّم مُرشّحاً للحزبِ «الارتقائيّ» يكونُ برنامجُهُ مُوطّداً منْ برنامَج VMV. وبذلكَ سَنكونُ أوّل حزبٍ يقتَرحُ سياسَةً منطقيّة حقّاً لأنّها مُؤسّسة على المُراقبةِ العِلميّة لأشكالِ المُستَقبلِ المُمكنة.

علَت جلَبَةُ نِقاشَاتٍ بين مُناصِري السّياسةِ ورافضِيها بالمُطلَق. وهذه كانت حالَةُ دافيد الذي سَارعَ للقولِ مُحتدّاً:

– لا للسِياسَة. الجيّدُ في ثَورةِ النّملِ أنّها حَركة عفويّة خالية من الطّمُوحاتِ السياسيّةِ التّقليديّة. ليسَ لنا زَعيم، وبالتالي ليسَ لدينا مُرشّح للرئاسَة. لدينا مَلكة بالطّبعِ، جولي، كما في قريةِ نَمل، لكنّها ليسَت قائِدتنا، مُجرّد شَخصِيتنا الأيقونيّة. نَحنُ لا نَجدُ أنفسَنا في أيّةِ مجمُوعةٍ اقتصَاديّة موجُودة، أو عرقيّة أو دينيّة أو سياسيّة. نَحنُ أحرار. دَعونا لا نُفسِدُ كلّ هذا في الدخولِ مُعترك الاسْتيلاءِ على سُلطَة. سنخسرُ بذلكَ أرْواحَنا.

جلبة أقوى تَصَاعَدت. على ما يبدُو وضَعَ الرّجلُ الأصْلَع إصْبعهُ على نُقطَةٍ حسّاسَة.

– دافيد مُحقّ، أضافت جولي. قوّتنا في إطْلاقِ أفكارٍ مُبتكَرة. ولتغييرِ العالَم، هذا أكثر فعّاليّة بكثيرٍ من مَنْصِب رئيسِ الجمهوريّة. حقيقةً، منْ يُغيّرُ الأشياء؟ ليسَ الدّول، في مُعظَمِ الأوقاتِ مُجرّد أفرادٍ لديهم أفكارٌ جدِيدَة. أَطباءُ مُنظّمةِ العالَم الذين دونَ أَيّةِ مُساعَدةٍ حكوميّة، مضوا بدافع فرديّ إلى شتّى الأرجاء يقدّمون المُسَاعدةَ لأناسٍ في خَطَر... المُتطوّعون الذين في الشّتاء، يُنقِذونَ ويُطعِمونَ الفقراءَ والمشرّدين الذينَ بلا مأوى...، مُبادرات خاصّة لا غير تأتي منَ الأسفلِ وليسَ منَ الأعلَى... ما الذي يَحفَظُه الشّباب؟ إنّهم يحترِسونَ من الشّعاراتِ السياسيّة. بينما يحفَظُونَ عن ظَهرِ قلبٍ كلماتِ بعضِ الأغاني وعلى هذا النّحوِ بدأَت ثَورةُ النّمل، بأفكَار، بمُوسِيقى ولا سيّما الابتِعادُ عن أيديولوجيا الاسْتيلاءِ على السّلطة. السّلطَةُ ستُفسِدنا.

– وإذن، لنْ نتمكّنَ يوماً مِنْ اسْتِخدامِ VMV! قالَ الرّجلُ الأصْلَعُ مستاءً.

– الـ VMV عُلومنا، ستَكونُ موجُودة رغمَ كلّ شيء وستَكونُ تحتَ تَصرّفِ أيّ سياسيّ يرغَبُ في الرّجُوعِ إليها.

– هل منْ اقتراحاتٍ أُخرى؟ سأَلَ جي وونغ، الذي رَغبَ في الحدّ منَ النّقاشَاتِ الجانبيّة.

وقفَت إحدَى الأمازونيّات:

– جدّي يُقيمُ في بيتِنا وأُختي لديها رَضِيع لا يتسنّى لها الوقتُ للاعتِناءِ به.

فطَلَبت منْ جَدّي التكفّل به. أسْعدهُ ذلكَ جداً وأسعدَ الطّفل أيضاً. شعرَ بأنّهُ مُفيد وانتفَى لديهِ الإحسَاسُ بأنّه عالَة على المُجتَمع.

- وماذا أيضاً؟ استَحثّها جي وونغ للدخُولِ في صُلبِ الموضُوع.

- خطَرَ لي، استأنَفت الشابّة، أنَّ هناكَ الكثيرَ منَ الأمّهاتِ لديهنَّ صُعُوبات في إيجادِ مُربيّات، في إيجادِ أماكنَ شاغرة في دور الحضانة، في مراكزِ الرّعاية. وفي الوقتِ عَينه هناكَ الكثيرُ منَ المُسنّينَ السّئمينَ منَ العطَالَةِ عن العملِ في عزلتهم أمامَ أجهزةِ التلفزيون. ربّما بالإمكانِ جَمعُهم وتَطبيقُ قصّة جدّي وابن أُختي على نِطاقٍ أوسَع.

سرى بينَ الحضُور اعتراف بأنَّ العائِلات مُفكّكة، وهناكَ الكثيرُ منَ المُسنّين وضِعوا في دُورِ العجَزةِ لئلّا يُشاهَدوا لَحظَةَ موتِهم، ثمّة رُضّع مركونون في حضَاناتٍ لئلّا يُسمَعَ بكاؤهم. وفي المُحصّلة، بدايةُ السّباقِ مثلَ خاتِمته، في كليهما يُنبَذُ البشَر.

- فِكرةٌ رائِعة، اعترَفَت زويه. سنُنشِئ أوّلَ «حضانة-دار للمُسنّين».

في أوّلِ انْعقادٍ لجلسَةٍ مُبتَكِرة، اقتُرِحَ ثلاثة وثمانُونَ مَشرُوعاً وتحوّلَ أَربَعة عشر منهُم إلى فُروعٍ تابِعةٍ لشَركة «ثَورة النّمل» مَحدُودَةِ المسؤوليّة.

142. موسوعة

تسعَةُ *أشهرٍ*: بالنّسبةِ للثدييّات العُليا، تكونُ فترةُ الحَملِ الكامِلِ عادةً ثمانيةَ عشرَ شَهراً، ولا سيّما الخيول التي تُولدُ أَمْهارها قادِرة على المَشي.

لكنَّ الجَنينَ البشريّ، لديهِ جُمْجُمة تنمُو بُسرعةٍ كبيرة. يجِبُ إخْراجُهُ في الشّهرِ التاسِع منْ بَطنِ أُمه، وإلّا فلَنْ يستَطيعَ الخُروج. ولذلكَ يُولَدُ سَابقاً لأوانِه، غير مُكتَمل وغير مُسْتَقل.

أَشْهرُهُ التّسعَةُ الأولَى خارجَ رَحمِ أُمّهِ ليست سِوى نسْخَة مُطابِقةٍ عن أَشهرِهِ التّسعةِ داخِلَ الرّحِم. الفرقُ الوحِيدُ: هو انتِقالُ الطّفلِ من وسَطٍ سَائل إلى وسَط هَوائي. إذنْ هوَ يحتاجُ في هذِهِ الأشهرِ التّسعةِ الأولَى في الهواءِ الطّلْقِ إلى بَطنِ حِمايةٍ آخَر: البطنُ النّفسيّ. يُولَدُ الطّفلُ حائراً. إذْ يُشبِهُ أولئكَ المُصابينَ بحُروقٍ بليغَةٍ ويتوجّبُ وضْعُهم تحتَ خيمةٍ اصْطِناعيّة. بالنّسبةِ لَهُ،

هذهِ الحِمايةُ الاصطِناعيّة هي الاتّصَالُ مع الأمّ، وحَليبِ الأمّ، ولَمسةِ الأمّ، وقُبلاتِ الأب.

كما أنَّ الطّفلَ يَحتاجُ إلى شَرنقةِ وقايةٍ مَتينةٍ لمدّةِ تِسعَةِ أَشْهرٍ بعدَ ولادتِه، يَحتاجُ المسنُّ الذي يُحتَضَر إلى شَرنَقةٍ نفسيّةٍ داعِمةٍ لمدّةِ تِسعَة أَشهُر قبلَ أنْ يَمُوت. إنّها فترة أساسِيّة بالنّسبةِ لَهُ لأنّه يعلَمُ بشكلٍ بديهيّ أنَّ العدَّ التنازليّ قَدْ بدأ. يتعرّى المُحتضَرُ منْ جِلدِه القديم ومَعرفتهِ خِلال أَشْهرهِ التّسعَةِ الأخيرة، كما لو أنّهُ يُفرِغُ برمَجتَه. يُنفّذُ عمليّة عكسيّةً لعمليّةِ الولادةِ. في نِهايةِ المسَار، تماماً مثلَ الطّفل، يأكلُ المُسنُّ العَصيدةَ، ويرتَدي القِماط، ما مِنْ أسنانٍ لديه، ما مِن شَعرٍ لديه، ويُتمتِمُ كلاماً يَصعُبُ فَهمُه.

لكن إنْ كنّا عادةً نُحيطُ الأطفالَ بالرّعايةِ في الأشْهُر التّسعةِ الأولَى بعدَ ولادتِهم، فمِنَ النّادرِ أنْ نُفكّر في إحَاطَةِ كِبارِ السّنِ في الأشهُرِ التّسعةِ الأخيرةِ قبلَ مَوتِهم. مع أنّه من حيث المنطق، هم بحاجة إلى حاضِنةٍ أو مُمرّضةٍ تَقومُ بدَورِ الأمّ، «بَطْنٌ نَفسِي»، وينبَغي لهذهِ أنْ تكونَ عطوفةً للغاية لتؤمّنَ لهم شَرنَقةَ الحِمايةِ الضّروريّةِ من أجلِ تَحوّلِهم الأخير.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

143. بيل-أو-كان مُحاصَرة

ثمّةَ رائحةُ شرنَقةٍ مشويّة. توقّفَ تَصاعُدُ الدّخانِ منْ مدينةِ بيل-أو-كان. اسْتَطَاعت جُنديّاتُ بيل-أو-كان أنْ تُخمِدَ الحريق. يخيّمُ جيشُ الثوريّاتِ المُوالياتِ **للأصَابع**، أو بالأحرى الناجيّات مِنهُ، في مُحيطِ العاصِمةِ الاتّحاديّة. تُرخي مدينةُ النّمل الكبيرة ظِلّاً أشبه بمُثلّثٍ أسودَ مُتفحّم وهائلٍ على الفِرقِ المُحاصِرة.

تنتَصِبُ الأميرةُ 103 على أَربعَةِ أرجُلٍ وتَرتَفعُ الرقم 5، مُتكئةً على عُودِ-عُكاز، على رجْلينِ لتَرَى أبعَد. هكذا، تَبدُو المدينَةُ أَصْغر، ويُمكنُ حقّاً نَيلُها بسُهولةٍ. تُدرِكانِ بأنَّ الأضرارَ في الدّاخلِ فادِحةٌ غير أنَّ من المُحالِ تَقديرَها.

ينبَغي أنْ نُعطي الآن أمرَ الهُجومِ الحَاسِم، بثّت الرقم 15.

لا تُظهِرُ الأميرةُ 103 حمَاسةً. الحَربُ من جَديد! دائماً الحَربُ! القتلُ هو الوسيلَةُ الأعقَد والأكثرُ مَشقّة ليكونَ الفردُ مفهُوماً منَ الآخَر.

رغمَ أنّها مُدركة بأنَّ الحربَ إلى اللّحظةِ الراهِنةِ هي أفضلُ مُسرّع لعَجلةِ التاريخ.

تقتَرحُ الرقم 7 مُحاصَرةَ المدينةِ لأخذِ مُهلةٍ حتّى تَبرأ جِراحَاتهنّ ويُعادَ تنظِيمُ صُفوفهنّ.

لا تُحبّذ الرّقم 103 تكتيكَ الحِصَار. يحتَاجُ للانتظَار، ولقَطْعِ طُرقِ تَموينِ المدينة، ولوضْعِ حَارسَاتٍ في مُحيطِ المنَاطِق الحسّاسَة. ليسَ فيهِ ما يُشرّفُ مُحاربات.

تَدنو مِنها نَملة واهنةٌ تَقطَعُ عليها خَيطَ أفكارِها. لمّا تتعَرّفُ الأميرَةُ 103، في النملةِ المُعفّرة بالغُبارِ، على الأميرِ 24 تَقفزُ منْ مكانِها.

تَتبادلُ الحشَرتانِ ألفَ تَطاعُم. تقُولُ الرّقم 103 أنّها ظنّتهُ مَيتاً والرقم 24 يَسردُ عليها مُغامَرته. في واقِعِ الأمرِ، هو رَحلَ ما إنْ نَشبَ الحَريق. لمّا قفزَ السّنجابُ إلى المَخرجِ تَشبّثَ بفرائِه، بردّةِ فِعل غريزيّةٍ، وبالوثبِ منْ غُصْنٍ إلى غُصْن، حملَهُ القارضُ إلى أقاصٍ بعيدَة.

حينئذ سارَ الأميرُ 24 لمسَافاتٍ طَويلَةٍ. ثمّ فكّر، إنّ منْ توّهَهُ سِنجاب، ولنْ يُعيدَ لَهُ اتّجاهَهُ سِوى سِنْجاب. وهكذا اعتادَ على أنْ يَستقلَّ السّناجِبَ وسائِطَ نَقل. غير أنَّ مُشكلَةَ تلكَ القوارِضِ بعدَمِ إمكانيّةِ التواصُلِ معها لإرشادِها إلى وجْهةِ الذّهاب أو حتّى لمَعرِفة وجْهتها، إلى دَرجةٍ أنّ كلّ سِنْجابٍ كانَ يَمضِي بهِ إلى جِهةٍ مَجهُولة جَديدة. وهذا ما يُفسّرُ تأخّرَهُ.

تَحكي لهُ الأميرَةُ 103 بدَورِها عن تَطوّراتِ الأحداثِ هنا. مَعركةُ بيل-أو-كان. هُجُوم الكوماندوس الحَارق. والآن الحِصَار.

يوجَدُ هنا حقّاً مادّة لكتابةِ رِوايَة، يُلاحِظُ الأميرُ 24. ويُخرِجُ فيرومونَ ذاكرتِهِ الذي كانَ قدْ بَدأَ عليهِ سَردهُ ويدوّنُ فَصْلاً جَدِيداً.

وهل سَيُمكنِنا قراءَةُ روايتك؟ سألَت الرقَم 13.

ليسَ قبلَ أنْ تَنتَهي، أجَاب الرّقم 24.

ويُعلنُ أنّه، في وقتٍ لاحق، إنْ رأى بأنَّ روايتَهُ الفيرومُونيّة أثارَت اهتِمامَ

النّملِ، قد يكتُبُ جِزءاً آخَر. والعنُوانُ جَاهِزٌ في ذِهنِهِ منذ الآن: *ليلَةُ الأصَابع*، وإذا أعجَبت النّمال، سيَختُم ثُلاثيّتهُ *بثورةِ الأصَابع*.

لماذا ثُلاثيّة؟ سألت الأميرةُ 103.

يُفسّرُ الرقم 24 بأنّهُ سيتكلّمُ في رِوايتهِ الأولَى عن التّواصلِ ما بينَ الحَضارتَين، النّملِيّة والإصْبعيّة، أمّا الثانيةُ فستُعنَى بالمُواجَهةِ بينَهما. وفي النّهايةِ، بما أنّهما يَعجزانِ عنْ إفناءِ بعضِهما، سوفَ تَتناولُ الرّوايةُ الأخيرةُ التّعاونَ بينَ الجنسَين.

«اتّصال، مُواجهة، تَعاون»، يبدو لي بأنَّ هذهِ هي الخَطَواتُ الثلاث المنطقيّةُ للتقَابُلِ بينَ فِكرتين مُختلِفتين، ينوّهُ الرّقم 24.

مِنَ الآن لديهِ فِكرة شَديدةُ الوضُوحِ عن الطّريقةِ التي سَيكتُبُ بها قِصّته. ينوي بِناءَها بثَلاثِ حبكاتٍ مُتوازية، تمثّلُ ثلاثَ وجُهاتِ نَظَرٍ مُختلِفة: الأولَى للنَملِ، والثانيةُ للأصَابع، والثالِثةُ لإحدَى الشّخصيّاتِ التي لديها مَعرِفةٌ بالعَالَمين المُتوازيين، كالرّقم 103 على سَبيلِ المِثال.

يبدُو ذلكَ كلّهُ مُشوَّشاً بالنّسبة للأميرةِ 103 غير أنّها تُصغي بانتباهٍ إذْ يبدو أنَّ الأميرَ 24 مِنذُ أنْ أقامَ في جزيرَةِ الكورنيجرا، وهو مسكُونٌ بهاجسِ كتابةِ قِصّةٍ طَويلَة.

سَوفَ تلتقي الحَبكاتُ الثّلاثُ في النّهايه، وضَّحَ الأميرُ الشابُّ مُتحذلِقاً.

عندئذ تَظهَرُ الرّقم 14 بغتةً، شَعْثاءَ القرنين. لقد تجسَّسَت على المدينَةِ عن كثَبٍ واكتَشَفت مَمرّاً. بحسْبها يُمكنُ إرسَالُ فِرقةِ كوماندوس عبْرَهُ.

لا تزالُ الفرصَةُ سانِحة لشنِّ هُجُوم تَحتَ أرضيّ.

تقرّرُ الأميرةُ 103 أنْ تَتبعَها، والأميرُ 24 أيضاً، ولو لمجرّدِ العثورِ على أفكارٍ لمشَاهِدِ الحَركةِ في روايتهِ.

نحو مئةِ نملَةٍ يلِجْنَ الممرَّ المُفضي إلى المدِينَة، ويتقدّمنَ بخَطواتٍ حَذرة.

144. التّنفيذ العَملي

يَجرِي العَملُ في الأجنِحةِ علَى قَدَم وسَاقٍ. جنَاحُ فرنسين وعالَمها الافتراضيّ *انفرا–وورلد* هو الأكثرُ إدْهَاشاً.

وهو أيضاً النّشاطُ الأكثرُ رِبحيّة. بواسِطَةِ شَبكةِ المعلُوماتيّةِ، كانت تَلجأ وكالاتُ الإعْلانِ على نَحوِ مُتزايِدٍ إليهِ لسَبْرِ أثرِ تَغليفِهم لمُنظّفات غَسِيل أو حفّاضَات، لمواد مُثلّجةٍ أو أدويَة، وأحياناً لسَبْرِ نَماذِجَ جديدةٍ منَ السيّارات.

«مركز الأسئلة» الخاص بدافيد حقّق نجاحاً أيضاً. إذْ شكّلَ مُنذُ انطلاقَتِهِ، مُلتقَى المعرِفةِ هذا، مَرجِعاً لكثيرٍ منَ الأشْخاصِ الذينَ يتّصِلونَ بهِ لمعرِفةِ العدَدِ الدّقيقِ لحلَقاتِ مُسلْسَلِ القبّعة وحذاء الجلد كما منْ أجلِ مَعرفَةِ جدْولِ مُواعيدِ السكّةِ الحَديديّة، مُستَوى تلوّث الهواءِ في مَدينةٍ أو أخرى، أو الاسْتِثمار الأمثَل في أسْواقِ الأسهُمِ في اللّحظةِ الراهنة. الأسئِلةُ المُتعلّقةُ بالمسَائلِ الشخصيّةِ كانت نادرةً ولم يَضطرَّ دافيد إلى الاستعانةِ بتحرّيّينَ خاصّين.

وكانَ ليُوبولد، من ناحيتِهِ، قد حصَلَ على طلبيّةِ إنشَاءِ فيلا مُنغرِسة داخِلَ تلّة، وبما أنّهُ لا يَستَطيعُ التنقّلَ بُحريّة، كانَ يُرسِلُ مُخطّطاتِها عبرَ الفاكس إلى زَبونهِ، ورقَمَ بطَاقةِ اعتِمادِه.

كانَ بول يبتكرُ نكهاتِ عسلٍ جديدةً بمزجِ مُنتَجِ النّحلِ بأوراقِ شاي أو نباتاتٍ مُختلفةٍ عثرَ عليها في مطَابخِ الثانويّة أو حدائِقها. مُنذ أنْ أنقصَ جُرعاتِ الخَميرة، أصبَحَ شرابُهُ الهيدروميل رَحيقاً. لقد أعدَّ بول طبخةً مُعطّرة بالفانيلا والكراميل، والتي شَهِدت طلباً واسِعاً. إحدى طَالباتِ الفنُونِ الجميلَةِ رسَمت لهُ بطاقاتٍ رائِعة الجَمالِ أضْفَت على مَنتُوجهِ وسْماً خاصّاً: هيدروميل نَبيذ فاخر. غلّةُ ثورةِ النّملِ. «ضَمان تسميةِ المَنشأ».

تذوّقهُ الجَميعُ مُتلذّذاً. وقد أعلنَ ضِمنَ دائرةٍ ضيّقةٍ منَ المُهتمّينَ قائِلاً:

- كنتُ أعلَمُ منْ قَبل أنَّ الهيدروميل شَرابُ آلهةِ الأولمب وشَرابُ النّملِ الذي، بتَخميرِ عُسيل الأرْقَة، يحصُلُ على نَوعٍ من الخَمرِ يُسْكرهُ، ولكن ليسَ هذا كلّ شَيء، إذْ اكتَشفتُ أيضاً في «مركز الأسئِلة» الخاصّ بدافيد معلومات كثيرة عن الهيدروميل. كانَ حُكماءُ الشامانيّة في المايا يَحقِنونَ أنفسَهم بحقنٍ شَرجيّةٍ مادّتها الأساسيّة الهيدروميل وبذُورُ نباتِ مَجدِ الصّباح. تَناولُ تلكَ الموادِ المُهلوسَةِ بواسِطَةِ الحَقن كانت تُحدِثُ، دونَ أنْ تُثيرَ الغثيان، غَيبوبةً أسرع بكثيرٍ وأشدّ تأثيراً من تناولِها عبرَ الفمّ.

- ماهي وصفَةُ الهيدروميل؟ سألَ أحدُ الهُواة.

- وصْفَتي أَخذتُها منْ موسُوعة *العلم النسبيّ والمطلق*

قرأ:

- «نغلي 6 كيلو من عَسَلِ النّحل، حتّى تتشكّل الرغوة، نسكبُ عليهِ 15 ليتراً من الماء، ثم نُضيفُ 25 غراماً من مسحوق الزنجبيل، و15 غراماً من الهال، و15 غراماً من القرفة. نتركُ المزيجَ يَغلي حتّى ينقُصَ رُبعهُ تقريباً. ثم نُطفئُ النارَ تحتهُ ونتركُهُ إلى أنْ يفتُرَ. ثمّ نُضيفُ مِلْعقَتين صَغيرتين منْ خَميرةِ البيرة ونتركُ المزيجَ يرتَاح لمدّة 12 ساعة. وبعدها نَسكبُ السّائل في برميلٍ صَغيرٍ. ثمّ ندعهُ يَختَمرُ جيّداً ويرتَاح». مُنتجنا من الهيدروميل هو، بالطّبع، غيرُ مُعتّق كثيراً. ينبغي الانتظَارُ بعد ليكتَسِبَ قواماً.

- وهل كنتَ تَعلمُ بأنَّ المِصريّينَ استَخدَموا العسَل لتعقيمِ الجُروحِ وتَهدِئةِ الحُرُوق؟ سألَت إحدَى الأمازونيّات.

أوحَت المعلُومةُ لبول بفكرةِ إنشَاءِ خطّ دَوائيّ إضَافةً لخطّ الموادِ الغذائيّةِ.

إلى أبعد قليلاً، كانت تُعرَضُ ملابسُ نرسيس. وتقوم أمازونيّات بدورِ عارضَات أَزياءٍ أمامَ أشخاصٍ منْ الثورةِ تحتَ عدَساتِ الفيديو التي تتولّى إرسَالَ الصُّوَر بواسِطةِ المُخدّم عبرَ شبكةِ المعلُوماتيّة الدوليّة.

فقط آلتا جولي وزويه المُعقّدتان نتائجهما إلى اللّحظةِ مخيّبة للأمل. إذ قتلَت آلةُ الحوار مع النمل حتّى اللحظة نحوَ ثلاثينَ حشَرةَ اختبار. أمّا بخصُوصِ مشروع زويه، التقويمات الشميّة الاصْطناعيّة، فلشدّة ما كانت تجرّح فتحتي الأنف لم يستطع أحد تحمّلها أكثر من لَحَظاتٍ قليلة.

صَعدت جولي شُرفةَ المُديرِ وتأمّلت الباحةَ وثورتها. الرّاية تَخفق، النَّملةُ-الطوطمُ تتربّع على عرشِها، موسيقيّو رِيغَي يعزفون وسَطَ غمامَة منْ دُخانِ الماريجوانا. فورةُ نشاطِ تعمُّ المكان حول الأجنِحة.

- رغمَ كلّ شيء نَجحنا في خلقِ مناخٍ مُناسِب، قالَت زويه التي انْضمّت إليها.

- على المستوى الجماعي هذا لا شكّ فيه، وافقت جولي. الآن، علينا أن ننجح على المستوى الفرديّ.

- ماذا تقصِدين؟

- أتساءلُ إذا ما كانَت إرادَتي في تَغييرِ العالَم لا تَتعدّى في الواقعِ الاسْتِجابة لعجزي عنْ تغييرِ نفسِي.

- مِنْ جَديد أيضاً، على رِسلك جولي! أعتَقدُ بأنّك تُفرطينَ في حرقِ أعصابكِ. الأمورُ تَسيرُ على ما يُرام، اسْعَدِي بذلك.

التفتَت جولي إليها، مُحدّقةً في عينيها.

- مُنذ قليل قرأت مقطعاً *بالموسوعة*. غريباً. اسمه «لستُ سوى تَجسِيد لشخصيّة» ويقولُ بأنّنا الوحيدون في العالَم ربّما نعيش في فيلم تَجري أَحدَاثهُ من أجلنا فقط. بعد أن قرأت هذا، راودتني فكرة غريبة، قلت في سرّي: وإن كنت الشخص الوحيد الحيّ. إن كنت الكائن الحيّ الوحيد في كلّ هذا الكون...

أخذت زويه تنظر إلى زميلتها بقلق. أردفَت جولي:

- إنْ كان كلّ ما يحصل معي ليسَ، في نهاية المطاف، غير عرضٍ كبير يقدَّمُ لأجلي فقط؟ كلّ أولئك الناس، أنتِ، ربّما لستم غير ممثلين وكومبارس. وليست الأغراض والمنازل والأشجار والطبيعة أكثر من ديكور مَصنوُع باحتراف، مُصمّم ليهدّئ من روعي ويجعلني أصدّق بوجودِ حقيقة ما. ربّما أنا داخل برنامج شبيه *بانفرا-وورلد*. أو ربّما داخل رواية.

- أووه! على رسلك! تَشطَحينَ بأفكَاركِ بَعيداً!

- ألم تُلاحِظي يَوماً أنَّ الناسَ تَموتُ حولَنا بينما نحنُ نَبقَى أحياء! ربّما نُراقَب، تُختبرُ اسْتِجابَتنا أمامَ مواقفَ مُحدّدة. تُختبرُ قُدرتنا على المُقاومةِ أمامَ بعضِ الاعتِداءات. تُختبرُ ردود أفعالنا غير الإراديّة. هذه الثورة، هذه الحياة ليست سوى سيرك هائل مُشاد لكي يختبرني. ربّما أحدٌ يُراقبني في هذهِ اللّحظَةِ من بَعيد، يقرأُ حياتي في كِتاب، ويُطلِقُ عليّ حُكماً.

- في هذهِ الحَالةِ، تنعّمي بذلكَ. كلّ شيء هنا في الأَسفل، هو مِنْ أَجلكِ. كلّ هذا العالم، جميعُ أولئك الممثّلين، وأولئك الكومبارس، كما تقولين، هم هنا لتلبيتك، للتكيُّفِ مع طَلَباتكِ وحركاتِكِ وأفعَالِك. هم يشعرون بالقلَق، مُستقبلهم يعتَمِدُ عليك.

– بالضّبطِ، هذا ما يُقلِقني. إنّي خَائِفة بألّا أكونَ على مُسْتوى... الشّخصيّة التي أُجسّدها.

هذه المرّة، زويه هي التي أخذت تشعرُ بأنّها ليست على ما يرام. حطّت جولي يدها على كتفها.

– سامِحيني. انسِي ما قُلتهُ لكِ للتوّ. لنْ نُبالِي.

أخذَت صَديقتَها إلى المَطابخ، فتَحتِ البرّادَ وسَكبت خيطاً من الهيدروميل الذهَبيّ في كُوبين. ثمّ شَربتا برشَفاتٍ صَغيرة، على ضَوءِ البرّادِ المُواربِ، شَرابَ النّملِ والآلِهة.

145. فيرومُون حَولَ عِلم الحيوان: برّاد

سَيّالة اللّعاب: الرقم 10.

*برّاد: ليسَ لدَى **الأصَابع** معِدة اجتِماعيّة، مع ذلكَ يَستَطيعُونَ تَخزينَ الطّعامِ لمُدّة طَويلَةٍ دونَ أنْ يفْسُد.*

ليُعوّضُوا عن افتقارِهم للمَعِدة الثانيةِ التي لدينا، يتزوّدُونَ بآلةٍ يُسمّونَها «برّاد».

هو عُلبةٌ يسُودُها مَناخٌ شَديدُ البُرودَة.

يَملؤونها بالأطْعِمةِ حتّى آخرها.

*وكلّما ازدَادَت مكانَةُ **الإصْبَعِ**، ازدَادَ حَجمُ برّادهِ.*

146. في بيل-أو-كان

تُباغِتُهم رائِحةُ فَحْم.

تَنبَعثُ عن الغُصيناتِ المُفحّمةِ رائِحةٌ كَريهة، وتتوزّعُ في الأرجاءِ كافّة أجسَادٌ مُفحّمةٌ لجُنديّاتٍ حُوصِرنَ داخِلَ الحَريق. مشْهد مُرعِب، حتّى أنّ ثمّة بيوضُ نَملٍ ويرقاتٍ لم يُسْعِفِ الوقتُ لإخْلائِها فشُويتْ حيّةً.

كلّ شيءٍ استَحالَ رماداً والخَواءُ يَسودُ المَكان. أيمكنُ أنْ يكونَ الحَريق التَهمَ جميعَ السكّان ومن ثمّ الجيشَ الذي سَارعَ لإطفائِه؟

تُواصِلُ النّمالُ تقدّمَها في الممرّاتِ التي زُجّجَ بعضها بفعلِ النار. لشدّة سخونةِ الجمر قضَتْ الحشَرات نحبَها فجأة، وهي في أَوجِ انْهماكِها. ظلّت مثبّتةً في الوضعيّةِ التي كانت عليها قبلَ أنْ تَعصِفَ بها هبّة حَارقةٌ وتُجمّدها إلى الأبد.

لمّا تلمسُها الرقم 103 أو أحد مِنْ فِرقتِها تَتفتّت نثاراً.

النار. النّمالُ غيرُ مهيّأة للتعامُلِ مع النار. تُتمتِم الرقَم 5:

النارُ سِلاح شديدُ الفتك.

باتَ الجَميعُ الآن مُدركاً لماذا استُبعدَت النارُ عن عالَمِ الحشَراتِ منذُ زمنٍ طَويلٍ. للأسف، هناكَ بعضُ الحَماقات التي على كلّ جيلٍ أنْ يقترفَها ولو من أجل تذكّرِ العَواقِبِ المؤدّيةِ إلى تَجنّبِ اقترافِها.

تُدركُ الرقم 103 بأنَّ النار سِلاحٌ هدّام. لشدّةِ ما كانت ألسِنةُ اللّهبِ عَنيفةً في بعضِ النّواحِي تَطبّعت ظِلالُ ضَحاياها على الجُدران.

تتقدّمُ الأميرةُ 103 في الحَاضِرة التي اسْتَحالَت مَدفناً وتكتَشِفُ- بخِزيٍ - المقبرةَ التي أَصْبَحتها مَدينةُ مَسْقطِ رأسها. ما منْ شيءٍ في المَفاطِرِ غير نباتاتٍ مُفحّمة، وأرْقَات مُحمَّصةٍ مَرفُوعة القوائِم في الحظَائر. والنّمالُ- الصّهاريجُ انْفجرنَ في قاعاتِهنّ.

تأكلُ الرّقم 15 بعضَاً مِنْ جثّةِ نملَة-صهريج وتُلاحِظُ بأنّ لديها طَعْماً لَذيذاً حقّاً. للتوّ تكتَشفُ طَعمَ الكراميل. ولكن ليسَ لديهم الوقتُ ولا الرّغبةُ بأنْ يُعجَبوا بهذا الطّعامِ الجديد، فمدِينةُ مِيلادِهم ما عادَت سِوى خراب.

تُخفِضُ الرقم 103 قَرنيها. النارُ سِلاحُ المَهزُوم. استَخدَمتهُ لأنَّ اليدَ العُليا في ميدانِ المَعركَة لم تكنْ لَها. لقد غَشّت.

أيُمكنُ أنْ يكونَ **الأصَابعُ** قد سَحرُوها فوصَلَ بها الأمرُ ألّا تَحتَملَ الهزيمَة، أنْ تَقتلَ ملِكتَها، أنْ تفتِكُ بأفراخِها وحتّى تُدمّر مَدينتَها!

وا أسفاه تكبّدوا عَناءَ كلّ هذهِ الرّحلَةِ لتَحذيرِ بيل-أو-كان تَحْديداً منْ خَطَرٍ يتهدَّدُها... من أنْ تَحرِقَها **الأصَابع**! التارِيخُ حافلٌ بالمُفارقات.

يسِيرونُ في الممرّاتِ التي لا تزالُ الأدْخِنةُ تتصَاعدُ مِنها. كلّما توغّلوا

داخِلَ هذهِ المأسَاة، يظهَرُ لَهم، وعلى نَحوٍ غَريب، بأنّ أَحداثاً غير مألوفَةٍ حصَلَت في هذا المكان. هناكَ دائِرة مرسُومةٌ على جِدار. أيمكن أنْ تكونَ البيلوكانيّات منْ ناحيتهنَّ قدْ اكتَشفنَ الفنّ؟ صَحِيحٌ أنّه فنّ أَوليٌّ بما أنّهُ لا يتعدَّى إعادَةِ رَسمٍ للدّوائِر، غير أنّه مع ذلك فَنٌّ.

تَحدُس الأميرة 103 بسُوء. تَدورُ الرّقم 10 والرّقم 24 في كلّ الاتّجاهاتِ خشيةَ الوقوعِ في كَمين.

يَصعَدُونَ في المدينةِ المُحرّمة. تتأمّلُ الرقم 103 أنْ تَجدَ الملكةَ هُناك. تُلاحِظُ بأنّ خشَبَ أرومَةِ الصّنوبرِ الذي يُحصّنُ المدينةَ المُحرّمة بالكادِ مسّتهُ ألسِنةُ اللّهبِ. الممرُّ مَفتُوح، فقد ماتَت النّمالُ-البوّابات المُكلّفات بحمايةِ المَخارِجِ بتأثيرِ الحَرارة والانبعاثاتِ السُّميّة.

تَمضِي الفرقَةُ إلى المقصُورةِ المَلكيّة. الملكة بيل-كيو-كيوني مَوجُودةٌ بالفعل. لكنّها ثلاثُ قِطَع. هي، لم تَحترق، ولم تَختَنق. آثارُ الضَّرباتِ حَديثَة. لقد اغتِيلَت منذ وقتٍ قريب. وتَنتشرُ حولَها دَوائر مَحفُورة بالفكُوك.

تَدنو الرقم 103 وتجسُّ قرنَي الرأسِ المقطُوعِ، إذْ بوسْعِ النّملةِ مُواصَلة البثّ حتّى لو كانت مُقطّعة. الملِكةُ ميّتة غيرَ أنّها احْتَفظَت بكلمةٍ شَميّة عند طَرفي قَرنيها.

الربوبيّات.

147. موسوعة

كاميرر: قرّرَ الكاتِب آرثر كويستلر في أحدِ الأيامِ أنْ يُكرّسَ كِتاباً للخديعَة العلميّة. فسألَ الباحِثينَ الذينَ أكّدوا لهُ بأنَّ أكثر الخدعِ العلميّةِ بؤساً كانت بلا شكّ تلكَ التي قدَّمَها الدكتور بول كاميرر.

حقّقَ عالِمُ الأحياءِ النمساويّ كاميرر اكتِشافاتهِ الرئيسة بينَ عامي 1922 و1929. كان رجلاً بَليغاً، سَاحِراً، شَغوفاً. فَحْوى دَعْواه: «إنّ بوسْعِ كلّ كائنٍ حيّ التكيّفَ مع تَغيّرِ البيئةِ التي يَعيشُ فيها ونَقْلَ هذا التكيّف إلى نسله». وهذهِ النظَرية كانت تتعارَض تماماً مع نَظريّةِ داروين. ولإثباتِ صحّةِ مَزاعِمه، ابتكرَ الدكتور كاميرر تَجربةً مُذهِلة.

أخذَ بيُوضاً من صَنفِ «ضِفدَع الدّاية» الذي يتّصِف بالبشَرةِ الجَافةِ ويتكاثَر على اليابِسةِ ووضَعَها في الماء.

الحيَواناتُ المُنبَثِقة عن هذهِ البيوض تكيّفت وحمَلَت صِفاتَ الضّفادعِ المائيّة. كان لديها سَنام تَزاوجٍ أَسود على الإبهام، يَسمحُ السَّنام لذكورِ الضّفادعِ المائيّة بالتشبّثِ بجلدِ الإناث الزلق ليتمكّنوا منَ التزاوجِ في الماء. انتَقلَ هذا التكيّف في البيئةِ المائيّةِ إلى ذُريّتها، التي أَخذَت تولدُ مزوّدةً بسنامٍ داكنِ اللّون على الإبهام. وبالتالي تَستطيعُ الحياةُ أن تُعدّلَ برنامجها الوراثيّ للتكيف مع البيئة المائيّة.

دافَعَ كاميرر عن نَظريّتهِ في جَميعِ أَنحاءِ العالَم مُحقّقاً قَدْراً منَ النّجاح. ومع ذلك، في أحدِ الأيّام، رَغبَ عُلماء وأكاديميّونَ فحصَ تَجربتهِ «بشكلٍ موضُوعيّ». سَارعَ جمهُورٌ واسِعُ النّطاقِ إلى قاعَةِ المُحاضَرات، كذلكَ العديدُ منَ الصحفيّينَ. وأَرادَ الدكتور كاميرر أنْ يكونَ هناك ليثبتَ على الملأ أنّهُ ليسَ دجّالاً.

قبلَ يومٍ من التّجربَة، حدثَ حَريق في مُختَبرهِ وماتَت جميعُ الضّفادِعِ باستثناء واحِدٍ فقط. لذلكَ قدّم كاميرر هذا النّاجي المزوّد بسَنام داكِنِ اللّون. تفحّصَ العُلماءُ الحيوانَ بعدسَةٍ مُكبرة ثمّ انفَجروا بقَهقَهات مُدويّة. كانَ واضِحاً تماماً بأنّ البُقعَ السوداء لسنَامِ إبهام العلْجُوم قد رُسِمت بشكلٍ مُصْطنع عن طَريقِ الحَقنِ بحبرٍ صينيّ تَحتَ الجِلْد. أُذيعَت الخُدعَة. وضجَّتِ القاعةُ بالضَّحِك.

في دَقيقةٍ واحِدة، خسِرَ كاميرر مِصداقيّتهُ وأيّ فُرصَةٍ للاعترافِ بأعمالِهِ. رُفِضَ منْ قِبلِ الجَميع، وأُقصِيَ عنْ هذهِ المِهنة. لقد فازَ الدّارونيُّون، ولزمَنٍ طَويل. وباتَ منَ المُسلَّمِ بِهِ آنذاك القول بأنَّ الكائناتِ الحيّةِ ليسَت قادِرةً على التكيّفِ مع بيئةٍ جَدِيدة.

غادرَ كاميرر القاعَةَ تحتَ صَيحاتِ الاسْتِهجان. ثمَّ لَجأ، في حالةٍ من اليأسِ، إلى إحدَى الغاباتِ حيثُ أطلَقَ رصَاصةً في فَمه، ولكن ليسَ دون أنْ يتركَ وراءَهُ نَصّاً مُقتضَباً يُؤكّدُ فيه من جديدٍ أصَالة تَجاربِه ويعلنُ عن رغبتِهِ: «الموت في الطّبيعةِ بدلاً منَ الموتِ بينَ البشَر». أَجهزَ هذا الانتِحارُ على المُتبقّي من مِصداقيتِه.

قد نَعتقدُ أنَّ الأمرَ مُتعلّقٌ بالخدعةِ العلميّة الأكثر سُوءاً. ولكن، بمُناسبةِ التّحقيقِ في كتابهِ «عِناقُ العُلْجوم»، التقَى آرثر كويستلر بالمُساعِدِ السّابقِ لكاميرر. كشَفَ لهُ الرجلُ أنّهُ هو منْ تَسبَّب في الكارثَة. وهو الذي، بناءً على أمرٍ منْ مجمُوعَة علماءِ داروانيّين، أَضْرمَ النارَ في المُختبر واستبدَلَ آخرَ ضِفدعٍ مُتحولٍ بآخر حقنَهُ بالحبرِ الصينيّ في إبهامِه.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

148. ماك يافيل لا يَفْهم الجَمال

أمضَى مكسيميليان يَومهُ ضَجراً يدوِّرُ إبهامَيه. كشطَ بمِفتاحِه قليلاً منَ السّوادِ المَحشُورِ تَحتَ أحدِ أظافره.

سَئِم الانتظَار.

– ما مِنْ جَديد إلى الآن؟

– لا شيءَ يُذكر، سيّدي!

ما يثيرُ الغيظَ في أسلُوبِ الحِصار، أنَّ الجميعَ يَضْجَر. على الأقلّ، في الهزيمَةِ ثمّةَ حَدثٌ يَجري، أمّا في هذه الحَال...

لمجرّدِ أن يُفكّر في شيءٍ آخر، رغِبَ مكسيميليان في الرجُوعِ إلى الغابَةِ وتَفجيرِ الهَرمِ الغامِض، غيرَ أنَّ المُحافِظ أمرهُ بألّا ينشَغلَ منَ اللّحظَةِ سِوى بقَضيّةِ الثانويّة حَصْراً.

شعرَ المُفوّض بالكآبةِ وهو عائِد إلى مَنزِله.

سارعَ إلى القفلِ على نَفسِه في مكتَبه، أمامَ شاشَةٍ منْ نوعٍ آخر. أطلَقَ جولَة جديدة من *ارْتِقَاء*. تدريجيّاً، أخذَ يكتَسبُ مَهارة، وباتَ يُقلّع حضَاراتِهِ الافتراضيّة بسرعَة كبيرة. بأقلّ منْ ألفِ سنة، أوصَل نموذج حضَارة صِينيّة إلى اختراعِ السيّارةِ والطّيران. حضَارتهُ الصينيّة ازدَهرت جيّداً، ومع ذلك، تَخلّى عنها.

– ماك يافيل، ضَع نفسَكَ في حالةِ الإصْغاء.

ظَهرَت عينُ الحاسُوبِ على الشّاشةِ وأعلَنَ التوليفُ الصّوتي المُدمَجُ عبرَ مُضخّماتِ الصّوت:

- الاستقبالُ خمسَة على خمسَة.

- لا تزالُ لديَّ متاعِبٌ مع قِصّةِ الثانويّة، بادَرَ الشرطيُّ.

قاسمَ الحاسُوبَ آخرَ المعلُوماتِ حولَ ما يَحدثُ في مُحيطِ المبنَى المدرَسيّ، لم يَعد ماك يافيل يكتَفي بأنْ يشرَحَ لهُ حالات الحِصارِ التي حدَثَت في الماضِي، وإنّما نَصحَهُ أيضاً بأنْ يَعزلَ الثانويّة بالكامِل.

- امنَع عنهم الماء، اقطَع الكهرباء، الهاتِف، جرّدهُم من وسَائِل الرّاحةِ وبُسرعَة كبيرة سَوفَ يَضجرُون حدّ المَوت ولسوفَ تَتسلَّطُ عليهم فِكرة واحِدة فَحَسب: الفرَارُ منْ ذاكَ المُستنقَع.

يا لَلحَماقَة، كيفَ لمْ تَخطُر لهُ هذهِ الفِكرةُ؟ قطْعُ الماءِ والهاتِفِ والكهربَاء، ليس جِنايَة، ولا حتّى جُنحة. فبعدَ كلّ حِساب، وزارةُ التربيَة هي مَنْ يُسدّد فواتيرَ شَبكةِ المعلُوماتيّةِ وإنارةِ السّكنِ الطلّابي وصَفائِح الطّهي في المطبَخ والتلفزيونات المُشغّلة باسْتمرار، وليسَ المُتظاهرون. ينبَغي عليهِ الاعتِرافُ مُجدّداً برجَاحةِ عَقل ماك يافيل.

- نصائِحكَ صَائِبة بالفعلِ يا عزيزي.

أجرتْ عدَسَةُ الكاميرا الرقميّة المُدمَجةُ بالحاسُوبِ ضَبطاً ذاتيّاً.

- هل بوسْعكَ أنْ تُريني صُورة شَخصيّةً لزعيمِهم؟

رغمَ مفاجأةِ مكسيميليان بالطلَبِ قدّمَ صُورةَ جولي بانسون التي نشرتها الصحيفة المحليّة. سجّلَ الصّورةَ بالذاكرةِ وقارنَها بصُورِ أرشِيفه.

- إنّها أنثى، أليسَ كذلك؟ هل هي جَميلة؟

- هذا اسْتِفسار أَمْ تأكيد؟ اندَهَش الشرطيُّ.

- سؤال.

تمعّن مكسيميليان في الصّورَة ثمّ أعلَن:

- بلى، إنّها جَميلة.

بدَا الحاسُوبُ يُعايرُ دِقّتهُ على أحسَنِ وجهٍ للحصُولِ على أوضَحِ صُورة مُمكنة.

- هذا هو الجَمالُ إذاً.

لاحظَ الشرطيُّ بأنَّ هناكَ شيئاً ليسَ على ما يُرام. فقد أحسّ، بالرّغمِ من حيادِ نَبراتِ صَوتِ ماك يافيل الاصْطِناعي، ما يَشي بانشِغال.

لقد فَهِم. الحاسُوبُ كانَ عاجزاً عن إدراكِ مَفهومِ الجَمال. كانت لَديهِ مفاهيم مُبهَمة عن الفُكاهَة، في معظمها آليات مُفارقَة، لكنّهُ لم يكنْ مزوّداً بأيّة مَعاييرِ لفهمِ الجَمال.

– لديّ صُعوبة في إدراكِ هذا المفهُوم، اعترَفَ ماك يافيل.

– أنا أَيضاً، أقرَّ مكسيميليان. أحياناً، مَنْ نراهُ جَميلاً في وقتٍ ما يَظهرُ لنا غير مُثيرِ للاهتِمامِ بعدَ مُدّةٍ وجيزَةٍ لاحقاً.

أُسْدلَ جَفنٌ على عَينِ الحَاسُوب.

– الجَمالُ غير موضُوعيّ. ولهذا السّبب، بلا شكّ، لا أَستَطيع أنْ أتحسّسهُ. بالنّسبةِ لي، الأمرُ هو صِفر أو واحد، ولا يُمكنُ أنْ تُوجدَ أشياء صِفر في حينٍ وواحِد في حينٍ آخر. إنّي مَحدُود بهذا الخصُوصِ.

ذُهِلَ مكسيميليان بهذِهِ المُلاحظَة الآخذَةِ صِيغةَ تحسّرٍ. فكّر بأنَّ الجيلَ الأخيرَ من الحواسِيب قد بدأَ يُصبحُ شَريكاً للجنسِ البشريّ بكلّ ما للكلِمةِ من معنَى. أيكونُ الحاسُوب هو أفضَلُ فتحٍ للإنسَان؟

149. الربوبيّات

الربوبيّات؟

ماتَت الملِكة، تظهَرُ مَجموعةٌ من البيلوكانيّات بخشيةٍ عند عتبةِ الباب. ثمّةَ بعضُ الناجياتِ إذاً. تَفترِقُ إحدى النّمالُ عن الأخرياتِ مُقتربةً من الفرقَةِ بقرنينِ مَمْدودَين إلى الأمام. تتعرّف الأميرةُ 103 عليها. إنّها الرقم 23.

إذن، الرقم 23 أيضاً نَجَت من المَوتِ في الحَملةِ الأولَى ضدّ **الأصَابع**. المُحاربةُ 23، هذِه التي كانت قد سارعَت إلى الانْضِمامِ في الدِّينِ الربوبيّ. لم تَشعر أيّ من النّملتينِ في يومٍ من الأيّام بالإعجابِ نحوَ بعضِهما. لكن أنْ تَعودَا وتلتقيا هنا، في مَدينَةِ مَسقَط رأسيهما، وأنْ تظلّا على قيدِ الحياةِ بعدَ أَلفِ مُغامَرة، فهذا يُقرّبهما فَجأةً.

تُلاحِظُ الرّقم 23 مُباشرةً أنَّ الرّقم 103 غدَت ذات جنسٍ وتهنّئها على هذا التحوّل. تبدُو الرّقم 23 أيضاً بصحّةٍ جيّدة. ثمّةَ آثارُ دَم شفّافٍ يُلطّخُ فكّيها ولكنّها تُطلِقُ فيرومُونات تَرحيبٍ بأفرادِ فرقةِ الكوماندوس كافّة.

تلتزِمُ الأميرةُ 103 الحذَرَ غير أنّ الأخرى تبثُّ بأنَّ الوضعَ عادَ إلى طَبيعته.

يُجريانِ تَطاعُماً.

تَروي الرّقم 23 قِصّتها. بعدَ وصُولِها إلى عالَم الآلهة، عادَت إلى بيل-أو-كان لتبشّرَ بالكلِمةِ الطيّبة. تنتبهُ الأميرةُ 103 بأنَّ الرّقم 23 لا تلِفظُ كلِمةَ «أَصَابع» أبداً وتَستَعملُ عِوضَاً عنها تسميَةَ «آلهة».

تقولُ إنّه في البدَاية، سُرّتِ المدِينةُ بنَجاةِ واحدةٍ على الأقلّ منَ الحَملَةِ الأولَى، فاستُقبلَت بحَفاوة، ورويداً رويداً، راحت الرّقم 23 تَجهرُ بوجُودِ الآلِهة. وتسلّمَتْ زعامةَ الدِّين الرّبُوبيّ. وفرَضَت ألّا يُرمَى الموتَى في المكبّ ثانيةً وأنْ تؤسَّسَ قاعات لتكونَ مقابِر. هذهِ السَّابِقةُ لم تُعجِب المِلِكة بيل-كيو-كيوني، التي منعَت مُمارسَة الطّقوسِ الدينيّةِ الربوبيّةِ في المدِينَة.

عِندئذ لَجأت الرّقم 23 إلى أعمقِ ضَواحي المدينةِ الكبيرة واستَطَاعت من هُناك، مُحاطةً بمَجمُوعتِها الصّغيرةِ منَ المُؤمنين، مُواصَلةَ التبشيرِ بالكلِمةِ الطيّبة. وقد أَعطَى الدِّينُ الرُّبوبيّ لنفسِهِ رمزَ الدائِرة. لأنّ هذا ما تراهُ النّمالُ بالضّبطِ منَ **الأصَابع** قبلَ أنْ تَسحَقَها.

تهزُّ الأميرةُ 103 رأسَها.

هذا يفسّرُ وجودَ جميعِ هذه العلاماتِ في الممرّات.

تأخذُ النمالُ المُتراصَّةُ في الخلفِ بالترنيم:

الأصَابعُ آلهتنا

تَعجزُ الأميرةُ 103 وأتباعُها عن التّصدِيق. هنَّ اللّواتي أردْنَ إعلاءَ شأن **الأصَابع** يَجدنَ بأنَّ الرّقم 23 هذه قد تجاوزتهنّ بما لا يُقَاس.

يَسألُ الرّقم 24 لماذا جَميعُ الأرجَاءِ خَاويَة.

تُفسّرُ الرّقم 23 بأنَّ المِلكةَ بيل-كيو-كيوني الجَديدة استَاءت من الانتِشارِ الواسِع للربوبيّات. فأقصَت دِيانتَهنّ. وجرَت مُلاحقَةُ الربوبيّات في المدينةِ على نِطاقٍ واسعٍ وسقَطَت الكثيرات مِنهنّ شَهيدَات.

وعندما ظَهرَ فجأةً جيشُ الرّقم 103 مع نارِهِ اندَفعت الرّقم 23، مُغتَنِمةً الفرصَةَ على الفورِ، إلى المقصُورةِ الملكيّةِ وقتلَت الملكةَ البيّاضَة.

وإذن، بغيابِ مِلكةٍ بديلَة، وضَعت المدينةُ نفسها بالكامِل في حالَةِ التدميرِ الذّاتي، أوقَفت جَميعُ المُواطنات البيلوكانيّات خفقاتِ قلوبهنّ، واحدةً تِلو أخرى. وحاليّاً لم يَعُد ثمّة غيرهنّ، في العاصِمةِ الشبحيّةِ المَحرُوقة، الربوبيّات ليَستَقبلنَ الثوريّات ويُشدْنَ سويّةً مُجتَمعاً نَمليّاً مُؤسّساً على تَقديسِ **الأصَابع**.

لا تُقاسِمُ الأميرة 103 والأمير 24 النبيّةَ الحماسَةَ ذاتها ولكن بما أنَّ المدينَةَ منَ الآن فصَاعِداً تحتَ تَصرّفهما، تَنتهزانِ الظّرف.

تُسارعُ الأميرةُ 103 إلى إطْلاقِ فيرومُون:

اليافِطَةُ البيضَاء أمامَ بيل-أو-كان علامَةُ خطَر كبير.

هي مَسألَةُ لَحظاتٍ ربّما. ينبَغي الفِرارُ دونَ تأخير.

تُصدِّقُ الأميرةُ مُباشرةً.

وفي غضُونِ ساعَاتٍ قليلةٍ يكونُ الجَميعُ على الطّريق. تَذهَبُ المُستكشِفاتُ بوصفهنّ مُستَطلِعاتٍ للبحثِ عن أرُومةِ صَنوبرٍ أُخرَى مُناسِبة لتأسِيسِ مَدينة. ينقلُ الحَلازِين حمّالو الجَمر البيوضَ المُتبقيَةَ واليرقات والفِطر النَّادر والأرْقات التي نَجت منَ الحَريق.

منْ حُسنِ الطَّالعِ، تكتَشفُ الطّليعةُ أرُومةً يمكنُ أنْ تُسكَن على مسَافةِ ساعةِ مَسيرٍ فقَط. تقدّرُ الرقم 103 بأنَّ المسافةَ كافية ليكُنَّ في مأمَنٍ عن الكارثةِ التي ستَحدُث في مُحيطِ اليافِطَةِ البيضَاء.

الأرُومةُ مُثقّبة بأنفاقٍ حفَرتها الدّيدانُ ويُمكنُ أيضاً تأسيسُ مدينةٍ مُحرّمة داخِلَ خشَبها ومقصُورةٍ ملكيّة. استناداً على هذهِ الأرُومة تُؤسّسُ الرّقم 5 مُخطّطاتٍ منْ أجلِ سُرعةِ إنشَاءِ مدينَةِ بيل-أو-كان الجَديدَة.

تُباشِرُ النّمالُ جَميعهنّ على الفَور.

تَقترِحُ الرّقم 103 تَشييدَ مدينةٍ مُتطوّرة جدّاً، بطرقٍ رئيسيّة يُمكنُ عبرها نقلُ الطرائدِ الضّخمةِ والأغراض الأساسيّة للتقنيّات الجَديدةِ بيُسر. تُفكّر بضَرورَة إنشاءِ مِدخنةٍ مركزيّة كبيرةٍ لطردِ الأدخِنَة المُتصاعِدة منْ مخابر النّار. تَنوي أيضاً إنشاءَ قنواتٍ لنقلِ مياه الأمطَارِ إلى الحظَائِر والمَفاطِر والمَخابِر التي ستَحتاجُها لغسْلِ الأغراضِ المُستخدَمةِ فيها.

حتّى وإنْ كانَت الأميرةُ 103 غير بيّاضَة بَعْد، بما أنّها الأنثى الوحيدَةُ ذات الجنسِ في بيل-أو-كان، تُعيّنُ مِلكةً ليسَ على مدينتهم الناشِئة ثانيةً فحسب، وإنّما أيضاً على جَميعِ مُدنِ فيدراليّة النّمالِ الصّهباوات في المِنطَقة، والتي تَشملُ أربعاً وستينَ مدينَة.

إنّها المرّة الأولَى التي تَمنَحُ مَدينةٌ نفسَها لأميرةٍ لا تَبيض. بغيابِ تَجدّدِ السكّان، يُستعانُ بمفهُوم جدِيد: «المدينَةُ المفتُوحة». تفكّرُ الأميرة 103 بأنّهُ منَ الجَديرِ بالمُحاولةِ حقّاً السَّماحُ لأصْنافِ حشراتٍ غريبة أُخرى بالاستِقرارِ هنا لتُغني المَدينةَ بثقافاتها الخاصّة.

ولكن ليسَ منَ اليُسْرِ الانصِهارُ في بوتقةٍ واحِدة. إذْ تنزَوي الأعراقُ المُختلِفةُ تدريجيّاً داخِلَ ضواحٍ مُنفصِلة. فتَقطُنُ السّوداوات الجَنوبَ الشرقيّ في الطّوابقِ الأعمق، الصّفراوات في الغربِ في الطّوابقِ الوسطَى، الحصّاداتُ في الطّوابقِ العليا ليكنَّ على مقربةٍ منْ محاصِيلهنّ، النسّاجات يقطنَّ الشّمال.

يَصبُّ جهدُ العمل، في جميع أرجاء العاصمة الجديدة، على الابتكارات التقنيّة. على الطّريقةِ النمليّة، أي بلا مَنطِق، اختبارُ كلّ شيء وأيّ شيء حسبَ ما يَخطُر في البالِ وتقدِيرُ النتائِج لاحِقاً. تَبني مُهندِساتُ النّارِ مَخبراً كبيراً في قاعِ الطّابقِ السفليّ للمدينة. هناكَ يَحرقونَ كلّ ما يمرُّ تحتَ أرجلهنّ ليعرفنَ المادّة التي يتحوّل إليها وأيَّ أدخِنةٍ يُصدِر.

لتلافي مَخاطِر الحَريق، تُلصَقُ على القاعَةِ أوراق اللّبلابِ ذات القابليّةِ الضّعيفةِ للاحتراق.

تُجهزُ مُهندِساتُ الميكانيك قاعةً واسِعة يبدأنَ فيها شتّى الاختبارات، من الرّوافعِ على حصَواتٍ إلى الرّوافعِ المُركّبة المُترابِطةِ مع بعضِها بأليافٍ نباتيّة.

يُقرّرُ الأميرُ 24 والرّقم 7 افتتاحَ مُحترفاتِ «فن» في الطّوابقِ 15، 16، 17 تحتَ الأرض. يُمارَسُ فيها الرّسم على الورق، النّحت على رَوثِ الجِعْلان، وبالطّبع التّشطِيبُ على الدُّروع.

يَنوي الأميرُ 24 أنْ يُبرهنَ أنّهُ باسْتِخدامِ التقنيّات الإصْبعيّة، يُمكنُ

الحصُول على أغراضٍ نَمليّةٍ نَموذجيّة. يُريدُ خلقَ «الثقافةِ النمليّة» وحتّى على نَحوٍ أدقّ، الثقافَة البيلوكانيّة. وبالفعل، لا يُوجَد إلى الآن، سَواء فيما يخصُّ رِوايتهُ أو رسُومات الرّقم 7 السّاذجةِ نوعاً ما، ما يُشبِهها على الأرض.

تُقرّرُ الرّقم 11 من ناحِيتها اختراعَ المُوسِيقى النمليّة. تَطلُبُ من عدّةِ حشَراتٍ أنْ يصرَرْنَ لتشكيلِ كورس مُتعدّدِ الأصوات. قد تكونُ النّتيجةُ أصواتاً مُتنافرةً ولكنِ رغمَ ذلك هي مُوسِيقى نمليّة نموذجيّة. والرقم 11 لا تيأس من تَنْغيمِ جميعِ هذهِ الأصوات إلى أنْ تحصُلَ على مقاطِع ذات مُستوياتٍ مقاميّة مُتعدّدة.

تَبتكِرُ الرقم 15 أطبَاقاً تتذوَّقُ فيها جميعَ البقايا المحرُوقةِ لمخبرِ النّار. تَضَعُ إلى اليمينِ جَميعَ الأوراقِ والحشَراتِ المَحرُوقةِ ذات الطّعْمِ اللّذيذ، والمأكولات ذات الطّعْمِ الكريهِ إلى اليسَار.

تُنشِئ الرّقم 10 مركزَ دراساتٍ للسلُوكِ الإصْبَعيّ على مَقرُبةٍ من قاعاتِ المُهندِسات.

حقّاً، مُمارسَةُ تقنيةِ **الأصَابع** تَجعلهنَّ سبّاقاتٍ في عالَم الحشَرات. كأنّهنّ رَبحنَ ألفَ سنةٍ في يَوم واحِد. مع ذلك هناكَ شَيء يُقلقُ الرّقم 103: فمنذُ لم تَعُد الرّبوبيّات مُجبراتٍ على الحَياةِ السريّة، وهنَّ يتبخترنَ في أرجاءِ المدينةِ مزهوّات ويُظهِرنَ اندِفاعاً فائِضاً عن الحدّ. ولا سيَّما في مساءِ اليومِ الأوّل، إذ حَجَّت الرقم 23 ومُؤمِناتُها إلى مَوقِع اليافِطَةِ البيضَاء، وهناكَ شَرعنَ بالصّلاةِ إلى الآلهةِ العُلويّةِ التي غَرزت هذا النَّصْبَ المُقدَّس.

150. موسوعة

يوتوبيا هيبّوداموس: في عام 494 قبلَ الميلاد، دمّرَ جيشُ داريوس، ملِكُ الفرس، مَدينةَ ميليت الواقِعة بينَ هاليكارناس وأفيز وجَعلَها أثراً بعدَ عَين. فطلَبَ السكّانُ القدامى من المُهندسِ المِعماريّ هيبّوداموس إعادةَ بناءِ كاملِ المدينة دُفعةً واحِدة. هذهِ فرصَة فَريدَةٌ في ذلكَ العَصر. فحتّى ذلكَ الحين لم تكنْ المُدنُ سِوى ضِيَعٍ توسَّعت تَدريجياً على نحوٍ حافل بالفوضَى. أثينا، مثلاً، كانت مُؤلّفة منْ شَبكةٍ من الشّوارعِ المُتداخِلَة، متاهَة حَقيقيّة نَبتَت دونَ أنْ يضعَ

أَحدٌ باعتبارِهِ مُخطّطاً شامِلاً. وبالتالي، أنْ يُعهَدَ لهُ تَشييدُ مدينةٍ مُتوسّطةِ الحَجمِ بالكامِلِ، فذلكَ بمثابةِ صَفحةٍ بيضَاء قُدّمت لهُ ليبتدعَ عليها المدينة المثالية.

يغتَنِمُ هيبّوداموس الفرصَةَ، ويُصمّمُ أولَ مدينة مُتخيّلة بشكلٍ هندسيّ.

لا يُريدُ هيبّوداموس رسْمَ شَوارع وتَشييد منازلَ فحسب، هو مُتيقّن بأنَّ إعادَةَ تَصميم شكل المدينةِ يدفَعُنا إلى إعادَةِ النّظرِ في شكلِ الحياةِ الاجتماعيّةِ القائمةِ عليها.

يتخيّلُ مدينةً يسكنُها عَشْرة آلافِ نَسمه، مُقسّمينَ إلى ثلاثِ فئات: الحرفيّونَ، المُزارعُونَ، والجُنود. يُريدُ هيبّوداموس مَدينةً اصْطِناعيّة، ليسَ لها أيُّ مَرجعيّةٍ في الطّبيعَة، يكونُ في وسَطِها الأكروبول الذي ينطَلقُ مِنهُ اثنا عشَرَ شُعاعاً يقطّعونَ المدينَةَ، مثلَ كعكة، إلى اثنتي عشرة قِطعَة. شَوارعُ ميليت الجَديدة مُستَقيمة، السّاحاتُ مُستَديرة وجميعُ المَنازلِ مُتشابِهة على نَحوٍ صَارم حتى لا تُثار الغيرةُ بينَ الجيران. السكّانُ جَميعُهُم مواطِنونَ بالقَدْر ذاته. وما مِن أرقّاءَ في ذلكَ المَكان.

ولا يُريدُ هيبّوداموس فنانين. وفقاً له، الفنّانونَ هُم أَشخاصٌ لا يُمكنُ التنبّؤ بتصرّفاتهم، مُولّدو فوضَى. يُقصَى الشّعراءُ والمُمثّلونَ والموسيقيّونَ أيضاً من ميليت، كما تُحظرُ المدينةُ على الفُقراءِ والعُزّابِ والمُتبطّلين.

يتلخّصُ مَشرُوع هيبّوداموس في جَعلِ ميليت مدِينةً ذات نِظامٍ ميكانيكيّ تامّ لا يُصِيبهُ عُطْل أبداً. ولتجنّبِ أيّ ضَررٍ، ما مِنْ ابتِكار، ما مِنْ أَصَالة، وما مِنْ مُتّسعٍ لأيّ نَزوةٍ بَشريّة. خلَقَ هيبّوداموس مفهُومَ «مُنتَظَم كما يَنبَغي». مُواطِن مُنتَظَم كما ينبَغي داخِلَ تنظِيم المدينة، مَدينة مُنتَظَمة كما ينبَغي داخِلَ تنظيم الدولَة، والتي هي بدورها لا يُمكنُ إلّا أنْ تكونَ مُنتظَمةً كما ينبَغي داخِلَ تنظِيمِ الكون.

إدمون ويلز،

موسوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.

151. جَزيرة وسَطَ البَحْر

في اليومِ السَّادسِ مِنْ احتلالِ ثانويّةِ فونتينبلو، قرّرَ مكسيميليان التصرُّفَ وفقَ نَصائِحِ ماك يافيل: قَطْعُ الماءِ والكهرَباءِ عن القابِعين في الثانويّة.

طلَبَ ليوبولد بناءَ خزّاناتٍ لتَجميعِ ماءِ المَطَر لحلّ مُشكلَةِ الماء، وعَلّم القاطِنينَ التيمُّمَ بالترابِ وامتِصَاص حبّاتِ المِلحِ لتثبيتِ الماءِ في أجسَادهم وتقليلِ احتياجاتِهم.

كان يتبقّى مُشكلَة الكهرباء، المُشكلَة الأَصْعَب. جميعُ نشاطَاتِهم تَعتَمدُ على شَبكةِ المعلُوماتيّة العالميّة. راحَ أَصحابُ المهاراتِ اليدويّة يفتّشونَ في المَشْغل الإلكترونيّ الغنيّ بشتّى أنواعِ المُعدّات، والذي تبيّنَ أنّه مَنجَم حَقيقيّ. وجَدوا صَفائِح شَمسيّة حسّاسَة للضَوء. ولّدَت تدفّقاً كهربائيّاً أوّلياً ثمّ أكملُوهُ بعَنَفاتِ الرّيحِ المَصنُوعةِ على عَجلٍ منْ ألواحٍ منزُوعَةٍ عن المَناضِد.

تَزيّنت كلّ خَيمة تيبي بعنَفَةٍ فوقَ رأسِها كأنّها أقحُوانة.

وبما أنَّ هذا لَم يكنْ كافياً، وصَلَ دافيد بِضْع درّاجاتٍ هوائيّة منْ نادي المَسيرِ إلى مولّدات؛ على هذا النحو، كانَ يُستعان ببضعة رياضيّين، في غياب الشمس والريح، يُدوّسُون الدراجات للإمداد بالطاقة.

كلّ مُشكلة كانت تُحرّض عَملَ مُخيّلتهم وتَزيدُ من لُحمَةِ سُكّان الثانويّة.

لمّا لاحظَ مكسيميليان بأنَّ الشبكةَ المعلُوماتيّة، بفضلِ خطُوطِهم الهاتفيّة، ما زالت تَعمل، قرّرَ أنْ يمنَعها عنهم أيضاً. لزمَنٍ حَديثٍ تِقنيّة حِصارٍ حَديثة.

والردُّ أتى بالحدَاثةِ ذاتها. لم يَستمرّ قلقُ دافيد وقتاً طَويلاً بخصُوصِ «**مركز الأسئِلة**» لأنَّ شابّة ممّن يقطنونَ المكان قد أحضَرت في حقيبتها هاتفاً جوّالاً خاصّاً شَديد الحساسيّة للإشارةِ وواضِحاً بما يكفي ليتّصلَ تردّدياً عبرَ وصْلِه بالأقمارِ الاصْطِناعيةِ مُباشرة.

ومع ذلكَ أُجبروا على العَيشِ باكتفاءٍ ذاتيّ تام. تدبّروا أمرَ الإضَاءة، في الداخِل، عبرَ فوانيس وشمُوع لاقتِصادِ الطّاقةِ الأساسيّة للشبكةِ المعلُوماتيّة. ممّا جَعلَ الباحَة، في المسَاء، مَغمُورة بأجواءٍ رُومنسيّة خلّفتها الأضواء الخافِتةُ التي تُرعشُها نَسَماتُ الهواء.

انصَرفَت جولي والأقـزامُ السّبعة والأمازونيّات يعدُونَ هنا وهناك وهنالك، يلتَمسُونَ العَون من هذا وذاك، ينقلونَ المَواد، ويناقِشُون الترتيبات. كانت الثانويّةُ تستحيلُ حصناً حقيقيّاً.

لا تلبثُ مَجمُوعات الأمازونيّات أنْ تَغدُو أكثر التِحاماً، سُرعة، تَغدُو في الواقِعِ أقربَ لتنظيمٍ عسكريّ. كأنّها ماضيةٌ تلقائيّاً إلى تولّي هذه المهمّةِ الشاغرة.

دَعت جولي أَصْدِقاءها للاجتِماعِ في قاعَةِ التّدريب. وقد بدا عليها الاضْطِرابُ.

- لديَّ سُؤال أَطرحهُ عليكم، أعلَنت الشابّة مُباشرةً وهي تُوقِدُ بِضْعَ شمعاتٍ وضَعتها عالياً في تَجاويفِ الجُدران.

- تفضّلي، شجّعتها فرنسين، وهي تَسترخي على تلّ من الأغطية.

رَمَقت جولي كلّ واحدٍ من الأقزامِ السّبعةِ بدوره: دافيد، فرنسين، زويه، ليوبولد، بول، نرسيس، جي وونغ... تردّدت، كَبَت نَظرتُها، ثمّ تلفّظت بوضُوح:

- هل تُحبّونَني؟

سادَ صَمت طَويل، أوّل منْ قَطَعهُ زويه بصوتٍ مبحُوح:

- بالطّبع، أنتِ لنا بياضُ الثلجِ، مَلِكتنا «ملكةُ النّمل».

- بهذهِ الحالَةِ إذاً، قالت جولي بنبرةٍ مُفرِطَة الجديّة، إنْ بالغتُ في دورِ «الملِكة»، إذا بدأتُ آخذُ نفسي على مَحمل الجدّ، لا تتردّدوا، اجعلوا مَصيري كمصِيرِ يوليوس قيصر، اقتلوني.

ما إنْ أنهت انقضّت فرنسين عليها، تلكَ كانت الإشَارة. أَمْسكها الجَميعُ من ذراعيها وكاحلِيها. تدحرَجوا فوقَ الأغطية. قلّدت زويه حركةَ أخذِ خِنجرٍ وطَعنتها في قلبها. وراحَ الجميعُ على الفورِ يُدغْدِغها.

لم يتسنَّ لها الوقت إلّا للتأوّه.

- لا، لا أحتملُ الدّغدَغات!

غَرِقت في الضّحكِ تريدُ لرفاقها أن يكفوا عن ذلك.

فهيَ بالنهايةِ لا تحتملُ أنْ تُلمَس.

أخذَت تتخبَّطُ إلّا أنَّ أيدِي صَديقاتِها الخارجَة من بينِ الملاءاتِ كانت تُطيلُ عذَابها. لم تَضْحك طُوالَ حياتِها بهذا القدْر.

ضَاق تَنفسُها. وبدأت تحسُّ بأنّها تَغيب. ذلكَ كانَ غريباً. قاربَت الضّحكةُ

أنْ تكونَ مُؤلِمة. ما إنْ تَنتَهي دَغدَغة حتّى تَستأنِفَ أُخرى. أخذَ جسَدُها يُرسِلُ إليها إشاراتٍ مُتناقِضَة.

فجأةً، فَهِمت لماذا لم تكن تَحتمِلُ أنْ تُلمس. الطّبيبُ النفسيُّ مُحقّ، السّببُ يَعودُ إلى طفُولتِها المُبكرة.

عادَت ورأَت نفسَها طِفلَة. أثناء لِقاءاتِ العائِلة على العَشاء، وهي لَم تَتجاوز الستّة عشَر شَهراً، تَتنقَّلُ مثل غَرضٍ من يدٍ إلى يَد، مُنتهزينَ عَجزها عن الدّفاعِ عن نَفسِها. تُغمرُ بالقُبلات والدّغْدغات، تُجبَرُ بأنْ تَقول: مرحباً، وأنْ تَتقبّلَ المُداعبةَ على الوجنَتين والرّأس. تتذكّر الجدّاتِ بأنفاسِهنَّ الكريهةِ والشّفاهِ المُبالِغة بحُمْرتها. تلكَ الأفواه التي كانت تَقتَربُ مِنها بتواطُؤ مع الأبوين اللّذين يَضحكانِ على مَقربةٍ منها.

تذكّرت ذلك الجدُّ الذي كانَ يُقبّلها على فَمِها. بحنَان، ربّما، ولكن دونَ أنْ يُقيمَ وزناً لرأيها. أجل، في ذلكَ الوقت بدأت تَنفرُ مِمّن يلمسُها. وما إنْ تعلَمَ أنَّ هناكَ مأدبة عشاءٍ عائليّ، حتّى تُسارعَ للاختِباءِ تَحتَ الطّاولة، حيثُ تلبَثُ تُدندِنُ بصوتٍ مكتوم. كانت تُدافِعُ عن نفسِها أمامَ اليدين اللّتين تُحاولان إخراجها منْ هُناك. كم ثمّةَ راحة هناكَ تحتَ الطّاولَات! لم تكن تَقبلُ الخروجَ إلّا بعد أنْ يمضِي الجَميعُ لتتفادى مشقّةَ قُبلاتِ الودَاع، ولكن لم يكن يُتركُ لها الخِيار.

لا، لم تتعرَّض يوماً إلى اعتِداءٍ جنسيّ ولكنّها تعرّضَت إلى اعتداءٍ جِلديّ!

وبذاتِ القدْرِ منَ المُباغتةِ التي بدأت فيها اللّعبةُ توقّفت وعادَ الأقزامُ السّبعةُ للتحلّقِ في دائرةٍ حولَ بياض الثلج. أعادَت تَرتيبَ شَعرها.

– كنتِ تُريدينَ أنْ نَقتلك، حسَناً، تمَّ الأمر، قالَ نرسيس.

– هل أَصبحتِ بحالٍ أفضَل؟ سألَت فرنسين.

– أَرحتُموني كثيراً، شكراً. لا يُمكنكم أنْ تتخيّلوا كم أَرَحْتُموني. لا تتردّدوا بأنْ تقتلُوني كلّما سنَحَت الفرصَة.

النبرةُ التي قالَت بها ذلك، جعلتهم يندَفِعونَ مُجدّداً إلى حفلَةِ دغْدَغاتٍ ثانية حيثُ أحسَّت بأنّها ستُحتَضرُ لشدّة ما ضَحكت. جي وونغ هو الذي أوقفَ ذلك.

- دَعونا نَنتقلُ الآنَ إلى جَلْسة *pow-wow*.

سكَبَ بول الهيدروميل في كُوب؛ وبلّل كلّ واحدٍ مِنهم شَفتيهِ بدوره. الشّربُ مَعاً. ثمّ وزّعَ عليهم كَعكاً مُحمّصاً. الأكلُ مَعاً.

لمّا اشتبكت أيديهم لتَشكيلِ دائرة، التقَطَت جولي نَظَراتِهم، أَحسّت بدفئِهم وشَعرت أنّها في مأمَن.

«أيُّ هدفٍ في الحياةِ يَفوقُ الوصُولَ إلى لَحظَةٍ كهذه يتّحدُ فيها الجَميعُ دونَ أيّة نوايا مُبطَّنة، فكّرت. ولكن هل كانَ ضَرورياً القيامُ بثورةٍ لتحقيقِ ذلك؟»

ثمّ ناقَشوا ظُروفَ المعيشةِ الجديدةِ المفرُوضَةِ في ظلّ الحظْرِ الشّرطِي. الحلُولُ العمليّةُ انطلَقَت. منَ المُستَبعدِ أنْ يُضعِفَ الضّغطُ الخارجيُّ ثورتهم إنّه لا يلبثُ يُعزّزُ صِلاتِهم.

152. مَعركةُ المسَاءِ الصّغيرة.

كلّما تطوّرت التقنيّات في بيل-أو-كان التي تَعيشُ ذروةَ تحوّلها، كان الدّينُ يَزدادُ انتشاراً. لم تَعد الربوبيّات تكتَفي برسْمِ دَوائرهنَّ في كلّ مكان، وإنّما أيضاً يَضعنَ رائحةَ دينهنّ على الجُدران.

في هذا اليومِ وهو الثاني من عَهدِ الأميرة 103، تُلقي الرّقم 23 مُوعِظةً تُعلنُ فيها بأنَّ هدَفَ الدّينِ الرّبوبيّ تَحويلَ نِمالِ الأرضِ كافّة إلى عبادةِ الآلهةِ وأنّ في قتلِ اللّادينيّات خِدمة لَهنّ.

يُلاحَظُ في المدينةِ عِدائيّة مُتصاعِدة لدى الربوبيّات، ويُحذرنَ اللّادينيّات: إنّ مَنْ تُعاندُ عبادةَ الآلهة، سوفَ تَسحقُها **الأصَابع**، وإنْ تأخّرت **الأصَابعُ** عن ذلك، فهنَّ الربوبيّات، سيتكفّلنَ بذلك.

يرافقُ ذلكَ مناخ غريبٌ في بيل-أو-كان-الجديدة نَتجَ عنهُ شَرْخٌ بين النّمالِ «التقنيّات» المُعجَباتِ بمَا تمكّنَ **الأصَابعُ** من تَحقيقهِ بفضلِ إتقانِهم التحكّم بالنارِ والرافعةِ والدّولاب من جِهةٍ، وبينَ النّمالِ «الإيمانيّات» اللّواتي لا حياةَ لهنّ خارجَ الصّلاةِ ويعتقدنَ بأنَّ مُجرّدَ التفكيرِ بإعادَةِ إنتاجِ أفعالِ **الأصَابعِ** يُعتَبرُ تَجدِيفاً، من جِهةٍ أخرى.

ليسَ لدى الأميرة 103 أيُّ شكّ بأنَّ مُواجهةً لا مناصَ منها قادِمةٌ، فالربوبيّاتُ مُفرطاتُ التعصُّبِ وشديداتُ الثقةِ بالنّفس. لم يَعدْنَ يُردنَ تَعلُّمَ شيء، ولا بذلَ أيِّ جُهدٍ خارجَ هدايَةٍ منْ حولِهن. تُنسبُ إلى الربوبيّاتِ بضْعُ جرائم قتلٍ للّادِينيّات لكن يتمّ تجنّبُ الحَديثِ في ذلكَ إلّا لِماماً مخافةَ حربٍ أهليّة.

تَجتَمعُ النّملاتُ الاثنتا عَشرةَ المُستكشِفات والأميرُ والأميرةُ في المقصُورةِ المَلكيّة. كانَ الأميرُ 24 آتياً من المَخابرِ، مُفعَماً بالتوقّع، فقد أَسْعدَهُ ما رآهُ منْ تَطوّر: إذْ نَجَحت مُهندِساتُ النارِ في وضْعِ جِمارٍ في عُلَب خفيفةٍ من أوراقٍ مَجدولَةٍ وأرضيّة مفروشَةٍ بالتراب، ممّا يَسمحُ بنقلِها لإضَاءةِ بُقعةٍ ما أو تدفِئتها دونَ خطَر. تُنبّه الرقم 5 بأنّ الربوبيّات لا يكترثنَ للعلُومِ والمَعرفَة. وهذا يُقلقُ المُستكشفة الشابّة: في العالَمِ الدّيني، ما من شيءٍ يَحتاجُ لبُرهان. فلمّا تُؤكّد مُهندِسة بأنَّ النارَ تُقسّي الخشَب، وتأتِي التجربَةُ داحِضَةً ادّعاءَها سنفقدُ الثّقةَ بِها، أمّا حينَ تُدافِع نملَة إيمانيّةٌ عن فكرةِ أنّ «**الأصَابع** مُطلَقو السّلطةِ وهم أصْلُ وجُودِ النّمل»، ينبَغي أنْ يكونَ المرءُ حاضِراً في كلّ مرّة ليدحَضَ مزاعِمَها.

تَهمِسُ الأميرةُ 103:

مع ذلك قدْ يكون الدّينُ مرحلةً في تَطوّر الحضَارات.

تَعتبرُ الرّقم 5 أنّهُ ينبَغي أخذُ النافِعِ عن **الأصَابع** وتركُ الضّار، مثل الدّين. ولكن كيفَ يُمكنُ أخذُ الأوّل دونَ الآخر؟ الرّقم 103 والرّقم 24 والمُستكشِفاتُ الشابّات يتحلّقنَ بدائِرة ويُفكّرنَ. إنْ كانتِ المُواجَهات قد نَشبَت مع الربوبيّاتِ وهنَّ لا يَزلنَ في اليومِ الثّاني منْ عُمرِ دَولتهنّ الجَديدَة، فهذا يَعني أنَّ الاضْطِرابات سوفَ تَتصَاعد، وينبَغي وضْعُ حدّ لهنَّ بأسرعِ وَقت.

قتلهنّ؟

لا، لا يُمكنهنَّ قتلُ أخواتهنَّ لمُجرّد أنّهنّ يتصوّرنَ **الأصَابعَ** آلهة.

طَردهنّ؟

ربّما يُستَحسنُ أنْ ينصرفنَ ويُنشئنَ لأنفسهنّ دولَة خاصّة بهنّ، دولة

نامية، إيمانيّة، متزمّتة، بعيداً عن عشّ نِمال بيل-أو-كان المتّجه بكامِله إلى الحدَاثةِ والتقنيّات المُتقدّمة.

لم يتسنَّ لهنَّ التوسُّع باجتماعِهنّ السريّ. إذ تتردّدُ ضَرَبات مكتُومة على جُدرانِ المدينَة.

الإنذَار.

نِمال تَعدُو في شتّى الاتّجاهات. ورائِحة تَنتَشر.

النّمالُ القزَمات يهجمنَ!

تُنظّمُ الصفُوفُ في جميع النواحِي لصدّ المُهاجِمات.

تَصِلُ فرقُ القزَماتِ من البوّابةِ الشماليّة وقد فاتَ أوانُ رَميها بالرّافِعاتِ القاذِفةِ للحَجر، أو استِخدامِ النار.

تُشكّل القزَمات جيشاً طَويلاً مكتظّاً بالقُرونِ والعيُونِ والفكُوك. تَعبقُ في الجوّ رَوائِح رابِطَة الجأشِ مُفعمةً بالعَزيمَة. بالنّسبةِ لَهنّ، مُجرّد رؤية عشّ نِمال يتَصاعدُ منهُ الدّخان دونَ أنْ يَحتَرق هو صَادِم بما يكفي لتَسويغ مَذبَحة. كانَ على الأميرةِ 103 أنْ تَفطنَ إلى أنَّ استِخدَام هذا القدْرِ من التقنياتِ الجَديدةِ لا بدَّ أنْ يَستَثيرَ توجُّسَ الآخرين وغيرتَهم وخَوفَهم.

تَصعَدُ الأميرةُ أعلَى القمّة، مُحاذِرةً الاقترابَ من دُخانِ المِدخَنةِ الأساسيّة، تُراقِبُ انتشَارَ الجيشِ الكَبيرِ بحواسّها الجَديدَة.

تُشيرُ للرقم 5 بأنْ تُخرِجَ فيالقَ المدفعيّةِ وتَضَعهم في المُقدّمةِ لمنعِ تقدّمِ العدُوّ. سئِمت الأميرة 103 رُؤيةَ الموت. يُقالُ بأنَّ الاشمِئزاز منَ العُنفِ عَلامةُ شَيخوخةٍ لكنّها لا تَكترثُ بذلك. هنا تكمنُ مُفارقَةُ هذه النّملة المُنحلّة كَونَها عَجُوزاً في رأسِها وشابّة في جسَدها. تهتزُّ القبّةُ تحتَها على وقْعِ ضَرباتِ بطُونِ العامِلات اللّواتي يُعلنَّ عن إنذارِ المرحلَةِ الثانية.

المدِينةُ خائِفة. جيشُ العدوّ لا يلبثُ يتَمدَّد، يتضخَّمُ بعددٍ من أعشَاشِ النّملِ المُتاخِمةِ التي اصطفّت مع القزمات ليركّعنَ فيدراليّة الصّهباواتِ المُتغطرسَة. وما يزيد الأمرَ سوءاً انضِمامُ أعشاشٍ من النّملِ الأصهَب من الفيدراليّةِ ذاتها إلى صُفُوفهنّ إذْ اعترَاها القلَقُ حيالَ ما يتحضَّرُ في بيل-أو-كان-الجَديدة.

تتذكَّرُ الأميرة 103 برنامجاً وثائقيّاً رأتهُ عن كاتبٍ إصْبعيّ اسمه جوناثان

سويفت. كانَ هذا البشريّ يقولُ بما معناه «نلاحِظُ انبثاقَ موهِبةٍ جدِيدةٍ حينَ تَظهرُ حولَها تلقائيّاً مكيدَة حُمْق لتَحطِيمها».

مكيدَةُ الحُمْقِ هذه، تراها الأميرَةُ 103 الآن ماثلةً أَمَامها. الكثيرُ الكثير من الحَمْقَى مُستَعدّونَ للموتِ لمُجرّد ألّا يتحرّكَ شيء، ليعُود كلّ شيءٍ إلى الوراء، كي لا يكونَ الغدُ غيرَ أمسٍ آخر. ينكمِشُ الأمير 24 مُلتَصقاً بالأميرة. خائفاً ومُحتاجاً ليشعُرَ بالوجُودِ المُطَمْئن لذاتِ الجنسِ الأُخرى.

يَطوي الأميرُ 24 قرنَيه.

هذه المرّة، النهاية. أعدادهُم غفيرة.

تَنتَظِم طلائِعُ فيالقِ المدفعيّات البيلوكانيّات الجُدد في صُفوفٍ للدفاعِ عن العاصِمة. جاهزاتٍ لإطلاقِ النارِ ببطونٍ مُصوّبة. في المُقابل، لا يلبثُ جيشُ العدوّ أنْ يتمدّد. إنهنَّ بالملايين.

تَشعرُ الرّقم 103 بالأسفِ لأنّها لم تولِ العلاقاتِ الدّيبلومَاسيّة مع المُدنِ المُجاورةِ عنايةً كافية. صَحِيح أنَّ بيل-أو-كان-الجَديدة استَقبلَت في البِدايةِ الكثير من مُمثّلاتِ الديبلوماسيّة، إلّا أنّها لم تَلْحظ، وهي غارِقةٌ بانشِغالاتها التقَنيّة، بأنَّ التوتّرِ طالَ مُدناً بأكملِها وبلَغَ ذروتَه.

تأتي الرّقم 5 وتُعلنُ للتوّ خبراً سيئاً. الربوبيّات يَمتَنعنَ عن المُشاركةِ في المَعركة. يَعتَبرنَ بأنّه ما مِنْ داعٍ لخوضِ مَعركة، بما أنَّ الآلهة، في شتّى الأحوال، هي منْ يُقرّر نتائِجَ المَعارِك. ومع ذلكَ يَعدنَ بالدُّعاء.

هل تكون الضربة القاضية بذلك؟ بينَما أرتالُ العدوّ تَصْعدُ المُنحدَرَ وتمتدّ، أكثر فأكثر.

تَنضمُّ خبيراتُ الرافِعةِ والدّولابِ إلى مُهندِساتِ النّار، تَطلُبُ الأميرةُ مِنهنَّ جمْعَ قرونهن إلى بعضِها بعضاً، والخرُوج معاً بسلاحٍ مُبتَكرٍ يُنقذهنَّ من هذهِ الورطَة.

تَستَظْهِرُ الأميرة 103 جميع صورِ حربِ **الأصَابع** المُتبقّية في ذاكرتها. مع ما هو مَعرُوف مُسبقاً، النار، الرافعة، الدولاب، يجبُ ارتجالُ حيلةٍ جديدة. تَدورُ المفاهيمُ الثلاثةُ في الأَدمِغةِ الحشَريّة وتَشَابك. يُدرِكنَ، إنْ لم يَعثرنَ سَريعاً على فكرة، فليسَ أمامهنّ سِوى الموت.

153. موسوعة

هكذا ولِدَ الموت: ظَهرَ الموتُ قبلَ سبعمائةِ مليونِ سنةٍ تَحديداً. قبلَ ذلكَ التاريخ بأربعةِ مليارات سنة اقتَصرتِ الحياةُ على وحيدةِ الخليّة، وفي صُورةِ خليةٍ واحدة كانت الحياةُ خالِدة لأنّها قادِرة على اسْتِنسَاخِ النّموذجِ ذاته إلى ما لانهاية. وما نزالُ إلى أيّامنا هذه نَجِدُ آثاراً لهذهِ النُّظُم من وَحيداتِ الخليّةِ الخالدةِ في الشُّعبِ المُرجانِية.

غيرَ أنَّ في أَحدِ الأيّام، التقَت خليّتان، وتحادَثتا سَويّة، وقرّرتا العملَ معاً، بشكلٍ مُتكامل. وبذلك ظَهرَت أشكالُ الحَياةِ مُتعدّدةِ الخَلايا. وفي الوقتِ عَينه، ظَهرَ الموتُ أيضاً. ما الذي يَجعلُ هاتَين الظّاهِرتين مُرتَبِطتين؟

عِندما تَرغَبُ خليّتان الانضِمامَ إلى بعضِهما، فهما مُضطرّتانِ إلى التواصُلِ الذي يقُودُهما إلى تَقاسُمِ المَهامِ حتّى تكونا أكثر فعّاليّة. فتُقرّران على سَبيلِ المِثالِ بأنّه ما مِن دَاعٍ لأنْ تَعملا معاً على هَضْمِ الطّعام، واحِدَة تَهضُمُ الأطْعِمة والأخرى تَستَدلُّ علَيها.

وأصبَحت فيما بَعد، كلّما زادَت الخَلايا المُتجمِّعةُ عدَداً، ازدادت دقّةُ تَخصُّصَاتها، وكلّما ازدَادت دقّة تَخصُّصَاتها، ازدادَت هشَاشةُ كلّ خليّة، ومع تَزايدِ الهشَاشة هذه، فقدَت الخليّة خلُودَها الأصليّ.

هكذا وِلدَ الموت. نَرى، في الوقتِ الحاضِر، مجمُوعاتٍ حيوانيّةٍ تتكوّنُ من مَجامِيعِ ضَخمةٍ من الخَلايا شديدَة التخصُّصِ تَتواصَلُ فيما بينَها باستِمرار. تَختلِفُ خَلايا أَعيننا كثيراً عن خَلايا كبدنا إذ تُسرِعُ الأولَى للإشَارةِ إلى أنّها تَرى طَبقاً ساخِناً من أَجلِ أنْ تبدأَ خلايا الكبد على الفَورِ في صِنْعِ العُصَارة الصَّفْراء قبلَ وصُولِ الطّعام للفم بكثير. في جِسْمِ الإنسان، كلّ ما فيهِ مُتَخصِّص، كلّ ما فيهِ مُتّصِل، وكلّ ما فيهِ مَصيرهُ الفناء.

يُمكنُ تَفسيرُ ضَرورةِ المَوتِ من وجهةِ نَظرٍ أخرى. الموتُ ضَروريّ لضَمانِ التوازنِ بينَ الأنواع. فإنْ حصَلَ ووجِدَ نَوع خالِد مُتعدّدُ الخَلايا، فلسوفَ يستَمرُّ بالتخصُّصِ حتّى يحلَّ جميعَ المشكلات ويُصبحَ فعّالاً لدرجةٍ يُعرّضُ معها اسْتِمراريّة جميعِ أشكالِ الحياةِ الأخرَى للخطَر.

تُنتِجُ خليّة كبديّة سَرطانيّة باستِمرارٍ قِطَعاً كبديّة دونَ أنْ تضعَ في حُسبانِها

الخلايا الأُخرى التي تَقولُ لها إنّهُ لم يَعد ضَرورياً. طمُوحُ الخليّةِ السّرطانيّةِ هو اسْتِعادةُ ذاكَ الخُلُود القدِيم، وهذا هو السَّببُ في أنّها تَقتلُ كاملَ الجِسْم، مثلَ هؤلاء الناسِ الذينَ لا يُصغونَ إلّا إلى أنفسِهم ويتحدّثون بشكلٍ مُستَمرّ دونَ الاستِماعِ إلى أيّ شيءٍ منْ حَولِهم. الخليّة السّرطانيّة هي خَليّة مُتوحّدة وهذا ما يَجعلُها خطِيرة. إنّها تَستنسِخُ نفسَها باستِمرارٍ دونَ أنْ تعملَ حِساباً للآخرين، وفي سَعيها المجنُون إلى الخلُود، ينتَهي بها الأمرُ بقتلِ كلّ شيءٍ منْ حَولِها.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

154. مكسيميليان يستكشف

دخَلَ مكسيميليان صَافِقاً البابَ وراءَه.

- ما الذي يَحصُل، حبيبي؟ يبدو عليكَ التوتّر، لاحظَت سنتيا.

نظَرَ إليها مُحاولاً أنْ يتذكّرَ ما الذي أعجَبهُ بهذهِ المَرأة.

كظَمَ نفسهُ عنْ إجابتها جواباً جارِحاً، واكتَفَى بالتبسّم لها وهو يتّجهُ إلى مكتبهِ بخطَواتٍ واسِعة.

لقد نقَلَ حوضَهُ وأسْماكهُ إليهِ، منذُ الصّباح، وعهِدَ بإدارةِ عالَمهِ المائيّ إلى ماك يافيل. وقَد أثبتَ الحاسُوب بأنّهُ أهلٌ لذلك. كانَ عبرَ تحكّمهِ بمُوزّع الطعامِ الكهربائيّ وسخّان التدفئةِ وصُنبورِ ضخّ الماء، يكفَلُ دِقّة التوازنِ البيئيّ لذلكَ الوسَط الاصْطِناعي. ابتكرَ ماك يافيل تلقائيّاً طَريقةً لتربيةِ أسماكِ الزينةِ مُستَعيناً بالحاسُوبِ وبدا أنَّ الأسماكَ مَسرُورةً بها.

أقلَعَ الشرطيُّ *ارْتِقاء*. وطلَب جزيرةً لتكونَ بلداً صَغيراً على النّموذَج الإنكليزيّ واستَطَاع إيصَالها إلى تطوّر تقني مُتقدّم بمُجرّدِ وجُودِها مُنعزلَة وفي مأمَنٍ مِن ميادينِ معاركِ الحضَاراتِ المُجاورة. مدَّها بأسطُولٍ حديثٍ لتأسيسِ مَراكزَ تجاريّة في مُعظَم بقاعِ العالَم. حصل على نتائج جيّدة ولكن، بما أنَّ اليابان اختارَ الاستراتيجيّة ذاتها، نَجمَ عن ذلك حربٌ لا هوادةَ فيها،

في سنة 2720، تغلَّبَ اليابانيّونَ على الإنكليز بفضْلِ أقمارِهم الاصطِناعيّة الأكثر تقدّماً.

- كانَ بوسْعِكَ أنْ تَنتَصر، علّقَ ماك يافيل بتَواضُع.

اغتاظَ مكسِيميليان:

- ما الذي كنت ستَفعلُه بما أنّكَ حاذق إلى هذا الحدّ؟

- كنتُ حقّقتُ تماسُكاً اجتماعيّاً أفضَل، بإقرارِ حقّ المرأةِ بالتّصويتِ مثلاً، الذي لم يَخطُر لليابانيّين، وكانَ بذلك قَد سادَ في مُدنِكَ أجواء أفضَل ومعنَويات أعلى، ولكانت ابتكاريّة المُهندِسين العسكريّين ألمَع، وبالتالي أسلِحة أفضَل وحماسَة أكبر. ذلكَ كان كفيلاً بأنْ يُحقّقَ لكَ الفوز.

- نتُوهُ في التفاصِيل...

درسَ مكسيميليان الخرائِط وميادين المَعركةِ ثمّ وضَعَ نهايةً للعبةِ وبقي هناك، جالساً على كرسِيه، ونَظرتُه ساهِيةٌ أمامَ الشاشَة. اتّسعَت عينُ ماك يافيل عليها ورفَّ الجفنُ ليشدَّ انتباهه.

- حَسناً، مكسيميليان، أما زلتَ مَهمُوماً بقضيّة ثَورةِ النّمل؟

- أجل، أتستطيعُ مُساعَدتي مُجدّداً؟

- بالطّبع.

مسحَ ماك يافيل صُورة عينه، وأقلَع المُودم ذاتيّاً ليتَّصلَ مع الشّبكة. أخذَ بِضْع طُرقٍ سَريعة، أفضَت بهِ إلى شَوارع، ثمّ إلى مسَاراتِ (بتات) مَعروفة بالنّسبةِ إليه. وسُرعان ما عَرَض:

«المخدّمُ الخاصُّ بشركةِ ثَورةِ النّملِ محدُودةِ المسؤوليّة».

انحنَى مكسيميليان نحوَ الشّاشة. عثَرَ ماك يافيل على شيءٍ غاية في الأهميّة.

«على هذا النّحوِ هم مُستمرّونَ إذاً في تَصديرِ ثَورتِهم السّخيفة. تدبّروا أمرَهم في الحصُولِ على اتّصالٍ تلفونيّ عبرَ قمرٍ اصْطِناعيّ ومَعلُوماتهم تَتنقّلُ دونَ عوائق عبرَ الشَّبكة»، أدركَ الشرطيّ.

أعلَنت قائِمةُ المُخدّم أنّهُ أصبحَ لدى شركةِ «ثورة النّمل» المحدُودةِ المسؤوليّة الفُروعُ التالية:

- «**مَركزُ الأسئِلة**».
- عالَمُ *انفرا-وورلد* الافتراضيّ.
- خطُّ المَلابسِ «**فراشة**».
- وكالَةُ الهندَسةِ المِعماريّة «**عشّ نمل**».
- خطّ من المُنتَجاتِ الغذائيّةِ الطبيعيّةِ «**هيدروميل**».

بالإضَافةِ إلى ذلك كانَ ثمّة مُنتديات يَستَطيعُ فيها أيُّ شَخصٍ أنْ يُناقِش مَواضِيع وأهدَاف ثورةِ النّمل. مُنتديات أُخرَى يُمكن من خلالِها اقتِراحُ مُجتَمعاتٍ جديدةٍ ومفاهيم جَديدة.

وضَّحَ الحاسُوبُ بأنّ نحوَ عشر ثانويّاتٍ من بِقاعٍ مُختلِفةٍ من العالَمِ كانت على اتّصالٍ مع فونتينبلو، مُعيدَةً إنتاجَ تظَاهُرتهم، بصُورةٍ أو بأُخرى.

عثَرَ ماك يافيل على طَرَفِ خَيطٍ مُدهِش.

تَمعَّنَ مكسيميليان بحاسُوبهِ على نَحوٍ مُختلف. للمرّةِ الأولَى في حياتهِ يَشعرُ بأنّهُ مُتجاوَزٌ ليسَ من جيلٍ جَديد فحَسب وإنّما من آلةٍ أيضاً. فتحَ لَهُ ماك يافيل نافذةً في حِصْنِ قلعةِ ثَورةِ النّمل. عليه هو الآن استِخدَامها بشكلٍ جيّد ليتفحَّصَ ما هو مَوجُود في الدّاخِل ويكتشِف فيه ثَغرة.

اتّصلَ ماك يافيل بعدّةِ خُطوطٍ تلفونيّة، وبمُساعدةِ «**مركز الأسئلة**»، أظهرَ البنيةَ التحتيّة لشركَةِ «ثورة النّمل» المَحدُودَة المسؤوليّة. حقّاً لقد طَفحَ الكيل: أولئك الثّوّار لفرطِ سَذاجتِهم، أو لفرطِ الثقةِ بالنّفس، هم أنفسُهم كانوا يقدّمُونَ معلُوماتٍ عن أسلُوبِ تنظِيمهم.

استَعرضَ ماك يافيل الملفّات تِباعاً وفهِمَ مكسيميليان كلّ شيء. بمجرّدِ استِخدام شَبكاتِ المعلُوماتيّة والتقنياتِ الحديثةِ أشعلَ أولئكَ الصّبيةُ ثورةً لا سَابقَ لَها على الإطْلَاق.

لدَى مكسيميليان قناعَات راسِخَة حولَ الثورة، علَى سبيلِ المثال، يَظنُّ بأنَّ القيامَ بها في أيّامنا، يلزَمهُ مُؤازَرة من الإعلام، ولا سيّما التلفزيون. إلّا أنَّ تلامذةَ الثانويّة أولئك قد نَجَحوا في الوصُولِ إلى أهدافِهم دونَ مُساعدَةِ القنواتِ الوطنيّةِ ولا حتّى المحليّة. غايَةُ التلفزيون على العُمُوم إيصَالُ رسائِل غير شخصيّةٍ وفقيرة بالمعلُومات إلى حَشدٍ هائلٍ من الناسِ المَعنيّين

نوعاً ما. بينما استطاعَ مُشاغِبو فونتينبلو، بفضْلِ شبكاتِ المعلُوماتيّة، إطلَاق رسَائل شخصيّة وغنيّة بالمعلُوماتِ إلى قلّةٍ من الناس لكنّها قلّة مَعنيّة كثيراً وبالتالي شَديدةُ الاستِجابَة.

زالَت الغشَاوةُ عن عينيّ المُفوّض. من أجلِ تغييرِ العالَمِ، لم يتَراجع التلفزيون ووسائِلِ الإعلامِ التقليديّةِ عن موقعهما في الطّليعة فحسب بل أَصْبَحا، على العكس، مُتخلّفين عن وسائِل أخرى أكثر تَحفّظاً وشديدة الفعّاليّة. شَبكاتُ المعلُوماتيّة فقط تَسمَحُ بإقامةِ جُسُور متينةٍ وتفاعليّة بينَ الناس.

مُفاجأة ثانية: ذاتُ طابعِ اقتِصَاديّ. تُشيرُ حِساباتُهم بأنَّ شركة «ثورة النمل» لديها جَميعُ المُقوّمات التي تَجعلُها تُحقّق أرباحاً. رغم أنّها لم تكن تَتضمّن شركاتٍ ضَخمة، لم تكن تضمُّ سِوى مجمُوعةٍ منَ الأفرعِ المُتناهيةِ الصّغر.

اتَّضحَ في النّهايةِ أنَّ ذلكَ أكثر ربحيّةٍ من شَركةٍ واحدةٍ وهائِلة، وعلى العمُوم مُجمّدة في نِطَاق تسلْسُلها الهرميّ. علاوةً على ذلك، داخِل هذهِ الشركاتِ الضّئيلة، يعرفُ الجَميعُ بَعضَهم بعضاً جيّداً ويعلَمونَ أنّ بوسعِهم الاعتِمادُ على بَعضِهم. لم يكن ثمّةَ مكان للإداريّينَ عَديمي النّفعِ أو أصحاب النفُوذِ في المكاتِب.

بنَظرةٍ سَريعةٍ إلى الشّبكةِ اكتشَفَ مكسيميليان بأنَّ تلكَ الشّركة المُتشظّيةِ إلى شَركاتِ «نمل» لها مِيزة أُخرى أيضاً: تقلِيلُ مخَاطِرِ الإفلاس. بالفعل، فإنْ اتَّضَح بأنَّ فرعاً في حالَةِ عَجزٍ أو قليلَ المردُود، يختَفي ويحلّ آخر مَحلّه. الأفكارُ السّيئةُ تُختَبرُ سريعاً وتُستَبعَد على نَحوٍ طَبيعيّ. صحيحٌ أنَّ ليس هناك فُرصَة لتحقيقِ مرابحَ ضَخمة ولكن في المُقابلِ ما مِنْ مُجَازفة أيضاً في تكبّدِ خسائرَ فادِحة. من ناحيةٍ أُخرى، ينتَهي الأمرُ بجميعِ هذهِ الأفرُعِ الصّغيرة المُدمَجةِ، والتي لا تَكادُ تكونُ مُربِحة، قشّة فوقَ قَشّة، إلى أنْ تُكدّسَ كسباً مُجْزياً.

تَساءَلَ الشرطيُّ إنْ كانت نَظريّة اقتِصاديّة على رأسِ هذا التّنظِيم أو إذا كانَت شُروطُ ثَورتِهم أَجبرَت أولئكَ الشبّان عَديمي الخِبرة بأنْ يبتَكرونَها. في العَملِ على هذا النّحوِ دونَ مخازِن بضَائِع وبالاعتِمادِ على المادّةِ الرماديّة لأدمِغتِهم فقَط، لا يُجازِفُونَ في المُحصّلةِ إلّا بالقليل.

ربّما هذهِ كانَت رِسالَةُ ثورةِ النّمل: الشّركاتُ الدّيناصوريّة خسِرَت مواقِعَها، والمُستَقبلُ للشَركاتِ النمليّة.

مَهما يكن، ينبغي وضْعُ حدّ للنَجاحِ الوقحِ لثلّةِ الصّبيةِ أولئك قبلَ أنْ يُصبِحوا حقيقةً اقتِصاديّة لا يُمكنُ تَجاهُلها.

رفعَ مكسيميليان سمّاعةَ هاتِفِهِ وطلَبَ غونزاغ دوبيرون، زعيمُ **الجُرذان** السّود.

المَصائِبُ الكُبرى تَستَدعي حُلولاً رَديئة.

155. معرَكةُ الفوانِيس

الهجُومُ الأوّل للجيشِ الهائِلِ لقزماتِ شي-غا-بو كارثيّ بالنّسبةِ للبيلوكانيّات الجُدُد. بعدَ سَاعتينِ من الاسْتِبسالِ في القِتال، تنهارُ دِفاعاتهنّ في جَميعِ الثُّغُور وتقطِّعُ المُتَحالِفاتُ أوصَالها. لا تَمضِي المهاجِمات أَبعَد بتفوقهنّ ويُنظّمنَ، مُفعماتٍ بالرّضَا، مُخيّماً مؤقّتاً لقضَاءِ اللّيلِ بانتظَارِ اليومِ المُوالي لتَسديدِ الضّربةِ القاضِية.

تَخطرُ للأميرة 103 فكرة أخيراً، وهي تَرى المدينةَ تَستعيدُ المجرُوحات والمبتُورات والمُحتَضَرات. تَجمَعُ حولَها الفِرقَ الأخيرة القادِرةَ على القِتال وتَشرَحُ لهنّ كيفيّةَ صُنْعِ الفوانيس. تفكّرُ أنّه بعدَمِ إمكانيّةِ استِخدَام النارِ سِلاحاً يُمكنُ الاستِفادةُ منها كوسيلةٍ للتَدفِئةِ والإضَاءة. وعدوّهنّ الفعليّ، في الوقتِ الحاضِر، لم تَعد تلكَ الأرقام التي لا تُحصَى من النّمالِ القزَمات، وإنّما اللّيل. إلّا أنّ النارَ تُبدّدُ الليل.

وعلى ذلك، يَظهرُ نَحوَ الثانيةَ عشرة ليلاً المشهَدُ الذي لا يُصدّق: آلافُ الومضَاتِ تندَفعُ إلى مَخارجِ مدينةِ بيل-أو-كان-الجَديدَة. تَحمِلُ الجنديّات الصّهباوات فوانيسَ مَصنُوعة من أوراقِ الحَور، يحظَينَ من وَراءِ هذه العُلَبِ التي ينقُلْنها على ظُهورهنّ بالدّفءِ والضَّوء، ممّا يُتيحُ لهنَّ الإبصَارَ والمُبادَرَةَ بالتّصرّفِ فيما الخُصُومُ نِيام.

في الواقعِ مُخيَّمُ القزماتِ المُؤقَّتِ هو مَدينة حيَّة، حتّى وإنْ كانَ يُشبهُ فاكهةً سَوداء ضَخمة، الجِدارُ والممرّات مُكوّنة بأجسادِ الحشَرات المُتداخِلة والغارقَة في النومِ المُعوّضِ للقوّةِ المُستَنفدَة.

تُشيرُ الأميرَةُ 103 إلى مُحارِباتِها بأنْ يدخُلْنَ المُخيَّم بفوانيسهنّ. وتُجازفُ

هي أيضاً بالدّخولِ في المُخيّم الحيّ للعدوّ. منْ حُسْن الطّالِع، الليلُ بارد بما يكفي لجَعلِ المُهاجِماتِ مُخدّراتٍ جيّداً.

كم هو شُعُور غَريب السَّير بينَ جُدرانٍ وأرضيّات وأسقفٍ صُنِعت من عدوّاتٍ مُستعدّاتٍ لتقطيعهنَّ إرباً!

عدوّنا الحَقيقيّ الوحيدُ هو الخَوف، كرّرت لنفسِها. غير أنَّ حليفهنّ الليل سيُبقي القَزَماتِ نائِماتٍ لساعات أخرى.

تقولُ الرّقم 5 بأنّه لا ينبَغي البَقاءُ في مكانٍ واحِدٍ وقتاً طَويلاً، وإلّا ستُوقِظُ الفوانيسُ الجُدرانَ ممّا سيُفضِي إلى مَعركة. تَزيدُ الجنديّاتُ البيلوكانيّاتُ الجُدُد سُرعتهنّ لتجنّبِ المُواجَهة. باستخدَامِ فكّ واحِد فقط، يَجتَثِثنَ حناجِرَ عدُواتِهنّ الخامِداتِ واحدة تلوَ الأُخرَى.

ينبَغي مُراعَاة عدَمِ حزّ الأعناقِ عَميقاً لأنّه بينَ حينٍ وآخَر يَهوي عليهنَّ صفُّ رؤوسٍ مَقصُولَةٍ بالكامِل ويَسحقهنّ. يجبُ اجتِثاثُ الحَناجِر جزئيّاً. الحربُ ليلاً هو سِلاحٌ جدِيدٌ بالنّسبةِ للنَملِ يَجبُ لحدَاثتِهِ أنْ يَرتَجلنَ قواعِدهُ ويكتَشِفنها في كلّ لَحظَة.

يَجبُ الحذرُ من الغَوصِ عَميقاً في المدِينة.

فالفوانيسُ تنطَفئُ إذا انقطَعَ عنها الهواء. يجِبُ قتلُ النّمالِ-الجُدران الخارجيّة ثمّ إزاحتهنّ منَ المَوقِع كما تُقشّرُ البصَلَة قبلَ الهجُومِ على طَبَقةِ الجُنديّاتِ التي تليهَا.

تقتلُ الأميرةُ 103 وزَميلاتها دونَ كَلَلٍ أو ملَل. حَرارةُ الفوانيسِ وضَوءُها مثلَ مُخدّر مُثيرٍ للأعصَابِ يُضاعِفُ من هياجِهنَّ على القَتل. أحياناً، تستيقِظُ جِهاتٌ كامِلَة من الجُدران وعندئِذ يتوجّبُ قِتالُها بضَراوة.

تفكيرُ الأميرةِ 103 مُشوَّش في هذهِ المَقْتَلة.

هل يتوجّبُ المرورُ من هنا لفرضِ التطوّر؟ تسَاءلَت.

يُؤثِرُ الأميرُ 24 ذو الحسَاسيّةِ العاليةِ التخلّي والانسِحَاب. الذكُورُ مُرهَفو الحسّ دوماً، وهذا معرُوف.

ترجُوهُ الأميرةُ 103 أنْ ينتَظرَهم في الخارجِ دونَ أنْ يبتَعد.

الجنديّاتُ الصّهباواتُ مُنهكات لفرطِ ما قَتلْن، وقتلْنَ وقتَلْن. لكنَّ جمودَ عدوّاتهنَّ إلى هذا الحدّ يُضاعِفُ إحراجهنّ. فبقدْرِ ما هو طَبيعيٌّ للنِمالِ أنْ يقتُلنَ خصُومهنّ في مُبارزة، بقدْر ما يَشعُرْنَ بالتردّدِ بإبادتِهنَّ في ظُروفٍ كهذه.

يَستبدُّ بهنَّ شعور أنهنَّ يحصُدنَ. بدأَت رَائحةُ حمْضِ الزّيتيك المُنبَعثةِ من جُثثِ القزماتِ المُكدّسَة تَغدُو غيرَ مُحتَملة. تُضطرُّ البيلوكانيات الجُدُد مِراراً الخُروجَ من المُخيّم المُؤقّتِ ليستنشِقنَ بعضاً من الهواءِ الطّلقِ قبلَ أنْ يغرقْنَ فيهِ مُجدّداً ويَهجِمنَ على طَبقةٍ أخرَى.

تطلُبُ الرّقم 103 أنْ يُسارِعنَ فليسَ أمامهنّ سوى الليل ليتَصرَّفن.

تنغرِزُ فكُوكهنّ في المفاصِلِ الكيتينيّةِ جاعِلةً الدّمَ الشّفافَ ينبَثق. لفرطِ ما سَالَ دَم في الممرّاتِ الحيّةِ تُطفأ، أحياناً، فوانِيسٌ برشَقاتِه. عندئذ، بغيابِ النارِ تَغفو البيلوكانيّات الجُدُد وسَطَ أكداسِ الحُشُودِ المُتراصّةِ لأعدائهنّ.

لا تَألو الأميرةُ 103 جَهداً لكنّها وبينما هي تَقتلُ بكلّ ما أُوتيت منْ عَزيمَةِ فكّيها، تتزاحَمُ في عقلِها آلافُ الأفكَار.

*هل يجبُ أنْ تكونَ تصرّفات **الأصَابع** مُعديَة لجَرّ النمَالِ بأن تُقاتلَ بهذهِ الطّريقة!*

لكنّها تعلَمُ بأنَّ جميعَ الجُنديّاتِ العدوّاتِ اللائي لن يُقتلنَ هذا اللّيل سوفَ ينقضِضْنَ عليهنَّ في المَعركةِ ما أنْ يبزغَ الصُّبح.

ما مِن خياراتٍ كثيرة. الحربُ هي المُسرّعُ الأفضَلُ للتاريخِ سَواء نَحو الأرقَى أو الأحطّ.

لشدّة ما نَحرَت رُؤوس، تُصابُ الرّقم 5 بتشنّجِ الفكّين. تتوقّفُ لبُرهة، تأكلُ جثّةَ عدوّة وتنظّفُ قَرنَيها قبلَ أنْ تستأنِفَ عملَها المَشؤوم.

تَضطرُّ الجنديّاتُ البيلوكانيّاتُ الجُدُد إلى التوقّفِ عن القتلِ عندَما تُرسِلُ الشّمسُ أوّل أشِعتِها. ينبَغي الإسْراعُ بالرّجُوعِ قبلَ استيقاظِ العدوّ. على عَجلةٍ، يلُذنَ بالفرار، بينَما تَشرعُ الجُدرانُ والأسقفُ والأرضيّاتُ بالتثاؤبِ.

ترجعُ الجنديّاتُ الصَّهباوات، وهنَّ مُنهكاتٌ ودَبِقاتٌ بالدَّم، إلى مدينتهنَّ المُضطَربة.

تَعودُ الأميرةُ 103 إلى التّمركُزِ في مَوقِعها على قِمّةِ القبّة لترصدَ ردّةَ فعلِ العدوّ عندَ استِيقاظِه، والتي لن يطولَ بها الأمرُ لتَظهَر. تتفكّكُ الخرائِبُ الحيّة، بينما الشّمسُ ترتَفعُ في السّماء. تَعجَزُ القرَماتُ عن استِيعابِ ما حدثَ لهنّ. غفونَ، وعندَ الصَّباح، فارَقَت مُعظَم رفيقاتهنّ الحَياة.

تَعودُ الناجِياتُ أدراجَهنَّ سَريعاً إلى عُشهنّ دونَ أنْ تندّ عنهنَّ نأمة. وما هي إلّا هُنيهات، حتّى مثلَتْ المُدن الفيدراليّة التي تمرّدَت ضدَّ عاصمتها وقدّمَتْ فيرومُوناتِ الطّاعةِ والولاء.

بعدَ أنْ شاعَ خبرُ الهزيمةِ بينَ أعشاشِ النّملِ في المَناطِقِ المُجاورة، يَصلُ جيشٌ يُعدُّ بملايينِ الجُنديّاتِ طالِباً الانضِمامَ إلى الفيدراليّةِ البيلوكانيّة-الجدِيدَة.

تَستَقبلُ الأميرةُ 103 والأميرُ 24 الوافِدات، ويأخذَانِهن في زيارةٍ إلى مخابرِ النّار، ومخابرِ الرّافِعةِ والدّولاب ولكن لا يُشاطِرانهنَّ خبرَ اختراعِ الفوانيس. تتوجّبُ الحِيطَة. فلربّما هناكَ عدوّات لم يخضَعنَ بعدُ وجَيشٌ سِرّي يُوجِعُ أكثر من جيشٍ ظَاهِرٍ على المَلأ.

منْ جانِبها، ترَى الرّقم 23 أنَّ عددَ المُؤمِناتِ آخِذٌ بالتَّضاعُف. وبما أنَّ خارجَ الجُنديّاتِ اللّواتي شَاركنَ في مَعركةِ اللّيل، ما مِنْ أحدٍ يعلَمُ كيفَ تحقَّقَ النصرُ، تُشيعُ الرّقم 23 جهراً وبصوتٍ عالٍ بأنَّ **الأصَابع** استَجابوا لدُعائِها.

وتزعُمُ بأنّ لا علاقةَ للأميرةِ 103 بهذا النَّصرِ وبأنَّ ما مِنْ خلاصٍ بغيرِ الإيمانِ الحقيقيّ.

الأصَابعُ أنقذونا لأنهم يحبّوننا، تبثّ واعِظةٌ دونَ أنْ تفقَه ما تَعنيهِ هذهِ الكلمة.

156. موسوعة

خَيّاطَةُ مُؤخّرةِ الجُرذ: في نِهايةِ القرنِ التاسِع عشَر في بريطانيا، كانت

مَصانِعُ تَعليبِ السّردين تَعجُّ بالجُرذان. ولم يَعرِف أَحد سبيلاً للتخلُّصِ من هذهِ الحَيواناتِ الصّغيرة. ولم يكن وارداً إدخالُ القِطَط، إذْ إنّها ستُفضّل أكلَ السّردين عَديم الحركةِ بدلاً منْ هذهِ القَوارِض الصّعبةِ المنَال. عندئِذ خطَرت فِكرةُ خياطَةِ مُؤخّرةِ جُرذٍ حيّ بشَعرِ حِصانٍ ثَخين. كانَ يُصبحُ الجُرذ، وهو في حالةِ انعدامِ القُدرةِ على طَردِ الطّعامِ بشكلٍ طَبيعيّ، دونَ أنْ يتوقّفَ عن مُواصلةِ الأكل، مَجنوناً من الألَمِ والغضَب. في تلكَ اللّحظةِ كانَ يَستَحيلُ وحشاً مُصغّراً، رُعباً حَقيقيّاً لأقرانهِ الذين كان يُسبّبُ لهم الأذى ويَجعلهم يَهربُون.

العامِلَةُ التي تُوافقُ على القيامِ بهذا العَملِ القذِر كانَت تَحظَى بامتيازاتٍ منَ الإدارة وعِلاوة على الراتبِ وتترقّى رئيسةَ عُمّال. لكن بالنّسبةِ للعامِلاتِ الأخريات في مصنَعِ تعليبِ السّردين، فإنَّ «خيّاطَة مُؤخّرةِ الجُرذ» كانَت خائِنة. فلطَالما هناكَ واحِدة مِنهنّ توافِقُ على خياطَةِ مُؤخّراتِ الجُرذان، فإنَّ هذهِ المُمارسَة المُثيرة للاشمئزازِ ستَستَمرّ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

157. جولي في ذُروةِ الاضْطِراب

الكثيرُ والكثيرُ من التصوّراتِ الجديدةِ كانَت تُولَد في تَجمُّع الدّماغِ الأيمنِ لثورةِ النّملِ إلى دَرجةِ أنّ دِماغَها الأيسَر كانَ يَجِدُ صُعوبة في المُتابعةِ من أجلِ انتِقائها وتَطبيقها. في اليومِ السّابعِ كانَ بوسْعِ شركةِ ثورةِ النّملِ أنْ تَزهو بأنّها أكثرُ الشّركاتِ تنوّعاً في العالَم.

طُرقُ اقتِصادِ الطّاقة، إعادةُ تَدويرِ النّفايات، أدوات إلكترونيّة، ألعاب معلُوماتيّة، مَفاهيمُ فنيّة... أفكارُ الخَلايا العصَبيّة كانت آخِذة بالتدفّقِ وما مِنْ أَحدٍ خارجَ المُرتادينَ للشبكةِ العالميّةِ للمعلُوماتيّة، يَستَوعِبُ بأنَّ ما يَحدُث هو ثورة ثقافيّة مُصغَّرة تنتَمي إلى نموذجٍ غير مسبُوق.

كانَ معلّمُ الاقتِصَاد، مأخُوذاً باللّعبة، يُمضي أيّامهُ في إدارةِ المُحاسَبة عبرَ شَاشتِه الصّغيرة، بلا مكتبٍ، بلا مَحَلّ أو واجِهة خارجيّة. يتولّى أمرَ الضرائِب والأوراقِ الإداريّةِ وتَسجيلِ الماركات.

كانتِ الثانويّة قد تَحوّلت بقاطِنيها المُتجمّعينَ على شكلِ وحدَاتِ إنتاجٍ في كلّ أرجَائِها إلى مَنملةٍ بالفعل، وكلّ وحدَةٍ تعملُ على مَشرُوع مُحدّد. توقّفوا عن الحَفلاتِ التي كانوا يُقيمُونَها للتحرّرِ من الضُّغوطِ اليوميّةِ المِهنيّة.

خُبراءُ المعلُوماتيّةِ في الثّورةِ أخذُوا يُقيمُون، على الشّبكةِ المعلُوماتيّةِ العالَميّة، مساحاتٍ كونيّةٍ هائِلة.

كانت فرنسين تَعْنَى بمشرُوعِها *انفرا-وورلد* بحنوّ معلّم يابانيّ على شَجرةِ بونزاي. لم تكن تتدخّلُ في حياةِ سُكّانها، ولكنها كانت تترَصّدُ أدنَى اختِلالِ توازنٍ بيئيّ وتُعدّلهُ مُباشرة. أدركت أنّه من الضّروريّ تنويعُ الأصنَاف. فما أنْ يبدأ حيوانٌ بالانتشارِ بكثافةٍ حتّى تخلقَ مُفترِساً له. هذهِ طريقتُها الوحيدَةُ للتصرّفِ: إضَافةُ حياة. على هذا النّحو، مثلاً، خلَقت هرّاً وحشيّاً مَدينيّاً يَضبِطُ فائِضَ طيورِ الحَمام.

احتاجَت لاحِقاً إلى مُفترسٍ من أجلِ المُفترَسِ وخلَقت منْ جدِيدٍ دَوراتٍ بيولوجيّة كامِلة ولاحظَت أنّه كلّما تنوّعتِ السّلسِلةُ البيئيّة، غدَت مُنسجِمةً ومُستقرّة.

كان نرسيس يواصِلُ تَطويرَ أسلُوبهِ وبدأ يُعرَفُ في العالَمِ كلّه دونَ حتّى أنْ يُشارك في عرضٍ واحدٍ للأزياءِ خارجَ العُرُوضِ الافتراضيّة.

الفرعُ الأكثرُ ازدِهاراً كانَ «**مركزُ الأسئِلة**» الخاصّ بدافيد. خُطوطهُ غاصّة على الدّوامِ بالاتّصالات. أسئِلة كثيرةٌ تتطلّبُ أجوبة. اضطرَّ دافيد أنْ يُوكلَ جزءاً منْ مشرُوعهِ إلى شركاتٍ خارجيّةٍ حيثُ يَسهُلُ عليها أكثر توظيفُ تحرّيينَ أو فلاسِفةً تبعاً للطلَب.

في مَخبرِ البيولوجيا، كانَ جي وونغ يتسلّى بتقْطِيرِ نوعٍ مِنَ الكونياك مِنْ هيدروميل بول. على الضّوءِ المُرتَجفِ لعشَراتِ الشّمُوع، أعدَّ لنفسه لوازم مناسبة لمُستَقطِرِ خَمرٍ سرّي: مِعوجّات، أنابِيق، أنابيبُ لتصفيةِ الكحُول وتركيزه. كانَ الكوريُّ مغمُوراً بأبخِرةٍ حُلوة.

انضمَّت إليهِ جولي. تفحَّصَت أدواتِه، تناولَت أنبُوبَ اختبارٍ وأفرَغَت ما بداخِلهِ في جُرعةٍ واحِدة أمامَ دهشَةِ الشّاب.

- أنتِ أوّلُ منْ يتذوّقه. أأعجَبكِ؟

دونَ أنْ تُجيبَ تناولَت ثلاثةَ أنابيبَ أُخرى مُترعين ثمّ تجرّعَت مُحتواها من الشّرابِ العنبريّ بالشّراهةِ ذاتها.

- ستثملينَ، حذّرها جي وونغ.

- أُرِ... يدُ، أُرِ... يدُ...، تمتَمتِ الشابّة.

- ماذا تُريدين؟

- أُرِيدُ أنْ أحبّكَ هذا المسَاء، نطقت بوضُوحٍ دُفعة واحِدة.

ارتدّ الشابُّ إلى الخَلف.

- أنتِ ثَمِلة.

- شَرِبتُ لأجدَ الشّجاعَة التي كانت تنقصُني لقولِ ذلك. ألا أُعجِبكَ؟ سألَت.

كانت بنظَرِهِ فاتِنة. لم تَكنْ جولي يوماً مُبتَهجةً إلى هذا الحدّ. مُذ عادَت تأكُلُ ثانيةً غدَت خطُوطُ جسدِها مُنسابةً أكثر واكتسَت ملامِحها نُعومة. لقد غيّرت الثّورةُ أيضاً اسْتِقامة قامتِها. أَصْبَحت تِقفُ مُنتَصِبة، شامِخةَ الرّأس وحتّى مشيتُها ازدَادَت رشَاقة.

كانت قد تَعرّت بالكاملِ لمّا قرّبت يدها، بلطف، من بنطال جي وونغ الذي كان يجد صعوبة متزايدة في إخفاء انْفِعالِه.

تَهاوى على فِراشٍ وتأمّلها.

كانت جولي مُفرطَةَ القُربِ ولَم يكنْ وَجْهها، وهو وسَطَ هالَةِ الشُّمُوعِ المائِلةِ إلى البرتُقاليّ، بهذا السّحرِ يوماً. خِصلَةُ شَعرٍ سَوداء التَصَقت قوساً على طَرَفِ فَمِها. إلى تلكَ اللّحظَة، لم تَحلُم بأكثر من أنْ تُقبّلَ جي وونغ بنفسِ حرارةِ المرّة الفائِتة، في المَلْهى الليليّ.

- إنّكِ جَميلَة، جَميلَة خارِقَةُ الجَمالِ، تأتأ الشابّ. وعِطْرِكِ... يفُوحُ منكِ مثل زهرة. أوّلُ ما رأيتكِ، شَعرتُ...

أَسكتتهُ بقُبلة، وأتبعتها بقبلَةٍ أُخرى. هبّةُ ريح فتَحت النّافِذةَ وأَطفأتِ الشُّمُوع. همَّ جي وونغ للنُهوضِ من أجلِ أنْ يُشعِلَها.

منَعتْهُ.

- لا، لا أريدُ أنْ أضيّعَ لَحظَة. أخشَى أنْ تُشقَّ الأرضُ لتَحرمني من أنْ أعيشَ هذهِ اللّحظَة الموعُودةِ لي مُنذُ زَمنٍ بعيد. لا ضَير أنْ نُحبّ بعضَنا في العتمَة.

راحَت النّافذةُ تَصفُقُ بقوّةٍ مُهدّدةً بكسرِ الزُّجاج.

في الظُّلمةِ أدنَت يدَها أكثر. لم يَعد بوسْعِها الاعتِمادُ على بَصرها فاستَدعَت حواسَّها الأخرى إلى أقصَاها: الشمُّ والسَّمعُ ولا سيَّما اللّمس.

حفّت جسَدَها النّاعِمَ والأملَس على جسَدِ الشّاب. مُلامَسةُ بشَرتها الرّقيقةِ مع جسَدِ الكوريّ الأقلّ نُعومة ولّدَ أحاسِيسَ مُرتَعِشة.

عندما لمَستها راحَةُ يدِ جي وونغ، أدركت نُعومَةَ ثدييها. بُحّت أنفاسُها واكتسَى تعرّقها رائِحةً بريّة.

كانَ القَمرُ غائِباً. أضَاءتْهُما كواكبُ فينوس والمريخ وزحل. جَمحَت مُرسِلةً شَعرها الكثيفَ الأسودَ وراءَها. شمخَ صَدْرُها وعبَّت فُتْحَتا أنفِها الهواءَ سَريعاً.

بتمهّلٍ، بتمهّلٍ مُفرِط، قرَّبَت ثَغرها من ثَغرِ جي وونغ.

بغتةً، خطَفَ بصَرها شَيء ما. لقَد مرّ مِنْ وراءِ النّافذةِ للتوّ مذنّب هائل مريّش بشُعَلٍ واضِحة. ولكن ذلك لم يكن مذنّباً. إنّهُ زُجاجَةُ مُولوتوف.

158. موسوعة

الشّامانيّة: تَعرفُ جَميعُ الثقافاتِ الإنسانيّةِ تقريباً الشّامانيّة. الشامانات ليسُوا زُعماء ولا كهنَةَ ولا عرّافين ولا حُكماء. دَورُهم ببسَاطة يتمثّلُ في التوفيقِ بينَ الإنسانِ والطّبيعَة.

عندَ الهنُودِ الكاريبيّين في سورينام، تَستَمرّ المرحلَةُ الأوليّة من التعليم الشّاماني أربعة وعشرينَ يَوماً، مُقسَّمةً إلى أربَعِ فتراتٍ تضمُّ كلّ فترةٍ ثلاثَةَ أيّامٍ منَ التّثقيفِ وثلاثة أيّام منَ الرّاحةِ. يكون المُبتدِئونَ الشّبان سِتّة بالعادَةِ في سنِّ البلُوغ، لأنّ هذا هو العُمرُ الذي لا تزالُ فيه الشّخصيّة طَيّعة، يجري تعريفهم بالمورُوثِ والأغاني والرقَصات. يراقبون ويقلّدونَ حركاتِ وصرخاتِ الحيواناتِ لكي يَفهموها على نحوٍ أفضَل. طوال فترةِ تعلّمِهم، لا يأكلونَ شيئاً تقريباً، غذاؤهم يقتصرُ على مضغِ أوراق التبغ وشربِ عُصَارتِه. الصّومُ وتناولُ التبغِ يُسبّبان لهم حمّى شَديدة واضطراباتٍ فيزيولوجيّة أخرى. إضَافة

إلى ذلكَ، تَحفلُ مرحلة الابتداء باختباراتٍ بدنيّة خطيرة تَضعُ الفردَ على حافةٍ بين الحياةِ والموت وتُدمّر أناه. بعد بِضْعةِ أيّام من هذا التّعليمِ المُرهقِ والخَطير والمُسمّم في الوقتِ عَينه، يتمكّن المبتدِئون مِنْ «رؤيةِ» بعضِ القوى والتآلُفِ مع حالَةِ غيبُوبَةِ الوَجد.

مرحَلةُ الابتِداءِ الشّاماني هي إحيَاءُ تكيّفِ الإنسَانِ مع الطّبيعَة. في حالَةِ الخَطَر، ليس أمامَ المرءِ إلّا أنْ يتكيَّفَ أو يَموت. في حالَةِ الخَطَر، يتَنبَّهُ دونَ إطلاقِ أحكامٍ ودون عَقْلَنةٍ للأمر. يتعلّمُ إزالَةَ المعَارِف المُكتَسبة.

ثمّ تأتي فترَةُ حَياة مُنعزلَةٍ في الغابَةِ تُقارِبُ الثلاث سنوات، يقتاتُ الشّامانُ المُبتدِئ خلالها مِنَ الطّبيعَة دونَ مُساعَدةٍ منْ أَحَد. إذا بقيَ على قيدِ الحَياة، فسوفَ يُعاوِد الظُّهورَ في القَرية، مُرهقاً، قذِراً، وفي حالَةٍ أقربَ إلى الجُنون. وعِندئِذ يَعتَني بهِ شَامان أكبرُ سنّاً من أجلِ مُواصَلة مرحَلةِ الابتِداءِ اللاحِقة. سيُحاولُ المُعلّمُ أنْ يُثيرَ لدى الشابِّ القُدرةَ على تَحويلِ هلوسَاتهِ إلى خبراتِ «وَجْد» مُسيطَرٍ عليها.

ومنَ المُفارقَةِ أنَّ هذا التّعليم عبرَ تَدميرِ شَخصيّةِ الإنسَان والعَودةِ بهِ إلى حالةِ الحيَوانِ البريّ يُحوّلُ الشامان في الواقع إلى سوبر جنتلمان. فالشّامان في نِهايةِ تَعليمِهِ يَغدُو حَقيقةً مواطِناً يبزُّ الآخرينَ في تَحكّمِهِ بذاتِه، وقُدراتِه الفكريّةِ والحدْسيّة، وبرفْعَةِ أَخلاَقِه.

ولدى شامانات الياكوت في القَبائِل السيبيريّة ثقافة ومُفردَات تزيدُ ثلاثَةَ أضْعافٍ عن مُتوسّط مُفردَات مُواطِنيهم. وحسَب الأستاذ جيرار أمزالاغ، مُؤلّفُ كتابِ *الفلسَفة العضويّة*، الشامانات هُم أيضاً حُماةُ الأدَبِ الشّفهيّ ومؤلّفوه بطَبيعَةِ الحَال، والذي يُظهِر الجَوانب الأسطُوريّة والشاعريّة والبُطوليّة التي تُشكّل الأساس لكامِل ثقافةِ القرية.

في وَقتِنا الرّاهِن، نُلاحِظُ في التَّهيئةِ لغيبُوباتِ الوجد استخدَاماً مُتزايد الانتشارِ للمُخدّراتِ وثِمارِ الفِطْر المُهلوسة. تنمُّ هذه الظّاهرةُ عن انخِفاضٍ في نَوعيّةِ تَعليم الشّاماناتِ الفتيان وضَعف تَدريجيّ في مَقدِراتِهم.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

159. أفُولُ ثَورةِ النّمل

زُجاجَةُ مُولوتوف كانت تَطير. طائِرُ نارٍ غريبٍ يُنذرُ بالشُّؤم. بُصَاقةٌ زُجاجيّة من جُرذان غونزاغ دوبيرون السُّود. نَفثتِ الزُّجَاجةُ ناراً مِثل تِنّين. تَبِعتها زُجاجَات أخرى. انْدلَعتِ الأغطيَة ناشِرةً رائحةَ النايلون المُذاب، باتَت شِباكُ السّياجِ نفّاذةً منْ جَديد بعدَ احتراقِ الأغطِيةِ.

ارتَدَت جولي مَلابِسَها بالسّرعةِ القُصوى. حاولَ جي وونغ إمسَاكها ولكنَّ الثّورة كانت في الخَارجِ تَصرُخُ مُتألّمة. أحسّت كأنّها صَرخاتُ حيَوانٍ جَريح.

أسرَعَ كبِدُها بالإقلاعِ ذاتيّاً لتَصفيةِ ما تَجرَّعتهُ من خَمرِ الهيدروميل المهدّدِ بإبْطاءِ اسِتجابَاتِها. ما عادَ الوَقتُ للمُتعة وإنّما للفعل.

ركضَت في الممرّات. كانَ الذّعرُ يَسودُ الأرجَاء كافّة. الهلَعُ يُرعِشُ قريةَ النّمل. فتَياتُ الآيكيدو مُندَفعات هنا وهناك وهنالك، قاطِنُو المكان ينقلُون أثاثاً لسدّ ثغراتِ السيّاج؛ في هذه الرقصَةِ المُرتجلة كلّ شيءٍ كان يحدثُ بسُرعَةٍ كبيرة، ما كانوا بقَادرينَ على ضَبطِ أفعَالِهم لتوفيرِ طَاقاتِهم.

بعدَ أنْ اكتشَفَ الجُرذان السّود تَصمِيمَ القريةِ، بسبَبِ إتاحَةِ الرؤيةِ عبرَ السّياجِ، استَهدَفوا الأجنِحَة.

تَشكّلت في الباحَة سِلسِلة لتمريرِ دِلاء المَاء غيرَ أنَّ الخزّانَ قاربَ على النّفادِ والمُواصَلةُ تعدُ هَدْراً لمادّةٍ ثَمينة. اقتَرحَ دافيد بأنَّ استِخدَام الرّمل أكثر نَجاعَة.

أصَابت زُجَاجةُ مولوتوف رأسَ النّملةِ-الطّوطَم وأشعلَت الحشرةَ المصنُوعةَ منَ البولسترين. رمَقت جولي مُجسّمَ النّملَةِ العِملاق وهو يَحتَرِق. «في المُحصّلَة، النارُ عَمياء»، دارَ في خلَدها. أمّا بالنّسبةِ لمولوتوف، فقد قرأت في *الموسوعة* بأنّ الوزيرَ الروسِيّ المعرُوف، وزيرَ ستالين الذي أطلَقَ اسمَهُ على هذه القنبلةِ كانَ من أكثر الرّجالِ رجعيّة.

شبّتِ النارُ في جَناحِ المُنتَجاتِ الغذائيّةِ الخاصّ ببول، وانفجَرت دِنانُ الهيدروميل ناشرةً أدخِنةً مُشبَعةً بالكراميل.

داخِلَ حافِلةِ الشّرطةِ المركُونةِ مُقابلَ الثانويّة، لم يُبادِر أيّ أحدٍ للتدخّلِ حتّى اللّحظة. ثمّةَ لدَى الثوريّين ميل إلى الردّ على اعتداءاتِ جُرذان النار، ولكنَّ تعليمات جولي، التي وزَّعتها الأمازونيّات في جَميعِ النّواحي، قضَت بوضُوح: «عدَمُ الردّ على الاستِفزاز، سَيسرُّهم أيّ ردّ».

- باسمِ أيّ قانونٍ، نتلقّى الصّفعات ولا نَردُّ عليها؟ سألَت إحدَى الأمازونيّات ساخِطَةً.

- باسمِ إرادتنا في إنجاحِ ثَورةٍ بلا عُنف، أجابت جولي. ولأنّنا مُتحضّرونَ أكثَرَ من أولئكَ الحُثالة. إذا فعلنا كما يفعلُون أصبَحنا مثلهم. أخمِدُوا النارَ وحافِظوا على هدوئِكم!

أخذ المُحاصَرون يُخمِدونَ شُعُلاتِ اللّهبِ بالرّملِ على قدْرِ ما يَستَطيعونَ، غيرَ أنَّ زُجاجاتِ الجُرذانِ السّود لم تتوقّف عن الانهِمارِ بغزارة. كانَ بعضُ الثوّارِ ينجَحونَ أحياناً في ردّ الزّجاجاتِ إلى المُهاجمين إلّا أنَّ ذلكَ نادراً ما يَحصُل.

وصَلَت النارُ جنَاحَ ألبسَةِ نرسِيس، فانْدَفعَ مُسرعاً نَحوَه:

- إنّها تَصامِيم فَريدَة. ينبَغي إنقاذُها!

لقد تفحّمَت جميعُها. المُصمّمُ الذي أفقدَهُ الغضبُ صَوابهُ تناولَ قضيباً حديديّاً، فتَحَ البوّابةَ الحديديّة وهجَمَ على الجرذان السّود. اسْتبسَال بلا طائل. قاتلَ بشجَاعةٍ ولكن سُرعانَ ما انتُزِعَ منهِ سِلَاحه، وتلقّى ضَرباتٍ مُبرّحةٍ من ثلّة دوبيرون وتُركَ مُتصلّب الذراعينِ مَرميّاً في الفنَاء. هرعَ جي وونغ وبول وليوبولد ودافيد لمُسَاعدَتهِ إلّا أنّهم وصَلُوا متأخرين. توزّعَ الجُرذانُ السُّودُ وظَهرت سيَّارةُ الإسعَاف، يالَلمُصادَفةِ العَجيبَة! حملَت نرسيس على الفور وأخذَتهُ مَصحُوباً بدويّ أبواقِ الإنذار.

فقدَت جولي تَمالُكَ أعصَابها:

- نرسيس! يُريدُونَ عُنفاً، حسَناً، لَهم ذلك!

أمرَت الأمازونيّات بأنْ يَقبِضْنَ على الجُرذان السُّود. خرجَ جيشُ الفَتياتِ الصّغيرِ مِنَ السّياجِ وراحَ يُطاردُ الجُرذانَ السُّود في الشّوارعِ المُجاورة. بقدْرِ ما يَسهُل خِداعُ جيشٍ مُكتظّ منْ قوّات الـ CRS، يَصْعُبُ الرّكضُ وراءَ ما

يُقاربُ العشرينَ فاشياً صَغيراً يرتَدونُ ملابِسَ مدنيّة ويستَطيعونَ الاختِباءَ في أيّ مكانٍ والذّوبان وسَطَ الحُشود.

في لُعبةِ الشرطيّ واللصّ، أخذَتِ الأمازونيّات دَورَ الشرطيّ، الدّورَ الذي اتّضح بأنّهنَّ لسنَ على موهِبةٍ كبيرةٍ به خارجَ نِطاقِ الثانويّة. كان الجُرذانُ السُّودُ ينتَظِرونَ في الشّوارعِ الاستفراد بواحِدةٍ من الأمازونيّاتِ لينقضّوا عليها. وكان العِراكُ يُحسَمُ دوماً لمصلَحتِهم.

جي وونغ أيضاً ودافيد وليوبولد وبول جَميعهم ضُرِبوا بشدّة.

كانَ المُفوّض يُراقبُ الوضْعَ من بَعيدٍ عبرَ المِنظارِ ولاحظَ بأنَّ جميعَ المُدافعينَ عن الثانويّةِ تقريباً أصبَحوا خارجَها. السّياجُ مفتوح قليلاً والقوّات الحيّةُ للثوريّين كانَت مشغُولَة بإخمادِ الحَريق.

لقد سهّلَ عليهِ الفتَى غونزاغ العَمل. بالفعلِ كانَت تَجري في عُروقهِ دِماء المُحافِظِ النّشِيط. تأسَّفَ مكسيميليان على عدمِ الاستِعانةِ بهِ منْ قَبل. أمّا الثوّار فهم أقلّ مكراً ممّا ظنّه. أوّلُ ما لوّحَ لهم بمنديلٍ أحمَر انقضّوا عليه، برأسٍ مُطأطِئ، دونَ تفكير.

اتّصلَ مكسيميليان بالمُحافِظ وأعلَمهُ أنّ، هذه المرّة، ثمّةَ جرحَى.

– هل من إصَاباتٍ خطِيرة؟

– أجل، وربّما ماتَ واحِد. إنّهُ في المُستشفَى.

فكّرَ المُحافِظُ دوبيرون.

– في هذهِ الحالَة، وقَعوا بشَركِ العُنف. وبذلكَ لسنا نحنُ من اختار. أُعطيكَ ضَوءاً أخضَرَ لاستِعادَةِ الثانويّةِ بأسرعِ وقت.

160. فيرومُون حولَ علمِ الحَيوان: تحدِيد

سيّالَةُ اللُّعَاب: الرّقم 10

تَحديد:

*يزدادُ النموّ السكّاني عند **الأصَابع** بشكلٍ أسّي وقَد تَخلّصوا من جميعِ مُفترسِيهم تقريباً، كيفَ إذاً يَجري تَحديدُ أعدَادِ سُكّانهم ضِمنَ هذهِ الشّروط؟*

يتمُّ التَّحدِيدُ وفقَ الطُّرقِ التالية:

- عبر الحُرُوب.

- عبر حوادِثِ السَّير.

- عبر مُبارياتِ القدَم.

- عبر المَجاعَات.

- عبر المُخدّرات.

يبدو أنَّ ***الأصَابع*** *لم يكتَشِفوا بعد مثلنا التحكّم البيولوجيّ بالنّسلِ فهم يُنجِبون أطفالاً بغزارةٍ ومنْ ثمّ يتخلّصون منهم لاحقاً.*

التقنيّةُ القديمةُ هذه تَحتاجُ إلى تَحسِين لأنَّ صِناعةَ الأفراخِ الفائِضَة تَستَنزِفُ الكثيرَ من طَاقتِهم كما يحصُلُ أيضاً في القضَاءِ عليها فيما بَعد.

رَغمَ عمليّاتِ إعادةِ التّوازن هذِه، لا يَزالُ عدَدُ سُكّانهم يَشهَدُ نُموّاً أسيّاً.

تجاوزت أعدَادهُم الخَمسةَ مليارات.

صحيحٌ أنَّ هذا العدَدَ قَدْ يبدُو تافِهاً بالمُقارنةِ مع أعدَادِ النّمالِ على الكوكَبِ الأرضيّ، لكنَّ المُشكِلةَ بأنّ ***الإصْبَع*** *الواحِد يُدمّرُ كتلةً هائِلةً من النباتاتِ والحَيواناتِ، ويلوّث كميّةً كبيرةً من المَاءِ والهواء.*

إذا كانَ بوسْعِ كوكبنا الأرضيّ تَحمّل خمسَة ملياراتٍ منَ ***الأصَابع****، فلن يكون قادراً على تحمّلِ المَزيد.*

مُواصلةُ ***الأصَابع*** *النموّ يعني - بلا ريبٍ - اختفاءَ مئاتِ الأصْنافِ الحيوانيّةِ والنباتيّة.*

161. حَرب دِينيّة

تميّزُ الأميرةُ 103 بوضُوحِ الذّهنَ الجَمْعيَّ للسكّانِ المُحيطِينَ بِها، هو ذِهن فتيّ، طَازج ومُتحمِّس وفُضُوليّ. تَشكيلُها لهُ لمْ يكُن هيّناً، فالأطفالُ وَحدَهُم من لَديهم استِعدادٌ للتعلّم.

عِندَ فُتحاتِ التّهوية، تَضبِطُ الجنديّاتُ مداخِلَ الهواءِ والرّطوبةِ. وفي الأهرَاء، يَتراكمُ الطَّعامُ. تنقلُ العامِلاتُ الجُثَثَ ومُخلّفاتِ تَجاربِ

المُهندِساتِ الفاشِلة إلى المكبّ. لإخفَاقاتِ مُهندِساتِ النارِ أشكالٌ بَشِعة ورائِحَة كريهَة: قشورُ جنَادبَ مِعوجَّة على شكلِ منحُوتاتٍ تجريديّة، أوراقٌ أو أغصَانٌ مُتفحّمة، وأحجَارٌ يتَصَاعدُ منها الدّخان.

ولكنَّ الأميرةَ 103 تُلاحِظُ أيضاً أنَّ وراءَ هذهِ الحماسَة الجماعيّة ثمّةَ شيء منَ التبرُّم، ثمّةَ رَوائِحُ هامِسَةٌ تَجُوسُ المكان. أهوَ خَوفٌ أمْ مُجرّدُ انزِعاج؟

في اليومِ الرّابعِ هذا مِنَ العَهدِ الجَديد، تُقرّرُ الرّقم 103 بأنَّ الربوبيّاتِ قد ارتَكبنَ منَ الأضرَارِ ما يكفي. إذ اكتَسَت جَميعُ المَمرّاتِ بالدّوائرِ الإيمانيّة وعَبَقَت برَوائِح أدْعيتهنَّ العَقيمَة.

الأميرَةُ النّمليّةُ رأَت العالَمَ العلويّ. وتعلَمُ بأنَّ **الأصَابعَ** ليسُوا آلهة، هُم مُجرّدُ حَيواناتٍ ضِخامٍ خَرقَاء لها سلوكٌ مختلفٌ عن سلوكِهنَّ. تَشعُرُ بالتقديرِ نَحو **الأصَابع** ولكنّ تَعتَقدُ بأنّ أولئك اللواتي يَعبدْنَهم سيُفسِدنَ كلّ شيء. فتُقرّرُ، مَدعُومةً بتأييدِ الطّبقاتِ العلميّةِ والعَسكريّة، أنْ تُنهي سيطَرَةَ المُتديّنات دُفعةً واحِدة.

اللبلاب الذي يتطفّلُ على شُجيرة ولا يُقتَلع، يُميتُ الشُّجيرة.

تفضّلُ الرّقم 103 منذُ الآن اقتلاعَ الدّين مِنْ عشّ النّملِ قبلَ أنْ يَجتاحَ كلّ شيء. من السّهلِ تَعزيزُ الخُرافة وعبادَة الآلهةِ غيرِ المَرئيّة. إذا لم تُسارِع في وضعِ حدّ لهذهِ اللّعبةِ المَهزلَة، فلَن تَكونَ الفيرومُونةُ الأخيرةُ لها.

تُنادي المُستكشِفات الاثنتَي عشرة الشابّات.

ينبَغي قتلُ الرّبوبيّات.

على الفور، تنطَلِقُ الرّقم 13 على رأسِ فِرقةٍ كامِلة. أدمِغتُهنَّ الصّغيرةُ مُصمِّمة على إنْجَاحِ هذهِ المَهمّة.

162. موسوعة

مَكرُ الدّلَافين: الدُّلفين هو منَ الثديّيات، دِماغهُ يعدُّ الأضخَم مُقارنةً بحَجْمه. وإذا أخذنا جمجمة بذات الضّخامة فسنلاحِظُ مثلاً بأنَّ دِماغَ الشّمبانزي يَزنُ في المتوسّطِ 375 غراماً، ودماغ الإنسان 1450 غراماً، بينما يبلُغُ وزنُ دِماغِ الدّلفين 1700 غرام. حياةُ الدُّلفين هي لُغزٌ حقِيقيّ.

مثل البشَر، تَتنفَّسُ الدّلَافينُ الهواء، والإناثُ تلِدُ وتُرضِعُ صِغارها. إنّها

من الثدييّاتِ وقَدْ عاشَت سَابقاً على اليابِسة. بلى، لم تُخطِئوا القراءَة: سَابِقاً كانَ للدلافين قوائِم وكانَت تَسيرُ وتركضُ على الأرض. لا بدَّ أنّها كانت شَبيهةً بالفقَمات. عاشَت على اليابِسَة، ومِنْ ثمّ، في يومٍ ما، ولأسبابٍ غير معرُوفه، طَفَحَ بها الكيلُ وعادَت إلى الوسَطِ المائيّ.

لنا أنْ نتَخيّلَ بسهولَةٍ ما كانت ستُصبحُ عَليهِ الدّلافين في الوقتِ الحَاضِر، بأدمِغتِها الضَّخمةِ التي تَزِنُ 1700 غرام، فيما لو بَقيت على اليابِسَة: مُنافِسة أو على الأغلَبِ مُبتكِرة. لماذا رَجَعت إلى المَاء؟ لا بدّ بأنَّ البيئةَ المائيّة تتمتّعُ بمزايا لا تَمتلِكها البيئةُ الأرضيّة. يُمكنُ التنقّلُ في الماءِ داخِلَ وسَطٍ ثلاثيّ الأبعاد بينَما على اليابسةِ نبقَى لِصقَ الأرض. وفي الماء، ما مِن حاجَةٍ للملْبَسِ أو المنزلِ أو التّدفِئة.

عندَ فَحْصِ الهيكلِ العَظميّ للدُلفين، نتَحقّقُ من أنَّ زعانِفهُ الأماميّة ما زالَت تُخفي في داخِلها بُنية اليدَين العَظْميّة ذات الأصَابع الطَويلة، آخر أثرٍ متبقٍ من حياتِهِ الأرضيّة. وبما أنَّ يديهِ تحوّلَتا إلى زعَانف، باتَ بوسعِ الدلفين التّحرك بسرعةٍ كبيرة في الماء غيرَ أنّهُ فقدَ إمكانيّةَ صُنْعِ الأدوات. وقَدْ يكونُ تكيّفنا السيِّئ مع بيئتنا هو السَّببُ الكامِنُ وراء اختراعِنا كلّ هذهِ الهِستيريا من الأغراضِ التي تُكمِل قُدراتِنا العُضْويّة. أمّا الدُّلفين، الذي تكيَّفَ تماماً مع بيئَته، فهو ليسَ بحاجَةٍ إلى سَيّارة أو تلفزيون أو بُندُقيّة أو حاسُوب. من ناحيةٍ أُخرَى، يبدُو أنَّ الدَلافين طوّروا بالفعلِ لُغةً خاصّةً بهم. إنّهُ نِظَام من الاتّصالات الصوتيّةِ يَمتدُّ على طَيفٍ سَمْعيّ شَديد الاتّسَاع. إِذْ إنَّ الكلَامَ البشَريَّ يَمتدُّ بتَردُّدٍ مِنْ 100 إلى 5000 هيرتز. بينما تُغطي الكلِمة «الدُّلفينيّة» مَجالاً يتراوح بين 7000 إلى 170000 هيرتز. وبديهيٌّ أنَّ ذلكَ يُتيحُ التَّعبيرَ عن كثيرٍ من الفَوارقِ الدّقيقة! وفقاً للدكتور جون لِيلي، مُديرُ مُختبرِ نازارت باي لأبحاثِ التواصل، ثمّةَ رغبة قدِيمةٌ عندَ الدَّلافين بالتّواصُلِ مَعنا. إذ نَجدهم يقتَربُونَ على نَحوٍ عفويّ مِنَ الناسِ على الشَّواطِئ ومنَ القوارب. يتحرّكون ويقفِزُون ويَصفِرونَ كأنّهم يُريدونَ إفهامَنا شيئاً. ويلاحظُ هذا الباحِثُ «أنّهُ يبدُو عليهم الاغتِياظُ أحياناً عِندَما لا يَفهَمُهُم الشَّخصُ».

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

163. هجوم ثانويّة فونتينبلو

عُنف. صُراخ. ألسِنةُ لَهب. شظَايا أغراض. وقعُ أقدام على الأرض. أقدَامٌ تنزلِق. تهديدَات. شَتَائِم. ولولات. قبَضاتٌ مُندَفعَة. بَعدَ زُجاجَاتِ مُولوتوف المُشَاغِبين، انْهَمَرت غازاتُ قوّات حفظِ النّظَامِ المُسيّلَةِ للدمُوع. بعدَ النّار التي تقوّض، الأدخِنةُ التي تُعمِي وتُسبّبُ التهيّج.

حشُودُ الثوريّينَ تركُضُ في شتّى الاتّجاهَات. هجَمَ رِجَالُ CRS.

غدَت خيَمُ التيبي خاليَة. المُحاصَرونَ يَعدُونَ في المَمرّات، شباب وشابّات مُتسلّحينَ بالعصيّ والمكانِس، بصفائِح المُعلّبات. يوزّعونَ كلّ شيءٍ يُمكنُ استِعمالهُ سِلاحَ دِفَاع. تُمرّرُ الأمازونيّات للمُحِيطينَ بهنَّ عِصِيّ النّنشاكو بأطرافها الخشبيّة التي صنعْنَها تَحسّباً لأيّ طارِئ.

بعدَ أنْ طارَدوا عَبثاً الجُرذان السُّود، عادَت بناتُ نادِي الآيكيدو اللّواتِي لم يُصبنَ في العِراكِ على عَجَلةٍ ودخلْنَ الثانويّة مع الأقزامِ الستّة، محرُومِينَ سَابِعهم نرسيس.

لا دَاعي هذهِ المرّة للّجُوءِ إلى خَراطِيم إخْمادِ الحَرائِق، فالميَاهُ مقطُوعَة. طَريقُ السّياجِ مَفتُوح. افتَعلَت مجمُوعَة صَغيرَة منْ CRS تَحرّكاً أمامَ المدْخلِ الرّئيسيّ لتشتِيتِ الانتباه بينما كانت الفرقَةُ الضّخمةُ تَظهَرُ منَ السُّطوح. لقد تَسلّقوا إليها بكلّاباتٍ وحِبال. إنّها فِكرةُ مكسيميليان: اختَارَ الهُجومَ منَ الأعلَى عِوَضاً عن الهُجومِ الجَبهي.

- تَجمّعوا على شَكلِ وحدَات! صرَخَ دافيد مِن نافِذَة.

رصَّت الأمازونيّات الصفُوفَ لكبح هجوم الشرطيّين، ولكن ما الذي بوسْعِ فتياتٍ فِعلُهُ مهما كنّ مُصمّمات، أمام رجال أشدّاء، مُدرّبينَ يَعتمرُونَ الخوذ؟

عندَ الهُجُوم الأوّل، دخلَ الـ CRS الباحَة. لمسَ المُدافِعونَ العجزَ بأنفُسِهم وليسَ لَهم منْ أَسلِحةٍ سِوى عصيّ المكانِسِ ومعلّباتِ البازلّاء. أثبَتَت عِصِيُّ النّنشاكو فعّاليّةً أكبر. كانَت تَصفُر بينَ يدَي الأمازونيّاتِ مثلَ زنابير، مُعرقلةً الشُّرطيّينَ مراراً ونازِعةً خوذَ بعضِهم أحياناً. بلا خُوذٍ يُفضّل رجال الـ CRS الانسِحاب.

يُشرفُ مكسيميليان مِن شُرفةِ أحدِ المنازلِ الأماميّةِ على استِسلامِ المَعقل. مثل سيبيون أمامَ قرطَاجة وهي تحتَرق. ما زالَ متأثراً بهزائِمهِ السَّابِقة، يقدّمُ بيادِقهُ بحذَر. لم يكن يُريدُ تَكرارَ خطَأ الاسْتهانَةِ بخصُومِهِ الشبّان.

أخذَ رِجالُ الـ CRS يتقدّمونَ بشكلٍ منهجيّ، من الأعلَى إلى الأسفَل، من الأسْطُح إلى الباحَة، مُستَخدِمينَ تِقنيّة هرّاسةِ البطَاطَا. يضغَطُون منَ الأعلَى فتهربُ الحُشُود عشوائيّاً من بابِ المدخَل. لم يُبالِغوا في الضَّغطِ كثيراً لتجنُّبِ أنْ تدُوسَ الناسُ بعضَها في حالَةِ الهلَعِ ولكن مع ذلكَ كانوا يَضغَطُون.

أعطَى مكسيميليان أمراً بإعادَةِ إيصَالِ المياهِ بسُرعَة. وسَط الأدخِنةِ المُتصَاعِدةِ من خيمِ التّيبي والأجنِحةِ المحرُوقةِ كانَ لدى آخر المُدافِعينَ صُعوبَة في المُحافظةِ على آخرِ النُّقاطِ الاستراتيجيّة.

راحَت جولي تبحَثُ عن الأقزامِ الستّة. لم تَجد منهم إلّا اثنين في مُختَبر المعلُوماتيّة. كانَ دافيد وفرنسين مُنهَمِكين في إخراجِ الأقراصِ الصّلبةِ من الحواسِيب.

- ينبَغي إنقاذُ ذواكِرنا! صرَخَ الشّابُ. إذا وضَعت قوّاتُ الأمنِ يدَها على برامِجِ شَركتِنا وملفّاتِها، سيَطّلعونَ على كامِلِ عملِنا وسيكونُ بوسْعِهم وَضْعُ نهايةٍ لجَميعِ فرُوعِنا وشبكاتِنا التّجاريّة.

- وإذا أَمسكُونا مع الأقراص؟ سألَت جولي. سيكونُ الأمرُ أسوَأ.

- الحلُّ الأمثَل، قالَت فرنسين، في إرسَالِ جميعِ ملفّاتنا إلى حاسُوبِ صَديقٍ في الخَارِج. وبذلك سيَجِدُ عقلُ «ثورة النّمل» ملجأً مُؤقّتاً.

على نَحوٍ مَحمُومٍ أعادَت الشابّة الشقراءُ الأقراصَ الصُّلبةَ إلى مكانِها.

- طُلّابُ جامِعةِ البيولوجيا في سان فرانسيسكو هُم داعِمُونَ لنا ولديهم حاسُوبٌ هائِلٌ قادِرٌ على استِقبالِ «ذاكرتِنا»، فَطِنَ دافيد.

اتّصَلوا مُباشَرةً بالطلّابِ الأمريكيّينَ بواسِطَة الهاتِفِ الجوّال ونقلوا لَهم جميعَ ملفّاتِهم. بدايةً، *انفرا-وورلد*. حَجْمُ هذا البرنامج لوحدِهِ هائِل، إذْ يَحوي على قائِمةِ المليارات من سُكّانه، حيَوانات ونباتَات، كذلكَ قوانين إدارةِ بيئتِهِ والمُوزِّعُ العشوائيُّ للصِفاتِ الجينيّة. ثمَّ نَقلوا قائِمةَ الزّبائنِ الذينَ طلَبوا تَجريبَ مُنتَجاتِهم.

ثمَّ رحّلوا برنامجَ إدارةِ «**مركز الأسئلة**» وذاكرتَهُ الموسُوعيّةَ الحدِيثةَ والواسِعَة. تَبعتهُ لاحقاً مُخطَّطات ليوبولد عن منازِلِ التلَل، مُخطَّطات جولي عن صِناعةِ «حجَرِ رشيد»، مُخطّطات زويه عن القُرونِ الاسْتِشعاريّة، رسُوم أزياءِ نرسيس، علاوةً على جَميعِ أفكارِ المشَاريعِ المُقترَحةِ منَ المُشاركين أو المُتّصلِين. لقد كدّسُوا في غُضُونِ عدّةِ أيّام آلافاً منَ الملفّاتِ والبرامِجِ والمُخطّطاتِ والأفكار المُقترحَة. إنّها ما يُكوّنُ ثقافتَهم، وينبَغي إنقاذُها بأيّ ثَمن.

لم يَفطَنوا إلى ضَخامةِ المهمّةِ التي أنجَزُوها. بعدَما أُجبِروا على تَرحِيلِ ذاكَ الكنز، بدَأوا يُدرِكونَ كم هو ثَقيلٌ وضَخْم. عدَدُ حُروفِ المعلُوماتِ الأساسيّة لـ «**مركز الأسئلة**» وحدهُ يُعادِلُ المِئات منَ الموسُوعاتِ المُعتادَة.

وقعُ جَزْماتٍ يتردَّدُ في المَمرّ. الشّرطيّونَ يقترِبُون.

حرّكَت فرنسين مفاتِيحَ التحكّمِ من أجلِ رَفعِ سُرعةِ المودم التلفونيّ مِنْ 56 ألف بت في الثّانية إلى 112 ألف بت، سُرعةُ التّيربُو القسريّ.

طَرقَت قبَضَاتٌ البابَ بحَسْم.

أخذَت فرنسين تركُضُ من حاسُوبٍ إلى آخر لتضمنَ رِحلَةً آمِنةً لعقلِ ثَورةِ النَّمل. نقلَ دافيد وجولي قِطَع أثاثٍ لسدّ مدْخَلِ مُختَبرِ المعلُوماتيّة بينما راحَ الشرطيّونَ يَضرِبُون بأكتافِهم لخلْعِه. ورَغمَ ذلكَ كان الأثاثُ يُقدّم مُقاومةً جيّدة.

خَشِيت جولي بأنْ يخطُرَ لأحدٍ قطْعُ كهرباءِ الألواحِ الشمسيّةِ أو الخطَّ التلفونيَّ المُتّصل بهاتِفٍ مَحمُولٍ بسيط على السّطحِ قبلَ أنْ يُنهُوا عملَهُم ولكن إلى اللّحظَةِ لم يكن يشغَلُ رِجالَ الـ CRS غير صِراعِ البابِ الذي يَحولُ دونَ اقتِحامِهم القاعَة.

- تمَّ الأمر، أعلَنت فرنسين. جميعُ المعلُوماتِ انتقلَت إلى سان فرانسيسكو. أصبحَت ذاكرتُنا على مسَافةِ عشرةِ آلافِ كيلو مترٍ منْ هنا. مهما يَحصُل لنا، سيكون بوسْعِ آخرين اسْتِثمارُ اكتشَافاتِنا والاستِفادةُ من تَجاربنا وجَعل عملِنا يتقدَّمُ حتّى لو انتَهى بالنسبة لنا كلّ شيء.

شَعرت جولي بالارتِياح. ألقَت نَظرةً من النّافذةِ ولاحظَت بأنّ مُربّعاً أخيراً من الأمازونيّات ولا سيَّما الشّديدَات منهنّ لا يزلن يُقارعنَ رِجالَ الشُّرطة.

- لا أظنّ أنَّ أمرَنا انتهى. ما دام هناكَ مُقاومَة فثمّةَ أمل. أعمالنا لم تذهَبَ هباءً وثورةُ النّملِ ما زالَت حيّة.

نزَعَت فرنسين السَّتائرَ لتصنَع منها حبلاً علّقتهُ على الشُّرفة. نزلَت أوّلاً ووصَلَتِ الباحَة.

نجَحَ المُقتَحِمونَ أخيراً في نَزعِ لوحٍ. وألقوا منَ الفُتْحةِ قُنبلَةً مُسيّلَةً للدمُوعِ في الحُجْرة.

سعلَت جولي ودافيد ولكن، من وراءِ دُمُوعِهِ أشارَ الشّابُ بأنَّ هناك ما ينبَغي فِعلُه: تَدمِيرُ الملفّات في الأقراصِ الصّلبةِ وإلّا ستَقعُ في أيدي الشُّرطَة. اندفَع بسُرعَةٍ ليُعطي أمراً في جَميعِ الحَواسِيبِ بإعادةِ تَهيئةِ الأقراصِ الصّلبة. بلحظَةٍ اختَفَت جميعُ أعمالِهم عن الأجهزةِ وأصبحَت خاليةً من أيّةِ معلُومَة. لعلَّ الاسْتِلام تمَّ على ما يُرام في سان فرانسيسكو!

انفجَرت على الأرضِ قُنبلَةٌ ثانية مُسيّلَة للدُمُوع. ما مِنْ مُتَّسعٍ للتردّدِ. فُتْحةُ البابِ تتوسَّع. دلّيا السّتائِر بدورِهِما ثمَّ قفزا.

أسِفَت جولي على عدَمِ مُثابرتِها في دُروسِ الرّياضَة إلّا أنَّ الخَوفَ في الطَّوارِئ، أبرعُ المُعلّمين. انزلَقت بسهولَةٍ إلى الباحَة. هناك، أدركت بأنَّ ثمّة شيئاً تفتَقِده. موسُوعة *العلم النسبيّ والمُطلق*. سَرَت رعشَة في جسَدِها. هل نَسَتها في الأعلى، في مُختَبرِ المعلُوماتيّةِ المُحتلّ الآن من رجالِ الشُّرطَة؟ أيجبُ أنْ تتخلّى عن صَدِيقها الكتاب؟

لَبثت جولي مُتردِّدَة لجزءٍ من الثانيةِ، مُستَعدّة لمُعاودةِ الصّعود، ومنْ ثمَّ تبعَ الارتياحُ القلقَ. لقد تركتهُ في قاعَةِ نادي المُوسِيقى، أرادَ ليوبولد الرّجُوعَ إليهِ في أمر.

هذا التردُّد جعلها تُضيّعُ فرنسين ودافيد، الغارِقَينِ وسَطَ ضَبابٍ دُخّانيّ كثِيف. لم يكن ثمّةَ مِن حولِها سِوى شبّانٍ وشابّاتٍ يَعدُونَ في مُختَلفِ الاتّجاهات.

انتشَرَت قوّاتُ الأمنِ في جَميعِ النّواحي. جَراثيم سُود ضِخام مُسلّحينَ بمطَارِق وتُروس، يَلِجونَ مِن جُرحٍ بوّابة المدْخَلِ المفتوحِ على مِصْراعيه. راحَ مكسيميليان يُديرُ العمليّةَ بحذَر. لم يكن يُريدُ تَحمّلَ مسؤوليّة خمسمائة سَجِين، ما أرادهُ فقط هوَ إلقاءُ القبضِ على زُعمَاءِ العِصَابةِ لجَعلِهم عِبرة.

رفعَ مُكبّرَ الصَّوتِ:

- سلّموا أنفسَكم! لن يُؤذِيكم أحد.

تناولَت إليزابيت، زعيمة فتياتِ الآيكيدو، خُرطُومَ إخْمادِ الحرائِق. إذ لاحظَتْ بأنَّ الماءَ عادَ للتدفُّق، وراحَت تَحصُدُ بالباعِ والذِّراع رجالَ الشُّرطَةِ المُحيطينَ بها. لم يدُم استِبسَالها غير مُدّة وجيزة. انتزعَ رِجالُ CRS الخُرطُومَ من يدِها وحاولوا تكبيلَها بالأصْفاد. ولولا معرِفتها بالفنُونِ القِتاليّة ما كانَت لتَنجو.

- لا تُضيّعوا وقتَكم مع الآخرين. عليكم بجولي بانسون، يجِبُ القَبضُ عليها! أعادَ المُفوّضُ التذكيرَ عبرَ مُكبّره الصّوتيّ.

كانَت أوصَافُ الشابّةِ ذات العينين الرماديّتين الفاتحتين معروفةً للمُهاجِمين الذين أخذوا يُطارِدونَها، اندفعَت الشابّةُ نَحوَ خَراطِيمِ إخمادِ الحرائق، وما كادَت تتلقّفُ خرطُوماً وتُحرّرُ مِسمارَ الأمان حتّى سارعتِ الشرطة بالإحاطة بها.

لفرطِ السُّرعةِ التي صَعدَت فيها دَفقةُ الأدرينالين في داخِلها أحسَّت بكلّ ما يَدورُ في جسَدِها. كانت حاضِرةً في الزّمانِ والمكانِ كما لَم تكنْ يَوماً حاضِرة. ضَبطَت قلبها لتُعايرهُ على إيقَاعِ القِتالِ وأطلَقَت حِبالُها الصَّوتيّة، تلقائيّاً، صَرختَها القتاليّة:

- تيااااه!!!

فتَحَت ضخَّ الماءِ وأغرقَتهم إلى حدّ أجبَرهُم على الرّكُوع. غيرَ أنّهم واصَلوا تقدُّمَهم.

اسْتَحالَت آلةَ قتال، شَعرت بأنّها لا تُقهر. ملِكَة مُتحكّمة داخِلَ جسدِها وخارِجه، ما زالت تَستَطيعُ تغييرَ العالَم.

لَم يُخطِئها مكسيميليان:

- إنّها هناكَ. اقبِضُوا على تلكَ الشّرسَة! أطلَقَ الأمرَ عبرَ مُكبّرِهِ الصوتيّ.

دفقَةُ أدرينالين أُخرَى منَحَت جولي القوّةَ بأنْ تُسدّدَ ضربَة كوعٍ رائِعة للرجُلِ الذي حاولَ إمْسَاكها من الخلفِ، ورَكلَةً مُصوّبة بدقّة جعلَت مُهاجِماً ثانياً يخرُّ أرضاً.

حواسُّها جميعُها مُتأهِبة، تلقّفت الخُرطُومَ الذي سقَطَ مُجدّداً، وبعضَلاتِ بطنِها المُنقَبضَةِ شدَّتهُ إليها مثل رشّاشٍ حاصِدةً صفّاً منَ الشُّرطيّينَ.

أيَةُ مُعجزة كانت تَعتَمرُ في داخلِها؟ الألفُ والمِئةُ والأربعونَ عضَلَةً التي تكوِّن جسَدَها، المِئتان والستُّ عظمات لهيكلها العظمي، الاثنا عشر ملياراً من خلايا دِماغِها العصبيّة، المَلايينُ الثمانيةُ من الكيلومترات من الأسلاكِ العصَبيّة، لم يكنْ هناكَ جِزء منْ خلاياها غير مُنشَغلٍ بفوزِها.

انفجرَت قنبلة مُسَيّلة للدُمُوعِ بين قدَمَيها تماماً وتفاجأت بأنّ رئتيها لم تُجيزا لنفسَيهما نوبةَ رَبْو أثناءَ المَعركَة. ربّما الشَّحمُ المُتراكِمُ في الأيّامِ الأخيرةِ قد أعطَاها احتياطيّاً من القوّة لتُقاتلَ على نحوٍ أفضَل. ولكنَّ الـ CRS انقضّوا عليها. بَدَوا بالأقنِعةِ الواقيةِ من الغازاتِ ذات العيونِ المُدوّرة والمِنقارِ المُدبَّبِ المُمدّد بفلترٍ أشبهَ بغربانٍ سُود.

فقدَت جولي حِذاءَها وهي ترفِسُ برجْلَيها. نَحوَ عشرِ أذرعٍ التصَقَت على جَميعِ مَواضِعِ جسَدِها، ملتفّةً على رقَبَتِها وثدييها.

سقَطَت قنبلَةٌ ثانية على مَقرُبةٍ منها وزادَت كثافةُ الضَّبابِ الاضْطِراب. ما عادَتِ الدُّمُوع تكفي لحِمايَةِ قرنيّتيها.

فجأة، انقلَبَ كلّ شيء. الذّراعُ العَدوّة ابتَعدَت، تُطارِدُها ضرباتُ عَصَا دقيقَة صَغيرة وقَويّة. منْ وسَطِ الغِربان، تمتدُّ يدٌ باحِثةً عن يدِها وتلتقِطُها.

في السّديمِ ميّزت عيناها الرماديّتان الفاتِحَتان المُتضيقتان مُنقِذَها: دافيد.

أرادَت، بالطّاقَةِ القليلَةِ المُتبقيةِ لها، أنْ تتلقّفَ خرطُومَ الماءِ مُجدّداً لكنَّ الشابَّ سَحبَها إلى الخَلف:

- تعالي.

التقَطَت أذْنُها اليُسرَى الكلِمة. ونطَقَ فمُها:

- أريدُ أنْ أقاتِلَ حتّى النّهاية.

عمَّتِ الفوضَى خلايا جسَدِها، حتّى نِصفَي دِماغِها لم يكونَا على وفاق. قَرَّرت سَاقَاها أنْ تنطَلِقا بسُرعَة. سحَبَ دافيد جولي إلى قاعةِ نادي المُوسِيقى المُفضِي إلى الأقبية.

- إنْ هرَبنا، فسيكون فشَلاً إضافيّاً بالنّسبةِ لي، قالَت بأنفاسٍ مُتقطّعة.

- تصرَّفي مثلَ النَّمل. حينَ يُهدّدهُ خطَر، تفرُّ مَلِكاتُهُ منَ الممرّاتِ تحتِ الأرضيّة.

تمعَّنت بالفوّهةِ الداكنةِ المفتُوحةِ أمامَها.

- *الموسُوعة!*

مَذعُورةً، راحَت تُفتّشُ الأغطِية.

- دَعي الأمرَ، رِجالُ الشُّرطَةِ قادِمُون.

- مُحال!

أطلَّ أحدُ رجالِ الشُّرطَةِ من كوّة. أخذَ دافيد يلوّحُ بعكّازه ليكسَبَ وقتاً. استَطَاعَ ردّه إلى الخلفِ وحتّى أنْ يُغلِقَ البابَ بالأقفَال.

- تمَّ الأمر، وجدتُها! قالَت جولي مُلوّحةً بموسُوعةِ *العلم النسبيّ والمطلق* وحقيبةِ ظهرِها معاً.

دسَّت فيها الكتاب، وحزَمتها بالسّيورِ وقبلَت أن تلحَقَ بدافيد في النفقِ تحتِ الأرضِيّ. بدا عليهِ بأنّه يمضِي في اتّجاهٍ مُحدّد. مُدركاً بأنَّ جولي تكتفِي باتّباعِ توجيهات خارجيّة، إذْ إنَّ حواسَّ الشابّةِ وخلاياها غائِبةٌ تقريباً تستأنِفُ أشغالَها المُعتادَة: إفراز المادّة الصفراء، تَحويلُ الأوكسجين إلى غازِ كربُون، طَردُ أو تَحويلُ بقايا الغازِ المُسِيلِ للدُمُوع، تزويدُ العضَلاتِ بالسكّرِ الذي كانت تُطالِبُ به.

داخِلَ متاهةِ أقبيةِ المبنَى، فقدَ رِجالُ الشُّرطَة أثرهم. جولي ودافيد كانا يركضَان. وصَلَا إلى التّقاطُع. يُوجَدُ إلى اليسارِ أقبيةُ المبنَى المُجاور، وإلى اليمينِ المَجاري. دفَعها دافيد إلى اليَمين.

- إلى أينَ نذهَب؟

164. الموتُ للربُوبيّات

منْ هنا! تتقدَّمُ فرقَةُ الرّقم 13 في الممرّ. بسبَبِ عدَمِ التكتّم الفيرومُوني، اكتشَفت الممرَّ السريَّ المُفضِي إلى مَخبأ الربوبيّات. إنّه في المُستَوى 45 تحتَ الأرض. يكفِي إزاحةُ كتلةٍ من ثِمارِ الفِطرِ للوصُولِ إلى داخلِ المكان.

تتقدَّمُ الجُنديّاتُ في المَمرّ بخطَواتٍ حذِرة، مُدَجّجاتٍ جمِيعهنّ

بالفكُوك. تُميّزُ المُزوَّداتُ منهنَّ بعُييناتٍ ذات رؤيةٍ تحتَ الحَمراء رُسُوماً غريبةً على الجُدران. في هذا المكانِ، لم تَقتَصِر رُسُوم النّمالِ برأسِ الفكّ على الدّوائرِ فقط وإنّما صَنعنَ أيضاً جِداريّات حَقيقيّة. حيثُ تُشاهد فيها دَوائر تقتلُ نِمالاً. دَوائر تُطعِم نِمالاً. دَوائرُ تتحدَّثُ مع نِمال. ها هو مشهدُ الآلهةِ في العَمل.

تتقدَّمُ الفرقَةُ القاتِلةُ وتَصطَدمُ بأوّلِ نِظامٍ أمنيّ. نَملَة بوّابة يَسدُّ رأسُها العريضُ المدْخَلَ. ما إنْ يَشتمَّ الحَيوانُ-البابُ الرّوائِحَ المُنبَعثَةَ من الجُنديّات، يُديرُ مِقصَّاتهِ ويُطلقُ روائِحَ إنذارٍ. إنْ استَطَاعت الرّبوبيّاتُ هدايةَ نِمالٍ خاصّةٍ إلى هذا الحدِّ مثلَ نِمال فئةِ البوّاباتِ، فهذا يدلُّ إلى أيّ مدَى بلَغَت سُلطَتهنّ.

تحتَ النَّطَحاتِ العنيفَةِ للادينيّات، انتَهى الأمرُ بالبابِ المُصفَّح الحيّ أنْ أَطلَقَ آخِرَ أنفاسِه. يَظهرُ بدل الجَبينِ العَريضِ للبوّابة، نفَقٌ تَتصَاعَدُ مِنهُ الأدخِنَة. تندَفعُ المُحارباتُ في داخِلهِ مُسرِعاتٍ. إحدَى النّملات المِدفعيّات الربوبيّات التي سَاقتها المُصَادفَةُ إلى هذا المكان، تَعدُو وتَبدَأ بالإطلاقِ، غير أنّها تُرشُّ قبلَ أنْ تُسبّب أدنَى ضَرر.

وهي تُحتَضَرُ، تُجرجرُ النّملةُ الربوبيّة نفسَها وتَتحرّكُ مادّةً أرْجلها قليلاً، ثمَّ تتشنَّجُ فجأةً على هيئةِ صلِيبٍ بستّةِ أفرعٍ مُتيبّسةً نوعاً ما. وفي الرَّمقِ الأخير، تَبثُّ بأقوى ما تَستَطيعُ:

الأصَابعُ آلهتنا.

165. موسوعة

مُفارَقَةُ إبيميند: **تُشكّلُ عِبارةُ «هذه العِبارةُ غير صحيحة» وحدها كامِلَ مُفارقة إبيميند. أيُّ عبارةٍ هي غير الصَّحيحَة؟ إذا قُلتُ بأنَّ تلكَ العِبارة غيرُ صَحيحَة، فإنّي أقولُ الحَقيقة. وإذن، ليسَت خَطَأً. وبالتالي، هي صَحِيحة. تَردُّنا العِبارةُ إلى صُورَتها المُنعكِسة، وإلى ما لا نِهاية.**

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

166. هروبٌ عبرَ المجارير

يتقدّمان في الظُّلمة. رائحةُ المكانِ كريهَة وأرضيّته زلِقة، وبما أنّهما لم يُغامِرا يَوماً في القدُومِ إلى هذا المكان، لم تكنْ لديهما أيُّ وسِيلةٍ يَستَدلّانِ بها.

ما كانَ هذا الشّيءُ الطريُّ والدّافئ الذي تلمّسته بطَرفِ سبابتها؟ روثاً؟ عفناً؟ حيواناً؟ أمْ نباتاً؟ حيّاً كانَ أم مَيتاً؟

إلى مَسافةٍ أبعَد، قِطعة حادّةُ الرأسِ، هناكَ حلَقةٌ رطْبَة. ثمّة مُسطّح مُشْعِر، أرضيّة خشِنَة، وأخرى لزِجَة...

حاسَّتها اللّمسيّة لمْ تكن مُرهفةً بما يكفي لتُقدّم لها مَعلُومات دَقيقَة.

لتمنَحَ جولي لنفسِها الشَّجاعَة، راحَت ببطء، ودونَ أنْ تَشعر، تُدندِنُ «فأرةٌ خضراء، تعْدُو بينَ العُشبِ» ولاحظَت، بفضلِ تردُّدِ صَوتها، أنَّ بوسْعِها إلى حدّ ما تقدِيرَ الحيّزِ الذي أمامَها. إنْ كانَ ثمّةَ قُصُور في حاسّتها اللمسيّة، فسَمْعُها وصَوتُها يُعوّضَانه.

في العَتمة، لاحظَت أنّها ترى أفضَل حينَ تُطبِق جفنيها. في الواقِع، كانت تَعملُ مثل خفّاشٍ في كهفٍ يُحسّنُ مقدرَته على التِقاطِ الأحجام ببثّ الأصواتِ واستِقبالِها. كلّما زادَت حِدَّتها، ميّزت على نَحوٍ أفضَل شكلَ المكانِ المُتواجِدينَ فيهِ وحتّى العقَباتِ التي تُواجِههما.

167. موسوعة

مَدرَسَةُ النّوم: نقضِي خمساً وعشرينَ سنةً من حياتِنا في النّوم، ومع ذلك لا نَعرفُ كيفَ نَتحكّم في نوعيّته وكميّته.

النّومُ العَميقُ الحَقِيقيّ، ذلكَ الذي يَسمَحُ لنا باسْتِعادةِ الطّاقَة، لا يَستَغرق إلا ساعة واحدَة في اللّيلةِ ويكونُ مُجزّأً إلى مُتوالياتٍ صَغيرةٍ من 15 دقيقَةٍ، مثل لازمةِ أغنيةٍ، تَعودُ كلّ سَاعةٍ ونِصْف.

أحياناً، ينامُ بعضُ الأشخاصِ عشر ساعاتٍ مُتواصِلةٍ دونَ العثورِ على ذلكَ النّومِ العَميقِ ويستَيقظُون في نهايةِ السّاعاتِ العشرِ هذهِ مُرهَقينَ تَماماً.

يُمكننا، في المُقابِل، إذا عَرفنا كيفَ نُسَارعُ على الفورِ إلى الغَوصِ في هذا

النومِ العَميق، ألّا ننام سِوى ساعَةٍ واحدةٍ في اليَومِ مُستَفيدينَ منْ هذهِ السّاعةِ في تَجديدِ طاقتِنا بالكامِل.

كيفَ يُمكنُ تَطبيقُ ذلك عملياً؟

يجب علينا تَميزُ دَوراتُ النّومِ الخاصّةِ بنا. وللوصُولِ إلى ذلكَ، على سَبيلِ المِثالِ، يَكفي مُلاحَظةُ الدّقيقَةِ التقريبيّةِ للتَعبِ المُفاجئ الخَفيفِ الذي يَحدثُ عادَةً نحوَ السادسة مساءً، عِلماً أنّهُ سَيعودُ لاحقاً كلّ ساعَة ونِصف. فإذا كانَ التّعبُ المفاجِئُ مثلاً يَحدثُ في السّادسةِ وسِتٍّ وثلاثينَ مسَاءً، من المُحتَملِ أنْ تتوالَى حالَاتُ الإرهاقِ التاليةُ في الثامِنةِ وستّ دقائق، التاسِعةِ وستٍّ وثلاثين دقيقة، الحادية عشرة وستّ دقائِق مساءً، وهكذا دواليك. سَتكونُ هذهِ هي أوقَاتُك الدقيقةُ التي سيَمرُّ فيها قِطارُ النّومِ العَميق.

إذا ذَهبنا إلى النّومِ في تلكَ اللّحظةِ بالضّبطِ وأَجبَرنا أنفسَنا على الاسْتيقاظِ بعدَ ثلاثِ سَاعاتٍ (بمُساعدةِ المنبِهِ ربّما)، يُمكننا أَنْ نُدرّبَ دِماغنا تَدريجيّاً على تَقلِيصِ فترةِ النّومِ حتّى لا يَظلّ منها غيرُ جزئِها الأهمّ. وبذلك، نَستردُّ كامِلَ قِوانا في مدّة وجيزة ونَستَيقظُ في أوجِ نَشاطِنا. وسيجيئ يوم، بلا رَيب، نعلّمُ فيهِ الأطفالَ في المدَارسِ كيفيّة التحكّمِ في نَومِهم.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

168. تَقديسُ الموتَى

تتقدّمُ الجُنديّات بخطَواتٍ حذرة داخِلَ المَمرّاتِ المُفضيةِ إلى مَخبأ الربُوبيّات. لا تلبثُ الدّوائرُ المَحفورةُ على الجُدرانِ تَزداد. دَوائرُ إيمانيّة، دَوائرُ شِرّيرة.

تَصِلُ الفِرقةُ إلى قاعةٍ كبيرةٍ تنتشرُ بأرجَائِها مَنحُوتاتٌ غَريبَة: أَجسَادُ نِمالٍ مُفرّغة منْ لَحمِها ومثبّتة في وضْعيّاتٍ قِتاليّة.

ترتدُّ الرّقم 13 وفرقَتُها إلى الخَلف. مَشهدُ الجُثثِ المَعرُوضَةِ هذهِ شديدُ الفُحش. تعلَمُ الجنديّاتُ بأنَّ الربوبيّات دَأبْنَ على الاحتِفاظِ بجثامين

موتاهنَّ لكي يتذكّرْنَ وجُودهنّ. لديهنَّ عبارة نَمليّة لقولِ ذلك، ولكن تصعُبُ تَرجمتُها:

على الموتَى الرُّجُوع إلى التّراب.

ينبَغي أنْ تُلقَى هذه الجُثَث. إذ تَعبقُ القاعَةُ برائِحةِ حمْضِ الزّيتيك النّتنة، رائِحة التحلّل العُضويّ الذي لا يُمكِنُ لنملَةٍ حسّاسَةٍ احتِماله.

تتأمّلُ المُحارباتُ المَشهدَ مُنذَهِلاتٍ أمامَ هذهِ الأجسَادِ الهامِدةِ التي تبدو أنّها تُناكفهنّ فيما هي خَالية منْ أدنَى نَفحةِ حياة.

ربّما هنا تكمُن القوّةُ الكبيرَةُ للربوبيّات، إنهنَّ في الموتِ أقوى مِنهنّ على قيدِ الحياة، دارَ في خلَدِ الرّقم 13.

قد رَوتِ الأميرةُ 103 للرقم 10 بأنَّ **الأصَابع** يرجِعونَ ولادةَ حضَارتِهم إلى اللّحظَةِ التي توقّفوا فيها عن إلقاءِ موتَاهُم إلى القُمامَة. وهذا منطِقي. أوّلُ ما نُضْفي أهميّةً على الجُثَث، فيَعني ذلكَ أنّنا نُؤمِنُ بحيَاةٍ بعدَ الموتِ وبالتّالي نحلُمُ بالوصُولِ إلى الجنّة. عدَمُ رَمي الموتَى إلى القُمامَةِ هو فِعلٌ أكثرُ أهميّةً مما يبدُو.

المقبرة ميزة خاصّة ***بالأصَابع***، قالَت الرقم 13 في سِرّها وهي تتأمّلُ هذا المُتحفَ السّاكِن.

تُحطّم الجُنديّاتُ بغضَبٍ شَديدٍ الأجسَادَ الجَوفاء. تَسحقُ بمخالِبها القرونَ المُتيبّسة، تثقُبُ الجَماجِم المُفرّغة، وتَرمي بأشلاءِ الصُّدُور. تُطقطِقُ الهياكِلُ مثل الزُّجاج، ولكن بأصواتٍ مكتومةٍ. بعدَ أنْ نُظّفتِ القاعَة، لم يتبقَّ سوى تكدُّسٌ لِقطَعٍ مُفكّكةٍ غير صَالِحةٍ للاستِخدَام مُجدّداً.

لدَى المُحارباتِ شُعورٌ بأنّهنَّ خضْنَ مَعركةً مع عدوّ مُفرِط السُّهولة.

يندَفعنَ في ممرّ مُستَعرِض ويصلنَ في النّهايةِ إلى قاعَةٍ واسِعةٍ تضمُّ تَجمّعاً منَ النّمالِ اللابثاتِ مُصْغِيات، بقرونٍ مُنتَصِبَة، إلى واحِدَةٍ منهنّ تقفُ على مُرتَفعٍ. لا بدَّ أنّها قاعَةُ التنبّؤاتِ التي ذكرَتها الجَاسُوسَات.

من حُسْنِ الطَّالِع، الإنذارُ الشمّي الذي أطلَقتَاهُ على التّوالي النَّملَةُ البوّابةُ والمِدفعيّة لم يُلتَقط في هذا المكان. إنّهُ الوجهُ السلبيُّ للمخَابِئ الموجُودَةِ في نهايةِ الممرّاتِ المُفرِطَةِ التّشابك، تَجولُ فيها الأبخرةُ الفيرومُونيّة على نَحوٍ رَديء.

تدخُلُ الجُنديّاتُ دونَ لفتِ النَّظرِ وتختلِطُ بين الجُمهُور. النّملَةُ التي تَبثُّ هي الرّقم 23، والتي تدعوها الرُّبوبيّاتُ جميعهنَّ «النبيَّة». تُلقي مَوعِظَةً وتقُول بأنَّ هناكَ في الأعلَى، أَعلَى بكثيرٍ منْ قرُونِهنّ، يَعيشُ **الأصَابعُ** العَمالِقةُ يرصُدُونَ جميعَ أعمَالهنّ ويُخضِعونهنّ إلى اختِباراتٍ لدفعِهنَّ إلى الارتِقاء.

طفَحَ الكيل. أطلَقَت الرّقم 13 الإشَارة.

ينبغي قتلُ هؤلاء الربوبّيات المريضَات جميعهنّ.

169. المُلاحَقةُ مُستمرّة

في المَجاري، كفَّتِ الأغنيةُ عن إدْخالِ الطّمأنينةِ إلى قلبِ جولي.

فجأةً، سَمِعا أصْواتاً خافِتة. ورأيا نُقطاً حمراءَ تقتَرب. عيونُ جُرذَان. بعدَ الجُرذانِ السُّودِ تأتِي القَوارضُ الحقيقيّةُ مُنذرةً بمواجهةٍ قريبةٍ. هذهِ أصغَرُ حَجْماً إلّا أنّها أوفرُ عدَداً.

ارتَمَت جولي في حُضْن دافيد.

– خائِفة.

شتَّتَ دافيد الدابّات بتلويحَاتٍ واسِعةٍ منْ عُكّازه، وأصابَ العدِيدَ منها أثناءَ مُرورِه.

حَاولا انتِهازَ فُسْحةِ الوقتِ بالاسْتِراحةِ ولكن سُرعانَ ما تناهَت إلى سَمْعِهما أصْواتٌ جدِيدَة.

– ليستِ الجُرذانُ هذهِ المرّة.

راحَت حُزَمٌ ضَوئيّةٌ تُمشّطُ النّفق. أمرَ الفتاةَ بأنْ تنبَطِحَ على بَطنِها.

– يبدو لي أنَّ شيئاً تَحرّك، هناك، صاحَ صَوتُ رَجُل.

– قادِمُونَ نَحونا. لم يَعدُ لدينا الخِيار، همسَ دافيد.

دفَعَ جولي في الماءِ وتَبِعها.

– كأنّي سَمعتُ صوتَ خَبطَتين في الماء، استأنفَ الصَّوتُ الجَهُور.

ركضَت جَزماتٌ إلى الضفّةِ صَافِقةً بركَ الماء. أضَاءَ رِجالُ الشُّرْطةِ سطحَ الماءِ فوقَ رأسيهِما تَماماً.

لم يَكُن أمامَ دافيد وجولي غيرَ الغَوصِ في المياهِ القذِرَة. أبقَى دافيد رأسَ

جولي تَحتَ الماء. قطَعَت غريزيّاً نفَسَها. حقّاً لقد عاشَت اليومَ كلَّ شيء. من جدِيد، ينقُصُها الهواء، وشعرت، علاوةً على ذلك، بذيلِ جُرذ لمسَ وجْهَها. لم تكنْ تعلَمُ بأنَّ الجُرذانَ أيضاً تَسبَحُ تَحتَ الماء. بشكلٍ غريزيّ انفتَحَت عيناَها، ورأَتْ دائِرتينِ من الضَّوءِ تُضِيئانِ جميعَ أنواعِ القاذُوراتِ الطَّافيةِ فوقَ جَبينيهِمَا.

توقّفَ الشُرْطيّان. وراحا يَجُولانِ بمِصْباحَيهما على القُمامَةِ العائِمةِ البعيدَة بعضَ الشّيء.

- لننتَظِر، إنْ هُم تحتَ الماء، فسيَصعدُونَ في النّهايةِ للتنفُّس، قالَ أحدُهما.

فتحَ دافيد عينيهِ تحتَ الماء أيضاً؛ أشارَ لجولي كيفَ تُبقي فُتْحتَي أنفِها فقط خارجَ الماء. لحُسنِ الحظّ أنَّ الأنفَ نُتوء الوجهِ ويُمكنُ إخراجُهُ مع إبقاءِ بقيةِ الأجزاءِ تحتَ الماء. سبقَ أنْ تساءلَت جولي مِراراً عن مَدْعاةِ بُروزِ الأنفِ البشريّ إلى الأمامِ بهذا الشَّكلِ، باتَتْ تعرِفُ الجَواب. لينقِذَ صاحِبهُ في حالٍ كهذِه.

- لو أنّهم تحتَ الماء، لكانوا صَعَدوا إلى السَّطح، أجابَ الشُرْطيُّ الثاني. لا يَستَطيعُ أحَدٌ قطْعَ تنفّسِهِ طوالَ هذا الوقت. لا بدّ أنَّ أصواتَ الخَبطِ كانت لجُرذان.

قرَّرَ الرَّجلانِ مُتابعَةَ طَريقِهما.

لمّا ابتَعدَت أضْواءُهما البيضَاء بما يكفِي، أخرجَت جولي ودافيد رأسَيهما بالكامِلِ واسْتَنشَقا بأقلّ صَوتٍ مُمكنٍ شَهيقاً هائِلاً مُنعِشاً نسبيّاً. لم تُخضِع جولي رئَتَيها قطّ إلى اختِبارٍ بهذهِ القَسوة.

كانَ الثوريّان لا يزالانِ يَعُبّانِ الأوكسجين حينَ سقَطَ عليهما بغتةً ضَوء سَاطِع.

- قِفْ. ولا أيّة حَركَة، أمرَ صَوتُ المُفوّضِ مكسيميليان لينار مُصوّباً عليهما مِصْباحهُ ومُسدَّسَه.

اقترَب:

- ها هي ملِكتُنا صَاحِبةُ الثّورة، الآنسَة جولي بانسون شَخصيّاً.

ساعدَ مَوقُوفيهِ على الخُروجِ من الماءِ الآسِن.

- ارفَعا أيديكما عَالياً، السيّدةُ والسيّدُ المُعجَبانِ بالنّمل. أنتما رَهنُ الاعتِقال.

نظَرَ إلى سَاعتِه.

- لم نُخالِف القانونَ في شيء! احتجَّت جولي بنبرةٍ واهِنة.

- في هذا الخُصُوص، القاضِي مَنْ يُقرّر. أمّا بما يَخصُّني، فقَد فعلتم أسْوَأ ما يُمكنُ فِعله: أدخَلتُم قدْراً من الفوضَى في عالَمٍ مُنظّم جيّداً. وهذا يستَحِقّ، برأيي، العقوبَةَ القُصْوى.

- ولكن إنْ لم نَهزَّ العالَمَ قليلاً، يتَجمَّد ويكفُّ عن التطوّر، قالَ دافيد.

- ومَنْ طلَبَ مِنكم تَطويرَه؟ لديكم رغبَة في التحدّثِ عن ذلك؟ ليكن، أنا لديَّ كلّ الوقت. أعتَقدُ بسبَبِ وجودِ أمثالكم، يتوهَّمونَ في أنفُسِهم القدرةَ على تحسِينِ العالَم، نَحنُ نسيرُ مُباشَرةً إلى الكارِثَة. أسوَأ الفجائِع اقترفَها مثاليّون مَزعُومُون. أكثر الحَماقاتِ دَمويّةً ارتُكِبَت باسْمِ الحريّة. أفظَعُ المذابِحِ اقتُرِفت باسم محبّةِ الجِنْسِ البشَريّ.

- يُمكنُ تغييرُ العالَمِ إلى الأفضَل، أكّدت جولي، التي أخذَت تَسْتَعيدُ ثِقتَها بنفسِها وشخصِيّة باسيوناريا القديمة الثوريّة.

أنْهَضَ مكسيميليان كتِفيه.

- كلّ ما يريدُهُ العالَم، هو أنْ ندعَهُ بسَلام. الناسُ لا تَصْبو لغيرِ السَّعادةِ والسَّعادةُ تكمنُ في إبقاءِ الحَالِ على ما هو عليهِ وعدَم التّشكيكِ به.

- إنْ لم يكُن من أجلِ تَحسِينِ العالَم، فما نَفْعُ العَيشِ إذاً؟ سألَت جولي.

- ببساطَةٍ لأجلِ التمتُّعِ به، ردَّ المُفوّض. التمتُّع بالاسترخَاء، بالفاكِهةِ على الأشجَار، بالمطَرِ الدافِئ يُداعِبُ الوجه، بافتراشِ العُشب، بالشّمسِ تبثُّ الحرارة في الجَسَد، وهذا مُنذ آدم، الإنسَان الأوّل. ذاكَ الأحمَقُ الذي أفسَدَ كلَّ شيءٍ لأنّه أرادَ المعرِفَة. لسنا بحاجَةٍ للمعرِفة، ما نحتاجُهُ هو فقط التنعُّمُ بما بين يَدَينا.

هزّت جولي رأسَها ذا الشَّعرِ الدّاكن.

- الأشياءُ كلّها تكبرُ على الدّوام، تتَحسَّن، تَغدُو أكثر تَعقيداً. من الطَّبيعيّ أنْ يَسعَى كلّ جيْلٍ ليعملَ أفضَلَ من الجِيلِ الذي سَبقَه.

لم يسمَح مكسيميليان للشكّ بأنْ يُزعزِعَ ثِقتَه.

- لشدّةِ ما أردنَا فِعْلَ الأفضَلِ اختَرَعنا القنبلَةَ النّوويّةَ والقنبلَةَ النّيترونيّة. إنّني مُقتَنع بأنّه سيكونُ منَ التعقُّلِ التوقُّفُ عن إرادةِ «فِعْلِ الأفضَل». في اليومِ الذي ستَعملُ فيهِ الأجيالُ كما عَملَت الأجيالُ التي سَبَقتها، عندها فقط سنحظى بالسلام أخيراً.

فجأةً سُمِع بززز في الهَواء.

- لا! ليست هذهِ مُجدّداً! ليسَ هنا! صَرخَ المُفوّض.

سارعَ إلى خلْعِ فردَةِ حذائِه وهو يتلفّتُ نَحوها بحيويّةٍ.

- أتريدينَ جولةَ تنسٍ جدِيدَة، حشرَة الشُّؤم؟

طوّحَ ذراعيهِ في الهواء كأنَّهُ يُصارِعُ شبَحاً، ثمَّ فجأةً، وضَعَ يدَهُ على عُنقه.

- نالَت منّي هذهِ المرّة، لم يتسنّ لهُ سِوى نُطقِ هذهِ الكلمات قبلَ أنْ يخرَّ مُنهاراً على رُكبتيهِ.

في حالةِ ذهولٍ رمقَ دافيد الشُرْطيّ على الأرض.

- مع مَنْ تَصارع؟

بدمٍ باردٍ تلقّفَ دافيد مِصباحَ المُفوّض وأضَاءَ رأسَه. كانَ هناك حشرة تتنقّلُ على خدّه.

- زنبارة.

- هذهِ ليسَت زِنبارة، إنّها نَملَة طَائِرة! تتحرّكُ كأنّما تريدُ إخبارنا بشيء، أعلَنت جولي.

أخذَ الحيوانُ يثقُبُ بالفكّ جِلدَ الشُّرطيّ، وكتبَ، ببطءٍ، بالدَّم الأرجوانيّ الذي يَظهرُ على البشَرة: «اتبَعانِي».

لم تُصدّق جولي ودافيد عينيهِما لكنّهما لا يَحلُمان. بالفِعل، كانَ هناكَ مخطُوطٌ على خدّ الشُّرْطيّ بطريقةٍ خرقاء كلِمَة: «اتبَعانِي».

- أيعقلُ اتْباعُ نملَةٍ طائِرة تكتُبُ بالفرنسيّةِ بواسِطَة فكّها؟ قالَت جولي متشكّكة.

- في الدّرْك الذي نَحنُ فيه، قالَ دافيد، مُستَعدّ أنْ اتبَعَ حتّى الأرنب الأبيض لأليس في بلادِ العجَائِب.

رمقَا النّملةَ الطّائرةَ بانتظارِ أنْ تدلّهما على الاتّجاهِ الذي ينبَغي أنْ يسلُكاه، ولكن لم يتسنَّ للحشَرةِ أنْ ترتَفع. إذْ قفَزت خارجَ الماءِ ضِفْدَعة بشِعَة تُغطّي جِلدَها الثآليلُ والبُثور، رمَت لِسَانها وتلقّفت بَغتةً دليلَتَهما.

جولي ودافيد انْطلَقا مُجدّداً داخِلَ متاهةِ المجَاري.

– أينَ سنذهَبُ الآن؟ سألَت الشابّة.

– لماذا لا نذهَبُ إلى أمّك؟

– أبداً.

– إلى أين إذاً؟

– إلى فرنسين؟

– مُحال. لا بدّ أنّ الشُّرْطَة تعرِفُ جميعَ عناويننا. وهي بلا شكّ هناك.

تَتالَت في ذِهنِ جولي جميعُ احتِمالاتِ مكانٍ يأويانِ إليه. ثمّ استَعادَت ذِكرى.

– عندَ مُعلّمِ الفلسَفة! اقترَحَ عليَّ مرّة أنْ أذهَبَ وأرتاحَ في منزِلِه وأعطَاني عُنوانه. وهو على مقربةٍ من الثانويّة.

– حسنٌ جدّاً، قالَ دافيد. دعينا نَخرجُ منْ هنا ونَمضِي إليه. «لنتصرّف أوّلاً، ولاحِقاً نتفلسَفُ».

ركضَا.

آثرَ جُرذ أصَابهُ الذّعرُ مُعاودَةَ الغَطسِ في المَجرى على المُجازفَةِ بأنْ يُداس بالأقدَامِ.

170. موسوعة

موتُ مَلكِ الجُرذان: تُمارِسُ بعضُ أنواعِ الجُرذانِ النرويجيّة *ratus norvegicus* ما يُسمّيهِ عُلَماءُ الطّبيعَةِ «انتِخاب مِلِك الجُرذان». تَستغرِقُ الظّاهِرةُ يوماً واحداً، يتبارز خِلالَهُ جميع الفتيان الذكور بقواطِعِهم الحادّة. ويُستَبعدُ تدريجيّاً الأضعَف إلى أنْ لا يتبقّى سِوى جرذين يصِلانِ النهائيّ، هما الأبرعُ والأكثر شراسةً في المجموعة. يُنصّبُ الفائزُ مِلِكاً. وعلى اعتبارِه الفائِز، فهوَ منَ البديهيّ أفضل جُرَذٍ في القبيلة. لذا يَمْثُلُ الآخرونَ جميعاً

أمامَه، بآذانٍ ملويّةٍ إلى الخلف، ورؤوس مُطأطِئة أو يَعرِضُونَ خلفيّاتِهم عَلامةَ خنُوع. يعضّضُ الملكُ خطُومهم ليقولَ إنّهُ السّيدُ وإنّهُ يقبلُ خضُوعَهم. يَهبهُ القَطيعُ أفخرَ الأطعِمةِ التي في حَوزته، ويقدّم له إناثه الأسخن والأكثر ضَوعاً، ويُخصّصُ له الوجارُ الأعمَق حيث يَحتَفلُ بفوزِه.

ولكن ما إنْ يَغلبهُ النُّعاس، مُنهكاً منَ المُتعَة، تَحدُثُ طقُوس غَريبة. يُقدِمُ اثنان أو ثلاثة منْ أولئكَ الفتيانِ الذُّكور الذينَ على الرّغمِ من تَقدِيم الولاءِ لهُ على ذَبحِه وانتزاعِ أحشَائِه. ومن ثمّ، بمُسَاعدَةِ أقدامِهم ومخالبهم يفتَحُون جُمْجُمتهُ بِحرصٍ مثلَ حبّةِ جَوزٍ بضَرباتِ الأسنَان. يقتلِعُونَ مِنها مُخَّه ويوزّعُونَه قِطعاً صَغيرة على جَميعِ أفرادِ القَبيلَةِ. هم يَعتَقدُون على الأرجحِ أنّهم بذلك، من خلالِ الابتِلاعِ، سيَستَفيدُ الجَميعُ قليلاً منْ مُميّزاتِ الحيوانِ المُتفوّقِ الذي نصَّبوهُ مِلكاً عليهم.

ونجدُ الشّيءَ ذاتهُ عندَ البشَر، يستَهوينا أنْ نعيّنَ مُلوكاً علينا لنتلذّذ أكثر بعدَ ذلكَ في تَمزيقِهم إِرْباً إرْباً. لذا توخّوا الحذَر إذا ما عُرِضَ عليكُم عَرشٌ، فلربّما كانَ عرشَ ملكِ الجُرذان.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلّد الثالث.**

171. مُطَارِدَة

تدمير!

تَهجمُ الجنديّاتُ اللادينيّات على المُتديّنات. مُتأخّراً جدّاً تفهَمُ النبيّةُ 23 ما الذي يَحدُث. تَطوفُ فيرومُوناتُ الإنذارِ في الاتّجاهاتِ كافّة وما هيَ إلّا لَحظَات وتَعمُّ الفوضَى.

تتسَاقَطُ الرّبوبيّات في جميعِ أرجاء المكان، مُمدَّداتٍ أرجلهنّ لاتّخاذِ هيئةِ صليبٍ بستّةِ أفرُع ومُطلِقاتٍ في نزْعِهنّ الأخيرِ ضَوعهنَّ الرُّوحيّ:

الأصَابعُ آلهتنا

تُحاولُ المُجتَمِعاتُ على قدْرِ ما يسْتَطِعنَ تنظيمَ أنفُسِهنّ لامتِصاصِ

عُنصُرِ المُباغتة. رشَقاتُ الحمْضِ تنهَمِر، والكيتين يَذُوب. قذَفاتٌ طائِشَة تُسقِطُ سَلَخاتٍ كامِلة من السقف.

تُوقِفُ الرقم 23 بعضَاً من رِفاقِها:

ينبغي إنقاذي.

لم يُولِّدِ الدِّينُ تقديسَ الموتَى فحسب، وإنّما أيضاً أعطَى للكهنةِ أولويّة على غيرهم. تُسارِعُ جُنديّات ربوبيّات إلى التحلّقِ حولَ الرقم 23 ليشكّلن بأجسادهنّ سدّاً بينما تَحفِرُ ثلاثُ عاملاتٍ ضِخامٍ بسرعةٍ كبيرة مَخْرجاً يتيحُ لها الفرار.

الأصابعُ آلهتنا.

يبدأُ بِساطٌ من نُجومٍ خامِدة يَفتَرِشُ الأرض، تجزُّ اللادينيّاتُ رؤوسَهنَّ للحيلُولَةِ دونَ تكريسِ عبادَةِ الشُّهدَاء.

جزُّ الرُّؤوسِ هذا يُبطِئُ الهُجُوم. تَغتَنِمُ النبيَّةُ 23 الفرصَةَ هذه، وبصُحبةِ بِضْع مُتواطِئاتٍ ناجياتٍ من المَجزَرة، تهربُ عبرَ الحُفرة.

تَعْدو الفرقَةُ الصَّغيرةُ في الممرّات، وتعدُو جُنديّات لادينيّات في إثرِها. في هذهِ المُطاردة، تُضحّي ربوبيّات بحياتِهنَّ لحمايةِ نبيّتهنَّ. إنّها المرّة الأولى في التّاريخِ النمليّ التي يُقتلُ فيها هذا القدْرُ من النمالِ للمُحافظَةِ على حياةِ واحِدة منهنّ فقط تفُوقُ الأخريات أهميّةً، حتّى الملِكاتُ لم يُثرنَ قطّ هذا القدْرَ من الحمَاسَة.

الأصابع آلهتنا.

تُطلقُ كلّ جثّةٍ تتجمَّدُ على هيئةِ صَليبٍ صَرخَةَ الموتِ هذه. تسدُّ الجَثامينُ أحياناً الممرَّ بالكامِل، ممّا يضطرُّ المُطارِداتُ إلى قطْعِ أرْجُل الجُثثِ واحدةً تلو أخرى لإعادةِ فتْحِه.

لم يتبقَّ من الربوبيّاتِ سوى عَشْرٍ تقريباً إلّا أنّهنّ يحفَظنَ الأماكِنَ خيراً من الهاجِماتِ ويعرِفنَ أين بالضبطِ يجبُ الانعطِافُ للإفلاتِ منهنّ. فجأة، يعلقنَ: دودة أرضٍ تسدُّ الطّريقَ أمامهنّ. تُشجّعُ الرّقم 23 زميلاتِها المُنهكاتِ الجَريحَات:

اتبعنني.

تنقضُّ النبيّةُ على الدّودَة، أمامَ دهشَةِ مُخلِصاتها، وبضَربةٍ من الفكّين، تحفِرُ ثَلْماً في جانِبها وتحدّدُ الجُرحَ هذا كأنّه فُتْحة في سَطحِ سَفينة. تكمُنُ فِكرتها في استخدَامِ الدُّودةِ الحلقيّةِ هذه بمثابةِ مركبٍ تحتَ أرضيّ. من حُسْنِ الطّالِع الدُّودَة مُفرِطةُ الدَّسامة. تُفلِحُ الفرقةُ بكامِلها في الولُوجِ داخلَ جسَدِها دونَ أنْ تُميتَها.

وبالطّبع، حينَ يُحسُّ الحَيوان بهذا القدْرِ من الحضُورِ الغَريبِ يندَفعُ داخِلَ جسَدِهِ يجمَحُ، ولكن، بما أنَّ ليسَ لديه سوى جِهازٍ عصَبيّ مَحدُودٍ، يَستأنِف طَريقَه مع المُتطفّلينَ الجُدُد.

حينَ وصلَت الرّقم 13 وجُنديّاتها المكان كانَ الأنبوبُ الهائِلُ اللّزج قد بدأ زحفهُ السّريعَ على الجُدرانِ والحَواجِز الداخليّةِ. ليسَ لدى اللادينيّات أيّة وسيلةٍ لمعرفةِ إلى أيّ اتّجاهٍ مضى. أراحَ يتَسلّق؟ أم يَهبِط؟

رائِحةُ الدُّودةِ الحلقيّةِ غير واضِحة بما يكفي لالتقاطِها جيّداً في متاهةِ ممرّاتِ العاصِمةِ النمليّة. إذن، ينزلِقُ الكائِنُ اللّزج بهدُوء آخذاً معهُ الربوبيّات الهاربَات.

172. عندَ مُعلّمِ الفلسَفَة

لم يتَفاجأ معلّمُ الفلسَفةِ من رؤيتِهما يطرُقانِ بابَه. هو نفسهُ بادرَ إلى عَرضِ الإقامَةَ عليهما في مَنزلِه.

سارَعتْ جولي إلى تَحتِ الدُّش وأحسَّت بنشوةِ أنْ تكونَ نظِيفة، تخلّصَت أخيراً من قاذُوراتِ المَجاري وروائِحها المُرعِبة. ألقَت مَلابسَ الملِكةِ الملوّثةِ داخِل كيسِ قمامَةٍ وارتَدت من عندِ المعلّمِ إحدى بَدْلاتهِ الرياضيّة. مِن حُسْنِ الحظّ ألبِسَةُ الرياضَةِ أُحاديّةُ الجِنْس.

بغبطَةٍ وبمُنتَهى النَّظافةِ ارتَمت على أَريكَةِ الصَّالون.

– شكراً سيّدي. أنقذتَنا، قالَ دافيد الذي ارتدَى بدْلَة رياضيّة أيضاً.

قدّمَ لَهما المُعلّم كأساً مع فُستُق، وذهبَ يُعدُّ لهما شيئاً يأكلانِه على العشَاء.

التَهما سندوتشاتٍ صغيرة مِنَ السُّومو وأخرَى مِنَ البيضِ مُتبّلةً بالقبّار.

أثناءَ المائِدَة، أشعَلَ المُعلّم التلفزيون. أتَى الكلامُ عنهم في الخَبرِ الأخيرِ منَ الأخبارِ المَحليّة. رفَعَت جولي الصَّوت. كانَ مارسيل فوجيرار يُجري مُقابلَة مع أحدِ قوّاتِ النّظام والذي راحَ يشرَحُ بأنّ تلك التي تدَّعِي أنّها «ثورة النّمل» ليسَت في الحَقيقةِ سِوى تصرّفاتِ فرقةٍ فوضَويّة، تتَحمَّلُ في جُملةِ ما تتحمَّل مسؤوليّةَ الجراحِ التي جعلَت تلميذَ ثانويّةٍ شابّاً يدخُلُ في غيبُوبة.

ومرَّروا على الشّاشةِ صُورةَ نرسيس.

- نرسِيس في غَيبُوبة! تعجَّبَ دافيد.

رأَت جولي بالطَّبعِ مُصمّم أزياءِ الحشَراتِ يُضرَب من الجُرذانِ السُّود ومن ثمَّ أخذَتهُ سيّارة إسْعافٍ ولكن لم تَتصوَّر أنّه في غيبُوبَة!

- يجبُ أنْ نَزورَهُ في المُستَشفَى، قالَت جولي.

- مِن غيرِ الواردِ على الإطْلَاق، ردَّ دافيد بحَسْم. قد يُلقى القبضُ علينا مُباشَرة.

راحَ التلفزيُون يُقدّمُ بالفعلِ مُلصَقاً إعلانياً يتضمَّنُ صوراً مُكبّرة لمُوسِيقيي فرقة «**النّمل**» الثّمانية. شَعَرا بالارتياحِ لمَعرِفة أنَّ الخمسَةَ الآخرين مثلهما تمكَّنوا من الهربِ. وكذَلكَ إليزابيت.

- حسناً، يا لها منْ قِصَّة يا أولاد! يُستَحسنُ أنْ تمكُثا هنا بعيداً عن الإزعاجِ ريثَما تَهدأ الأحوال.

عرضَ عليهما مُعلّم الفلسَفةِ لبناً رائباً بمثابةِ تَحليةٍ ثمّ نهضَ ليُعدَّ القهوَة.

بلَغت جولي قمّة السُّخط وهم يُظهِرونَ على الشّاشة الخَرابَ الذي أحدَثتهُ «ثورة النمل» في ثانويّةِ فونتينبلو: قاعاتُ الصُّفوفِ مخرّبة، الشَّراشِفُ مُمزقّة، والأثاث مُلقى في النار.

- نَجَحنا في إظهارِ إمكانيّةِ قيامِ ثورة بلا عُنف. يُريدُونَ حِرمَاننا حتّى منْ ذَلك!

- بالطّبع، تدخَّل مُعلّمُ الفلسَفَة. يبدُو لي صَديقكم نرسيس في حالَةٍ مُزريةٍ جدّاً.

- ولكنَّ الجُرذانَ السُّود هم منْ أبرَحُوه ضَرباً. ليسوا أكثرَ مِنْ استفزازيّين! صرَخَت جولي.

- استَطَاعَت ثورتنا رَغم كلّ شيء أنْ تَصمُدَ ستّة أيامٍ بلا عُنف، أضافَ دافيد.

عبسَ المُعلّم، كأنَّ دِفاعَهما لم يَرق لهُ كثيراً. هو الذي لا يُبدِي صَرامةً كبيرةً في عَلامَاتِه، بدَى فجأةً مخذولاً من دفاتِرهم.

- ثمّةَ شَيء غَابَ عَنكم بالكامِل. بلا عُنفٍ، لا شيء مَشْهدِي يُمكنهُ أنْ يستَحوذَ على اهتِمام الإعلام. ثورتُكم أخطَأتِ الهدَفَ ولا سيّما بإرادَتِها أنْ تكونَ بلا عُنف. للتأثير بالحشود، في أيّامِنا، ينبَغي أنْ تمرَّ ضِمنَ أخبارِ السّاعةِ الثامِنةِ مسَاء، ولتمرَّ في أخبارِ الثامنةِ مساء، ينبغي سقوط قتلى، مُصَابو حَوادِث سَير، ضَحَايا انهياراتٍ جليديّة، لا يَهمّ، طالَما هناك دَم. لا نكترثُ إلّا بالخَبرِ السيِّئ والذّي يُخيف، كانَ عليكُم أنْ تَقتلُوا ولو شُرطيّاً بالحدّ الأدنَى. بدَعواكُم إلى اللّاعُنف قضَيتُم بإرادتِكم على أنفسِكم وارتَضيتُم ألّا تكونوا سِوى حفلَةٍ مدرسيّةٍ صَغيرة، حفلُ ثانويّةٍ لنهايةِ العَام، هذا كلّ شيء.

- تَمزَح! استَاءت جولي.

- لا، إنّي واقعيّ. من حُسْنِ الطّالِع أنَّ أولئكَ الفاشيّينَ الصّغار هجموا عليكم، وإلّا كانت ثورَتكم ستَغرقُ في السّخافة. أولَاد منْ عائِلاتٍ مرمُوقةٍ يحتلّون ثانويّة لمُجرّد أنْ يُصمّموا ثياباً على شكلِ فراشَة، ذلك يدفَعُ إلى الضَّحك أكثرَ منَ الإعجَاب. المفرُوض أنْ تشكُرُوهم على إرسالِ صَديقكم إلى الغَيبُوبة. إنْ مات، فسيكون لديكم شَهيد بالحدّ الأدنى!

هل هو جدّي؟ تسَاءلَت جولي. هيَ تعلَمُ منذُ البدَايةِ بأنّ ثَورتها ستَخسرُ باختيارِ اللّاعُنف الكثيرَ منْ قوّتِها ولكن هكذا هي اختارَت أنْ تلعَبَ اللُّعبَة، وفقاً لمبادئ موسُوعة *العلم النسبيّ والمُطلق*. لقد نجَحَ غاندي بثورة لاعنفيّة. فهيَ مُمكنةٌ إذاً.

- فشِلتُم.

- ومع ذلكَ استَطعنا إبرامَ صفقاتٍ تِجاريّة مَتينَة. نَجَحت ثورتنا على المُستَوى الاقتِصاديّ، ذكّرَ دافيد.

- وماذا يَعني؟ لا تكترِثُ الناسُ بذلِكَ على الإطْلَاق. إنْ لم تكنْ هناكَ كامِيرات تلفزيونيّة توثّقُ الحَدَث، فكأنّه لم يكنْ.

- ولكن...، اسْتأنَفَ الشابّ. صَنَعنا مَصيرَنا بيدِنا، ابتكرنا مُجتَمعاً بلا آلِهةٍ أو أسيَاد، مثلما أنتَ نَصَحتنا تماماً.

أنهضَ مُعلّم الفلسَفةِ كتفيه.

- وهنا بالضّبطِ يكمُنُ الخَلَل. حاولتُم وفَشِلتُم. حوّلتم هذا المشرُوعَ إلى مَهزلَة.

- ألَمْ تَرقْ لكَ ثَورتنا إذاً؟ سألَت جولي، مُندَهِشةً من نَبرةِ المُعلّم.

- لا، على الإطلَاق. في الثّورة، كما في كلّ الأشياء، ثمّةَ قواعِد ينبَغي احتِرامُها. إنْ كانَ ينبَغي وضْعُ علَامةٍ لكم، بالكادِ أمنَحكم 4/ 20. أنتُم ثوّار عدِيمُو الأهميّة! وفي المُقابِل، سأمنَحُ الجُرذانَ السُّودَ علَامة مُرتَفِعة 18/ 20.

- لا أفهمُكَ، همسَت جولي، مبهُوتةً.

سحَبَ مُعلّم الفلسَفةِ سِيجاراً من عُلبتِه، أشعَلَه بعنايةٍ وشرَعَ يُدخّنه، مُستَمتِعاً بكلّ نفثةٍ. لاحظَت الشابّة بأنّهُ ينظُرُ باستِمرارٍ إلى السّاعةِ الجداريّةِ للصالُون، عندئذ، فَهِمت. كلُّ هذهِ الخِطَاباتِ الاستِفزازيّة ما مِنْ غايةٍ لها سِوى صَرفِ انتِباهِهما وإبقائِهما في المكان.

قفزَتْ على قدمَيها، ولكنَّ الأوانَ قد فات. إذ تناهَى صوتُ صفّاراتِ حافِلاتِ الشُّرطَة.

- أبلَغتَ عنّا!

- كانَ هذا ضَروريّاً، أعلنَ مُعلّمُ الفلسَفةِ مُتهرّباً من نظراتِهما الاتّهاميّةِ وسَاحباً بلا مبالاةٍ نفساً من سيجارتهِ.

- منَحناكَ ثِقتنا وأنتَ أبلَغتَ عنّا!

- أنا لم أفعل سِوى مُساعدتِكما على العُبورِ إلى المرحلَةِ الثّانية. وهذا في غايةِ الأهميّةِ كما أبلَغتكم. أسعَى إلى تَحسِينِ تَربيتِكم كثوّار. المرحلَةُ القادِمَة: السّجْن. كلّ الثوّارِ عاشُوا هذهِ التّجربَة. لا بدَّ ستكونُون بوصْفِكُم مُضْطَهدين في حالٍ أفضلَ من كونكم طوباويّين لا عُنفيّين. وهذهِ المرَّة، مع بعضِ الحَظّ، ستنالونَ اهتمامَ الصّحفيّين.

شَعرَت جولي بالاشمِئزاز.

- كنتَ تقول مَنْ ليسَ فوضَويّاً في العشرين هو أَحمَق!

- بلى، ولكن أضفْتُ أيضاً، مَنْ يتَجاوز الثلاثينَ ويبقَى فوضَويّاً يكونُ أكثرَ حمَاقَة.

- كنتَ تقولُ أنَّ عُمركَ تِسعاً وعشْرينَ سنةً، أعلَنَ دافيد.

- آسِف، في الأمس، تَحدِيداً، كانَ... عيدُ مِيلَادي.

أمسكَ دافيد الشابّةَ من ذِراعِها.

- ألا ترينِ أنّه يُحاولُ تَضييعَ وقتكِ؟ دعينا لا نَهتمُّ إلّا بالهُروبِ مِنْ هنا. ما زالَت أمامنا فُرصَة لذلك. شكراً بخصُوصِ السَّندوتشاتِ وإلى اللّقاء سيّدي.

اضطَرّ دافيد لدفْعِها نحوَ الدّرج. ينبَغي تجنُّبُ البوّابة، فقد تكونُ الشّرطَة بانتظَارِهما هناكَ في الأسْفل. سَحَب الشابّةَ إلى الطّابقِ الأخير. يَجِبُ العثورُ على كُوّة، والصُّعود إلى السَّطْح، ثمَّ إلى آخر، وآخرِ أيضاً. استَعادَت جولي اسْتِجاباتها لمّا أخذَها باتّجاهِ النّزولِ على طُولِ مِزرابِ الماء. وقَدْ وضعَ عكّازهُ في فمِهِ كي لا يُعيقَه.

راحا يَركُضَان. كان دافيد يَجرُّ رِجلَه بعضَ الشَّيء ولكنَّ عُكّازته سَاعدَتهُ على التنقّلِ بالسُّرعَةِ المطلُوبَة.

كانَ المسَاءُ جمِيلاً وشَوارِعُ فونتينبلو حافِلةً بالمارّة. للحظَةٍ، خافَت جولي أنْ يتعرَّفَ عليهما أَحَد ثمَّ تمنّت، على العكسِ، بأنْ يظْهَرَ مُعجبٌ ويُساعِدُهما. ولكن لا أحدَ تعرَّفَ عليها. الثّورةُ خمَدَت، وما عَادَت جولي مَلِكة.

كانَتِ الشُّرطَة في إثْرهما وجولي قد ضَجِرت. أصَابَها السَّأم؛ شُحُومُ رِدْفيها وبطنِها التي رَبيت مُؤخّراً لم تَعُد كافيةً لمنْحِها الطّاقةَ الضّرُوريّة لتركُضَ بسُرعة.

أخذت أضواءُ متجرٍ كبير تُومِضُ على مقرُبَةٍ منهما وتذكّرت جولي بأنّ *الموسُوعَة* تنصَحُ المرء أن يَظلَّ مُتأهباً لجَميعِ العلَامات. تُشيرُ لافتة كهربائيّة: «ستَجدُونَ هنا كلَّ ما تحتاجُونه».

- لندخُل، قالَت.

كانتِ الشُّرطَةُ وراءَهُما غيرَ أنَّ الحَشْد في الدّاخِل ابتلعهما.

تغلغَلَ دافيد وجولي في الممرّاتِ بينَ الرّفُوف، تَواريَا خلفَ صفوفٍ من المكانِسِ الكهربائيّة والغسَّالات ووصَلَا إلى جناحِ الألبسَةِ الشبابيّة

حيثُ ثبتا بين مُجسّماتِ المانِكان الشّمعيّة. المُحاكَاة، أوّلُ دِفاعٍ سلبيّ لدَى الحشَرَات...

رأيا رجالَ شُرطةٍ يعطُونَ تعليماتٍ لرجالِ أَمْنِ المَحلّ وقبلَ أن يغيبوا عن مجالِ بصَرِهما مرّوا من جوارهما دونَ أنْ يُلاحظُوهُما.

- والآن أين الذَّهاب؟

في رُكنِ الألعَاب، كانَ بانتِظَارِهِما خيمة تيبي منَ النّايلُون الورديّ الزّاهي. اندسَّت جولي ودافيد مختَبئينِ في داخلِها، راكما فوقَهُما الألعابَ وانتظرا الصَّمتَ يُخيّمُ حولَهُما ليهجعَا إلى النّوم، مُنكَمِشَين وخائفين مثل جروي ثعلَبٍ.

173. جَوْف مُظلِم

تُسافِرُ النّمالُ الربوبيّاتُ في العتمَةِ النّتنَة والمُخاطيّة لأحشَاءِ دُودةِ الأرض. تُحيطُ بهنَّ الأحشَاءُ الخافقةُ التي تُشعرهنَّ رائِحتها بالقرفِ ولكن يعلمنَ بأنّ الموتَ الأكيدَ يتربَّصُ في الخَارِج.

في الجَوْف، يفهمنَ كيفَ تَدفعُ الدّودةُ الحلقيّةُ نفسَها. تبتَلِعُ التّرابَ بفمِها، وتَجعلُهُ يعبرُ جسَدَها عبرَ جهازِها الهضميّ، ثمّ تلفظُهُ مباشرةً تقريباً بواسِطَة فُتْحةِ شَرجِها. الدُّودَة هي مِثلُ مُفاعِلٍ يَمتصُّ التّرابَ ويَطرُدُه.

تَحيدُ النّمالُ لتسمَحَ بمرورِ كُريّاتِ الطّين. في الخَارجِ، تنفُخُ الدّودَةُ الأرضيَّةُ رأسَها ثمّ تدفَعُ الانتفاخَ حتّى ذَنَبها ممّا يُزيدُ سُرعتَها. وعلى هذا النّحوِ تعبرُ بيل-أو-كان-الجديدة محشوّةً بالمُتديّنات.

في واقعِ الأمرِ أبرَمَت ديدانُ الأرضِ اتّفاقات ودّيةٍ مع النّمالِ. تقضِي بألّا تأكل النّمالُ منها إلّا النّزْر اليسير وتسمَحُ لها بالتَّجوالِ في مدينتها وتَعتَني بطَعامِها، وفي المُقابل، تشقُّ لهنّ الديدان دهاليز ممّا يُسهِّلُ على العامِلاتِ لاحِقاً تَدعِيمَها. ومع ذلك، لا تشعرُ الربوبيّاتُ بالطّمأنينةِ داخِلَ هذا الوسَطِ المُخاطيّ.

أينَ نذهبُ؟ سألَت إحداهنَّ النبيّة.

تقولُ الرقم 23 بأنّهنَّ بحاجةِ الآن إلى مُعجِزةٍ تنقذهنّ. وتُصلّي لتتدخّلَ الآلهةُ لصَالِحهنّ.

ينتَهي المطَافُ بالدّودةِ خارجَ القبّةِ ولكن ما تكادُ تُظهِرُ طرفَ رأسها خارجَ المدينةِ حتّى ينقضَّ عليها قُرْقف ويتلقّفها، دونَ أنْ يعلمَ بأنّها مأهولةٌ بكائِناتٍ نمليّة.

ما الذي يحصُل؟ سألَتْ نملَة، وقد أحسّت في جِهازِها الأذنيّ بأنهنَّ يرتفعنَ.

أظنُّ بأنَّ الآلهَةَ استَجابَتْ لنا هذه المرّة. يدعونَنا إلى عالَمِهم، أعلَنَتْ النبيّة 23 بنبرةٍ وعظيّةٍ وهي تنزلقُ مع رفيقاتِها جميعاً داخِلَ معدَةِ عصفُورِ القُرقفِ الذي يَعلُو فوقَ الغيوم.

174. موسوعة

تفسيرُ الدينِ في اليوكاتان: في المكسيك، في قريةٍ هنديّةٍ تُدعَى تشيكوماك في مِنطَقَةِ يوكاتان، نَجِدُ لدَى السكّان طريقَةً غريبةً في مُمارسَةِ شَعائِرهم الدّينيّة. لقد تمَّ تَحويلهم قسراً إلى الكاثوليكيّة منْ قبلِ الإسبان في القرنِ السادسِ عشر. لكنَّ مُبشري المراحِل الأولى ماتوا، وبما أنَّ هذهِ المِنطقةَ معزُولةٌ عن بقيّةِ العالَم، لم يتعَهدَها كهنَة جُدُد. ومع ذلك بقيَ سكّانُ تشيكوماك، على مدارِ ثلاثةِ قرونٍ تقريباً، محافظينَ على الطّقوسِ الكاثوليكيّة، ولكن، بما أنّهم لا يعرفونَ القراءةَ والكتابة، فقد نقلوا الصَّلواتِ والطّقوسِ بالتقاليدِ الشفويّة. بعدَ الثورة، عندما أعادَت السّلطَةُ المكسيكيّةُ الاستقرار، قرّرتِ الحكومَةُ نشرَ المُحافظينَ في كلّ مكانٍ لإنشاءِ إدارةٍ تُسيطرُ فعليّاً على البلاد. وبذلكَ أرسِلَ واحدٌ منهم إلى تشيكوماك سنة 1925. حضَرَ المُحافِظُ القدّاس وأدرَكَ أنّهُ من خلالِ التقاليدِ الشّفوية، تمكّنَ السكّانُ من حفظِ الأغاني اللاتينيّةِ بشكلٍ شبهِ مُتقَن. ولكنَّ الزّمنَ تسبّبَ بانحرافٍ بسيط. فقد لجأ سكّانُ تشيكوماك للاستِعاضَةِ عن الكاهنِ والقسّين إلى ثلاثةِ قرود. وبما أنَّ هذا التقليدَ المُتمثّلَ في القرودِ دامَ على مرّ العصُور، أصبَحوا هُم الكاثوليكيّين الوحيدِينَ الذين يبجّلونَ في كلّ قدّاسٍ... ثلاثةَ قرُود.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

175. المَتجَرُ الكبير

- ماما، يُوجَدُ أشخَاصٌ داخِلَ كوخِ الهُنود!

كان هناكَ طفلٌ يُشيرُ إليهما بإصْبَعه.

لم يتسنَّ لجولي ودافيد الوقت للاستِغرابِ منْ استيقاظِهما في بذْلاتٍ رياضِيّةٍ داخِل خَيمةٍ تيبي زاهية، غادراها قبلَ أنْ يفكّرَ أحد بتبليغِ جهازِ الأمن.

المتجَرُ منذُ الصَّباح مُكتظّ بالزّبائِن.

جِبال منْ موادّ غذائيّة مُتعدّدِةِ الألوان كانت مُنتَشرة كما داخِل مغارَةِ علي بابا العِملَاقة.

زبائِنُ مُستعجلون راحوا يدفعون عرباتهم وهم يتابِعونَ باللاوعي إيقاعَ الموسِيقى المُنبَعثة من مُكبّرات الصّوت: مقطوعةُ «الرّبيع» لفيفالدي، مُسرّعة لتدفعَ المُستهلِكين إلى التّعجيلِ في انتقاءِ مُشترياتهم.

كلّ شيءٍ مَحْضُ إيقاع. المُسيطرونَ على الإيقاعاتِ يُسيطِرونَ على ضَرباتِ القلُوب.

لفتَت بَصرهُما لُصاقاتٌ حمراءُ: «عُروضٌ مُغرية»، «أسعار مُخفّضة» أو «القِطعَتانِ بسعرِ قِطْعة». بما يَخصُّ مُعظَم الزبائن، تبدُو هذهِ الكميّات منَ الطّعَامِ المُمتدّ، أكثرَ من المطلُوب، وأشدَّ كُفراً منْ أن تَدُوم. هم متأكّدون، حسَبَ مُطَالعاتِ الصّحُف، بأنّهم يعيشُونَ عصراً وسيطاً بين أزمَتين وبأنَّ من الضّروريّ انتِهازُ الفُرصَة.

وعلى نَحوٍ مُتناقِض، كلّما اسْتقرَّ السّلامُ في الغربِ أكثَر ازدادَ انبهارُ الناسِ أمام الطعامِ وخافوا بأن يُحرَمُوا منهُ.

تَمتدُّ الموادُ الغذائيّةُ على مدّ النَّظر في جَميعِ الاتّجاهاتِ أفقيّاً وعَمُودياً. مُعلّبات الأغذيَةِ المحفُوظَة، المُجمّدة، المُفرّغةِ منَ الهواء، المُجفّفةِ بالتّجميد. أغذيَة نباتيّة، حيوانيّة، كيميائيّة ابتدَعتها مُخيّلةُ مُهندسِي التّصنيعِ الزّراعيّ.

في جَناحِ البسكويت، كانَ بَعضُ الأطفالِ يأخذونَ عُلباً عن الرّفُوفِ مُباشَرةً يلتَهِمونَها ثمّ يُلقونَها أرضاً.

بما أنَّ دافيد وجولي لا يَحمِلانِ المال، فعلا الشّيء ذاتهُ. والأطفالُ الذين

أسرَّهُم رؤية راشدَينِ يتَصرّفان على غِرارهم قدّموا لهما سكاكِر: بالسّوس، بالكراميل الطريّ، حَلْوى الخطْميّ، مارشميلو، عُلُوك. ابتِلاعُ السَّكاكر على الفُطُورِ يُثيرُ بعضَ الاشمئزاز، لكنَّ جوعَ الهارِبَينِ أكبرُ منَ التأفّف.

بعدَ أنْ تناوَلت جولي ودافيد الطّعام بهذِهِ الطّريقَة، اتّجَها دونَ لَفتِ النَّظَرِ نَحو المَخرجِ، مِن أجلِ المُرُورِ من البوّابةِ الصّغيرة «الخُروج دونَ مُشترِيات». ترصُدُ المكانَ كامِيرتَا فيديو.

أخذَ مُوظَّفُ أمنٍ يتبَعُها فاقترَحَ دافيد على جولي بأنْ يُسرِعا قليلاً.

الخلفيّةُ الموسيقيّةُ الدّائِرةُ في تلكَ اللّحظةِ «Stairway to Heaven» لـ (ليد زِبلين). مِيزةُ المقطُوعَةِ هذه أنّها تُقلِعُ ببُطءٍ ثمَّ تتسَارعُ إلى أنْ تصِلَ الذُّرْوةَ القُصوى، تماماً كما ينبَغي أنْ يتصرَّفَ زبائنُ المتْجَر.

راحَت خَطَواتُ تلمِيذَي الثانويّة تتسَارعُ مع المُوسِيقى. وخَطَواتُ مُوظّفِ الأمنِ الذي يتبَعُهما أيضاً. لم يَعُد هناكَ شكٌّ، كانَ يُلاحِقُهما. إمّا أنّه لاحظَ عبرَ كاميراتِ الفيديُو أنّهما أتْخَما نفسيهِمَا مَجّاناً بقطَعِ البسكويت، أو تعرَّفَ عليهما من خلالِ الصُّورِ الشخصيّةِ المنشُورةِ بالصُّحف.

زادَت جولي السُّرعَة، (ليد زِبلين) فعلَ الشّيءَ ذاتَهُ.

بدَت البوّابةُ الصَّغيرةُ «الخُروج دونَ مُشتريّات» مُمكِنة المنَال. شَرعَا يَعدُوان. يعلَمُ دافيد أنّه لا يَجُوزُ الرَّكضُ أبداً أمامَ شُرطيّ أو كلبٍ ولكنَّ خوفَهُ تغلَّبَ عليه. عِندَ أوائِلِ خطَواتِهِ الواسِعة سحَبَ موظّفُ الأمنِ صُفّارة وأطلَقَ إنذاراً حادّاً اخترقَ طَبلاتِ آذانِ الزّبائن حوله. أكثرُ منْ بائِعٍ تركَ عملَهُ واتّجهَ نَحوَ المشبُوهَين.

ينبَغي الهُروبُ مُجدّداً، وبسُرعَة.

حشَدَت جولي ودافيد زَخمهما لاجتيازِ حاجِزٍ منْ أميناتِ الصُّندوق والوصُولِ إلى الشّارع. عَرَجُ دافيد أخذَ يقلُّ تدريجيّاً. ثمّةَ أوقات يَغدُو بِها التِهابُ المفَاصِل الرُّوماتيزميّ تَرفاً لا يُجيزهُ المرءُ لنفسِهِ.

ومَع ذلك، لم يُقلِع مُوظّفو المتْجَرِ عنْ فِكرةِ اللَّحاقِ بِهما. لا بدَّ أنّهم مُعتادُونَ على طِرادِ اللّصُوص. لا بدّ أنّ ذلكَ يُسلِي عنهم بعضاً مِنْ رتَابةِ حياتِهم اليوميّة.

كانَت تركُضُ وراءَهما بائِعة بدِينة ملوّحةً بعبوة غازٍ مُسيّلٍ للدُمُوع، وعامِل مُستودَعٍ يطوّحُ في الهواءِ بقضيبٍ حدِيديّ بينما يَجأرُ أحدُ موظّفي الأمن: «أوقِفُوهُما، أوقِفُوهُما!».

أخذَ دافيد وجولي يَركُضانِ إلى أنْ وصَلا إلى شارِعٍ مسدُود. لقد وقَعا في الفخّ. عمّا قريب سيَقبِضُ بائِعو المتْجرِ عليهما. عندئِذٍ ظَهرت سيّارة، دفَعَت البائِعينَ والمُتفرّجينَ الفضُوليّين الذين تَجمْهَروا ليَشهَدوا صَيحَةَ القنْص. فُتِحَ بابُ السيَّارةِ بسُرعةٍ فائقة.

- اصْعَدا بسُرعَة! أمرَت امرأة تُخفِي وجهها بوشَاحٍ ونظَّاراتٍ شَمسيّة كبيرة.

176. زَمَنُ العَهدِ

أُبيدَت جَميعُ الربوبيّات. لم يتبقّ سِوى طَوطَمهنّ الأبيض، تلكَ اليافِطَةُ التي تعبُدُها النّملاتُ المُتديّنات.

تطلُبُ الأميرَةُ 103 من مُهندسَات النارِ إخفاءَها عن وجْهِ البسِيطَة. يُكدّسنَ أوراقاً جافّة تحتَها وبأقصى حذَرٍ مُمكن يدنينَ منها جَمرةً مُتوهّجة. ومُباشرةً، تحترِقُ اليافِطَة آخذةً معها سِرّها. مع أنّه لو عرَفنَ قراءةَ الأحرُفِ المكتوبَة لفَهِمنَ معنى الكلِمات: «انتباه: مَخاطِر حَريق. يُمنَعُ رمي أعقَابِ السّجائر».

نظَرَ النّمالُ إلى التُّحفةِ الإصبعيّةِ وهي تتبدَّدُ دُخاناً. تشعُرُ الأميرةُ 103 بالطّمأنينَة. لقد اسْتَحالَ الطوطَم الأبيضُ الضَّخمُ رماداً، وسقَطَ معه رَمز أساسيٌّ من رُمُوز الربوبيّة.

تعلَمُ بأنَّ النبيّةَ 23 نجحَتْ بالإفلاتِ من فرقَةِ الرّقم 13، ولكنَّ الأميرة 103 غير قلِقة. لم يعُدْ نُفوذُ الكاهنةِ بالحجمِ الذي يُثيرُ لها المتاعِب. ولن يكونَ أمامَ الفلُولِ المتبقيَةِ من مُريديها غيرُ الخُضُوع.

ينضمُّ الرقم 24 إليها.

لماذا ينبَغي على المرءِ وضْعُ نفسهِ بشكلٍ جذريّ بين «الإيمان» وعدَمِ «الإيمان»؟ من الحُمْقِ تجاهلُ الأصَابع ومِنَ الحُمْق بالدرجةِ ذاتها العِنادُ على عبادَتهم.

المَوقفُ الذكيُّ الأوحَد حِيالَ **الأصَابع**، حسْبَ الأميرةِ 103، هو: «الحِوار» و «مُحاولَة الفهمِ المُتبادل لإثراء الطّرفين معاً».

يومِئُ الرّقم 24 بقرنيهِ موافقاً.

صعَدت الأميرةُ مُجدّداً إلى قِمّةِ القبّة، مُنشغلةً بهمُوم مدينةٍ جديدَة آخذة بالتوسّع. خلا ذلك، لديها مشكلات فيزيولوجيّة. كما جميعُ ذوي الجنس، بدأ ينبُتُ لها جناحَان في ظَهرها، ومن تَحتِ الوسْمِ المُتعلّقِ بطلَاءِ الأظافرِ الأصْفَر، يخترقُ جبينها مُثلّث من عيونٍ ثلاث يُشبهُ ثلاثةَ ثآليل لاستِقبالِ الأشعّةِ تحت الحمرَاء.

بيل-أو-كان-الجَدِيدَةُ تتوسّعُ دونَ توقّف. وبما أنّ الأفران العَالية قد تسبَّبت بعدّة حرائِق، يُقرّرُ الإبقاءُ على واحِد فقط داخِلَ العاصِمة ووضْع الأفرانِ الأخرى في مُدنِ الضَّواحِي. في مُجتَمع آخر يُطلقُ على هذا الإجرَاء اللّامركزيّة الصِّناعيّة.

اتّضَحَ بأنَّ تعلُّمَ هزيمةِ الظُلمَةِ هي الابتكَارُ الأساسيّ. فمنَ الآن وصَاعداً، لم يَعُد بردُ المسَاءِ يُصيبُ النّمالَ بتيبّسِ المفاصِل وباتَ بإمكانهنَّ بفضْلِ الفوانيسِ العمَلُ أربعاً وعشرين ساعَة على أربعٍ وعشرينَ ساعة دونَ أدنى قسطٍ من الراحةِ.

تؤكّدُ الأميرةُ 103 بأنَّ **الأصَابع** يستخدِمُونَ المعادنَ التي يجدُونَها في الطبيعة والتي تُتيحُ لهم، بعدَ أنْ تُصْهَر، تصْنِيع أغراضٍ صُلْبة. يجِبُ البحثُ عنها. تُمشّطُ المُستطلِعاتُ الأراضي جميعها ليجلبنَ الأحجَار الأشدّ غرابة، وتلقي بها المُهندسَاتُ بالنارِ ولكن لا ينجحنَ باستِخلَاصِ المعَادن.

يُتابعُ الرّقم 24 عملَهُ بالسَّاغا الرّوائيّة، ***الأصَابع***، بابتِكارِ مشَاهدَ تتَصَارعُ فيها هذه الحيواناتُ أو تتكاثر. وعندما يحتاجُ إلى تفاصِيل مُحدّدة، يوثّقها من الرّقم 103، أو يلجأ إلى مُخيّلته. فهي بالنّهايةِ ليسَتْ أكثرَ من رواية...

في الوقتِ ذاته، تُديرُ الرّقم 7 القِسمَ الفنّي. لم يَعد في المدينةِ نملَة لم ترسم على صَدرِها زخرَفة نوّارة هندباء أو حَريق أو زهرَة زعفرَان.

ولكن تبقَى هناكَ مُشكِلة. صحيح أنَّ الرّقم 103 والرقم 24 هما افتراضيّاً مِلكةُ ومَلِكُ بيل-أو-كان-الجديدة، ولكن هذا لا يَجعَلُ منهما الحَاكِمينِ

الفِعليَّين. ليسَ لديهما سُلالة. لا شكَّ بأنَّ التقنيّة، الفنّ، استراتيجيّة الحربِ الليليّة، اسْتِئصَال الدّين، زوّدهُما بهالةٍ تتَجاوزُ كثيراً هالَةَ الملُوكِ العاديّينَ ولكنّ عُقمهما بدأ يُثيرُ الثَّرثَرة. فحتّى وإنْ اسْتُجلِبَت يَد عامِلة غَريبة للتَعويضِ عن الأزمَةِ الدّيمُغرافيّة، فإنَّ الحشَرات لا تَشعُرُ بارتياحٍ في مدِينةٍ جيناتُها غير مُتَوارثة.

لا يخفَى ذلكَ على الأميرِ 24 والأميرةِ 103، ومِنْ أجلِ صَرفِ النَّظرِ عنْ هذا النَّقصِ أيضاً يُشجّعان بسرورٍ كبيرِ الفنَّ والعِلم.

177. فيرومُون حولَ العلمِ الحيوانيّ: طِبّ

سيّالةُ اللّعاب: الرقم 10.

*طِبّ: نسِيَ **الأصابعُ** محاسِنَ الطّبيعة.*

نسوا بأنَّ ثمّةَ عِلاجَات طَبيعيّة لمُسبّباتِ أمرَاضِهم.

وبالتّالي، اخترَعوا عِلْماً اصْطِناعيّاً يدعُونَهُ «الطِّبّ».

يحصُلُ ذلكَ بحقنِ مئاتِ الفئران بمرضٍ ثمّ إعطَاء كلّ فأرةٍ مادّةً كيميائيّة مُختَلِفة.

*إنْ وجِدَ منها من شَعرَ بالتّحسّنِ تُعطَى المادّةُ الكيميائيّة ذاتها **للأصَابع**.*

178. طَوقُ النّجاة

فُتِحَ بابُ السيّارةِ واسِعاً بينما جمهرةُ المتْجرِ آخذةٌ بالاقتراب. ما عادَ مِن خِيارٍ أمامهما. المجهُولُ أفضَلُ من أنْ يُلقي قِسمُ أمنِ المتْجَرِ القبضَ عليهما والذي سيسلّمهُما على الأرجَحِ إلى شُرطةِ البلديّة.

المرأة ذاتُ الوجهِ المُستَتِر ضغَطَت دوّاسَةَ السُّرعة.

– من أنتِ؟ سألَت جولي.

أبطأَتِ السّائِقة، ونزَعَت نظّارتها السّوداء كاشِفةً عن ملامِحها في المرآةِ الأماميّة، ارتدّت جولي إلى الخَلف.

أمّها.

أرادَتِ النّزولَ منَ السيّارةِ وهي مُنطلِقة، ولكنَّ دافيد أمْسَكها بحزمٍ على مِقعدِها. تظلُّ العائِلَةُ أهونُ منَ الشُّرطَة.

- ماذا تفعلينَ هنا، ماما؟ تذمَّرت.

- كنتُ أبحَثُ عنكِ. لم ترجِعي إلى البيتِ منذُ عدّة أيّام. اتّصلتُ بالمُحافظَةِ بقِسمِ المفقُودِينَ لصَالحِ الأسَر، أجابوني بأنّهُ بعدَ تَجاوزِ عمرِ الثامِنة عشرة، أنتِ راشِدة وحرّة بالنوم حيثما تشَائين. في اللّيالي الأولَى على غيابِكِ، قلتُ لنفسِي، ما إنْ تَعُودي، سأجعلُكِ تدفعينَ غالياً ثمنَ هرُوبكِ وكلّ القلقِ الذي سببّتِه لي. ومن ثمّ، وصلَتني أخباركِ من الصُّحفِ والتلفزيون.

زادَتِ السُّرعَة مُجدّداً وكادت تُلحِق أذيّةً ببعضِ المارّة.

- فكّرتُ حِينها بأنّكِ أسوأُ ممّا ظنَنت. ثمّ، فكّرت. إذا تَصرّفتِ بهذا القدْرِ من العُنفِ نَحوي، فلا بدَّ لأنّني أخطأتُ في مكانٍ ما. كانَ يجِبُ أنْ أقدّركِ ككائنٍ بَشريّ مُكتَملٍ بحدّ ذاتِهِ وليسَ لأنّكِ «ابنَتي»، وككائِنٍ مُستقلّ كنتِ ستُصبِحينَ بلا شكّ صَديقة. ومِن ثمّ... إنّي أجدكِ بمُنتَهى اللُّطفِ وحتّى ثورتكِ تُعجِبُني. فإذن، بما أنّني فشِلتُ بوصْفِي أمّاً، سأحَاولُ النَّجاحَ بوصْفي صَديقة. لهذا السَّببِ بَحثتُ عنكِ ولهذا السّببِ أنا هنا.

لم تكنْ جولي تُصدّقُ أذنيها.

- كيف عثرتِ عليّ؟

- حين سَمعتُ بالراديو منذُ قليلٍ أنّكِ هارِبة في الحيّ الغَربيّ للمدينَة، قلتُ لنفسِي بأنّه أخيراً في مُتناولي فُرصَة للتكفيرِ عنْ ذَنبي. اندَفعتُ لتمشيطِ المِنطَقةِ وأنا أتضرَّعُ أنْ أجدكِ قبلَ الشّرطة. واسْتَجابَ الله لصلَواتي...

ارتَسمَت سَريعاً شارَة دِينيّة.

- أتستَطِيعينَ أنْ تُخفِينا في البيتِ؟ سألَت جولي.

وصَلُوا أمامَ حاجِز. بِئسَ الأمر، تُريدُ الشّرطَةُ مُحاصَرتَهم.

- اسْتَديري وعُودي، نصَحَ دافيد.

ولكنَّ سُرعةَ الأمّ كبيرة. فآثرت زيادَةَ السُّرعةِ واختراقِ الحاجِزِ لتمرَّ. قفزَ الشُّرطيّونَ بحيويّةٍ إلى الخلفِ لتجنُّبِ السُّرعةِ الجُنونيّة.

مِنْ جَدِيد، أخذَت الصفّاراتُ تُدوّي خلفَهم.

- إنّهُم في إثرِنا، قالَتِ الأمّ، ولا بدّ أنّهم أخذُوا رقَم لوحَةِ السيّارة. يعرِفُونَ أنّني أنا مَنْ جاءَ لنجدَتِكما. وبعدَ دقيقَتينِ ستكونُ الشّرطةُ في المنزِل.

ولَجتِ الأمُّ طَريقاً مَمنُوعاً عكسَ السّير. انْحَرفَتِ السيّارة وانعطَفت بغتَةً في طَريقٍ مُتقاطِعٍ، أوقفَتِ المُحرّكَ وانتظَرت مُرُورَ سيّاراتِ الشُّرطَة لتُقفلَ عائدةً في طَرِيقِها.

- ما عدتُ أستطيعُ إخفاءَكما عندي. يَجبُ أنْ تَختَبِئا في مكانٍ لا تَعثرُ فيهِ الشُّرطَة عليكما.

اختارتِ الأمّ اتّجاهاً مُحدّداً. الغَرب. هيئَة خضرَاء، هيئَة خضرَاء أخرَى. أشجارٌ تَصطفُّ كما جيشٌ يزداد تضخّماً كلّما تقدّمُوا نَحوَه.

الغابَة.

- كانَ أبوكِ يقول إنهُ إذا وقعَ يوماً في ورطَةٍ كبيرةٍ فإلى هنا سيأتي. كانَ يؤكّد: «الأشجَارُ تَحمي منْ يطلُبُ منها ذلك بتهذِيب». لا أعلَمُ إذا أُتيحَ لكِ جولي أنْ تُدركِي بأنَّ أباكِ كانَ رَجُلاً رائِعاً.

توقّفت وقدَّمت إلى ابنتِها ورقةً من فِئةِ خمسمائةَ فرنكٍ لئلّا تترُكها دونَ مال.

هزّت جولي رأسَها.

- ليسَ للمَالِ نفع كبيرٌ في الغابَة. سأطلِعُكِ على أخباري أوّلَ ما أستَطِيع.

نَزلوا من السيّارةِ وأومأت لَهما الأمّ باليدِ إيماءَة صَغيرَة.

- لا داعِي لذلك. عيشِي حياتَك. مُكافأتي أنْ أعلَمَ أنّكِ حرّة.

وجَدَت جولي نفسَها عاجِزةً عنِ الكلَام. إلقاءُ الشَّتائِم أو المُسارَعة بأجوبةٍ حادّة كانَ أسْهلَ عليها مِنَ الإجابةِ على هذا النَّوعِ منَ الكلِمات. تبادلَتِ المرأتانِ القبلَ وتَعانقتا بحرَارة.

- ودَاعاً، جُوليتي!

- ماما، شَيء آخر...

- ماذا ابنتي؟

- شكراً.

متكئةً على سيّارتها، أخذَتِ المرأة تُراقِبُ الفتاةَ والفتَى يَختفيانِ بينَ الأشجار؛ ثمّ جلَست وراءَ المِقوَد وأقلَعَت.

اختفَتْ السيّارةُ عندَ خطّ الأفق.

غاصا في الظُّلُماتِ النباتيّةِ. شعرَ دافيد وجولي بأنَّ الأشجَارَ قبلتْهُما لاجِئين: ربّما هذه إحدَى الاسْتراتيجيّاتِ الشَّامِلةِ للغَابة. يكمنُ أسلُوبها في صِراعِ الصّنفِ البشريّ باحتِضانِ المنبُوذينَ منه.

للهُروبِ منْ مُطَارِدينَ مُحتَملين، اختارَ الشّابُّ بشكلٍ مُنتَظَمٍ الدّروبَ التي لا صُوَى لها. اجتذبَت انتباهَ جولي نملَةٌ طائِرة بدَت أنَّها تُلاحِقهُما مُنذ فترةٍ طويلَة. لبثَت في مكانِها وحلّقت الحشَرةُ للوهلَةِ الأولَى فوقَ رأسِها ثمَّ طافَت مُسْرِعةً حَولَها.

- دافيد، أظنُّ بأنَّ هذهِ النَّملةَ الطّائرة تَهتمُّ لأمرِنا.

- أتظنّينَ بأنَّ هذا الحيَوان منْ الصّنفِ نفْسِه الذي رأيناهُ في المَجَاري؟

- سنتَحقَّقُ منْ ذلِك.

مدّتِ الشَّابةُ يدَها براحَةٍ مفتُوحَة، مُباعِدةً قليلاً بينَ أصَابِعها لتشكّلَ مَدْرج هبُوطٍ للنملَةِ الطّائرة. أتت على مَهلٍ تَحطُّ عليها ثمّ تنزّهت فوقَها قليلاً.

- تُريدُ أنْ تكتُبَ، مثلَ تِلك!

تناولَت جولي ثمرةَ عِنّابٍ من الأَجمة، سَحقتها قليلاً، ومُباشرة غمسَت بِها الحشَرةُ فكّيها.

«اتْبَعاني».

- إمّا أنّها هي نفسُها وقد نَجَحت بإخراجِ نفسِها منَ الضّفدَعة، أو أختُها التّوأم، قالَ دافيد.

تأمّلا الحشَرةَ التي بدَت تنتَظِرهما مثلَ سيّارةِ أُجرَة.

- لا شكّ، كانَت تُريدُ أنْ تُرشِدنا في المَجارِي، والآن تُريدُ تَوجيهنا في الغَابة! صَاحَت جولي.

- ماذا نَفعَل؟ سأل دافيد.

- في الدّرْك الذي بلغناهُ...

طارَت الحشَرةُ أمامَهما تَقودُهما نَحوَ الجَنوبِ الغَربيّ. مرّوا بينَ مُختَلفِ أصْنَافِ الأشجارِ الغَريبَة، أشجارُ زان بأغصَانٍ مُمتدّةٍ على شكل مِظلّات، أشجَارُ حَورٍ راجِف بلحائِها الأصفر المُخطّطِ بصُدوعٍ سَوداء، أشجارُ دردار تنبَعِثُ من أوراقِها رائِحةُ المانيتول.

بما أنَّ الليلَ آخِذٌ بالهبوطِ، أتت لَحظَةٌ وغابَت عنْ بصَرهما.

- في الظُّلمةِ لنْ نَستَطيعَ اللّحَاقَ بها.

مباشَرة، ظهَرَت أمامَهُما ومضَة وبارِق صَغير. «أشعلَت» النّملةُ الطّائرةُ للتوّ عينَها اليُمنَى، مثلَ المِصباحِ العُلويّ للسيّارة.

- كنتُ أعتَقدُ أنَّ اليراعَات هي الحشَراتُ الوحيدَةُ القادِرةُ على أنْ تُضِيء، علّقت جولي.

- مممم... أتعلَمينَ، بدأتُ أفكّرُ بأنّ صديقتَنا ليسَت نملَة حقيقيّة. ما مِنْ نملَةٍ تكتُبُ بالفرنسيّةِ أو تُضيءُ عينيها:

- فإذن؟

- إذن، يُمكنُ أنْ تكونَ روبوتاً صَغيراً على شكلِ نملةٍ طائِرة مُوجّهاً عنْ بُعد. رأيتُ تحقيقاً صحَفيّاً في التلفزيون عن آلاتٍ منْ هذا القَبيل. اسْتَعرضَ نِمالاً روبوتات صنَّعتها وكالةُ ناسَا لغزو كوكبِ المرّيخ. ولكنّها كانَت أضخَم. لم يَصِل أحدٌ بعد إلى هذا المُستَوى من تَصغيرِ الحَجم، أكّد دافيد.

تعَالت نُباحَات غاضِبة خلفَهما. لقد بدَأ التّمشِيطُ والشُّرطَة أفلَتت كِلابَها.

اندفعا بالسُّرعَةِ القُصوى لسِيقانِهما. أخذَت النّملَةُ الطّائرةُ تُضِيءُ لهما بشُعاعِها ولكنَّ الكِلابَ كانت تَعدُو أسرَع مِنهُما، لم يكنْ أمامَ دافيد، مع رجلِهِ العرجَاء، حُظُوظٌ كثيرة. تَسلّقا مُنحدَراً والذي مِنهُ جاهَدَ دافيد بمُساعدةِ عكّازه في إبقاءِ المُتوحّشينَ على مسَافة، المتوحّشينَ الذينَ يَقفِزونَ لغَرزِ أنيابِهم والتِقاطِ النّملةِ الطّائرةِ أيضاً التي كانت تُضيءُ هذا المشْهَد الذي يَبعثُ على الأَسَى.

- دعنا نَفتَرق، قالَت جولي. ربّما بهذِهِ الطّريقَة، ينجُو واحِد منّا على الأقلّ!

دونَ أنْ تنتَظِرَ الجَواب، مضَت قافزة فوقَ دَغل. وفي إثْرها انْطلَقَ قَطِيعُ كِلابِ الدّرْواسِ[1] بأكملِهِ، ينبَحُونَ، والزَّبدُ يتطَايرُ منْ أفواهِهم مُصمّمينَ على تَمزيقِ الشابّةِ إرْباً إرْباً.

1- الكبير الرأس من الكلاب.

179. موسُوعة

سِباقُ المَسافاتِ الطّويلة: عندما يتسابقُ الكلبُ السّلوقيُّ والإنسانُ، يَصِلُ الكلبُ أولاً. بالمُقارنةِ مع الإنسان، يتمتّعُ السّلوقي بالمقدِرةِ العضليّةِ ذاتها بالنّسبةِ لوزنِهِ. منطقياً، يَجبُ أنْ يركضَا بالسّرعةِ نفسِها. ومع ذلكَ دوماً يكون السّلوقيّ في المُقدّمة. والسّببُ هو أنّ الإنسانَ حينَ يركضُ يهدُفُ إلى خطّ النهاية. يركضُ مع هدَفٍ مُحدَّد في الرأسِ يُريدُ تَحقيقَه. بينما السُّلوقيّ، يركضُ منْ أجلِ الرّكضِ فقط.

من كثرة ما نُحدّدُ الأهدافَ لأنفسِنا، ومن كثرة التّعويلِ على إرادتِنا الطّيبةِ أو السيّئة، نفقِدُ الكثيرَ منَ الطّاقةِ. لا ينبَغي علينا التفكيرُ بالهَدفِ الذي نُريدُ تَحقيقهُ، بل علينا التفكيرُ بالمُضيّ إلى الأمام فقط. نَمضِي قُدماً ومن ثمّ نُغير المَسارَ وفقاً للأحداثِ المُستَجدّة. بهذهِ الطّريقة، ومن كثرة المُضيّ قُدماً، نصلُ إلى الهدفِ أو نُضاعِفهُ دونَ أنْ نُلاحظ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

180. إحْيَاء الصّلة

تلبثُ الأميرةُ 103 بلا حِراكٍ داخِلَ مقصُورتها، بينما يدوُرُ الأميرُ 24 حولَها بلا سَبب. تؤكِدُ بعضُ المُربيّات، في المدينَة، أنّهُ حينَ يَدورُ الذكرُ حولَ الأنثى دونَ أنْ يحصُلَ جِماع، يتولّدُ عن ذلكَ توتّرٌ مُثيرٌ للشَهوةِ الجنسيّة ويُحَسُّ مثلَ طَاقةٍ صِرفْ.

لا تُصدّقُ الأميرةُ 103 هذِهِ الملَاحِمَ المَدنيّةَ إلّا أنّها تعترِفُ بأنَّ رُؤيةَ الرقم 24 يَدورُ حولَها بهذهِ الطّريقةِ يُثيرُ فيها قدْراً من التوتّر.

ذلكَ يُرهِقُ أعصَابها.

لذا تفرِضُ على نفسِها التّفكير بشيءٍ آخر. كانت آخرُ أفكارِها بناءَ طَائرةٍ ورقيّة. تتذكّرُ ورقةَ الحَورِ التي لم تَسقُط عَمودِيّاً وإنّما مُتعرّجة، تُفكّرُ أنّهُ من المُمكن إطْلَاقُ نِمال على الأوراقِ بشَكلٍ مُتوازِن واللواتي سوفَ يُسافِرنَ راكِباتٍ التيّارات الهوائيّة. يبقَى إيجادُ حلٍّ لمَسألَةِ التحكّمِ في الاتّجاه.

تُخبِرها مُستكشِفاتٌ بأنَّ مُدناً جديدةً من الشّرقِ أَتَت للانضِمامِ إلى فيدراليّة بيل-أو-كان-الجَديدة. هي التي لم تكن تتكوّن إلّا من أربعٍ وستّينَ مدينةً ابْنَة مسكُونةٌ بالصَّهباواتِ حَصْراً، غَدَت الآن تضمُّ نَحوَ ثلاثمائة وخمسين، ينتَمونَ إلى عشرةِ أصْنافٍ مُختلفةٍ تقريباً. هذا دونَ التّعريجِ على بعضِ أعشَاشِ الزّنابيرِ وبضْعَةِ عشُوشٍ للأرَضَات تُجرِي مُفاوضَاتٍ معها بهدَفِ الانتِسَابِ إلى الفيدراليّة.

تُسلِّمُ كلّ مدينةٍ فيدراليّةٍ جَديدة علماً شمّياً فيدراليّاً وجمْرَة متوهِجة إضافةً إلى التوصيات المَرعيّة: عدَمُ تقريبِ النّارِ منَ الأورَاق. عدَمُ إيقادِ النّارِ أثناءَ هبوبُ الرّيح. عدَمُ اشْعالِ أوراقٍ داخِل المدينَة، إِذْ إنَّ ذلكَ يُنتِجُ أَدخِنَةً خانِقة. عدَمُ استخدَامِها في الحَربِ دونَ إذنِ المدينةِ الأمّ. يجري اطْلاعُها أيضاً على الرافِعةِ والدولاب فلربّما اكتشفت في مخَابِرها استخداماتٍ مُفيدةٍ لهذين المَفهُومين.

تتمنّى بَعضُ النّمالِ أنْ تُحافِظَ بيل-أو-كان-الجديدة على أسْرارِها التقنيّةِ بعنَايةٍ قُصوى ولكنَّ الأميرة 103 على العكسِ منهنَّ، تعتَقدُ بأنّه ينبَغي نَشرُ العلمِ عندَ جَميعِ الحشَرات، حتّى ولو استخدَمهُ آخرُونَ للهُجومِ عليهم في يومٍ ما. إنّه خيَار سياسيّ.

سِحرُ النارِ والنّتائجُ المُذهِلة التي يُمكن الحُصُولُ عليها بوصْفِها طاقَة للاستِخدَاماتِ المدنيّةِ يدفَعُ كلّ النّمالِ للفهمِ بشكلٍ أعمَق التقدُّمَ الذي حقّقهُ **الأصَابع** المُسيطِرُون عليها منذُ أكثر من عشرةِ آلافِ سنَة.

الأصَابع.

الآن، جَميعُ المُدن المُتّحدَةِ تعلم بأنَّ **الأصَابع** ليسوا وحُوشاً ولا آلهة وبأنّ الأميرة 103 تَبحَثُ عن طَريقَة لإقامةِ تحالُفٍ معهم. يُفسّرُ الرقم 24 في روايتِهِ المُشكلة بمرحلتين مُقْتَضبتين:

عالَمانِ يُطيلانِ النظرَ إلى بعضِهما، عالَم اللامتناهي الصّغر وعالَم اللامُتناهي الكبر. هل سيستَطِيعونَ فهمَ بعضِهما؟

توافقُ بعضُ النّمالِ على المشرُوع، بينما تَسْتنكرهُ أُخريَات، ولكنَّ الجميعَ يُفكّر بطَريقةِ تَحفيزِ هذا التّحالُفِ وبالمَخاطِرِ والميّزات التي تتمثّل

به. ربّما زيادةً على النّارِ والرافِعةِ والدّولاب، يعلَمُ **الأصَابعُ** أسراراً أخرى لا يَسَعُ النّمالُ تخيُّلها.

تُواصِلُ القزَمات وبعضُ حلِيفاتهنَّ فقط العِنادَ على إرادتِهنَّ في تدميرِ الفيدراليّة والأفكارِ السّيئةِ التي تنشُرها في الطّبيعَة. بعدَ الهزيمَةِ النّكراءِ التي مُنينَ بها في ليلَةِ معركَةِ الفوانيس، ما عُدْنَ يجرُؤنَ في الوقتِ الرّاهنِ على مُهاجَمةِ بيل-أو-كان-الجَديدة. غيرَ أنَّ الحربَ كرٌّ وفرٌّ. لدَى القزماتِ المِئاتُ من الملِكاتِ البيّاضَات اللّواتِي ينشَطْنَ لإنْجابِ جيلٍ جدِيد منَ الجنديّاتِ اللَّواتي، ما إنْ سَيبلُغْنَ عمرَ القِتال، أيّ بعدَ أسبوع، سيُعاودنَ الهجُومَ لتدميرِ فيدراليّةِ الصّهباوات.

ليسَ مُسلّماً أنْ تبقَى التّقنياتُ الإصْبعيّةُ إلى الأبدِ أكثرَ فعاليّة منْ بُطونٍ خِصْبةٍ قادِرةٍ على إنتاجِ عسكرٍ على نَحوٍ مُفرط.

هنَّ، في بيل-أو-كان-الجَديدَة، على عِلمٍ بهذا التّهديد. يعلَمنَ أنَّ العديدَ من الحُروبِ ستُشنُّ بينَ مَنْ يُريدُونَ تغييرَ العالَمِ وبينَ مَنْ يُريدُون إبقاءَ كلّ شيءٍ كمَا كان.

في مقصُورَتها، تقرّرُ الأميرة 103 بضَرُورةِ تَعجِيلِ مجرَى التّاريخ. دونَ تأسِيسِ تَعاونٍ حقيقيّ بينَ الصّنفين الأرضيّين الأسَاسِيّين، لنْ يكونَ هناكَ تَطوّرٌ مُستَدام. تَستَدعي الأميرَ 24 والمُستكشِفات الاثنَتي عشْرةَ والكثيرَ من المُمثّلينَ لأصْنافٍ غريبةٍ مُتحالِفة. يضعُ الجَميعُ قرُونَهم على شكلِ دائرةٍ منْ أَجلِ اتّصَالٍ مُطلَقٍ جمَاعيّ.

تُقرُّ الأميرةُ بوجُوبِ المُقامَرةِ بكلّ شيءٍ للحصُولِ على كلّ شَيء. بما أنَّ **الأصَابع** عاجِزُونَ عن التّواصُلِ مع النّمالِ، فعلى النّملِ إذاً المُبادَرةُ بالتوجّهِ إليهِم. تعتَقدُ أنَّ الطّريقَةَ الوحيدَةَ لإبهارِ **الأصَابع** وجَعلِهم يعتَبرونَهُم شُركاءَ بكلّ ما في الكلِمةِ منْ معنَى هو الاقتِرابُ مِنهُم بأعدَادٍ كبيرَة.

تَفهَمُ الحشَراتُ المدعوّة إلى الاجتِماعِ إلامَ تَرمِي ذاتُ الجِنْسِ: حملَةٌ كبيرَةٌ مرّة أخرى. تفسّرُ الأميرةُ 103 مقصَدها. لا تقترِحُ حملَة؛ ما عادَت تُريدُ حرباً ما مِنْ سَببٍ لها، تُفضّل مسِيراً سلميّاً كبيراً للنِمال. الأميرةُ مُقتنِعة بأنَّ **الأصَابع** سيشعُرُونَ بالرَّهبةِ حينَ سيَعُونَ الكتلَةَ الهائِلَةَ للحشَراتِ التي تعيش

إلى جِوارِهم. تأملُ بانضِمامِ مُدُنٍ أخرى إليهنّ أثناءَ المسِير والجَميعُ معاً، سيفرِضُونَ أنفسَهُم كمُحاورٍ لا غِنَى عنهُ بالنّسبةِ **للأصَابع**.

هل ستُشاركينَ بها؟ سألَ الأميرُ 24.

بالطّبع.

تنوي الرَّقم 103 أنْ تكونَ هي نفسُها على رأسِ هذا المَسِيرِ الكبير.

يَظهَرُ القلَقُ على الأصْنافِ الغريبَة. يُريدونَ معرِفةَ منْ سيبقَى في أثناءِ هذا الوقتِ في بيل-أو-كان-الجديدة ليُحافِظَ على أمْنِ المدينَةِ وازْدِهارِ أعمَالِهم.

ربعُ السكّان، تقتَرحُ الرّقم 103.

تعتبَرُ الحشَراتُ المُتّصِلةُ بأنّ ثمّة مُجازَفةً كبيرةً بهذا القرَار. فالقزَماتُ مُتربّصاتٌ، ولا يزالُ هناكَ رُبوبيّات في الجِوار. أعدادُ القوّاتِ الرّجعيّة غَفيرة، ولا ينبَغي الاسْتِهانةُ بقدْرَتها.

الآراءُ مُتباينَة. بدأتِ الكثيراتُ يَستَمتِعنَ بالاستِقرارِ والازدِهارِ اللّذينِ تَنعُم بهما بيل-أو-كان-الجَديدة. ويَجدنَ صُعوبةً في فَهمِ دَواعِي المُجازَفة. بينَما تَخشَى أُخريات ألّا تَسيرَ المُقابلةُ مع **الأصَابع** على ما يُرام، فحتّى اللّحظَةِ لم يَحصُل غير مُراكمَةِ الإخْفاقات. ما النّفعُ مِنْ اسْتِثمارِ هذا القدْرِ من الطّاقةِ من أجلِ مَسيْرٍ سلميّ غير مضمُونِ النتائِج؟

كيفَ سيُلاحِظُ **الأصَابعُ** الفرقَ بينَ مَسيْرٍ سلميّ وحملةٍ عسكريّة؟

تؤكّدُ الأميرةُ 103 بأنّه ما مِنْ خِيار: هذِه المُقابلةُ ضَرُورة كونيّة. إنْ لم يُنَظّمنَ هنّ المسير، فستَكونُ مهمّة الجِيلِ القادِم، أو الجِيلِ الذي يليه. لذا يُستَحسَنُ تَسوية هذهِ القضيّةِ بأسْرعِ وقتٍ وعدَم تركِ العِبءِ على الآخرين.

يَستغرقُ الحِوارُ بينَ الحشَراتِ وقتاً طَويلاً. تُفلِحُ الأميرةُ 103 بإقناعِهنّ، ولا سيَّما بفضْلِ جاذبيّة فيرومُوناتها. إذْ تَستَنِدُ على نَوادِر من ملحَمتِها الخاصّة. تُصِرُّ: سيمنَحُ فشلُنا فيما لو فَشِلْنا معلُوماتٍ ثَمينة لمنْ سوفَ يُحاوِلونَ بعدَنا.

تُقنِعُ المُعترِضَات بوجَاهةِ قرارِها واحدةً تلو الأخرى. ينطَوي هذا المَسيْر

علَى طُموحاتٍ بتطوّر هائل. ربّما يُعلّمنَهم **الأصابع** روائِعَ أخرَى أكثر إدهاشاً من النّارِ والدّولابِ والرّافِعة.

مثُل ماذا؟ سألَ الرّقم 24.

الفكاهة، تُجيبُ الرّقم 103.

ولأنّ لا نملةَ منَ الحاضِراتِ تَعرفُ ماهيّةَ الأمر تحديداً، يتخيّلنَ «الفُكاهَة» اختراعاً إصبعيّاً نموذجيّاً، يُعطي قوّةً مُدهِشةً لمن يُجيدُ استخدامَه. تقولُ الرّقم 5 في سرّها بأنّه لا بدّ أنْ تكونَ الفكاهة آخِرَ أطْرِزَةِ المَجانِيق. ويخطرُ للرقم 7 أنّها نار أشدّ فتكاً. ويُفكّر الأمير 24 بأنَّ الفُكاهةَ شكل من الفنّ بلا ريبٍ. بينما يعتقدُ الآخرونَ بأنّ الفُكاهة على الأرجَحِ موادّ جدِيدة أو تِقنيّة غير مسبُوقةٍ لتخزينِ الغِذاء.

لأسبابٍ مُختلِفة، الجَميعُ مُنجذِب لهذه الكأسِ المُقدّسةِ الغامِضَة التي هي الفكاهَة؛ بالإجْمَاع، ينحازُونَ لصَالِح اقتراحِ الرّقم 103.

181. وحيدَة في الغابةِ المُظلِمة

باتَ الأمرُ جِدّياً. ما مِنْ شَيءٍ سِوى هذا التنّوبِ طَوقَ نجاةٍ. تهيّبَت جولي ارتِفاعهُ العَمُوديّ ولكن ثَبُتَ بأنَّ فصِيلَ الكلابِ النابحِ وراءها أفضَلُ المُدرّبين.

اندَفَعت مُتَسلّقةً الأغصَان. تَستَدعِي، على وجه السرعةِ، مِنْ عُمقِ خلاياها ذاكرةَ سَلفِها البعيدِ الذي كانَ يُجيدُ التنقّلَ بمهارةٍ بينَ الأشجَارِ إذْ كانَ يعيشُ فيها. وإنْ كانَ هناكَ بقيّة مِنْ قردٍ يعيشُ في قاعِ كلّ بشريّ، فليكنْ إذاً نافعاً في الأهوال.

وجدَت يدَا الشابّة وقدَمَاها دعائِمَ مُفرِطةَ الصِّغر غيرَ أنّها تَفي بالمطلُوب. يخدشُ اللّحاءُ راحتَي يدَيها. وبينَما تتقدَّمُ، أطْبقَت أنيابٌ شرِسَة مُطقطِقةً على مسَافةٍ شدِيدةِ القُربِ من أَصَابعِ رجليها. نَجَح كلبٌ في تسلّق الشّجرة. سئِمت جولي من كلّ هذا القدْرِ منَ العِنادِ الكلبيّ؛ في اندِفاعةِ غضَب، أظهرت أنيابها وصَاحَت مُحتدّةً بعنْف.

حدّقَ فيها كلبُ الدّرْواس، مَذْعوراً، كأنّما لم يَخطُر في ذِهنِهِ قطّ أنّ

بوسْعِ مُمثّل عن الصّنفِ البشريّ أنْ يكونَ بهذِه البَهيميّة. في الأسْفَل، تهيّبتِ الكِلابُ الأخرى المُبالَغة في الاقترابِ.

من الأعلَى، قذَفَت جولي الخُطُوم المُمتدَّةَ بمَخاريطِ الصَّنوبر.

- اذْهَبوا! ارْحَلوا! اخْرُجوا منْ هنا، أيّتها الحَيواناتُ القذِرة!

إنْ أقلَعتِ الكِلابُ عنْ غَرزِ أنيابِها في جسَدِ الشابّة، فلا يَعني هذا أنَّ إصْرارها على إبلاغِ أسيَادِها بمكانِ الهارِبةِ قد وَهن. زادَت الكِلابُ مِن نُباحِها.

في تلكَ الأثناءِ تَظهرُ شَخْصيّة جدِيدة. مِنْ بَعيد، كأنّها كلب غيرَ أنَّ مِشيتَها أكثر تروٍّ، وطريقتُها في الوقُوفِ أكثر زَهْواً، رائِحتُها أقوى. لم يكنْ ذاكَ كلباً وإنّما ذِئب. ذِئب بريّ حقيقيّ.

رَمقَ الكِلابُ اقترابَ هذا الكائِن الفائِقِ للعادَة. كانوا فَصِيلاً والذِّئبُ بمُفردِه، مع ذلكَ الكِلابُ هُم منْ كانوا مُتهيّبين. الذّئبُ بالفعلِ هو جدُّ جَميعِ الكِلاب. هو لم يفْسُد بالتّواصُلِ مع الإنسان.

جَميعُ الكِلابِ تَعلَمُ بذلك. من الشيواوا إلى دوبرمان، من البطباط إلى الكلبِ المالطي، جَميعُها تتذكّر على نَحوٍ مُبهَمٍ بأنّها في يَوم منَ الأيّامِ كانت تَعيشُ دونَ البشَر وفي ذاكَ الزّمانِ كانت تختَلِفُ بالشَّكلِ والذِّهن. لقد كانَت حُرّة: كانت ذِئاباً.

طأطَأتِ الكلابُ رؤوسَها وأخفَضَت آذانها إشَارة خُضُوعٍ، طَوت الذيولَ لإخفاءِ روائِحِها وحِمايةِ أعضَائِها الجنْسِيّة. بالَت، ما يَعني، في اللُّغةِ الكلبيّة: «لا أمتلكُ أرضاً مُحدَّدة، فإذنْ أبولُ في أيّ وقتٍ وفي أيّ مكان». عوى الذّئبُ مما يَعني أنّه يبولُ فقط في الزّوايا الأربعةِ لأرضٍ مُحدَّدة، وبأنَّ هذِهِ الكِلابَ تَتنقّلُ عليها تَحدِيداً.

ليسَ ذنبنا، البَشَر هم جَعلونا هكذا، دافَع كلبُ الرّاعِي الألمانيّ بلغةِ الكلبِ الذّئب.

أجابَ الذّئبُ بضحكَةٍ مُزْدَرية من الشّفتين:

دائماً لدينا خِيار حياتنا.

وانقضَّ، مُبرزاً أنيابهُ إلى الأمامِ مُصَمّماً على القتل.

فهمَت الكلابُ وفرّت هاربةً مُصدِرة زَعيقاً خَافِتاً.

لم يتسنَّ لجولي تقديم الشّكرِ والامتِنانِ لِمن فعلَ خيراً لأجلِها. إذْ أخذَ الذئبُ يُطَارِدُ دُرْواساً منْ كلابِ الفَصِيل، وقَدْ تملّكهُ الغضَبُ من أبناءِ العُمُومةِ البَعيدِينَ الصّغارِ الذين أُفْسِدُوا. كانَ لا بدّ أنْ يدفَعَ أحد ثَمنَ كلّ هذا الإزعَاجِ في الغابَة.

لمّا يُكشّرُ عن الأنيابِ فمِنْ أجلِ أنْ يَقتُل.

هكذا هو قانُونُ الذّئاب، وعلاوةً عليه، لن تتفهَّمَ جَرَامِيز[1] الذئبِ عودَةَ أبيهم مساءً إلى الوِجَارِ بوفاضٍ خَالٍ مِنَ الطّرائِد. لذا سيحظَونَ على العشَاءِ بقائِمَةِ طَعام مُدْرَج فيها كلبُ الرّاعِي الألمانيّ.

- شُكراً أيّتها الطّبيعَةُ لإرسَالكِ ذِئباً لنجدَتي، همسَت جولي، اللّابثَةُ في شجَرتها والتي ما عادَت تَسْمعُ سوى حفيفِ الأوراقِ التي تُرعِشها النّسَائِم.

حَيَّت بومَةٌ كبيرة حلُولَ اللّيل بنَئِيمِها.

قرّرت جولي، التي تخشَى ذِئبها المُخلِّص بقَدْرِ خِشْيتها منَ الكِلاب، أنْ تظلَّ في تنّوبها. عدَّلَت تَمَوْضُعها فوقَ الأغصَانِ على نحوٍ مُريحٍ أكثر إلّا أنَّ النومَ جَفاها.

تأمّلَتِ الغابَةَ التي أرخَى عليها القمَرُ نورَهُ الباهِت. بدَت لها حافِلَةً بالتّعاويذِ والأسرارِ الخفيّة. أحسَّت الشابّة ذاتُ العينينِ الرماديّتين بحاجَةٍ جدِيدَة، ضَرُورَة مُلِحّة تَجاهلتْها حتّى تلكَ اللّحظَة. أنْ تصرُخَ نحوَ القمَر. رفعت رأسَها وجعلَت عَمُوداً من الطّاقةِ الصّوتيّة ينبثق من مَركزِ بَطنِها.

- أووووووووووووووو.

لقَد لقّنها يانكلفيتش، مُعلّمها، بأنَّ الفنّ في أسْمَى حالاتِهِ لا يفعَلُ شيئاً سِوى مُحَاكاةِ الطّبيعة. بمُحَاكاةِ نداءِ الذّئاب، وصلَت إلى ذُرْوَة فنّها الغنائيّ. من البعيدِ أجابتها بضْعَةُ ذئابٍ.

- أووووووهاه.

1- جمع جرموز، ابن الذئب.

كانَت تَقولُ لها بلُغةِ الذّئاب:

أهلاً بكِ بين جماعَةِ الذينَ يُحبّونَ الصُّراخَ نحوَ القمَر. مُشوّق هذا النّداء، أليسَ كذلك!

واصَلَت، لنصْفِ سَاعة، دونَ توقّف، الصّراخَ وفكّرت إنْ تسنَّى لها أنْ تُشيّد ثانيةً، في يومٍ ما، مُجتمعاً طُوباوياً، فسوفَ تنصَحُ أفرادَهُ جميعاً أنْ يصرُخُوا هكذا، مرّةً في الأسبُوعِ على الأقلّ، السّبتَ مثلاً، والجميعُ معاً نحوَ القمر. معاً، لأنَّ هذهِ النّشوةَ لا بدَّ أن تكون أكثرَ إمتَاعاً بينَ كثرة. بيدَ أنّها وحدَها، وقَد تُرِكت مِنْ أصدِقائِها والمُجتَمع. وحدَها، تائِهة في الغَابة، تَحتَ قبّةِ السَّماءِ الهائِلَة. وقد اسْتَحالَ صُراخُها نبْحاً حزيناً.

أكسَبتها ثَورةُ النّملِ عادَاتٍ سَيئة. إنّها الآن بحاجَةٍ دائِمةٍ إلى أنْ تكونَ مُحاطةً بأشخَاصٍ منْ أجلِ أنْ تُكلّمهم عن تَجارُبَ جديدة، عنْ إطلَاقِ مشَاريع.

في الأيّام الأخيرة، اعتادَت على العيشِ مُتضَاعِفة وسَطَ جماعَة. كانَ عليها الآن أنْ تَعترِفَ لنفسِها بأنّها عرَفت السَّعادة، ولكن ليسَ بمُفردِها بل ضِمنَ مجمُوعَة. جي وونغ. ولكنْ لم يكن جي وونغ فقط. زويه، بالِغةُ التهكّم. فرنسين، الحَالِمة جدّاً. بول، الأخرقُ باستِمرار. ليوبولد، البالِغُ الرّصَانة. نرسيس، عسى ألّا يكونَ مكرُوهٌ خَطِيرٌ أصَابَه. دافيد... دافيد. مزّقتهُ الكِلابُ بلا ريب. يا لَلميتةِ الفظِيعَة... أمّي. اشتاقَت حتّى لأمّها. شعَرت بالنَّقصِ أكثر لأنّها تضَاعفَت مَضرُوبةً بسبعةِ أصدقاء، وبأولئكَ الخمسمائة وواحد وعشرين ثوريّاً مِنْ جمَاعةِ النّمل، دونَ التحدّثِ عن جميعِ أولئكَ الموزّعينَ في أنحاء العالَم، الذين اتّصلوا للانْضِمام إلى شرِكتهم.

حاولَت أنْ تُغمِضَ عينيها وأنْ تَفرِد مُطرّزة ذهنها المشغُولَةِ بالضوء. وسّعتها لتخرُجَ منْ جُمجُمتِها وتُشكّل غمامةً هائلةً تُرخي ظلالها على الغابة. لا يزالُ هذا مُمكناً. طَوت مُطرّزتها وصَرخَت منْ جَديدٍ قليلاً نحوَ القَمر.

– أووووووووهاه.

– أووووووووهاه، أجابَ ذِئبٌ.

ما مِنْ أحدٍ هنا ليسمَعَها سِوى بضْعةِ ذِئابٍ بعيدةٍ لا تَعرِفها وليسَ لديها

رَغبة في مَعرِفتِها. انكمَشَت على نفسِها وشَعرَت بالبردِ يَقرضُ قدَميها. ميّزت قُزحيّةُ عينِها وميضاً.

«النّملَةُ الطّائِرةُ التي أرادَت إرشَادنا...»، فكّرت وهي تَنهَضُ مُمتلِئةً بالأمل.

ولكن هذهِ المرّة، كانَ يراعاً حقّاً. كانَ يَدورُ منْ أجلِ رقصَتهِ الخاصّةِ بالحُبّ. كانَ يرقُصُ في ثلاثَةِ أبعاد، مُضاءً بكشّافاتهِ الداخليّة. لا بدَّ أنّه مُمْتع أنْ يكونَ المرءُ يَراعةً تَرقُصُ مع أصدِقائِها وأضْوائِهم.

شعرَت جولي بالبَرد.

لديها حَاجَة ماسَّة لأنْ تَرتَاح. كانت تَعلَمُ بأنَّ نومَها قَدْ لا يَطُول وبرمَجت ذِهنها لتتّجهَ مُباشرةً نَحو النّومِ العَميقِ المُجدِّدِ للقِوى.

عندَ السّاعةِ السّادِسةِ صَباحاً، أيقظتها أصْواتُ نُباح. هذا النّبْح كانت تَعرفهُ منْ بينِ ألفٍ منْ مثيلاتِه. لم تكن كِلابُ الشّرطَةِ، كانَ آشيل. لقد عثَر عليها. أحَد فكّرَ بالاستِعانةِ بآشيل للعثُورِ عليها.

وضَعَ الرّجلُ مِصباحَ الجَيبِ تحتَ ذَقنِه. مُضيئاً منَ الأسفَلِ وجْهَ غونزاغ ممّا جرّدهُ منْ جانِبهِ الملائكيّ.

- غونزاغ!

- بلَى، لم تَعرِف الشُّرطةُ كيفَ تَجدُكِ، ولكن لَمعت في ذِهني فِكرة. كلبُكِ. الحيوانُ المِسْكينُ كانَ بمُفردِهِ في الحَدِيقة. لم يكنْ عليّ بذْلُ جُهدٍ كبيرٍ ليفهَم ما الذي نَنتَظرهُ مِنه. تركناه يشمُّ مزْقَة الفُستانِ الذي احتَفظتُ بها منَ المرّةِ الأخيرةِ وعلى الفور بدَأ يطارِدُ رائِحتك. بالفعلِ الكِلابُ هُم أفضَلُ أصدِقاءٍ للبشَر.

- أمسِكوا بجولي وأوثِقوها إلى جِذعِ الشَّجَرة.

- هه، هذه المرّة سيكونُ الجوّ رائِقاً. كأنَّ هذهِ الشَّجرةَ عَمودُ عذابٍ هنديّ. في المرّةِ الأخيرة كان لدينا مِشْرَط، مُنذُ ذلكَ الحين طوّرنا المعدّات...

أظهرَ مُسدَّسَه.

- إنّه أقلّ دقّة، ولكن لَديهِ ميزةُ التصرُّفِ عنْ بُعد. بوسْعكِ أنْ تَصْرُخي، ما مِنْ أحدٍ سيسمَعُكِ في الغابة غير أصدقائِك الـ... «نمل».

تخبَّطَت.

- النّجدَة!

- اصْرُخِي بصَوتكِ الجَميل! هيّا، اصْرُخي!

صمَتَت. وحدَّجتهُم بنظْرتِها الرّماديّة.

- ولِمَ تفعلونَ ذلك!

- نحنُ شَدِيدُو الشَّغفِ برُؤيةِ الآخرينَ يتعذّبُون.

وأطلَقَ رصَاصةً على قائِمةِ آشيل الذي أظهرَ هيئةً مُتفاجِئة. وقبلَ أنْ يفهَمَ الحيَوانُ بأنّهُ أخطَأ الحلِيف، اخترَقَت رصَاصَةٌ أخرى قائِمتَهُ الأماميّة الثّانية، ثمّ رصَاصَتين في القائِمتَينِ الخَلفيّتين، وفيما بَعد رصَاصَة في عمُودهِ الفِقريّ، وأخيراً رصَاصَةٌ في الرّأس.

أعادَ غونزاغ تَذخيرَ مُسدّسِه.

- حانَ دَوركِ.

صوَّبَ نَحوها.

- لا. اتْركها.

استَدارَ غونزاغ.

دافيد!

- حقّاً، الحياةُ عَود أبديّ، دوماً يَصِلُ دافيد لإنقاذِ الأميرةِ الجَميلَةِ الأسيرة. الأمرُ مُفرط الروائيّة. مع أنّنا سنُعدّلُ هذه المرّةَ خَاتِمةَ القِصَّة.

وجّه مُسدَّسَهُ نحوَ دافيد، ورفع (ديكَ) المُسدّس... وانْهَارَ غونزاغ.

- انتَبهوا إنّها النّملَةُ الطّائرة! صاحَ أحدُ أتْباعِه.

إنّها هي بالفِعل، النّملَةُ الطّائرةُ التي سُرعانَ ما راحت، بإبرتِها، تلدَغُ أعوان غونزاغ دُوبيرون.

حاولوا حِمايةَ أنفُسِهم منها ولكن حولَهم منَ الحشَراتِ الطّائرةِ ما يكفِي ليَعجَزوا عنْ تَحدِيدِ الحشَرةِ الرّوبُوت. نفّذَت النّملَةُ الطّائرةُ ثلاثَ نكساتٍ وسقطَ إثرَها ثلاثة منَ الجُرذانِ السُّود. حلَّ دافيد وثاقَ جولي.

- أوف، هذهِ المرّة شَعرتُ أنَّ أمري انتَهى، قالَت جولي.

- مُحال. أنتِ بأمان.

- آه حقّاً، ولماذا؟

- لأنّكِ البطَلَة. والبطَلَاتُ لا يَمُتنَ في الرّوايات، مازحَها.

هذا المنطِقُ الغريبُ فاجَأ الشابّة. انحَنَت نَحوَ الكلب.

- مسكين آشيل، اعتَقَدَ بأنَّ البشرَ خيرُ أصْدقاءٍ للكِلاب.

حفرَت بسُرعةٍ حُفرةً ودَفنَتْه. ونَطَقَت ببسَاطَة كشَاهدةِ قَبرٍ شَفويّة:

- هنا يرقُدُ كلبٌ لم يُساهِم في تَحسِينِ صِنْفه... رِحلَة سَعيدَة آشيل.

كانتِ النّملَةُ الطّائرة تُواصِلُ تَحلِيقها حولَهُما، مُصْدرةً طنيناً نافِدَ الصَّبر. ولكن جولي أرادَت قليلاً جَمع شَتاتِ أفكارها؛ ارتَمت على دافيد. ثمّ مُتنبّهةً إلى ما فَعلَته، استَعادَت سيطَرتها على نَفسِها وأحجَمت.

- يَجبُ الذّهابُ، النّملَةُ الطّائرةُ تَبدُو مُتوتّرة، لاحظَ الشابُّ.

تَوغّلا أعمقَ في الغابَةِ المُعتِمة، تَقودُهما الحشَرة.

182. موسوعة

مسألةُ المِقياس: لا توجَدُ الأشياء إلّا على النّحو الذي تُدركُ به عبرَ مِقياسٍ مُعيّنٍ. ما قامَ بهِ عالِمُ الرّياضيّات بينوا ماندلبروت أكثرُ مِنْ مُجرّدِ ابتكار صُورٍ كسوريّةٍ رائعة، إذْ برهنَ أنّنا لا نتلقّى منَ العالمِ المُحيطِ بنا سِوى مَشاهِدَ جزئيّة. فلو قمنا، على سبيلِ المِثال، بقياسِ ثمرة قرنبيطٍ فسَنحصُلُ على قُطرٍ يبلغُ طولهُ 30 سم. أمّا إذا أخذنا باتّباعِ التواءاتها كافّة، فسَيزيدُ القياسُ عشرةَ أضعَافٍ.

حتّى الطّاولَةُ الملسَاء، إذا فُحِصَت تحتَ المِجهَر، سنكتَشِفُ فيها سِلْسِلةً مُتتاليةً من الجِبَال، إذا اتَّبعنا تدرّجاتِها، سنُضاعِفُ قياسَها إلى ما لا نهاية. كلُّ شيءٍ في فَحصِ هذهِ الطَّاولَةِ يعتَمدُ على المِقياسِ المُختَار. فحينَ يُنظَرُ إليها مِن خلالِ مِقياسٍ مُعيّن، سيكون لها قياسٌ مُحدّد، والضِّعفُ في مِقياسٍ آخر.

يَسمَحُ لنا بينوا ماندلبروت بالجَزْم بعدَم وجُودِ - في المُطْلَق - لمعلُومَةٍ واحِدَةٍ علميّةٍ أكيدَة، وأنَّ الموقِفَ الأكثر اتّزاناً لرجُلٍ عَصريّ نزيه، يتمثّلُ بقبولِ أنَّ ثمّة في كلّ مَعرفةٍ جزءاً كبيراً منْ عدَمِ الدّقة، والذي سيُخفِّضُهُ الجِيلُ القادِم ولكن لن يلغَى بالكامِل.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثالث.

183. المَسيرُ الكبيرُ

مُنذُ الفَجر، بيل-أو-كان-الجَديدةُ بأكملِها مشغُولَة بتَجهيزاتِ الرَّحيل. وما مِنْ حدِيثٍ يدُور، في أرجَاءِ المدينةِ، غير حديثِ المسِيرِ السلميّ الكبيرِ صَوبَ **الأصَابع**.

لا يقتَصِرُ الأمرُ هذهِ المرّة على نملَةٍ واحِدَة، وإنّما حُشودٌ بأكملِها تَمضِي إلى لقاءِ البُعدِ العُلويّ، لقاءِ **الأصَابع**... لقاءِ الآلهةِ ربّما.

في قاعَةِ الجنديّات، تُذخّرُ كلّ واحِدةٍ جَيب حَمْضِ النّمليكِ لديها.

*أتظنينَ حقّاً بأنَّ **للأصَابع** وجوداً؟*

إحدَى المُحاربات تهزّ رأسَها، في حَيرةٍ منْ أمرِها. تقرُّ بأنّها ليسَت على قناعةٍ تامّةٍ بيدَ أنَّ ما مِنْ وسيلةٍ لمعرفَةِ ذلك سِوى المضيُّ إلى نِهايةِ هذا المَسِير. وإنْ لَم يكنْ **للأصَابع** وجُود، سيعُدنَ إلى بيل-أو-كان-الجديدة ببسَاطَةٍ ويستأنِفنَ ما بدأنَه.

على مسَافةٍ أبعَد، ثمّةَ أيضاً نمال يتحادثنَ بحماسةٍ شَديدَة.

*أتظنينَ أنْ يقبلَ **الأصَابعُ** اعتبارنا أنداداً لهم؟*

تَحكُّ الأخرَى منبَتِ قَرنَيها.

إنْ لم يقبلوا، ستكونُ الحَربُ ولسوفَ نُدافعُ عن أنفسِنا حتّى الرّمقِ الأخير.

هناكَ على وجْهِ الأرض، تُجهِّزُ الحَلازِين للسَفر. تلكَ الفيلةُ الرائِلة هي بالفِعلِ أفضَلُ ركائِب مُمكِنة. ربّما هي بطيئة غير أنّها صَالِحة لشتّى الأراضي وإذا النّمالُ على فَرضِ مرّت بجوعٍ، فسوفَ يَفِي واحدٌ منها بسدِّ رمقِ الكثيرات. تتثاءَب، وهي تُغطّى بالمِتاعِ مُبرزةً خمسَاً وعشرينَ ألفاً وستمائة سنٍ صَغيرة.

تُحمَّلُ الحَلازِين بحمولاتٍ ثقيلةٍ جدّاً، بجمْراتٍ ساخنة ومُؤَن طعام.

يصطفُّ الحجّاجُ في مُحيطِ بيل-أو-كان-الجَديدَة.

يُحمَّلُ على بعضِهم بيضٌ فارغٌ ليكونَ بمثابةِ قوارير طافِحَة بالهيدروميل. أدركَ النّمالُ بالفعل بأنّ ارتشافَ جُرُعاتٍ صغيرةٍ من خَمرِ العسَلِ هذا يزيدُ جيّداً منَ القُدرةِ على تَحمّل بردِ اللّيلِ ويَمنحُ جسَارةً في المُبارزات.

يُحمّلُ أيضاً على حَلازِينَ أخرى نِمال-صَهاريج، تلكَ الحشَراتُ المشهُورةُ العَدِيمةُ الحَركةِ المُتخَمةُ بالعُسيلِ إلى حدّ أنَّ بطنها يزيدُ عن حَجْم جسَدِها بخمسِينَ ضِعفاً ومُنتَفخاً مثلَ بالُون.

يوجَدُ لدينا من الغذاءِ ما يكفي لتحمُّلِ فترتَي سُبات، قالَ الرّقم 24 مُتعجّباً.

تُجيبُ الأميرة 103 بأنّها تَعرِفُ، على اعتِبارها اجْتازت الصَّحرَاء، أنَّ نَقصَ الغِذاءِ يُمكِنُ أنْ يُدمّر أكثر الرَّحلاتِ الاستكشَافيّة كفاءةً، وبما أنّها غيرُ متأكّدةٍ منْ أنْ يكونَ الطّريق زاخِراً بالطّرائِدِ إلى نِهايته، تُفضّلُ أنْ تأخذَ حِيطَتها.

النّمالُ في الأعلَى منهمِكاتٌ في التجهيزات، تَحرُصُ أسرَابٌ صَغيرةٌ منَ الزّنابيرِ والنّحلِ على ألّا يَستغلَّ أيُّ صنفٍ هذهِ الظّروف للهجُومِ عليهم.

تُثبّت الرّقم 7 على حَلزونِ الفنّ ورقَةً طَويلة منَ القنّبِ التي تنوي أن تنسجَ عليها حكايةَ مسيرهم الطّويل نَحوَ بلدِ **الأصَابع**. وتَضَع أيضاً بِضْعةَ أصبغة لتلوّنَ رسْمتَها البانوراميّة: غُبارُ طلعٍ ودَم خُنفس ومَسْحُوق نِشارةِ خشَب.

تعمُّ أمامَ المَدخَلِ الثّالثِ لبيل-أو-كان-الجَدِيدَة فوضَى كبيرة يُثيرها حَشدٌ يَتجمَّعُ وينتَظِم حسب الشّعبِ، الطَّبقة، مَخبرَ الدّراسَةِ أو حُمولَة الحلَزُون.

تُعزّزُ العامِلاتُ لطبقةِ المُهندِسات السُّروجَ العُشبيّة التي ستُستَخدَمُ في تَثبيتِ الحَصَى الحاضِنِ للجمْر. ليسَ بسَببِ خشيتهنّ من التسبّبُ بانْدلاعِ حَريق، وإنّما خشية أنْ يفقِدن جمراتهنّ. لذا، يأخذنَ أخشاباً صَغيرةً جافّة لتغذيتها. يَعرفِنَ بأنَّ النّار حَيوانٌ نَهِم.

أخيراً، الجَميعُ على أُهْبةِ الاستِعدَادِ والحَرارةُ دَافِئة بما يكفي ليستَلِمنَ الطّريق. ينتَصِبُ قرنٌ.

إلى الأمام!

القافِلةُ الهائِلَة التي تضُمّ سبعَمائةَ ألفٍ بالحدّ الأدنَى تنطَلِق. النّمالُ المُستطلِعاتُ في الصفوفِ الأولَى، مُتّخِذاتٍ تشكيلَ مُثلّث. يتناوبْنَ على مُقدّمَةِ الموكِبِ ليظلَّ القرن نَدياً على الدَّوام. كما لو أنَّ خَطْمَ هذا الحَيوان الطّويل يتجدَّدُ باسْتِمرار.

ثمّةَ خلفَ المُستطلِعات جنديّاتٌ نمالٌ صهباواتٌ من طبقةِ المِدفعيّات، فإنْ تطلقْ المُستَطلِعاتُ الإنذارَ يتَّخذْن تلقائيّاً وضعيّةَ الرمي. يأتي لاحِقاً الحلَزون الأوّل، وهو حلزون الحربِ المُحمّلُ بالجمْرِ الذي تتصاعدُ منهُ الأدخِنة. الكثيرُ من المِدفعيّات مُستَعدّاتٌ للإطلاقِ من أعلَى هذا الرّعْنِ المُتحرّك.

ثمَّ تأتي فِرقُ الجنديّاتِ المُشاة الجاهِزةُ للهجومِ رمَلاً. وتتكفّلُ جُنديّات هذه الفرقةِ أيضاً بالصيدِ في البقاعِ المُجاورَةِ لإطعَامِ كامِلِ الموكِب.

إلى خلفِها نَقعُ على الحلَزونِ الثانِي. هو أيضاً تفترِشُهُ جمَار مُدخّنة ومدفعيّات.

ثمّ تسيرُ عدّةُ فرقٍ غريبة. مُعظَمُها مِنَ النِّمال الحَمْراوات والسَّوداوات والصَّفرَاوات.

أمّا في وسَطِ الموكِب فلا نَجِدُ سوى العامِلاتِ المُهندساتِ والعامِلاتِ الفنّانات.

لدى الأميرة 103 والأمير 24 حلزونُ السّفرِ الخاصّ بهما ما يوفّر عليهما مشاقَّ المَسِير. أخيراً، في ذيلِ المَوكبِ، هناكَ فيلقٌ منَ المِدفعيّات، وحَلَزونا حربٍ مُتأهبانِ للدفاعِ عن مُؤخِرةِ الفرقة.

تعدُو جنديّاتٌ على الجوانب، مُشَجّعاتٍ السائِرات، مُتحقّقاتٍ مِنَ الخَواصِر الرَّخوة، مُحافِظَاتٍ على تماسُكِ المَسير. الرقم 5 وزميلاتها يُراقِبنَ المُراقِبات، ويرشِدنَ المُرشِدات. إنّهنَّ المُتعهّدات الحَقيقيّاتُ لهذا المسِير.

لدى الجَميع شُعورٌ بأنّهن يُقدِمنَ على أمرٍ بالغِ الأهميّةِ لخير صَنفهنّ. تحتَ حُشُودِ هذه الفرقة، ترتَعِدُ الأرض، وينحني العُشب، حتّى الأشجارُ تبدُو مُكترَثة. لم يمرَّ في ذاكرةِ الشَّجرِ قطّ، هذا العدَدُ من النّمالِ المُجتَمِعةِ من أجلِ المسِيرِ معاً صَوبَ اتّجاهٍ واحِد. وبالمناسبة، لم يرَ قطّ حَلازِين مُنضَمّة إلى النّمالِ لتَحمِلَ حِمَماً.

عِندَ المسَاء، تَجتَمعُ حشراتُ الموكبِ في مُخيّم مُؤقتٍ كبير سَويّةَ الأرض. في الوسط، يُتيحُ الجَمْرُ المُتوهّج المُحافظَةَ على النّشاطِ بينما نِمالُ الأطرافِ يَغرَقْنَ في النّوم. الأميرَةُ 103، واقِفةٌ على أرْبعةِ أرْجل، تَروي إلى الحَشْدِ الكبيرِ منْ زُملائها ما تَعتقدُ أنّها تَعرفُهُ عن الأصَابع.

184. فيرومُون حولَ عِلمِ الحَيوان: عَمَل

سيّالة اللّعَاب: الرقم 10.

عمل:

*في البدَايةِ صَارعَ **الأصَابعُ** ليأكلُوا.*

لاحِقاً، عندَما أَصبحَ لدَى الجَميع ما يكفِي منَ الطّعامِ، صارَعوا منْ أَجل الحريّة.

ولمّا حصَلوا على الحُريّة صَارعوا ليرتاحُوا أطولَ فترة مُمكنةٍ بلا عَمل.

*الآن، بفضلِ الآلاتِ وصلَ **الأصَابعُ** إلى هذا الهدَف.*

يَلزَمُونَ بُيوتَهم، مُتمتّعينَ بالطّعام، والحُريّة، وانْعدام العَمل. ولكن عِوضَاً عن أنْ يقولوا لأنفُسِهم: «الحياةُ جَميلَة، بوسْعِنا قضَاءُ أيّامنا دونَ عَملِ شَيء»، يَشْعُرونَ بالتّعاسَةِ ويُصوّتونَ للرُؤسَاءِ الذين يَعِدُونَهم بأنْ يمنحونهم عَملاً منْ جدِيدٍ بالقضَاءِ على البَطَالة.

تَفصِيلٌ مُثيرٌ للاهتِمام: في اللّغةِ الإصْبعيّةِ الفرنسيّة: كلِمةُ عَمل (travail) تأتي منَ اللّاتينيّة (tripalium)، أي حَامِل ثُلاثي والذي كانَ واحِداً مِنْ أكثرِ أساليبِ التّعذِيبِ إيلاماً يُعاقَبُ عليهِ العَبيد.

كانت تُدلّى الرؤوسُ إلى الأسفَل على مِنصّةٍ ثلاثيّة القوائِم وينهَالونَ عليهم ضَرباً بالعصَا.

185. المَلاذ

دغلٌ مِنَ العُليقِ كانَ يُطوّقُ حوضاً. وفي الوسَطِ تَلٌّ يُشرِفُ عليه تلّ أَصْغَر. تَحُومُ العصَافيرُ مُدندنةً ألحاناً فولكلوريّة. وتَتماوَجُ أَشْجارُ السَّرو مُصغيةً لها.

مُرتقيةً على صَخرة رمليّةٍ طَويلة، همسَت جولي:

- يتهيّأُ لي أنّي رأيتُ هذا المشهَدَ من قبل.

المَشهَدُ أيضاً تعرّفَ عليها. شَعرت بأنّها مُراقبة. ليسَ من الأشَجارِ بل منَ الأرضِ نفسها. التلّان كانا يُشْبهانِ عيناً بحدَقةٍ جاحِظة وأسْوارُ العُليقِ أهدَابُها.

عِلماً أنَّ النّملةَ الطّائرةَ لم تُرشِدْهما إلى التلّتين وإنّما إلى أخدُودٍ في أسفَلِ الإصْبَع الرمليّ.

تقدّمَت جولي. وقَدْ انتفَى لديها أيُّ شكّ هذهِ المرّة. في هذا المكانِ اكتشَفَت موسُوعة *العلم النسبيّ والمُطلق*.

- إذا نَزلنا أسفلَ هذا المكان، فلن نَسْتَطيعَ أبداً الصعُودَ ثانيةً. قدّرَ دافيد.

ومع ذلك، أخذَتِ النملةُ الطّائرةُ تحُومُ حولَهما، وتسْتَعجلهُما على القفز. في حالةٍ من التّسلِيم، أطاعا.

خدّشَ الشابُّ والشابّةُ أيدِيهما ووجْهيهما بأشواكِ العُليق وشُجيراتِ الأكاسيا والعكرش والقندريس. كانَ مِهرجاناً حافِلاً حقّاً بكلّ ما هو ليسَ آمِناً في العالَمِ النباتيّ. أضفَت بِضعُ نَباتاتِ لَبْلاب لمسَةً مُزهرة في هذا الوسَطِ القاسِي.

أوصلَتْهما النَّملةُ الطّائرة إلى حُفرة، ومثل خُلدين ولجَا جوفَ الأرضِ حَبواً.

كانتِ النملةُ الطائِرةُ تُضيءُ النَّفقَ بعينها المِصبَاحِ. راحَ دافيد يتبَعها على قدْر ما يستَطيع، دونَ أنْ يُفلتَ عُكّازه.

- آخرُ هذا النفقِ مَسدُود. أعرفُ ذلك فقد سَبقَ أنْ نزلتُ إلى هنا، أعلَنت جولي...

بالفِعل، في النّهاية، كانَ النفقُ مُغلقاً. حطّت النملةُ الطائرة كأنّها أتمّت مهمّة الدليلِ المُوكلةِ إليها.

- هه، لم يبقَ أمامنا سِوى العودَةِ في الاتّجاهِ المُعاكِس، تنهّدَت الشابّة.

- انتظِري، فلا بدَّ أنّ هذه الحشَرة الرُّوبوت لم تُوصلنا إلى هنا دونَ سَبب، قال دافيد.

تفحّصَ المكانَ بدقّة. تلمَّسَ الجِدار وشعرَ تحتَ يدهِ بشيءٍ باردٍ وقاس. نفَضَ التّرابَ كاشِفاً عَن صَفيحَةٍ فولاذيّةٍ مُدوّرة والتي سارعَت النملةُ الطّائرة بإضَاءتها. حُفِرَ على اللافتةِ الفولاذيّةِ لغزٌ وثمّة لَوحةُ مفاتيحٍ مؤطّرة ومُسطّحةٌ من نَمُوذجِ القِفلِ الإلكترونيّ ليُرقَن عليها الحَلّ.

قرأا سويّةً: «كيفَ يمكنُ بستّةِ أعوادِ ثِقاب تشكيلُ ثمانيةِ مُثلّثاتٍ مُتساويةِ الأضْلاعِ بأحجامٍ مُتساويةٍ؟»

والآن عِلْمُ الهندَسَة. وضَعت جولي رأسَها بين كفّيها. مُحالٌ الهُروبُ مِنه، النّظامُ المدرَسيّ يُطاردكَ في كلّ مكان.

- دعينا نبحَث. إنّه لغزُ التلفزيون، قال دافيد، الذي كانَ شَغوفاً بالألغازِ ولا يُفوّت إلّا نادراً «فخّ للتفكير».

- هاه! حسناً، امرأةُ التلفزيون، المُتمكّنة إلى دَرجَةٍ كبيرة، لم تَعثُر على الحلّ. تُريدُنا نَحنُ...

- على الأقلّ، إنّنا في مأمَن ما دُمنا نَبحث، أصرّ دافيد.

نَزعَ الشابُّ جَذراً ممتداً سويّةَ الأرض، قطّعهُ إلى ستّ قِطع ووضَعها في شتّى الاتّجاهَات.

- ستّةُ عيدان ثِقاب وثمانيةُ مثلّثات... لا بدّ أنَّ هذا التشكيلَ مُمكن.

لعبَ لمدّةٍ طويلةٍ بعيدانِ الثّقاب. ثمَّ أعلنَ فجأةً:

- تمّ الأمرُ، وجدتُه.

شرَحَ لها الحلّ. ثمَّ نقرَ رُموزَ الكلِمة، وبزمجَرة معدنيّة، فُتِحَ البابُ الفُولاذيّ.

كانَ ثمّةَ ضَوء وراءهُ وأشخاص.

186. فيرومون حول علم الحيوان: غَريزة التجمُّع

سيّالة اللعاب: الرقم 10.

غريزة التجمُّع:

الأصَابعُ هُم حيواناتٌ اجْتماعيّة بامتياز.

لا يحتَملونَ العيشَ فُرادى إلّا بمَشقّة.

أوّلُ ما يتسنّى لهم، يتجمّعونَ على شكلِ قُطعَان.

أحدُ الأمكنَةِ التي يكونُ فيها تجمّعهم أشدَّ إبهاراً يُدعَى «ميترو».

هناكَ في الداخِل، يتحَمّلُونَ ما لا تقْدِرُ حشرة في العالَمِ أن تتحمّلَه: يرصّونَ بعضهم بعضاً ويدُوسُون ويَضغَطُون إلى حدّ يعجزونَ معهُ عن الحَركةِ لفرطِ اكتِظاظِ الحَشد.

ظاهرةُ الميترو تُثيرُ تساؤلاً: هل لدَى الإصْبَع ذكاء فرديّ أم تُحرّكهُ أوامرُ سَمعيّة وبصريّة فارضةً عليهِ هذا النوعَ من السلُوكِ الاجتماعيّ؟

187. كانُوا هُمْ إذاً

أوّلُ وجهٍ رأتهُ جولي كانَ وجه جي وونغ، ثمَّ ظهَرت لاحِقاً فرنسين، زويه، بول وليوبولد. إذا اسْتَثنيا نرسيس، فشَملُ «النّمل» اِلتأمَ.

مدّ الرّفاقُ أيدِيَهم وسَاعدُوهما. تعانقوا، مغمُورينَ ببهجةِ اللّقاءِ مُجدّداً. قبّلوا جولي على وجنَتيها المَحمُومَتين.

قصَّ عليهما جي وونغ مُغامَراتِهم. بعدَ أنْ خَرجُوا بشقّ الأنفاس، سَالِمين، منْ اشْتباكاتِ الثانويّة، أرادُوا الانتِقامَ لنرسيس فلاحَقوا الجُرذانَ السّودَ في الشّوارعِ الفرعيّةِ المُحيطَةِ بالسَّاحةِ الكبيرة إلّا أنَّ أولئك كانوا قد أصبحوا بَعيدِين. ثمَّ انطَلَقتِ الشُّرطَةُ في إثرِهم ولم يُفلِتوا مِنها إلّا بصُعُوبةٍ كبيرَة. عندئِذ بدَتِ الغابةُ ملجَأً مُلائماً، وهناكَ، تكفّلت نَملَة طائِرة بإيصَالِهم إلى هذا المكان.

فُتِح بابٌ وبَرزَت من خلالِ الضّوءِ هَيئة مُنكمِشَة: سيّد عجُوز بلحيةٍ بيضَاء يُشبِهُ بابا نويل.

– إد... إدمُون ويلز؟ تأتأت جولي.

هزّ العجُوزُ رأسَه.

– ماتَ إدمون ويلز مُنذُ ثلاثِ سَنوات. أنا آرتور راميريز في خِدْمَتكم.

– إنّهُ السيّد راميريز منْ أرسَلَ لنا نَملاتِ الرُّوبُوت الطّائرة ليُرشِدنا إلى هذا المكان، وضَّحَت فرنسين.

رمقَتِ الشابّة ذاتُ العَينينِ الرّمادِيّتين الفاتِحَتين لبرهةٍ مُنقذَهم.

– أتَعرفُ إدمُون ويلز؟ سألَت.

– أعرِفهُ مِثلكِ لا أكثر ولا أقل. أعرِفهُ فقط منْ خِلالِ النّصُوصِ التي تركَها لنا. ولكن، بالمُحصّلَة، أليست قراءةُ شخصٍ هي الطَّريقةُ المُثلَى لمعرِفتِه؟

فسَّرَ بأنَّ الفضلَ في وجُودِ هذا المكان يَعودُ إلى *موسُوعةِ العلم النسبيّ*

والمُطلق لإدمُون ويلز. كانَت عادَة عندَ إدمُون إنشَاءُ ممرّاتٍ تحتَ أرضيّة وأبوابٍ تُفتَحُ بواسِطَةِ ألغازٍ مَبنيّةٍ على أعوادِ ثِقابٍ ومُثلّثات. كانَ يَروقُ لإدمُون ويلز حَفرُ جُحُور يُخفي في جَوفِها أسراراً وكُنوزاً.

- بالعُمقِ، أظنّهُ كانَ طِفلاً كبيراً، قالَ العَجوزُ بمَكر.

- هو منْ وضَعَ الكتابَ في نهايةِ النّفق؟

- لا، أنا مَنْ وضَعه. عادَةُ إدمُون أيضاً ابتِكارُ مَساراتٍ للوصُولِ إلى معَاقِله. واحتِراماً لعملِه، قلّدتُه. لمّا رأيتُ المُجلّد الثّالث *للموسُوعة*، صوّرتُ الصّفَحات ثمَّ وضَعتُ النُّسخةَ الأصليّةَ عندَ مدخَلِ جُحْري. كنتُ مُتيقّناً بأنَّ أحداً لنْ يعثُرَ عليها أبداً، ثمّ في يومٍ منَ الأيّام، اكتشَفتُ أنّها اختَفت. كنتِ أنتِ جولي، أنتِ التي نَبَشْتِها. إذنْ كانَ عليكِ أنْ تتولّي الأمر.

كانُوا في مكانٍ يُشبِهُ بَهواً ضيّقاً.

- كان ثمّة جهازُ بثّ صغيرٍ في الحَقيبَة. لم أجِد صُعُوبةً في تَحدِيدِ هويّتك. ومنذ ذلك الوقت، لم تَترُكْكِ نِمالِي الجَاسُوسات، واصَلَت مُراقبتكِ بشكلٍ أو بآخر. كانَ لديَّ فضُولٌ لمعرفةِ ماذا ستَفعلينَ بِعلْم موسُوعة إدمُون ويلز.

- آه، لهذا السَّبب حطَّت نَملَة على يَدي أثناءَ كلِمَة اليومِ الأوّل!

ابتسَم آرتور برفقٍ.

- صَدّقيني، كانَ تفسِيركِ لفكرِ إدمُون ويلز «ألمَعيّاً» جدّاً. توجَدُ لدينا هنا، بفَضْل النّملاتِ الطّائراتِ الجَاسُوسَات، صُورُ «ثورةِ النّمل» جَميعُها الخاصّةُ بِكم.

- لحُسنِ الطَّالِع، فلَو أنّكَ انتَظَرت الصّحفيينَ ليتكلّموا عنّا في التلفزيون لكنتَ انتَظرتَ طَويلاً! قال دافيد مُتحرّراً منَ الأوهام.

- تابَعنا الحَدثَ مثلَ مُسلْسَل. بواسِطَة نِمالِي الجاسُوسَات الصَّغيراتِ الموجّهاتِ عنْ بُعدٍ، نَلتقِطُ ما لا يَجتَذبُ انتباهَ الإعْلَام.

- ولكن أنتَ، مَنْ تكون؟

روَى آرتور قِصَّته.

كانَ في الماضِي مُختصّاً بعِلمِ الرُّوبُوت. صمّمَ لصَالِحِ الجَيشِ روبُوتات

ذِئاب حربيّةً موجّهةً عنْ بُعد. سَمَحت هذهِ الآلات للبِلادِ الثريّةِ الحَريصَةِ على أرْوَاحِ جُندِها بشنّ حُروبٍ على البِلادِ الفقيرَةِ المُكتظّة، التي كانت تُرسِلُ طَوعيّاً إلى الموتِ الفائِض منَ الأفواهِ الجَائعةِ لديها. غيرَ أنّه لاحظَ بأنَّ الجُنودَ المُختصّينَ بتوجِيهِ الذّئابِ أَصَابهم الجُنون وراحُوا يقتلونَ بلا مُبالاةٍ كأنّهم أمامَ لُعبةِ فيديو. قدّم استِقالَته، مُشمئزّاً، وفتَحَ متْجَرَ ألعابٍ: «عندَ آرتور ملك الألعَاب». سمَحَت لهُ مواهِبهُ باعتِبارِه اختِصاصِياً بالرُّوبُوت أنْ يبتَكِرَ دُمى ناطِقةً تُطمئِنُ الأطفَال أكثرَ منْ أهلٍ حقيقيّينَ. هي رُوبُوتات مُصغّرة، مُزوّدة بصَوتٍ تركيبيّ وببرنامج معلومَاتي يُكيّفُ أجوبتَه تِبعاً لكلَام الأطفَال. خطرَ له أنَّ بواسطةِ دُمْياتهِ مِنَ القَطِيفةِ المُطَمْئِنة، سيَكبر جِيلٌ كامِلٌ أقلّ توتّراً منَ الأجيالِ التي سَبقته.

– الحَربُ، هي في مُعظَمِها حكايةُ أناسٍ سَيئي التّربيَة. أتمنّى أنْ تُساهِم دُمْياتي منذُ الآن في بدءِ تَربيةٍ سلِيمَة.

وفي يومٍ منَ الأيّام، وصلَهُ طرد بالخَطأ، على الأرجَح أخطَأ سَاعي البريد بخطّ تَوزيعه. وكانَ داخِله المُجلّد الثاني من *موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق* مُرسَلاً إلى ليتيسيا ويلز، الابنةُ الوَحيدَةُ للبروفيسور؛ ورسالَة توضِّحُ بأنّهُ إرثُها الوحِيد. فكّرَ آرتور وجوليت زَوجَتهُ مباشرة بإرسَالِ العَملِ لَها، غيرَ أنَّ فضُولَهما طَغَى عليهما فتصفّحاهُ. كانَ الكِتابُ عن النَّمل، بالطّبع، إضافةً إلى مَواضِيع أخرَى عنْ عِلْم الاجتِماع، والفلسَفَة، وعِلْم الحَياةِ ولا سيّما التّفاهُمُ بينَ الحضَاراتِ المُختَلِفةِ ومكانَةِ الإنسانِ في الزّمانِ والمكان.

مَشغُوفاً بمقُولاتِ إدمون ويلز، انكبَّ آرتور على صِناعةِ الآلةِ المشهُورةِ لترجَمةِ اللّغةِ الشَّميّة النمليّة إلى لُغَة ناطِقةٍ بشريّة، تسمّى «حجر رشيد». بهذِهِ الطّريقَةِ نَجحَ بالتحدُّث مع حشَرات، ولا سيّما، نَملَة مُتطوّرة جدّاً تُدعَى الرّقم 103.

فيما بَعد، بمُساعدَة ليتيسيا ويلز، ابنةُ العالِم، ورجُل شُرطَةٍ يُدعَى جاك ميليس، ووزيرِ البُحُوثِ آنذاك، رافائيل هيزو تواصَلَ مع رئيسِ الجُمهُوريّة لمُحاولَةِ إقناعِهِ بفتْحِ سِفارة نَمليّة-بشَريّة.

– أنتَ إذاً مَنْ أرسلَ رِسَالةَ إدمون ويلز؟ سألت جولي.

- بلى. أنا لم أفعَلْ أكثر مِنْ نَسْخها. إذْ كانت مَضمُومَة في *الموسُوعة*.

كانت الشابّةُ ذاتُ العينينِ الرّماديّتين تَعلَمُ بأنّهم لم يولوا رِسَالتهُ الخَطيّة أهميّة، ولكنْ أَحجَمت عن إخْبارِهِ بأنّ ما أرسلَهُ كانَ موضُوعَ تندّرٍ لهم أثناءَ الحَفلاتِ الاجتِماعيَّةِ الرّاقية المُقامَةِ على شَرفِ المُفوّضينَ الدبلوماسيّينَ الأجانِب.

أقرَّ آرتور بأنَّ رئيسَ الجُمهوريّةِ لم يُجبهُ والوزير الدّاعم لمشرُوعِهِ أُجبِرَ على تَقدِيمِ استِقالته. ومنذُ ذاكَ الحين كرّسَ كلّ ما تبقّى لديهِ منْ طَاقةٍ لمُواجهةِ التحدّي: افتِتاحُ سِفارة نمليّة-بشريّة تسمَحُ للحضَارتين بإجراءِ اتفاقيّةِ تعاونٍ مِنْ أجلِ مصلَحةِ الطّرفين.

- أنتَ أيضاً مَنْ أشادَ هذا الجُحْر؟ سألَت جولي لتُغيّر الموضُوع.

هزَّ رأسَهُ إيجاباً وهو يُوضّحُ بأنّهما لو أتيا، قبلَ أسبُوعٍ فقَط، لَلاحظا بأنَّ المكانَ مِنَ الخارج كانَ أشبَه بهرَم.

القاعَةُ التي وصَلا إليها، جولي ودافيد، لم تكنْ سِوى بهوٍ. أبعَد، ثمّةَ بابٌ مُفْضٍ إلى قاعَةٍ أوسَع. قاعَة كبيرة مُدوّرة وفي وسَطِها، تَسبَحُ على علوّ ثَلاثةِ أمتَار، كرة منَ الضَّوءِ قُطْرها نحوَ خمسِينَ سنتيمتراً. يتسلَّلُ الضّياءُ إليها من عَمُودٍ رفيعٍ منَ الزُّجَاج يرتَفعُ إلى قمّةِ السَّقفِ المُدبّب مُضِيئاً الهرمَ مِنَ الدّاخِلِ بالضّوءِ الطّبيعيّ للنّهار.

تتوزّعُ في المُحِيطِ وحدَاتٌ مُختبريّة على شكلٍ دائريّ تتكدّسُ فيها آلات مُعقّدة وحواسِيب ومكاتِب.

- أجْهزةُ القاعَةِ الكبيرة هي آلاتٌ مُشتَركة موصُولَة فيما بينها، والأبوابُ التي ترونَها هنا وهناكَ تُفضِي إلى مخابرَ حيثُ يَعْملُ فيها أصدقائي على مشَاريعَ تتطلّبُ قدْراً كبيراً مِنَ الهدوء.

أشارَ آرتور بيدِهِ صَوبَ مَمرٍّ فوقَهم، حافِلٍ بالأبواب أيضاً.

- يوجَدُ على العُمُوم ثلاثَةُ طَوابِق. في الطّابقِ الأوّلِ نَعمل، نُجري التّجارِب، نختَبرُ المشَاريع. في الطّابقِ الثّاني نَعيشُ بشكلٍ جمَاعيّ، نَستَريحُ. هناكَ تُوجَدُ قاعاتُ الطّعامِ والقاعَات المُخصَّصَة للترفيهِ والمُؤن الغذائيّةِ أيضاً. وأخيراً، في الثّالثِ، مهاجِع النَّوم.

خرَجَ عدّة أشْخَاصٍ منَ المَخابرِ وأتوا لتقدِيم أنفسهم إلى «ثوّارِ النّمل». كانَ بينَهم جوناثان ويلز، ابن أُختِ إدمُون، إضافةً إلى زوجتِهِ لوسي وابنهما نيكولا وجدّتهم أوغستا ويلز. هناك أيضاً البروفيسور روزنفيلد والباحِثُ جازون براجيل كما الشّرطيونَ ورِجالُ الإطفاءِ الذينَ كانوا قَدْ اندَفعُوا للبحثِ عَنهم[1]. قدّموا أنفسَهُم بوصْفِهم «أصْحَاب المُجلّد الأوّل» من *موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*.

أمّا بما يَخصُّ ليتيسيا ويلز وجاك ميليس ورفائيل هيزو، كما آرتور راميريز بالمُناسَبةِ هُم «أصْحَابُ المُجلّد الثّاني[2]». كانَ ثمّة واحِد وعشرُونَ شَخصاً يَشغُلونَ المكان، وقد أُضيفَ إليهم للتوّ جولي وأصْدِقَاؤها الستَّة.

- بالنّسبةِ لنا، أنتُم أصَحْابُ «المُجلّدِ الثالِث»، أعلَنت أوغستا ويلز.

فسّرَ جوناثان ويلز أنّه بعدَ الإهمالِ الذي لاقاهُ اقتراحُهم بإنشاءِ سِفارة نَمليّة-بشريّة، قرّرَ أصْحَابُ المُجلّد الأوّل والثّاني الانْعزالَ عن العالَمِ والبقاء سويّة لتهيئةِ شُروطِ اللّقاءِ الذي لا غِنَى عنه. فاختَارُوا بقعةً في أكثرِ مناطِقِ الغَابةِ كثافة، وشيّدوا فيها، بتكتّم شَديد، هرَماً بارتِفاع عشرينَ مِتراً. سبْعة عشَر متراً مدفُوناً تحتَ الأرضِ وثَلاثَةُ أمتارٍ ترتَفعُ فوقَها، يُشبهُ إلى حدّ ما جَبلاً جليديّاً لا يَبرُزُ عنْ سطْحِ الماءِ سوى رأسه، وهذا ما يُفسّر اتّسَاعَ حَجْم المكان مُقارنةً بهرَمٍ صَغيرٍ إلى هذا الحدّ. ولتمويهِ الجزءِ الظّاهِرِ، كسوهُ بألواحٍ من المرايا.

في داخِلِ هذا الملجأ تَحْت الأرضِيّ في مُعظَمِهِ، بوسْعِهم بكلّ هدُوءٍ القيامُ بأبحَاثِهم، وتَحسينُ أساليبِ التواصُلِ مع الكائِناتِ النمليّةِ وصِناعَة النّمالِ الطّائرةِ المُوجّهةِ عنْ بُعدٍ لحِمايةِ الهَرمِ منَ المُتطفّلين.

غيرَ أنَّ تَساقُطَ الأوراقِ الذي لا مفرَّ مِنهُ في الشّتاءِ كشَفَ عن الهرَم. وانتَظَر قاطِنُوه بفارغِ الصَّبرِ الرّبيعَ وإعادَةِ تَجديدِ الأوراقِ غيرَ أنّهما تأخرا عنْ حِمايةِ المبنَى من فضُولِ والدِ جولي.

- أنتُم الذينَ قتَلتُموه؟



1- راجع *النمل*، دار المدى.
2- راجع *يوم النمل*، دار المدى.

أخفضَ آرتور بَصَره.

- إنّهُ حادِثٌ مؤسِف. لم تكنْ قدْ أتيحَت لي فُرصَةُ تَجريبِ الإبر-الحقن ذاتِ المفعُولِ المُنوّمِ الخَاصّ بنِمَالِي الطّائرة. لمّا اقترب أبوك منّا، خَشيتُ أنْ يُفتضَحَ وجُودُ مبنَانا أمامَ السُّلُطات. شَعرتُ برُعبٍ وارتِباك، فأطلَقتُ عليهِ إحدَى حشراتِي المُوجَّهةِ والتي حقَنتْهُ بمُخدّر.

تنهّدَ الرجُلُ العَجُوزُ وداعَبَ لحيتَهُ البيضَاء.

- كانَ مُخدّراً شَائِعَ الاستِخدَام في الجِراحةِ ولم أحسَب أنّه يُمكِن أنْ يكونَ قاتِلاً. أردتُ فقط تَنويمَ هذا المُتنزّهِ المُهتمّ بنا كثيراً. لا بدّ أنّي أخطأتُ في مَعاييرِ الجُرعَة.

هزّت جولي رأسَها.

- ليسَ الأمرُ هكذا. أنتَ لَم تَكن تَعلَم؛ لقد كانَ لدَى أبي حساسيّة مِنَ المُخدّراتِ التي تَحوي مادّةَ كلوريد الإيثيل.

تفاجَأ آرتور بأنَّ الشابّةَ لم تُوجّه لهُ لوماً أكثرَ مِنْ ذلك.

استأنفَ سَرْدهُ. كانَ سُكّان الهرم قد وضَعُوا كامِيراتِ فيديو على الأشجَارِ المُجَاورة. بهذِهِ الطّريقةِ رأوا بأنَّ المُتسكّعَ المُفرطَ الفضُولِ مات، وقبلَ أنْ يتمكّنوا منَ الخُروجِ لإبعَادِ الجثّة كانَ الكلبُ قد أنذرَ مُتنزّهاً آخر والذي أبلَغَ الشُّرطَة بدورِه.

بعدَ بِضعَةِ أيّامٍ أتَى شُرطيّ يحُومُ حولَ المبنَى. وقدْ أمْكنَهُ التخلُّصَ منَ النّمالِ الطائرةِ بسَحقِها بنعلِهِ وأحضَرَ معهُ فرقةَ مُفجّرين لنسْفِ الجُدران.

- في نهايةِ المَطَاف، أنتم مَنْ أنقذنا بإشْغَالِكم «ثورةَ النّمل»، أعلَنَ جوناثان ويلز. توقّفَ الأَمرُ على ثوانٍ قليلةٍ حينَ قُمتُم بالإشْغَالِ الذي أبعَدَ الشرطيَّ.

كانَ مُفترَضاً على أصْحَابِ الهرَمِ الحِراجيّ أنْ ينتَهزُوا هذهِ المُهلَةَ للانتِقال. ولكنْ هناكَ الكثيرُ منَ المُعدّاتِ الثقيلة.

- لكنّنا وجدنا الحلّ عبرَ تَواصُلِنا مع مُخدّم «ثورة النمل» الخاصّ بكم، شرَحَت ليتيسيا ويلز. مَنْزل مُتداخِل مع تلّ، يا لَفكرةِ التّمويهِ الرّائعة!

- لم يلزمنا حفْرُ منزِلٍ بالتلّ، بل اكتَفينا بتَحويلِ هرَمِنا إلى تلّ بإهَالةِ التُّرابِ عَليهِ.

تدخَّلَ جي وونغ:

- إنّها فِكرةُ ليوبولد، غيرَ أنّها، في الواقع، مُغرِقَة القِدم. في بلَدي كوريا، كانَ مُلوكُ حضَارةِ البايكتشي، في القرن الأول الميلاديّ، يُشيّدونَ قبوراً عِملَاقةً هرميّة على غِرارِ فراعِنةِ مِصْر. إلّا أنّها كانت تتعرّضُ للنهبِ على الدّوام، فالجميعُ كانَ يعلَمُ بأنّها تضُمُّ ثَرواتِ الميّتين ومُجوهراتِهم. ففكّرَ المُلوكُ ومُهندسوهم برَدْمها بالترابِ لإخفائِها. وعلى هذا النّحوِ امتَزجَت القبُورُ بالتِلالِ فلا تُميَّزُ عنها وباتَ على اللّصُوصِ المُحتَملينَ حفرُ جميعِ تِلالِ البلادِ ليعثُروا على الكنُوزِ الجَنائزيّةِ.

- إذن، انتهزنا انْشِغالَ الشُّرطَةِ بالثانويّةِ لتغطيةِ هرمِنا بالتُّراب. وفي غضُونِ أربعةِ أيّامٍ، كانَ كلّ شيءٍ مُنتهياً، أوجَزَت ليتيسيا.

- فعلتُم ذلكَ بأيديكُم؟

- لا. آرتور، رَجُلُ البراعَاتِ اليدويّةِ حاضِر دوماً، صنَعَ خِلْداناً روبُوتات تعمَلُ بسُرعةٍ كبيرة لَيلاً ونَهاراً.

- ولاحِقاً وضَعتُ عَمُوداً زُجاجيّاً داخلَ شَجرةٍ مُجوّفة عندَ القمّةِ لنتمتّعَ بضوءِ النَّهارِ منْ طَرَفِهِ الأعلَى؛ وزيّنَت لوسي وليتيسيا تلّنا بشُجيراتٍ قُلِعت ثمّ زُرِعت من جديدٍ لتمنَح المشهدَ برمّتِه مظهراً بريّاً.

- لم يكن هيّناً زرعُ أشجارٍ على نَحوٍ فوضَويّ بالكامِل إذْ لدينا، بالطّبع، مَيلٌ لصفّها في نسَقٍ، قالت ليتيسيا. إلّا أنّنا أفلَحْنا في النّهاية. ونحنُ الآن نعيشُ تحتَ الأرضِ، في «عُشّنا»، بمأمَنٍ عن العَالَم.

- لدينا نَحنُ هنُودُ النافاخو، تدخَّلَ ليوبولد، زَعْمٌ بأنَّ الأرضَ تَقي من جَميعِ الأخطَار. فحينَ يُصَابُ أحدٌ بالمرَضِ يُدفَنُ في الأرضِ إلى مُستَوى عُنقه، بتركِ الرأسِ فقَط بارِزاً. الأرضُ أمّنا وطَبيعيٌّ أنْ تَحمِينا وتُشفينا.

ومع ذلك كانَ آرتور لا يزالُ مُتوجّساً.

- لنأمل ألّا يُفسِدَ هذا الشرطيّ المُتطفّل حيلَتنا عندَما يعُود...

استأنَفَ الرجُلُ العجوز مهمّةَ التّعريفِ بـ «العشّ». يُغذّى الهرمُ بالكهربَاءِ بواسطَةِ المئاتِ منَ الأوراقِ الاصطناعيّة المزوّدةِ بخلايا كهروضوئيّة، مثبّتة في ذُرى الأشجَارِ المُشرفةِ على التلّ ومُشابِهَة للأوراقِ الحقيقيّةِ بكلّ شيء، حتّى الأضْلُع. هكذا يحصُلونَ على طاقَةٍ كافيةٍ لإشْعَالِ أجهزتهم بالكامِل.

- ما مِنْ كهربَاء لديكم حينَ يُخيّمُ اللّيل؟

- بلى، فقَدْ وَضَعنا مُكثّفاتٍ تختَزِنُ الطّاقة.

- والمياهُ العذبَة؟ سأَلَ دافيد.

- هناكَ نهرٌ جوفيّ على مقرُبةٍ منّا، لَم نَجِد صُعوبةً باسْتجرارهِ إلى هذا المكان.

- وعلى النّحوِ ذاته، أنْشَأنا شبكةَ قنواتٍ لتأمينِ تهويةٍ جيّدةٍ للمبنَى، قال جوناثان ويلز.

- أخيراً، أسَّسنا زِراعتنا الخاصّة المُعتَمِدة على الفِطْرِ التي تَسْمحُ لنا بجني مَحاصِيلِ تحتَ الأرض.

إلى مسَافةٍ أبعد، قدّمَ لهم آرتور راميريز مخبرهُ. حيثُ ثمّة نِمال تَعدُو فوقَ كثبانٍ تُرابيّة داخِلَ حوضٍ طولَهُ مِتْرين.

- نسمّيها «عفَاريتنا»، أخبرَتْهم ليتيسيا. فالنّمالُ في النهايَةِ هنَّ عَفاريتُ الغاباتِ الحَقيقيّات.

لمرّةٍ أخرى، تُحسُّ جولي بنفسِها وسَطَ حكايةٍ خُرافيّة. هي بياضُ الثّلجِ بصُحبَةِ أقزامِها. النّمالُ عفاريتٌ وهذا السيّد ذو اللّحيةِ البيضَاء مع اكتشَافاتهِ الرّائعة، السّاحِر ميرلين حقيقيّ.

أراهم آرتُور نِمالاً مُنهمِكةً باستِخدَامِ أتْراسٍ مسنّنةٍ معدنيّة ضَئيلَة ومُكوّناتٍ إلكترونيّة.

- إنّهنَّ واسِعاتُ الحيلةِ بالفعل، انظروا.

جولي عاجزة عنْ تَصدِيقِ ما تراه. كانتِ النّمالُ يمرّرنَ لبعضهنّ قِطعاً لفرطِ ضَآلتِها لا يَستَطيعُ حتّى صَانِع سَاعاتٍ مع عدسةٍ مُكبّرٍ تَمييزها بدِقّة.

- لزِمَ الأمرُ تعليمَهنّ تِقنيّاتنا قبلَ أنْ نتمكّنَ مِنْ تَشغيلِهنَّ، وضَّحَ آرتور. فعلى أيّةِ حال، حتّى حين نُنْشِئُ مَصْنَعاً في العالَمِ الثّالثِ نَضطرُّ للاسْتِعانَةِ بمُدرّبين.

- بخُصُوصِ الأعمَالِ اللامُتناهيةِ الصّغَر هنَّ أكثرُ دِقّة من أمهَرِ عُمّالنا، وضَّحَت ليتيسيا. هُنَّ، وهُنَّ فقط، من يفلِحُ في صِناعَةِ نِمالِنا الرُّوبُوتات الطّائرة. ما مِنْ إنسَانٍ كانَ سينجَحُ بتَشغيلِ أتْراسٍ مُصغّرةٍ إلى هذا الحدّ.

تأمّلَت جولي بواسِطَةِ عدَسةِ مُكبّر الحشَراتَ وهي تَعملُ على تَصْنيعِ نَملَة روبُوت طَائرة بأدواتٍ مُتناسِبةٍ مع حَجْمها. كانَت الفنيَّاتُ الصَّغيرات يُحِطْنَ بالآلةِ مثل مُهندِسِي طَيرانٍ حولَ طائِرةٍ مُقاتِلة. يُمرّرنَ، مُحرِّكاتٍ قرُونَهن بعصَبيّةٍ، من رِجْلٍ إلى رِجْل جنَاحاً كانت اثنتَانِ مِنْهما قدْ ركّبتاهُ وثبّتتاهُ بلاصِق.

في المُقدّمة، نِمالٌ أخريات يُدخلنَ مِصْباحَين مكانَ العَينَين. وفي المُؤخّرةِ نِمالٌ يَمْلأنَ خزّان السُّمّ بمصْلٍ أصفرَ شفّاف. فِرقةٌ ثالِثةٌ تناقلَت بطّاريّة ودسَّتها في مُستَوى الصَّدر.

تأكّدت مُهندِساتُ النّمالِ الضّئيلاتِ لاحِقاً منْ عَملِ الآلة بالمُجْمَلِ بتَشغِيلِ عين-مصباح علوي، ثمَّ الأخرى. أدرْنَ المُحرّكَ وتحرّكَتِ الأجنِحةُ مُتنقلةً بينَ سُرعاتٍ مُختلِفة.

- مُدْهِش، قالَ دافيد.

- إنّه فنُّ الرُّوبُوتات الدَّقيقَةِ ليسَ إلّا، أجابَ آرتور. لو كنّا أكثرَ تمكّناً بأصَابِعنا العَشْر، لفعلنَا الشَّيءَ عينَه.

- لا بدَّ أنَّ كلَّ هذا كلّف مبالِغَ باهِظَة، لاحظَت فرنسين. مِن أينَ لكم المال لبناءِ الهرَم واقتِناء جميعِ هذه الآلات؟

- مم، حينَ كنتُ وزيرَ البُحُوثِ، قالَ رفائيل هيزو، لاحظتُ بأنَّ أموالاً كثيرةً مَهدُورَة في دِراسَةِ أشياء لا نَفعَ مِنها، مِثلَ دراسةِ سُكّان خارجِ الأرض. كانَ رئيسُ الجُمهُوريّة المفتُونِ بهذا الموضُوعِ قدْ أطلَقَ برنامَجاً باهِظ التكلِفَة من النوع SETI (Search for ExtraTerrestrial Intelligence)[1]. لم أجِدْ أيّة صُعوبَةٍ في اختِلَاسِ بعضِ المبَالِغ قبلَ تقدِيمِ استِقالَتي. لأنّ احتِمالَ التواصُلِ مع كائِناتٍ تحتَ الأرض أكبر مِنهُ مع كائِناتٍ خارِجِ الأرض. النّملُ، في الحدّ الأدنَى، ما مِنْ شكّ في وجُودِه، الجَميعُ مُتيقّن مِنْ ذلك.

1- (البحث عن المخلوقات الذكيّة خارج الأرض).

- أتعني أنَّ كلَّ هذا أُشيدَ بمالِ دافِعِ الضَّرائِب؟

قام الوزيرُ بحركةٍ تُشيرُ بأنَّ ذلكَ لم يكن سِوى النَّزرِ اليَسيرِ بالنّسبةِ للهَدْرِ الذي لاحَظَهُ خِلالَ فترَةِ ولايتِه.

- وهناكَ أيضاً، كمُسَاهمةٍ أصْغَر مالُ جولييت، أضَافَ آرتور. زَوجَتي، جولييت راميريز، بقيت خارِجَ العُشّ. هي بمثابة حامِلَةِ طَائراتٍ إلى نِمالنا الطّائرةِ في المدِينةِ وتُشارِكُ في «فخّ للتفكير». أؤكّدُ لك بأنَّ الألعابَ التلفزيُونيّة مُرْبِحة.

- لديها صُعُوبة في الوقتِ الحَالي، أليس كذلك؟ أعلَنَ دافيد، مُتذكّراً بأنَّ اللُّغز الذي لدَى مدام راميريز صُعُوبة في حلّهِ كانَ هو ذاتُهُ المَحفُور عند بابِ المدْخَل.

- لا تخَافوا، قالَت ليتيسيا، هذهِ اللّعبَةُ مُزيّفة. نَحنُ مَنْ يُرسِل الألغاز، وجولييت تعلَمُ مُسبقاً بجَميعِ الأجوبَة. لا يبقَى أمَامَها سِوى رَفع مبلَغ الرّهانِ في كلّ حلقَةٍ من هذا البرنامِج لنَصِلَ إلى أقصَى ربحٍ مُمْكن.

أخذَت جولي تتأمَّل، مُعجَبةً، الشّيءَ الذي يُسمّيه أولئكَ النّاسُ «عُشَّهم». قَد يكونُ استِقرارُهم لعامٍ في هذا المكانِ جعَلَهم يُظهِرُونَ البراعَةَ التي عَجِزت ثَورَةُ النّملِ عنْ تَحقِيقها.

- ارتاحُوا في المقصُورات. سأطلِعكُم غداً على الرّوائِع الأخرى لمَخابِرنا.

- آرتور، أأنتَ واثِق بأنّكَ لستَ البروفيسُور إدمُون ويلز؟ سألت جولي.

انفجرَ الرَّجُلُ بالضّحكِ الذي سُرعانَ ما اسْتحَالَ نوبةَ سُعال.

- لا يجِبُ أنْ أَضْحك، هذا يُضرُّ بصحّتي. لا، لا، لا، للأسف، أؤكّدُ لكِ بأنّني لستُ إدمون ويلز. لست سِوى مريضٍ مُسنّ لجأ إلى كوخٍ صَغيرٍ برفقةِ أصدِقائِه لينصرِفَ بهدوءٍ إلى عَملٍ يُمتّعه.

ثمّ أوصَلَهم إلى أماكِنهم.

- حَسَبنا حِسابنا هنا بنحوِ ثلاثينَ مَقصُورة، هي أشبهُ بغُرفٍ صَغيرة لأجلِ «أصْحَابِ المُجلّد الثالث». لم نكُنْ نعلَمُ كم سَيكونُ عدَدكم حينَ ستلتَحِقونَ بنا. إذنْ ثمّةَ أماكن وَافِرَة مِن أجلِكم أنتُم السّبعةُ.

أخرَجت فرنسين الجُدْجُد جيمي ووضَعتهُ على الطّاولَة. نَجَحت في اللّحظَةِ الأخيرَةِ أثناءَ هجُومِ قوّاتِ النّظَامِ باسْتِعادتِه.

- المِسكينُ، لو لَم نأخذُهُ من هُناك، لكانَ أنْهَى مَسِيرَتهُ المِهنيّة كمغنٍّ بشكلٍ مُؤسفٍ داخِلَ قفَصٍ للتَرويحِ عنِ الأطفَال.

رتَّبَ كلّ واحد مِنهم غُرفته قبلَ العشَاء. ثمَّ مضوا إلى قاعةِ التلفزيون حيثُ كانَ يَجلِسُ جاك ميليس.

- جاك شديدُ التعلّقِ بالتلفزيُون. مُدمِن عليهِ ولا يَستَطيعُ منعَ نفسِهِ مِنْ مُشاهدَته، قالَت ليتيسيا ويلز ساخرةً، يَرفَعُ الصَّوتَ أحياناً، فنوبّخهُ. ليسَ هيّناً العيشُ ضِمنَ جماعةٍ في مكانٍ ضيّق. ولكن، منذُ بعضِ الوقت، عزلَ قاعَةَ التّلفزيُون الخاصّةِ بِهِ صوتيّاً بإسْفنجٍ فباتَ الحَالُ أفضَل.

رفَعَ جاك ميليس الصَّوتَ لأنَّ ساعةَ الأخبارِ حانَت. كلّهم تَجمَّعوا لمُشاهدَة ما يَحدُثُ في العالَمِ الخارجيّ. بعدَ أنْ تناولَ المقدّمُ الحربَ في الشَّرقِ الأوسَط، وزيادَة البطَالَة، أتى أخيراً على ذِكْرِ ثورةِ النّمل. أعلنَ بأنّ الشُّرطَة ما زالَت تَبحَثُ عنْ زُعماءِ العِصَابة. والضَّيفُ الرئيسيُّ لنشرَةِ الأخبَار هذِه هو الصَّحَفيُّ مارسيل فوجيرار الذي يَزعمُ بأنّه آخر مَنْ أجرَى لقاءً معَهم.

- هو منْ جَدِيد! قالَت فرنسين مُستاءةً.

- تذكّروا شِعاره...

قالَ السَّبعةُ معاً:

- «لا نتكلّمُ جيّداً إلّا عمّا لا نَعرفُه».

بالفِعل، لا بدَّ أنَّ الصَّحفيّ لا يعِرفُ شيئاً عن ثَورتِهم إذْ كان مُفرِط الإسْهَاب. يزْعُم بأنّه مخزَنُ أسرارِ جولي الوَحيد، والذي بحَسْبِهِ أفضَتْ لهُ بنيّتها تَغييرَ العالَمِ جذريّاً من خلالِ المُوسِيقى وشَبكاتِ الحَواسِيب. أخيراً، استلَم المُقدّم الميكروفُون وأعلَنَ بأنّهُ قدْ طرَأ على حالَةِ المَوقُوفِ الوحِيد، نرسيس، تَحسُّن طَفيف. لقد خَرجَ منَ الغيْبُوبَة.

وقعُ الخَبرِ أشَاعَ الارتِياحَ بينَ الجَميع.

- لا تَهتَم نرسيس. سوفَ نُخرِجكَ منْ ذلكَ المكان! صَرخَ بول.

ثمَّ أظهَرَ الرّبورتاج الخَرابَ الذي لَحقَ بالثانويّةِ بعدَ احتِلالها مِنْ «مُخرّبي» ثورة النمل.

- لم نُخرّب قطّ، قالَت زويه هائِجةً.

- ربّما عادَ الجُرذانُ السُّود ليحطّموا كلّ شيءٍ بعدَ أنْ أُفرِغَت الثانويّة.

- إلّا إذا كانتِ الشُّرطةُ مَنْ تكفّلَ بذلِك لإفقادِكم المِصداقيّة، قالَ جاك ميليس، المُفوّضُ القدِيم.

ومنْ جدِيدٍ ظَهرت صُورُهم الشَّخصيّة السَّبعة على الشَّاشة.

- لا تَخافوا، هنا، تَحتَ الأرض، لنْ يَصِلَ إليكم أحد، أعلَنَ آرتور.

وشرَعَ يَضْحَك. الضَّحِكُ الذي تَحوّلَ نَوبةَ سُعالٍ جَدِيدة.

- فسّرَ بأنَّ سببَ ذلك مرض السَّرطَانِ المُصاب به. أجرى دراسَاتٍ لمُقاومةِ مَرضِه ولكن دونَ نتيجة.

- هل تَخافُ الموت؟ سألَت جولي.

- لا. الشَّيء الوحيد الذي أخافُهُ هو أنْ أموتَ دونَ أنْ أنْجِزَ الشّيء الذي خُلِقتُ منْ أجلِه. (سَعلَ) لدينا جميعاً مهمّة، مهما بدَت صَغيرة، إن لم نُنْجزها، تكونُ حياتنا مرَّت هبَاء. إنّهُ هدْر إنسانيّة.

ضحِكَ وسعلَ مُجدّداً.

- ولكنْ لا تُبالُوا، ما زالَ في جُعْبَتي الكثير منَ الحِيلِ. ومنْ ثمّ... لم أُطْلِعكم على كلّ شَيء. لا يزالُ في جُعْبَتي سِرّ كبير أُخفِيهِ...

أحضَرت لهُ لوسِي حقيبةَ أدْوِيَته. وبينما أعطتهُ جُرعةً من الهُلام الملكيّ حقنَ العجُوزُ نفسَهُ بالمورفين كي لا يتألّمَ بلا طَائِل. حملَهُ سُكّان العُشّ لاحِقاً إلى مقصُورتِهِ ليرتَاح. انتَهت نَشْرة الأخبارِ التّلفزيونيّةِ بلقاءٍ مع المُغنّيةِ المَعرُوفةِ ألكسندرين.

188. تلفزيون

المُقدّم:

مَرحباً ألكسندرين، شكراً لكِ لتلبيَةِ دَعوتِنا وتَكلّفكِ عناءَ القُدُومِ إلى الاسْتُوديو. نَعرفُ كم وقتكِ ثَمين. ألكسندرين، أغنيتُكِ الأخيرَة، «حبُّ حياتِي»، باتَت على كلّ الشّفاهِ. كيفَ تُفسّرينَ ذلك؟

النَّجمَة:

- أظنُّ بأنَّ الشّباب يَجِدُونَ أَنفسَهُم بأغانيّ.
المُقدّم:
- هلّا تُخبرينا عن ألبُومِكِ الجَدِيد، الذي حازَ الدَّرجَة الأولى في قَوائِم الأكثرِ مَبيعاً.
- بالطَّبع! *حبُّ حياتي* هو ألبومِي الأوّل المُلتَزم. ينطَوي على رِسَالةٍ سياسيّةٍ عميقَة.
المُقدّم:
- آه حقّاً؟ أيّة رسَائِل ألكسندرين؟
النَّجمة:
- الحُبُّ.
المُقدّم:
- الحُبُّ؟ هذا رائِع. حتّى أنّه، كيفَ يُمكنُ أنْ أُعبّر؟ **ثَوري!**
النَّجمَة:
- بالمُناسَبةِ أنوي أنْ أوجّهَ بياناً إلى رئيسِ الجُمهوريّةِ يُطالبُ أنْ يعيشَ الجَميعُ في الحبّ. وإنْ لَزِم الأمر، سأنظِّمُ اعتِصَاماً أمامَ الإليزيه وأقترِحُ أنْ تُؤخَذ أغنيتي «حبُّ حياتِي» نَشيداً. يكتُبُ لي الكثيرُ من الشبّان مُعرِبينَ لي عنْ اسْتِعدادِهم للتَظاهُرِ في الشّارِع، وأنْ يُشعِلوا ثَورةً بهذا المعنَى. سبَق ووجدتُ عِنوانَها. ستُسمَّى «**ثورَةُ الحُبّ**».
المُقدّم:
- على أيّةِ حالٍ، أُذكِّرُ بأنَّ ألبومكِ الأخير، *حبُّ حياتي* أصبحَ متَواجِداً على الرّفُوفِ في جَميعِ مَحالّ الأسطُوانات الرّاقية، بثمَنٍ لا يُذكَر مئتَي فرنك. وسَيُبثُّ الفيديو كليب، الذي تحتَ رعَايةِ مَحطّتنا، في جَميعِ السّاعاتِ قبلَ مُقدّماتِ برامِجِ العُطلَة، وبما أنّنا في موسِمِ رحلَات العطلَة، كيفَ وضْعُ الطّرقات، دانييل؟
- مرحَباً فرانسوا، هنا، في مَركزِ اسْتِعلاماتِ الحَركةِ المُروريّةِ في روسني سو بوا، ليسَ لَدينا الحظّ في اسْتِضافةِ آيةِ الجَمالِ ألكسندرين في استوديوهاتنا ولكن بوسْعِنا إعطَاءُ المُحصّلات الأولَى للازدِحَام على طُرقِ فرنسا في اليَومِ الأوّلِ هذا منْ عطلة الفصح.

تُظهِرُ مشَاهِدٌ مأخُوذَة منَ الحوّاماتِ رَتلاً لا نِهائيّاً من السيّاراتِ، ثابتاً على طُولِ بضْعةِ كيلومِترات. وقَعت حَوادِثُ وارتطَامات أودَت بعشَراتِ الضَّحايا، علّقَ الصَّحفيّ ببرُود، ذلكَ لَم يَمنَع الجُموعَ منَ الاندِفاعِ على الطُّرقاتِ للاسْتِمتاعِ بعطلَتِهم المدفُوعَةِ الأجر.

189. موسوعة

شَجاعةُ سَمكِ السّلَمون: يَعرِفُ سَمكُ السَّلَمون منذُ ولادتِه بأنَّ أَمامَه رِحلَةً طَويلة يتعيَّنُ عليهِ القيامُ بها. يُغادِرُ مَجْراه المائيّ الأصْليّ نزولاً إلى المُحِيط. عندَ وصُولِه البَحر، يُعدّلُ سَمَكُ المياهِ العذبةِ المُعتَدلَةِ هذا تنفّسَه ليتَحمّلَ المياهَ المالِحةَ البارِدَة. يُتخِمُ نَفسَهُ بالطَّعامِ لتقويَةِ عضَلَاتِه. ثمَّ، مثل استِجَابة لنِدَاءٍ غامِض، يُقرّرُ سمَكُ السَّلَمون العَودَة. يَجوبُ المُحِيط، ويَجِدُ ثانيةً مَصبَّ النَّهرِ المُؤدّي إلى النّهرِ المُفضِي إلى المَجرَى المائيّ الذي ولِدَ فيه.

كيفَ يَستَدلُّ على مسَارِه وسَطَ المُحِيط؟ لا أحدَ يعلَمُ ذلك. لا بُدَّ أنَّ سَمَكَ السَّلَمون مُزوَّدٌ بإحسَاسٍ مُرهَفٍ بالرائِحة يَسمَحُ لهُ في مياهِ البَحرِ اكتِشافَ طَعْمِ جُزيءٍ ناتِجٍ عن مياهِهِ العَذْبةِ الأصْلِيّة، أو أنّه يُحدّدُ مَوقِعهُ في المكانِ بمُسَاعدَةِ الحقُولِ المِغناطيسيّة الأرضِيّة. غيرَ أنَّ الفرضيّةَ الثانيةَ هذه تبدُو حظُوظها أقلّ فقَد لوحِظَ في كندا أنَّ سَمكَ السَّلَمون يُخطِئ النَّهرَ إذا بلغَ دَرَجةً عاليةً منَ التلوّثِ.

عندما يظنُّ السَّلَمون أنّه وجدَ مُجدَّداً مَجراهُ المائيَّ الأصليّ، يبدأُ رِحلَةَ صُعودِهِ إلى النَّبع. الاختِيارُ رَهيب. طوالَ عدّةِ أسَابيع، يُقاتِلُ ضِدَّ التيّاراتِ العكسِيّة العنيفَة، يَقفزُ لمُواجَهةِ الشلّالات «بوسْعِ سَمكِ السَّلَمون أنْ يقفزَ عَالياً حتّى ثلاثةِ أمتار»، يُقاوِمُ هجَماتِ الحيواناتِ المُفترِسةِ: أَسْماكُ الكراكي، ثَعالِبُ الماء، الدّببَةُ والصيَّادُونَ منَ البشَر. الرِّحلَةُ كارثيّة. أحياناً يَجِدُ سَمَكُ السَّلَمون نفسَه عالِقاً بالسّدُودِ التي أُقيمَت بعدَ مُغادَرتِه.

سَوفَ يموتُ مُعظَمُ السَّلَمون في الطَّريق. أمّا النّاجُونَ الذينَ يَصِلُونَ في نِهايةِ المطَافِ إلى نَهرِهِم الأصليّ فسيُحيلونَهُ إلى بُحيرةِ حُبّ. وعلى الرّغمِ مِن إرهَاقِهم ونحولِهم، يُؤدُّونَ حركاتٍ غراميّةٍ مَرِحة للتكاثُرِ مع إناثِ

السَّلَمون النَّاجِياتِ في المَسْرأ. وسيَبذلونَ المُتَبقي مِن طاقَتهم في الدّفاعِ عن بيضِهم. بعدَ ذلك، لمّا تَخرجُ صِغارُ السَّلَمونِ مِنها مُتأهِبينَ لتَجديدِ المُغامَرة، يُسلِمُ الأبوانِ أَنفسَهم للموت.

يَحصُلُ أحياناً أنْ يحتَفظَ بَعض السَّلَمون بقوّةٍ تكفيهم للعودَةِ أحياء إلى المُحيطِ وبدء الرّحلَةِ الكبيرةِ مِن جدِيد.

إدمون ويلز،

***موسوعة العلم النسبيّ والمطلق*، المجلد الثالث.**

190. نِهاية اللّغزِ الأوَّل

داخِلَ سيّارتِهِ الجِيب المركونَة وسَطَ الغابة، أخرجَ مكسِيميليان منْ دُرْجِ السيّارةِ سَندوتش سلَمون مُدخّن وراحَ يتلذّذُ بها مع بِضْعِ قطَراتٍ من اللّيمونِ والقليلِ منَ القِشدَةِ الطَّازجَة.

رجال الشُّرطَةِ منْ حولِهِ يثرثِرونَ عبرَ أَجهزَتهم اللّاسلكيّة. نظَرَ مكسيميليان إلى سَاعتِهِ وسَارعَ في ضَغطِ زرّ تلفزيونِهِ الصَّغيرِ الذي يَعملُ بوصله بمنْشبِ ولّاعةِ السَّجائِر.

- أحسَنت، سيّدَة راميريز، اكتشَفتِ الحلّ!

تَصْفِيقات.

- كانَ الأمرُ أسْهل ممّا توقّعت. تَشكِيلُ ثَمانيةِ مُثلّثاتٍ بستّةِ أعوادِ ثِقاب، بدا لي مُحَالاً حقّاً. ومع ذلِك... كُنتَ مُحقّاً إذْ يكفِي التَّفكير.

شعَرَ مكسِيميليان بالاغتِياظ. فبتأخرِهِ بضْعَ لَحظَاتٍ فوّتَ على نفسِهِ مَعرفةَ لغزِ المُثلّثاتِ الثّمانيةِ المُتسَاوية الأضْلَاع ذات الحَجْم الواحِد.

- حسناً، سيّدة راميريز، دعينَا ننْتقلُ إلى اللّغزِ التالي. لتعلَمي هو أكثرُ تَعقيداً بعضَ الشّيء منَ السّابِق. وها هو عرضُ اللّغز: «أظْهرُ في بدايةِ اللّيلِ وعندَ نِهايةِ الصُّبح. يُمكنُ أنْ أُرَى مرّتينِ في العَام وأميّزُ بوضُوحٍ في النّظَرِ إلى القمَر. من أنا؟»

دوّنَ مكسِيميليان تلقائيّاً مُعطَياتِ المسألةِ على دَفتَره. يَروقُ لهُ أنْ يظلَّ في ذِهنِهِ لُغز بحَاجةٍ للحَلّ.

طرقَ شُرطيّ على بابِ سيّارتِهِ قاطِعاً شُرودَهُ.

- تمّ الأمرُ، سَيّدي. عثرنا على أثرِهما.

191. إنّهم بالمَلايين

أَرْجُلُهم تنهَبُ الأرضَ. لا يكفُّ المَسِيرُ الكبير عنْ اجتِذابِ الأعدَادِ الغَفيرة، غدوا الآن مَلايينَ مِنَ الحشَراتِ السّائرةِ قُدماً نحوَ بلادِ **الأصَابع**. لزمَنٍ طَويلٍ، تَكدُّ النّمالُ في المسِير فوقَ السُّفوحِ الصَّخريّةِ وحلَقاتِ لِحاءِ الجُذورِ البارِزَة.

تُميِّزُ الأميرةُ 103 الذّهنَ الجَماعيّ الهائِلَ لفرقتِهم مُتمتّعاً مثلَ حيَوانٍ يَعي كسبَهُ المزيدَ منَ النّفوذِ والقوّةِ ومع ذلكَ يشُوبهُ القلَقُ ممّا ينتَظِره.

إنّه مَوعِد والنّمالُ يُدركنَ بأنَّ عليهنَّ، منْ أجلِ هذا المَوعِد، أنْ يكُنّ في أوجِ مقدِرتهنَّ.

لدَى الجَميع شُعور بأنّه يُساهِم في أشدّ لَحظَاتِ الكوكَبِ جلَالاً. لقد سبَقَ للنملِ أن شهدَ أثناءَ وجُودِه القدِيمِ على الأرض أحداثاً كونيّة كُبرى: مَوت الدّيناصُورات، غيرَ أنَّ الحدثَ كان مُشوّشاً ومُشتّتاً في بقاع عدّة. هزيمةُ الأرَضَات، لكنَّها كانَت طَويلَة وشاقّة. والآن المَوعِدُ مَع **الأصَابع**. «المَوعِدُ الكَبير» الأخير.

بجمرَاتِهم البُرتقاليّة التي تتَصَاعدُ مِنها الأدخنة، تَمنَحُ الحَلازِينُ الموكِبَ اللانِهائيّ هيئَةَ أفعَى مُرقّطَة بأضْواء، وحولَ القَواقعِ المُنزلقةِ بتريثٍ تتراقصُ ظِلالُ نِمالٍ ضَئيلَة مُمتدّة بينَ العُشْب.

وهي جالِسَة بثباتٍ على قمّةِ إحدَى الحَلازِين التي تتَمايَلُ وتبْصُقُ بكثافَة، تَشرَعُ الرّقم 7 بلوحتِها البانُوراميّة عن المَسِيرِ الطّويلِ صَوبَ **الأصَابع**. تُبلّلُ مِخلَبها باللّعابِ ثمّ تَغطّهُ بالأصْبغةِ قبلَ أنْ ترسُمَ أَشكالاً على الورقَةِ الكبيرة التي هي الخامَةُ الأساسيّةُ لعملِها. إلى اللّحظَة، تكتَفي بتَجمِيعِ رُسُومٍ أوليّة لنِمالٍ لمنْح انْطِباعِ الحُشود.

192. الثّلاثةُ مُجتَمِعونَ أخيراً

اللّيلَة الأولَى في الهرَمِ كانت هانِئة للغَاية. ربّما بسَببِ التّعب، ربّما بسبَبِ

تَكوينِ عُشّهم، أو ربّما بسببِ طَبقةِ التراب الحَاميَة في السَّطْح، لأوّل مرّة، منذ فترة طويلة، تنامُ جولي بلا خوفٍ تقريباً.

عندَ الصَّباحِ تناولَت فَطُورها في قاعَةِ الطَّعامِ المُشتَركة، ثمَّ تَجوّلَت داخِلَ الهرَم. اكتشَفَت في قاعةِ المكتبَةِ كتابين شَبيهينِ بكتابِها موضُوعانِ على طَاولَةٍ كبيرَة. تأمّلتِ المُجلّد الأوّل والثاني *للموسُوعة*، ذهبَت وأحضَرَت الثالِثَ من حقيبةِ ظَهرِها ووضَعتهُ إلى جانِبِ الآخرَيْن.

المُجلّداتُ الثّلاثةُ مُجتَمِعةً أخيراً.

ثمّةَ غَرابة بالتّفكيرِ أنَّ مُغامرَتهم تَحدّدت بواسطة رَجُلٍ نجَحَ، بكتَابتِهِ ثلاثةَ كُتبٍ فقط، أنْ يُؤثّر في مَنْ عاشَوا بَعدَه.

انضَمَّ آرتور راميريز إليها.

- كنتُ متأكّداً أنّي سأجِدكِ هنا.

- لماذا كتبَ ثلاثةَ مُجلّدات؟ لماذا لم يكتَفِ بواحدٍ فقط؟ سألَت جولي.

قعدَ آرتور.

- كلّ كتابٍ منهم مُكرّس إلى عَلاقاتٍ مع حضَارةٍ مُختلِفة وطَريقة تفكيرٍ مُختلِفة. يُمثّلُونَ الخطَوات الثّلاث نحوَ فَهمِ **الآخر**. الكتابُ الأوّل، المرحلَةُ الأولى: اكتشافُ وجودِ **الآخر** والتواصُلِ الأوّلِ معه. الكِتابُ الثّاني، المرحلَةُ الثانيّة: المُواجَهةُ مع **الآخر**. الكِتابُ الثالِث، المرحلَةُ الثّالثة: المُواجَهة انتَهت دونَ انتِصارٍ أو هزيمة لا مِنْ هذا الطّرفِ ولا مِنْ ذاك، فمنَ الطّبيعيّ الانتقَالُ إلى التَّعاونِ مع **الآخر**.

ضمَّ المُجلّداتِ الثلاثةَ إلى بعضِها.

- تَواصُل. مُواجَهة. تَعاون: تنغلِقُ الثلاثيّة، المُقابلَةُ مع الآخرِ تَكتَمل. 1 + 1 = 3...

فتَحَت جولي المُجلّد الثّاني.

- كنتَ تقول بأنّكَ صَنَّعتَ «حجَر رشيد»، آلةَ مُخاطَبةِ النّمال، هل هذا صَحِيح؟

هزّ آرتور برأسِهِ إيجَاباً.

- يُمكنُ أنْ تُطلِعنا عليها؟

تردَّدَ آرتور ثمّ وافقَ. نادَت جولي رِفاقَها. قادَهُم العَجُوزُ إلى غُرفةٍ أضْواؤها الخَافِتة تُنيرُ أحواضَاً تُرابيّة مُزدَحِمة بالزّهورِ والنّباتاتِ والفِطْر. كانَت هناكَ أيضاً مَجمُوعَة مُركّبة تعرَّفت إليها جولي إنّها «حجَر رَشيد»، كما هو مَوصُوف في *الموسُوعة*.

أصدَرَ الحاسُوبُ الذي أدارَهُ آرتور أزيزاً مكتُوماً.

- أهوَ الحاسُوب ذو «الهندَسيّةِ الديمُقراطيّة» الذي تتحدَّثُ عنهُ *الموسُوعة*؟ سألَت فرنسين.

أومأَ آرتور بالإيجَابِ. مَسْروراً بتعامُلِهِ مع مُطّلعين. تعرّفَت جولي على جِهازَي مِطيافِ الكتلَةِ والكروماتوجرافيا. غيرَ أنَّ آرتور عِوضَاً عن أنْ يصِلَهما ببعضٍ بتتابُعٍ كما فعلَت هي، وصلَهُما على نحوٍ متوازٍ، ممّا يَجعلُ تَحلِيلَ الجُزئيّات وتَركيبها يَحدُثُ في آنٍ معاً. فأدركَت لماذا لم يَعمل نمُوذجها.

عايرَ مقابِضَ مُختلِفة مُوصُولة إلى أنابيبٍ.

بعدَ أنْ انتهَت التجهيزات، أخذَ آرتور برفقٍ نملَةً ووضعَها في عُلبةٍ زجاجيّة شفّافة في داخِلها مِذْراة بلاستيكيّة. وضَعتِ الحشَرةُ غريزيّاً قرنَيها على القرنَينِ الاصْطِناعيّين. قالَ آرتور ببطءٍ عبرَ ميكروفون:

- حِوارٌ مَرغُوب بينَ إنسانٍ ونملَة.

اضْطَرَّ إلى إعادةِ الجُملَةِ عدّة مرّاتٍ وهو يُعايرُ صَوامِلَ صَغيرة. حرّرت قواريرُ العِطرِ الغازَاتِ التي ستَقومُ بدَورِ الفيروموناتِ الباثّة. تَتَّحِد قبلَ أنْ تندفِعَ إلى القرونِ الاصْطِناعيّة. خَشْخَشتْ مُكبّراتُ الصّوتِ وأجابَ أخيراً صوتُ الحاسُوبِ الاصْطِناعيّ باللّغة السمعيّة:

- *حوار مقبول*.

- مرحباً، النملة رقم 6142. لديّ هنا أناسٌ مِنْ شعبي يريدونَ سمَاعكِ تتكلّمين.

أضاف آرتور مُعايراتٍ أُخرَى لتحسِينِ جودَةِ الاستقبال.

- *أيّة أناس*؟ سألت النملة رقم 6142.

- أصدقاء لا يعرفون أنّ بوسعنا التحاور معاً.

- *أيُّ أصدقاء*؟

- زوّار.
- *أيُّ زوّار؟*
- هُمْ...

بدأ صبرُ آرتور يَنفَد. إلّا أنّه اعترَفَ بأنَّ هُناكَ على العُمُوم صُعوبَةً شَديدَةً بالتّحاورِ مع الحشَرات. ليسَت التِّقنيّة سببَ المُشكلةِ، أبداً، أصبَحَ بالإمكانِ المُحاورَة بينَ الطّرفين، غير أنَّ سوءَ التفاهمِ حاصِلٌ في المعنَى.

- حتّى إذا اسْتَطَعنا التكلّمَ مع حَيوانٍ، فليسَ أكيداً أنْ نفهَمَ ما يَقول. تَصوّرُ النّملِ عن العالَمِ مُختلفٌ عنْ تَصوّرنا ويتوجّبُ دائِماً إعادَةُ تَعريفِ كلّ شيء وتفكيكه إلى أبسَطِ عباراتِه. فلمُجرّد إفهامِهِ كلِمةَ «طَاولة»، ينبَغي التّفسِيرُ أنّها «دعَامة مُسطّحة من خشَب، مُزوّدة بأربعةِ قوائِم وتُستَخدمُ للطعام». نَحنُ نَستَعملُ فيما بيننا، بوصْفِنا بشَراً، كمّاً هائِلاً من التلمِيحاتِ الضّمنيّةِ وعِندَ توجّهنا إلى صِنفٍ ذكيّ آخر نكتَشِفُ بأنّنا نفتَقِدُ قدْرتَنا على التكلّمِ بوضُوح.

أضافَ آرتور أيضاً بأنَّ الرقم 6142 هذهِ لا تُدرَجُ ضِمنَ قائمةِ النّمالِ الأكثرِ غبَاء. ثمّةَ منهنَّ منْ لا تُجيدُ سوى تكرارِ بثّ «النَّجدَة» ما أنْ يَضَعها في عُلبةِ التّحاور.

- يعتَمدُ ذلكَ على الأفراد.

وذكرَ الرّجُلُ العجوزُ بحنينِ الرّقم 103، نملَة موهُوبة خارِقة للعادةِ عرِفها في الماضِي. لم تكنْ تُجري حواراتِها بفطنَةٍ فحسب وإنّما بوسعها أيضاً التِقَاطُ بعضِ المفاهِيم المُجرَّدةِ الخاصّةِ بالبشَر.

- الرّقم 103، كانَت النّسخَةُ النّمليّة عنْ ماركو بولو. ولكن أيضَاً أكثر من ذلكَ المُستَكشِفِ تتحلّى باتّساعٍ ذهنيّ لا يُصدَّق. فضولُها لا يرتَوي ولم يكن لديها تقريباً أيّة أفكارٍ مُسبَقة عنّا، تذكّر جوناثان ويلز.

- هل تَعرفونَ ماذا كانَت تَدعونا؟ تنهّدَ آرتور. «الأصَابع». إذْ إنَّ النَّملَ لا يرانا بالحَجْمِ الكامِلِ كلّ ما يُميّزهُ منَ البشَرِ هو الإصْبع التي تنقضُّ عليهِ لسَحقِهِ.

- يا لَلصُورةِ التي يأخذُها عنّا! علّقَ دافيد.

- تماماً، هذا هو الجيّد عندَ الرقم 103، كانت تُريدُ أنْ تعرِفَ بصدقٍ إنْ

كنّا وحُوشاً أمْ «حيواناتٍ ودُودَة». صنَعْتُ لها تلفزيوناً على حَجْمِها لكي ترى البشرَ بالحَجمِ الكاملِ وهم مُنصَرِفونَ إلى انْشِغالاتِهم في شتّى بِقاعِ العالَم.

حاولَت جولي تخيّلَ الصّدمةِ التي لا بدَّ أنْ أحسَّتها النّملَة. مثلما لو قُدّمَ لها، دُفعَةً واحِدَة، رؤيةُ مُجتَمع النّملِ من الدّاخِل ومن زَوايا عدّة. الحُروب، التّجارة، الصّناعة، الحكاياتِ الخَياليّة...

ذهبت ليتيسيا ويلز لتُحضِرَ صُورةً شخصيّة لهذِهِ النّملَةِ الاستثنائيّة. تفاجَأ أصْحابُ المُجلّدِ الثالِثِ للوهلَةِ الأولى من اختلَافِ الصوّرِ بينَ نَملَةٍ وأخرى، تَمعّنوا باللّقطَةِ إلى دَرجةِ أنّهم ميّزوا بعضَ السّماتِ الخَاصّة في «وجْه» الرّقم 103 هذِه.

قعدَ آرتور.

– لقطَةٌ جانبيّة جَميلَة، أليسَ كذلك؟ كانت الرّقم 103 أكثر مُغامَرة، وأبعد رؤية، وأشدّ وعياً بدورها الكوني من أنْ تَستكينَ للمُكوثِ مُغلقاً عليها داخِلَ حَوض، والإصْغاءِ إلى دُعابَاتنا، ومُتابعةِ الأفلام الهوليوديّة الرومانسيّة، ومُشاهدَةِ لوحَاتِ اللّوفر تتعاقبُ أمامَها. فهرَبَت.

– بعدَ كلّ ما فعلنَاهُ لأجلِها! ظننّا أنّنا كسبنا صدَاقتَها، غير أنّها تخلّت عنّا، قالَت ليتيسيا.

– هذا صَحيح، شَعرنا بأنّنا يَتِمنا منَ الرّقم 103. فيما بَعد، فكّرنا، أردَفَ آرتور. النّملُ حيوانات برّية. لن نَستَطيعَ يوماً تَدْجِينَه. جَميعُ كائناتِ الأرضِ أحرَار ومُتَساوونَ في الحُقوق. لم يكنْ لدينا أيُّ مُبرّرٍ للاحتِفاظِ بالرّقم 103 أسِيرة.

– وأينَ هي الآن هذه النّملَةُ الاسْتثنائيّة إلى هذا الحدّ؟

– في مكانٍ ما في هذهِ الطّبيعَةِ الشّاسِعة... قبلَ أنْ تَذهب، تركَت لنا رسَالة.

تنَاولَ آرتور قِشرَة بيضَةِ نَملٍ ووصَلَها مع القرنَينِ الاصْطِناعيّين. تَرجَم الحَاسُوب الرّسَالَة الشّميّة كأنَّ البيضَة حيّة وتتوجّهُ بحدِيثها إليهم.

أعزّائي الأصَابع،

ما مِنْ فائدَةٍ لوجُودِي هنا.

سأمضِي إلى الغابةِ لأبلغَ قومي بأنَّ لديكم وجُوداً وبأنكم لَستُم وحُوشاً ولا آلهة.

بالنّسبةِلي، أنتم لستم «سِوى شيءٍآخر»، شيء موازٍ لنا.

على حضَارتَينا أنْ تَتَعاونا وسأفعلُ ما في وسْعي لأقنعَ أبناءَ جلدتي بالتّواصُل معكم.

حاوِلوا فعل الشّيء ذاته منْ طَرفِكم. توقيع الرّقم 103.

- تُجيدُ لُغتنا ببراعةٍ، قالَت جولي مُندهشةً.

- الحاسوب مَنْ يُرتّبُ صِياغاتِ الجُمل، ولكن لا بدَّ من وجودِ فقدانٍ بالتّرجَمة، أقرّت ليتيسيا. أثناء إقامتِها هنا، بذلَت الرقم 103 جهداً كبيراً لتفهَمَ مَبادِئ لغتنا المحكيّة. فهِمت كلّ شيء باستثناءٍ، وفقاً لاعتِرافِها، ثلاثة مفاهِيم.

- ما هي؟

- الفُكاهة، الفنّ، الحُبّ.

حطَّت عينا ليتيسيا الأرجوانيّتانِ على وَجْهِ الكوريّ.

- هذِهِ المفاهِيم يَصعُبُ فهمُها بالنّسبةِ للابشريّ. في الفترةِ الأخيرةِ انْصَرفنا إلى تَجميعِ دُعاباتٍ للرقم 103، ولكنَّ فُكاهتنا مُغرِقة بـ«البشريّة». كانَ يُفترَضُ بنا أنْ نَعرفَ إنْ كانَ ثمّةَ فُكاهة خاصَّة نمليّة. مثلاً، قِصَصٌ عن خنافِس يونيو التي تتَشابكُ أرْجُلها في شِباكِ العناكبِ أو الفراشَاتِ التي تنطَلِقُ بأجنِحَةٍ لا تزالُ رَطبةً ومُجعّدةً فتهوي على الأرضِ وتُسحَق...

- يوجَدُ هنا، مُشكلَة حقيقيّة، اعترَفَ آرتور. ما الذي يُمكنُ أن يُضحِكَ نَملة؟

عادوا إلى جِهازِ التّحاور ونِمالِ الاخْتِبارِ اللّواتي كنَّ في حرَكةٍ دائِمة.

- منذُ فِرارِ الرّقم 103، مُضطرّونَ إلى التّعامُلِ بمنْ لدينا، قالَ آرتور.

توجّهَ إلى النّملةِ داخِلَ العلبةِ الزّجاجيّةِ سَائِلاً:

- أتعرفينَ ما هي الفُكاهة، أنتِ؟

- *أيّة فكاهة؟* بثّتِ النَّملَة.

193. المسِيرُ الكبير

لا بدَّ أنَّ الفكاهةَ شيءٌ رائع.

وسَطَ دِفءِ المُخيّم، تتَحدّث الأميرَةُ 103 من أجلِ صَاحِباتِها عن وجهٍ آخرٍ منْ عالَمِ العَمالِقةِ الذي سيلتقينَهُ عمّا قريب. وكي لا يُسْحقنَ تَحتَ وطأةِ الحَرارة يتَجمّعنَ بهيئةِ كُتلةٍ مُعلّقةٍ على غُصْن. يلتفُّ حَشدُ المسِيرِ الكبيرِ بالكامِلِ حولَ ذاتِ الجِنْس مُتّخِذاً شكلَ كُرةٍ حيّة، والجميعُ قُرونٌ صَاغِية لبوحِها.

تَسري لدى ***الأصَابع*** *تشنّجات جرّاءَ الفُكاهةِ حين تُسرَدُ لَهم قِصَصٌ عن «أسكيموي على طوفٍ جليديّ» أو عن «ذُبابة تُنزِعُ أجنحتُها».*

لم تندّ أيّة ردّة فعلٍ عن الذّباباتِ القلائلِ الحَاضِرات.

تُدْركُ الأميرَةُ 103 منَ الروائِح المُقبلَةِ نَحوَها بأنَّ الفُكاهةَ لا تَستَحوذُ على اهتِمامِ مُستَمِعاتِها، فتُغيّرُ الموضُوع لتَسْتَرعي انْتِباههنّ.

تشرَحُ بأنَّ ليسَ لدى **الأصَابع** قواقِعُ صُلبة تَحمي السَّطحَ الخارجيّ منْ أجسَامِهم، فهم إذاً أشدُّ هشَاشةً مِنْ نَملة. تَستَطِيعُ النّملَة أنْ تحمِلَ ضِعفَ وزنها ستينَ مرّة بينما يَرفعُ **الإصْبعُ** في أحسَنِ الأحوالِ ما يُوازي وزْنَه. زيادةً على ذلكَ يُمكنُ للنملةِ أن تَسقُطَ مِن ارتفاعٍ يُعادلُ ضِعفَ طُولِها مئتَي مرّة دونَ أن تَلْحقَ بها أضْرار بينَما **الإصْبع** يَموتُ لو سقَطَ من ارتِفاعٍ يزيدُ عن طولِهِ ثلاثة أضْعاف.

تُتابعُ المُستَمِعاتُ أو بالأحرى المُشتمّاتُ باهتِمامِ الأبخرةَ الفيرومونيّةَ الصَّادِرةَ عن الأميرةِ 103 والنّمالُ جميعهنّ مغتَبطات لمعرفتهنّ بأنَّ **الأصَابعَ** ضِعافٌ رَغمَ أحجَامِهم الضّخمَة.

تُفسّرُ الأميرةُ فيما بعد كيفَ يقفُ **الأصَابعُ** عَموديّاً بشكلٍ مُتوازنٍ على الرّجْلَين الخلفيّتين والرقم 10 تدوّنُ مُلاحَظَاتٍ من أجلِ فيرومُونها حولَ عِلمِ الحَيوان.

مَشْي.

يمشِي ***الأصَابعُ*** *على أرجُلِهم الخلفيّة.*

بذلكَ يُمكِنهم رُؤية أبناءِ جِنسِهم منْ فوقِ الأحراش.

لينجَحوا بأداءِ هذهِ المَهارة، يُفرِجُ ***الأصَابعُ*** *قليلاً بين عُضويْهم الخلفيّين، يقدّمونَ قليلاً مِفصَلَهم البَطنيّ لتَحريكِ مركز جاذبيَّتهم إلى الأمام وبمُسَاعدَةِ الأعضاء العُلويّة يُحقّقونَ التّوازن.*

ومع أنّ هذه الوضعيّة ليست مُريحة، بوسْعِ ***الأصَابع*** *الثبات عليها لفتَراتٍ طَويلة.*

حينَ يفقِدُونَ التَّوازن، يُلقُونَ قدَماً إلى الأمام ويَستلحِقونَ أنفسَهم في اللحظَة الأخيرة.

ذلكَ يُدعى «مَشْي».

تنقّذُ الرّقم 5 عرضَاً صَغيراً. بوسْعها الآن المَشي نَحو عشْرِ خطَواتٍ مُتلَاحِقة بمُسَاعدةِ عُكازيها من الغُصينات.

لا يزالُ هُناكَ الكثير مِنَ الأسئلَةِ غيرَ أنّ الرقم 103 لا تَقفُ طويلاً عندَ هذا الموضُوع. إذْ لَديها الكثيرُ لتقُولَه لفرقِها. تقولُ إنَّ السُّلُطَات عندَ **الأصَابع** تَخضَعُ لترتيبٍ هرميّ وتُدوّن الرّقم 10 بقرنٍ استشعاريّ مَحمُوم:

سُلْطة:

ليسَ جَميعُ الأصَابع مُتسَاوين.

يَمتلكُ البعضُ الحَقَّ في مَنْحِ الحياةِ أو الموتِ للآخرين.

الأصَابع *أولئك «ذوو المكانةِ الأعلَى» بوسْعهم أنْ يأمروا بأن يُضرب بشدّةِ* ***أصَابعٌ*** *أدنَى مِنهم مكانةً أو أنْ يُغلَق عليهم داخلَ السُّجُون.*

السّجنُ هو غُرفة مُغلَقة حيث لا مخرج فيها.

كلّ ***أصْبع*** *لديهِ رئيس يخضَعُ لرئيسٍ، والذي بدورهِ يُطيعُ رئيساً آخر... وهكذا وصُولاً إلى رئيسِ البلادِ الذي يَحكمُ جميعَ نوّاب الرّئيس.*

كيفَ يتعيّن الرُّؤسَاء؟

الأمر مُنحصِر بطَبقة معيّنة حيثُ يُنتَقى الرّؤساءُ منْ بينِ أطفالِ الرّؤساءِ المُمسِكينَ بزمامِ الحُكم.

رغم ذلك، تُذكّرُ الرّقم 103 بأنّها لم تُلمّ بكلّ شَيء عنْ عالَم **الأصَابع**. وهي مُتلَهّفة للعودَةِ لتَستَكملَ معارفَها لأنّه بقي الكثير للاكتِشَاف.

يتململُ المُخيّم الهائِلُ مُحرّكاً القُرون. تتكلّمُ الجُدرانُ مع الأرضِيّات، وتتبادلُ الأبوابُ أطرافَ الحديثِ مع الأسقف.

تَشقُّ الأميرَةُ 103 لنفسِها ممرّاً بينَ الأجسَادِ وصُولاً إلى نافذةٍ حيّة. تتأمّلُ الأفق، في الشّرق. لم يَعُد بوسْعِ الموكبِ الرّجوعُ إلى الورَاء. أوغلَت في المُغامرةِ بعيداً وما عادَ ثمّة خِيارٌ سِوى النّجاحِ أو المَوت.

الحَلازِين التي تَرعَى في الأسْفلِ لا تَنْخَرطُ في النّقاشَاتِ المُحتدِمة، وبمِزاجٍ رائقٍ تتلذّذُ بقضْمِ لُقُماتٍ عارمةٍ منَ النَّفَل.

اللّعبة الرّابعة:

سباتي

194. موسُوعة

لعبةُ الورَق: تنطَوي لعبةُ الورقِ الحاليّة، بأشكالها الاثنين والخمسِين، على مغزَى وحِكاية. في البدَاية، تُشيرُ الألوانُ الأربعَةُ إلى مَجالاتِ التحوّلاتِ الأربعةِ في الحياة. أربَعةُ فُصُول، أربَعة انْفِعالات، مُؤثّراتُ الكواكِبِ الأربَعة...

1. الكُوبّة: الرّبيع، العاطِفي، الزُّهرَة.
2. الدّيناري: الصّيف، السّفر، عُطارد.
3. السّباتي: الخَريف، العَمل، المُشْتَري.
4. البستُوني: الشّتاء، الصُّعوبات، المرّيْخ.

الأرقامُ والشّخصيّات، لا تُختَارُ عشوائياً. كلّ بِطَاقةٍ تدلّ على مرحلَةٍ من مراحِلِ الوجُودِ البشريّ. وهذا مَردُّ استِخدَام لُعبةِ الورقِ المُتداولَةِ في فنّ العِرافةِ كما التاروت. على سبيلِ المِثال، يُقال إنّ ستّة الكوبّة تعني اسْتِلام هدية؛ خمسةُ الديناري تَعني الانفِصَالَ عنْ عزيز؛ مِلِكُ السّباتي، يعني الشُّهرة؛ الشابُّ البستُوني، خيانةُ صَدِيق؛ آس الكوبة، فترةُ اسْتِراحة؛ مِلِكةُ السّباتي، ضَربةُ حظّ؛ سَبعةُ الكوبّة، زواج. جميعُ الألعاب، حتّى التي تبدُو مُفرطَةَ البسَاطَة، تنطَوي على حِكمَةٍ سَالِفة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المُجلّد الثالث.

195. مبعوثي الإلَهة

بلَغَتِ الإثارةُ بجولي ورِفاقِها أصْحَاب المُجلّد الثّالث، لكثرةِ الأشياءِ التي رأوها أثناء النّهار، حدّاً أذْهبَ النومَ منْ أعينِهم.

فتحَ بول قارورةً مُفلطَحة من الهيدروميل كَمُهدّئ، «غلّة ثَوريّة»، استطاعَ إنْقاذَها من الثانويّة. واقترَحَ جي وونغ لاحِقاً جولةً بلعبةِ إليوزيس.

وضَعَ كلّ واحِدٍ بدورهِ بِطَاقةً على صَفّ طَويل.

- هذهِ البِطَاقةُ تَدخلُ نِظَامَ العالَم، هذهِ البِطَاقةُ يرفُضُها نِظَامُ العالَم، أعلنَ ليوبولد بالتّناوبِ، آخِذاً على مَحْملِ الجدّ دورَهُ كإلهٍ مُؤقّت.

عجزَ الآخرُونَ عَنْ اكتشافِ القانُونِ الذي ابتكرَهُ ليوبولد. رَغمَ تَمعّنِهم بتَسلسُلِ الأوراقِ المقبولَةِ والمرفُوضَة، لم يميّزوا فيها أيَّ إيقاعٍ، أيّ انتِظَامٍ، أيّ قانُون. حاولَ الكثيرونَ لَعبَ دَورِ الأنبيَاء ولكنْ، في كلّ مرّة، يرفُضُ ليوبولد تفسِيرَهم لفكرتِه الإلهيّة.

تساءلَت جولي، في النّهاية، إنْ لم يكن اختِيارهُ مبنيّاً على المُصَادفَة. فتارةً يردُّ بالإيجَاب، وتارةً بالنّفي دونَ أنْ تَرَى مَنطِقاً وراءَ انتقاءاتِه.

- ساعِدْنا قليلاً. لديّ شُعورٌ بأنَّ أرقامَ البِطَاقاتِ وألوانها ليسَ لديها أيّة أهميّةٍ في قانُونِك.

- بالفِعل.

انتَهى الأمرُ بالجَميعِ إلى التّسلِيم. ولمّا طالَبوهُ بالحلّ، تبسَّمَ ليوبولد:

- معَ أنَّ قانُوني بَسِيط: «مرةً، أختارُ بطاقةً ينتَهي اسْمُها بحرفٍ صَوتيّ، ومرّةً، ينتَهي بحرفٍ صَامِت».

أشْبَعوهُ ضَرباً بوسِادةٍ طَويلَة.

لَعِبوا جَولاتٍ أخرَى أيضاً. خطَرَ لجولي أنّه في نهايةِ المطَافِ لم يتبقَّ لهم من ثورةِ النّمل سِوى رمُوز: رَسْمُ الرّايةِ ذات النّمالِ الثّلاث المُشكِّلَةِ لحرفِ Y، الشّعارُ 1 + 1= 3، لُعبةُ إليوزيس والهيدروميل.

نريدُ تَغييرَ العالَم، ولا نترُكُ في ذاكِرةِ الناسِ سِوى أشياء عَدِيمة القيمة. إدمون ويلز كان مُحقّاً. جَميعُ الثّوراتِ ينقُصُها التّواضُع.

وضَعَت الشابّةُ ذاتُ العَينَين الرّماديّتين الفاتِحَتين مِلكَةَ الكوبَة على الطّاوِلَة. «بِطَاقةٌ مرفُوضَة»، قالَ ليوبولد، مُبدِياً أسفَهُ.

- رَفضُ ورقةٍ أحياناً يُغْنِي بالمعلُومَاتِ أكثرَ من قبُولِها، علّقت زويه وهي تُرشّحُ نفسَها لدورِ النبيّة.

بفضْلِ فشَلِ جولي فهِمَت زويه قانونَ هذِهِ الجولَة.

مرَّرُوا الهيدروميل فيما بينهم، مُغتَبطِينَ بلَعِبهم هذهِ اللّعبَةَ الغريبَة معاً،

ومُستغرقينَ في بطَاقاتِهم إلى حدّ أنْسَاهُم مكانَ تَواجُدِهم. تحادَثوا في شتَّى المواضِيعِ متجنّبينَ التطرّقَ إلى غيابِ نرسيس. فما إنْ تكتَملَ الدّائرة، يغدُو من الصّعبِ إعادةُ تشكيلِها على نحوٍ مُختلِف. ما يجعلُ غيابَ فردٍ واحدٍ منها يولّدُ شعوراً بأنّ الجَميعَ كسِيح.

دخلَ آرتور الغُرفَة.

- استَطعْتُ إجراءَ تَواصُلٍ مع مَوقعِ جامِعتكم الأمريكيّة في سان فرانسيسكو.

هرَعُوا إلى قاعَةِ الحَواسِيب. إذْ سبقَ لفرنسين أنْ طلَبت من الرّجلِ المُسنّ البحثَ عنْ ذاكرةِ مُخدّم «ثورة النمل». وها هو قد بدأ يَظهَرُ على الشّاشةِ الصّغيرة. جلَسَت فرنسين أمامَ لوحَةِ المفَاتِيحِ وتحدَّثت مع جَماعَةِ سان فرانسيسكو. قبلوا بسُرورٍ، بعدَ أنْ تَحقّقوا مِنْ هويّتها، إعادةَ إرسَالِ جَميعِ محفُوظَاتِهم عبرَ خَطّ هاتفيّ هرتزيّ.

بغضُونِ خمسِ دقائِق، امتلأَ حاسُوبُ الهرَم بذاكرةِ الثّورة. مُعجزَةُ التكنولوجيا الحدِيثَة، كلُّ شيءٍ يولَدُ من جدِيد. أعادُوا فتحَ الفُرُوع، واحداً تلوَ آخر. أعادَ دافيد تَفعِيلَ «**مركز الأسئِلَة**» الذي كانَ قدْ اتّخذَ وضْعِيّةَ السُّبات. في المُقابلِ كانَ العالَم الافتراضيّ *لانفرا-وورلد* قد واصَلَ عملَهُ في الحاسُوبِ المُضيف. بوسْعِه، على ما يبدو، التصرّف بحُريّة كما يتَصرّفُ سَرطَان البحرِ النّاسِك في أيّةِ قِشرةٍ تَستَقبِلُهُ.

جولي التي كانت قبل لحظةٍ تخشَى ألّا يظلّ من الذكرياتِ سوى الهيدروميل والإليوزيس، شعرت بروعَةِ أنْ ترى ثورتها تستَعيدُ حياتَها مثل إسْفنجَةٍ مُجفّفةٍ غمرَها الماءُ ثانيةً. هكذا إذاً، يُمكنُ لثورةٍ ليسَ لديها أيّ قاعدةٍ ماديّة أنْ تُفعّلَ من جدِيدٍ في أيّ وقت، في أيّ مكان، ومن جانب أيٍّ كان. الخُلُود بواسِطةِ المعلوماتيّة، لم تحظَ أيُّ ثورَة سابقةٍ بهذا الامتِياز.

مُجدَّداً، عثَروا على تصامِيمَ أزيَاءِ نرسيس، على المُخطّطاتِ المِعماريّةِ لليوبُولد، وحتّى وصَفَاتِ بول. أعادَ جي وونغ تشغيلَ الشّبكاتِ وأعلَنَ إلى العالَمِ بأكملِهِ بأنَّ ثوّارَ النّملِ أحيَاء، مُتوارينَ في مكانٍ ما، وبأنَّ حركَتَهُم مُستَمرّة.

ولئلّا يُحدَّدَ موقِعهم، أودَعُوا المعلُوماتِ في جامِعةِ سان فرانسيسكو، التي ستنُوبُ عنهم بإيصَالِ الرّسائلِ عبرَ الأقمارِ الاصْطِناعيّة.

جولي وهي تُحدّقُ في وَميضِ الأضْواءِ، ناشِراً نبأَ اسْتيقاظِهم، أحسَّت بعجزٍ عنْ فَهمِ السَّببِ الكامِنِ وراءَ فشَلِهم في ثانويّةِ فونتينبلو.

جلَسَت فرنسين مكانَ جي وونغ وأطلَقَت برنامَجها.

- مُتلَهفةٌ لأرى كيفَ تطوّرَت *انفرا-وورلد*.

لاحظَت بأنَّ عالَمَها الافتراضيّ شهِدَ تطوّراً أُسيّاً. إذْ تجاوزَ سُكّانه الزّمنَ المَرجِعيّ الخاصّ بالعالَمِ الواقِعيّ وباتوا يعيشُونَ في سنَةِ 2130. اكتشَفوا وسائِطَ نقلٍ جدِيدَةٍ تعمَلُ على الطّاقةِ الإلكترو-مغناطيسِيّة وأساليبَ طبيّة جديدةً تَعتمدُ على الموجَات. وبغرَابةٍ، بما يخصُّ التكنولوجيّات انتقوا خياراتِ جَماليّة وميكانيكية شَدِيدةَ الاخْتِلاف، مُحاكينَ الطّبيعةَ على الخصُوص. بمعنَى آخر لا تُوجَدُ حوّامات بل طائِرات تخفِقُ بأجْنِحةٍ وتُسمّى *الخفّاقات*، وما مِنْ مراوحَ للغوّاصَاتِ وإنّما آلاتٍ تنتهي بذيلٍ طويلٍ مُتحرّك يتلوّى بإيقَاع. إلخ. تمعَّنَت فرنسين في ذاكَ العالَمِ المُوازي ولاحظَت بأنَّ ثمّةَ شيئاً مُخالِفاً للعادَة. وسَّعَت العدَسةَ عندَ مداخِلِ المُدن وقفزَت مُجْفِلةً.

- قتلوا «النّاسَ-الجُسُور»!

بالفعلِ، عندَ مدَاخِلِ المُدن، كانَ جواسيسها يتدلّونَ إلى المَلأ على أعوادِ المشَانِق.

هناكَ سياسيّون ومُعلِنونَ وصَحفيّون لم يقدروا على لَجمِ الأيدي الانتقاميّة، كأنّما أرادَ سكّانُ *انفرا-وورلد* بفعلَتِهم هذه تَوجِيه رسَالَةٍ إلى سُكّانِ العالَمِ العُلويّ.

- إذنْ فهِمُوا بأنّهم ليسُوا سِوى وَهمٍ مَعلُوماتيّ. ربّما استنتَجوا أنَّ لديّ وجُود، نَطقَت فرنسين، مُتكدّرةً.

جالَت في *انفرا-وورلد* لتفهَمَ أكثرَ ما يحصل داخلها فرأت، في جميعِ الأرجاء، كتاباتٍ تُطالبُ الآلهةَ إنْ كانت تراهم بأنْ تُعيدَ للسكّانِ الافتراضيّين حُرّيتَهم.

«أيّتُها الآلِهةُ دَعِينا بسَلَام».

طَلَوا مطلَبَهُم على أسْطُحِ منازِلِهم، حفرُوهُ على صُروحِهم، كتَبوهُ بآلاتِ تَشذِيبِ الحشائِش في حدَائِقهم.

إذنْ أدركوا مَنْ هُم يكونُون وفي أيّ مكانٍ يعيشُونَ. تمنّت فرنسين لو تَستَطيعُ أنْ تُريهم لُعبةَ *ارتقاء* ليدرِكوا ما الذي يعنيهِ أنْ يكونَ عالماً تحتَ السَّيطرةِ الكامِلةِ لإلَه-لاعِب.

لقد منَحَتْهُم، بوصْفِها إلَهَة، الإرادَةَ الحُرّة. لم تكن تتدخّلُ في حياتِهم. كانَ بوسْعِهم أنْ يسمَحُوا بظُهُورِ طَاغيةٍ دَمويّ، لقد قرَّرت ألّا تفرِضَ عليهم قواعِدَ أخلَاقيّةً وبأنْ تَحترِمَ خِياراتِهم، حتّى لو كانت سَيّئةً، حتّى لو كانت انتحاريّةً.

أثمّةَ دليلٌ أصدَقُ من ذلكَ على احترامِ إلَهٍ لشَعبهِ المُتحرّر؟ لم تكنْ تُزعِجُهم إلّا باختِبارِ مُنظّفاتِ الغسِيلِ ومفاهيمَ جدِيدَة، وحتّى هذا لا يَقبلُونَ بهِ...

شَعبٌ جاحِد.

واصَلَت فرنسين تَجوّلها في المُدُن. جُثثُ النّاسِ-الجُسورِ التّابعينَ لها معرُوضَة ومُمزّقة على نَحوٍ مُرعِبٍ في كلّ الأنحَاء، شَعبُ *الانفرا-وورلد* يُطالِبُ بالتحرُّرِ منْ وصَايةِ فرنسين. وبينما هي تتَفحَّصُ الشّاشةَ بدقّة، بُغتَةً، انفَجرَت في وجهِها.

196. موسوعة

حَركَةُ *الغُنوصيّة*: هل لدَى الله إلَه؟ توجَّبَ على المَسِيحيّينَ الأوائِل في التّاريخِ الرُّومانيّ القدِيم مُحاربَةُ حركةِ هَرْطَقة كانت تَحمِلُ تلكَ القناعةِ، الغُنُوصيّة. في الواقِع أكّدَ المدعو مرقيون، في القرن الثاني الميلادي، أنَّ الله الذي نُصلّي مِنْ أجلِهِ ليسَ هو الله الأعلَى وإنّما هُناكَ آخر، يعلُوهُ منزلةً، مِمّا يقتَضِي أنْ يبرّرَ نفسَهُ أمامَه. بالنّسبةِ إلى الغُنُوصِيّين، تتدَاخَلُ الآلهةُ في بعضِها مثلَ الدُّمَى الرّوسِيّة، وتتضمّنُ آلِهةُ العوالِمِ الكُبرى آلِهةَ العوالِم الصُّغرى في داخِلِها.

حُوربَ هذا الاعتِقادُ المثنَوي، المُسمّى *bithéisme*[1]، ولا سيّما من جانبِ أوريجانوس. مزّقَ المَسِيحيّونَ والمَسِيحيّونَ الغنوصِيّون بعضَهُم بعضاً لزمنٍ طَويل منْ أجلِ تَحدِيدِ إذا ما كانَ لله إلَهٌ. ذُبِحَ الغنُوصيُّونَ في آخرِ المطَافِ والنّدرةُ المُتَبقيةُ واصَلَت مُمارسَةَ عبادَتها بسرّيةٍ تامّة.

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

197. عُبورُ النّهرِ

ها هُنَّ النّمالُ مِنْ جَديدٍ أَمامَ النّهر، غيرَ أنّ لهنَّ هذه المرّة ميزةَ العدَد. لفرطِ ضَخامةِ أعدادهنَّ استَطَعْنَ، بالأجسَادِ المُلتَحمةِ أرْجُلاً بأرْجُلٍ، تَشكيلَ جِسْرٍ عائمٍ تَعبرُ عليهِ ملايينُ النّمالِ الأخريَات.

حتّى الحَلازين الحامِلَة للجِمارِ السّاخنَةِ تَعبرُ الجِسْرَ الحيَّ دونَ غرقِ أيّ منها.

تُقيمُ نِمالُ المسِيرِ الكبير، ما إنْ يَصِلنَ الضفَّةَ الأخرى، مُخيّماً مُؤقتاً جديداً وتَروي لهنَّ الرّقم 103 قِصَصاً أخرى عن **الأصَابع**. وبينما ترسُمُ الرّقم 7 في زاويةٍ رُسُوماً أوليّة للمشهَدِ على ورقَة، تَحرُصُ الرّقم 10 مِنْ ناحِيتِها ألّا تُفوّتَ أيَّ تَفصِيلٍ لإضَافتهِ إلى فيرومُونِها حولَ علمِ الحَيوان.

بَطَالة:

*يُعاني **الأصَابع** منْ مُشكلةٍ كبيرة: البطَالَة.*

إنَّهم الصِّنفُ الحَيوانيّ الوحِيدُ الذي يَطرَحُ على نفسِهِ السُّؤالَ التالي: «حسَناً، والآن، ماذا بوسْعي أنْ أعمَلَ لأُشغِلَ نَفسِي؟»

تُواصِلُ الرّقم 5 الدّورانَ حولَ المُخيَّمِ بعُكازيها-عُودَيها. الجُنديّة مُقتَنِعةٌ

1- تعني الاعتقاد بوجود قوتين إلهيّتين.

بأنَّه مِنْ كثرةِ سَيرِها على رِجلَين سيَستَجيبُ جسدُها في النّهايةِ ويتأقلَمُ مع هذهِ الوضْعيّةِ الغَريبةِ وستَرتَقي إلى نَملَةٍ ذات قدَمين تَحمِلُ صِفاتٍ جينيّةٍ تورّثها لأبنائِها لَمّا – هي أيضاً – تَتَناولُ قليلاً مِنَ الهُلامِ الملكيّ الخاصّ بالزَّنابير.

الرّقَمُ 24 مُنكبٌّ على كِتابَةِ روايتِهِ *الأصَابع*.

هو في الواقِعِ ينتَظِرُ لقاءَ **الأصَابع**، من أجلِ كتابةِ الفصُولِ الأخيرَةِ عنْ هذهِ الحيَواناتِ الكبيرَةِ المجهُولَةِ كثيراً.

198. حَيرةُ امْرأة

بالكادِ تسنَّى لفرنسين أنْ تضَعَ يدَيْها على وجْهِها لتفادِي شظَايا زُجاجِ أنبُوبِ إشْعاعِ الإلكترونات. وقَتْ نَظّارتُها عينَيها فلم تتأذَّ إلّا ببضْعةِ خُدُوشٍ ولكنّها كانَت تَرتَعِشُ منَ الخَوفِ والغضَب. حاولَ أُناسُ *انفرا–وورلد* قتلَ إلَهتِهم التي خلقَتهُم! قتْلَ إلَه!

بينَما ضمَّدَت لوسي الفتاةَ الشّقراء، تفقّدَ آرتور المُكوّناتِ خلفَ الشّاشةِ المُحطَّمَة.

– أمرٌ لا يُصدَّق! أرسَلُوا رسَالَةً مَعلُوماتيّة لتَضْلِيلِ إعدَاداتِ تَعرُّف الشّاشَة. عدّلوا التَّعريفَ الخاصَّ بالجِهاز. ظنَّ الكرتُ الإلكترونيُّ أنَّ الجِهازَ يَعملُ على 220 فولت بينما هو يَعملُ على 110. الحِمْلُ الزّائِد فجَّرَ الشّاشَة.

– إذنْ عثَروا على طَريقَةٍ للوصُولِ إلى شَبكَةِ المَعلُوماتيّةِ الخاصَّةِ بنا...، لاحظَ جي وونغ، وقد استولَى عليهِ القلَق. عثَروا على طُرقٍ للتأثيرِ في عالَمِنا.

– ليسَ بوسْعِ المرءِ لَعبُ دَورِ آلهةٍ تحتَ التّمرينِ ببرَاءَةٍ ويُسْر، علَّقَ ليوبولد.

– يُستَحسَنُ قطْعُ اتّصالِ *انفرا–وورلد* كُليّاً. يُمكنُ أنْ يكونَ أولئكَ النّاسُ شَدِيدِي الخطَرِ علينا...، أعلَنَ دافيد.

أخذَ نُسْخةً منه على قُرصٍ مرِن بِسعةٍ كبيرة ثمَّ حذَفهُ عنْ قُرصِه الصّلْب.

– أُوقِفَ تَفْعِيلُهم. أيّها الشّعبُ المُتمرّدُ، أُنظُرْ أينَ أصبَحتَ لقد اختُزلتَ إلى حالتِكَ الأبسَط: قُرصٌ مرِنٌ منَ البلاستيك الـمُمغنَط محفُوظ في بيتٍ قاسٍ.

حدَّقَ الجَميعُ بالقُرصِ المَرِن كأنّهم يُحدّقونَ بأفعَى سامّة.

- ماذا نَفعلُ بهذا العالَمِ الآن، أنُدمّره؟ سألَت زويه.

- لا! حذَارِ! صَاحَت فرنسين، التي بدأَت تَستَفيقُ منَ الصّدمةِ تدريجيّاً. حتَّى لو أصْبَحُوا عِدائيّينَ نَحونا، ينبَغي مُتابَعةُ التَّجرُبةِ.

طلَبَتْ من آرتور حاسُوباً آخر. حاسُوب قدِيم سَيَفي بالغرَض. تأكّدَت بعنايةٍ أنَّ ليسَ لديهِ مودم هرتزي، وليسَ مُتّصِلاً مع أيّ جهازٍ آخَر. أدخلَت *انفرا-وورلد* إلى القُرصِ الصَّلبِ ووضَعتهُ على وَضعيّةِ الإقلاع.

على الفورِ، عادَ *انفرا-وورلد* إلى الحَياةِ دونَ أنْ يُدركَ ملياراتُ سكّانهِ بأنّهم عَبَروا في بُرْهةٍ نَحوَ قُرصٍ بسيط. وقبلَ أنْ يُجدّدُوا اعتداءاتِهم، نزَعت فرنسين الشَّاشَةَ ولوحَةَ المفاتيحِ والفأرَة. فأصبَحَ *انفرا-وورلد* يدُورُ في حلَقةٍ مُغلَقة، ومُحَالٌ عليهِ الاتّصالُ بآلهتهِ أو أيٍّ يكن.

- أرادُوا التحرُّرَ، حصَلُوا على ما يُريدُون. حتَّى لفَرْطِ اسْتِقلالهم يُمكنُ القول إنّ ما مِنْ مُعينٍ لَهم سوى أنفسِهم بعدَ الآن، أعلَنَت فرنسين وهي تُداعِبُ خُدُوشَها.

- لماذا تَركتِهم أحياءَ إذاً؟ سألَت جولي.

- ربّما، سيكونُ مُثيراً للاهتِمَامِ يَوماً ما مَعرِفة أينَ وصَلُوا...

بعدَ هذا القدْرِ مِنَ الانفِعالَات، استَسْلَم الأصْدِقاءُ السَّبعةُ إلى النَّومِ كُلٌّ في مقصُورَته. التَحفَت جولي بشَراشِفها الجدِيدَة.

ما زالتْ وحيدَة.

كانَت على يَقينٍ بأنَّ جي وونغ سينضَمُّ إليها. عليهما أنْ يستأنِفا مِنْ حيثُ توقّفا. لعلَّ الكوريّ يأتي. أرادَت الآن، بعدَ أنْ تسارعَتِ الأحداثُ واتَّخذَت مَنْحىً خَطِيراً، أنْ تَعرِفَ الحُبّ.

طَرقَاتٌ خفيفَةٌ على بابِها. نهضَت جولي مُسْرعةً، فتحَت، جي وونغ كانَ الواقِفَ على بابِها.

- خِفتُ ألّا أراكَ ثانيةً، قالَ وهو يأخُذُها بينَ ذراعيه.

لبثَت جامِدةً في مكانِها دونَ أنْ تنبِسَ بحرفٍ.

- كنّا نعيشُ لَحظةً مُفرِطةَ السّحرِ لمّا...

شدَّها إليهِ أكثر. حرَّرَت نفسَها.

- ما الذي يَحدُثُ؟ سأَلَ الشّابُ مُحتَاراً. ظنَنتُ أنَّ...

كما لَو مِنْ دونِ إرادَة، نَطَقتْ:

- لا يَحصُل السّحرُ إلّا مرّة واحِدَة، وثمّ...

لمّا أرادَ الشابُّ وضعَ شَفتيهِ الدَّافئتينِ على كتِفها، ارتدَّت إلى الخَلْف:

- لفرْطِ الأحدَاثِ التي وقَعَت مُنذُ تلكَ اللَّحظَة.. تبدّدَ السِّحرُ.

لم يَستَوعِبْ جي وونغ شيئاً من تَصرُّفِ جولي. وهي أيضاً، بالمُناسَبة.

- ولكنْ أنتِ التي أتيت إلـ...، بدأ قائلاً.

ثمَّ توقّفَ وسألَ بصوتٍ خافِت:

- هل تظنّينَ أنَّ السّحرَ سيعُود؟

- لا أعرِفُ. أريدُ الآن البقاءَ بمُفرَدي، دَعْني أَرجُوك.

طبَعَت قُبلةً خفِيفةً على خدّه، ثمّ دفعَتهُ وأغلَقتِ البابَ برِفْقٍ.

عادَت للاستِلقاءِ مُحاولةً فَهمَ ما جرَى. لماذا رَفَضتهُ في الوقتِ الذي تَشعُرُ نَحوهُ بشَهوةٍ عارِمة؟

انتَظَرت أنْ يَعودَ الكوريّ. يَجِبُ أنْ يَعود. عسَاهُ يَعُود. حينَ سيَطرُقُ البابَ ثانيةً ستَرتَمي في أحضَانهِ، ولَن تُطالِبَ بشيء. ستَسْتَسلِم لهُ في حالَةِ ذَوبانٍ قبلَ أنْ يتسنّى لهُ النّطقُ بكلِمة.

طُرِقَ البابُ. قفزَت. لمْ يكن جي وونغ، بل دافيد.

- ماذا تَفْعلُ هنا؟

كأنّهُ لمْ يَسْمَع شَيئاً، دونَ أنْ يُجيب جلَسَ على حافّةِ السّريرِ وأضَاءَ مِصباحَ المِنضَدَة. كانَ يَحمِلُ عُلبةً صَغيرةً بيدِه.

- تَجوّلتُ في المَخابِرِ قليلاً، اسْتَطلَعتُ المكانَ وعَثرتُ على هذَا فوقَ طَاولَة.

وضَعَ عُلبتَهُ في الضّوء. ورغمَ أنّ جولي اغتَاظَت لإشْغَالِهِ مقصُورتَها فقَدْ يَعُودُ جي وونغ في أيّةِ لحظَة، إلّا أنَّ فضُولَها كانَ أقوى.

- ما هذا؟

- أردتِ أنْ تَصنَعي «حجَر رشيد» الذي يَسْمَحُ بالتَّحاورِ مع النّمل، هُمْ صنَعُوه. أرادَ ليوبولد أنْ يُصمّمَ منزلاً في تلّ، هُمْ بنُوه. حاولَ بول زراعةَ الفِطْرِ

ليُؤمِّنَ لنا اكتِفاءً ذاتياً، هُم زرَعُوهُ بسخَاء. ابتكروا الحاسُوبَ ذا الهندسيّةِ الدّيمقراطيّة التي استَثارَت فِكرتهُ فرنسين... ومشْرُوع زويه، أتَتذكّرينَه؟

- قرُونٌ استشعَاريّة اصْطِناعيّة مِنْ أجلِ الاتّصَالِ المُطلَقِ بينَ البشَر!

اعتَدلَت جولي على وسَائِدها.

قدّمَ لها دافيد هوائيّين صَغِيرينِ ورديّي اللّونِ في نِهايتِهما وصْلَة أنفيّة، داخِلَ عُلبَة.

هل نَجَحوا في ذلكَ أيضاً؟

- تحدَّثتَ مع آرتور بذلِك؟ سألَتْ.

- جميعُ منْ في الهرَمِ نائِم. لم أكنْ أريدُ إزعاجَ أحد. عثرتُ على زَوجينِ مِنْ هذهِ القُرُون. أخذْتُهما وهذا كلُّ شَيء.

تمعّنوا في القِطَعِ الغَريبةِ كأنّها سكاكِرُ مُحرّمة. للحظَة، مالَتْ جولي لتقُول: «دعنَا نَنتَظِرُ للغد ونأخُذ رأيَ آرتُور»، ولكن كلّ ما في داخِلها كانَ يَصرُخ: «هيّا، جرّب».

- هل تتذكّر؟ قالَ إدمون ويلز بأنّهُ في اتّصَالٍ مُطلَق، لا تتَبادلُ النّملَتانِ معلُوماتٍ فقَط، وإنّما تُوصِلَان دماغيهما ببعضهما مُباشَرة. ثمَّ بواسِطَةِ القرُونِ تَتجوّلُ الهرمُونات من رأسٍ إلى آخر كأنّهما رأسٌ واحِد، وبذلك، يفهمَانِ بعضَهما على نَحوٍ كَامِلٍ، مُطلَقٍ، تَام.

التقَت نظَراتُهما.

- أنُحاوِلُ فِعلَها؟

199. موسوعة

تَعاطُف: التَّعاطُفُ هو القُدرةُ على الشُّعورِ بما يَشعرُ بهِ الآخرُون، والإحسَاسُ بأفرَاحِهم أو أوجاعِهم ومُشَاركتهم بها. (في اليونانيّة، pathos تعني «معاناة».[1]) النّباتَاتُ نفسُها تُحِسُّ بالألَم. فإنْ وضَعنَا قُطْبَي الجلفانومتر، وهو جِهازٌ يَقيسُ المُقاومَةَ الكهرَبائيّة، على لِحاءِ شَجَرة واتّكأ عليهِ شخصٌ ثمّ

1- كلمة تعاطف (empathie، بالفرنسيّة) تعود إلى الكلمة اليونانيّة empathès، بمعنى: متأثّر، والمؤلّفة من: (البادئة، en: داخل، وpathos: المعاناة).

جَرَحَ إصْبعَهُ بسكين، نُلاحِظُ تَعدِيلاً لهذِه المقاومة. وبالتالي عندما يُجرحُ بشري تُحسُّ الشَّجرةُ بتَدْمِيرِ الخلايا. ممّا يَعني أنّهُ حينَ يُقتَلُ إنسَانٌ في غابَة، فإنَّ كلَّ الأشجارِ تُحسُّ بذلكَ وتتأثّرُ به. وبحسْبِ الكاتب الأمريكي فيليب ك. ديك، مؤلِّفُ كتاب ***Blade Runner*** «شَفرةُ عدَّاء»، إنْ استَطَاعَ الرُّوبُوت الإحسَاسَ بالألمِ الذي يُعانِي منهُ إنْسَانٌ ما، فهو يَستَحقُّ بأنْ يُوصَفَ إنساناً. وعلى العكسِ منْ ذلك، إنْ عجِزَ الإنسانُ عَن الإحسَاسِ بألَمِ الآخر، فسَيكونُ مُبرَّراً نَزْعُ صِفةِ الإنسانِ عنْه. يُمكنُنا أنْ نتخيّلَ اسْتِناداً إلى ذلكَ عقُوبةً جنائيّةً جدِيدَة: الحِرمانُ مِنْ لَقَبِ كائِنٍ إنْسَاني. وأنْ يُعاقَبَ بها مُمارسِو التَّعذيبِ والقتلَة والإرهابيّون، وكلُّ مَنْ يُلحِقُ ألَماً بالآخرين دُونَ أنْ يتأثّر.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

200. وزنُ الأقدَامِ

ظنَّ مكسيميليان بأنّهُ عثرَ أخيراً على مسَارٍ جِدّي. آثارُ الخَطَواتِ واضِحَة. مرَّ شَابٌّ وفتاة مِنْ هذا المكان. يُمكنُ تَحدِيد أنّهما في مُقتَبلِ العُمرِ بمُلاحظَةِ مَيلِ وَزنِ قدَمَيهِما إلى الأمَام، طَابِعينَ بذلكَ أثراً أعمق عندَ مُستَوى أصَابعِ القدمينِ مِنهُ في مُستَوى الكعب. أمّا بخصُوصِ الجنْسِ، فقد تعرَّفَ عليهِ المفوّض ببضْعِ شَعَرات. تتساقَطُ شُعيراتُ البشَرِ في كلّ مَكانٍ دونَ حتّى أن يُلاحِظُوا ذلك. الشَّعرُ الطَويلُ الأسودُ كانَ يُشبهُ تماماً شَعرَ جولي. وأثرُ طَرَفِ عُكّازِ دافيد أزالَ أيَّ شكّ، لقد عثرَ عليهِما.

أوصَلَهُ المسَارُ إلى حَوضٍ مُحاطٍ بنباتاتِ العُلّيقِ، ينتَصِبُ وسَطهُ تلٌّ.

تعرّفَ مكسيميليان على المِنطَقة. في هذا المكانِ نازَلَ الزّنابيرَ ولكن أينَ اختفَى الهَرمُ الحِرشيُّ إذاً؟

نظَرَ نحوَ الإصْبعِ الرّمليّ الذي بدا أنّهُ يُجيبُ عَنْ سُؤالِهِ بإشَارتهِ نَحوَ التلّ. العالَمُ مليءٌ بالعلَاماتِ التي تمدُّ لكَ يدَ العَونِ إزاءَ كلّ مُشكلَة. إلّا أنَّ دِماغَهُ لم يكنْ جاهِزاً بعدُ لإضفاءِ أهميّةٍ على هذهِ العلَامةِ.

حاولَ مكسيميليان أنْ يفهمَ كيفَ اختفَى الهرَم. أخرَجَ دفترهُ وتفحَّصَ الرُّسُومَ الأوليّةَ التي أعدَّها في المرّةِ الأولَى.

أتاهُ شُرطيّانِ مِنَ الخلفِ مُسْرِعينِ وقدْ نفَدَ صبْرهما.

– والآن، ماذا نفعلُ حضرَةَ المُفوّض؟

201. وعي الحاضر

– لِنبدأ!

فرَدَ دافيد زَوجَينِ منَ الهوائيَّاتِ الأنفيّةِ. تُشبِهُ هذهِ الزَّوائِدُ قرنَينِ صَغيرينِ ورديّينِ من البلاستِيك، يلتَحِمانِ عندَ فُتْحتي الأنفِ ثمّ يمتدّانِ بسَاقينِ رفيعَتَينِ طولُ الواحِدة منهما خمسَةَ عشَر سنتمتراً. الأجزاءُ المُستَهدَفةُ للاستِعمال هي قرُونٌ استِشْعاريّة بكلّ ما في الكلِمةِ مِنْ معنَى، مُكوّنةٌ منْ أحدَ عشَرَ جزءاً مثقوباً بمثقابٍ مسَاميّ ومزوّد بفَرْزَةٍ لتتراكَبَ مع مُقابلِها.

أخذَ دافيد *الموسُوعة* وبحثَ عن الجِزءِ المُتعلّقِ بالاتّصَالاتِ المُطلَقةِ، وقرَأ:

ينبَغي أنْ نُدخِلَ القَرنَين في فُتْحتَيِ الأنْف، الأمرُ الذي سيُضاعِفُ حاسّتَنا الشميّة، في البثّ والاستِقْبال، وبما أنَّ التَّجويفَ الأنفيَّ غِشاءٌ مُخاطِيّ مُكتظٌّ بالعُروقِ الصَّغيرةِ النَّفُوذَة، فجَميعُ مشاعِرِنا تَمرُّ بسُرعَةٍ عبْرَها في الدَّم. وبذلِك نتَواصَلُ مُباشرةً منْ أنفٍ إلى أنْف. خلفَ التَّجويفَينِ الأنفيّينِ ثمّة بالفعل مِجَسَّات عصبيّةٌ تُرسِلُ المَعلُوماتِ الكيميائيّةَ مُباشَرةً إلى الدّماغ.

تَفحَّصَت جولي القُرُونَ، ما زالَت غيرَ مُصدّقة.

– كلَّ هذا عبْرَ الحاسّةِ الشميّة؟

– بالطّبعِ. حاسّةُ الشّمِّ هي أوّلُ حواسّنا، حاسَّتنا الأصليّة، الحَيوانيّة. وهي مُتطوّرة ولا سيّما عندَ المولُودِ الجديدِ الذي بوسْعِهِ التعرُّفَ إلى حليبِ أُمّه.

تنَاولَ دافيد قَرناً.

– وفقاً لمُخطَّطِ *الموسُوعة*، ينبَغي أنْ يَضُمَّ نِظَاماً إلكترونيّاً، ودونَ شكّ مِضخَّةً تَسحَبُ جُزئيّات شَميّةٍ وتدفعُها.

ضَغطَ الشابُّ الزرَّ الصَّغيرَ المُدوّن عليه *ON*، وأدخلَ قَرْنَين في فُتحتَي أَنفِهِ ودَعَا جولي لتَفعلَ الشّيءَ ذاته.

للوهلَةِ الأولَى، أحسّا ببعْضِ الألَمِ بسَببِ ضَغطِ البلاسْتيك على الجِدارِ الأنفيّ. ثمّ اعتَادا عليهِ، أغلَقا عينَيهما وأخذَا شَهيقاً.

عَبِقَت في جولي مُباشرةً رَائِحةُ تَعرُّقِهما هما الاثنان. وتفَاجَأت كثيراً بأنَّ رَوائِحَ العَرَقِ هذِه بثَّتْ لَها معلُوماتٍ تَبيَّنَ بأنَّها قادِرةٌ على فَكِّ رُمُوزِها تَدرِيجيّاً. تعرَّفَت فيها على الخَوفِ والرَّغبةِ والتّوتُّر.

بدَا ذلكَ رائِعاً ومُقلِقاً في آنٍ معاً.

أشارَ لَها دافيد أنْ تأخذَ نفَساً عمِيقاً لِتَتصاعَد الرَّوائِحُ إلى دِماغِها. حينَ تمكَّنَ الاثنان مِنَ السَّيطَرةِ على هذا التَّمرين، طلَبَ منَ الشابّةِ الاقترابَ مِنهُ.

– مُستَعدَّة؟

– الغريبُ في الأمْرِ أنْ أشعرَ بأنّكَ ستَلِجُ في دَاخِلي، همسَت جولي.

– ليسَ الأمرُ أكثر منْ أنْ نَختَبِرَ ما حلمَ بِهِ البشَرُ مُنذُ الأزَل: تواصُلٌ كامِلٌ وصَادِق، طَمْأنَها دافيد.

ارتدَّتْ جولي إلى الخَلْف.

– ستَطَّلِعُ على أكثر أفكارِي حَمِيميّة؟

– وما الضَّيرُ في ذلك؟ ألديكِ أشياءُ تُخفيها؟

– مثلَ كلّ الناس. في النّهايَة، جُمْجُمتي هي حِصْنيَ الأخِير.

أخذَها دافيد بلُطْفٍ مِنْ مُؤخّرةِ عُنقها ورجَاها أنْ تُغْمِضَ عينَيها. قرّبَ مِنها زائِدَتهُ الحِسيّة. لهُنَيهَة، بحثَ قَرناهما عنْ بَعضِهما، تلامسَا وتَداعَبا قبلَ أنْ يَثبتا مُتلاصِقينِ في فرْزَتَيهما. أطلَقَت جولي ضِحكةً مُتوتّرة. إذ شَعَرت نفسَها مُضْحِكةً بعضَ الشّيءِ، في تلكَ اللّحظة، بذاكَ العُضْوِ الاصْطِناعيّ البلاستيكيّ عندَ أرنَبةِ أنْفِها. لا بدّ أنّها بدَتْ أشبَهُ بجرَادةٍ بحريّة.

أمسَكَ دافيد رأسَها مُجدَّداً بحزْمٍ. تلاصَقَ جَبيناهما بالكامِل. وأطبَقا جفنَيهما ثانيةً.

– لنُصْغِي إلى أحاسِيسِنا، قالَ دافيد بصَوتٍ خافِت.

لَم يكنْ الأمرُ بالهيّن، فجُولي كانَت تَخشَى ممّا سيكتَشِفهُ دافيد في داخِلِها. ولو تُركَ لَها الخَيارُ لفضَّلَت الشَّابةُ، المُفرِطَةُ الاحتِشَامِ، كشفَ جسدِها على أيِّ شَخْصٍ ولا كشْفَ خبايا دِماغِها.

– استَنْشِقي، همَسَ دافيد.

أطَاعَتْ وهبَّت في داخلِها على الفَورِ رائِحةُ أَنْفٍ كريهَة، رائِحةُ أنْفِ دافيد. أوشَكت أنْ تُحرّرَ نفسَها. إلّا أنّها تَماسَكتْ فبعدَ رَائِحةِ الأنفِ مُباشرةً التقَطَت شيئاً آخر، سَحابةً ورديّة جذّابةً وعَطِرة. أعادَتْ فتحَ عينَيها.

مُقابلها، كانَ دافيد مُطبِقَ الجَفنَين تماماً وتتردَّدُ أنفاسُهُ من فَمِهِ بانْسِجامٍ. سارَعَت جولي إلى مُحاكاتِه.

توافَقَ تنفُّسُ الاثنين بشكلٍ طَبيعيّ.

شَعرتِ الشابَّةُ لاحِقاً بوخزٍ خفيفٍ غريبٍ داخِل تجويفها الأنفي، كما لو قُطِّرَ فيهِ عصِيرُ لَيمُون. هذهِ المرَّةَ أيضاً أرادَت أنْ تنسَحِبَ إلّا أنَّ حُموضَةَ اللّيمونِ تَركت مكانَها تدريجيّاً لرائِحةٍ أفيونيّةٍ ثقيلَة. تخيّلتها. استَحالَتْ السَّحابَةُ الورديّةُ مادّةً سَميكةً تَسيلُ نَحوها مِثلَ حُمَمٍ تَقتَحم فُتحَتي أنفِها بالقوّة.

راودَتْها فِكرةٌ مُزعِجَة. كانَ المِصْريّونَ في العُصُورِ القدِيمَة، قبلَ تَحنيطِ فَراعِنَتهم، ينزَعُونَ أدْمغَتهم بواسِطَةِ سَاقينِ يُمرَّرانِ منْ فُتحَتَي الأنْفِ. على عَكسِ ما يَجري في اللّحظَةِ الرّاهِنة حيثُ يقتَحِمُ دِماغٌ داخِل تَجويفَيها الأنفيَّين.

اسْتَنشَقت نفَساً عَمِيقاً، وفجأةً، أخذَت أفكارُ دافيد تَتوافَدُ داخِلَ نِصْفَي كُرتِها المُخيّة. جولي عاجِزةٌ عن التَّصدِيق. أفكَارُ دافيد كانَت تَجولُ داخِلَ دِماغِها بسُرعَةِ فِكرتِها. راحَت تَستَقبلُ الصُّورَ والأصوَاتَ والمُوسِيقَى والرَّوائِح والمشَاريعَ والذّكرياتِ التي كانت تَخرُجُ منَ الدِّماغِ المُجاورِ لها. ورَغمَ كلّ مُقاومَةِ الشابّ كانت تَظهَرُ أحياناً فِكرَةٌ صَغيرَةٌ بلَونٍ لامِع، ورديّ زاهِي، بهيئَةِ أرنبٍ مذعُورٍ وتَختَفي على الفَور.

تَخيَّلَ دافيد، مِنْ ناحيتِه، غَيمةً كُحليّة وباباً يُفتَحُ داخِلَ هذهِ الغَيمة، كانت تَركُضُ خلفَهُ فتاةٌ صَغيرَةٌ وهو تَبِعَها. أوصلَتهُ إلى جُحْرٍ مَسْدُودٍ برأسٍ لجُولي

هائِل الحَجْم، مُزدَحِم بالتّلافِيفِ والمَمرّات. فُتِحَ وَجْهُ جولي مثلَ بابٍ كاشِفاً عَنْ دِماغٍ على شَكلِ قريةِ نَمْل. وجدَ فيهِ نَفقاً صَغيراً فولَجَ داخِلَه.

بدَأَ دافيد يتَجوَّلُ في دِماغِ جولي؛ مُحيتِ الصُّورُ وانبثَقَ صَوتٌ ليسَ من الخَارجِ بل من داخلِه.

- غدَوتَ الآنَ في المَكان، أليسَ كذلِك؟

وجَّهَت جولي سُؤالها إلى ذِهنهِ مُباشَرة.

أظهَرَت لَهُ كيفَ كانَت تَراهُ، الأمرُ الذي فاجَأهُ كثيراً.

كانت تَعتَبرهُ شَاباً هزيلاً وخَجُولاً.

وهو أيضاً أَظْهرَ لها كيفَ كان يَراها. بالنّسبةِ لَه، هي فتاةٌ تتمتَّعُ بجَمالٍ وذَكاءٍ خَارقين.

فسّرا لبعضِهما كلَّ شَيء، باحَا لبعضِهما بكلّ شيء، أدركَ كلُّ مِنهما مشَاعِرَ الآخر نَحوهُ.

تملّكَ جُولي شُعُورٌ جَدِيد. تعَاقَدَت نُورونَاتُهما[1]: تبَادلَت نورونَاتُ كليهما الأحادِيثَ والإعجابَ وصَارتا صَدِيقتين، ثمّ داخِلَ سَحابة دافيد الورديّةِ عادَ الأرنَبُ الزَّهريُّ الصَّغيرُ المَذْعُور إلى الظُّهُورِ ثانية، وقدْ لبثَ في موقِعهِ مُرتَعِشَ الفِراء، هذِهِ المرّة، فهِمت الشابّة بأنَّ ذَلكَ كانَ العاطِفةَ التي يشعُرُها دافيد نَحوها.

تلكَ العاطِفةُ التي أحسَّها مُنذُ أوّلِ لَحظَةٍ رآها، يَومِ دُخُولِ الثّانويّة. العاطِفةُ التي لَم تتوقّف عَن الازدِيادِ كما يومَ همسَ لَها بالحلّ في دَرسِ الرّياضِيّات. العاطِفةُ التي منَحَتهُ الشَّجاعَةَ ليُخلّصَها مرَّتين مِنْ مَخالِبِ غونزاغ دوبيرون وثلّتِهِ، وهي ما دَفعهُ إلى إدْخَالِها في فِرقَةِ الرُّوك.

فَهِمت دافيد، أصْبحَ الآن داخِلَ ذِهنِها.

1 + 1 = 3. كانُوا ثلاثَة، دافيد وجولي والتَّواطُؤُ بينَهما.

مَوجَة ثلجيّةٌ سرَتْ في عمُودَيْهما الفقريّينِ حينَ تَوقَّفَ الاتّصال.

1- العصبون أو الخليّة العصبيّة، يمكنها معالجة المعلومات ونقلها عبر إشارات كهربائيّة وكيميائيّة.

نَزَعا القرونَ الأنفيّةَ وارتَمَت جولي على دَافيد لتتَدفّأ. داعَبَ برفقٍ وجْهَها وشَعرها، وداخِلَ المَلاذِ الكبيرِ المُثلّثِ الشّكلِ ناما، بحُنُوّ، مُتجاورين.

202. موسوعة

هيكلُ سُلَيمان: مثّلَ هيكلُ الملِك سُليمان في القُدسِ نَموذَجاً للأشكالِ الهندسيّة المِثاليّة. يتألّفُ منْ أربعِ مصَاطِبَ يُحيطُ بكلّ واحدةٍ منها جِدارٌ حجَريّ. تُجسّدُ هذِه المَصاطِب العَوالِمَ الأربَعة التي تُشكّلُ الوجُود.

- العالَمُ الماديّ: الجَسَد.
- العَالَمُ العاطِفيّ: الرُّوح.
- العالَمُ الرُّوحِيّ: الذَّكاء.
- العالَمُ الصّوفي: القدْرَ منَ الألوهَةِ الكامِنِ في كلّ واحِدٍ منّا.

ثمّةَ ثلاثَةُ أرْوقَةٍ يُفترَض بها أنْ تُمثّل في إطَارِ العالَمِ الإلهيّ:

- الخَلْق.
- التّكوين.
- الفِعْل.

كانَ للصَرحِ على العُمومِ شَكلُ مُستطيلٍ كبيرٍ يبلُغُ طُولُه مِئةَ ذراع وعرضُهُ خمسُونَ ذِراعاً وارتِفاعُهُ ثلاثُونَ ذِراعاً. يقَعُ الهيكَلُ في الوسَطِ، طُولُهُ ثلاثون ذراعاً وعرضُهُ عشرة أذرعٍ. في الجُزءِ الأعمَق منَ الهَيكلِ يَقَعُ المُكعَّبُ المِثاليّ الخاصُّ بقُدسِ الأقدَاس.

وضِعَ المذْبَحُ منْ خشَبِ الأكاسيا في قُدْسِ الأقدَاس. كانَ مُكعَّباً تامّاً قياسُ أضْلاعِهِ خمسَة أذرُع. موضُوعٌ على سَطحِهِ اثْنَا عشَرَ رَغيفاً يُمثّلُ كلَّ واحدٍ شَهراً منَ السَّنة. يرتَفِعُ فوقَهُ الشّمعدَانُ ذو الفرُوعِ السَّبعةِ الذي يرمُزُ إلى الكواكِبِ السَّبعَة.

وفقاً للنُصُوصِ القدِيمة ولا سيّما نُصُوص فيلون السَّكندَريّ، يُعتَبرُ هيكلُ سُلَيمان مِعماراً هندسِيّاً محسُوباً ليُشكّل مَجالَ القِوى. في البدء، كانت النّسبَةُ الذَّهبيّة هي مِقياسُ الدّيناميكيّة المُقدّسَة. يُفتَرضُ بالحَرَمِ أنْ يكونَ مكاناً

لتكثيفِ الطَّاقةِ الكونيّة. صُمّمَ الهيكلُ كمكانٍ للعبُورِ بينَ عالَمين: المرئيّ واللّامرئيّ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

203. مُباغَتةُ الحُبِّ

هنا اختفَت آثارُ الخَطَوات. راحَ مكسيميليان يتَنقّلُ من الأعلَى إلى الأسفَلِ ذَارِعاً التلَّ طُولاً وعَرضاً دونَ أنْ يفهَمَ كيفَ لهرمٍ إسمنتيّ أنْ يتبخَّرَ بهذا الشّكل. دِقّةُ مُلاحظَتِه كانَت في أَوجِ تَأهُبِها. هناكَ شيءٌ في هذا المكانِ ليسَ كما يَجِب، كأنَّ عُنصُراً ناقِصاً مِنه يَحجبُ عنهُ إدراكَ المشْهَدِ. أخذَ يطرقُ الأرضَ بكعبِ حذائِهِ.

أَسفلُ حذاءِ مكسيميليان نَعل، تَحتَ النّعلِ عُشبٌ، تحتَ العُشبِ تُراب.

تحتَ التّرابِ جُذُورٌ وديدَان وحصَى ورَمل. تَحتَ الرَّملِ جِدارٌ إسْمَنتِي.

تَحتَ الإسْمَنت سَقْفُ مقصُورةِ جولي. تحتَ سقفِ مقصُورةِ جولي هَوَاء.

تَحتَ الهَواءِ شَرشَفٌ قطنِيّ. تحتَ الشَّرشَفِ وجْهٌ يَغطُّ في النّوم. تَحتَ بشَرةِ الوجْهِ شَرايين، عضَلَات، دمّ.

طَقْ، طَقْ.

اسْتيقَظَت جولي مُجْفِلَةً. مدَّ آرتور رأسَهُ مِنْ شقّ الباب. أتَى ليُوقِظها ولم يَسْتأ مِنْ وجُودِ دافيد في سَريرِ الشابّة. رأى قرونه الاستِشعاريّة على المِنضَدةِ وفهِمَ بأنّهما استَخدَماها.

سألَ الشّابين، اللّذين كانا يَفرُكانِ عينَيهما، إنْ كانَت تَعملُ جيّداً.

– أَجَل، أجابا معاً.

عندئذ، قهقَه آرتور ضَاحِكاً. حدَّقا بالرَّجلِ العَجوزِ، دونَ أنْ يَفْهَما، وهو يُحاوِلُ أنْ يشرَحَ لهما وقدْ استبدَّتْ بِهِ نَوبةُ سُعالٍ بأنَّ الأمرَ لا يَتعدّى نَماذِج بدَائيّة. حقِيقةً، لم يتَسنَّ لقاطِني الهرَمِ بَعد إنْجازُ هذا المشرُوع.

- لا بدَّ سيَلزَمُ انتِظارُ قُرُونٍ قبلَ أنْ يتمكّنَ البشَرُ مِن إجراءِ اتّصالٍ مُطلَق.

- أنتَ مُخطِئ، نِظامُكَ جاهزٌ تماماً، لقد عَمِلَ. أجابَ دافيد.

- آه حقّاً، بالفِعْل؟

بدَت السَّعادَةُ على ملامِحِ العَجُوز، فكَّ القرُونَ وأشارَ إلى مكانٍ فارِغ.

- أَستبعِدُ أنْ يَعملَ هذا الشّيء بلا بطّاريات. كيفَ للمضَخّاتِ الشميّةِ أنْ تَضُخّ؟

دَفقةُ ماءٍ بارد وضَعَتِ الشّابّين في حَالَةِ ذُهُول.

آرتور، منْ ناحِيتِهِ، كان بادٍ عليه الاسْتِمتَاع.

- تَهيّأ لكما أنَّ الآلَة تَعملُ هذا كلّ ما في الأمرِ يا أولاد. وهذا بِحدّ ذاتِهِ أمرٌ رائِع. ففي الواقِع، كأنّ الآلةَ عَمِلَت حقّاً. حينَ يكونُ لَدينا إيمانٌ كبيرٌ بشيء، حتّى لو خَياليّ، يبدو كأَنّهُ مَوجُودٌ بالفِعل. لقد تخيّلتُما أنّ بوسْعِ البَشَر، بواسِطَةِ هذهِ الأداةِ الصَّغيرَةِ، أن يَحصُلُوا على مِيزةِ إجْراءِ اتّصَالٍ مُطْلَقٍ، واعتِمَاداً على ذلك عِشتُما تَجرُبةً فريدَة. لاحِظَا بأنّ أدياناً كثيرة أُسّسَت على هذا النّحو.

وضَعَ آرتور النّماذِجَ الأوليّةَ بعنايةٍ داخلِ عُلبتِها.

- ولنفتَرِض أنّها تَعمَل، فهل مِنَ المُستَحبّ نَشرُ هذه القرونِ الاصْطِناعيّة حقّاً؟ تخيّلا ما الذي سيحصُل لو اسْتَطاعَ النّاسُ جَميعَهُم معرِفَةَ ما في أذهان بعضِهم بعضاً... وإنْ أردتُم رأيي، فالأمرُ سيكونُ كارِثةً، فنَحنُ لسنَا جاهِزينَ لذلِك.

فَهمَ آرتور مِنْ ملامِحِ جولي ودافيد بأنّهما كانا يَشعُرانِ بخيبَةٍ مَريرة.

- يالَلأولادِ النَّوابغ! تمتَمَ وهو يَهبِطُ الدَّرَج.

في السَّرير، تَملّكَ الثوريّانِ شُعور مَنْ تَعرّضَ للخَديعَةِ. لقد آمنا بشدَّةٍ باتّصَالِهما المُطلَق.

- كنتُ أَعلَمُ مُنذ البدايَةِ أنَّ ذلكَ مُستَحيل، أكّد دافيد مُتحايلاً.

- وأنا أيضاً، أيّدتهُ جولي.

وانفَجرا سَويّةً بالضَّحِكِ وهما يتدَحرَجانِ فوقَ بَعضِهما. ربَّما آرتور

مُحقّ، يكفِي الإيمانُ بالأشياءِ بعُمقٍ لتغدُو مَوجُودة. نَهضَ دافيد أغلَقَ البابَ وعادَ إلى السّرِير. رفَعا الشّرشَف والغِطَاء بركبتَيهِما ليرفعا فوقَهما خَيمَةً.

داخلَ سُمُوكِ القُطن، راحَ الثَّغرانِ يبحثَانِ عن بَعضِهما وكِلاهُما وجَدَ ضالّته. بعدَ أنْ تشَابكَ قرنَاهما، تشَابكَ لسَانَهما، وبشَرتَا جسَدَيهما، ثمَّ تَخالَطَ لُهاثُهما وتَعرُّقهما.

إنّها في مأزِق. ستَعرِفُ الحُبَّ الجَسديَّ لأوّل مرّة. انتَهى العالَمُ الافتراضِيُّ تَاركاً مكانَهُ للواقِع. استَسْلَمت لمُداعَباتِ دافيد، راحَت خَلاياها النّورونيّة جَمِيعُها تتسَاءَلُ عنْ رأيها فيما يَحصُل.

مُعظَمُ نُورونَاتِها كانت تُصوّت لصَالِح التَّسليمِ الكامِل. بعدَ كلّ حِساب، هيَ تَعرفُ دافيد جيّداً وكانَ حتمياً أنْ تفقِدَ يوماً ما عُذريَّتها. أقليّة صَغيرةٌ فقط رأتْ بأنَّ ذلكَ سيكونُ تنازلاً عمّا اعتَبرتهُ الشابّةُ الأكثر أهميّة لديها: نَقاوتُها. ومع ذلكَ أطلقَت مُداعَباتُ دافيد موجَاتٍ مُتوهّجةً بتدرّجاتِ قوسِ قُزحٍ منَ الأستيل كولين - المُخدّرُ المُبهج طَبيعيّاً - والذي كمَّمَ في النّهايةِ أفواهَ النّورُونات المُتزمّتة.

كما لو أنَّ باباً مَركزيّاً أخيراً انفتَحَ في النّهاية. شعَرت جولي بنفسِها في داخِلِ جسَدِها وخارجِه في آن معاً. في الدّاخل، كانَ ذاكَ التنفّس الواسِع وذاكَ الدّم الخافِقُ عندَ صُدْغيها يشكُرانِها على إتاحَةِ اللّذةِ لهُما. كانت تَعبُرُ دِماغَها آلافُ التيّاراتِ الضّئيلةِ منَ البرقِ الكهربائيّ.

تَبادَلا السَّوائِل.

كانت سَعيدَة بأنّها حيّةٌ، سَعيدَة بأنْ لها وجُود، سَعيدَة بأنّها ولدَت وبأنْ تكونَ ما هي عليهِ الآن. ثمّةَ الكثيرُ ليُعرَف، الكثيرُ منَ الناسِ للالتِقاءِ بِهم، العالَمُ مُفرِطُ الشَّساعَة.

فَهمت لماذا كانَت إلى اللّحظَةِ تَخافُ أنْ تُقدِمَ على الفِعل. احتَاجَت بدايةً أنْ تتوفَّرَ ظُرُوف مِثاليّة.

باتَتْ الآن تَعلَم.

الحبُّ هو احتِفالٌ سِريّ ينبَغي أنْ يَحدُث في مكانٍ تَحتِ أرضِي، يُفضّلُ هَرمِيّ الشكلِ، ويُفضّلُ مع رجُلٍ اسْمُهُ دافيد.

204. جُثَثٌ تزدَادُ اسْتواءً

يُطَالِبُ الأميرُ 24 بإيضَاحَاتٍ حولَ الحَياةِ الجنسيّةِ عندَ **الأصَابع**، ربّما لأنّه يُحرّرُ فقَرةً حولَ هذا الموضُوع.



حياةٌ جنسيّة:

***الأصَابع** هم أكثرُ الأصْنَافِ الحَيوانيّةِ ذوو جِنْس.*

*وبينما تُحدِّدُ جميعُ الحَيواناتِ الأخرى نشَاطَها الجنسيّ في فترةٍ قصِيرةٍ منَ العام تُدعَى «مرحَلَة التّزاوج»، نجدُ **الأصَابع** على استعدادٍ دائِمٍ لمُمارسَةِ الحُبّ.*

بالمُناسَبةِ يُمارسونهُ في أيّ وقتٍ، مُتأمّلين مُصادفةَ اللّحظَةِ المُناسِبةِ منْ أجلِ الإخصَاب: ما مِنْ إشارةٍ خارجيّةٍ تُعلِمُ الذكر عن فترةِ الإباضَةِ عند الأنثى.

***الإصْبَع** الذّكرُ قادرٌ أنْ يُسيطِرَ على الفعلِ الجنسيّ وأنْ يُمدّدَ وقتَهُ كما يشَاء بينما، بالنسبة لمعظم الثدّييات، نادراً ما يتجاوز فعل التناسل الدقيقتين.*

*أمّا بالنّسبةِ **للإصْبَعِ** الأنثَى، فهي تُطلِقُ صَرخاتٍ عَاليةٍ عندَ ذُروةِ الفعل. نَجهلُ أسْبابها.*

تَتَناقشُ الأميرةُ 103 والأمِيرُ 24 حولَ عالَم **الأصَابع**، وهما يتَمايلانِ ببطءٍ فوقَ حَلَزون رِحلَتهم، دونَ أنْ يُعِيرا انتباهاً إلَى المشَاهِدِ حولَهما أو إلى القَرنينِ العَينِيّينِ لحَلَزونِهما الذي يتَلصَّصُ عليهما مِنْ حينٍ لآخر.

تتقدّمُ تحتَهما في الأسْفلِ حشُودُ حُجّاجِ النَّملِ الدّاكِنة على رَتلَين تجنّباً للخَوضِ في الرِّيَال. حينَ يتوقّفونَ للاستِراحَةِ ما عادوا، لشدّة ما أصبحَت مُخيّماتهم ضَخمة، يتدلّون مثل ثِمار وإنّما يَغمُرُونَ أشَجارَ تَنوبٍ بأكملِها فيما تَتَصاعدُ أدخِنةُ الجَمرِ في كلّ الأرجاء.

تَشعرُ الأميرةُ 103 وراءَها بالرَّائِحةِ الثّقيلَةِ الهائِلةِ للحُشُودِ التي هي مَنْ أطلَقَها. لا تَصِلُ فيرُومُوناتُ حكاياتِها دوماً إلى نِهايةِ الطّابورِ الطّويل،

فتتكفّلُ حشَراتٌ أخرَى، هنا وهناك، بدَورِ الإيصَالِ. وكما التَّناقُل الشَّفهيُّ، لا يَحصُلُ التَّناقُل الشمّي دونَ عَوائِق فتَصِلُ المَعلُومات مُشوَّهة بعضَ الشّيءِ أحياناً. *قالَتِ الأميرةُ بأنَّ إناثَ **الأصَابع** تَصرخُ عالياً أثناءَ الجِمَاع.*

لم يَعُد يُستغربُ أيّ شيءٍ يَصدُرُ عن **الأصَابع**. هناكَ مِنَ الحشَراتِ مَنْ يُضيفُ تفسِيرَهُ الخَاصّ:

*لماذا تَصرُخ إناثُ **الأصَابع**؟*

فيأتِيهنَّ الجوَابُ:

ليدفَعْنَ المُفترسِينَ للهُروبِ كي لا يُقلِقوا راحَتهن أثناءَ الجِمَاع.

تستقبِلُ الحشَراتُ في ذَيلِ الموكِب التّرجمَةَ الأقلَّ إخلاصَاً للرسَالَةِ الأصْليّة.

*يَطرُدُ **الأصَابعُ** مُفترسِيهم بالصُّراخ.*

ليسَ في كلَامِ الأميرَةِ 103 إطلاقاً ما ينمُّ عَنْ رَغبةٍ في أنْ تكونَ رُبوبيّة، ومع ذلك، بدأَتِ السَّائِرات يَشْعُرنَ كلّما تقدَّمنَ بأنَّ **الأصَابعَ** آلهة وأنّهنَّ يُشاركنَ في رِحلَةِ حَجّ.

يَستفسِرُ الأميرُ 24 عن معلُوماتٍ إضَافيّة. مثلاً، كيفَ يُطلِقونَ الإنذارَ.

إنذار:

*بما أنَّ **الأصَابع** لا تُجيدُ اللّغة الشميّة، فليسَ لديهم فيرومُونات إنذار.*

في حالَةِ الخَطَر، يُطلِقونَ إشارات سَمعيّة: صَفّارات تَعملُ بمِضخّاتِ هواء، أو إشَاراتٍ بَصريّة: ومِيضُ ضَوءٍ أحمَر.

على العُموم، هَوائيّاتُ التّلفزيون هي أوّل منْ يَستَقبِلُ خبَرَ وجُودِ خطَرٍ ثمّ تُحذّرُ السكّان.

ينظُرُ إليهم الجَميعُ أثناءَ مُرورِهم في الغَابَة. الذينَ لا ينضمُّونَ إلى موكِبهم يشعُرونَ بقلَقٍ مُتزايِدٍ. ليسَ بسَببِ حَجْمِ الطّرائِدِ التي يَستَهلِكها المَسِيرُ الكبيرُ فقط والتي لا تلبَثُ أنْ تَزداد وإنّما أيضاً بسَببِ الرّغبةِ في طَهوِها... أكثَر فأكثَر.

205. البيضَةُ المكسُورَة

لمّا كانت جولي تُدنِي شَفَتيها من أجلِ قُبلَةٍ جدِيدَة، تردّدَ صَوتٌ في الخَارِج معرُوف جيّداً:

- اخرُجُوا على الفَور! أَنتُم مُحاصَرون.

تردَّدَ الإنذارُ داخلَ الهَرم. هرَعَ الجَميعُ إلى غُرفةِ القِيادَة. شَاشَاتُ الفيديو كانَت مُكتظّةً بهيئاتِ رجَالِ شُرطَة يأخذُونَ مَواقِعَهم فوقَ التلّ.

تنهَّدَ آرتور راميريز:

- لا تَزالُ لَعنَةُ الكرومانيون[1]...

في مقْصُورةِ جولي انْطلَقَ الإنذَارُ عبرَ وميضِ لمبةٍ حمراء.

- انتَهى الأمرُ! همَسَ دافيد.

- لنَستَمرَّ مع ذلك، قالت جولي، ما نَشعرُ بِهِ مُمتِع.

شَقَّ جي وونغ البابَ، رَمى نَظرةً مُتفاجِئة، ودونَ تَعليق، أعلَن:

- يُداهِمونَنا. يَجِبُ المُغادَرةُ سَريعاً.

أحضَرَ جوناثان وليتيسيا حَقيبةً ألصِقَ عليها «مُراقبة». تَحتَوي إسْفَنجاً ثُبّتَتْ في فَجواتٍ صَغيرةٍ داخِلَه نَملاتُ رُوبُوت طَائِرة وتَحتَ كلّ واحدةٍ رقمها.

وضِعَت أَربعٌ منْ هذِهِ الرَّوائِع الضَّئيلَةِ مِنَ المِيكانِيكيّات الدَّقيقَةِ عِندَ فُتُحاتِ التّهويَة. وأخذَ جوناثان ويلز وليتيسيا ويلز وجازون براجيل وجاك ميليس أماكِنَهُم خلْفَ شَاشاتِ التّحكُّمِ الخَاصّةِ بِهم وأمسَكوا قبضَاتِ القيادَة. انطلَقت الحشَراتُ الأربَع، مثلَ طُوربيدَاتِ غوّاصَة، داخِلَ الأنابيبِ بينَما أخذَ المُتَحكّمونَ عَنْ بُعدٍ يُراقِبونَ مسَارَاتها عبرَ فيدِيوهاتِ مناظيرِ الأفق.

سُرعَانَ ما أحضَرَتْ هذِهِ الجَاسُوسَاتُ الطّائِرةُ صُوراً تلفزيونيّةً قَريبَة. تابَعَ سُكّان الهَرمِ بقلَقٍ تحرّكاتِ رِجالِ الشُّرطَةِ في مُحيطِ عُشّهم.

1- Cro-Magnon التسمية الشائعة للإنسان الأوروبي الأوّل الحديث الذي عاش في الأربعين ألف قبل الميلاد، وأصل التّسمية يعود إلى مكان اكتشافه في مأوى كرومانيون الصّخري جنوب فرنسا.

كان مكسيميليان يُصدِر أوامِرَ مُحدَّدَة عبرَ جِهازِهِ التوكي ووكي. وصَلَت شَاحِنة وأفرَغَت مُعدّاتِ حَفْرٍ، اقترَبَ رِجَال مُزوَّدونَ بحفّاراتٍ يدويّة.

أسرَعَ جوناثان وليتيسيا بإخراجِ حَقيبةٍ أخرَى، دُوّنَ عليها «قِتال». انْضَمَّ إليهما أمامَ شاشَاتِ التَّحكُّم آخرونَ من قاطِني العُشّ. لم يتولَّ آرتور القِيادةَ بِسببِ يَديهِ شَدِيدَتي الارتِعاشِ إذْ تَتطلَّبُ النّمالُ الطّائرةُ أثناءَ التَّحليقِ تَحكُّماً دَقِيقاً يُقاسُ بالميليمتر.

بدأتْ حفّارَةٌ يدَويّةٌ تثقُبُ التلّ. خفَّفتِ الأرضُ مِن حدّةِ الارتِجاجَات، ولكن كلُّ منْ في المكانِ يَعلَمُ بأنَّ الأمرَ سينتَهي بوصُولِها إلى العَظْم، جِدَار العُشّ.

حطَّتْ نَملَةُ قِتالٍ مُنقادَةٌ ببراعَةٍ على رَقبةِ الشُّرطِيّ الذي كانَ يُديرُ الآلة وحقَنتْهُ بمُخدّر. سقَطَ الرَّجلُ أرضَاً.

أطلَقَ مكسيميليان أوامِرَهُ صَارِخاً عبرَ التوكي ووكي، وبعدَ بِضْعِ دَقائِق بالكاد، قامَت شَاحِنةٌ أخرَى بتسلِيم مَلابسِ نحَّال. بدَا الشُّرطِيونَ أشبَه بغوّاصِينَ تَحتَ الماء، في مَنأى عن الإبرِ النَّملِيّة.

لم يكن لدَى أصْحابِ الهَرَمِ منْ أسلِحَةٍ سِوى النَّملاتِ الطَّائرة المُخدِّرةِ وقد أصبَحَت الآن غيرَ مُؤذية. تلفّتُوا إلى بعضِهم بعضاً عاجِزين.

– انتَهى أمرُنا، ألقى آرتور.

لم يَجِد رِجَالُ الشُّرطَة، وهم مُحصَّنونَ جيّداً، صُعوبَةً بثقبِ الأرض. وصَلَ حدِيدُ الحفّاراتِ إلى الإسْمِنت، مثل دُحرُوجةِ طَبيبِ أسْنَانٍ تلمسُ مينا السنّ. كلّ شَيءٍ داخِلَ الهرَمِ ارتَعدَ وازدَادَ خفقانُ القلُوبِ بِشدّة.

فجأةً، توقّفَت الضَّربات. دسَّ الشُّرطيّون أصَابعَ ديناميتٍ داخِلَ الثُّقوب. حسَبَ مكسيميليان حِسَابَ كلّ شَيء. تناولَ ذراعَ المُفجّرِ وبدأَ العدُّ التنازليّ.

– ستّة، خمسَة، أربعَة، ثَلاثَة، اثنَان، واحِد...

206. موسوعة

صِفْر: على الرّغم منْ أنّنا نَجدُ آثاراً للصِفْر في الحسَاباتِ الصّينيّةِ في القرنِ الثّاني الميلادِي (مَرْمُوز بنُقطَة)، وعندَ المايا قبلَ ذلكَ بكثيرٍ (مَرْمُوز بشكلٍ

حلَزونيّ)، أصْل الصّفْرِ الذي نَستَعمِلهُ آتٍ مِنَ الهند. في القرن السابع، أخذَهُ الفُرسُ عَن الهنُود. ثمّ بعدَ ذلكَ بعِدَّةِ قرُونٍ أخذَهُ العرَبُ عَن الفُرسِ وأَعطُوهُ الاسمَ الذي نَعرِفُه. ومع ذلك، لم يَصِل مَفهُومُ الصّفْرِ إلى أوروبا حتّى القرن الثالِث عشَر بواسِطَةِ ليوناردو فيبوناتشي (على الأرجَح اختصَارٌ لفيليو دي بوناتشي)، يُلقّب ليوناردو بيزانو، الذي كانَ، وخِلافاً لما يُشيرُ لَقبه، تاجِراً بُنْدُقيّاً.

عِندما حَاولَ فيبوناتشي أنْ يشرَحَ لمُعاصِريهِ فائِدَة الصّفْر، رأت الكنيسَةُ فيه أَنّهُ يُزعزِعُ ثوابِتَ كثيرة. واعتبرَ بعضُ قُضاةِ محاكِمِ التّفتيشِ بأنَّ الصّفْرَ هذا شَيطَانيّ. ويَجبُ الاعتِرافُ بأَنّه وإنْ كانَ يُضْفِي قوّةً على أرقَامٍ مُعيّنَة، غيرَ أنّهُ في المُقابِل يُلغِي جميعَ الأرقَامِ التي تُحاوِلُ أنْ تُضرَبَ بِه.

قيل إنّ الصّفرَ هو الماحِقُ الكبير، لأنَّهُ يُحيلُ كلّ مَنْ يَقترِبُ مِنهُ إلى صِفر. من ناحِيةٍ أخرَى، سُمّيَ الـ 1 المُوقّر الكبير لأنَّهُ يُبْقي كل مَنْ يُضْرَبُ بِهِ على حالِه. 0 مضْرُوبٌ بـ 5 النّاتِجُ صِفر. 1 مَضْرُوب بـ 5 النّاتِج 5.

وأخيراً، جرَت الأمور على ما يُرام. كانت حاجَةُ الكنيسَةِ إلى مُحاسِبينَ بارِعين أكبر مِنْ أن تفوّتَ الفائِدةَ المادّيةَ المَحْض مِن اسْتِخدَامِ الصِّفر.

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

207. الحَجُّ الكبير

تُميّزُ الرّقم 103 الطّريق. قريباً سيَظهرُ لهنَّ العُشّ البشريّ الذي هرَبت مِنه. يقتَربْنَ مِنَ المَوعِد الكَبير.

تَطلبُ الأميرةُ من فرقَةِ المُستَكشِفاتِ الشّابّاتِ الخاصّةِ بها أنْ تُبلِغَ الحجَّ الكبيرَ في الخلفِ بأنَّ الصُّفُوفَ الأولَى تتهيّأ لإبطَاءِ سَيرِها. تعرِفُ بأنَّ المَوكِبَ أصبحَ مُفرطَ الطُّولِ لدَرجَة، إنْ توقّفوا فجأةً، فالوقتُ الذي ستَسْتَغرقهُ المَعلُومةُ لتَصِلَ إلى النّهايةِ وتترجَمَ إلى جَميعِ لُغاتِ المُدُن الغَريبة، سيُداسُ فيهِ الكثيرُ من حُجّاج النّمل من جانب الذينَ لنْ يكبَحوا بالسُّرعةِ المَطلُوبَة.

تَنظرُ الأميرةُ 103 إلى المَشْهدِ وتَستَغرِب. لم يَعُد هناكَ عُشّ. حلَّ مكانَهُ تلّ وحولَهُ تعمُّ فوضَى هائِلة. الهَواء مُحمّلٌ بروائِحِ البنزين والخَوفِ وروائِحِ **الأصَابع**. آخرَ مرّة لاحظَت هذا القدْرَ مِنَ الازدِحامِ والتّوترِ كانَ لمّا قَطَعت على **الأصَابع** ما يدْعُونَهُ «نُزْهَة» بمُجرّدِ عبُورِها على قِماشَة.

208. فيرومُون حولَ علمِ الحيَوان: وجَبَات

سيّالةُ اللّعاب: الرّقم 10.

وجَبَات:

الأصَابعُ هم الحَيوانَاتُ الوَحيدَةُ التي تأكُلُ تبِعاً لوتيرةٍ مُنتظَمة.

فيما يُتَناولُ الطّعامُ في أرجاءِ العالَمِ الحَيوانيّ قاطِبةً 1) عندَ الشّعورِ بالجُوع، 2) عِندما يَظهرُ الطّعامُ في مَجالِ الرؤيَه، 3) وعِندما يُمكنُ للعدْوُ بالسُّرعةِ المطلُوبةِ التقاطُ هذا الطّعام، نَجِدُ أنَّ عِند ***الأصابع***، *سواء في حالةِ الجُوعِ أو عدَمِه، يُتَناولُ الطّعامُ ثلاثَ مرّاتٍ في اليومِ.*

هذا النّظامُ مِنَ الوجباتِ الثّلاثِ في اليَومِ يُتيحُ ***للأصَابع*** *أنْ يقسِمُوا يومَهم إلى جزأين.*

تَفتَتِحُ الوَجْبةُ الأولَى الصُّبحيّةَ، الوَجْبة الثّانيةُ تُغلِقُها وتفتَتحُ ما بعدَ الظّهيرَة، الوَجبةُ الثالِثةُ تُغلقُ ما بَعدَ الظّهيرَة وتُهيّأ للنومِ.

209. مرحَبا

إنّهم هنا. **الأصَابع** هنا. وحَسب الرّوائِحِ التي تَلتَقطها الرقم 103 تُخمّنُ أنّه يُوجَدُ الكثيرُ مِنهُم.

جُزيء سَلامٍ.

تبثُّ حشَراتُ الحجّ جمِيعُها فيرومُوناتِ التّقديم الخاصّةِ بها. ما مِنْ شَيءٍ عِدائيّ، ما مِنْ تبجّحٍ في هذهِ الإشَاراتِ الشميّة.

جُزيء سَلامٍ إلى جَميعِ ***الأصَابعِ*** *الحَاضِرين.*

بما أنَّ الفيرومون *إصْبع* يشبِهُ كثيراً الفيرومُون الذي يَعني *آلهة*، يُخطِئ الكثيرُ بينَ الاثنين.

ما إنْ يُطردَ غيرُ المَعقُولِ مِنَ البابِ، حتّى يُطلّ برأسِهِ من النّافذةِ عِندَ أوّل حدَثٍ خارجٍ عن المألُوفِ مُهيمناً عليه.

جُزيء سَلام إلى جَميعِ الآلهةِ الحَاضِرة.

وهنَّ يتَسلَّقنَ الآلِهة، تَبثُّ النّمالُ فيروموناتهنَّ الأكثر حرَارة وبأقصى ودٍّ مُمْكِن. فهمنَ جيّداً، أنّه ينبَغي من الآنَ فصاعِداً، حينَ الاقتراب من إصْبعٍ، التوجّه إليهِ بكثيرٍ منَ الاحتِرام.

جُزيء سَلام إلى جَميعِ الآلهةِ الحَاضِرة، بثثن معاً وهنَّ يتسلقنَ هذهِ الحيواناتِ الهائِلة فاتِرَةَ الهمّةِ ذات الرائحة النفّاذة.

210. موسوعة

يوتوبيا شبتاي تسفي: بعدَ الكثيرِ منَ الحِسَاباتِ والتّأويلَاتِ الباطنيّةِ للكتابِ المُقدَّسِ والتّلمود، تنبّأ كِبارُ المُتبحّرينَ القباليّين *kabbalistes* البولنديّينَ بأنَّ المَسِيحَ سيظْهَرُ سنَة 1666 على وَجْهِ التَّحدِيد. في ذلكَ الوقتِ، كانت معنَوياتُ السُّكانِ اليَهودِ في أوروبا الشّرقيةِ في حالَةٍ يُرثَى لها. فقبلَ سَنواتٍ قلِيلَة، كانَ الهيتمان القُوزاقِي بوهدَان خميلنيتسكي قدْ تولّى قيادَةَ جيشٍ من الفلّاحين منْ أجلِ وضْعِ حدّ لهيمَنةِ كِبارِ ملّاكي الإقطَاعيّةِ البولنديّة. وبسَبَبِ عجزِهم عن الوصُولِ إليهم في قلاعِهم الشّدِيدة التحصُّن، استَولَى على الحُشُود جنونٌ قاتِل، فانتَقَمُوا من القُرَى اليَهوديّة الصَّغيرة التي اعتُبرَت مُفرطَة الوفَاءِ لأسيَادِها. ولمّا شَنَّ الأرستقراطِيون البولنديون، بعدَ بِضْعةِ أسَابيع، غارات انتِقامٍ دَمويّة، دفَعت القُرى اليَهوديّة، مرّةً أخرَى، الثمن وأحصي سقوطُ آلافِ الضّحَايا. أكّد القبَاليونَ بأنَّ: «هذِهِ هي علَامةُ مَعركَة أرماجدون[1] الأخيرة»، «إنّها بِشَارةُ مَجيءِ المسِيح».

على أيّة حال، تلكَ كانتِ اللّحظَةُ التي اختَارها شبتاي تسفي، الشَّابُ اللّطِيفُ ذُو النَّظرةِ الحَادَّة، ليجعَلَ الآخرينَ يعترِفُونَ بِهِ بوصْفِهِ المَسِيح. لقد كانَ الرَّجلُ مفوّهاً، يُطَمئِنُ الناسَ ويدفَعُها للحُلُم. قيل إنّ بوسْعِهِ اجتِراحُ

1- في الكتاب المقدّس هو موقع معركة آخر الزمان حيثُ تدور بين المؤمنين والمُعارضين لعودة المسيح.

المُعجِزات. وسُرعانَ ما أثارَ حماسَةً دِينيّة شَديدَة بينَ الجَالياتِ اليَهوديّة المُضْطَهدةِ في أوروبا الشّرقيّة. حذّرَ بعضُ الحاخَاماتِ من المُنتَحل و«الملك المزيف» رافعينَ الصَّوت. ظَهرَت انقِسَامات بينَ اليَهُودِ المُوالينَ لشبتاي تسفي والمُتَّهِمينَ له، عائلات بكامِلها مزّقَت بعضَها بعضاً. ومع ذلك، قرَّرَ مِئاتُ الأشخَاصِ تركَ كلّ شَيءٍ وراءَهُم، تركوا منَازِلَهم هناك واتَّبَعوا ذاكَ المسِيحَ الجَديدَ الذي قادَهم إلى بنَاءِ مُجتَمعٍ طوباويّ جدِيدٍ في الأرضِ المُقدّسَة. جرى إنْهاءُ القضِيّةِ سَريعاً. ففي إحدَى اللّيالي، قامَ جَواسِيسُ السُّلطانِ التُّركي باختِطَافِ شبتاي تسفي، ولكنَّهُ نَجا منَ الموتِ باعتِناقِهِ الإسلام. تَبعهُ بعضُ مُريدِيهِ الأكثرُ إخْلاصاً على هذا الطّريق، فيما فضّلَ آخرُونَ نِسيانَه.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

211. جَيشُ العَفاريت

صَرْخَة. ينهارُ شُرطيّ عندَ رؤيةِ هذا الطّوفانِ الأسْوَد الضّاجِّ المُتّجِهِ نَحوهم بغايةِ تَسلّقهم. كانَ هناكَ عشرُونَ رجلاً. ثلاثة مِنهم ماتوا بسكتةٍ قلبيّة في اللّحظة، وبلمْحِ البَصَر لاذَ البقيّةُ بالفِرارِ.

مُعتَلياتٍ الأجسَادَ الإصْبَعيّةَ الثّلاثة المُمدَّدَة، تبثُّ مُسْتكشِفاتٌ بلُطْفٍ جُزيءَ سَلام ولا يَفْهمنَ لماذا لا يتلَقّينَ إجَابة. مع أنّ الأميرة 103 أكّدت لهنّ بأنّ بعض **الأصَابع** تُجيدُ لُغةَ النّملِ الشميّة.

– ولكن ما هذا؟ صَرخَت جولي مُحدّقةً بشَاشةِ الفيديو.

تنظُرُ الأميرةُ 103 إلى النّمالِ حَولَها وهنَّ يتسلّقنَ **الأصَابع** مُحتَفياتٍ بهم وتُدرِكُ فجأةً بأنّ هذا التّحرّك، وإنْ كانَت هي الباعِثُ عليه، قد تَجاوزَها الآن.

تَطلُبُ منَ الجَميعِ الهدُوء. تَعرِفُ أنّ تكتّلهم على هيئةِ حشُودٍ قد يُخِيفُ **الأصَابع**. فهم في النهايةِ مُفرِطُو الخَجل.

تَعدُو المُستَكشِفاتُ الاثنتا عشرةَ الشابّات على امتدادِ الرّتلِ راجِياتِ السَّائراتِ أنْ يُحافِظنَ على مسَافةٍ فاصِلةٍ مِنَ **الأصَابع**.

ثمّةَ في المُقدّمةِ نِمالٌ تتسلّق **الأصَابعَ** الثّلاثةَ المُضطَجِعينَ، جِبال دافِئة ومُتَصلّبة.

في المُحِيط، ثمّةَ أسفٌ على آلافٍ مِنَ الحُجّاجِ الذينَ بتسلّقهم الآلهة قدْ انْجَرفوا من جانبهم في سِباقٍ مَجنُون.

تَنصَحُ الأميرَة 103 بالتروّي. تُوقِفُ فِرقَها وتَمنَعُ أكلَ **الأصَابع** أو حتّى قَرصَهم. وتَطلُب ألّا يُذعَرَ أحدٌ أمام هذه اللّحظةِ الحسَّاسَة.

ثمّ تُحاولُ، بعدَ أنْ عادَ الهدُوء، إخفاءَ ذُعرِها وتفتّشُ التلّ. يُلاحِظُ الرقم 24 والمُستَكشِفاتُ الاثنتا عشْرة الشابّات بأنَّ هناكَ شيئاً ليسَ على ما يُرام. كلّ شيء كان مُباغِتاً والآن كلّ شيء مُفرِطُ السّكون. ساكِنٌ أكثر ممّا ينبَغي.

يُخرِجُ الحَلازينُ رؤوسَهم مِن قَواقِعهم.

تَتجوّل الأميرةُ 103 بينَ السّراخِس وتَعثرُ على فُتحةِ التّهويةِ سَويّةَ الأرضِ، تلكَ التي هرَبت عبْرَها مِن عُشّ **الأصَابع**.

تَرتَقي صَخْرةً وتُخاطِبُ الحَشد. تقولُ بأنَّ هذا التلّ هو أحدُ عشُوشِ **الأصَابع** وبأنَّ قاطِنيهِ هُم مِنَ القلّةِ الذينَ يُجيدُونَ التكلُّمَ باللّغةِ الشَّميّة. إنّها فُرصَةٌ ثَمينة ينبَغي انتِهازُها.

سوفَ تَنزلُ فيهِ وحدَها بدايةً لتَتحاوَر معَهم وبعدَها تَعودُ لتُبلِغَهم تقريرَها.

في غضُونِ ذلك، تَضعُ مسؤُوليّةَ المَسيرِ الطّويلِ على عَاتِق الرّقم 24 والمُستكشِفاتِ الاثنتي عشرة الشّابات.

وبينما تَنقلُ النّمالُ الطّائِرةُ المُوجّهة صُورَ البِساطِ الأسوَد الذي يُغطّي التلّ، تناهَى إلى سَمعِهم ما يُشبهُ صوتَ احتِكاكٍ عِند واحِدةٍ مِنْ شَبكاتِ التّهوية، فمضَى آرتور يَستَطلِعُ مَصدَرَ الصّوتِ ولاحَظَ نملةً بحَجْمٍ كبيرٍ مُزوّدَة بأجنِحة. تُمسِكُ عُوداً بينَ فكّيها لتَحكّ أقوَى.

طلَبَ تَركَها تَدْخُل. انبسَطَت أساريرُ وجْهِ العَجُوزِ لدى رؤيةِ وَسْمِ العلَامةِ الصَّفراء على جَبينِها.

الرّقم 103.

الرّقم 103 عادَت.

- مرحَباً الرقم 103، قالَ بتأثّرٍ شَدِيد. وفّيتِ بوعدكِ إذاً، ورَجِعتِ...

بالطّبع، لا تستَطيعُ النّملَةُ الصّهباءُ مُطلقاً فهمَ هذِهِ الكلِماتِ السَّمعيّة، حرّكَت قَرنَيها بالمُصادَفَةِ عندَ استِقبالِ الرَّوائِح الفَمويّةِ لآرتور.

- أصبَحَ لديكِ أجْنِحة، قالَ العجوزُ مُعجباً. آه! لا بدَّ لدينا الكثيرُ منَ الأخبارِ نقُولها لبعضِنا...

أخذَ برِفْقٍ الرّقم 103 بينَ أصَابعِهِ وحملَها إلى «حَجَرِ رشيد».

اجتَمعَ أصْحَابُ الهرمِ جميعَهم حولَ الآلةِ التي تَمركَزت الرّقم 103 داخِلها مُرتاحةً ووضَعَت كما في السّابِق قرنيها على اتّصَالٍ مع سَاقَي الإناء.

- مرحباً الرقم 103.

أزّتِ الآلَةُ وأجابَ الصَّوتُ الاصْطِناعيُّ في النّهاية:

- *تحيّات، آرتور!*

رمقَ آرتور الآخرينَ بعينٍ مَحمُومةٍ وطلبَ مِنهم العودةَ إلى شَاشَاتِهم. بعدَ تفكيرٍ، كان يُفضّلُ التكلّمَ مع صَديقتِهِ بمُفردهِ. فهِمَ الجَميعُ بأنّ العَجوزَ كان مُتأثّراً بهذا اللّقاء فابتَعدُوا.

لكي يتأكّدَ بأنّه يُصْغِي للنَملةِ بمُفردِه وضَعَ سمّاعاتٍ أذنيّة، وكِلاهُما، أفضَى للآخرِ بما في جُعبَتِه.

212. موسوعة

***حلفاؤنا المختلِفون*: شَهِدَ التّاريخُ العدِيدَ منْ حالاتِ التّعاونِ العَسْكريّ بينَ البشَرِ والحيوانَات، ولكنّ البشَر لم يُزعِجُوا أنفسَهم قطّ بطلَبِ رأي أولئكَ الحيَوانات.**

وعلى هذا النّحو، روّضَ السّوفييت، خلَالَ الحَربِ العالَميّةِ الثانِية، كِلَاباً مُضادّةَ للدّبابات. أُسْرِجَت الكِلَابُ بالألغَام، كانَت مَهمّتها الانْزلاقُ تَحتَ دبّابةِ العدوّ وتفجِيرها. لم يَنْجَح النّظَامُ بشَكلٍ جيّدٍ إذْ كانتِ الكِلَابُ تَميلُ إلى العَودَةِ مُبكرةً جدّاً إلى أسيَادِها.

تخيّلَ الدكتُور لويس فيزير سنة 1943، إطلَاقَ خفَافِيش مُزوَّدةً بقنَابلَ حارِقةٍ مُصغرةٍ على سُفُنٍ يابانيّة. كانَ يُفترَضُ بها أنْ تكونَ ردَّ الحُلَفاءِ على الانتِحاريينَ اليابانيّين. ولكن، بعدَ هيروشِيما، أصبحَت هذِهِ الأسلِحَةُ قدِيمَة.

صَمَّمَ البريطَانيّونَ أيضاً، سنة 1944، مشرُوعَ استِخدَامِ القِطَطِ لقيادَةِ طَائِراتٍ صَغيرَةٍ مليئَةٍ بالمُتَفجّرات. لقد ظنّوا أنَّ القِطَطَ التي تَخافُ الماء، ستَفعَلُ كلّ شَيءٍ لتوجِيهِ مَركبتِها نَحوَ حَامِلةِ الطّائِرات. لكنَّ ذلكَ لم يَحدُث.

خلال الحَربِ الفيتناميّة، حَاولَ الأمريكيّونَ استِخدَامَ الحمائِم والنُّسُور لإرسَالِ قنابِلَ على الفيت-كونغ. إخِفاقٌ مرّة أخرَى.

عِندَما لا يَسعَى البشَرُ إلى استِخدَام الحَيواناتِ كجُنود، فإنّهم يُحاولونَ استِخدَامها كجَواسِيس. وهكذا، خلَالَ الحَربِ البَارِدَة، أَجرَت وكالَةُ المُخابراتِ المَركزيّةِ (C.I.A) تَجارِبَ لتَمييزِ المُشتَبهِ بِهم مِنَ المُلاحقينَ بهرمُونِ الصُّرصارِ الأنثَوي، البيريبالون ب، هذهِ المادّةُ مُثيرَة للغايةِ بالنّسبَةِ لصُرصارٍ ذكرٍ إلى حدٍّ يُمكِّنُهُ من اكتِشَافها والوصُولِ إليها عنْ مسَافةِ عدَّةِ كيلومِترات.

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

213. مُكاشَفة

لم يَعلم أحدٌ قطّ ما الذي دارَ بينَ آرتور والرّقم 103 في ذلكَ اليوم. غالباً فسَّرت لَهُ النّملَةُ سببَ هرُوبِها مِنْ مَخبَره. غالباً طلَبَ مِنها آرتور البقاءَ مَع فِرقها لحِمايَةِ الهرَمِ مِنَ الهُجُومِ القادِمِ للأصَابع. غالباً طَلَبت مِنهُ الرّقم 103 أنْ تَعرِفَ أينَ وصَلَ مشرُوعُ التَّعاونِ بينَ العالَمين.

214. رِسَالةُ الحَواريّين

في الخَارج، تُقيمُ المُستَكشِفاتُ الاثنتا عشرَة اثنَي عشَرَ مُخيّماً مؤقّتاً عندَ قِمّة التلّ مع وضْعِ جَمرةٍ في مركزِ كلّ واحِدٍ مِنها.

في كلّ مُخيّمٍ واحِدةٌ منَ الاثنَتي عشْرَة تَروي طِوالَ اللّيل ما تَعتقدُ أنّهُ يَحدُث في العُشّ الإنسانيّ. جميعهنَّ يَعتقِدنَ أنّ الأميرةَ انْضمَّت إلى الآلِهة التي تُجيدُ الكلَام، لا كما أولئكَ الثّلاثةِ أكوامِ اللّحمِ العاجِزينَ عن التّحاورِ والذين انهاروا ما إنْ اقترَبْنَ مِنهُم.

*الآن تَطلُبُ الأميرةُ 103 إبْرامَ اتّفاقٍ لا رَجعةَ عَنهُ بينَ **الأصَابع** والنّمل،* أعلنَ الأمير 24 لطَمْأنةِ الجَميع.

في الوقتِ الرّاهِن، لا بدّ أنّهم قدْ فرِغوا مِن ذلك.

عندَ الصَّباح، الرّقم 5، الواقِفةُ على عُكّازيها، هي أوّل مَنْ يَلتَقِطُ الجلَبة. شَفرات هوائيّة تَصْفُقُ الهواءَ فوقَ المُخيّمات. تفهَمُ على الفَورِ بأنَّ تلكَ الزّنابيرَ الضَّخمة البعيدَة تُشكّل تَهديداً ولكنَّهم يَطيرُونَ بعلوّ مُرتَفعٍ جدّاً ليكونوا في مَرمى رَشَقاتِ الحَمْض. لا تَصلُ طلَقاتُ النّمالِ المدفعيّاتِ أبعدَ مِن عشرين سنتمتراً وتلكَ الزنابيرُ تَرتَفعُ عن القرُون النمليّة بما يتَجاوزُ العشرينَ سنتمتراً بكثير.

على شاشَاتِ الفيديو داخلَ الهَرَم، كان وقْعُ التّهديدِ صَاعِقاً. إذْ تردُّ قوّاتُ النّظامِ على نَملَاتِ الرّوبُوت الضّئيلاتِ الطَّائِرةِ بحوّاماتٍ هائِلَة.

كانَ نمُوذَجاً من المِروحيّاتِ التي تُستَخدَمُ لعمليّاتِ الرشّ الزّراعِي الكثِيف. فاتَ أوانُ إرسَالِ الرّقم 103 لإنذارِ فِرقها، فقد بدَأ مطَرٌ أصفَر من بلّوراتِ الحَمْضِ يتَساقَطُ على زَميلاتها.

الأَلَمُ عندَ مُلامَسةِ بلّوراتِ السمّ مُخِيفٌ. الدّروعُ تَذُوب، الأحشاءُ تذُوب، والأشجَارُ تَذُوب.

كانت المُروحيّاتُ تَصُبُّ مَزيجاً مِنْ مُقشّرٍ ومُبيدٍ فائِقِ التّركيز.

بلغَ السُّخطُ بأصْحَابِ العُشّ مُنتهاه. أتَتْ ملايينُ النّمالِ لتَعقِدَ أواصِرَ مع البَشرِ وها هيَ تَموتُ دونَ أدنَى وسِيلةِ دفاعٍ عن النَّفسِ.

– لا نَستَطيعُ تركَ هذا الشّيء يَحصُل! قالَ آرتور غاضِباً.

الجهْدُ الذي بذَلهُ الجميعُ لم يُثمِر سِوى هذِهِ المَجزَرة.

كانتِ الأميرَةُ 103 تُتابعُ الحدَثَ على شَاشةِ تَحكّمٍ صَغيرةٍ دونَ أنْ تفهَمَ ما الذي يَحدُث.

- أصبَحُوا مَجانِين، همَسَت جولي.

- لا، هُم خائِفون، هذا كلّ ما في الأمر، أجابَ ليوبولد.

شدَّ جوناثان ويلز على قبضَتيه:

- لماذا يَجبُ دائماً أنْ تَنهضَ في وجْهِ البشَر قوى غاشِمة لا تُقهر مانِعةً عنهم كلَّ جديد، كلَّ مختلف! لماذا يرفُضُ البَشرُ بشكلٍ قاطِعٍ دِراسَة الكائِنَاتِ المُحيطَةِ بهم إلّا وهي مُشرّحةٌ أشْلَاءً ومُلصَقة على شَريحةِ مِجْهَر!

في تلك اللّحظَة، وهو يُراقِبُ السّائلَ المائِلَ للصُفرةِ يدمّرُ الحياةَ في جَميعِ الأرجاء، شعرَ آرتور بالعَارِ مِنْ كَونِه بشَراً. وقالَ بإصْرار، بصَوتٍ أرادَهُ حازِماً:

- هذا يكفي. يكفي لَعباً. دعونا نُسلّم أنفُسَنا ونوقِفُ هذِهِ المجزَرة.

سَويّةً، تقدَّمُوا في النَّفق، خَرجُوا منَ الهرَمِ وسلّمُوا أنفُسَهم لقوّاتِ النّظَام، دونَ أدنَى تَردُّد. لم يكنْ ثمّةَ خِيار آخر، وما مِن أملٍ لهم سِوى أنّهم قَدْ يستَطيعون بتسلِيمِ أنفسهم إيقافَ رقصَةِ الحوّاماتِ الناشِرةِ للسُّمّ.

215. فيرومُون حولَ عِلم الحَيوان: مُصَارعة الثّيران

سيّالةُ اللّعاب: الرّقم 10.

مُصَارعة الثيران:

الأصَابعُ هُم أشْرسُ المُفترسِين.

مع ذلك، يبدُو أنَّ الشكَّ يَعتَريهم أحياناً فيرغَبونَ بتأكيدِ تفوّقِهم لأنفُسِهم. لذا يُنظّمونَ «مُصارعاتِ ثيران».

يقومُ الأمرُ على طَقسٍ غريبٍ يُواجهُ خلالَهُ رجلُ الحيوانَ الذي يبدو له أنّهُ الأقوى: الثّور.

يَتصارعانِ لعدّةِ ساعات، الثّورُ مُسلّح بقرنيهِ المُدبّبين، والإصْبَع بحربَةٍ معدنيّةٍ مسنّنة.

*دائماً يكونُ الفوزُ من نَصيبِ **الإِصْبع** وليسَ مِنَ الوارِدِ تَحرِيُر الثّور حتّى ولو انتَصَر.*

*يُتيحُ طَقسُ مُصارعةِ الثيران **للأَصَابِع** أنْ يذكّروا أنفسَهم بأنّهم المُنتَصِرونَ في مَعركةِ الطّبيعَة.*

بحُكمِ الموتِ على ثَورٍ ثقيلٍ هائِجٍ، يُعيدونَ منحَ أنفُسِهم لقبَ سادَةِ الحَيواناتِ أجمَعِين.

216. المُحاكَمَة

بعدَ ثلاثةِ أشْهرٍ، جَرَت المُحاكَمة.

كانَتِ الحشُودُ قدْ تَوافَدَت إلى قاعَةِ المَحكمةِ في المحكَمةِ الجِنائيّةِ لقصْرِ العدْلِ في فونتينبلو، جَمِيع الذينَ لَم يحضُروا ساعاتِ مَجْدِ المُتّهمينَ أتوا ليشْهَدوا إدانَتَهم بالقَتلِ. وتكلّفَ التّلفزيون الوطَنيُّ عناءَ القُدُومِ استثنائياً. القنَواتُ الستُّ الأساسيّة كانَت هُناك. لم تَحضُر نَجاحَ الثورة، ستَحضُرُ إعدامَها. بالنّسبةِ للمُشَاهِدِين، الهزيمَةُ دوماً مُثيرةٌ للاهتِمامِ وجذّابةٌ تلفزيُونيّاً أكثرَ مِنَ الانتِصَار.

أخيراً، ألقيَ القَبضُ على زُعَماءِ ثَورةِ النَّملِ والعُلَماء المَجانين أصْحَابِ هرَمِ الغَابة. وقِصَّةُ أنَّ بينَهم وزيرٌ سَابِق للبُحُوثِ وأوراسيّة جميلَة ورَجُلٌ مَريضٌ مُسنّ أضفَى على المُحاكمةِ جانِباً فلكلوريّاً.

تزاحَمَ صَحفيّون ومُصوّرُون ومُصوّرونَ تلفزيونيّونَ. امتَلأت المقَاعِدُ المُخصَّصَةُ للحُضُورِ عنْ آخِرها فَضْلاً عن الازدِحَامِ الحَاصِلِ أمامَ أبوابِ قصْرِ العَدْل.

- سيّداتِي وسادَتِي، وصلَ أعضَاءُ المَحكَمةِ، أعلَنَ الحَاجِبُ.

دخَلَ الرَّئيسُ برفقَةِ مُستَشاريه، يَتبَعُهم المُحامِي العَام. سَبقَ لكاتِبِ المحكَمةِ أنْ اتَّخذَ مكانَهُ وكذلكَ الأعضَاءُ التّسْعةُ في هَيئةِ المُحلّفين؛ كانت تتألّفُ مِنْ بقّال، سَاعِي بَريدٍ مُتقاعِدٍ، مُنظّفةِ كِلَاب، جرّاح دونَ زَبائِن، مُفتّشةِ ميترو، مُوزّع منشُورَات، مُعلّمة بإجَازةٍ مَرضِيّة، مُحاسِبٌ ومُنجّد فُرُشٍ. تنبَعِثُ مِنْهم رَوائِحُ مُختلِفَة.

أعلَنَ الحَاجِبُ مُتلجْلِجاً:

- دَعوَى الادِّعَاءِ العَام على الجَماعةِ التي تُسمَّى «**ثَورة النّمل**» والمُتواطِئة مع المُتآمِرينَ المدعوّين «أصْحَابُ هرَمِ الغابَة».

ركّزَ القاضِي قُعودَهُ على نَحوٍ مُريحٍ فوقَ عرْشِه، مُدركاً بأنَّ المُحاكمَةَ ستَستَمرُّ على الأرجَحِ وقتاً طَويلاً. كلّ ما فيه كانَ ينضَحُ بجلالِ العدَالةِ، شَعرهُ الأبيضُ ولِحيتهُ الرَّماديّة المُهذّبةُ جيّداً، نظّارتُهُ المُستقرّةُ على أنْفِهِ والتي لها شَكلُ نِصْفِ هِلالٍ. مُترفّعاً في عَليائِهِ عن المصَالِحِ الخاصَّة.

كان المُستَشارَانِ بعُمرٍ وقورٍ وبدَا أنّهما أتَيا للتَسليةِ بينَ جولَتينِ منْ لُعبةِ ورقٍ (بلوت). اتّخذَ الثّلاثةُ أمْكِنتَهُم على طَاولةٍ طَويلةٍ مِنْ خشَبِ الدّردَارِ يَعلُوها تِمثالٌ مَجازيّ مُجسِّداً «**العدالة الآخِذَة مَجراها**»، على هَيئةِ شابّةٍ مُتلَحّفة بِدِثارٍ مكشُوفِ الكتِفينِ بسَخَاء، مَعصُوبة العينَينِ ورافِعةً مِيزاناً.

وقفَ كاتِبُ المَحكَمةِ ونادَى على أسماءِ المُتَّهمينَ المُحاطينَ بأربَعةٍ من الشّرطَةِ. كانوا ثَمانِية وعشرينَ بالمُجْمل. ثمّةَ المُحرّضُونَ السّبعة **لثورةِ النّمل**، وكذلكَ السَّبعة عشَر أصْحَابُ المُجلّد الأوّل *للموسُوعة*، والأربَعةُ أصْحَابُ المُجلّدِ الثّاني.

سألَ رئيسُ المَحكمةِ عن مُحامِي المُدّعى علَيهم. أجابَ كاتِبُ المَحكَمةِ بأنَّ واحِدةً منَ المُتّهمينَ، جولي بانسون، تُريدُ أنْ تحلَّ مكانَ المُحامِي وبأنَّ جميعَ المتّهمينَ الآخَرين مُوافِقون.

- من هي جولي بانسون؟

الفتَاةُ ذاتُ العينَينِ الرَّماديّتينِ الفاتِحتَينِ رفَعَت يدَها.

دعَاها الرَّئيسُ بأنْ تأخُذَ مكانَها على المِنصّةِ المُخصَّصَةِ للدفاع. أحاطَ بها شُرطيّانِ مُباشرةً تَحسُّباً مِنْ أيّ مُحاولَةِ هروبٍ.

كانَ الشُّرطيّان يتبسّمانِ بودٍّ. دارَ في خَلَدِ جولي: «الواقِع، إنَّ الشُّرطيّينَ أناسٌ شَرسُون في حالَةِ المُطارَدَة، لأنّهم يَخافُونَ الفَشَلَ في مهمّتِهم، ولكنَ بعدَ أنْ يقبضُوا على فَريسَتِهم، يَغدُونَ أناساً لُطفَاءَ في الغَالب».

بَحَثت جولي عنْ أمّها بينَ الحُضُور، وجدَتها في الصفِّ الثّالثِ وأرسَلَت

لَها إيماءَةً صَغيرةً بالرّأس. مُنذُ زَمنٍ وأمّها تُطالِبُها بأنْ تَدرُسَ الحُقوق لتُصبح مُحاميّة، كانت جولي مسْرُورَة بالوصُولِ إلى مقعَدِ الدّفاعِ دونَ أيّةِ شَهادَة.

دقَّت مِطْرقَةُ الرَّئيسِ العاجيّةِ على الطَّاولَةِ الخَشَبيّة.

– افتُتِحَت الجلسَة. حَضْرةَ كاتِبِ المَحكَمة اقرأ لنا لائِحةَ الاتّهام.

قدّمَ الرَّجلُ مُلخّصاً مُوجزاً عن الأحدَاثِ السَّابقة. الحَفل المُوسِيقيّ الذي تَحوّلَ إلى شَغب، الاشتباكات مع الشُّرطَة، احتِلال الثانويّة، الأضرار الفادِحَه، أوائِل الجَرحَى، هُروب الزّعَماء، المُطَارَدة في الغَابَة، اللّجُوء داخِلَ الهَرَم، وأخيراً مَوت ثَلاثةِ شُرطيّينَ مُكلّفينَ بإيقافِهِم.

أوّلُ منْ طُلِب إلى مِنصَّةِ الشُّهود كانَ آرتور.

– أنتَ آرتور راميريز، اثنان وسَبْعونَ سَنةً، تاجِر، وتَقطُنُ شارعَ فونيكس في فونتينبلو، أليسَ كذلك؟

– أجل.

– قُلْ: أجل، سيّدي الرّئيس.

– أجل، سيّدي الرَّئيس.

– سيّد راميريز، أنتَ قتلتَ السيّد غاستون بانسون يوم 12 آذار الفائِت مُستَخدِماً كسِلَاحٍ روبوتاً ضَئيلاً قاتِلاً على شَكلِ ذُبابةٍ طَائِرة. وبما أنَّ هذا الرُّوبوت القاتِل كانَ مُوجّهاً عنْ بُعدٍ فيُمكنُ مُقارنتُهُ بصَاروخٍ مُزوّدٍ برأسٍ ذكيّ وبالتّالي تَصنيفَهُ سِلَاحاً مِنَ الفئَةِ الخامِسَة. ماذا لديكَ لتُجيبَ عن هذَا الاتّهام؟

مسَحَ آرتور جَبينَهُ الرَّطِب. وَضعيَّةُ الوقُوفِ كانَت تُنهِكُ العجُوزَ المريض.

– لا شَيء. آسَفُ لقتلِه. أردتُ تَنويمَهُ فقَط. لم أكنْ أعلَمُ أنَّ لَديهِ حسَاسيّةً مِنَ المُخدّر.

– وهل تَعتَبرُ أنَّ مِنَ الطَّبيعيّ مُهاجَمةَ النّاسِ بذُباباتِ رُوبوت؟ سألَ المُحامي العام ساخِراً.

– نِمالٌ طَائرة مُوجّهةٌ عَنْ بُعد، صَحّحَ آرتور. الأمرُ مُتعلّق بنُسخَةٍ مُحسَّنةٍ مِنْ أنْموذَجي من النَّملَةِ الزّاحِفة المُوجَّهة عَنْ بُعد. تُدرِكُ حضرَتكَ، أنّنا عزَمنا – أصْدقائِي وأنا – على العَملِ بسلَامٍ دونَ أنْ يُعكّر صَفونَا فضُوليّونَ أو متنزّهُون.

«بهدَفِ التّحادُثِ مع النّملِ والوصُولِ إلى تَعاونٍ بينَ ثقافَتينَا أنْشَأنا هذا الهرَم».

تَصفَّحَ الرَّئيسُ أورَاقَهُ.

- آه، بلى! بناءٌ مَمنُوعٌ دُونَ مُوافَقةٍ في مَوقعٍ مَحميّ وسَطَ مُتنزّه طَبيعيّ وطنيّ.

بحثَ في الأوراقِ أكثَر.

- أرى هنا أنَّهُ لشدَّةِ ما راحَة بالِكم عَزيزَةٌ علَيكم كرَّرتُم الجَريمَةَ حينَ أرسَلتُم إحدَى «نِمالِكم الطَّائِرة» تُهاجِم مُوظّفاً مُكلّفاً مِنَ النّظَام العَام، المُفوَّض مكسيميليان لينار.

أقرَّ آرتور بذلِك.

- هو أرادَ تدمِيرَ هرَمي. ما حدَثَ هو دِفَاعٌ عنِ النَّفس.

- لا تتوانَى عَنْ اسْتِخدَامِ جَميعِ الحُجَجِ التي تراها صَالِحةً لتَبريرِ إزهاقِ أروَاحِ النّاسِ بروبُوتاتٍ دَقيقَة طَائِرة، علَّقَ المُحامِي العَام.

انتابَتْ آرتور نَوبَةُ سُعالٍ عنِيفَةٍ لحظَتَها، وعَجزَ عنْ مُواصَلةِ التكلُّم. أعادَهُ شُرطيّان إلى قفَصِ الاتّهام حيثُ تهَالَكَ فيهِ بينَ أصْدِقائِه الذينَ انْحنَوا قَلِقينَ عليهِ. نَهضَ جاك ميليس مُطالِباً بطَبيبٍ على الفَور. ركَضَ الطَّبيبُ المُمارِسُ نَحوَهُ وأعلَنَ بأنَّ المُتَّهمَ سيُتابعُ بعدَ لَحظَةٍ ولكنْ لا ينبَغي إرْهَاقَهُ كثيراً.

- المُتَّهمُ الذي يَليه، دافيد سَاتُر.

تقدَّمَ دافيد إلى أمامِ القاضِي دونَ مُسَاعدَةِ عُكّازه، مُوْلياً ظَهرَهُ إلى الحضُور.

- دافيد سَاتُر، ثَمانِية عشَرَ عاماً، تِلميذٌ في الثانَويّة. أنتَ مُتَّهمٌ بأنّك المُخطِّطُ لـ «ثَورة النَّمل». لدينا صُورٌ تُظهِرُ أنّكَ تَقودُ مَجمُوعاتٍ مِنَ المُتظَاهرينَ مِثلَ جنرال يقُودُ جَيشَه. أظنَنْتَ نفسَكَ تروتسكي جدِيد يُعيدُ إحياءَ الجَيش الأحمَر؟

لم يُتَح لدافيد أنْ يُجيبَ، أردَفَ القاضِي:

- تُريدُ بناءَ جيشٍ منَ النّمل، أليسَ كذلِك؟ بالمُناسَبة، فسِّرْ للمُحلَّفينَ لماذا أسَّستَ حَركتكَ مُحاكِياً الحشَرات؟

- بدأتُ الاهتِمامَ بالحشَراتِ لمّا أدْخلنَا جُدجُداً في فرقَةِ الرُّوك الخَاصَّةِ بنا. وبالفِعلِ كانَ مُوسِيقيّاً جيّداً.

سَرتْ قَهقَهةٌ بينَ الحَاضِرينَ، فطلَبَ الرّئيسُ السُّكوتَ إلّا أنَّ دافيد لَم يَستَسلِم للارتِبَاك.

- بعدَ الجدَاجِد التي لديها اتّصال من جُدجُدٍ إلى آخر، اكتَشفتُ أنَّ النّمالَ يتمتّعنَ باتّصَالٍ مُتشعّبِ الاتّجاهَات. كلُّ فَردٍ في قريَةِ النّملِ يتقاسَمُ مشَاعِرهُ مع القريةِ بأكملها. التَّضامُن بينَهم كليٌّ. ما عَجِزت المُجتَمَعاتُ البشريّة عَنْ تَحقِيقِهِ مُنذ آلافِ السِّنين، استَطَاعَت المُجتَمعاتُ النَّمليّةُ تَحقِيقَهُ قبلَ ظُهورِنا على الأرضِ بأمدٍ طويل.

- هل تُرِيدُنا جَميعاً أنْ نضَعَ قرُوناً استِشعَاريّةً؟ سألَ المُحامِي العَام بسُخريّةٍ واضِحَة.

هذه المرّة لم يُسْكِت أحدٌ ضَحِكاتِ القاعَة. واضْطَرّ دافيد إلى انْتِظَارِ عودَةِ الهدُوءِ ليُجِيب:

- أظنُّ إنْ أصْبَحَ لدينا نِظامُ تَواصُلٍ بالفعّاليّةِ ذاتِها الموجُودَةِ عندَ النَّملِ، لنْ يكونَ هُناكَ هذا المِقدَارُ مِنْ سُوءِ التّفاهم، مِنَ الالتِباسِ والتَّفسِيراتِ الخاطِئةِ والكذِب. النَّملَةُ لا تَكذِب وحتّى غيرُ قادِرةٍ على تَصوّرِ النَّفعِ مِنْ ورَاءِ الكذِب. التّواصُل بالنّسبَةِ لها، هو إيصَالُ معلُومَةٍ إلى الآخَرين.

سرَى همْسٌ بينَ الحضُورِ فضَربَ القاضِي بمِطْرقتِهِ العَاجيّة.

- المُتَّهمُ التّالي: جولي بانسون. أنتِ الـ«باسيوناريا» والمُحرّضَةُ **لثورَةِ النَّمل** هذه، التي أدّت إضَافةً إلى الخسَائِرِ الكبيرَةِ، إلى سُقُوطِ جَرحَى في حالَةٍ خطِيرَة. نِرسيس آريبو بينَهم.

- كيفَ حالَةُ نرسيس؟ قاطَعتهُ الشّابَة.

- ليسَ أنتِ مَنْ يَطرَحُ الأسئِلَةَ. واللّبَاقَةُ وأعرَافُ المَحكمَةِ تفرُضُ عليكِ أنْ تُخاطِبيني بـ«سيّدي الرَّئيس». سبَقَ ونوّهتُ بذلكَ مُنذُ بُرهةٍ إلى أحَدِ

شُركائِك. آنِسَة، يبدو أنّكِ تَجهلِينَ تماماً ما هي الإجرَاءاتُ القضَائيّة. ستكونُ خِدمَة لكم، لكِ ولأصْدِقائكِ، تَعيينُ مُحامٍ مِهنيّ من جانب المَحكمَة.

- أستَميحكَ عُذراً، سيّدي الرَّئيس.

أبدَى القاضِي ليونةً مُجدّداً، مُتّخِذاً هيئة جَدٍّ عجوزٍ مُتَذمّر.

- حسناً. إجابةً عنْ سُؤالكِ، حالَةُ السيّد نرسيس آريبو مُستقرَّة. وصَلَ إلى هذَا الحَال بسَببك.

- كنتُ أدافِعُ دَوماً عَنْ ثَورةٍ لا عُنفيّة. مفهُومُ **ثَورةِ النّمل**، بالنّسبةِ لي، هو رَدِيفٌ لمُراكمَةِ أفعَالٍ صَغيرةٍ لا تلفِتُ الانتِباه، غيرَ أنَّها مُجتَمعةً تَقلُبُ جِبالاً.

مُلتَفتَةً إلى أمّها، راغِبةً في إقنَاعِها هي على الأقلّ، رأت جولي أستَاذَ التّاريخِ الذي كانَ يَهزُّ رأسَهُ كإشَارةِ رِضَا. لم يكن مُعلّم الثانويّة الوحيدَ الذي حضَر. كانَ هُناكَ أيضَاً مُعلّمو الرياضيّات، الاقتِصَاد، الرّياضَة وحتّى عِلمِ الأحياءِ. لم يتَغيّب سِوى معلّما الفلسَفةِ واللّغةِ الألمانيّة.

- ولكن لِماذا رَمزيّةُ النّملِ هذه؟ سأَلَ الرّئيسُ مُصِرّاً.

كانَت مقاعِدُ الصَّحافةِ تَعجُّ بالصَّحفيّين. هذِه المرّة، بوسْعها أنْ تُخاطِبَ جُمهُوراً واسِعاً. الرّهانُ هائِل. ينبَغي انتِقاءُ مُفردَاتِها بعنَايةٍ.

- يُشكّل النَّملُ مُجتَمعاً حيثُ إرادة واحدَةٌ تُحرّكُ مُواطِنيهِ للإسْهَامِ في رخَاءِ الجَميع.

- رؤيَةٌ شاعِريّة، بالطَّبع، لا صِلَةَ لَها بالواقِع! قاطَعَ المُحامِي العَام. تَعملُ قريَةُ النّملِ بشكلٍ مُمتازٍ مِثلَما يَعملُ الحاسُوبُ أو الغسَّالةُ أمّا البَحثُ عنْ ذكَاءٍ أو وَعْيٍ ورَاءَ ذلِكَ فهو مَضيَعةٌ للوقتِ، لا يتَعدّى الأمرُ سلوكاً مُسجّلاً جِينيّاً.

جلَبَةٌ على مقَاعِدِ الصَّحافَة. يجِبُ أنْ يأتِيَ الردُّ سَريعاً.

- حضْرَتكَ تَخشَى قريَةَ النَّملِ لأنّها تُجسّدُ نَجَاحاً اجتِماعيّاً نَعجزُ نَحنُ أنْ نصِلَ إليهِ يَوماً.

- إنّهُ عالَمٌ عَسْكريّ.

- أبداً. على العَكسِ إنّهُ أشبَهُ بجمَاعةٍ هيبيّةٍ يعمَلُ فيها كلّ واحِدٍ ما يَروقُ لَهُ، بلا قائِدٍ، أو جنرالات أو كهنَةٍ أو رَئيسٍ أو شُرطَةٍ، وبلا قَمْع.

- ما هوَ سِرُّ قَريةِ النَّملِ، برأيكِ؟ سألَ المُحامِي مُغتَاظاً.

- ما مِنْ سِرّ، وهذا كلُّ ما في الأمر. سُلوكُ النَّملِ فوضَويّ ويعيشُ بنظَامٍ غيرِ مُنظّمٍ وهو يعمَل بكفاءَةٍ أكثَر مِنْ نِظَامٍ مُنظّم.

- فوضَويّة! صرَخَ أَحدُ الأشخَاصِ في قاعَةِ المَحْكمَة.

- هل تنتَمينَ إلى الفوضَويّة؟ سألَ الرَّئيس.

- أنا فوضَويّة إنْ كانَ المقصُودُ مِنَ الكلِمةِ العَيش في مُجتَمعٍ بلا قَائِد، بلا تَسلْسُل هرَمي، بلا مُرشدٍ فِكريّ، بلا وَعْدٍ بزيادَةِ رَاتِب، أو وَعْدٍ بالجنَّةِ بعدَ المَوت. الفَوضَويّةُ الحَقيقيّةُ في الواقِع، هي قِمَّةُ الشُّعورِ بالمُواطنَة. غيرَ أنَّ النَّملَ يَعيشُ على هذا النَّحوِ مُنذُ آلافِ السِّنين.

صَدَرت بِضْعَةُ تَصْفيراتٍ وبِضْعَةُ تَصفِيقاتٍ، انقَسمَ الجُمْهُور. وراحَ المُحلَّفونَ يُدوّنُونَ مُلاحظَاتٍ.

وقَفَ المُحامِي العَام، مُلوّحاً بحَركةٍ دَائريّة مِن كُمّيهِ السَّودَاوين.

- فِعليّاً، طَريقَةُ تَفكيرِكُم بمُجْملِها تُختَصرُ في إعْلَاءِ مُجتَمعِ النَّملِ مثلاً يُحتذَى. أليسَ الأمرُ كذلِك؟

- ينبَغي أخذُ الجيّدِ مِنهُ وتَركُ السّيِّئ. يستَطِيعُ بالفِعل، في بعضِ الجَوانِبِ، مدّ يدَ العَونِ إلى مُجتَمعِنا البشَريّ الذي جرّبَ كلَّ شيء، وباتَ يدُورُ في حلَقةٍ فارِغَة. فلَمَ لا نُجرّب ونرَى ما تكونُ النّتيجَة. وإنْ لَم يُجدِ نَفْعاً، نُجرّبُ أساليبَ تَنظِيمٍ أخرَى. قدْ تُرشِدُنا الدَّلافين ربّما، أو القُرودُ أو طيُورُ الزّرزُور إلى أسْلوبِ مَعيشةٍ أفضَل ضِمنَ الجَماعةِ.

مَرحَى، كانَ مارسيل فوجيرار حاضِراً. للمرّةِ الأولَى يَحضُرُ الحَدَث. تَساءَلَت إذا ما كانَ غيَّرَ رَأيهُ بخصُوصِ شِعارِه: «لا نتكلَّمُ جيّداً إلّا عمّا لا نَعرفُه».

- عِلماً أنَّ الجَميعَ مُجبَرٌ على العَملِ داخِلَ قريةِ نَملٍ، فكيفَ توفّقينَ بينَ ذلكَ وعقلكِ... التحرُّري؟ سألَ الرَّئيسُ.

- خطَأٌ إضَافيّ. لا يوجَد سِوى 50% من النّمالِ يَعملنَ بشكلٍ فِعلِي داخِلَ مدينة. 30% لديهنَّ نشَاطٌ غير مُنتِجٍ مِنْ قَبيلِ التَّنظِيفِ الذّاتي والمُناقَشَةِ وإلى ما هُنالِك. 20% يرتَاحُون. والرَّائِعُ أنّهُ بوجُودِ 50% مِنَ الكسُولينَ وغيابِ

لأيّةِ شُرطَة، أو حُكومَة، أو مُخطّطٍ خُماسِيّ لفترةٍ رئاسيّة، تَنجَحُ النّمالُ بأنْ يَكنّ فعّالَاتٍ أكثرَ مِنّا ومُتَوائِماتٍ مَع مدِينتِهنّ.

«النّمالُ جدِيرَاتٌ بالإعجَابِ ومُزعِجاتٌ لأنّهنَّ يُظهِرْنَ لنا بأنَّ المُجتَمعَ لا يَحتَاجُ إلى قيودٍ ليَعملَ جيّداً».

عبرَت الحَاضِرينَ همسَاتُ رِضَا.

ملَّسَ القاضِي لِحيتَهُ.

- ليستِ النّملَةُ حرّة. هي مُجبَرةٌ بيولوجيّاً أنْ تتَجاوبَ مع النّداءِ الشَّميّ.

- وحضْرَتكَ؟ بواسِطَةِ هاتِفكَ الجوّال؟ رؤسَاؤكَ يَصِلونَ إليكَ في أيّ وقتٍ ليُعطُوكَ أوامرَ. أنتَ مُجبرٌ على إطَاعتِها. فأينَ هوَ الفَرقُ؟

شَخصَ القاضِي ببصَرهِ إلى الأعلى.

- يكفِي مَدِيحاً للمُجتَمعِ الحشَري. سمِعَ المُحلَّفونَ ما يكفي ليكوّنوا رأياً حَولَ الموضُوعِ. يُمكنكِ العَودَةُ إلى الجُلُوسِ آنِسة. لننتَقلَ إلى المُتّهمِ التّالي.

تَهجّأ، وعيناهُ على بِطَاقةِ المُتّهم، مُشدِّداً على كلّ مقطَعٍ صَوتيّ:

- جِي... وونغ... شوا.

تقدّمَ الكوريُّ نَحوَ مِنصّةِ الشُّهُود.

- سيّد جي وونغ شوا، أنتَ مُتّهم بإنشَاءِ الشَّبكةِ المعلُوماتيّةِ التي نشَرت الأفكارَ الهدّامَةَ لثَورةِ النَّملِ المزعُومَةِ في بِقاعٍ مُختلِفة.

ارتَسَمتْ بَسْمة على وَجْهِ الكوريّ. أبدَتْ سيّداتٌ مِنْ هَيئةِ المُحَلَّفينَ اهتِماماً. كفّتِ المعلّمةُ التي في إجَازةٍ مرضِيّةٍ عنْ تَفقُّدِ أظَافِرها وكذلكَ مُفتّشَةُ المِترو عنْ نَقْرِ الطَّاولَة.

- تَستَحِقُّ الأفكارُ الجَديرةُ الانتِشارَ على أوْسَعِ نِطاقٍ مُمكِن، قالَ جي وونغ.

- ذلكَ كانَ بروباغندا «نَمليّة»؟ قالَ المُحامِي العَام.

- على أيّةِ حَال، أُعجِبَ الكثيرُ مِنَ المُتَّصِلين بفكرةِ اسْتِلهامِ فِكرٍ غير بَشريّ لإصْلَاحِ الفِكرِ البشَري.

نهَضَ المُحامِي العام مُحدِثاً تأثيراتٍ جدِيدَةٍ بكُمّيه.

- أسَمِعتُم جيّداً سيّدَاتي وسادَتي المُحلّفين. كانت نيّةُ المُتَّهم تَقويضُ الأسَاسِ الذي ينهَضُ عَلَيهِ مُجتَمعنا، وذلكَ، عبرَ فَرْضِ أفكارٍ مُضلِّلَة. فما هو المُجتَمعُ النَّمليّ غير مُجتَمعٍ طَبَقيّ؟ تُولَدُ النّمالُ فيهِ إمّا عامِلات، أو جُنديّات أو ذوي جنسٍ ولا يُمكِنُ بأَيّ حالٍ تَغييرُ المَصيرِ المُقدَّرِ لهنّ. ما مِنْ تَحرّكٍ اجتِماعِيّ، ما مِنْ تَرقيةٍ بحسَبِ الاسْتِحقاق، ما مِنْ شَيء. إنّهُ المُجتَمعُ الأكثر تَفاوتاً في العَالَم.

انفَرَجت أسَاريرُ وجْهِ الكوريّ واضِحَةً.

- حينَ تَخطُرُ فكرَةٌ لعامِلَةٍ، عِندَ النّمالِ، تتكلَّمُ عنها لكلّ مَنْ حَولها. يختَبرُها الآخرُونَ وإنْ رأَوهَا جيّدة يُنفّذونَها. أمّا عِندنا فإنْ لَمْ تَكن مُثقلاً بالشَّهادَاتِ، إنْ لَم تَصِل إلى عُمرٍ مُعيَّن، إنْ لَم تكنْ تنتَمي إلى فِئَةٍ اجتماعيّةٍ مرمُوقَة، فلنْ يَدعكَ أحَدٌ تُعبّرُ عنْ فِكرَتك.

لَم يكُنْ في نيّةِ الرّئيسِ تقدِيمُ مِنبرٍ لأولئكَ الصّبيَة المُتَمرّدين، ولا سيّما وهو يَرى المُحلَّفينَ كما جَميعُ مَنْ في قاعَةِ المَحكَمةِ يتابِعُونَ بانتِباهٍ بالِغٍ الحُجَجَ التي يَسُوقها الشّاب.

- المتّهمُ التَّالِي، فرنسين تينه. ما الذي حَرَّضَكِ آنِسَة على دَعمِ **ثَورةِ النّمل** هذِه؟

جاهدَتِ الشابّة الشّقراءُ لإخفَاءِ خَجلِها. قاعةُ المَحكَمةِ أكثر رَهبةً من أيّةِ قاعةِ احتِفال. ألقَت نَظرةً نَحوَ جولي لتَسْتمدَّ مِنها الشَّجاعَة.

- كما أصْدِقائِي، سيّدي الرَّئيس...

- ارْفَعي صَوتكِ أكثر، ليَسْمَعكِ المُحلَّفون.

تَنحْنَحت فرنسين:

- كما أصْدِقائِي، سيّدي الرَّئيس، أعتَبرُ أنّنا بحاجَةٍ لنماذِجَ أخرَى عَنِ المُجتَمعاتِ لنوسّع مدَى مُخيّلتنا. النّملُ وسيلَةٌ رائِعة لفَهمِ عالَمنا. بمُراقَبتِهِ، نُراقبُ أنفُسَنا على نَحوٍ مُصغَّر. مُدنهُ تُشبِهُ مُدننا وطُرقُه مثلُ طُرقِنا. يُتيحُ لنا فُرصَةَ تَغييرِ وِجْهَةِ نَظَرنا. ولذلكَ فقط، أعجَبتني فِكرةُ **ثَورةِ النَّمل**.

استلَّ المُحامِي العَام مِنْ ملفّاتِهِ رُزَماً من أوراقٍ صَغيرَةٍ ولوّحَ بها بثقةٍ.

- قبلَ الاسْتِماعِ للمُتَّهمينَ، استَفسَرتُ منَ العُلَماءِ الحَقيقيّينَ، عُلمَاء الحشَراتِ المُختصّينَ بالنَّمل.

ومُتَّخِذاً هيئةَ العالِمِ اسْتَأنفَ:

- أؤكّدُ لكم، سيِّداتِي سادَتي المُحلَّفين، بأنَّ النّمالَ ليسَت تِلكَ البَهائِمَ اللّطِيفَةَ السَّخيَّةَ التي يتكلَّمُ عَنْها المُتَّهمُون. على العَكسِ تَماماً، تَعيشُ المُجتَمعاتُ النّمليّةُ في حَربٍ دَائِمة. مُنذُ مِئةِ مليونِ سنةٍ والنّمل يتزايدُ في أرجَاءِ العالَم كافّة. ولا نُجافِي الحَقيقَةَ إنْ قلنا إنّهُ تَسيَّدَ الكرةَ الأرضِيّةَ إذْ يَحتلُّ جَمِيعَ مناطِقِها البيئيّةِ تقريباً، لم يُفلِت مِنْ سيطَرتهِ سِوى الطَّوفِ الجَليديّ.

نَهضَت جولي عَنْ مِقعَد الدّفاع.

- إذنْ تَعتَرف، سيّدي المُحامِي العَام، أنَّ النّملَ في غِنَى عنْ طلَبِ أماكِنَ إضَافيّةٍ يسْتَولي عليها؟

- بالفِعل. وبالمناسبة، إنْ نَزلَ أَحَدٌ مِنْ سُكّانِ خارجِ الأرضِ إلى كوكبنا فجأةً، ففرصَةُ أنْ يُصادِفَ نَملَةَ أكبرُ مِنْ فُرصِ مُصادَفةِ بشريّ.

- ... فإذن سيُخاطِبُها بصِفَتها مُمثّلةً عن الشُّعُوبِ الأرضِيّة، أردَفَت جولي.

تردَّدَت ضَحِكاتٌ في القَاعَة.

رَئِيسُ المَحكَمةِ كانَ مُنزَعِجاً مِنَ الاتّجاهِ الذي تَنحُوهُ النّقاشَات. مُنذُ أوّلِ الجَلسَةِ مَا مِنْ مَوضُوعٍ سِوى النّملِ والمُجتَمعاتِ النَّمليّة. يُفضّلُ أنْ يعودَ الاسْتِجوابُ إلى الواقِعِ المَلمُوسِ الخاصّ بخَرابِ الثانويّةِ والشَّغَبِ ولا سيّما موتُ رِجالِ الشُّرطَة. غيرَ أنَّ المُحامِي العَام قَدْ دَخلَ في لُعبةِ أولئكَ الصّبْيَةِ ذَوي الأفكَارِ الغريبَةِ ويبدُو أنَّ هيئةَ المُحلَّفينَ أيضاً شَغُوفة بهذَا الحِوارِ الغَريب. عَلاوةً على ذَلك، يبدُو أنَّ زَميلَهُ في جهةِ الادِّعَاء تكلّفَ عناءَ جَمْعِ مَعلُوماتٍ منَ المُختصّين وفي نيّتِهِ عرضُ العِلْم الذي حصَّلَهُ مُؤخّراً.

- النِّمالُ تُحارِبنا في كلّ الأرجَاء، استأنَفَ المُحامِي العَام بحمَاسَةٍ. لديّ هنا وثائِقُ ورقيّة تُبرْهِنُ أنّنا نَشهَدُ حالياً تَجمُّعاً للمُدن النمليَّة. حَضْرةَ كاتِبِ

المَحكمةِ، وزّع النُّسَخ التي بحَوزتِكَ إلى أعضاءِ هيئَةِ المُحلَّفين والسيّدات والسَّادَة منَ الصَّحفيّين. ما زلنا نَجهلُ سَبَب هذِهِ الظَّاهِرة، ولكن من الواضِحِ أنَّ هذا التَّحالُفَ لن يُفضِي إلّا إلى زِيادَةِ سيطَرتِهنَّ. المدَائنُ النمليَّةُ تتكاثَرُ في شتَّى الأصْقَاعِ مثلَ الفِطْر. تَدْخُلُ النمالُ إلى جَميعِ الأماكِن. يُفلِحْنَ في حَفرِ أعشَاشٍ داخِلَ الإسْمنت. ولا أيّ مِنْ مطَابِخنا في منأى عنهُنَّ.

طلَبتْ جولي أنْ تتكلّمَ:

– الموجُودُ في مَطَابِخنا قادِمٌ منَ الأرضِ، والأرضُ لم تُوضّح قطّ لمنْ مِنْ أبنَائِها تُخصِّصُ ثرواتها. وليسَ هناكَ مُبرّرٌ لتمنَحها للبشر بدلَ النّمال.

– بلغنا في أوجِ الهذيان، صرَخَ المُحامِي العَام. تَودُّ الآنِسَة بانسون الآن أنْ تُدخِلَ قانونَ حقّ التملّكِ للحيَواناتِ... بما أنَّ المُغَالاةَ بلَغَت بكم هذا الحدّ... فلِماذا ليسَ للنبَاتَاتِ أيضاً أو المَعادِن، على أيّة حال، المُدنُ النمليّةُ تَجتَاحُ كلَّ شَيء! قالَ ليكسَبَ الوقت.

أجابَت جولي علَى الفَور:

– مُدنُهنَّ جدِيرةٌ بالإعجَابِ. فرغمَ عدَمِ وجُودِ قانُونٍ للمرُورِ هناك، ما مِنْ ازْدِحَام. لمّا تَرى نَملةٌ أخريَاتٍ مُقبلاتٍ تَتكيّفُ لتتجنّبَ العَرقَلَة، وإنْ لم تَستَطِع تَحفِرُ ممرّاً جدِيداً. ليسَ هناكَ إحسَاسٌ بفُقدَانِ الأمانِ فالتّكافُلُ تامّ. ليسَ هناكَ ضَواحٍ مَحرُومَة إذْ ما مِنْ مَحرُومِين. ما مِنْ أَحدٍ يمتَلِكُ شيئاً أو في عوَزٍ لشيء. ليسَ هناكَ تلوُّث لأنَّ ثُلثَ النَّشاطِ يتَمثّلُ في التّنظِيفِ وإعادَةِ التّأهيل. لا يوجد كثافة سكّانيّة فالمِلكةُ تكيّفُ كميّةَ بيضِها ونَوعيّته وفْقاً لاحتِياجِ المدِينَة.

صرَخَ المُحامِي العام مُتَحدّياً لَها:

– ليسَ للحشَراتِ «فَضْل» بشَيءٍ! اكتُبْ حضْرَةَ كاتِبِ المَحكَمة.

– إذا أُجيزُ لنَفسِي القَول، سَيكتبُ كاتِبُ المَحكمَةِ بفضْلِ الحشَراتِ فهيَ مَنْ اختَرَع الورَق. وإنْ أردتَ بوسْعي أنْ أفسّر. حدَثَ ذلكَ في الصِّينِ في القَرنِ الأوّل، حينَ لاحَظَ أحَدُ خِصْيانِ القَصْرِ، يُدعى تشوون، بأنَّ الزّنابيرَ تأخُذُ قِطَعاً صَغيرةً منَ الخشَبِ تَمضَغها وتمرّغها باللُّعَاب. فأتَتْ فِكرةُ مُحاكاتِها.

لم يكن الرّئيسُ راغِباً في الاستِمرارِ على هذَا النَّحو.

- أُذكِّرُ بأنَّ نِمالَكم قتلَت ثلاثةَ شُرطيّين.

- هنَّ لم يقتلْنَهم، أؤكّدُ لكَ ذلكَ، سيّدي الرّئيس. أنا حضَرتُ المشْهَدَ بكامِلِهِ على شَاشاتِ المُراقبةِ في الهرَم. قضَى رِجالُ الشُّرطةِ نَحْبهم مِنَ الخَوفِ إذْ رأوا أنْفُسَهم مَغمُورينَ بطَوفٍ يَعجُّ بالحشَرات. مُخيّلَتهم مَنْ قتَلَتهُم.

- ألا ترينَ أنَّ ثمّةَ وَحشِيّةً في غَمرِ أشْخَاصٍ بالنَّملِ؟

- الوَحشِيّةُ خاصّةٌ بشَريّة. الإنسَانُ هو الحَيوانُ الوحِيدُ الذي يُعذّبُ دونَ سَبَب، يُعذّبُ ليَتَمتّع برُؤيَةِ الآخرِ يَتعذَّب ليسَ إلّا.

وافَقَ المُحلَّفون. هُم أيضاً كانوا يشعُرُونَ على نَحوٍ مُبهَم بأنَّ النِّمالَ لا يقتُلْنَ بدافِعِ المُتعةِ وإنّما بدَافِعِ الضَّرورَة. تبَادلوا النَّظرات إلّا أنّهم امتَنَعوا عنْ إظهَارِ مشَاعِرهم. كانَ الرَّئيسُ قدْ حذَّرَهم بِشدّةٍ حَولَ ذلِك. لا ينبَغِي أبداً إظْهَارُ أيّ شيءٍ ينمُّ عَنْ مشَاعِرهم، لا كلِمة زائِدَة، ولا إظْهارُ مُوافقَةٍ أو حالةٍ مِزاجيّة، وإلّا يُمكِنُ أنْ تُلغَى المُحاكَمة. لذا كانَ المُحلَّفونَ شَدِيدي الحِرصِ على عدَمِ إظهار التأثّر.

أيقَظَ الرّئيسُ بكوعِهِ مُستَشارَيه اللّذَين كادا يَغفوان وتكلَّمَ معَهما للَحظَة. نادَى المُفوَّضُ مكسيميليان لينار إلى مِنصَّةِ الشُّهُود.

- مفوّض، أنتَ كُنتَ على رأسِ قوّاتِ النّظَامِ أثناءَ الهجُومِ على ثانويّةِ فونتينبلو وأثناء الهُجُومِ على الهَرَم.

- أجَل، سيّدي الرَّئيس.

- كنتَ حاضِراً أثناءَ موت الشُّرطيّينَ الثّلاثة. هل بوسْعِكَ أنْ توضِّحَ لنا ظُروفَ مَوتِهم؟

- غُمِرَ رِجَالي بفيضِ نِمالٍ عُدوانيّة. هنَّ مَنْ قتَلنهم بالفعلِ. آسَفُ حقّاً ألّا يكونَ جَميعُ المُتَّهمينَ في قفَصِ الاتّهام.

- لا بدَّ أنّكَ تقصِدُ نرسيس آريبو، إلّا أنَّ الصَّبيَّ المِسْكِينَ ما زالَ في المُستَشفَى.

اكتَست سحْنَةُ المُفوَّضِ هيئَة غريبَة.

– لا، أقصِدُ المُجرِمينَ الحَقيقيّين، المُحرّضينَ الحَقيقيّينَ لهذِهِ الثَّورةِ المَزعُومة. أقصِد... النّمال.

سرَت أحادِيثٌ جانبيّةٌ في قاعَةِ المَحكمَة. قطَّبَ الرَّئيسُ حاجِبيهِ ثمَّ استَخدَم المِطرَقةَ العَاجيّة ليُخيّم الصَّمتُ مِنْ جدِيد.

– وضّح فِكرتكَ أيّها المُفوَّض.

– بعدَ تَسليمِ قَاطِني الهَرَم أنفسَهم، مَلأنا أكياساً بأكمَلِها مِنَ النّمالِ الحاضِرةِ في مواقِعِ الجَرائِم. هنَّ اللّواتي قتلْنَ الشُّرطيّين. ومِنَ الطَّبيعِيّ أنْ يَمثلوا، هنَّ أيضاً، أمامَ هذهِ المحكمةِ لينلْنَ جزاءهنَّ.

في تلكَ اللّحظةِ، راحَ المُستَشارانِ يتَهامَسانِ فيما بينَهما، بادِياً عليهما تَبنّي رأيينِ مُختَلفينِ حَولَ عَوائِقَ مُتعلّقةٍ بإجراءَاتٍ قضَائيّةٍ وفِقهيّة. مالَ القاضِي إلى الأمامِ وقالَ بصَوتٍ خَافِتٍ:

– ما زلتُم تقبِضُونَ على تِلكَ النّمالِ؟

– بالطَّبعِ، سيّدي الرَّئيس.

– هل يُطبَّقُ القَانُونُ الفرنسِيُّ على الحيَواناتِ؟ سألَت جولي.

واجَهَها المُفوّض مُذرّاً حُجَّتها.

– يوجَدُ سَوابق شَديدةُ الوضُوحِ عَنْ مُحاكَماتٍ لحيَوانات. وقَدْ أحضَرتُ بالمُناسَبةِ محاضِرَ الجلسَاتِ فيما لَو انتَابَ المَحكمَة شُكوكٌ بخصُوصِ هذا الشَّأن.

وضَعَ مِلفاً ثَقيلاً على طَاولَةِ الرّئيسِ. نظرَ القُضَاةُ إلى الرُّزمةِ السَّميكةِ أمامَهم، استَغرقَ تشَاورهم زمناً طَويلاً. وفي النّهايةِ تردَّدت مِطْرقَةُ الرَّئيس.

– تَعليقُ الجلسَةِ. طلَبُ المُفوّضِ لينار مَقبُول. ستُسْتأنفُ الجلسَةُ غداً بحضُورِ النّمال.

217. موسوعة

مُحاكمَةُ الحيَوانات: مُنذ القديم اعتُبِرَت الحيَواناتُ جدِيرةً بأنْ تُحاكمَ

مِن عدالَةِ البشَر. في أوائِلِ القرنِ العاشِر، في فرنسا، جرَى تَعذِيبُ الحَميرِ والخُيول والخنَازير وشَنْقِها وإبْعَادها استناداً إلى ذرَائِع مُختلِفة. في سنَةِ 1120، طَردَ أسْقُف لاون والكاهِنُ العام لفالانس الأسَاريعَ وفِئرانَ الحقلِ جزاءً لها عمّا سبّبتهُ مِنْ أضْرارٍ في الحُقُول. يَضمُّ أرشِيفُ المَحكمةِ في سافيني مَحْضَرَ مُحاكمةِ أنثَى خنزير جُرّمت بتُهمةِ قتلِ طِفْلٍ عمْرُهُ خمسُ سنَواتٍ. فقَدْ عُثرَ على الخنزيرَةِ في مكانِ الجَريمَةِ إلى جِوارِ ستّةٍ منْ صِغارِ الخنَازيرِ وخطُومهم لا تزال مُغطّاة بالدَّم. فهل كانُوا شُركاء في الجَريمَة؟ عُلّقت الخِنزيرَةُ من سَاقَيها الخلفيّتين في السَّاحةِ العامّةِ إلى أنْ فارقَتِ الحَياة. أما بالنّسبةِ لصِغارها، فقد وضِعُوا تحتَ الحِراسَةِ المُشدّدةِ عندَ فلّاح. وقد سُمِحَ لَهم، بما أنّهم لم يُظهِروا سُلوكاً عدوانيّاً، أنْ يكبَروا مِنْ أجلِ أنْ يُؤكلوا «جَرياً على العَادة» في مرحلَةِ البلُوغ.

شَهِدت سنَة 1474، في بال بسويسرا، مُحاكمةَ دجَاجَة اتُّهِمت بالسّحرِ لوضْعِها بيضَة بلا صَفار، وقد سُمحَ لها بمُحام والذي دافَعَ بدورِهِ عن الفِعلِ غير الإرادي، لكن دونَ جدوى، فحُكِمَ على الدّجاجةِ بالموتِ في المِحرقَة. ولم يُكتَشف حتّى سنة 1710 على يدِ أحدِ الباحثينَ أنَّ وضْعَ البيضِ بلا صَفارٍ ناجِمٌ عنْ مَرضٍ. ومع ذلك لم تَجرِ مُراجَعةُ المُحاكمَة.

في إيطاليا، سنَة 1519، رفَعَ فلّاح دعوى قضَائيّة ضِدَّ عِصَابةٍ منَ الخِلْدان المُخرّبة. استَطاعَ مُحامِيها، الذي يتّصِفُ ببَلاغةٍ خاصّة، أنْ يُظهرَ بأنَّ هذِهِ الخِلْدانُ صَغيرةٌ جدّاً، وبالتّالي فهي غيرُ مسؤولَة، فضلاً عن ذلك، هي مُفيدَة للفلّاحينَ لأنَّها تتغذَّى على الحشَراتِ التي تُدمِّرُ محاصِيلَهم. وبذلكَ خُفّفَ حُكمُ الإعدَامِ إلى النَّفي مدَى الحياةِ منْ حقلِ المُدَّعِي.

حُكِمَ على جيمس بوتر في إنجلترا، سنة 1662، المُتّهم بالمُمارسَةِ المُتكرّرةِ للّواطِ مَع حيَواناتِهِ الأليفَة بقطْعِ رأسِهِ، غير أنَّ قُضاتَه، الذينَ اعتَبروا ضَحاياهُ مُتواطِئينَ معهُ، ألحقوا العقوبة ذاتَها على بَقرةٍ وخِنزيرتينِ وعِجْلَتين وثَلاث نِعاجٍ.

أخيراً، حُكِمَ سنَة 1924، في ولاية بنسلفانيا، على ذكرِ كلبٍ مِن فصيلةِ لابرادور يُدعَى (بيب) بالسَّجنِ مدَى الحيَاةِ لقتلِهِ هرَّ الحاكِمِ. أُودِعَ السّجنَ

تحتَ رَقمٍ مُعيّن، وقد بقي فيهِ إلى أنْ وافتهُ المنيّةُ جرّاءَ الشَّيخُوخَة، بعدَ سِتّ سنَوات.

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

218. دَرْسٌ في الدّيالكتِيك

الجَلسَةُ الثّانية. وضَعَ الشُّرطيّونَ حَوضَاً حافِلاً بنَحوِ مِئةِ نَملَة أمامَ المُتَّهمينَ، مُنذُ هذهِ اللَّحظَةِ، أصْبَحنَ شَريكاتٍ لهم بالتُّهَمِ المنسُوبةِ إليهم.
أتَى المُحلَّفونَ، واحِداً تِلوَ الآخر، لمُعاينَةِ الحَوضِ المُضِيء بكشّافات. زمّوا أنوفَهُم أمامَ رائِحةِ التفَّاحِ المُتحلّلِ المُنبعثَةِ مِنهُ، ظانّينَ أنّها الرّائِحةُ الطَّبيعيّةُ للنَمل.
- بوسْعي التّأكيدُ لأعضَاءِ المَحكَمةِ بأنَّ جَميعَ هذِهِ النّمال قد شَاركت في الهُجُومِ على رِجالي، أكّد المُفوّضُ مكسيميليان لينار، مُغتبطاً بقُبولِ طلَبِه.
وقفَت جولي التي بدَأت تؤدّي دَورَها كمُحاميةٍ بيُسْرٍ أكبَر وتتدخَّلُ كلّما قدَّرتْ أنَّ الوَضْعَ يقتَضِي ذَلك.
- هذِهِ النّمالُ ينقُصُها الهَواء. الأبْخِرةُ على الزُّجاجِ تُشِيرُ إلى أنّهنَّ يختَنقْنَ. إنْ كُنتُم لا تُريدُونَ لهنَّ أنْ يَمتْنَ قبلَ نِهايةِ النّقاشات، يَجِبُ زيادَةُ ثُقوبِ الغِطَاءِ البلاسْتِيكيّ.
- ولكن يُمكِنُ أنْ يَهربنَ! صرَخَ مكسِيميليان الذي، علَى ما يبدو، عانَى كثيراً في المُحافَظَةِ على المُتّهماتِ مَسجُوناتٍ وإحضَارهنّ إلى هذا المكان.
- واجِبُ المَحكمَةِ الحِرصُ على صِحَّةِ كلّ مَنْ يَمْثُل أمامَها، وهذا ينطَبِقُ على هذِهِ النّمال أيضاً، أعلنَ القاضِي بوقَار.
كلَّفَ أحدَ الحُجّاب بخرْقِ ثقوبٍ إضَافيّةٍ. أخذَ الحاجِبُ إبرةً وملقَطاً وقدّاحَة لثقبِ البليكسي كلاَس. سخَّنَ الإبرةَ حتّى احْمرّت ثمَّ غرزَها بالبلاسْتيكِ ناشِراً رائِحةَ حَرْقٍ.
استأنَفت جولي كلامَها.
- يُظنُّ أنَّ النّمالَ لا يتألّمنَ لأنّهنَّ لا يَصْرُخن حينَ يَشْعُرنَ بالألم. ولكنَّ

هذا غيرُ صَحِيح. لديهنَّ مِثلنا، نِظامٌ عصَبيّ، وبالتّالي يتألّمنَ. وهذِهِ عاهَة إضَافيّة لتَعصُّبنا العِرقِي. تعوّدْنا ألّا نشعُرَ بالرأفة إلّا نحوَ مَنْ يَصرُخُونَ حين يتوجَّعُون. وتُفلِتُ الأسْمَاكُ والحشَراتُ مِنْ شَفقَتنا وجَميعُ اللّافقاريّات التي تفتَقِرُ لاتّصَالٍ شَفَهيّ.

فهِمَ المُحامِي العَام كيفَ نَجحت جولي بإثارَةِ حمَاسَةِ الحُشُودِ. طلَاقتُها واندِفاعُها كانا مُقنِعَين. لكنّهُ رجَا المُحلّفينَ ألّا يَأخُذوا على مَحمَلِ الجدّ كلِماتِها التي لا تَعدو أنْ تكونَ بروباغندا لخدمَةِ ثورَتِها المزعُومَة، **ثَورةِ النَّمْل**.

سَرَى بعضُ التذمُّرِ فأمرَ الرَّئيسُ بالسُّكوتِ ليُعطِي الكلَامَ مُجدّداً للشَاهِد مكسيميليان لينار. غير أنَّ جولي لَم تُنهِ مُداخلَتها بَعد. فأكّدَت أنَّ بوسْعِ النَّملِ التكلُّمَ جيّداً والدّفاعَ عَنْ نفسِهِ وليسَ منَ الطّبيعيّ أنْ نفرِضَ عليهِ هذه المُحاكمَة دونَ أنْ نُعطِيهِ فُرصَة التكلّمِ ليُجيبَ بنَفْسِهِ عَن الاتّهاماتِ المُوجّهةِ ضِدَّه.

قهقَهَ المُحامِي العَام، وطلَبَ القاضِي تَفسِيراً.

عِندَئذ، باحَت جولي بِسرّ آلَةِ «حجر رَشيد» وأوضَحَت طَريقةَ استِخدَامِها. أكَّدَ المُفوَّضُ أنَّهُ صادرَ في الهرَمِ أجهزَةً مُطَابِقة لِمَا تَصِفهُ الفتاة. أمرَ الرّئيسُ بإحضَارِها. عُلِّقتِ الجلسَةُ ثانيَةً ريثما يَضعُ آرتور في قاعةِ المحكَمةِ، وسطَ فلاشاتِ المُراسِلينَ الصَّحفيّين المُصوّرين، جميعَ أدواتِ حواسِيبِهِ، الأنابيب وقَوارير خُلاصَاتِ الرّوائِح العِطْريّة، إضَافةً إلى الكروماتوجرافيا ومِطيافِ الكُتلَة.

ساعَدَت جولي آرتور بضَبطِ المُعايراتِ الأخيرَة. بعدَ المَهارةِ التي اكتَسَبتْها في الثّانويّة، أصبحَت مُعاونةً رائِعةً على تَشغيلِ «حجَر رشيد».

باتَتِ الآلةُ جاهزَة أخيراً. جمِيعُ أعضَاءِ المَحكمَة والمُحلّفين والصَّحفيّينَ وحتّى الشرطيّينَ مُثارينَ بالفُضُولِ لمَعرفةِ إنْ كانت كومَةُ الخُردَةِ تلك تَعمل وإنْ كانُوا حقّاً سيَشْهدُونَ حِواراً بينَ البشَرِ والنّمْل.

أمرَ الرَّئيسُ بالشُّروعِ بجلسَةِ استِماعٍ أولَى. طلَبَ آرتور بخَفْضِ الإضَاءَةِ في قاعَةِ المَحكمَةِ وأضَاءَ آلته، النَّجمَةُ الجَدِيدَةُ لهذِه المُحاكمَةِ ذات المُستجدّاتِ المُفاجِئَة.

أخذ أحدُ الحُجّاب نَملَة لا على التَّعيين مِنْ داخِلِ الحَوضِ ووضَعَها آرتور داخِل أنبُوبٍ ثمّ أدْخلَ المِسْبار بهوائيّيه. أدارَ أيضاً بِضْعَ أقراصٍ وأشَارَ بأنَّ كلَّ شَيءٍ أصبَحَ جاهِزاً.

على الفَورِ، تردَّدَ صَوتٌ اصْطِناعيّ مُطَقْطِق في مُكبّرِ الصَّوت. النَّملَةُ مَنْ يتكلّم.

النَّجدَة!!!!!

أَجْرَى آرتور بِضْعَ مُعايَرات.

النّجدَة! أخرجوني مِنْ هنا! إنّي أختَنق! كانت تُكرِّر النَّملَة.

وضَعْت جولي فُتاتَةَ خُبزٍ إلى جِوارها فسارَعَت النَّملَةُ لقَضْمِها بشرَاهةٍ كبيرةٍ تُوازِي ذُعْرها. أرسَلَ آرتور يَسأَلها إنْ كانَت مُستَعدَّةً للإجَابةِ عَنْ أسئِلَة.

ما الذي يَحدُث؟ سألَت النَّملَةُ عبرَ الآلة.

- تَجرِي مُحاكَمتُكِ، فسّرَ آرتور.

ما هي المُحاكَمة؟

- إنّها العدَالة.

ما هي العدَالة؟

- إنّها تقدِيرُ إنْ كنّا على حَقّ أمْ على باطِل.

ما هو الحقّ-أم-باطِل؟

- الحقُّ حينَ نتصرَّفُ جيّداً، الباطِلُ هو العَكْس.

ما هو التصرُّفُ-جيّداً؟

تنهّدَ آرتور. سبَقَ لَهُ - في الهرم - أنْ وجَدَ مشقّةً كبيرةً في التّحاوِرِ مَع النِّمالِ دُونَ التّذكيرِ المُستَمرّ بتَعريفِ الكلِمات.

- المُشكِلَة، قالَت جولي، بما أنَّ ليسَ للنِمالِ حِسّ أخلاقيّ، فهنَّ يَجْهلنَ ما هو الخَيرُ أو الشَّر أو حتّى فِكرةُ العدَالَة. ومن دونِ حِسٍّ أخلاقيّ لا يُمكنُ تَحمِيلَهنَّ مَسؤوليّةَ تَصرُّفاتهنَّ. وبالتّالي ينبَغي إطْلَاقهنَّ في الطّبيعَة.

تبادَلَ القاضِي ومُستَشَاريهِ الهَمْسَ. بدا واضِحاً بأنَّ المَسؤوليّةَ الحيَوانيّة

كانَت في صُلْبِ الحِوارِ الدّائِرِ بينَهم. لديهم مَيلٌ للتَخلُّصِ مِنْ هذِهِ المَخلُوقاتِ بإرسْالِها إلى الغابةِ ولكن، مِنْ ناحِيةٍ أخرَى، لم تَكنْ حيَاتهم تَحفلُ بالكثيرِ مِنَ التَّسالِي وأيضاً مِنَ النّادِرِ أنْ يأتِي الصَّحفيُّونَ على ذِكْرِ الجلَسَاتِ وأبطَالِ المُحاكَمَات التي تَجرِي في مَحكمَةِ فونتينبلو. فَضْلاً عنْ أنّها المرّةُ الوحيدَةُ التي سيَردُ اسْمُهم في الصَّحافَةِ...

نَهضَ المُحامِي العَام:

– ليسَ كلّ الحيَوانَاتِ مُجرَّدةٌ مِنَ الأخلَاقِ كما تَزعُمين، أعلَنَ، نَعلَمُ أنَّ عِندَ الأسُودِ مثلاً مَحظُور: الامتِناعُ عَنْ أكلِ لَحمِ القُرُود. الأسَدُ الذي يأكلُ لَحمَ قِردٍ يُنبذُ منَ القطِيع، كيفَ يُمكنُ تَفسِيرُ هذا السُّلوكِ بغيرِ وجُودِ «مبدَأ أخلَاقيّ لدَى الأسُود»؟

تذكّرَ مكسيميليان بأنّهُ رأى في حَوضِهِ أمّهات أسْماكِ الجيبسي تلدُ صِغَاراً ثمّ تُلاحِقها مُباشرةً لتفترَسها. تذكّرَ أيضاً أنّهُ رأى جِراءً تُحاولُ مُجامَعة أمّها. أكلُ اللُّحُومِ البشَريّة، سِفاحَ القُربى، قتلُ الأبناء... «للمرّةِ الأولَى جولي مُحقّة والمُحامِي العَام مُخطِئ»، قالَ في سِرّهِ. «ما مِنْ أخلَاقٍ لدَى الحيَوانَات. هي ليسَت أخلَاقيّة وليسَت عدِيمةُ الأخْلَاق، هي خارج نِطَاقِ الأخلَاق. تقترفُ أشياءَ سَيئةً دونَ أنْ تُدرِكَ ذلك. وهذا بحدّ ذاتِهِ سَببٌ للتخلّصِ مِنها».

عادَت آلةُ «حجَر رشِيد» تُطقطِق.

النّجدة!

اقتربَ المُحامِي العام مِنَ الأنبُوبَة. لا بدَّ أنَّ النَّملَة لاحظَت خيَالاً إذْ بثَّت مُباشَرة:

النجدة. أيّاً تكن، أخرجنا مِنْ هنا، المنطقةُ تَكتَظُّ بالأصَابع!

أخذَتِ القاعَةُ تَضْحَك.

راحَ مكسِيميليان يكظُمُ غيْظَهُ. بدَأ الأمرُ يتَحوَّلُ إلى سِيركٍ يُقدّمُ عَرضَه الأسْوَأ: مُروّضُ البَراغِيث. فبدَلَ تَسلِيطِ الضَّوءِ على مخَاطِرِ تَطبيقِ الأنظِمةِ الاجتِماعيّةِ النمليّةِ على المُجتَمعاتِ الإنسانيّة كنّا نَلعبُ مع آلةٍ تَجعَلُ النَّملَ يتكلَّم.

عادَت جولي للهُجُومِ ثانيةً، مُنتَهزةً المِزاجَ الجَيّد.

- حرّرُوهنَّ. يجِبُ تَحريرهنَّ أو قتلَهنَّ، ولكن لا يُمكِنُ تَركهنَّ يتألّمْنَ داخِلَ هذا الحَوضِ.

لا يُحبُّ الرَّئيسُ أنْ يأمرَهُ المُتَّهمونَ الماثِلونَ أمامَهُ بأيّ شيء، حتّى لو أنّهم يؤدّونَ دَورَ المُحامي، ولكنَّ المُحامِي العَام، رأى مِنْ جِهتِهِ بأنَّ الفُرصَةَ سانِحة ليقومَ بمُزايدَةٍ صَغيرة. فقدْ أغضَبهُ تَركُ مكسِيميليان لينار يتفوَّقُ عليهِ ويَسبِقهُ إلى اتّهامِ النَّمل.

- أولئك النَّملاتُ تابِعاتٌ ليسَ إلّا، صرخَ بجِوارِ «حجَر رشِيد». إنْ أرَدْنا أنْ نُعاقِبَ الجَانياتِ الحقيقيّاتِ ينبَغي ضَربُ الرّأسِ وإنزالُ عقُوبَةٍ على زعِيمَتهنَّ: الرَّقم 103، مَلِكتَهنَّ.

استغرَبَ جميعُ مَنْ في قفَصِ الاتّهامِ معرِفةَ المُحامِي العَام بوجُودِ الرّقَم 103 وبدَورِها في الدّفاعِ عن الهرَم.

أعلَنَ الرّئيسُ أنَّ الأمرَ إنْ كانَ منْ أجلِ التكلّم لسَاعَاتٍ دونَ فَهم شَيء، فلنَنْسَ هذا الاقتراحَ مُباشَرة.

- أظنُّ بأنَّ الملِكةَ 103 تُجيدُ جيّداً التكلُّمَ بلُغتِنا! قالَ المُحامِي العَام على نَحوٍ أخرَقٍ مُلوّحاً بمُجلّدٍ ضَخْم.

كانَ ذلكَ المُجلَّدُ الثاني مِنْ موسُوعةِ *العلم النسبيّ والمُطلق*.

- *الموسُوعة!* قالَ آرتور مُختنَقاً.

- بالطَّبع! سيّدي الرَّئيس، على الصَّفحاتِ الفارِغَةِ في نِهايةِ هذِهِ الموسُوعَة، ثمّةَ اليوميّات التي كانَ يُحرّرُها آرتور راميريز. عُثرَ عليها أثناء التَّفتيشِ الثّاني الذي طلَبَهُ القاضِي. يَروي فيها القِصّةَ الكامِلةَ لأصْحَابِ الهرَمِ ويُنبِئُنا بوجُودِ نملَةٍ بارِعةٍ على نَحوٍ خاصّ، الرّقَم 103، تألَفُ عالَمَنا وثقافَتنا. وبمقدُورِها أنْ تُحاوِرَ دونَ أنْ نَضطرَّ إلى تَكرارِ كلّ كلِمَة.

لبِثَ مكسِيميليان في رُكنِهِ ساخِطاً يتَطَايرُ الشَّررُ مِن وجْهِه، لقد وقَعَ تَحتَ يدِهِ كنُوز كثيرةٌ أثناء تفتيشه الأوّل إلى حدِّ أنّه أهملَ الكُتبَ في الأدْرَاج، بدَت له أنّها لا تضمّ سِوى حِسَاباتٍ رياضيّةٍ بسيطَةٍ أو مُعادَلاتٍ كيميائيّةٍ لتَصمِيم آلات. أغفلَ أحدَ المبادِئ الأساسيّة التي كانَ يُدرّسُها في مدْرسَةِ الشُّرطَة: أنْ يُراقِبَ المرءُ كلّ ما حولَهُ بالموضُوعيّةِ ذاتها.

أصْبَحَ المُحامِي العَام ذاك يعلَمُ عَن الأمرِ أكثرَ مِنه.

فتَحَ القاضِي الكتَابَ عِندَ صَفحَةٍ مَثنيّة زَاويتها وقرأ بصَوتٍ مُرتَفع:

- وصَلَت الرَّقم 103 اليومَ على رأسِ جَيشٍ جرّارٍ لإنقَاذِنا. لنَقلِ خِبْرتِها حولَ عالَمِ البَشَر، اكتَسَبت جِنْساً وأصبَحَت ملِكَة. تبدُو صِحّتَها جيّدة رَغمَ كلّ هذِهِ الأسْفَار وحافظَت على العلَامِة الصَّفراء على جَبينِها. تحدّثنا عبرَ آلةِ «حجَر رشِيد». حقّاً الرّقم 103 هي الأبرعُ بينَ النّمال. استَطَاعت إقنَاعَ مَلايينِ الحشَراتِ بأنْ تَتبَعها لتلتَقي بِنا.

سَرَتْ همسَاتٌ في قاعَةِ المَحكَمَة.

فركَ الرئيسُ يدَيه. بوجُودِ هذِهِ القِصَص عَن النّملِ المُتكلّم، أرادَ تأسِيسَ فِقهٍ قانُونيّ وحتّى أن يُدرَجَ اسْمُهُ في مناهِجِ كلّيةِ الحُقوقِ كأوّلِ منْ عقَدَ جلسَةَ مُحاكمَةٍ حدِيثةٍ تُشرِكُ فيها الحيَوانَات. بثقةٍ خطّطَ على ورقَة، وقرّرَ:

- أمرٌ بِجلْبِ تِلكَ...

- الرَّقم 103، لقّنهُ المُحامِي العَام.

- آه أجَل! أمرٌ بِجلْبِ الرَّقم 103، المَلِكةُ النَّملِيّة. أيّها الشُّرطَة، مِنْ فَضْلِكم تَكفّلوا بجعلِها تَمثُل أمامَ المَحكمَة.

- ولكن كيفَ تتوقَّعُ حضْرتكَ تَوقيفَها؟ سألَ المُستَشارُ الأوّل. نَملَة في غابة! كمن يبْحثُ عن إبرةٍ في كومَةِ قشّ.

نهَضَ مكسِيميليان.

- دَعونِي أتصرَّف. لديّ فِكرةٌ في هذا الخُصُوص.

تنهّدَ الرَّئيسُ:

- أخشَى مع ذلكَ أنْ يكونَ المُستَشَارُ مُحقّاً. إبرة في كومَةِ قَشّ...

- المَسْألةُ قضيّة أسلُوب، أوجزَ المُفوّض. أتُريدُ أنْ تَعرِفَ كيفَ نَجِدُ إبرةً في كومَةِ قَشّ؟ ببسَاطَة، تُحرَقُ الكومَة، ثمّ يُمرّرُ مِغناطِيسٌ فوقَ الرَّماد.

219. موسوعة

تلاعُب بالآخرين: تَجربَةُ البروفيسُور آش: جمَعَ البرُوفيسُور الأمريكي آش، سنَة 1961، سبْعَةَ أشخاصٍ في غُرفَة وأُشِيرَ لهم بأنَّهم سيَخضَعونَ لتَجرُبةٍ عن الإدرَاكِ الحسّي. في الحَقيقَةِ، الاختبارُ كانَ يَجري على واحدٍ فقط مِنْ أَصْلِ السَّبعةِ. أمّا السّتةُ الباقُون فَهُم مُعاونُونَ دُفِعَ لَهُم أَجْرٌ لتَضلِيلِ الشَّخْصِ الحقيقيّ المَعْنيّ بالتّجرُبَة.

رُسِمَ على الحَائِطِ خَطّ بطُولِ خمسَةٍ وعشرينَ سنتيمتراً وآخر بطُولِ ثلاثينَ سنتيمتراً. الخطّان مُتوازيان، وممّا لا شكَّ فيهِ أنَّ خطَّ الثّلاثين هوَ الأطوَل. سأَلَ البروفيسُور آش كلّ واحِدٍ بدورِهِ عن أيّ الخطّين هو الأطوَل، أتَت إجَابةُ المُعاونينَ السّتة ثابتة لا تتغيّر بأنَّه ذاكَ الخطّ الذي طوله 25 سنتيمتراً. وعندما سُئِل أخيراً الشّخصُ الحقيقيّ المَعْني بالتّجربة، في 60% من الحالات، أكد هو أيضاً بأنَّ خطّ الـ 25 سنتيمتراً هو الأطول.

كلّما كانَ المَعْني بالتَّجرُبةِ يَختَارُ خطَّ الـ 30 سنتيمتراً، يسخَرُ مِنهُ المُعاوِنُونَ الستّة، وتحتَ ضَغطٍ كهذا، انتَهى الأمرُ بـ 30% إلى الاقرارِ بأَنَّهم قدْ أَخْطَأوا.

كُرّرت التَّجربَةُ على نَحوِ مِئة طَالِبٍ وأستَاذٍ جامِعيّ (وبالتالي على جمهُورٍ ليسَ سَاذجاً)، وقَدْ تبَيّنَ أنَّ تِسعةً مِنْ كلّ عشرةِ أشخاصٍ اقتنَعوا في النّهايةِ بأنَّ الخَطَّ الذي طُولهُ 25 سنتِمتراً هو الأطوَلُ مِنْ خَطّ الـ 30 سنتِمتراً.

وإذا أعادَ عليهم البروفيسُور آش طَرحَ السُّؤالِ عدّةَ مرّاتٍ، دافَع الكثيرُونَ عنْ وِجْهةِ النّظرِ هذِهِ بحماسَة، مُستَغربينَ مِنْ إصْرارِه.

والأكثرُ إثارة للدَهشَةِ أنّهُ بعدَ أنْ أخْبروا بمغزَى الاختِبارِ والدَّورِ الذي لَعبهُ السّتة الآخرُون المُشارِكونَ، ظلَّ 10% متمسّكينَ برأيهم في أنَّ خطَّ الخمسَة وعشرينَ سنتيمتراً هو الأطوَل.

أمّا بالنّسبةِ لأولئكَ الذينَ اضْطَروا إلى الاعتِرافِ بخَطئِهم، فكانوا يُقدّمونَ شتّى أنواعِ الأعذار: مُشكلَةٌ في الرّؤيَة، أو زاويَةُ المُشاهدَةِ مُضلّلة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

220. عَنِيد

عادَ مكسيميليان إلى مَوقِعِ الهرَمِ المُغطَّى بالتُّراب، جَميعُ حواسّهِ مُتيقّظة. نَزَلَ الحَوضَ أسْفَلَ التلّ المُحَاطِ بأشواكِ العُليق وعثرَ على الأخدُودِ المُفْضِي إلى النّفَق. زَحَفَ مُثبّتاً مِصباحَ الجَيبِ بينَ أسنَانِهِ مِنْ أجلِ الوصُولِ إلى البابِ المَعدِنيّ.

ما زالَ القِفلُ الإلكترونيُّ على الصَّفيحَةِ المَعدنيّةِ ولُغزُهُ الخاصّ بالمُثلّثاتِ الثّمانيةِ وأعوادِ الثّقابِ الستّة؛ ما عادَ لذلكَ ضَرورةٌ فبعدَ اسْتِسلَامِ المُتمرّدين، فتحَ رِجَالُ المُفوّضِ البابَ بحرّاقِ اللِّحَام.

أثناءَ التَّفتيشِ الأوّلِ، صادرَ الشُّرطيّونَ جميعَ الآلَات. نقَلوا مُعدّاتٍ ثَقيلَةً، وبسَببِ الإرهَاقِ لم يَمضُوا في تَفتيشِهم أبعَد. التَّفتيشُ الثّاني الذي أمرَ بهِ قاضِي التَّحقيق سمَحَ للمُحامِي العام أنْ يَجني حصِيلَة أخرى، ولكنَّ مكسيميليان لاحظَ بأنَّ كثيراً مِنَ الأغراضِ ما زالت مُوزّعةً في الأماكِن.

لا بدَّ أنَّ الهرَمَ لم يُسلِم جميعَ أسْرَاره. إنْ لزمَ الأمر، سيَطلُبُ ثانيةً جرّافاتٍ وخُبرَاء مُتفجّرات وسيُحوّلُ المبنَى إلى نِثار. أضَاءَ بمصْباحِهِ المكانَ المَهجُور.

يَجِبُ النَّظَر، المُراقَبة، الإصْغَاء، الحَدْس، التَّفكير.

فجأةً، اجتذَبَ بَصرهُ – الحاسَّةُ المُفضّلة لديه – ... نَملَة. كانَت تَسيرُ في زَاويةِ الحَوضِ الذي استُخدِمَ للتحَادُثِ عبرَ آلَةِ «حجَر رشيد». ولَجت الحشرَةُ داخِلَ أنبوبٍ بلاستيكيّ شَفّافٍ مَغروزٍ في... الأرضيّة.

تَبعَها مكسيميليان بِحذَر. نزلَت النَّملَةُ دونَ أنْ تَعلَم بأنّها تَدلّ الذّئبَ على حَظيرَةِ الأغنَام. مُجرّد مُشكلَةِ قِصرِ نَظَر، لم يكن بوسْعِ النَّملةِ أنْ تُبصِرَ الكبيرَ اللّامُتناهي. لشدّةِ ما كانَ عدوّها قريباً مِنها، ولفرْطِ ضَخامتِه، لم تُدرك وجودَهُ على الإطْلَاق. علاوةً على ذلك، يَحدُّ الأنبُوبُ مِنْ التِقاطِ رَائِحةِ التّهدِيدِ الهائِلِ الإصْبَعيّ.

بواسِطَةِ سِكّينِ الجَيب، قطَعَ مكسيميليان الأنبوبَةَ سَويّة الأرضِ وقرّبَ عينَهُ ثمَّ أذنَهُ مِنْ طَرفِ الثُّقب. رأى أضْواءً بعيدَةً وسَمِع أصْواتاً. كيفَ النُّزولُ إلى الطّبَقةِ السُّفلَى هذِه؟ يلزَمُ ديناميتٌ لنَسفِ هذِه البِلاطَةِ السَّميكَة.

ذرَعَ الحُجرةَ مُتوتّراً. حَدْسُهُ يُنبئهُ بأنَّ الاكتِشافَ قَرِيب. ثمّةَ عُنصرٌ غيرُ مفهُومٍ لَه. ما دامَ هُنالكَ لُغزٌ فمعنَى ذَلك أنَّ ثمّةَ حلاًّ.

صَعدَ الطَّوابِق، تفحَّصَ جَميعَ الأغرَاض. دخَلَ قاعَةَ الاسْتِحمَام، أنعَشَ نفسَهُ بالبُرُودَة قليلاً. راقَبَ نفسَهُ في مِرآة. أخفَضَ بصَرَهُ ورأَى صَابُونةً مُثلّثة الشَّكل.

المِرآة...

يَجِبُ النَّظَر، المُراقَبة، الإصْغَاء، الحَدْس... التَّفكير.

إنْـ... عِ... كَاسْ[1].

وحدَهُ داخِلَ الهرَمِ المهجُور، انفَجرَ مكسِيميليان ضَاحِكاً.

الحَلُّ مُفرِطُ البدَاهةِ!

كيفَ نُشكّلُ ثَمانيَةَ مُثلّثاتٍ مُتسَاويةَ الأضْلَاعِ بستَّةِ أعوادِ ثِقابٍ لا غير؟ ببسَاطَةٍ بوضْعِ الهرَم، بالأحرَى رُباعِيّ الأسْطُحِ، على مِرآة. أخرجَ عُلبةَ أعوَاد ثِقابه، أنشأَ الشَّكلَ ووضَعَهُ على المِرآة.

بدا الهرَمُ المُنعكِس مُعيّناً بارِزاً.

تَذكّرَ مراحِلَ تَطوّر «فخّ للتفكير». كانَ اللُّغزُ الأوّل: «تَشكيلُ أربعَةِ مُثلّثاتٍ مع سِتّةِ أعواد ثِقاب»، وحَصلنَا بذلكَ على الهرَم. تلكَ كانت الخُطوةُ الأولَى، اكتِشَافُ التَّجسِيم.

اللُّغزُ الثّاني: «تَشكيلُ سِتّة مُثلّثاتٍ بواسِطَةِ سِتّةِ أعوادِ ثِقاب». دَمجُ المُكمّلَات، المُثلّث السُّفليّ والمثلّثُ العُلْوي. تلكَ كانَت الخُطوةُ الثّانية.

اللُّغزُ الثّالِث: «تَشكيلُ ثمانية مُثلّثاتٍ بستَّةِ أعوادِ ثِقاب». لا نَحتاجُ إلّا إلى إتْمَامِ المُثلّثِ السُّفلِي مع المُثلّثِ العُلْويّ ونُحققُ بذلكَ الخُطوَة الثّالِثة: وضْعُ هرَمٍ على مرآة، يؤدّي إلى هَرمين واحِدٌ مَقلُوب وآخر مُستَوٍ، يُشكّلان معاً ما يُشبهُ مُعيّناً بشكلٍ بَارِز.

ارْتِقاءُ المُثلّث... ارْتِقاءُ العِلْم. إذنْ هناكَ هرَم مَقلُوبٌ تحتَ الهرَمِ المُستَوي... والاثنانِ معاً يُشكّلانِ حجرَ نَرْد ضَخْم ذي سِتّة أوجُه.

1- يتلاعب الكاتب على المعنى المُزدوج لكلمة (Réfléchir) والتي تعني: فكّرَ وانعكَس.

بحَيويّة، نزَعَ جَميعَ بُسُطِ الموكيت وفي النّهايةِ عثرَ على بوّابةٍ أرضِيّةٍ مِنَ الفُولَاذ. مُزوَّدةٍ بقَبضَة، سحَبَها فظَهَر لهُ سُلّمٌ.

أطفَأ مِصْباحَهُ الذي ما عَادَ هناكَ حاجة إليه، فكلّ شيءٍ في الدّاخِلِ مُضاء.

221. موسوعة

مرحلَةُ المِرآة: في عُمْرِ الاثني عشَر شَهراً، يَمرُّ الطِّفلُ بطَورٍ غَريبٍ: مَرحلَةُ المِرآة.

قبلَ هذَا العُمْر، يعتَقدُ الصَّغيرُ بأنَّ أمَّهُ، ذاتَهُ، الثَّدْيَ، زُجاجَةَ الإرضَاع، الضَّوءَ، أبيه، يدَيْه، الكَونَ وألعابَهُ جَميعَها كُلٌّ واحِدٌ. وكُلُّ شيءٍ موجودٌ في دَاخِلِه. بالنّسبَةِ للطِفلِ لا فرقَ بينَ ما هو كبيرٌ وما هوَ صَغِير، ما هو قَبْل وما هُو بَعْد. كلُّ شَيءٍ في واحِدٍ وكلُّ شَيءٍ في دَاخِلِه.

ثمَّ تأتِي مَرحلَةُ المِرآة. يبدأُ الطّفلُ بعُمْرِ السَّنةِ الوقُوفَ وتكتَسِبُ يدَاهُ مَهاراتِ القُدْرةِ الحَركيّةِ، يتَمكّنُ مِنَ التَّغلّبِ على الاحتِياجَاتِ التي طَغَت عليهِ سَابِقاً. سَوفَ تُشيرُ لَهُ المِرآةُ في هذِهِ المرحلَةِ أنَّهُ مَوجُودٌ وأنَّ ثمّةَ بشَراً آخرينَ وعالَماً حولَهُ. عِندَئِذ، سَوفَ تُفضِي بِهِ المِرآةُ إمَّا إلى تنشِئَةٍ اجتِماعيّة أو إلى الانغِلَاق. يتَعرَّفُ الطِّفلُ على نَفْسِه، يُشكّلُ صُورَةً عَنها قَدْ تُعجِبهُ أو لا تُعجِبهُ، ويكونُ التّأثيرُ ظَاهِراً على الفَور. فإمّا أنّه يُداعِبُ نفسَهُ في المِرآة ويُقبّلها ويُقهقهُ بصَوتٍ عالٍ، أو يرسِلُ تكشِيراتٍ لنَفسِه.

عُمُوماً، يعرّفُ عَنْ نَفسِهِ بوصْفِه صُورَةً مِثاليّة. ولسَوفَ يَقعُ في حُبّ نَفسِه، سيَعشَقُها. شَغُوفاً بصُورَته، سيُلقِي بنَفْسِهِ في عالم الخَيالِ ويتَماهَى مع شَخصِيّةٍ بُطوليّة. بواسِطَةِ خَيالِهِ الذي طوَّرتْهُ المِرآة، سوف يَبدَأ تَحمُّل الحَياة - وهي مَصْدَرُ خيباتٍ لا ينْضُب - وحتّى تَقبّلَ ألّا يكونَ سيّدَ العالَم.

بشتّى الظُّرُوف، سيَمرُّ الطّفلُ بهذا الطَّورِ حتَّى وإنْ لم يكتَشِف المِرآة أو انْعكاسَهُ في المَاء، سيَجِدُ طَرِيقَةً في تَعريفِ نفسِه وعَزلِها عَن العالَم، وهو مُدرِك بأنَّ عليهِ الهَيمنةَ علَيْه.

القِطَطُ لا تَعرِفُ أبداً طَورَ المِرآة. عِندَما تَنظُرُ إلى نَفسِها في مرآةٍ فهي

تَسْعى إلى المُرورِ عَبْرها للقبضِ على القِطِّ الآخرِ القابعِ هناك، وهذا السُّلوكُ لا يتغيّر أبداً، ولا حتّى مع التقدّمِ في العُمْر.

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

222. حفلة مأسَاويّة في السِّردَاب

يا لَلمَشْهَد المُذْهِل!

للوهلَةِ الأولَى، دارَ في خلَدِ الشُّرطيِّ بأنّ هذا هو القِطَار الكهربَائِي، حُلُم طفُولَتهِ القَديمُ. كانَ يُشبِهُه: نَموذَجٌ عن مدينَةٍ مُصَغَّرة رائِعَة.

كانَ يقطُنُ آرتور وأصْحَابُ العشِّ في القِسمِ العُلويّ مِنَ الهرَم، أمّا قِسمهُ السُّفليّ فكانَ مدِينةً نَمليّة.

نِصْفٌ للبشَرِ الذينَ يَعيشُونَ مثلَ نِمال، ونِصْفٌ للنِمالِ اللواتي يَعشْنَ مِثلَ بشَرِ. ويتَواصَلُ الاثنانِ عبْرَ أنابيبَ-ممرّاتٍ وأسلَاكٍ كهربائيّةٍ تَحمِلُ رسائِلَهم.

انحنَى مكسيميليان على مدِينَةِ شَعبِ اللّيليبوت هذِه، مثلَ جُليفر. أجَالَ أصَابِعَهُ على شَوارِعَ عَريضَةٍ وأوقَفها في حدَائِق. لم يبدُ على النّمالِ القلَق إذْ كنَّ مُتعوّدَاتٍ على زيَاراتِ آرتور المُتكرّرةِ وأصْحَابِه.

يا لِتُحفَة العالَم غيرِ المُتَناهي الصّغر...! كانَ ثمّةَ شَوارِعُ مُضَاءةٌ بأعمِدَةِ الإنارَةِ وطُرقٌ ومنَازل، وهناكَ إلى اليسَارِ حُقُولٌ مِنْ أغصَانِ أشجَارِ الورْدِ ترعَى بها قِطعانٌ مِنَ الأرْقات، وإلى اليَمين، مِنطَقَةٌ صِناعيّة حيثُ تتَصَاعَدُ الأدْخِنةُ مِنْ مصَانِعها. كما ثمّةَ أمامَ الأبنِيةِ ذاتِ المَظْهَرِ الجَميل، في مركزِ المدِينَة، شَوارعُ للمُشاةِ تنتَظِرُ الزّبائِن.

تُعلِنُ لافِتةٌ عِندَ مَدْخلِ الشَّارِعِ الرَّئيسِيّ: «**ميرمَيْكوبوليس**»، مَدِينَةُ النَّمل.

كانت تَعبرُ نِمال في سيّاراتٍ على الطُرقِ العريضَةِ وفي الشَّوارِع. كانَ للسيَّاراتِ عِوضَاً عَن المِقْودِ دَفّةُ قِيادَة، أكثرُ مُلاءمةً للتَحرِيكِ بواسِطَةِ المَخالِب.

ضِمْنَ ورشَاتٍ، نِمالٌ يُشيّدنَ أبنيةً جدِيدَةً بواسِطَةِ جرّافاتٍ-صَغيرَةٍ بُخاريّة. اختارَتِ النّمال بشكلٍ حَدْسِي أسقفاً مُقبّبة.

كما أنَّ هُناكَ مِيترو هوائيّ ومَلاعِب. زَمَّ مكسِيميليان عينَيه. بدا لَهُ أنْ فريقَين نمليّين يُجريان ما يُشبِهُ مُباراةَ كرة قدَمٍ أمريكيّة، لكنّهُ لَم يَكنْ يرَى كُرة. الواقِع كانَ ذلكَ أقرَبَ إلى صِراعٍ جماعِيّ.

لا يُصَدِّقُ ما يَراه.

ميرمَيْكوبوليس.

هذا هو السِّرُّ المخفِيّ للهرَمِ الكبيرِ إذاً! بمُسَاعدَةِ آرتور وشُركائِه، عرَفَت النّمالُ في هذا المكانِ أكثرَ أشكالِ ارتِقاءِ الحضَاراتِ إبْهاراً. ببضْعةِ أسابيع عبَرْنَ منْ ما قبل التّاريخِ إلى الزَّمَنِ الحَدِيثِ.

وجدَ مكسيميليان عدَسَةَ مُكبّرٍ على الأرضِ فتلَقّفها للمُراقَبةِ بوضُوحٍ أكبَر. على إحدَى القنَواتِ الكبيرةِ كانت تُبحِرُ قَوارِبُ ذاتُ عجَلاتِ تَجدِيفٍ، شَبيهَةٌ بقوارِب الميسيسبي، تَطيرُ فوقَها مناطِيدُ مُكتظّةٌ بالنّمالِ.

مشهَدٌ ساحِرٌ ومُخيف.

الشُّرطيُّ كانَ مُتيقّناً بأنَّ الملِكَةَ 103 هناكَ، بينَ سُكّانِ هذا العُشّ النَّمليّ المُتحدِّرِ منَ الخَيالِ العِلميّ. كيفَ يُمكِنُ إيجَادُ ذاتِ الجِنسِ وإحضَارها إلى القَصْرِ العدليّ؟ الإبرَةُ وكومَةُ القَش. عُودُ الثِقابِ والمغنَاطِيس. ينبَغي اكتِشَافُ الأسْلُوب.

أخذَ مكسيميليان مِنْ جَيبِ سُترتِه مِلعقَةً صَغيرَة وقارورة.

لا يَحتَاجُ العُثورُ على نَملَةٍ مَلِكة أكثرَ مِنْ اتّباعِ مسَارِ الأفراخِ والوصُولِ إلى مَصدَرِها. لكن في هذا المَكانِ لم يَكن ثمّةَ أفراخ. ربّما الملِكةُ 103 عقِيمَة؟

عندَئِذ، تذكَّرَ بأنَّ المُحامِي العَام أعلَنَ بأنَّ ذاتَ الجِنسِ هذِهِ تَحمِلُ وَسْماً أصفَرَ على جَبينِها. حسَناً، ولكن يُمكِنُ لهذِهِ المنَازِلِ أنْ تُخفِي المِئاتِ مِنَ النّمالِ الموسُومَة بعلَاماتٍ صفَراءَ على الجَبين. يَجِبُ إذاً دفْعُهنَّ على الخُروجِ ليتَجمّعنَ في مكانٍ مفتُوحٍ حيثُ لا سَقفَ يَحجُبهنَّ.

صَعدَ مِنْ جدِيد، بَحثَ ووجدَ صَفِيحَةَ وقُود. ثمَّ نَشرَ هذا السُّمّ.

دائِماً، في حَالَةِ الهلَع، يَفضَحُ الناسُ أسرَارهم. يَعلَمُ مكسِيميليان بأنّهُ ما إنْ تَفوحَ رَوائِحُ سمّهِ الأسْوَد، حتّى تَهرَعَ النّمالُ مُسرِعاتٍ لإنقاذِ ملِكتِهنَّ. فمهما بلغَ الانْحرافُ بهذِهِ الحشَرات بِسَببِ اطّلاعِها على أسْرارِ البشرِ، لا بدّ أنْ تَحتَفِظَ في داخِلها على حَاجَتها لإنقاذِ المَلِكة.

سَكبَ النّفطَ مُبتدِئاً منَ الرُّكنِ الأيمَنِ الأكثر ارتِفاعاً. سالَ السَّائِلُ الأسْوَد اللّزِج ذو الرّائِحةِ النفّاذة ببطءٍ نازِلاً الشَّوارِعَ العريضَة، مُغرِقاً المنازِلَ، غامِراً الحدَائِقَ والمصَانِع. مَوجَةٌ عارِمةٌ سَوداءُ اجْتَاحَت المدِينَة.

أثيرَ الذّعرُ، وهرَعَت نِمالٌ من المَنازِلِ ليَركبْنَ سياراتهنَّ ويندَفِعنَ بالسّرعَةِ القُصوَى نَحوَ الطُّرقِ السَّريعَة. غيرَ أنّ اللّزوجَةَ طالَتِ الطرق السَّريعةَ أيضاً.

لم تكن القَناةُ في حالٍ أفضَل، مياهُها الصّافيةُ باتَتْ مُزيّتةً ودَاكِنة، وتمرّغت بِها عجَلاتُ القَوارِبِ البُخَاريّةِ أيضَاً.

بدَتِ النّمالُ مُنذهلاتٍ، فكيفَ للأصَابِع الذينَ قدّموا لهنَّ كلَّ عَونٍ مُمْكنٍ أنْ يَسْمَحوا الآن بكارِثَةٍ كهذِه. استَبدَّ بهنّ إحسَاسُ الترقّبِ مُتوقّعاتٍ تدخّلاً سَريعاً منَ السَّماءِ لإنقاذِهنَّ، إلّا أنَّ التدخُّلَ الوحِيدَ كانَ مِلعَقةٌ فولاذيّةٌ مُقاومِةٌ للصَدَأ تَحومُ باحِثةً فوقَ المَوجَةِ العارِمةِ السَّودَاء.

كانَ مكسِيميليان يُمشِّطُ الشّرايينَ الرَّئيسِيّة للمدِينة. ثمَّ لاحَظَ فجأةً حَركَةَ جمهرةٍ كبيرةٍ في مُحيطِ أكبرِ المَباني.

قرّبَ المُفوّضُ عدَستهُ المُكبّرة. كانَ على يَقينٍ بأنَّ الملِكةَ ستَظهرُ الآن. وبالفعل، ظَهرَت نِمالٌ فجأةً حامِلاتٍ نَملَةً مِنهُنَّ فوقَ القوائِمِ موسُومةً بالأصْفرِ على جَبينِها.

الملِكةُ 103. أخيراً ألقَى الشُّرطيُّ القبضَ علَيها!

غاصَ بمِلعَقتِهِ، مُنتَهِزاً عُنصرَ المُفاجأةِ وعرَاقيلَ السَّيرِ، والتقَطَ الملِكَة. ألقَى بِها مباشرةً داخِلَ كيسٍ بلاستيكيّ وعقَدهُ.

ثمَّ أفرغَ مُحتوى صَفيحةِ الوقُودِ بالكَامِلِ على ميرمَيْكوبوليس. غمرَ السّائلُ المُميتُ المدِينَةَ بأكملِها.

عرَبات، رافِعَات، قِرْمِيد، مناطِيدُ هوائيّةٌ ساخِنَة، مراكِبُ بُخاريّة، سيّاراتٌ مُقادةٌ بدَفَّات، وشتّى أنواعِ الأغرَاضِ المُصنَّعةِ، طَفَت جَميعُها على وجه ميرمَيْكوبوليس القديمة. قبلَ أنْ تُفارِقَ نِمالُ المدينَةِ الحدِيثةِ الحَياةَ، جالَ في خاطِرهنَّ أنّهنَّ قد أخطأنَ إذْ اعتقدنَ أنّ تَحالُفاً بينَ الأصَابِعِ والنّمال مُمْكن.

223. موسوعة

1 + 1 = 3: 1 + 1 = 3 يُمكنُ لهذِهِ المُعادَلَةِ أنْ تكونَ شِعارَ فِرقتنا الطّوباويّة. وهيَ تَعنِي أنَّ اتّحادَ المَواهِب يفوقُ مُجرّدَ حاصِلِ جمْعِها.

ما يَعنِي أنَّ انْدِماجَ مَبدَأي الذّكر والأنثى، الكِبْر والصِّغَر، العُلوّ والانْخِفَاض، الثنائيّةُ التي تَحكُم الكَون تُولّد شَيئاً مُختَلفاً يتفوّقُ على حدَّي الثنائيّة.

1 + 1 = 3. كامِلُ مفهُومِ إيمانِنا بأطفالِنا بأنّهم لا بدَّ أفضَلُ مِنّا يُعبّر عنهُ في هذِه المُعادلَة. وهذا يتحدّرُ مِنَ الإيمَانِ بمُستَقبلِ الإنسانيّة. إنسَانُ الغَد سيكونُ أفضلَ مِنْ إنسَانِ اليَوم. أعتقد بذلك وهذا ما آملُه.

كما تُعبّرُ أيضاً 1 + 1 = 3 عَنْ كامِلِ المَفهُومِ الذي يُفضي بأنَّ الجَماعَةَ والتّلاحُم الاجتِماعِيَّ هما أفضَلُ السُبل لتَسامِي مقامِنا الحيَوانيّ.

بيدَ أنَّ 1 + 1 = 3 يُمكنُ أنْ يُزعِجَ الكثيرَ مِنَ النّاسِ الذين سيَقولُون إنَّ هذا المَبدَأ الفلْسَفيّ باطِلٌ لأنّهُ رياضيّاً خطأ. لذا سأضْطرُّ لأثبِتَ لكم أنّهُ صَحِيحٌ ريَاضِياً. فلنْ أعجزَ عن الإتيانِ بمُفارقة إضافيّة. مِنْ قَبرِي، سَأقوّضُ يقِينكم. سأثبِتُ لكم أنَّ ما تأخذُونَه بوصْفِهِ «الحقِيقة» هو ليسَ أكثر مِنْ حقِيقةٍ بينَ حقائِقَ شتّى. ولنبدأ إذاً.

لنأخُذ المُعادَلة:

$$(a+b) \times (a-b) = a^2-ab+ba-b^2.$$

في الحدّ الأيمن يُلغِي الـ (-ab) و(+ba) بعضَهما، فنَحصُل بالتَالي على:

$$(a+b) \times (a-b) = a^2-b^2.$$

لنُقسّم حدّي المُعادَلة على (a-b)، فيُصبِح لدينا بالتّالي:

$$\frac{(a+b)\times(a-b)}{a-b} = \frac{a^2-b^2}{a-b}$$

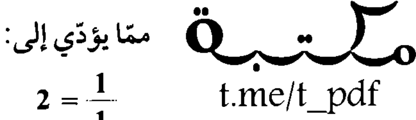
لنُبسّطَ الحدَّ الأيسَر:

$$a+b = \frac{a^2-b^2}{a-b}$$

ولنضَعِ الآنَ a = b = 1. فيُصْبِحُ لدينا إذاً:

$$1+1 = \frac{1-1}{1-1}$$

ممّا يؤدّي إلى:



$$2 = \frac{1}{1}$$

عِندَما يكونُ لدينَا الحَدُّ ذاتُه في الأعلَى والأسْفل يكونُ ناتِج القِسمةِ = 1 وبالتالي تُصبِحُ المُعادلَة:

2 = 1 وبإضافة 1 إلى كِلا الحدّين نَحصُل على:

3 = 2، وإذا استَبدَلتُ 2 بـ 1 + 1 أَحصُلُ على...

1 + 1 = 3

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

224. استراتيجيّة نَمليّة

ثلاثُ دقّاتٍ صَدَرت عن المِطْرقةِ العَاجيّة. لأوّلِ مرّةٍ في التّاريخ البشريّ ستَشهَدُ ملِكةٌ نَمليّةٌ في قَضيّة.

وكي لا يفوّتَ الحاضِرونَ أيّ تفصِيل، ستُصَوِّرُ كاميراتٌ ذاتُ عدسَاتٍ مُكبّرة المُتّهمةَ التي ستُبثُّ صُورَتُها مُباشرةً على الشّاشَةِ البيضَاء المُثبّتة فوقَ قفَصِ المتَّهمين.

- سُكُوت. لتُحضَرَ المُتَّهمَةَ إلى أمامِ آلةِ «حَجَر رشِيد».

بواسِطَةِ مِلْقطٍ نَتْفِ شَعرٍ مُغلّفٌ طَرفاهُ بالإسْفَنج، وضَعَ شُرطيٌّ النَّملةَ ذاتَ الوشْمِ الأصْفَرِ على جَبينِها داخِلَ الأنبُوبة التي ثُبِّتَ في أعلَاها القرنَانِ البلاسْتيكيّانِ المَوصُولانِ إلى «حجَر رشيد».

بدأ الاسْتِجواب.

- هل أنتِ حقّاً المَدْعُوّة الرّقم 103 ملِكةُ النمالِ الصَّهباوات؟

مالَت النّملةُ نَحوَ الهوائيّينِ المُسْتَقبِلين. بدَت بالفعلِ مُتآلِفة جيّداً مع هذِهِ الأدَاة. هزَّت قَرْنيها وبثَّت رِسالَةً حُلَّت رُمُوزها مُباشَرةً وتُرجِمَت مِنَ الصَّوتِ الاصْطِناعيّ للآلَة.

أنا لستُ ملِكَة، أنا أميرَة. الأميرَةُ 103.

تنَحْنحَ الرّئيسُ، مُنزَعِجاً مِنْ أنْ يَظهرَ مُخطِئاً. أمرَ كاتِب المحكمَةِ أنْ يُصَحِّحَ اسمَ المُتّهمة في مَحضَرِ الجلسَة. ومع ذلك مُتأثراً جدّاً، نمّقَ سؤالهُ باحتِرامٍ جمّ:

- هل تَقبلُ... سُموُّ الـ 103 الإجابَةَ عنْ أسئِلَتنا؟

جلَبةٌ وسُخريَات صَدَرت عَن قاعَةِ المَحكمَة. ولكن كيفَ يُمكِنُ مُخاطبَةُ أميرَة، وإنْ كانت نَملة، في ظلّ التقيّدِ بقواعِد اللّباقةِ الرَّسْميّة؟

- لماذا أمرْتِ فِرَقَكِ بأنْ يقتلوا ثلاثةَ شُرطيّين أثناءَ مُمارسةِ مَهمّتِهم؟ سألَ القاضِي على نَحوٍ مُباشَر.

تدخّلَ آرتور ناصِحاً باختِيارِ مُصطَلحاتٍ أبسَط، تكونُ مفهُومةً أكثر بالنّسبةِ لنَملةٍ ونَصَحَ الرّئيسَ بالتخلّي عنْ مُصطَلحاتِ العدَالةِ المُعتادَة.

- حسناً. لماذا، أنت، قتلتِ، سُموّكِ، رِجَالاً.

أعلَنَ آرتور بأنَّ هذه اللّغةَ التقريبيَّةَ الأوّليَّة لا تُناسِبُ النّمل. يُمكنُ المُحافظَةُ على البَساطَةِ دونَ التخلّي عن التّعبيرِ بِشكلٍ طبيعيّ.

القاضِي الذي لم يَعُد يعلَمُ كيفَ يتَصرَّف تأتأ:

- لماذا قَتلتِ بشَراً؟

بثّتِ النّملَة:

قبلَ أنْ نمضِي أبعدَ في هذا النقاش، ألاحِظُ أنَّ هناكَ كاميراتٍ تُصوّرني. أنتم، تَرونَني مُكَبّرَةً ولكنّني لا أراكم.

أوضَحَ آرتور بأنّ الرّقم 103 مُعتادَةٌ على اسْتِخدَامِ التّلفزيون في مُحادثَاتِها مع البشَر، ولضَمانِ الإنْصَاف وافقَ الرّئيسُ، بعدَ مُداولةٍ سرّيّة مع المُستَشارَين، على وضْعِ أحَدِ أجْهزَةِ الاسْتِقبال المُفرِطَةِ الصّغَر المُصادرةِ من داخِلِ الهرَمِ تَحتَ تَصرُّفِ المُتَّهمَة.

مالَت الأميرَةُ 103 إلى التلفزيُونِ الذي وضِعَ أمامَ أنبُوبتها. رأتْ وَجْهَ القاضِي الذي يُخاطِبها ولاحظَت بأنّه **إصْبَعٌ** مُسِنٌّ. سبَقَ أنْ لاحظَت بأنَّ **الأصَابع** ذوي الشَّعرِ الأبيضِ تَجاوزُوا ثَلاثة أربَاعِ حياتِهم في المُعظَم. عِندَ **الأصَابع**، في العموم، يكون الأشخَاصُ المُسنُّونَ عُرضَةً للإهْمَال. تَساءلَت إنْ كانَت مُضْطرّةً إلى تفسِيرِ شيءٍ لهذا **الإصْبَع** العَجوزِ المُتنكّر بلِباسٍ أسْودَ وأحمَر. ثمَّ لاحظَت بأنَّ لا أحدَ يُعارِضُ سُلطَةَ هذهِ الشّخصِيّة فقدَّمَت قرنَيها نَحوَ جِهازِ الاسْتِقبال الفيرومُوني.

رأيتُ مُحاكماتٍ في أفلَامٍ بالتلفزيُون. عادةً، يُلزَمُ الشّاهِدُ بالقسَم على الكتابِ المقدّسِ.

– أنتِ رأيتِ كثيراً منَ الأفلامِ التلفزيُونيّةِ الأمريكيّة، صَرخَ الرّئيسُ الذي كانَ مُعتَاداً على هذا النَّوعِ مِنَ الخطَأ عِندَ المُتَّهمين. ولكنْ هذا السَّبب كانَ يُغيظهُ دائِماً. هنا، لا نُقسِم بالكِتابِ المُقدَّس.

بصَبْرٍ، فسّرَ:

– في فرنسا، ثمّةَ فَصْلٌ بينَ الكنيسَةِ والدّولَةِ مُنذ أكثر مِنْ قَرْن. نُقسِمُ بالشّرفِ وليسَ على الكِتابِ المُقدّس، والذي ليسَ مقدَّساً للجَميع، في بلَدِنا.

فَهِمت الأميرَةُ 103 بأنَّ هنا أيضاً ثمّةَ ربُوبيّونَ وغير ربُوبيّين وعدَمُ اتّفاقٍ بينَهما. رَغمَ أنَّ فِكرةَ القسَمِ على الكِتابِ المُقدّسِ كانت تُغريها أكثر بكثيرٍ ولكن بما أنَّ العادَاتِ هكذا في فونتينبلو، سَوفَ تَخضَعُ لَها:

أقسِمُ على قَولِ الحَقيقَة، كلّ الحقيقَةِ ولا شَيء سِواها.

صُورَةُ النّملَةِ مُنتَصِبةً على أرجُلِها الأربعَةِ الخَلفيّة، وواضِعَةً رِجْلَها

الأماميّة على الجِدارِ الزّجَاجِي قربها، أعطَت انطباعاً قويّاً. أخذَت الفلاشَاتُ تُطَقطِق. بلا ريب، بإصْرارها على الإخلَاصِ للأعرَافِ الإصْبعيّةِ التي دَرَستْها لزمَنٍ طَويلٍ جدّاً، سجَّلتِ الرَّقم 103 نُقطَة. أليسَ هناكَ مَثَلٌ يقولُ: «عِندَ **الأصَابع**، تَصرَّف كما **الأصَابع**».

فرَّقَ الحجَّابُ المُصوّرينَ. باتَ الحاضِرُونَ جمِيعُهم في قاعَةِ المَحكمَةِ على يَقينٍ بأنّهم يَشْهدُونَ لَحظةً تاريخيّة.

شَعرَ الرَّئيسُ بأنَّه فقدَ زِمامَ السَّيطَرة، إلّا أنّهُ بذَلَ جهداً كبيراً في إخفَاء ذلك مُراعِياً ألّا يَحيدَ عن أسلُوبِهِ المُعتَاد في الاستِجواب.

– أكرّرُ سُؤالي. لماذا سُموّكِ أمرتِ فِرقكِ بقتلِ شُرطيّينَ بشَريّين؟

وضَعَت النّملَةُ قرنَيها الاستِشْعاريّينِ على المِسْبارينِ المُستَقبلَين. راحَ الحاسُوبُ يومِضُ ثمّ أرسَلَ التّرجمَةَ إلى مُكبّراتِ الصَّوت.

لم آمرْ بشَيءٍ أبداً. لا وجُودَ لفِكرةِ «أمر» عِندَ النّمال. كلّ واحدةٍ تتصرَّفُ بما يَحلُو لَها ساعَةَ تَشاء.

– ولكنَّ فِرقلِ هاجَمت بشَراً! لا تُنكري ذلك!

*أنا ليسَ لديّ فِرَقٌ. ولكن مِنَ القليلِ الذي رأيتُهُ هم **الأصَابع** مَنْ تواجَدوا وسَطَ حشْدِنا. وبمُجرّدِ سَيرهم فقط، قتَلوا ما يناهِزُ ثلاثة آلافٍ منّا. لشدّةِ ما تَنقصُكم الرَّأفَةُ نحونا، لا تنظُرونَ أبداً أينَ تَضعونَ أطرافكم.*

– ولكن لا عَملَ لَكم على هذا التلّ! صَرخَ المُحامِي العَام.

أرسَلَ الحاسُوبُ جُملتَه.

*الغابَةُ مُتاحَةٌ للجَميع، حسْبَ عِلمِي. كنتُ قادِمَةً في زيارةٍ إلى أصْدِقاءَ **أصَابعَ** كنتُ قَد بدأتُ أعقُدُ معَهم علَاقاتٍ دبلوماسيّة.*

– أصْدِقاء «**أصَابع**»! علَاقات «دبلوماسيّة». لكنَّ أولئكَ لا يُمثّلونَ أحداً أبداً. ليسَ لَديهم أيّةُ سُلطَة رسْميّة. ليسُوا سِوى مَجانينَ أغلَقوا على أنفُسِهم داخِلَ هرمٍ في الغابة! صَرخَ المُحامِي العَام.

فسَّرَت النَّملَةُ بصَبرٍ:

حاولنا، في السَّابق، إقامَةَ علَاقةٍ رَسميّةٍ مع حُكّامِ عالَمِكم الرَّسمّيين، ولكنّهم رَفضُوا التّحاورَ معنا.

تقدَّمَ المُحامِي العام مُهدّداً الحشَرةَ بالإصْبَع.

- مُنذُ قليلٍ طلَبتِ أنْ تُقسِمي على الكِتَابِ المُقدَّس. هل تَعلَمينَ على الأقلّ ماذا يَعنِي لنا الكِتَاب المُقدَّس؟

سرَتْ رعدةٌ بينَ سَائِرِ المَحجُوزينَ في قفَصِ الاتّهامِ. هل سيُفشِّلُ المُحامي العَام حَلِيفتَهم الضَّئيلَة؟

الكتَابِ المُقدَّس، هو *الوصَايَا العشر*، بثّتِ النَّملَةُ التي لم يَبرَح ذِهنها فيلم سيسيل بلونت ديميل مع شارلتون هستون، الذي أُعِيدَ بثّهُ مِراراً.

تنهّدَ آرتور ارتِيَاحاً. يُمكنُ حقّاً الاعتِمادُ على الرَّقم 103. تذكّر بأنَّ شارلتون هستون كان على الدَّوامِ المُمثّلَ المُفضَّلَ لدَى النّملَة دونَ أنْ يعلَمَ لماذا. لم تُشاهِد *الوصَايا العشر* فحسب وإنّما أيضاً بن هور، وشَمس خَضراء، وفيلمينِ آخرينِ أعطوها مادّةً دَسِمةً للتَفكير: حينَ *تَهدُرُ المارابونتا*، والذي فيهِ يَغزُو النَّملُ العالَم، ولا سيّما فيلمُ كوكبِ *القِردَة*، الذي يُظهِرُ أنَّ البشَرَ يُمكِنُ أنْ يُقهَرُوا وأنْ تتفوَّقَ عليهم حيَواناتٌ أخرَى مُشْعِرة.

كما الرَّئيس، بَذلَ المُحامِي العَام جهداً في إخفَاءِ دَهشَتِهِ واسْتأنفَ سَريعاً:

- اتَّفقنَا. إذنْ، أنتِ تَعلَمينَ أنَّ ثمّةَ بينَ الوصَايا العشْرِ وَصِيّةً تأمُرُ: «لا تَقتُل أبداً».

ابتَسَم آرتور في سِرّه. لَم يكنْ المُدّعِي العَام مُدْركاً للنِقاشِ الذي يَخُوضُ به.

ولكن أنتُم أنفُسكم جَعلتُم مِنْ جَريمةِ قَتلِ البقَرِ والدَّجاجِ صِناعةً حقِيقيّة. بصَرفِ النَّظرِ عنْ مُصارعةِ الثّيران التي تُحوّلونَ فيها مَوتَ ثَورٍ إلى اسْتِعرَاض.

غَضِبَ المُحامِي العَام:

- معنَى القَتلِ في الكتَابِ المُقدّس، لا يَعنِي «عدَم قتلِ الحَيَوانات»، وإنّما «عدَم قتلِ البشَر».

لم تَستَسلِم الأميرَةُ 103 للارتِباك:

لماذا تَكونُ حيَاةُ ***الأصَابِع*** *أثمنَ مِنْ حياةِ الدَّجاج أو الثّيرانِ أو النَّمل؟*

تنهَّدَ الرَّئيسُ. مهما حَاولنا في هذِهِ القضِيَّةِ، مُحالٌ التَّركيزُ على الوقَائِعِ فقط، في كلّ مرّةٍ نَعودُ وننجرُّ إلى الحِوارِ الفلسَفِي.

طفحَ كَيلُ المُحامِي العَام، أشَارَ إلى الشَّاشَةِ التي يَظهرُ فيها رَأسُ الرّقم 103، مُشْهِداً المُحلّفين.

- عينَانِ جاحِظَتان وفكّانِ سَودَاوَان وقرنَانِ استِشْعاريّان، يا لِقُبحِ النَّملَة! ... حتّى أفظَعُ وحُوشِ السّينَما الغَرائِبيّة أو سِينما الخيالِ العِلْميّ ليسَت بهذِهِ الشَّناعَة. ومَع ذلك تُريدُ هذِهِ الحيَواناتُ المنفِّرةُ والأبْشَعُ منّا بألفِ مرّةٍ أنْ تُعطِينَا دُرُوساً؟

لم يَتأخّر الجَوابُ.

وأنتَ، أوَ تَظنُّ نفسَكَ جَمِيلاً؟ بشُعيراتِكَ الكثيفَةِ على قِمّةِ جُمْجُمتك، أوْ بشْرَتك الشَّاحِبة أوْ بثُقبَي أنْفكَ وسَطَ وجْهِك.

انفجَرَ الحاضِرُونَ بالضَّحِك، وما أُطلِقَ عليها بشَرةٌ شاحِبة راحَت تَميلُ إلى القُرمزيّ.

- تَتَدبَّرُ أمرَها مِثلَ بطَلةٍ، همسَت زويه بأذْنِ دافيد.

- دائِماً أقول إنّ لا نَظيرَ للرقَم 103، همسَ آرتور مُتأثّراً ببرَاعةِ تلمِيذَتِه.

التقَطَ المُحامِي العَام أنفاسَهُ مُعاوِداً الهُجُوم، وقَدْ ازدادَ غَيظُهُ:

- ليسَ الجَمالُ فقَط، أعلَنَ في ميكروفُون «حجَر رشِيد»، هناكَ أيضاً الذَّكاء، الذَّكاء خاصِيّةُ الإنسَان. ولا أهميّةَ لحياةِ النّمالِ لأنهنَّ معدُوماتُ الذّكاء.

- يتمتّعنَ بذكاءٍ خاصٍّ بهنّ، ردّت جُولي بحيَويّةٍ وبالنَّبرةِ ذاتِها.

شَعرَ المُحامِي العَام بالغِبطَةِ، فقَد وقَعوا في الشَّرك.

- في هذِهِ الحَالَة، قدّمِي لي حُجَّةً على ذكاءِ النّمال!

أومَضَ حاسُوبُ «حجَر رشِيد»، إشارةً إلى أنّه يُترجِمُ جُمْلَةً للأميرَة 103. دوّتِ الجُمْلَة بِنَبرةٍ قويّةٍ وسَط قاعَةِ المَحكمَة.

قدّم لي أنتَ حُجّة على ذَكاءِ الإنسَان.

طَغَت الحمَاسَةُ على القاعَةِ. انقَسمَ الحاضِرُونَ، والكلُّ يُريدُ إبداءَ رأيِهِ. كما وجدَ المُحلّفونَ صُعوبةً في المُحافظَةِ على حيادِهم بينما مِطْرَقةُ الرّئيسِ العَاجيَّةُ لم تَكنْ تَكُفُّ عن الطّرْقِ.

– بما أنَّ الأمرَ على هذا النَّحو، وبما أنّه مِنَ المُحالِ مُتابَعةُ الجلسَةِ هذِهِ بهدُوء، تؤجَّلُ الجلسَة وتُستَأنَفُ المُرافَعاتُ غداً في العاشِرةِ صَباحاً.

عِندَ المسَاء، أشارَ المُعلّقونَ، في الرّاديو والتّلفزيُون، إلى تَفوّقِ الأميرة 103. ووفقاً لرأي المُختصّينَ، أظهرَت نَملَةٌ تَزِنُ 6.3 ميليغرام، خضَعَت إلى اسْتِجوابٍ قاسٍ، ذكاءً يفُوقُ ما لدى مُحامٍ عام ورئيسِ محكمَةٍ جِنائيّةٍ يزِنانِ معاً نَحوَ 160 كيلو.

عادَ الأملُ إلى أصْحابِ المُجلَّدِ الأوّل والمُجلّدِ الثّاني والثّالِث منَ *الموسُوعَة*. إنْ كانَ ثمّةَ عدالَةٌ حقّاً في هذَا العالَم، فلَم ينتَهِ شَيءٌ بَعد.

لشدَّةِ سُخْطِه سدَّدَ مكسِيميليان لَكمَةً قَويّةً إلى الجِدَار.

225. فيرومُون ذَاكِرة: مَنْطِق إصْبَعيّ

منطِق.

المنْطِق هو مفهُومٌ إصْبَعيّ مُبتكر للغَايَة.

الأحدَاث المَنْطقيّة هي أحدَاثٌ تتعاقَبُ مُتَسلسِلَةً بطَريقَةٍ مقبُولَةٍ بالنّسبَةِ لمُجتَمعِ ***الأصَابع****.*

مثلاً: من المَنطِقي، بالنّسبَةِ ***لإصْبَع****، أنْ يَموتَ في مدينَةٍ ملآنَة بالطّعامِ بعضُ مُواطِنيها بسبَبِ الجُوعِ دونَ أنْ يَمُدّ لهم أحَدٌ يدَ العَونِ.*

وعلى العَكسِ، منْ غَيرِ المَنْطقيّ رفْضُ إطْعامِ المريضِينَ بالتُّخمةِ.

مَنطِقيٌّ، عِندَ ***الأصَابع****، أنْ يُلقَى طَعَامٌ صَالِح للأكلِ في مِكباتِ النّفايات، حتّى قبلَ أنْ يفسدَ.*

وعلى العَكسِ، منْ غَيرِ المَنْطقيّ أنْ يوزَّعَ هذا الطَّعامُ مِنْ جدِيدٍ إلى مَنْ يَهمُّهم اسْتهلَاكه. وبالمُناسَبة، ليتأكّدَ ***الأصَابع*** *بأنَّ لا أحدَ سيمسُّ نفاياتهم يَحرِقونَها.*

226. الخَوفُ مِنَ الأعلَى

لمّا كانَ أعضاءُ المَحكمَةِ يُغادِرُونَ القاعَةَ أدركَ شُرطيٌّ أحدَ المُستَشارين وهو يَحمِلُ بينَ يَديهِ الأنبوبَةَ التي تقبَعُ الأميرَةُ 103 في دَاخِلها.

- وهذِهِ المُتَّهمَة، ماذا نَفعلُ بِها؟ لا أستَطيعُ إعادَتها إلى سلَّةِ الخَسّ في السّجنِ، مع البشَر.

شَخَصَ المُستَشارُ ببَصَرِهِ إلى الأعلَى.

- ضَعْها إذاً مع النّمالِ الأخرَيات، أجابَ بأوّلِ شيءٍ خَطَر إلى بالِه. على أيّةِ حالٍ يَسْهلُ التعرّفُ عليها مِنَ العلامةِ الصَّفراء فوق جبينها.

فتحَ الشّرطيُّ غِطَاء الحَوض، قلَبَ الأنبوبَةَ-السّجنَ وسقَطَت الرّقم 103 مِنَ السَّماءِ وسَطَ زَميلاتِ سِجْنِها.

سُرَّتِ النّمالُ السَّجيناتُ بعَودةِ بطَلَتِهنّ. سَارعْنَ للعقِهَا، وأجرينَ معاً تَطَاعُماتٍ ثمّ اجتَمعنَ للتَحاور.

كانَت الرّقَم 5 والرّقم 10 بينَ السَّجينَات. شَرَحتا لها بأنّهنَّ حينَ رأيْنَ أصَابعَ تضعهنَّ داخِلَ أكياسٍ، أسْرَعتا إلى الولُوجِ في داخِلها ظنّاً مِنهُما بأنَّ تلكَ دَعَواتٌ للمَجيءِ إلى عالَمِهم.

على أيّةِ حَال، هم عزَموا على قَتلِنا، مهمَا فَعلنَا، قالَت إحدَى الجُنديّاتِ التي قدْ فقَدَت رِجْلينِ خلفيَّتينِ حينَ حشرهم الشرطيّون داخل الأكياسِ الكبيرَةِ دونَ رِفق.

فليكن. على الأقَلّ، استَطَعنا لمرّة أنْ نُقدّم، ضِمنَ بُعْدِهم، حُجَجَنا في الدّفاعِ عَنْ طَريقَةِ حياتِنا، أعلنَت الأميرَةُ 103.

وثَبَتْ نَملةٌ صَغيرَة مِنْ إحدَى الزّوايا لتنضَمَّ إليها.

الأميرُ 24!

إذنْ، لأوّلِ مرّةٍ تاهَتِ النّملَةُ الطّائِشَةُ على الدَّوامِ في الاتّجاهِ الصَّحِيح. غافِلَةً عن الظّروفِ الصَّعبَةِ التي هيّأتْ لهذا اللّقاء، أخذَتِ الأميرةُ 103 تَشدُّ إليها الأميرَ 24.

آه ما أجمَلَ اللّقاءَ بعدَ فِراق! سبَق للرقَم 103 أنْ فَهِمت الفنَّ. الآن، بدأت تكتَشِفُ على نَحوٍ مُبهَمٍ ما هوَ الحُبّ.

الحُبّ، هو أنْ نفتَقِدَ أحداً نودّهُ، ومِنْ ثَمّ نَعودُ فنلقاهُ، فكّرَت بقرارَة نَفسِها.

التَصَقَ الأميرُ 24 بالأميرَةِ 103، راغِباً لو يُجري اتّصالاً مُطلَقاً معَها.

227. ذكاء.

ضَربَ الرَّئيسُ الطَّاولَةَ بمِطرْقتِه.

- نُطَالبُ بإثبَاتَاتٍ موضُوعيّةٍ عن ذكائِهنَّ.

- بوسْعهنَّ حلُّ جَميعِ مشَاكلهنّ، أجابَت جولي.

أنهَضَ المُحامِي العام كتِفيهِ:

- هنَّ لا يَعرِفنَ ولا حتّى نِصفَ تِقنيّاتِنا. يَجهلنَ كلَّ شيءٍ حتّى النّار.

أُنشِئَت مِنْ أجلِ هذِهِ الجلسَةِ مِنصّة صَغيرة مِن البليكسي كلَاس داخِل الحَوضِ مُباشرةً مع إضافَةِ التلفزيُون والقرنَين لها.

نهضَت الأميرَةُ 103 على أرْجُلها الأربَعةِ الخَلفيّةِ لتكونَ واضِحَةً أكثَر. بثّت جُملَةً طَويلَةً نَوعاً ما. والحاسُوبُ فكَّ رُمُوزَها.

اكتَشفَت النّمالُ النّارَ في الماضِي واستَخدَمْنَها للحَرب؛ إلّا أنّها في أحدِ الأيامِ أفلَتَت عَن سيطَرتِهنّ في حَريقٍ راحَ يَتضخَّمُ ويُدمّرُ كلّ شَيء، ومُنذُ ذلكَ الوقتِ قررتِ الحشَراتُ بميثاقٍ مُشترَكٍ ألّا تَلمِسَ النّارَ وتنبذَ كلّ من سَيستَعمِلُ هذا السِّلاحَ الفتّاك...

- آه، رأيتم! إنّهنَّ أغبَى مِنْ أنْ يُسيطرْنَ على النّار، قالَ المُحامِي العَام سَاخِراً، ولكن سُرعَانَ ما أخذَ مُكبّرُ الصَّوتِ يُطَقطِق، إشارةً إلى تتمّةِ الرّسَالَةِ السَّابِقَة.

... أثناءَ مَسِيري السّلميّ نَحو عالَمِكم، شَرحتُ لأخواتي، بأنَّ النّارَ حينَ تُستَعملُ على نَحوٍ جيّدٍ يُمكنِها أنْ تفتَحَ طَريقَ تقدُّمٍ تكنولوجيّ جدِيد.

- ذلكَ لا يُبرهِنُ أنّكنَّ أذكياء، وإنّما تُجِدْنَ مُحاكاةِ ذكائِنا فقط، إن سنَحَت لكنَّ الفُرصَة.

اشتَدّ حنَقُ النّملَةِ فجأةً، ولفرطِ غَيظِها، راحَ قرنَاها يرتَعِشانِ بعصَبيّةٍ ويَصفِقَانِ المِسْبرينِ البلاستِيكيّين. ثمّ صَاحَت فاقِدةً زِمامَ أعصَابِها:

ولكن ما الذي يُبرهِنُ، أنّكم أنتُم، الأصَابع، أذكيَاء؟!

تعالَى همْسٌ في القَاعَة وبِضْع ضَحِكاتٍ مكتُومَة. بدَتِ النّملَةُ الآن تُمطِرُهُم بوابلٍ مِنَ الفيرومُونَات.

بالنّسبةِ لَكم، وقَدْ فَهِمتُ ذلكَ جيّداً، المِعيَارُ الذي تتّخِذُونه لتَقريرِ ذكاءِ حيَوانٍ هو أنْ... يُشبِهكم!

لم يَعُد أحَدٌ يَنظُرُ إلى الحَوض. الأبصَارُ جَميعها شاخِصَة إلى الشّاشَةِ وقَدْ نَسِيَ المُصوّرُ بأنّها حيَوانٌ فراحَ يُصوّرها بوصْفِها شَخصاً، مُتخذاً لَقطَة إيطَاليّة، أي مُظهِراً الصَّدرَ والأكتَافَ والرّأس.

مع مُرورِ الوَقت، أصْبحَ يُمكنُ تمييزُ بعض العباراتِ عبرَ العدسَة- الكبيرة. خالِيةٌ بالطّبعِ مِنْ حرَكةِ الوجْهِ والعينَين، ولكنّ وفرةَ حركاتِ القُرونِ الاسْتِشعاريّة والذقنِ والفُكوكِ سمَحت للحَاضِرينَ تفسِيرها شيئاً فشيئاً.

يُشِيرُ القرنانِ المُنتَصِبان إلى الدَّهشَة، النّصْفُ مُنْثنيان إلى الرّغبةِ في الإقنَاع. القرنُ الأيمَنُ مُنْثنٍ إلى الأمام والأيسَرُ مُستَرسِلٌ إلى الخَلف: التّركيزُ على حُجَجِ الخَصْم. القرنَانِ مُسبلَان على الوَجنَتين: الخَيبَة. ومَضْغُ القرنَينِ بينَ الفكّين: الاسْتِرخَاء.

قَرنَا الرَّقم 103 إلى اللّحظَةِ نِصفُ مُنْثنيين.

بالنّسبَةِ لَنا، أنتُم الأغبيَاءُ ونَحنُ الأذكيَاء. يلزَمُ اللّجُوءُ إلى صِنْفٍ ثالِث، لا إصْبعيّ ولا نَمليّ، ليحسِمَ خِلافنا بموضُوعيَّة.

أدركَ الجَميعُ بأنَّ المَسألَةَ كانَت حاسِمة، حتّى المَحكمَة. إنْ كانَتِ النّمالُ ذكيّاتٍ، فهنَّ مسؤولاتٌ عَن أفعالِهنّ، وإنْ كنَّ خلَافَ ذلِك فهنَّ غير مَسْؤولَاتٍ مثلَ مَريضٍ عقليّ أو قاصِر.

- كيف يُمكِنُ البرهَنَةُ على ذَكاءِ النّملِ أو عدَمِه؟ تَساءَل الرَّئيسُ بصَوتٍ مُرتَفعٍ وهو يُملّسُ لِحيتَهُ.

وكيفَ يُمكِنُ البرهَنَةُ على ذَكاءِ الأصَابعِ أو عدَمِهِ؟ واصَلت النَّملَةُ دونَ أنْ تتَزعزَعَ ثِقتُها.

- ما يَهمّنا في هذا الصَّدَدِ هو تَحدِيدُ أيّ جِنْسٍ أكثر ذكاءً منَ الآخر، أجابَ أحدُ المُستَشارينَ.

المَحكمَةُ الجنائيّةُ أشبهُ بمَسْرَحٍ نَوعاً ما. مُنذُ الأزل، صُمّمَت العدَالَةُ على شَكلِ عرْضٍ، ولكن لم ينتَبِ القاضيَ قَطُّ إحسَاسٌ بهذِهِ القوّة أنّه مُخرِج.

عليهِ أنْ يُخضِعَ التدخّلاتِ إلى إيقَاعٍ حيويّ قبلَ أنْ يَملَّ الجُمهُور، وأنْ يوزّعَ أدوارَ الشّاهِدِينَ والمُتّهمِينَ والمُحلّفين بذكاء. إذا أفلَحَ في زِيادَةِ التّشويق حتّى صُدُورِ الحكمِ النّهائِي، وأنْ يَجتَذِبَ انتِباهَ قاعَةِ المَحكمَةِ والمُشاهِدينَ أمامَ التِلفزيُون الذينَ يتَابِعونَ مُجرَياتِ النّقاشَاتِ على شَاشتِهم الصَّغيرةِ كلَّ مسَاء، فسيُحرِزُ بذلِكَ أكبرَ نَجَاحٍ لَه.

أمْرٌ نادِر، رفَع أحَدُ المُحلّفينَ يدَه.

- إذا أجزتُ لنفسي... أنا هَاوٍ لألعَابِ التّفكير، قالَ سَاعِي البَريدِ المُتَقَاعِد. الشّطرَنج، الكلِماتُ المُتقاطِعَة، الألغَاز، ألعَابُ الكلِمات، البريدج، لُعبَة التيك تاك تو. يبدُو لي أنّ أفضَل طَريقَةٍ للحَسْم بينَ عقلين ومعرفة أيّ منهما أكثرُ بَراعَة، هو تَركهما يتَواجَهانِ في لُعبَة، بما يُشبِهُ «مُبارَزة» ذَكاء.

كلِمةُ «مُبارَزة» أسرَّتِ القاضِي.

تَذكّرَ أنّهُ تعلّمَ في دُروسِهِ القانُونيّةِ أنَّ في العصُورِ الوسطَى، كانت العدَالَةُ تتوقَّفُ على المُبارزة. كان يلبس المُتَقاضِيانِ درْعَيهما ويتَقاتَلانِ حتّى المَوت، تاركَينِ لعنايةِ الله أنْ تُقرّرَ مَنْ المُنتَصِر. كلُّ شَيءٍ كانَ أبْسَط، النّاجِي هوَ صَاحِبُ الحَقّ دَوماً، ولم يكن لدى القُضَاة خِشيَةٌ مِنَ الخطَأ أو تأنِيبِ الضَّمير.

ولكنْ في حالَتِنا هذِهِ لا نَستَطِيع، بالطّبع، أنْ نُنظّمَ مُبارَزةً بينَ قوّتينِ مُتَعادِلَتين، «إنْسَان-نَملَة»، إذْ تكفِي نَقرةُ إصْبَع ليقتُلَ إنسَانٌ حشَرَة.

صرّحَ القاضِي بهذَا التَّفصِيل. لكنَّ المُحلَّف لم يَستَسلِم.

- لَم يبقَ أمامنا إلّا ابتِكارُ اختِبارٍ مَوضُوعيّ تكونُ فيهِ فُرَصُ النّملَةِ بالنّجاحِ مُعادِلَةً لفُرصِ الإنسَان، أصَرَّ.

أثارَت الفِكرةُ الحضُورَ. سألَ القاضِي:

- وبأيّ نوع «مُبارَزَة» تُفكّر؟

228. موسوعة

***استراتيجية الحِصَان*: في عام 1904، أُخِذَ المُجتَمعُ العِلْميّ الدُّوليّ بحماسَةٍ شدِيدةٍ، إذْ أعتقدَ أنّهُ اكتشَفَ أخيراً «حيَواناً ذكيّاً بمِقدارِ ذكاءِ**

الإنسَان». الحيَوانُ المَعنيُّ حِصَانٌ في الثامِنةِ مِنْ عُمْره، تلقّى تَعلِيمهُ على يَدِ عالِمٍ نِمسَاويّ، يُدعَى البروفيسُور فون أوستين. الأمرُ الذي أثارَ دهشَةَ زوَّارِ هانس، الحِصَان، أنّهُ بدا لَهُم يَفهَمُ جيّداً الرياضِيّاتِ الحدِيثة. فقد أعطَى إجَاباتٍ دَقيقةٍ عن المُعادَلات التي عُرِضَت علَيه، كما كانَ بوسْعهِ تَحديدُ الوقتِ بدقّةٍ، والتّعرّفُ على صُورِ الأشخَاصِ الذين جرَى تقدِيمُهُم لهُ قبلَ بِضْعةِ أيّامٍ، وحَلّ مسَائِل منطِقيّة.

كانَ يُشيرُ هانس إلى الأغراضِ الموجُودَةِ بطرَفِ حافرهِ ويُبلّغُ الأرقامَ بالنّقرِ على الأرضِ، والحُرُوف بالضّربِ واحداً تِلوَ الآخرِ لتَشكيلِ الكلِمَات. ضَربَة واحِدَة لـ «a»، ضَربتَانِ لـ «b»، وثلاثُ ضَربَات لـ«c»، وهلُمَّ جرًّا.

أُخضِعَ هانس لجميعِ أنواعِ الاختِباراتِ وفي كلّ مرّةٍ كانَ يُثبِتُ مَواهِبهُ. عُلمَاءُ الحيَوان، البيولوجيّون، الفيزيائيّون، ومِنْ ثمَّ عُلماءُ النّفسِ والأطبَاءُ النّفسَانيّون أتَوا مِنْ أنحَاءِ العالَمِ المُختَلِفةِ لرؤيَةِ هانس. وصَلُوا مُشكّكينَ وغادَرُوا مُحبَطِين. لم يفهَمُوا أينَ يَكمُنُ التّلاعُبُ وكان ينتَهي بِهم الأمرُ إلى الاعتِرافِ بأنَّ هذا الحَيوان «ذكيّ» حقّاً.

في 12 أيلُول 1904، نشرَتْ مجمُوعَةٌ مِنْ ثلاثَةَ عشر خبيراً تقريراً يستبعِدُون فيهِ احتِمَال وجودِ أيّ خُدعةٍ. أثارَت هذِهِ القضيّة ضَجّةً كبيرةً في ذلكَ الحين وبدأَ العالَمُ العِلميّ يَعتادُ على فِكرةِ أنَّ الحِصانَ هذا ذَكيّ بمِقدارِ ذكاءِ الإنسَان.

اكتشَفَ أوسكار بفونغست، أحدُ مُساعِدي فون أوستن، اللّغز. لقد لاحَظَ بأنَّ هانس يُخطِئ في إجاباتِهِ كلّما كانَ حلّ المَسألةِ المُقدّمةِ لَهُ مجهولاً لدى الأشخَاصِ الحاضِرينَ. والشيء ذاتهُ، إنْ وضَعنا لَهُ غِمامَة تَمنَعهُ مِنْ رُؤيَةِ الحاضِرين، لا يَنجحُ أبداً ولا في أيّ اختِبار. إذن، التّفسِيرُ الوَحيدُ أنَّ هانس كانَ حيَواناً مُتنبّهاً للغَايةِ يلتَقِط، وهو يَضرُبُ الحَافِر، التغيّراتِ التي تَطرأ على مَظهَر وسُلوكِ البشَرِ مِنْ حولِه. وقَد كانَ يُحِسُّ بإثارتِهم عِندَما يقترِبُ مِنَ الحلّ الصَّحِيح.

الدّافِعُ وراءَ تَركيزهِ كانَ الأمَلَ في مُكافأةٍ غذائية.

عندما اكتُشِفت الخُدعَةُ، شعرَ المُجتَمعُ العلميّ بالإهانَةِ جرّاءَ السّهولةِ

التي خُدِع بها إلى حدٍّ جعلَهُ مُرتاباً أمامَ كلّ اختِبارٍ لهُ صِلَة بذكاءِ الحيَوان. في العدِيدِ مِنَ الجامِعاتِ لا تزال حالَةُ الحِصَانِ هانس تُوصَفُ بأنّها نَموذَج كاريكاتوريّ للخِدَاعِ العِلميّ. غيرَ أنَّ المِسْكين هانس حقيقةً لا يَستَحقُّ تِلكَ الدّرجَةَ مِنَ المَجْدِ ولا ذاكَ الدّرك مِنَ العَار. فبعدَ كلّ حِساب، عرف هذا الحِصَان فكّ رُمُوزِ السّلُوكِ البشَريّ إلى دَرجَةٍ أوهَمَ ولو مؤقّتاً بأنّهُ على رتبَةٍ واحدةٍ مع الإنسَان.

لكن ربّما يكون أَحَدُ الأسبَابِ الكامِنة وراءَ هذِهِ النّقمةِ الكبيرةِ على هانس أكثرُ عُمقاً.

ما يُكدّرُ الجِنْسَ البشَريّ هو أنْ يَجِدَ نفْسَهُ مكشُوفاً لحيَوان.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

229. مُقابلَة على الدَّرجَات

المُحلَّف المُختصُّ بألعَابِ التّفكيرِ قدَّمَ نفسَهُ مُتطوّعاً ليُصمّمَ الاختِبارَ الذي اعتَبرتهُ هيئَةُ المَحكمَةِ والدّفاعِ بعدَ التَّشاورِ مقبُولاً.

ثمّ لَزِمَ الأمرُ تَعيينَ مُمثّلٍ عن النّوعِ البشريّ وآخرَ عن النّوعِ النَّمليّ من أَجلِ المُسابقَة.

اقتَرحَ المُحامِي العام مكسِيميليان لينار، وفي المُقابِل اقترَحَت جولي الرَّقم 103، رفَضَ الرَّئيسُ الاثنينِ مُباشَرة. لينار، أستاذٌ في مدرسَةِ الشّرطَة وشرطيّ بارِعٌ مشهُور، وبَعيد عَن أنْ يكونَ مُمثّلاً لجنْسِه. والأمرُ ذاته ينطَبقُ على الرّقم 103 التي، بتأثيرِ جَميعِ الأفلَامِ التي شاهدَتها في التلفزيُونِ البشَريّ، لم يَعُد فيها شَيءٌ مِنَ النّملَةِ العاديّة.

اعتَبرَ القاضِي أنّهُ مِنَ الضَّروريّ للبطَلِ البشريّ والبَطَلةِ النّمليّةِ أنْ يكونَا مُختَارينِ مِن شَعبَيهِمَا بشكلٍ عشوائيّ. يُدرِكُ القاضِي أنّهُ يبتكرُ فِقْهاً جدِيداً بهذَا الخُصُوصِ وكان آخذاً دوره بجديّة مُفرطَة.

أُرسِلَ شُرطيٌّ ومُستَشَارٌ إلى الشَّارعِ بمهمَّةِ إحضَارِ أوّل عابرٍ بهيئَةٍ مُناسِبة.

أوقفا رجلاً «بشريّاً مُتوسّطاً» بعُمْرِ الأربَعين عَاماً، بُنيَّ الشَّعْر، ذا شَارِبٍ رَفيع، مُطلّق، ولهُ ولَدين. وشَرحا لَهُ المطلُوبَ مِنه.

ارتَعَبَ الرّجلُ مِنْ فِكرةِ أنْ يُصبحَ بَطَلَ الجِنسِ البشَريّ وخشِيَ أنْ يَغدُو سُخريّة. تسَاءَلَ الشُّرطيُّ إنْ لَم يكن علَيهِ استِخدَامُ القوّة لجعلِهِ يمثُلُ أمامَ المَحكمَة، لكن خطَرَت للمُستَشارِ فِكرةٌ جيّدة بأنْ يُعلِمَ رَجُلَ الاختِبارِ بأنّهُ سيَظهَرُ في المسَاءِ ذاته في التلفزيُون. برَغبَةِ أنْ يُبهِرَ جيرانهُ لم يتَردَّد وتَبِعَهما.

أمّا النّملَة التي أحضَرها الفَريقُ ذاتُهُ مِنْ حدِيقَةِ القَصْرِ العَدْليّ لَم يُطلَب مِنها رأيها. أخذَا أوّل واحِدَةٍ رأوها، حشَرةٌ بوزْنِ 3.2 ميلغرام، وطُولِ 1.8، لها فكّان صَغيرانِ وكيتِينٌ أسْود. تأكّدا بأنَّ جَميعَ أعضَائِها سَليمةٌ وحينَ وضَعاها على ورَقةٍ تَحرَّكَ قَرنَاها.

اتّخذَت مُعدّاتُ مِقياسِ الذّكاءِ الذي ابتَكرَهُ المُحلَّفُ مكانَها في قَاعَةِ المَحْكَمة. تتألّفُ مِنْ اثنتي عشرة قِطعَةً خَشبيّةً ينبَغي تَركيبُها ببعضِها لتُشكّلَ جِسْراً يَسْمَحُ بالوصُولِ إلى إجّاصَةٍ كهربائيّةٍ حمرَاءَ مُعلّقة فوقَها.

أوّلُ مَنْ سيَصِلُ إليها مِنَ المتَسابِقين ويلمِسُها سيُفعّلُ رنّةً كهربائيّةً ويكونُ هوَ الفائز.

رَغمَ أنَّ القِطَعَ جمِيعها مُتشَابهةٌ لدى الاثنَين إلّا أنَّ المِقيَاسَ مختلِفٌ، بالطَّبع، فبينَما تَعلُو السِّقالَةُ البشريّةُ ثلاثةَ أمتَارٍ بعدَ التّركيبِ، لا يتَجاوزُ ارتِفاعُ السِّقالَةِ النَّمليّةِ ثلاثَةَ سنتِمترَات.

ولتَحفيزِ اهتِمامِ النّملَةِ إلى عَملِها طَلَى المُحلَّفُ إجّاصَتها الحَمراء بالعَسَل. وُضِعَت الكامِيراتُ أمامَ كِلا المُشارِكينِ وأعطَى الرَّئيسُ شَارةَ البِدءِ.

الإنسَانُ مُتآلِفٌ مُنذُ نُعومَةِ أظَافِرهِ مع ألعَابِ التّركيبِ. بدأ مُباشَرة يُركّبُ قِطَعهُ بانتِظَام، مُرتَاحاً إلى سُهولَةِ الاختِبارِ المُقترَحِ علَيه.

راحَت النّملَةُ، من جهتها، تَدورُ مذعورة وقَدْ ألْفَتْ نفْسَها وسَطَ مكانٍ غَريب، عابِق بهذا القدْرِ مِنَ الرَّوائِح ومِنَ الضّوء، بعيدَةً عَن نُقاطِ العلّامِ المألُوفَة. وقفَت تَحتَ الإجّاصَة، شمَّت النّكهَةَ الحُلوةَ للعسَلِ فتغلّبتِ الإثارَةُ علَيها، وأخذَ قرنَاها الاستِشْعاريّانِ يَدورَانِ بلا توقّف. نَهضَت على الأرْجُلِ الأربَعةِ الخلفيّة مُحاوِلةً التِقاطَ الإجّاصَةِ لكنّها لَم تُفلِح.

دونَ اعْتِراضٍ، سَمحَ المُحامِي العَام للمُستَشارِ بأنْ يُقرّبَ القِطَع الخشَبيّةَ مِنَ الحشَرةِ ليُفهِمَها بطَريقةٍ أفضَل أنَّ عليها تَجمِيعها لترتَفِعَ إلى الإجَّاصَة. حدّقَتِ النّملَةُ في القِطَعِ الخَشبيّة، وأمَامَ الذّهُولِ العَام، هاجَمتها بالفكّينِ لتأكُلَها إذْ كانت مُتطبّعةً بقَدْرٍ مِنْ رائِحَةِ العَسَل.

كانَت النَّملَةُ تتَحرّك، تُعانِي، دونَ أن تَزيحَ مِنْ تَحتِ الإجَّاصَةِ الحَمراء ودونَ أن تُقدِمَ على تَصرُّفٍ يَسْمَحُ لها بالوصُولِ إليها.

وفيما أوشَكَ الإنسَانُ، مُشَجَّعاً مِنْ أبنَاءِ جِلدَتِه، على إنْهاءِ عملِهِ لم تَكن النّملَةُ قَدْ فعلَت شَيئاً سِوى إفسَادِ قِطَعها الخَشبيّةِ والعَودَةِ إلى تَحتِ الإجّاصَةِ مُحاولةً التِقاطَها وهي تنتَصِبُ على أرجُلِها الخلفيّةِ صَافِقةً الهواء بأرجلها الأماميّة، مُطَقطِقَةً بالفكّين، تَدُورُ في حلَقةٍ مُفرَغةٍ دونَ أنْ تنالَ شيئاً.

لم يَكن قَدْ تَبقّى أمامَ البشريّ سِوى أَربَع قِطَعٍ خشبيّةٍ ليَجمَعها لمّا أخْلَتِ النّملَةُ، فجأةً، مَوقِعها تحتَ الإجّاصةِ ورَحلَت يَملَأها الغضَب. ما مِنْ أحدٍ فكّرَ بوضْعِ سُورٍ لَها.

ظنَّ الحَاضِرونَ جَميعُهم بأنّها صَرفَتِ النّظَر عَن الأمرِ، ولمّا تهيّؤوا لتحيَّةِ خَصْمِها، عادَت وفي صُحبَتِها نَملَةَ أخرَى. أخبرَتها بشيءٍ عبرَ قرنَيها الاسْتِشعَاريّين فاتَّخذَتِ الأخرى وضْعيّةً مُحدّدةً لترفَعَها.

لاحظَ البَشريُّ ذلكَ بطَرَفِ عَينِهِ فزادَ مِنْ وتيرَةِ سُرعتِه. وكادَ أنْ يَصِلَ هدَفَه، بفَارِقِ ثانيةٍ تقريباً، لمّا جَرسُ النَّملِ تردّدَ أوّلاً.

ضجّتْ قاعَةُ المَحكمَة. إذْ اسْتَهجَنَ بعضٌ منهم، وبعضهم الآخرُ صَفّق.

اسْتلَمَ المُحامِي العَام الكلَام:

- رأيتُم جَمِيعكم: لقد احْتالَتِ النَّملَة. ساعدَتها شَريكةٌ لَها، هذا بُرهانٌ جيّدٌ على أنَّ الذَّكاءَ النمليَّ جمَاعيٌّ وليسَ فرديّاً. لا تَستَطيعُ نَملَةَ بمُفرَدِها فِعلَ شَيء.

- ليسَ صَحِيحاً، عارضَتهُ جولي. ببسَاطة، يُدرِكُ النّملُ أنَّ بوسْعِ اثنينِ حلُّ مُشكِلَةٍ بيُسْرٍ أكثر مِنْ واحِدٍ بمُفرَدِه. وهذا، بالمُناسَبةِ، شِعارُنا في ثَورةِ النّمل: 1 + 1= 3. جَمْعُ مَوهبتينِ يتَجاوزُ حَاصِلَ جمْعِهما.

قَهقَه المُحامِي العَام سَاخِراً.

- 1 + 1= 3 هذِهِ كِذبَة رياضِيّة، خطَأً يُنافِي الصَّواب، إهانَةٌ للمَنْطِق. إنْ كانَت ترَّهاتٌ كهذِهِ تُناسِبُ النَّمل، فهنيئاً لَه. أمّا نَحنُ، البشَر، فلا نثِقُ إلّا بالعِلمِ الصّرفِ وليسَ بالمُعادَلاتِ البَاطِنيَّة.

ضَربَ القاضِي بمِطرَقتِه.

- بالفِعلِ هذَا الاختِبارُ غير حاسِم. ينبَغي تَصوّرُ اختِبارٍ آخَر حيثُ فيه، هذِهِ المرّة، يكونُ إنسَانٌ بمُفردِهِ مُقابِلَ نملَةٍ مُفردَة. وسَتكونُ نَتيجَة هذا الاختِبارِ قاطِعةً مَهما كانَت.

طلَبَ القاضِي حضُورَ أخصَّائِي عِلم النفس المُنتَدَبِ مِنَ المَحْكمَةِ الجنائيّة وطلَبَ مِنهُ أنْ يُعِدَّ اختِباراً موضُوعيّاً لا يُمكنُ التّشكِيكُ بهِ.

ثمّ أجرَى مُقابلَةً حَصْريّة مع الصَّحفيّ النّجْمِ في القنَاةِ الوَطنيّةِ الأولَى.

- ما يَحدُثُ هنا شَديدُ الأهميّة. وأظنُّ بأنَّ على الباريسيّينَ القدُومَ بأعدَادٍ كبيرةٍ إلى فونتينبلو لحضُورِ الجلَسَاتِ ودَعمِ القَضيّةِ البشَريّة.

230. فيرومون حولَ عِلمِ الحيوان: رأي

سيّالة اللّعاب: الرقم 10.

رأي:

تَخِفُّ تَدريجيّاً قُدْرةُ الأصَابعِ على تَشكيلِ رأيٍ خاصّ.

فيما تُفكّرُ الحَيواناتُ جمِيعُها مِنْ نَفسِها وتَبني رأياً خاصّاً لنفسِها اعتِمَاداً على ما رأتهُ وما خَبِرته، يتبنّى الأصَابعُ جميعاً الرّأي ذاته، بمعنى آخر يَتبنّونَ الرّأيَ المُذاعَ مِنْ مُقدّمِ النَّشرَةِ الإخبَاريّةِ التّلفزيونيّةِ التي تُذاعُ في الثّامِنةِ ليلاً.

يُمكِنُ تَسمِيةُ ذلكَ «ذِهنَهم الجَماعيّ».

231. تُرى مِنْ بَعيد

استَغرَقَ الأخصّائيُّ النَّفسيُّ وقتاً طَويلاً في التّفكيرِ. استَشارَ زُملاءهُ ومَسؤولي زَوايَا الألعَابِ في المَجلّات ومُبتَكري الألعَابِ المُرخَّصَةِ في

المَحالِ التّجاريّة. كيفَ يُمكِنُ ابتِكارُ قاعدَةٍ للُعبَةٍ صَالِحةٍ للبشَرِ والنَّملِ في آنٍ مَعاً، يا للرِهان! ومن ثمّ، أيّةُ لُعبةٍ تَستَطيعُ أنْ تُبرهِنَ عن الذّكاءِ بلا لَبْس؟

ثَمّة لعبَةُ اللِّيغو، الشّطرَنج، الدَّاما، ولكن كيفَ يُمكِنُ شَرحُ قوانِينِها إلى نَملَة؟ هذِهِ الألعَابُ تَنتَمي إلى الثّقافَةِ البَشَريّة، مثلها مَثَلُ الماجونغ والبوكر ولُعبَةُ المُربّعات. بماذا يُمكنُ أنْ يلعَبَ النَّملُ يا تُرى؟

للوهلَةِ الأولَى، فكّرَ الأخصّائيُّ النَّفسِيُّ بلعبةِ مِيكادُو. لا بدَّ أنَّ النِّمالَ مُعتَادَة على نَسلِ العِيدَانِ التي يَحتَجْنَها مِنْ بينِ العِيدانِ التي لا نَفْعَ لَها. إلّا أنّهُ اضْطَرّ إلى صَرفِ النَّظَرِ عنْ هذِهِ الفِكرة، فلُعبَةُ مِيكادو اختِبارُ مهارَةٍ وليسَ اختِبارَ ذكَاء. هناكَ أيضَاً لُعبَةُ العَظَماتِ الصَّغيرَة، ولكن ليسَ للنِمالِ أيدٍ.

بماذا يَلعَبُ النَّملُ؟ بدَت فِكرةُ اللَّعِبِ للأخصّائيّ النَّفسيّ خاصَّةً بشَريّة. النِّمالُ لا يلعبْنَ. يكتَشِفنَ ميادِينَ، يتقاتلْنَ، يَحفظنَ البيوضَ والأطعِمَة. وكلُّ حركةٍ تَصدُر عنهنَّ مُحدَّدةُ النّفع.

استَنتَجَ الخَبيرُ مِنْ ذلكَ أنّهُ يلزَمُ العُثورُ على اخْتِبارٍ يتَطَابَقُ مَع وضْعٍ عمليّ، مألوفٍ للنِمالِ جمِيعاً. اسْتِكشَافُ دَربٍ مَجهُول، مثلاً.

بَعدَما قيَّمَ الفِكرةَ وازِناً بينَ حسَناتِها ومسَاوئها، اقترَحَ الأخصّائيُّ النّفسيُّ اختِباراً يَعتبِرهُ عالَميّاً: سِباقٌ داخِلَ متَاهَة. أيُّ كائنٍ مَسجُونٍ في مكانٍ لا يَعرِفهُ يبحَثُ عن وسيلةٍ للخُرُوجِ مِنه.

سيُوضَعُ الإنسَانُ داخِلَ متَاهةٍ بمقياسٍ بشَريّ، وكذلكَ النّملَةُ داخِلَ متَاهةٍ بِمقياسٍ نَمليّ. ستوضَعُ المتَاهتان في الاتّجاهِ ذاته تماماً، وستُخطّطانِ وفقاً للتّصْمِيمِ ذاتِه، ولكن بمِقياسَينِ مُختَلِفين. على هذا النّحوِ سيُواجِهُ المُتنافِسانِ الصُّعوباتِ ذاتِها ليَعثرا على المَخرَج.

استُبْدِلَ البَطلَان. وكما بالنّسبَةِ للاختِبارِ الأوّل، أحضَرَ الشُّرطيُّ والمُستَشَارُ طالِباً أشقرَ الشّعرِ مِنَ الشّارِع. ولتَمثِيلِ النَّملِ، أُخِذَت أوّلُ نَملَةٍ عابِرةٍ داخِلَ أصِيصٍ وردٍ يُزيّنُ نافِذةَ بوّابةِ القَصْرِ العدْلي.

للحصُولِ على مكانٍ كافٍ، وضِعَتِ المتَاهةُ البشَريّة، مع حَواجِزها المَعدنيّةِ المُغطّاةِ بالورَق، في سَاحةِ القَصْرِ العَدْلي.

ومِنْ أجلِ النَّملَة، شُيِّدَت متاهَةٌ مُماثِلَة تَماماً بجُدرَانٍ صَغيرةٍ منَ الورَقِ داخِلَ حَوضٍ كبيرٍ شفَّافٍ مُغلقٍ أمامَ أيّةِ نَملَةٍ خارجيّة.

ينبَغي على المُتَسَابِقينِ الاثنَينِ تَفعِيلُ جرسٍ كهربائيّ، عِندَ المَخرَج، عبرَ الضَّغطِ على إجَّاصَةٍ حمراءَ أيضاً موصُولَةَ إلى مِفتَاحِ الضَّاغِطَةِ الكهربائيّة.

سيَقومُ الحُجّابُ والمُسْتَشارون بدَورِ حُكّام الخطّ. أخذَ الرَّئيسُ المُؤقّتَ وأعطَى إشَارةَ البِدء. مضَى الإنسَانُ مُباشَرةً بينَ أسْيجَتِهِ الورقيّةِ وأفلَتَ شُرطيٌّ النّملَةَ داخِلَ الحَوْض.

انْطَلَقَ الإنسَانُ مُسْرِعاً. لَبثَتِ النّملَةُ ساكِنَةً دونَ حِراك.

في ميدَانٍ مَجهُول، تَجنَّبْ دائِماً الحَركاتِ المُتسرِّعة. هذِه عِظَةٌ نَمليّة قَدِيمة.

بدأَتِ النّملَةُ تُنظِّفُ نَفْسَها، وهذِهِ عِظَةٌ أسَاسيَّةٌ أخرَى.

بميدَانٍ مَجهُول، نُرهِفُ حواسّنا.

أخذَ الإنسَانُ يتقدَّمُ عليَها. شَعَرتْ جولي بقلَقٍ شَديدٍ، وكذلِكَ أصْحَابُ الهَرم. عيُونُهم كانت شَاخِصَة إلى الشّاشَاتِ التي تُظْهِرُ مُجرياتِ السّبَاق. حتّى الرّقم 103 والرقَم 24 وصديقاتهنّ اللواتي يُتابِعنَ المُبارَزةَ على تلفزيونِهنّ الصَّغيرِ كانَ القلَقُ واضِحاً عليهنَّ. لشدّةِ حِرصِهم على اختيَارِ نَملَةٍ على نَحوٍ عشوائيّ وقعوا على واحدة بلهاء ربّما.

هيّا، *انْطَلِقي!* صَاحَ الأميرُ 24 شَميّاً، مأخُوذاً بالتَّحدّي.

ولكنَّ النّملَةَ لا تَزالُ لابِثةً في مكانِها. ثمّ بتَريثٍ، بحذَرٍ، بدأَت تَتشمّمُ الأرضَ حَولَ أرْجُلِها.

في المُقابِل، أخطَأَ الإنسَانُ المُستَعجِلُ في مَسارِهِ واصْطَدمَ بطَريقٍ مَسدُود. عادَ مُسْرِعاً في الاتّجاهِ المُعاكِسِ إذْ يخشَى إهدَارَ الوقتِ، فهوَ لا يعلَمُ بأنَّ النَّملَةَ لم تُقرّر الانطِلَاقَ بعد.

تقدَّمتِ النَّملَةُ بِضْعَ خطَواتٍ، دارَت حَولَ نَفْسِها، ثمّ انتَصبَ قرْناها فَجأةً.

النّملَاتُ المُشاهِداتُ يَعلَمنَ ما يعني ذلك.

جولي التي كانَت تُتابعُ المُبارَاةَ مِنْ داخِلِ قفَصِ الاتّهام، شدَّتْ على ذِراعِ دافيد:

- تمَّ الأمرُ، شمَّت رائحةَ العَسَل!

أخَذتِ النّملَةُ تَسيرُ قُدُماً في الاتّجاهِ الصَّحِيح. الإنسَانُ، في المُقابِل، اكتشَفَ أيضَاً، الدَّربَ الصَّحِيح. على الشَّاشَاتِ التي تُظهِرُ تقدُّمَهُما، بدا الاثنَانِ يتقدَّمانِ بالسُّرعَةِ ذاتها.

- أخيراً، تَبدُو فُرَصُ الاثنينِ مُتَساويةً، لاحَظَ القاضِي، المُهتمّ بالمُحافظَةِ على التَّشويقِ لإرضَاءِ الإعْلَام.

بمَحْضِ المُصَادَفة، كانَ الإنسَانُ والنَّملَةُ يأخُذانِ المُنعَطَفاتِ نفسَها وفي الوقْتِ ذاتِهِ تقريباً.

- أراهِنُ على الإنسَانِ! صَاحَ كاتِبُ المَحْكمَة.

- أنا أُراهِنُ على النَّملَةِ! قالَ المُستَشَار.

راحَ البطَلَانِ يتقدَّمانِ على نَحوٍ مُوازٍ تقرِيباً.

في لَحظَةٍ ما، أخطَأتِ النَّملَةُ واتّجَهت نَحوَ طَرِيقٍ مَسْدُود، في الحَوضِ، ارتَعشَتِ الأميرَةُ 103 وصَحْبُها مِنْ قِمّةِ قرُونِهم حتّى نِهاياتِها.

لا، لا، *ليسَ مِنْ هُنا!* صَرخنَ بأعلَى فيرومُوناتِهنّ.

لكنَّ رسائِلَهنّ الشّميَّة ليسَ لَها أنْ تَطُوفَ بحريّةٍ في الفضَاءِ، فهيَ مَحْجُوزةٌ من جانب سَقفِ البليكسي كلَاس.

- لا، لا، ليسَ مِنْ هُنا! صرَخَت جولي وأصْدِقاؤها باللَّاجدْوَى نفسها.

اتّجَهَ الإنسانُ أيضاً نَحوَ طَرِيقٍ مَسْدُود، وهذِهِ المرَّة، الحضُورُ البشريُّ مَنْ صرَخَ:

- لا، لا، ليسَ مِنْ هُنا!

لبِثَ المُتنافِسانِ في مكانِهما باحثَينِ عن الدَّربِ الذي سيَسْلُكان.

تقدَّمَ الرَّجلُ بالاتّجاهِ الصَّحِيح. دخلَت النّملَةُ في مكانٍ لا يُفضِي إلى مَكان. شَعرَ مُشجّعو الصِنْفِ البشَريّ بالارتِياح. لم يبقَ أمامَ بطَلِهم سِوى مُنعَطَفين وينتَهي عِندَ الإجَّاصَةِ الحمرَاء. عندَئِذ، أقدمتِ النّملَةُ، وقَدْ تملَّكهَا الغَضَب مِنَ الدّورانِ دُونَ جدْوَى في طَرِيقٍ مَسْدُود، على اتّخاذِ مُبادَرةٍ غير مُتوقَّعَة.

تسلَّقَتِ الجِدَارَ الورَقيّ الصَّغير.

أخذَت تَعدُو مُباشَرةً نَحوَ الإجّاصَةِ الحمرَاء، مُستَرشِدَةً برائِحةِ العسَلِ القريبَة، وقافِزةً فوقَ الجُدرَانِ الصَّغيرَة مثل العَراقِيل في سِباقِ الحَواجِز.

وبينَما أخذَ الإنسَانُ يُناوِرُ أمامَ المُنعَطَفاتِ عَدْواً، وثَبت النَّملَةُ فَوقَ جِدَارِها الصّغيرِ الأخيرِ، مُعْتَليةً الإجّاصَةَ الحَمْراءَ المَطليَّةَ بالعسَلِ وفعّلَتِ الجَرَس.

صدَرَت صَرْخَةُ انتِصَارٍ من القفصين في آنٍ معاً، وراحَت تَتَلامَسُ قرُونُ النّمالِ دَاخِلَ الحَوضِ احتِفالاً بالحدَث.

طلَبَ الرَّئيسُ مِنَ الحُضُورِ أنْ يرجِعوا ويتَّخذوا أماكِنَهم في قاعَةِ المَحْكَمة.

- احتالَت! احتَجَّ المُحامِي العَام مُقتَرِباً مِنْ طَاولَةِ القاضِي. احتَالَت كما تلكَ التي سَبقتها. لَم يَكن يَحقُّ لها تسلُّقَ الجُدرَان!

- حضْرةَ المُحامِي، أَرجُو مِنكَ الجُلُوس، أمرَ القاضِي.

بعدَ أنْ عادَت إلى مقعَدِ الدّفاعِ، قالَت جولي مُتَحدّيةً.

- لا بكلِّ تأكيد، هي لَم تَحتَلْ. استَخدَمت طَرِيقَتها المُبتَكرةَ في التَّفكير. كانَ لَديها هدَفٌ تَصِلُ إليه، ووصَلَت إليه. بَرهنَتْ بأنّها ذكيّة وتَتلاءَمُ سَريعاً مَع المُشكِلَة. كما لم يَقُل أحَدٌ قطّ بأنَّ تسلّقَ الجُدْرانِ مَمنُوع.

- كانَ بوسْعِ الإنسَانِ فِعلُ ذَلكَ أيضاً، أليسَ كذلِك؟ سألَ المُحامِي العَام.

- بالطّبع. لَم يَخطُر لَهُ أنَّ بوسْعِه التَّصرُّفَ بطَرِيقَةٍ مُختلِفةٍ عن المضيّ قُدُماً في المَمرّاتِ لذلِكَ خَسِر. لَم يَكن قادِراً على التّفكيرِ بطَرِيقَةٍ مُختلِفةٍ عن القواعِدِ التي تَصوَّرَ أنّها إجباريّة رَغمَ أنّها، حقِيقَةً، لَم تُوضَع أبداً. فازَت النَّملَةُ هذِهِ لأنّها استَطَاعَت أنْ تَمتَلِكَ مُخيّلةً أوسَع مِنْ مُخيّلةِ الإنسَان. هذا كلّ ما في الأمر، وينبَغي أنْ نَتَحلّى بالرّوحِ الرّياضِيّة.

232. موسوعة

مُتلازمة بامبي: المَحبّةُ أحيَاناً مثل الكرَاهيّة مَحفُوفَةٌ بالمَخاطِرِ. غَالِباً ما يلتَقي الزّائرُ للمَحميّاتِ الطَّبيعيّةِ في أوروبا وأمريكا الشّماليّةِ بصِغارِ

الغِزلَان. تبدُو هذِهِ الحَيوانَاتُ مُنعزِلَةً ووحيدَةً حتّى لو أنّها غير بعِيدَةٍ عَن أمّها. يتَملّكُ المُتنزِّهَ إحسَاسٌ بالغِبطَةِ وهو يدنو – حانياً – مِنْ حيَوانٍ أليفٍ أقرَبَ إلى دُميَةٍ كبيرَةٍ مِنَ القَطِيفَة، فيَميلُ إلى مُداعَبتِهِ. الإيمَاءَةُ ليسَت عِدوانيّة، بلِ علَى العَكسِ، رِقّةُ الحَيوانِ هي ما يُثيرُ حرَكة الحَنانَ البَشريّ هذه. غيرَ أنَّ هذِهِ اللّمسَةَ هي الإيمَاءَةُ القاتِلَة. الواقِع، أنَّ الأمّ لا تتعرَّفُ على صَغيرها، في الأسَابيع الأولَى، إلّا عبرَ رائِحتِه. والاحتِكاكُ البَشَريّ، بغضّ النّظَرِ عن عُمْقِ حنانِه، سَوفَ يُطبّعُ صَغيرَ الغزالِ بالرّائِحَة البشَريّة. هذا الانبِعاثُ المَشُوب، حتّى أدْنَاه، يَمحُو الهُويّةَ الشّميّةَ لصَغيرِ الغزَالِ الذي ستَتَخلّى عنهُ عائِلَته مُباشَرة. لن تَقبلَ بهِ أيّ مِنَ الظّباءِ وسوف يُحكَمُ علَيهِ تلقائيّاً بالمَوتِ جوعاً. تُدعَى هذِهِ المُداعَبةُ القاتِلَة «مُتلازِمةَ بامبي» أو «مُتلازِمةَ والت ديزني».

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

233. بمُفردِهِ بينَ الأشجَار

لم يَعُد المُفوّض مكسميليان لينار يُريدُ رُؤيَةَ المَزيد، عادَ مُسْرِعاً إلى مَنزِله.

ألقَى بقُبّعتِهِ على مِشجَبِ المِعطَف، نَزعَ سُترَته، وصَفَق البابَ بقوّةٍ شدِيدَة. هرَعَت عائِلتهُ إليهِ سَريعاً.

ما عادَ بوسْعِهِ تَحمُّلَ زَوجَتِهِ سنتيا وابنتِهِ مارغريت. ألا يَستَوعِبانِ ما يَجري؟ ألَم يَسمَعا بالرّهاناتِ الهائِلةِ لهذِهِ القضيّة؟

عادَتْ ابنتُهُ إلى الصّالُون، وجلَسَت مِنْ جَدِيد أمامَ التّلفزيُون.

تَبثُّ القناةُ 622 بِرنامجَها التّرفيهيَّ الشّهيرَ «فخّ للتفكير». كانَ المُقدّمُ يُعِيدُ لُغزَ اليَوم: «يظهَرُ أوّل اللّيل، وفي آخِر الصّباحِ، مرّتينِ في السّنةِ ونُميزُه جيّداً ونَحنُ ننظُرُ إلى القَمر».

قفزَ الحَلُّ إلى ذِهنِه. الجَوابُ متعلّق بحَرفِ النّون (N). في أوّلِ اللّيل

(nuit)، في آخِر الصَّباح (matin)، ومرّتينِ في كلِمةِ السَّنة (année) ونَراهُ في كلِمةِ القَمر (lune). ليسَ هناكَ حلّ آخر.

تَبسَّم. لقد اسْتَعادَ مهَارةَ التّفكيرِ السَّريعِ والصّائِب. لم يَعُدْ هناكَ أيُّ لُغزٍ يَصْمُدُ أمامَهُ إلى النّهاية. فَهِمَ الأمرَ على أنّهُ علامَةٌ مُرسَلَة إليهِ.

عَصَبَت عَينَيهِ يَدانِ بارِدتَانِ.

- احزِرْ مَنْ؟

حرَّرَ نفْسَهُ بجَفَاء. تمعَّنَت زَوجتُهُ في مَلامِحِه، مُتفاجِئَةً.

- ما الذي يَجْري، حَبيبِي، ما الذي يُكدّرُ صَفوَك؟ أأنتَ مُرهَقٌ مِنَ العَمل؟

- لا. صَاحِ الذِّهن. في قمّةِ صَحوي. أهدُرُ وقتِي معكما. لديّ أشياءُ ضَروريّةٌ أقومُ بها ليسَ لصَالِحي فقط، بل لصَالِح الجَميع.

- ولكن، حبيبِي...، استأنَفَت سنتيا وهي تَنظُرُ إليهِ بهيئَةٍ قلِقَة.

نَهضَ مُصدِراً بصَوتٍ عالٍ كلِمةً واحِدةً لا غير:

- إلى الخَارِج!

وبنَظرةٍ مَحقونَةٍ بالدّم أشارَ لَها إلى البَاب.

- حسَناً، إنْ كنتَ تأخُذُ الأمورَ على هذا النَّحو...، قالَت في النّهايَة، وقدْ تَملّكها الخَوف.

صَفَقَ مكسِيميليان بابَ مكتَبِهِ وراءَهُ مُغلِقاً على نَفسِهِ بصُحبةِ ماك يافيل. بإعدادَاتٍ خاصَّة، أطلَقَ لُعبةَ *ارتقاء*. أرادَ أنْ يعلَمَ ما الذي سيَنْجُمُ عنْ حضَارةٍ نمليّةٍ تتمتَّعُ بتقنيّاتٍ إنسَانيّة.

تقدَّمَ بسُرعةٍ كبيرةٍ، وبانْجِذابٍ لا يلبَثُ أنْ يزدَاد.

سمِعَ مِنْ بَعيدٍ بابَ المَنزِلِ يُفتَح، ثمّ يُغلَق، وبمندِيلِهِ المُزركشِ بالمُربّعات، مسَحَ جَبينَه. أوف، تَحرَّرَ أخيراً مِنْ تِلكَ المُزعِجَتين. حقّاً، الحَواسِيبُ محظُوظَةٌ بأنَّ لَيسَ لَها إناثاً.

واصَلَ ماك يافيل دفْعَ اللّعبةِ إلى الارتِقَاء. بغضُونِ عشرينَ دَقيقَة، اجتَازَ ألفيّةً مِنَ الحضَارةِ النّمليّةِ تزْخَرُ بالمَعرِفةِ البشَريّة. ذلكَ كانَ أكثرَ إرعَاباً ممّا تَخيّلهُ الشُّرطيّ.

لم يُرِدْ البقاءَ على الحِياد. حسَمَ أمرَهُ على الانتِقَالِ إلى الفِعلِ، مَهما كانَ الثَّمنُ الواجِبُ عليهِ دَفعُه.

وبدأ العَملَ مُباشَرة.

234. شَمْسٌ مُتَضارِبة

مُنتهزينَ لَحظَةَ هُدوءٍ قبلَ استِئنافِ الجلسَة، تُقرّر الأميرَةُ 103 والأميرُ 24 مُحاولَةَ التَّزاوجِ داخِلَ الحَوض. مُنذ بدَايةِ الجَلْسَة، وشِدَّةُ كشّافاتِ التّلفزيُون، كما شَمْسٌ رَبيعيّة، أحالَت هرمُوناتِهما الجِنسيّةِ إلى حالَةِ هياجٍ قُصوى.

هذا الضَّوء، وهذِهِ الحَرارة، هما على أيّةِ حَالٍ مُفرِطَا الإثَارةِ لذَوي الجِنْس.

ليسَ التَّزاوج ضِمنَ هذَا المكانِ المُغلَقِ بالأمرِ الهَيِّن ولكن، بتَشجِيعٍ مِنَ النّملَاتِ الحَاضِراتِ، تُلقِي الأميرَةُ 103 بنفْسِها في الهَواءِ راسِمةً خُطوطَاً دَائِريّة بينَ جُدرانِ سِجْنها الزُّجاجيّ.

يَطيرُ الأميرُ 24 بدَورِه لِلّحاقِ بِها.

بالطَّبع، الأمر أقلُّ رومانسيّة من مُمارسَتهِ في السَّماء، تَحتَ الأشجَارِ وبينَ أضْوَاعِ الغَابة. ولكنَّ الحشَرتَينِ مُقتَنِعتَانِ بأنّهما أصْبَحتا بلا غَد. وإنْ لَم يُمارِسَا الحبَّ هنا والآن، فلن يَعرِفاهُ أبداً.

يَخفُّ الأميرُ 24 في إثْرِ الأميرةِ. إلّا أنَّ هذِهِ الأخيرَةَ تَطيرُ بسُرعَةٍ كبيرةٍ فلَا يُفلحُ في إدرَاكِها، ممّا يَضطرُّهُ لطلَبِ التريُّثِ مِنها.

أخيراً، يَستَوي خلفَ جسَدِها ويقوّسُ جسَدهُ ليقوَى على اعتِلائِها. أداءُ بهلَوانيّاتٍ جَويّةٍ رفِيعُ المُستَوى. الأمرُ لا يَخلُو منَ الصُّعوبَةِ. وهي مُنهمِكةٌ في التَّداخُلِ تَنشَغِلُ الأميرةُ 103 عَنْ طَيرانِها فتَصطَدِم بجِدارٍ شفّاف. يُنزَعُ الأميرُ 24 مِن مكانِه تحتَ وقْعِ الصَّدمةِ وعليهِ مُعاودَة الانْدِفاعِ نَحوَ حسْنَائِه.

سبَقَ للأميرةِ 103 أنْ سَخِرتْ مِنَ الاستِعراضَاتِ الزّفافيّةِ المُعقَّدةِ لدَى

الأصَابع، غيرَ أنّها رَغبت الآن لو تتصرَّفُ مِثلَهم وتَتَدحرَجُ على الأرضِ. هذا أهوَنُ مِنَ السَّعي إلى اتّصَالِ زَائِدتينِ ضَئِيلَتينِ ولا سيّما في أَوجِ الطَّيَران.

عِندَ المُحاولَةِ الثّالِثَة، ينجَحُ أخيراً الأميرُ 24، مُرهقاً قليلاً، في أنْ يلِجَ الأميرةَ 103. عِندئِذ يَحدُثُ شَيء في داخِلهما مُفرِطُ الجدَّةِ، مُفرِطُ الشِّدَّة. ويتَضاعَفُ شِدّة إذْ يتعلّقُ الأمرُ باثنينِ مِنْ ذَوَي الجِنْس اكتَسبَا هذِهِ المِيزَة بأسَاليب اصْطِناعيّة.

قُرونهما مُتلاصِقةٌ كأنّما هما من جديدٍ في اتّصَالٍ مُطلَق. يُضَافُ اتّحَادُ العُقُولِ إلى اتّحادِ الأجسَاد.

وفي الوقتِ ذَاتِه، تتعاقَبُ صُورٌ هذَيانيّة في دِماغَيهما الصَّغيرَين.

لتَتجنَّبَ الاصْطِدامَ ثانيةً بجِدارِ الحَوضِ، تَقومُ الأميرَةُ 103، التي تَقُودُ التَّحليقَ، بدَوائِرَ ضيّقةٍ مَركزيّةٍ وَسَطَ سِجْنِهما، لا تكادُ تفصِلُهُما عنْ سقفِ البلكسي كلَاس المُثقّبِ بِضعةُ سنتِمترات.

تتوضَّحُ الصُّورُ الهذَيانيّةُ تَدريجيّاً. تبثُّها الرّقم 103، هي التي لا تزَالُ في ذَاكرتِها اللّحظَاتُ الرومانسيّة المُؤثّرةُ لفيلم ذهَب مع *الرّيح*.

في اللّحظَةِ الحَاضرةِ، يُصرّحُ الحُبُّ عن نَفسِه، بالنّسبَةِ للحشَرتَين، بوضُوحٍ أكبر عبرَ صُوَرِ الصِّنفِ الإصْبَعيّ أكثرَ مِن صُوَرِ ثقافتِهما. لدَى البيلوكَانيّاتِ الكثيرُ مِنَ الأسَاطيرِ بالطَّبع، ولكن أيّاً مِنها لا يُشبهُ ذهب مع *الريح*. بخصُوصِ العالَم النّمليّ، ليسَ للحبّ سِوى وظيفَةِ التكاثر. لم تفكّر الرّقم 103 قطّ، قبل مُشاهدَتها فيلم **الأصَابع**، أنْ تعتَبرَ الحبَّ إحسَاساً خاصّاً، مُستَقلاً عَن وظيفَةِ التّناسُل.

في الأسفَل، تنظُرُ النّمالُ الأخريَاتُ إلى دَورانِهما بإعجَاب. يَفهَمنَ أنَّ ما يَحصُل مُختَلف. تدوّنُ الرّقم 10 على فيرومُونٍ ميثولوجيّ ما تُلهِمُها بِهِ اللّحظَةُ الرّاهِنةُ منْ شِعْرٍ صَافٍ رومانسيّ.

فجأةً، كلّ شَيء هناكَ في الأعلَى يتَعثَّر. يَتَوعّكُ الأميرُ 24. يتَحرّكُ قرناهُ بغَرابة. تتَزايدُ خفقَاتُ قلبِهِ قوّةً باطّراد. تَغمُرهُ مَوجَةٌ حمرَاءُ هائِلةٌ مِنَ اللّذةِ الصّافيةِ والألـمِ الشّديدِ مثلَ فَيْض. يشعُرُ بأنَّ كلَّ ما في قلْبِهِ يتَعطّل، قلْبُه، الخَارِجُ عَن السَّيطَرة، ينْبِضُ بشدَّة.

بان... بان، بان، بان، بان... بان!

بان، بان، بان!

ضَربَ القاضِي ثلاثَ طَرقاتٍ قَصِيرةً جَافَّةً على مِنصَّتهِ لينبّهَ الحضُورَ إلى استِئنافِ الجلسَة.

– سيّداتي وسَادتي المُحلَّفينَ، أرجو أنْ تتّخِذوا أمكنَتكم، لو سَمَحتُم.

أبلَغَ الرَّئيسُ المُحلَّفينَ بأنَّ النمالَ مِنَ الآن فصَاعِداً مَسْؤولاتٌ أمامَ القَانُون، إذْ أقِرَّ أنّهنَّ ذكيّات. فينبَغي عليهم إذاً أنْ يقرّروا مَصيرَ الرّقم 103 وزميلاتِها النّمال.

– لم أفهَم! لقد فازَتِ النَّملَة، صَاحَت جولي.

– أجَل، أجابَ القاضِي، ولكنَّ هذا الفوزَ يُثبِتُ بأنَّ النّمالَ ذكيّات، وليسَ أنّهنَّ بريئَات. الكلِمةُ الآن إلى جِهةِ الادّعاء.

– لديَّ هنَا بَعضُ مُستنداتِ الإثبَات التي تُبرهِنُ لأولَئِكَ السَّادَة والسيّداتِ في هيئَةِ المُحلَّفينَ إلى أيِّ حدّ النّملُ عدوّ للإنسَان. كما يوجَدُ مقالٌ عن اجتِياحَاتِ نَملِ النّارِ في فلوريدا يُقدّمُ إحاطَةً وافيةً للمُحلَّفين.

وقَفَ آرتور.

– تنسَى حَضرتُكَ أنْ توضِّحَ كيفَ أوقِفَ زَحفُ نِمالِ النّار هذا. أوقفَهُ صِنفٌ آخَر مِنَ النّمال: «*solenopsis daugerri*»، الذي يُجيدُ مُحَاكاةَ فيرومُوناتِ ملِكةِ نِمالِ النَّار. وبذلك يَخدَعُ العامِلَاتِ اللواتِي يُطعِمنَه بينما تَهزُل مَلِكتهنّ تَدرِيجيّاً وتَمُوت. والعِبرَةُ أنّهُ باتّحادِ البشَرِ مع بعضِ النّمالِ الصّدِيقاتِ يُمكنُ القضَاءُ على أصْنَافٍ عَدوّة أخرى...

قاطَعَ المُحامِي العام آرتور تارِكاً كرسِيهُ ليقِفَ أمامَ هيئَةِ المُحلَّفين.

– ليسَ بتسلِيمِ أسْرارِنا للحشَراتِ نتخلّصُ مِنها. على العَكسِ، بعدَ أنْ باتَت النِّمالُ مُفرِطَاتِ الاطّلَاعِ ينبَغي إبادَتهنّ بأسْرعِ ما يُمكن قبلَ أنْ ينقُلْنَ مَعرِفتهنَّ إلى كامِلِ الصِّنف.

داخِلَ الحَوض، لا تَزالُ النَّشوةُ مُتَواصِلَة. لا يلْبثُ دورَانُ زَوْجَي النَّملِ يَزدادُ

سُرعَةً، كأنّما مأخوذٌ مِنْ دوّامةٍ جهنّميّة. لا يَلْبَثُ خَفَقانُ قلبِ الأميرِ 24 يزدَادُ فوضَويّة. بان، بان... بان... بان، بان، بان... بان... كلّما كبرَت موجَةُ النّشوَةِ الحَمْراء تغيَّرَ لونها تَدرِيجياً. تستَحيلُ أرجُوانيّةً، بنفسَجيّةً، ثمّ أسْودَ حالِكاً.

طلَبَ القاضِي مِنَ المُحامِي العَام أنْ يُوجِزَ ويُعلِنَ طلَبَاتِه.

- أطالِبُ لمُدبّري عَمليّةِ الثانويّةِ عقُوبةَ السَّجنِ ستّة أشهُرٍ غير قابلَةٍ للاستِئنَافِ جزاءً على تَدمِيرِ مُعدّاتِ مُنشَأةٍ تربَويّة وتَعطِيلِ السَّيرِ العَام. وأطَالِبُ لمُدبّري عَمليّةِ الهَرَمِ بالسَّجنِ ستّ سنَواتٍ غير قابلَةٍ للاستِئنَافِ جرّاء ضُلُوعِهم بجَرائِم قَتل. وبالنسبَة للأميرة 103 وشريكاتها أطَالبُ بتَجْريمِهنَّ بتُهمةِ التمرُّدِ وقتلِ رِجالِ شُرطَة، والحُكمِ عليهنَّ... بعقُوبةِ المَوت.

احتجَّ الجُمهُور. ضَربَ القاضِي بمِطرقَتِه دونَ أنْ يُفكّر بذلِكَ تَقريباً.

- أجيزُ لنفسِي أنْ أذكّرَ زَميلي في الادّعاءِ بأنَّ عقوبَةَ الإعدامِ مُلغَاة في بِلَادنا مُنذ زَمنٍ طويل، أعلَنَ بنبرةِ العَارِف.

- بالنّسبَةِ للبشَر، سيّدي الرَّئيس، بالنّسبَةِ للبشَر. لقد بَحثتُ جيّداً. لا شَيء في القانُونِ الجَزائيّ يمنَعُ عقُوبةَ إعدَامِ الحَيوانات. تُحقَنُ الكِلابُ التي تَعضُّ الأطفَال. تُقتَلُ الثّعالِبُ التي تُعدي بالسّعَار. بالمُناسَبة، مَنْ فينا يُمكِنهُ التّبَجُّحُ بعدَمِ قَتلِ نَمْلٍ أبداً؟

حتّى مَنْ لا يُوافِقهُ الرّأي مُجبَرٌ على الاعتِرافِ بأنّه مُحِقّ. فمَنْ لَم يقتُل نَمْلَة، ولَو بالخَطَأ؟

- بإقرَارِ إعدَامِ الأميرَةِ 103 وقرينَاتِها لن نكونَ قد فعلنَا سِوى واجِبٍ وطَنيّ ودفاعٍ شَرعِي، استأنَف المُحامِي العَام. الملفّاتُ التي أُخِذَت مِن الهرَمِ تُثبِتُ بأنّهنَّ كُنَّ قدْ أطلَقنَ حملَةً كبيرةً ضِدّنا. فلتَعلَم الطَّبيعَةُ إذاً بأنَّ الأصْنَافَ التي تُريدُ أذيّة الإنسَانِ سوفَ ينتَهي بها المَطافُ بأنْ تدفَعَ حياتَها ثَمناً لذلِك.

ينتَصِبُ قرنَا الأمير 24. تَشْعرُ الأميرةُ 103 بِه، تَراهُ، ولكن لفَرطِ طُولِ لذّتها ولفَرطِ ما هي عَميقَة لا يَسعُها الاكتِراثُ بشَرِيكِها.

إنْ كانَ هو مَغموراً بالموجَة الحمراء التي استَحالَت سَودَاء، فهي قد اجتَاحَتها مَوجَةٌ حمراءُ تَحوّلَت إلى البرتُقاليّ ثمّ ما لبِثَت تتوضَّحُ حتّى غدَت أقربَ إلى الصُّفرةِ وأكثرَ دِفئاً. في هذه الأثناء، لم تَعُد أميرة، بل ملِكة.

لا تلبَثُ حالةُ الأمير 24 تزدادُ سوءاً.

لا يزالُ الضّغطُ يتَصاعَد. توقّف قلبهُ.

الضّغطُ يرتَفع، يرتَفِع. ينفَصِلُ فجأةً، يحاول خفقةَ جنَاحَين ليُبطئ سقوطَهُ و...

أعطَى الرّئيسُ الكلِمةَ للدِفاع.

اسْتَدعَت جولي جَميعَ مَواردِ نورروناتِها.

– ما يَحدثُ هنا ليسَ مُحاكمةً وحَسب. إنّها أكثرُ مِنْ ذلكَ بكثير. إنّها فُرصَةٌ فريدَةٌ تُمنَحُ لنا لفَهمِ نِظامِ تفكيرٍ غيرِ بشَريّ. إنْ لم نستَطِع إقامةَ تَحالُفٍ مع النّمل، مع سكّان مِنْ داخلِ هذه الأرض، فكيفَ يُمكِننا أنْ نأمَلَ يوماً بالتّواصُلِ مع كائِناتٍ فضَائيّة؟

في الهَواء، صَوتُ دَويٍّ خَافِتٍ مَكتُوم. الضَّغط شَديدُ الارتِفاع، المُتعةُ شَدِيدةُ البَهاء، لا تَكادُ تُقذَفُ الأمْشَاج الذكريّة داخِلَ الأنثى حتّى ينفَجِرَ الأميرُ مِنَ اللّذة، وتتَناثرُ قِطَعُ الكيتين في شتّى الاتّجاهَاتِ نازِلةً مِثلَ شظَايا طائِرة انفجَرَت في السَّماء. ما مِن حشَرةٍ في الأسفَلِ إلّا ونَالَها شَيءٌ مِنْ أشلَاءِ جسَد ذوي الجِنسِ الباسِل.

لفرطِ ما قرأَتْ جولي بموسُوعةِ *العلمِ النسبيّ والمُطلق* أحسّت أحياناً بأنَّ إدمون ويلز مَنْ يتكلَّمُ عبرَ صَوتِها:

– يمكنُ أنْ يكونَ النّملُ نُقطَةَ انطِلاقٍ لارتِقائنا. فبدَلَ السَّعي لإبادَتِه، لنُحاولِ اسْتِثمارَه. نَحنُ مُتكامِلَان. فإذا كنّا نُسيطرُ على العالَم بارتفاعِ مِتر، فهو يُسَيطرُ عليهِ بعلوّ سنتمتر. بَرهنَ آرتور أنّهنَّ يَصنعنَ باستِخدَام فكوكهنّ

في اللامُتناهي الصِّغر أغراضاً يَعجزُ عنها أمْهرُ حِرَفيّي السّاعَات. لماذا نُفوّتُ على أنفسِنَا حُلفاءَ بهذِهِ الأهميّة؟

تُواصِل الملِكةُ 103 التّحليقَ لبعضِ الوقتِ ثمَّ تَهبِطُ على نَحوِ كارثيّ في جهازِ الاستِقبالِ الفيرومُونيّ.

«كريتش» تردَّدَ صَوتٌ صَغيرٌ في مُكبّراتِ الصّوتِ لـ«حجَرِ رَشيد»، ولكنَّ المُناقشَات في قاعَةِ المَحْكمةِ كانَت في أوجِها، فلَم يتنَبه أَحَدٌ لهُ.
تابَعت جولي:
- مِنْ غيرِ الوارِدِ أنْ تَحكمُوا علينا لأنّنا أردْنَا تَحسِينَ صِنفِنا. مِنْ غيرِ الوارِدِ قتلُ نِمال.

وهي تَسقُط، تفقدُ المَلِكةُ جنَاحَيها.
مَوتُ الأميرِ وفِقدانُ الجَناحَينِ هما ثَمنُ عَرْشِ المَلكيّةِ النّمليّة.

- على العَكسِ تَماماً، بالإفراجِ عنّا وتَحريرِ هذِهِ الحشَراتِ البريئَةِ ستُظهِرُونَ بأنَّ الدَّربَ الذي بدأنا استِكشَافهُ يستَحِقُّ كلّ عنايةٍ مُمكِنة. النّمالُ سَواء أردنَا أم لَم نُرِد هنَّ...
ظلَّ فمُها فاغِراً. وبَقيتِ الجُملَةُ مُعلّقة.

235. موسوعة

***قوّةُ الأرقَام:* 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10**

بمُجرّدِ أشكَالِها، تَروي لَنا الأرقَامُ قِصّةَ تَطوّرِ الحيَاة. كلّ ما هوَ مُنحَنٍ يَحمِلُ دلالَةَ الحُبّ. كلّ ما هوَ خطّ مُستَقيمٌ يَدلُّ على التّعلُّق. وكلّ ما هوَ مُتقاطِع يُشيرُ إلى المِحَن. لنتمعّن بِها.

0 : هوَ الفرَاغ. البيضَةُ الأصْلِيّةُ المُغلَقة.

1 : هو مَرحلَة الجَماد. ليسَ سِوى خَطّ. إنَّه الثَّبات. يُمثّلُ البدء. أنْ يَكون،

يَكون ببسَاطَة، في المَكانِ وفي اللّحظة الرّاهِنة، دونَ تَفكير. هذا هو المُستَوى الأوّل مِنَ الوعي. ثمّةَ شَيءٌ هنا، لا يُفكّر.

2 : هوَ المَرحلَةُ النّباتيّة. يتألّف جزؤهُ السُّفليّ مِنْ خَطّ، النباتُ إذاً مَشدُودٌ إلى التُّراب. لا يَستَطيعُ النّباتُ تَحريكَ قَدمِه، هوَ عَبدٌ للأرضِ، غيرَ أنّهُ مُزوّدٌ بمُنْحنٍ في أعلاه. النّباتُ شَغوفٌ بالسّماءِ والضّوء، ومنْ أجْلِهما تُجمّلُ الزّهرةُ نفسَها في جزئِها العُلويّ.

3 : هوَ المَرحلَة الحيَوانيّة. لم يَعُد هناكَ خطّ. لقَد انفصَلَ الحيَوانُ عن الأرض. بوسْعِه التّحرُّك. ثمّةَ حلقتَان، يُحِبُّ في الأعلَى كما يُحبُّ في الأسفَل. يَستَجيبُ الحيَوانُ كعَبدٍ لمشَاعِره. هو يُحِبُّ، هو لا يُحِبُّ. الأنانيّةُ صِفتُهُ الأساسِيّة. الحَيَوانُ مُفترِسٌ وفَريسَةٌ في آن معاً. إنّهُ في خَوفٍ دائِم. إنْ لَم يستَجِب تِبعاً لمصَالِحهِ المُباشِرة، يَمُوت.

4 : هوَ المَرحلَة الإنسَانيّة. المُستَوى الأعلَى مُباشَرةً مِنَ الجَمادِ، والنّباتِ، والحَيَوان. إنّهُ في مُفترِق طُرق. هوَ الرّقمُ الأول ذو تقَاطُع. إذا نَجحَ الرّقم 4 بالتحوّل، ينتَقِل إلى العالَم العُلويّ. يَخرجُ من مَرحلَةِ العبوديّة للمشاعر، عبرَ الإرادة الحُرّة. فإما أن يُحقّق مَصيرَهُ أو لا يُحقّقه. لكنّ مفهُومَ حُرّيةِ الاختيارِ تُتيحُ لهُ أيضاً ألّا يُحقّقَ مَهمّتهُ في اكتِسابِ الحُرّيّةِ والسّيطَرةِ على مشَاعِره. يَمنَحُ الرّقم 4 حريّةَ البقاءِ حيواناً أو العُبور إلى المرحَلَة التّالية. هنا يَكمُنُ التّحدّي الرّاهِن للبشَريّة.

5 : هوَ المَرحَلةُ الرّوحيّة. عكسُ الرّقم 2. الرّقم 5 خطّهُ في الأعلَى، مُرتَبطٌ مع السّماء. لَديهِ مُنحَنٍ في الأسفَل: شَغوفٌ بالأرضِ وسُكّانها. نَجحَ في تَحريرِ نفسِهِ منَ الأرض، غيرَ أنّه عجِزَ عَن تَحريرِ نَفسِهِ من السّماء. لقد اجتَازَ مِحنَةَ صَليبِ الـ 4 إلّا أنّهُ يُحلّقُ عَالياً.

6 : هو انْحناءٌ مُستَمرٌّ دونَ زَاوية، دونَ خطّ مُستَقيم. الحبُّ الكَامِل. حلَزونيُّ الشّكلِ تقريباً، يتأهّب للذّهابِ إلى اللانهائيّ. لقد حرّرَ نفسَهُ منَ السّماءِ والأرضِ، من جميعِ العراقيلِ العُلويّةِ والسُّفلية. إنّهُ مَحْضُ قناةٍ اهتزازيّة. إلّا أنّهُ يتَبقّى أمامَهُ إنْجازُ أمرٍ: الانتِقالُ إلى العالَمِ الإبدَاعيّ. الرقم 6 هو أيضاً شَكلُ الجَنينِ في طَورِ التكوين.

7 : هوَ رَقمُ العُبور. هو الرقم 4 مقلوباً. هنا مرة أخرى، نجد أنفسنا على مُفتَرق. انتَهت دَورَةٌ، دَورَةُ العالَمِ الماديّ؛ يجب إذاً العبور إلى الدورة التالية.

8 : هو اللّانِهائيّ. إذا رَسمنَاهُ، فلَن نَتوقَّفَ أبداً.

9 : هو الجَنينُ في طَورِ التّكوين. الرّقَم 9 هو الرّقم 6 مقلوباً. يستَعِدُ الجَنِينُ للعودَةِ إلى الواقِع. سَوفَ يَمنَحُ الحيَاةَ للـ...

10 : هو صِفرُ البيضَةِ الأصْليّة، الخاصّ بالبُعدِ العُلويّ. سيُطلِقُ صِفرُ البُعْدِ العُلويّ هذا دَورَةَ أرقامٍ مِنْ جَديدٍ لكن على مقياس أعلى. وهَكَذا دَوالَيك.

كلّما رَسَمنا رَقَماً، نَقَلنا هذِهِ الحِكْمَة.

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

236. تبَايُنٌ في الإدرَاك

احتلَّ وجْهُ مكسِيميليان للتوّ شَاشَةَ الفيديو التي تَعلو قفَصَ الاتّهامِ، وقَدْ ارتَسَمت على شَفتيهِ ابتِسَامةٌ غريبة، شِبهُ نَهِمَة. ثمّ صُورَة مُقرّبة سمَّرَت جولي في مكانِها.

ظَهرَ فيها مكسِيميليان، مَحمُومَ النَّظرة، مُسلّحاً بمِقراضِ أظَافِر. يأخذُ نِمالاً ويقصُلهنّ واحدَةً تلوَ الأخرى، على مقرُبةٍ من عدَسَةِ كاميرته، مُصْدِراً في كلّ مرّة صَوْتاً قَصِيراً جَافّاً.

– ماذا يَحدُث؟ ما هذِهِ المَهزلَة؟ سأَلَ القاضِي.

همَسَ لَه الحَاجِب في أذنِه. أغلَقَ مكسِيميليان على نَفسهِ في منزِله، وبواسِطَةِ كامِيرا فيديو بسِيطَة وجِهازِ تقويةِ حاسُوبهِ يَبثّ هذا المَشهَدَ عبْرَ خطٍّ هاتِفيّ.

قَصْلُ النِّمالِ كانَ يَتوالَى. ثمّ، مُرهقَاً علَى الأرجَحِ بقَتلهِ نَحوَ مئةٍ منهنّ، تبسَّم أمامَ الكاميرا، لَمّ الأجْسَادَ المُنكّلة ونفَضَها بعدَمِ اكتِراثٍ لتَسقُطَ في سلّةِ القُمامَةِ.

ثمّ أمسَكَ ورقةً، ووضَعَ نفسَهُ أمامَ الكاميرا مباشرة، ونَطَق:

- سيّداتِي وسادَتِي، نَمرّ بوقتٍ عَصِيبٍ. عالَمُنا، حضَارتُنا، جِنْسُنا جمِيعُها مُهدَّدةٌ بالاختِفاء. عدوّ فظيع ينتصِبُ على عتَباتِنا. مَنْ يُهدّدنا على هذَا النَّحوِ؟ الآخر، الحَضَارةُ الكُبرَى الأخرَى، صِنفُ الكوكبِ الكبيرِ الآخَرِ، المَدعُو النّمل. دَرستُهُ مُنذُ مُدّةٍ، ودرستُ تأثيرهُ على الإنسَان. وأولَيتُ عِنايةً خاصّة بأداةِ مُحَاكاةِ الحضَاراتِ، برنامَجٌ يهدُفُ إلى مَعرِفةِ ما سَيكونُ عليهِ العالَم إذا ما حصَلَ النّملُ على مَعارِفنا التّقنيّة.

«وبذلِكَ لاحَظتُ أنَّ النَّملَ الذي يتَفوّقُ علينا عدَداً، عدوانيّةً، وأسلُوبَ تَواصُل، لن يحتَاجَ أكثر من مِئةِ عامٍ ليحوّلنا عَبيداً».

«وبدَعْمٍ مِن تقنيّاتِنا البشريّة، ستَتضخَّمُ مقدِرَته. أعلَمُ، سيّداتِي وسادَتِي، بأنَّ ذلكَ يبدُو لبعضِكُم غير مَعقُول. لكنّني أظنُّ أنَّ ليسَ بوسْعِنا أنْ نُجازِفَ لنتَثبّتَ من هذِهِ الفرضِيّة».

«وبالنتِيجَة، علينا، وبمثَابةِ أولويّة، إبادَة هؤلاء النّمالِ «المُتَحضِّرات» المَشهُوراتِ اللّواتِي وضَعنَ أيدِيهنّ على غَابةِ فونتينبلو. أعلمُ أنَّ هناكَ مِنكُم مَن يرى أنّهنَ لَطِيفات. وهناكَ مَنْ يَظنّ أنَّ بوسْعهنَّ مُساعدَتنا وأنَّ لديهنّ ما يُعلّمنَهُ لنا. هُمْ على خطَأ».

«النّملُ أسوَأ وباءٍ عرِفتهُ البشريّة في تَاريخِها. ما تَقتلهُ قريةُ نَملٍ واحِدَةٍ منَ الحيوانَاتِ في اليَومِ يَفوقُ نِسبياً بلَداً بشرياً كامِلاً».

«تفتُكُ في البدَاية، ثمَّ تَستعمِلُ الأصْنافَ المَهزُومَة مَواشيَ لديها. الأرْقَة، مثلاً، يبترنَ أجنِحتَها ليحلِبنَها باقتِدارٍ. بعدَ الأرْقَة، سيأتِي الدّورُ علَينا يوماً ما».

«بما أنّني أدرَكتُ الخطَرَ الذي تُجسّدهُ النّمالُ الذكيّات للبشَريّة، قرّرتُ بوصْفِي إنسَاناً، أنا مكسِيميليان لينار، أنْ أدمّرَ جُزْءَ غابةِ فونتينبلو الذي، بسَببِ تَهوّرِ ثلّة مِنَ البشَر، باتَ يَعجُّ بالنّمالِ المُطّلِعاتِ على تقنيّاتنا. وإنْ لزِمَ الأمر، سأحيلُ الغابةَ كلّها رماداً».

«فكّرتُ طَويلاً واستَشرَفتُ المُستقبل. إنْ لَم نُدمّر الآن هذه السّتّة والعشرِينَ ألفَ هيكتارٍ مِنَ الغَابةِ المَوبُوءَة، سنَضطَرُّ لاحِقاً، بلا رَيب، أنْ نُدمّرَ غابَات العالَم كافّة. هذا البترُ الصَّغيرُ، إلى اللّحظَةِ الرّاهِنة، سيَمنَعُ الإصَابةَ بغَنْغرينَة شَامِلَة. المَعرِفَة تُشبهُ مَرضاً مُعدِياً».

«يُبلِغنَا الكتَابُ المُقدَّسُ أنّهُ كانَ على آدم مُقاومَة إغْواءِ قضْمِ تُفاحةِ المعرِفَة. حرّضَتهُ حواء بأنْ يُقدِمَ على ما لا يُمكنُ إصْلَاحَه. أمّا نحنُ، فبوسْعنا تَجنيبُ النّمالِ مَعرِفةَ هذه اللّعنَة».

«وضَعتُ قنابِلَ حارِقةً في مِنطَقةِ الغابَةِ حيثُ تتَواجدُ عشُوشُ النّمالِ المُلوّثةِ بأفكارِ الرّقَم 103».

«لا طائلَ مِنْ مُحاولةِ إيقافي. أنا مُحصَّنٌ جيّداً في مَنزلي ونِظامُ تَشغيلِ القَنابِلِ الحَارِقَة، تحتَ سَيطَرةِ حاسُوبي، سيُفصَلُ مُباشَرةً بعدَ هذهِ الرّسالَةِ عن الشّبكة، فإذن، ليسَ هناكَ أيُّ احتِمالٍ لتَعدِيلِ برنامَجهِ مِنَ الخَارِج».

«لا تُحاوِلوا إيقافِي. إذا لَم أدوّن صِيغةً مُشفَّرة على لائِحةِ مفاتيحِ حاسُوبي كلّ خمس ساعات، فكلّ شَيءٍ سينفَجِرُ، في بيتي وفي الغابَة».

«لم يَعُد لديّ ما أخسَرُه. أضَحّي بحيَاتِي مِنْ أجلِ جِنْسِي. اليَوم تُمطِر وسوفَ أنتظِرُ عودَةَ الطَّقسِ الجَميلِ لتَفعيلِ حَريقِ الغَابة. إن كنتُ سأموتُ بهجُومٍ مُتهوّر، فللبشَريّةِ أنْ تَعتَبر ذلكَ وصِيَّتي وليَحلّ واحِدٌ آخرُ مكانِي».

سَارعَ الصَّحفيّونَ لتسليمِ أورَاقِهم. وراحَ أشخَاصٌ لا يَعرِفونَ بعضَهم يتَبادَلونَ الأحَاديثَ في قاعَةِ المَحْكمة.

المُحافظُ دوبيرون الذي أتَى ليَشْهدَ جلسَةَ النُّطقِ بالحُكْمِ في هذِهِ القضيّةِ التي لا سَابِقَ لها، احتلَّ في اللّحظةِ ذاتها مكتَبَ القاضِي. رفَع سمّاعةَ الهاتِف وهو يتَضرّعُ ألّا تكونَ قدْ خطرَت للمُفوّضِ الفِكرةُ السّيئةُ، قَطْعُ خَطِّ هاتِفهِ.

الشكرُ للربّ، أجابَ لينار مع الرنّةِ الأولَى.

– أيُّ شيطَانٍ ركِبك، مُفوّض؟

– ممَّ تَشكو، سيّدي المُحافِظ؟ أما كُنتَ تُريدُ التّخلُّصَ مِنْ جزءٍ منَ الغابَةِ لتفسِحَ مكاناً لمشَاريعِ الفريقِ اليابانيّ الفنْدُقيّة، وها هيَ أمنيتكَ تَحققت. لدَيكَ حَقّ. سيوفّرُ ذلكَ وظَائِف ويُساهِمُ في حلّ مُشكلَةِ البطَالَة.

– ولكن ليسَ بهذِهِ الطّريقَةِ مكسيميليان، هناكَ أسَاليبُ أكثرُ تحفُّظاً يُمكنُ اتّباعُها...

– بحَرقِ هذِهِ الغابةِ المَلعُونَة، سأنقِذُ البشَريّة بأكملِها.

جفّت حُنجرةُ المُحافِظِ وتَرطّبَت يداه.

- هل جُنِنتَ، تنهّدَ.

- هذا ما سيَظنُّه بعضهم في البدَايةِ، ولكن في يَومٍ ما سأُفهَمُ جيّداً وسيُنْصَبُ لي تَماثيلٌ بوصْفِي مُنقذاً للبشَريّة.

- ولكن لماذا تُصِرُّ على إبادَةِ هذهِ النِّمالِ الشَّديدة التَّفاهةِ؟

- إذن، أنتَ لَم تَسمَعني؟

- بلى، بلى، سَمِعتُك. أتخشَى إلى هذا الحدّ من مُنافسةِ الحيوانات الذّكيّة الأخرى؟

- بلَى.

لشدَّةِ التَّصمِيمِ في نَبرةِ الشّرطيّ، بَحثَ المُحافِظُ عن حُجّةٍ قويّةٍ لإقناعِه.

- لو أنّ الدّيناصُورات، وهي مُدرِكة بأنَّ البشرَ سَيُنشِئُونَ يوماً حضَارةً أصْغَرَ حَجْماً وأقوى، أزالَت الثديّياتِ عنْ وَجْهِ البسِيطَة، فهل تتَخيّل ما الذي كانَ سيَحدُث؟

- هذه المُقارنَةُ صَحِيحَة تمَاماً. أعتَقِدُ أنّه كان على الدّيناصُوراتِ التخلّص منّا. كان يجِبُ أنْ يَخرجَ مِنهُم ديناصُور باسِلٌ مِثلي يُدرِكُ التّحدي على المدَى الطّويل. فلربّما كانوا استمَرّوا في الحيَاةِ إلى وقتِنا هذا، أجابَ لينار.

- ولكن لم يكونوا مُتلائِمينَ مع الكوكَبِ الأرضيّ. مُفرطِي الضَّخامَة، شدِيدي الخُرْقِ...

- ونَحنُ؟ قَد تَعتبرنا النّمالُ ذاتَ يومٍ ضِخاماً وخُرْقاً. ولكَ أنْ تتخيّلَ ما الذي سيفعلْنَه لو قدّمنا لهنَّ المَقدِرة؟

ختَمَ عندَ هذِهِ النّقطَةِ مُطْبِقاً السمّاعَة.

أرسَلَ المُحافِظُ أمهرَ مُزيلي الألغَامِ لديهِ في مُحاولَةٍ منهُ للعثُورِ على القَنابِلِ الفوسفوريّة المُوزَّعةِ في الغَابَة. وقَد عثَروا على نَحوِ عشرٍ مِنها، ولكنّهم لا يعلَمونَ العدَدَ الذي يبحَثونَ عَنهُ ولا سيّما أنّ مسَاحةَ الغابةِ شَاسِعةٌ؛ عندئِذ أقرّوا بعبثيّةِ جهُودِهم.

بدَا أنَّ الحَالةَ ميؤوسٌ منها. أبصَارُ الأهالِي شَاخِصَةٌ نَحوَ السَّماء. باتَ الجَميعُ على عِلمٍ بأنّه ما إنْ يتوقّفَ المطَر، حتَى تندلِعَ الغابَة.

غيرَ أنّهُ في مكَانٍ ما، همَسَ أحدٌ بصَوتٍ خافِت: «ربّما لَديّ فِكرة...».

237. موسوعة

ابتزاز: بما أنّ كلَّ شَيءٍ جرَى اسْتِثمارُه، ما مِن طَرِيقَةٍ لتَكوينِ ثَرواتٍ جدِيدَةٍ في بلَدٍ ثريّ بالأصْل سِوى طَرِيقةٍ واحِدَةٍ: الابتِزاز. وهذا يَصُحُّ على الجميع، مِنَ التّاجرِ الذي يكذِبُ مُؤكّداً بأنَّ: «هذِهِ آخرُ قِطعَةٍ مُتبَقيةٍ لدي وإنْ لَم تأخذها مُباشَرةً، فلَديّ زَبونٌ آخَر مُهتَمّ بها»، وصُولاً إلى أعلَى المُستَويَات، الحكومَة التي تُقرُّ: «من دُونِ النّفطِ الذي يُلوّثُ البيئَة، لنْ يكونَ لدينا ما يكفي مِنَ الوسَائِلِ لتدفِئةِ جميعِ سُكّانِ البلادِ هذا الشّتاء». وعِندَها فإنَّ الخَوفَ مِنَ الحِرمانِ أو منْ فواتِ فرصَةِ الصّفقَةِ سوفَ يولّدُ نفقَاتٍ مُصطَنعة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

238. على وشَكِ الانفِجارِ الدّاخِلي

أمطَرَت طوالَ يَومِ السَّبت؛ في المسَاء، اكتَظّت السَّماءُ بالنُّجومِ وأعلَنَ خُبرَاء الأرصَادِ الجويّةِ الوطنيّةِ عن طَقسٍ جمِيلٍ غداً يومَ الأحدِ مُترافِقاً مَع عَصْفِ ريح شَديدٍ على غَابةِ فونتينبلو.

ورَغمَ أنَّ مكسيميليان لَم يَكُن مُتديّناً على نَحوٍ خاصّ إلّا أنّهُ اعتَبَرَ، في ظَرفِهِ الرّاهِن، أنَّ الله كانَ معَه. غاصَ في مِقعدِه، أمامَ حاسُوبِه، سَعيداً ومُدركاً لأهميّةِ المَهمّةِ المَنذُورِ لَها على الأرض. ثمَّ غفَى.

كانتِ الأبوابُ مُقفلَةً، ومَصارِيعُ النَّوافذِ مُغلَقةٌ بإحكَام. عِندَ اللّيلِ، تَسلّلَ زَائرٌ خِلسَةً إلى مكتَبِ المُفوَّضِ باحِثاً عن الحَاسُوب. كانَ الجِهازُ في وضْعيّةِ سُبات، ومُتأهباً لتَفعيلِ القنَابلِ إنْ لم يُدخِلْ أحدٌ رُموزَ الشّيفرة ليمنَعهُ عن ذلِك. تقدَّمَ الزّائرُ لإيقافِه؛ بتَعجُّلِهِ أوقعَ غرَضاً. الصَّوتُ، رَغمَ خفُوتِه، كانَ كافياً ليوقِظَ مكسيميليان الذي لم يَكن مُستَغرِقاً في غَفوتِه. وبالمناسبة، هو يتوقّعُ هجُوماً في اللّحظَةِ الأخيرَة. صَوّبَ مُسدّسهُ نحو الزّائر وضَغطَ على الزّناد. ارتَجّت الغُرفةُ بكامِلها عندَ انطِلَاقِ الرّصَاصَة.

تفادَى الزّائِرُ الرّصَاصَةَ بحيويَّةٍ. أطلَقَ مكسيميليان رصَاصَةً ثانيةً وتفَادَاها أيضاً.

ساخِطاً، أعادَ المُفوَّضُ تَذْخيرَ سِلاحِهِ وصوّب مُجدّداً. قرّرَ الزائِر أنَّ الحِكمة تَقتَضي الاختِباء في مكانٍ ما. بوثبةٍ، مضى إلى الصّالُون وتَوارَى خلْفَ السَّتائِر. أطلَقَ الشُّرطيُّ لكنَّ الزّائرَ أخفضَ رأسَهُ ومرّتِ الطّلقاتُ فوقَ جَبينِهِ.

أشْعَلَ مكسيميليان الأضْواء، وفَهِمَ الزّائرُ بأنَّ عليهِ تَغْييرَ مكانِ اختِبائهِ بالسُّرعَةِ القُصْوى. اندسَّ خلفَ مَقعَدٍ ذي مَسْنَدٍ عالٍ نَبْت عنهُ عدّة رصَاصَات.

أينَ يُمكنُ الاختِباء؟

مِنفَضةُ السَّجائِر. ركضَ ليرتَمي في الفاصِلِ بينَ عُقبِ سِيجارٍ باردٍ قديم والحافّة. رَغم الوسَائِد التي رفعَها الشرطيُّ والبُسُطِ والسَّجاجِيد، لَم يَعثُر عليهِ هذهِ المرّة.

انتَهزَت المِلكةُ 103 الفُرصَةَ لتلتَقِطَ أنفاسَها وتستَعيدَ هُدوءَها. غسَلتْ قرنيها الاستِشْعاريّينِ سَريعاً. حيَاةُ المِلكةِ ثمينةٌ جدّاً لتُجازِفَ بِها على هذَا النَّحو. ينبَغي أنْ تتفرّغَ للبَيضِ مُلتَزِمةً مقصُورَتها المَلكيّة. لكنَّ الرّقم 103 فهِمَت أنّها الوحِيدَةُ في العالَم الـتي تتَّصِف بما يَكفِي مِنَ «الإصْبعيّة» والنمليَّة لتَنْجَح في هذِهِ المَهمّة ذات الأهميّةِ الحاسِمةِ. وبما أنَّ التّحدّي إنقاذُ الغابَةِ منَ التّدميرِ وبالتّالي أعشَاش النّمل، فقد قَبِلت المُجازفةَ بمَصِيرها.

لا يزالُ مكسِيميليان يُصوّبُ مُسدَّسَهُ، مُطلِقاً على وسَادةٍ مِنْ حِينٍ لآخر. كانَ يلزمُ من أجلِ هدَفٍ مُفرطِ الصّغر إلى هذا الحدِّ سِلَاحٌ مُختلِف.

مضَى مكسِيميليان يُحضِرُ أنبوبَةَ رذَاذٍ منْ خزنةِ المطبَخ وبخَّ غمَامةً مِنْ مُبيدِ الحشَراتِ في صَالُونِه. عبِقَ الهَواءُ بروائِحَ قاتِلَة. مِنْ حُسْنِ طَالِعِ النّملَةِ أنَّ لِجَيبَيها الرّئويّين الضيّقَينِ اسْتِقلَال كبير. وبما أنَّ المُبيدَ يتبدَّدُ بمسَاحةِ الهَواءِ الكبيرةِ داخِلَ الغُرفة، بقِي التَّنفُسُ مُمْكناً. كان بوسْعِها، بالطَّبع، أنْ تَظلَّ في مكانِها نَحو عشرِ دقائِق بَعد ولكن لَم يَكن ثمّةَ فائِضٌ مِنَ الوقتِ ليُهدَر.

لاذَت المِلكةُ 103 بالفِرار.

فكّرَ مكسيميليان بأنَّ السُّلُطَات والمُحافِظ لم يَجِدوا خَصْماً يضَعونَهُ في مُواجَهتِهِ سِوى نَملَة، ممّا يعني أنّ حِيلَهُم نَفدَت ووصَلوا إلى طَريقٍ مَسْدُود. عندَ هذهِ النُّقطَة، وقَد أسرَّتهُ استِنتاجَاته، انطَفأ الضَّوء. كيفَ ذلك؟ ليسَ بوسْعِ نَملةٍ ضَئيلةٍ الضَّغطُ على مِفتاحِ الأمَانِ الكهرَبائيّ.

فهِمَ بأنَّ النّملَةَ تسلَّلت داخِلَ مَركزِ أتْمتَةِ المنزل. هل يَعني أنّها قادِرةٌ على فكِّ رموز لوحةِ الدّاراتِ المَطبُوعَة والتعرُّفِ على الخَطِّ الكهربائيّ الذي يَجبُ قَطْعه؟

«لا يجبُ أبداً الاسْتِهانَة بالخَصْم». هذا أوّلُ درسٍ يُعلّمهُ لطلّابِهِ في مَدرسَةِ الشُّرطَة. وها هوَ قدْ ارتكبَ للتوّ هذا الخَطَأ لمُجرّدِ أنَّ الخَصْمَ أصْغرُ مِنهُ بألفِ ضِعفٍ.

تزوّدَ بمِصْباحِ جَيبٍ هلوجِين يحتَفِظُ بهِ في دُرْجِ خِزَانَة. أضَاءَ آخِرَ مكانٍ ظَنَّ أنّهُ رأى فيهِ زَائِرهُ. اتّجَهَ لاحِقاً نحو عُلبةِ العدّاد ولاحظَ بأنَّ سِلكاً كهربائيّاً قَدْ قُطِعَ بالفعلِ بواسِطةِ فَكٍّ.

قالَ لنفْسِهِ، ليسَ سِوى نَملَةٍ واحِدةٍ بوسْعها فِعلُ ذلك: الرّقم 103، ملكةُ النّمالِ التي أُفْسِدَت.

في الظُّلمةِ، بحسِّها الشّميّ المُفرِط التّطوّر ورُؤيتها بالأشعَّةِ تَحتَ الحَمرَاء الكاشِفةِ للحَرارَة، أصْبحَ لدى النّملةِ قَدْرٌ مِنَ التّفوّقِ. غيرَ أنَّ اليومَ كان ليلةَ اكتِمالِ القمَرِ وبمُجرَّد أنْ فتَحَ مكسِيميليان مصَاريعَ النّوافِذ التي باتَت بلا فائِدَةٍ غمرَ الغُرفَةَ ضَوءٌ أزرقُ–بنفسَجيّ.

يجِبُ الإسْرَاع. رجعَتِ النّملَةُ باتّجاهِ المكتَبِ والحَاسُوب. أرشَدَتْها فرنسين إلى كيفِيّةِ التّسلُّل داخِلَه عبرَ شَبكَةِ التّهويةِ الموجُودَةِ في الخَلفِ. اتّبعت تَعلِيماتِها بدقّةٍ. بلَغَت الرّقم 103 المكانَ المَطلُوب. لم يبقَ أمامها سِوى مُعالَجةِ الوصْلَاتِ التي قدْ أُشيرَ لَها بتَعطِيلِها. مَشَت على الصّفائِح الإلكترونيّة. هنا، القُرصُ الصَّلبُ. هناك، اللوحةُ الأم. سَارَت فوقَ المُكثّفاتِ، الترانزستُورات، المُقاومات، مقاييسِ الجَهدِ الانْزلاقِي وأجهزةِ التّبريد. كلُّ ما حولها كانَ يَرتَجّ.

اكتَنفَ الرَّقم 103 إحسَاسٌ بأنّها تتَحرّكُ في بُنيَةٍ عِدوانيّة. كانَ ماك يافيل على عِلْمٍ بوجُودِها. صَحيحٌ أنَّ ليسَ لَديهِ عيُونٌ داخليّة غير أنّهُ كان يلتَقطُ نُقطَةَ التّماسِ الصَّغيرةَ في كلِّ مَرةٍ تَضَعُ النَّملَةُ أرْجُلَها على سِلْكٍ نُحاسِي.

لَو لماك يافيل يدَان لكانَ قدْ ذَبحَها.

لو لَديهِ مَعِدة لكانَ قدْ هضَمَها.

لو لَديهِ أسنَانٌ لكانَ قدْ هرسَها.

لكنَّ الحَاسُوب ليسَ سِوى آلةٍ جَامِدة تتألّفُ مِنْ مُكوّناتٍ ذاتِ أصْلٍ مَعدِنيّ. كانَتِ المَلِكةُ 103 القابِعةُ في جَوفِه تتذكّرُ مُخطَّطَ لوحَةِ الدّاراتِ المَطْبوعَةِ الذي أخبرتها عنهُ فرنسين لمّا، بغتةً، بواسِطَةِ رؤيتِها ما تَحتَ الحمراء، ميّزت خلاَلَ شَبكةِ التّهويةِ العَينَ الهائِلَةَ لعدوّها البشريّ.

تَعرّفَ مكسِيميليان على وسْمِ جَبينِها الأصْفَر ورشَّها بغمَامةٍ مِنَ المُبيدِ. كانَتِ الفُتُحاتُ التَّنفسيّة للنَملَةِ لا تَزالُ فاغِرةً وتَسْعُل لمّا وصَلَت غَمامةٌ أخرَى مُحوّلَةً جَوفَ الحاسُوبِ إلى مَرفأ إنكليزيّ غَارقٍ في السَّديم. أخذَ هواءُ الحَمْضِ ينخُرها مِنَ الدّاخِل، مُحالٌ تَحمّلُ ذلك.

هواء، بسرعة.

خرجَت مِنْ فُتْحةِ قارئِ الأقراصِ واستَقبلَتها عِياراتٌ ناريّة جدَيدَة. تَعرَّجَت بينَ الطّلَقاتِ التي كانَت لَها بمثَابةِ صَواريخ. ما كانَ مِصْباحُ الجَيبِ يُفلِتها وهي تَعدُو داخِلَ بُقعةِ الضّوء.

لتَهربَ منَ الكاشِف، ركضَت سَريعاً تَحتَ بابِ المكتَبِ لتَصِلَ حُجرَةَ الصَّالُونِ واندَسَّت تَحتَ ثنيةِ إحدَى السّجاجيد. رُفِعت السّجادة. فألقيت تحتَ مِقعدٍ. قُلِبَ المِقعدُ.

ركضَتِ النّملةُ مَذعُورةً بينَ الأحذِية، لا تلبَثُ الأصَابع التي تَبحثُ عنها تزدَاد. باتوا عشرَة علَى الأقلّ. التَجأت داخِل غابَةٍ منَ النّايلون لحافّةِ مُوكيتٍ كثيفٍ.

والآن؟ حرّكت القَرنينِ والتقَطَت تيّارَ هواءٍ أسودَ كالشَّحار. غادَرتِ المُوكيتَ بالسُّرعَةِ القُصوى مُندَفِعةً قُدماً باتّجاهِ النّفقِ العَمُوديّ. مَلاذٌ مُمتَاز. هذا صَحِيح، غيرَ أنَّ الكشّافَ لا يزالُ يُلاحِقُ خطَواتِها.

– أنتِ في المُوقِدَة، هذِهِ المرّة أمسكتكِ، الرقم 103، أيّتُها النّملَةُ اللّعينَة! صَاحَ مكسِيميليان وهو يُمشّطُ داخِلَ المَوقِدةِ بشُعاعِ ضَوءِ مِصْباحِ الجَيب.

صَعَدتِ النّملَةُ داخِلَ النفقِ العَمُوديّ الهائِل، خائِضَةً في السُّخَام.

أرادَ مكسِيميليان أنْ يرشَّ عليها منْ جَديدٍ غمَامةً منَ المُبيدِ ولكنَّ الأنبُوبَة

قدْ فرَغَت. بما أنّ المَوقِدةَ واسِعة بما يكفي في جزئِها السُّفليّ لتمرِّرَ جسَدَ بشَريّ بالِغ، قرَّرَ أنْ يتسلّقها لسَحْقِ الرّقَم 103. طالَما أنّه لم يرَ جسَدَ هذهِ الحشَرةِ اللّعينَة مُمزّقاً فلَن يثِقَ مِنْ مَوتِها.

تشبَّثَ الإنسَانُ بالحَجرِ القدِيم، يتَبادَلُ قطِيعَاه البالِغ كلّاً مِنهما خمسَةَ أصَابع مَعلُوماتٍ بشَأنِ تقدُّمِهما عبرَ مَركزِ التَّواصُلِ الدّماغِيّ. أمّا قدماهُ في الخلفِ فلا تزالَانِ تتَصرّفانِ بحَماقَةٍ داخِلَ سِجْن الأحذِيَة وهُما تَبحثَانِ عن نقاطِ استِناد. لكن، كلّما ضاقَ المَسْرَبُ، سَهُل عليهِ تَسلّقه. مُتكئاً على كوعيهِ ورُكبتَيه، أخذَ مكسِيميليان يتقدَّمُ بيُسرٍ مثل مُتسلّقِ جِبالٍ جيّد.

لم تتوقّع المِلكةُ 103 أنْ يتبَعها. صَعَدت لمسَافةٍ إضَافيّة. صَعَدت بَعدُ أكثر. تلتَقِطُ النّملَةُ الرّوائِحَ الزَيتيّة **للأصَابعِ** الذينَ يُطاردونَها. بالنّسبَةِ للنِمَال، **للأصَابعِ** رائحةُ زَيتِ الكستَناء.

أخذَ مكسِيميليان يلْهَث. التَّسلُّقُ بأربَعةِ قوائِم داخِل مِدْخَنة عَمُوديّة، ليسَ مُناسِباً لسِنّهِ. أضَاءَ أعلَى المَسْرَبِ وظَنّ أنّهُ ميَّزَ قرنَينِ ضَئيلَينِ يَسخَرانِ مِنه. صَعَد بِضْعة سنتمتراتٍ إضَافيّة. أخذَت المِدخَنةُ تَضيقُ شَيئاً فشَيئاً وكانَ يَجِدُ صعُوبةً في تَمرِيرِ كامِلِ جسَدِهِ دُفعَةً واحِدَة. رفَعَ في البدَايةِ جانِبهُ الأيمَن، ثمّ، لمّا عَلِق، أنْهَضَ كتِفهُ الأيمن، ولمّا علِقَ بِدورِه ألقى بذِراعِهِ اليُمنَى عالياً.

اختَبأتِ المِلكَةُ 103 حاشِرةً نفسَها في فَجوةِ لَبنةٍ أضَاءَها مكسِيميليان مُباشَرة. يَصْعُبُ الوصُولُ إلى المَخبأ ولكن لن يدَعَ الرقَم 103 تَهرب بعدَ أنْ تكبَّدَ كلّ هذا العَناء. وبما أنَّ ذِراعهُ باتَت عاجِزةً عن التقدّمِ أرسَلَ مِعصَمهُ للهُجُومِ عليها.

ارتَدّتِ النّملَةُ إلى الخَلف. ولمّا أخذَ **إصْبعٌ** يدنو مِنها أدركَت أنّها وقَعت في مأزِقٍ.

- الآن، أمسَكتُك، تَمتَم مكسِيميليان كازّاً على أسنَانِه.

كان لَديه شُعور بأنّهُ لَمسَ النّملةَ ونَدِمَ أنّه لم يَضرِب بشدّةٍ أكبَر. غرَز سُبابَتهُ داخِلَ الفَجوةِ ولكنَّ المِلكة 103 قامَت بوثبَةٍ صَغيرةٍ جانبيّة وعضّتِ الإصْبَعَ بفكّيها إلى أنْ أدمَتهُ.

- أخْ!

نزَّ الدَّمُ مِنَ الجُرحِ الطَّفِيف. تُدركُ النّملَةُ أنّه لم يتَبقّ سِوى إطلَاق الحَمْضِ داخِلَ الجُرْح. فقد تَكونُ الرّشقَةُ لاذِعة بما يكفي لتُحدِثَ أثراً قويّاً، إذْ إنّها أتْرَعَت غُدَّتها البَطنيّة، مِن أجلِ هذِهِ الواقِعةِ تَحدِيداً، بالحَمْضِ المُركّزِ بـنِسبةِ 70%.

اتَّخذت المَلِكةُ 103 وضْعيَّةَ الرَّمي وأخطَأت هدَفَها. سالَ سُمّها على الظّفرِ دُونَ أنْ يُحدِثَ أيَّ ضَرر. صفَقَ الإصْبَعُ الهواء. غَدَا القِتالُ، وقدْ علِقَت في عُمْقِ مَخبَئِها، شِبهَ مُتَعادِل.

ليسَت سِوى نَملَةٍ صغيرة مُرهقَة في مُواجَهةِ سُبابةٍ فتّاكة. أسلِحَةُ النَّملةِ: جَيبُ الرّمي البَطني المُتخَمِ بحَمْضِ النّمليكِ والحَوافّ الحادّةِ لفكّيها الصَّغيرَين.

أسلِحةُ **الإصْبَع**: الحافّةُ الحادَّةُ لظفره والجَانِب المُفلطَح لظفرِهِ وبأسُ عضَلَاتِه.

لهثَ مكسِيميليان جرّاءَ الجَهد. أرادَ أنْ يُرسِلَ **أصَابعَ** أخرى لمسَانَدةِ سُبابتِه. خَدَشَ يدَهُ إلّا أنّهُ استَطاعَ إدْخَال أَربعَةِ **أصَابعٍ** في فجوةِ اللّبنَة.

نَشَبتِ المُبارَزة. وكما أخطبوطٌ ضَخمٌ خارجٌ مِنْ روايةِ جول فيرن *عشرُونَ ألفَ فرسَخٍ تحتَ الماء*، حاولَت يَدُ مكسِيميليان لينار ضَربَ خَصْمِها الصَّغيرِ صَافِقةً الهواءَ في جَميعِ الاتّجاهَات.

كانَتِ النَّملَةُ تَشعُر بالإعجَابِ والذّعر في آنٍ معاً إزاءَ هذِهِ اليدِ المُقاتلةِ المُخيفَة. حقّاً، لا يُقدّرُ **الأصَابعُ** حظّهم بامتلاكِ زوائِدَ كهذهِ! تفادَت بأقصَى طَاقتِها المِجسَّاتِ الورديّة الطويلَةِ التي راحَت تتَطَاولُ أبعَد لسَحقِها. أطلَقَت عدّةَ رشقاتٍ، دون أن تُفلِحَ في إصَابَةِ هدَفِها الأحمَر. فقرَّرَت إكثَارَ الجِراح. شقّت اللّحمَ الوردِيّ بشُطوبٍ صَغيرة أخرَى.

لا تلبثُ عَصَبيّةُ **الأصَابع** تزدَاد ولكن دونَ أنْ يَستَكينُوا. لم تُدركِ النّملةُ مدَى تَصمِيمهم. أصَابَتها ضَربة في الوَجْهِ فألقَت بِها في عُمقِ مَخبَئِها.

اليَدُ مُتهيئةٌ لنَقرةِ إصْبعٍ جدِيدَة. السُّبَابةُ مقوّسَة بالكامِل، لا تَحتاجُ إلّا أنْ يُحرّرَها الإبهَامُ لتنطَلِق قويّةً ومُستَقيمَة.

عَدُويّ الحَقيقيّ الوحِيد هوَ الخَوف.

فكّرَت بالأميرِ 24، زَوْجها ليومٍ واحِد. كانَ قدْ خصَّبَها. وقريباً ستَبيضُ. ماتَ مِنْ أجلِها. من أجلِهِ فقَط عليها أنْ تبقَى.

ميَّزت الشّقّ الأكثرَ اتّساعاً، وبكلّ قوّتِها، أرسَلَت إليهِ سُمَّها.

جرّاءَ الحِرْقِ ارتدَّ الإنسانُ قليلاً إلى الخَلْف، فاقِداً التّوازُن، سقَطَ بكامِلِ ثِقلِهِ وانهَارَ وسَطَ الرّماد. بقيَ هناكَ جاثِماً وقَد تهشّمت فقراتُ عُنقِه.

انتهت المُبارَزة. لَم تُصوّر أيّةُ كاميرا الإنجَاز. مَنْ يمُكنهُ أنْ يُصدّقَ ذلكَ يَوماً ما؟ نَملَةٌ، نَملَةٌ شَديدَة الصّغر هزَمَت جالوتاً.

لَعقَت جِراحَها. ثمّ، كما هيَ عَادتُها بَعدَ النّزالِ، أجرَت تَنظِيفاً سَريعاً: لَعقَت قَرنَيها، وملّسَت وبَرَهما، لَعقَت أرْجُلها واسْتَعادَت هدُوءَها.

تَبقَى أمامَها الآن إنْهاءُ العَمل. إنْ لَم يَصِل الرَّمزُ لماك يافيل خلال بِضْعِ دقَائِق فسيُفعّلُ القَنابلَ الحَارِقَة. وبينَما هي تَعدُو لاحظَت ظِلاً يُلاحِقها. استَدارَت ورأَت وحشَاً طائِراً عِملَاقاً. جسدَهُ مكسُوٌّ بأجنِحَةٍ رفيعَةٍ طَويلَةٍ ورخوَة تَزيدُ ألوانُها القُرمُزيّة والسَّوداء رُعباً على هيئَتِهِ المُفزِعَة. قفزَت المَلكةُ 103 مِنَ الخَوف. لم يَكُن ذلكَ طَيراً. كانَ لدى الحيَوان عيُونٌ كرَويّة ضَخْمَة أخذَت تَدُورُ في كلّ الاتّجاهَاتِ إلى أنْ ثَبتَت في النّهايَةِ على النّملَة. فتَحَ الفَم وتصاعَدت كُراتٌ لا رَائِحةَ لها نَحوَ السَّماء.

سَمَكة.

كفَى شُرُوداً.

عادَتْ للهُجُوم على الحَاسُوب. ما زالَت رَوائِحُ المُبيدِ الكَريهَةِ في جَوفِه ولكنَّها باتَت مُحتَملَة.

حاولَ ماك يافيل أنْ يُرسِلَ إليها شحنَاتٍ كهربائيّةً قَصِيرَةً ليصْعَقها ولكنَّ النَّملَةَ أخذَت تَتَقافَزُ مُتجنّبةً هذِهِ الفُخُوخ. ركّزت انتِباهها على مُهمّتِها الأسَاسيّة: قَطْعُ الأسْلاكِ المُتّصِلَةِ بجِهازِ البثّ الذي يتَحكّمُ بالقنَابِل.

لا يَجبُ الخَطأ. ولا سيّما في اختيارِ السّلك.

خطَأ واحِد، وبدلَ أنْ تنزَعَ فتيلَ القنبُلَة، يُمكنُ أنْ تُشعِلَ الكارِثَة. كانَ فكّاها يرتَجِفان مُنهكةً مِنْ نِزَالِ المَوت. الهواءُ الملوّثُ بالسُّمِّ يَحولُ دونَ

تفكيرها برَويّة. سارتِ النَّملَة على طُولِ دَربٍ نُحاسيّ لا يتجاوزُ رفعَه رفْعَ إحدَى شُعيراتِها. تَجاوزَت ثلاثةَ مُعالِجاتٍ دَقيقَة، انعطَفَت عِندَ مُفترقٍ مُكتظ بالمُقاوماتِ والمُكثّفات. تقتَضي التَّعليمَاتُ بأنْ تقطَعَ السِّلكَ الرّابع السفليّ.

أنْهكَت الغِلَافَ البلاستِيكيَّ ثَنياً ومدّاً، ثمّ النُّحاس وقطّرَت سُمّاً فوقَه. ولكن وهي في مُنتَصَفِ القَطْعِ، قالَت لنفسِها، لا، ليسَ هذا الرّابع وإنّما أحدُ السّلكينِ المُلتَصِقينِ بهِ.

فعّلَ ماك يافيل مِروحَة التّبريدِ ليسْحَبَ الحشَرةَ ويطْحنها بينَ الشّفراتِ. عاصِفَة!

لئلّا تُؤخَذ المَلِكة 103 مِنْ تلكَ العَاصِفة المُباغِتة، امتَطَت المُكوّناتِ مُتَشبّثةً بِها. بعدَ أنْ هزَمتِ الإنسَان، كانَ عليها أنْ تَهزِمَ الآلَة. بدأ ماك يافيل مُترافِقاً مع دَنِينِ عدّهُ التّنازليّ الذي سيُفجّرُ القنابِلَ في الغابَة.

بدأ العدَّادُ الرّقميّ المُواجِهُ للنَملَة، يُضِيئها بالأشكالِ الحمْراء لكلِّ رقَمٍ منْ أرقَامِه.

10، 9، 8، ... لم يتبقَّ سِوى سِلْكين ولكن، بالنّسبةِ للنَملَة، برؤيتِها تَحت الحَمْراء، كانَت تَرى الأخضَرَ والأحمَرَ بنيّاً فاتِحاً.

7، ... 6، ... 5، ...

قطَعَت الملِكَةُ واحِداً مِنْهُما لا علَى التّعيين. استمرَّ العدّادُ في جَريه.

ذَلكَ لَم يَكن السِّلْك الصَّحِيح!

سارعَت إلى قَطْعِ الأخيرِ بيأسٍ.

4، ... 3، ... 2، ...

فاتَ الأوان! لَم يُقطَع سِوى نِصفُ السّلك. رَغمَ ذَلك، تَوقّفَ العدُّ التّنازليّ عندَ 2. تَعطّلَ ماك يافيل للتوّ.

نظَرتِ النَّملَة، مُنذَهِلة، إلى العدَّادِ الجَامِد عِندَ الرّقم اثنين.

عندَئذ، حدَثَ شَيء غيرُ منتَظَرٍ في دَاخِلِ الرّقم 103، ضَغطٌ مُثيرٌ تصَاعَدَ داخِلَ دِماغِها. ربّما بسَببِ جَميع الانفعالَاتِ التي عَرفَتها إلى اللّحظَة، أخذَ خَلِيطٌ فيرومُونيّ غريبٌ يُولّدُ جُزيئاً مَجهُولاً داخِل ذِهنِها. كانَتِ المِلكَة 103

عاجِزةً عن السَّيطَرةِ على ما ينتَابُ جسَدِها. راحَ الضَّغطُ يرتَفعُ، يَفورُ، يطغَى، ولكنّهُ غيرُ مُزعِجٍ أبداً.

وكما بفعلِ سِحْرٍ، بدأت جمِيعُ التوتّراتِ التي كابدَتها جرّاءَ المَخاطِرِ التي مرَّت بها تَتَبدّدُ واحِدةً تلو الأخرَى.

وصَلَ الضَّغطُ إلى قرنَيها. ذلكَ يُشبِهُ ما شَعرتهُ أثناءَ مُمارسَةِ الحُبّ مع الرّقَم 24. لا، هو ليسَ الحبّ. وإنّما، وإنّما...

الفُكاهَة!

انفَجرَت بالضَّحِك، الذي تبدّى باهتزازاتِ رأسٍ لا ضابطَ لها مع إفرازِ قدْرٍ مِنَ اللعاب ورَجفَةٍ بالفكّين.

239. موسوعة

فكاهة: ذكرَ جيم أندرسون، عالِمُ الرّئيسِيّاتِ بجامِعةِ ستراسبورغ، حالَةَ الفُكاهَةِ الحيَوانيّةِ الوحِيدَةِ التي أحصِيت في السّجلاتِ العِلميّة. سَجّلَ هذَا العالِم حالَةَ كوكو، وهو غوريلّا مُدرّب على لُغةِ الإشَارةِ لدى الصمّ والبُكم. سألَهُ ذاتَ يَومٍ أحَدُ القائِمينَ على الاختِبارِ عن لَونِ مِنشَفةٍ بيضَاء، فقامَ بإيماءَةٍ تَعني «حمراء». كرّرَ المُختَبِرُ السّؤالَ ملوّحاً بالمِنشَفةِ أمامَ عينيّ القِرد وفقاً لقواعِدِ الاختِبار، وحصَلَ على نَفْسِ الإجَابَةِ ولَم يفهَم لِماذا كانَ كوكو مُصِرّاً على خطَئِه. وعِندَما بدَأ الإنسَانُ يفقِدُ صَبرَه، التقَطَ الغوريلّا المِنشَفة وأظهَر لَهُ الطَّرفَ الأحمرَ المنسُوج على حافّتها. إذن قدّمَ ما يُسمّيهِ عُلماءُ الرّئيسيّات «مُحاكاةَ اللّعِب»، أي بَسْمة هازِئة، شَفَتينِ مَرفُوعتَينِ للأعلَى، أسنَاناً أماميّةً مكشُوفة، وعيُوناً موسّعة. ربّما كانَ الأمرُ فُكاهَة...

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق، المُجلّد الثالث.

240. لقاءٌ مع شخصٍ مُدهش

تشَابكت الأصَابعُ. وضمَّ الرّاقِصونَ شَريكاتِهم بثَبات.

حفلَةٌ راقِصَة في قَصْر فونتينبلو.

بمُناسَبةِ تَوأمَةِ المدِينَةِ مَع مدينَةِ إيسبيرغ الدّنماركيّة، أُقيمَ حفلٌ هناكَ في المَنزلِ التّاريخيّ. وجرَى تَبادُل أعلَام، تَبادُل مِيداليّات، وتَبادُل هدَايا. كما قُدّمَت عُروضٌ لرقَصاتٍ فولكلوريّة، جَوقاتٍ مَحلّية. وتقدِيمِ اليافِطَة: «فونتينبلو-هاتشينوه-إيسبيرغ: **مُدن توائِم**»، التي ستُثبّتُ منَ الآنَ فصاعِداً عِندَ مداخِلِ الأماكن الثّلاث.

أخيراً تذوّقُ الأكوافيت وخَمر الخَوخِ الفرنسِيّ.

ما زالَت سيّارات تَركنُ في الباحَةِ الرئيسَةِ رافعةً علَمَي البلَدين يتَرجَّلُ مِنها أزواجٌ متأخّرونَ في لباسِ السَّهرة.

كانَ المَسؤولُونَ الدانِماركيّون الرّسمِيونَ ينحَنُونَ مُجامِلينَ نُظَراءَهم الفرنسيّينَ، الذينَ كانوا يشّدونَ على أكفّهم. ثم يتَبادَلونَ الابتِسامَات وبطَاقاتِ التّعريفِ وتقدِيمِ الزّوجَات.

اقتربَ سفيرُ الدِّنمارك مِنَ المُحافِظ وهمسَ لَهُ بأذنِه:

- تابَعتُ على نَحوٍ ما مُحاكمَةَ النَّمل. إلامَ انتَهى الأمرُ بالضَّبطِ؟

توقّفَ المُحافِظُ عن التَبسُّم. تساءلَ في سرّهِ إلى أيّ حدٍّ تابَعَ مُخاطِبهُ القضيَّة. لا بدَّ أنّه قرأ مقالاً أو مقَالينِ في الصَّحافَة. تملّصَ مِنَ الإجابَة.

- بشكلٍ جيّد. جيّد. شكراً لاهتِمامِكَ بقضَايانا المَحليّة.

- أتستَطيعُ أنْ تُطلِعني أكثر عن الموضُوع، هل حُكِمَ على أصْحَابِ الهرَم؟

- لا، لا. هيئَةُ المُحلّفينَ كانَت رَحيمة جدّاً. اقتَصرَ الأمرُ على تَعهُّدِهم بعدَمِ تَشييدِ مَنزلٍ في الغَابَة مِنْ جدِيد.

- ولكن تنَاهَى إلى سَمْعي أنَّ مُحادَثَةً جرَت مع النّملِ عبرَ آلة؟

- إنّها مُبالغاتٌ صَحَفيّينَ. انخدَعُوا وأنتَ تَعلَم كيفَ هُم مُستعدّونَ لتَسلِيطِ الضّوءِ على أيّةِ قصّةٍ مُقابلَ بيعِ صُحفِهم الرّدِيئَة.

ألحَّ سَفيرُ الدّانِمارك:

- ولكن، رَغمَ كلّ شَيء، كانت هناكَ بالفعلِ آلة تسمَحُ بالتكلّمِ عبرَ تَحويلِ فيرومُوناتِ النَّملِ إلى كلِماتٍ بشَريّة.

انفجرَ المُحافِظ دوبيرون ضَاحِكاً.

- آه! أنتَ أيضَاً صدَّقتَ ذلك؟ لقد كانَ خُدعَة. حَوض، قارُورَة، شَاشَةُ حاسُوب. هذِهِ الآلةُ لَم تَكن تَعمَل. كان أحد المُعَاونينَ لهم موجُوداً في الخَارِج يُجِيبُ مُتظاهِراً أنَّهُ النّملَة. ربّما صَدَّقَ السُّذجُ ذلك لكنَّ المسألَةَ انكشَفَت.

تناولَ الدّانماركيُّ شَرحةَ خبزٍ بسَمكِ الرنكة الحلو وازدَرَدَّها مَع كأسِ خَمْر.

- إذنْ، لَم تكنْ النّملَةُ تتكلّم؟

- سيَتكلّم النّملُ في اليَومِ الذي يَظهرُ فيهِ للدَجَاجِ أسنَان!

- مم...، قالَ السَّفير، يُقَالُ بأنَّ الدَّجَاج مُتحدّر بَعيدٌ مِنَ الدّيناصُورات، فلربّما كانَ لهُ أسنَان...

لا يلبَثُ الحَديثُ يُغيظُ المُحافِظ. حاولَ التملُّص. ولكنّ السَّفيرَ أخذَهُ مِنْ ذِراعِهِ وأصَرَّ:

- وتلكَ النّملَة الرّقم 103؟

- بعدَ المُحاكمَة، أُطلِقَت جمِيعُ النّمالِ في الطّبيعة. لَن نَجعلَ مِنْ أنفسِنا أضْحُوكةً بالحُكمِ على نِمالٍ؟ سيَسْحقُونَهنّ تلقائيّاً الأولادُ والمُتنزّهون.

لا يلبثُ يزدَادُ حولَهما الأشخَاصُ الذين يمدُّونَ هوائيّات هواتِفهم النقّالة. لا يتوقّفُ الجَميعُ عن التكلّمِ مع مكانٍ آخر بفَضْلِ هذِهِ القُرونِ الاصْطِناعيّةِ بينَما هُم لابثونَ في أمكنتهم.

حكَّ السَّفيرُ قمّة جُمْجُمته.

- والشبّانُ الذين احتلّوا الثانويّة باسمِ **ثورةِ النّمل**؟

- هم أيضَاً، أُطلِقَ سَراحُهم. أظنّ أنّهم أوقَفوا دراسَتَهم، وجَميعَهم تقريباً، أنشأوا شَركاتٍ صَغيرةٍ إمّا للمعلُوماتيّةِ أو للخدَمات. هذا العَملُ يُحقّقُ نَجاحَاً كما يُقال. أنا مَع تَشجِيعِ الشبّانِ بأنْ ينطَلِقوا بمشَاريعَ تَعنِيهم.

- والمُفوّض لينار؟

- تعرّضَ لسَقطةٍ عنِيفةٍ علَى السّلالِم.

بدأ السَّفيرُ يفقِدُ صَبْرهُ.

- مَنْ يُصْغِي إليكَ، يظنُّ أنّه لَم يَحدُث شَيء؟

- أعتَقِدُ أنّنا بالَغنا كثيراً بقصَّةِ «**ثَورةِ النّمل**» ومُحاكمَةِ الحشَراتِ هذِه. أسرُّ لك...

همسَ غامِزاً السَّفير.

- ... كان ذلك ضَروريّاً بعضَ الشيء لإطلاقِ السّياحَةِ في المِنطَقة. مُنذ هذه القصّة، باتَت الغابَةُ تستَقطِبُ ضِعفَي زُوّارها. ذلك جيّد. يُنعِشُ صُدورَ النّاسِ ويُحْيي التّجارَةَ المَحليّة. فَضْلاً عن ذلك، إرادَتكم بالتوأمَةِ مَع مدِينَتِنا مُرتَبِط بهذِهِ القِصَّة إلى حدّ ما، أليسَ كذلك؟

قَبلَ الدّانِماركيّ أنْ يَستَرخِي قلِيلاً.

- أجَل، إلى حدّ ما، أعترِفُ بذَلك. في بلدِنا، حازَت هذِهِ المُحاكمَةُ الغَريبَةُ على اهتِمامِ النّاس. حتّى أنَّ بعضهم قدْ فكّرَ بأنّه يُمكِنُ أنْ تُوجدَ يوماً ما سِفارةٌ نمليّة لدَى البَشَر وسِفارة بشَريّةٌ لدَى النَّمل.

صَدَرت عن دوبيرون ضِحكةٌ دُبلوماسيّةٌ صَغيرة.

- مِنَ الضَّروريّ إبقَاءُ مَلَاحِمِ الغابَات حيّة. مهما بدَت غرائبيَّة. بالنّسبَةِ لي، أشعُرُ بالأسَى أنّهُ مُنذ بدايَةِ القرنِ العشرين لَم يَعُد هناكَ كتّابُ مَلاحِم. كأنّ هذا النوع الأدبيّ طَواهُ النّسيَان. على أيّةِ حالٍ تَبيّنَ بأنَّ هذِهِ «الأسْطُورة» الخاصَّة بِنمالِ غابَةِ فونتينبلو جيّدةٌ للسِياحَة.

عِند هذِه النُقطَةِ نَظرَ دوبيرون إلى سَاعتِه، لقد حانَ موعِدُ إلقَاءِ الكلِمَة. صَعدَ المِنبَر. أخرجَ «ورقته المُعتَادة حولَ التّوأمَة»، بطَريقَةٍ رسميّة، وقد باتَت مثنيةَ الزّوايا ومُفرِطةَ الاصْفِرار، ثمّ أعلَنَ:

- أرفَعُ كأسِي نَخبَ الصَّداقةِ بينَ الشُّعوبِ والتّفاهُم بينَ الأفرادِ أصْحَابِ النَوايا الطيّبة من شتّى البلدَان. نَحنُ نَهتمُّ لأمرِكم وآمل أنْ يكونَ أمرَنا يَهمّكم. بغضّ النّظَرِ عن العادَات، التّقاليد، التّكنولوجيّات، أظنُّ بأنّنا نُثري بعضَنا بعضَاً على نَحوٍ مُتبادِل، ولا سيّما أنَّ اختِلافاتِنا كبيرَة...

أخيراً، سُمِحَ لمَن نفدَ صَبرهم بالجلوسِ ثانيةً وصَرف انتباهِهم إلى أطبَاقِهم.

- ستَصِفني بالسّذَاجةِ ولكنّني قد صدَّقتُ حقّاً أنّ ذلكَ مُمكن؟ تابَع الدانماركيّ.

- ما هو؟

- سِفارةُ النّملِ لدَى البشَر.

حدَجَهُ دوبيرون في عينَيهِ حَانِقاً. عَملَ إشَارةً بيدِهِ كأنّما أرادَ تَجسِيدَ شَاشةٍ سينَمائيّة كبيرة.

- أرى المشهَدَ بوضُوح. أنا في استقبَالِ الملِكةِ 103، وهي تتقدّمُ مُرتدِيةً باعتِبارِها مَلِكةً فستَانَها الصّغير المُقصّبَ ومُعتَمرةً تاجَها. فأبادِرُ إلى تَسليمها وسَامَ فونتينبلو للجدَارةِ الزّراعيّة.

- لمَ لا؟ يُمكِنُ لأولئكَ النِّمالِ أنْ يكنَّ فرصَةً ثَمينةً لكَ لا تُفوّت. إذا نَجَحتَ باستِمالَتهنّ، فسَيعملنَ بأسْعارٍ لا تُنافَس. ستعامِلهنَّ مثلَ شُعوبِ العالَم الثّالِث. بالتّنازلِ لهنَّ عن بَعضِ الحُليّ الرّخيصَةِ، ستَنهَبُ كلَّ ما هو جيّدٌ لَديهم أو قابِلٌ للاستِخدَام. ألَمْ نتَعامَل بهذِهِ الطّريقَةِ مع هنُودِ أمريكا؟

- أنتَ مُتهكّم، قال المُحافظ.

- هل بوسْعِنا أنْ نَحلُمَ بيدٍ عامِلةٍ رخِيصَة، وفيرَة العدَد، دقيقة الحَركاتِ أكثَر مِنهنَّ؟

- صَحِيح، قَدْ يستَطِعْنَ حِراثَةَ الحُقولِ بحُشُودٍ غفِيرَة، أو العثُور على ينَابيعِ المِياهِ الجَوفيّة.

- وقَدْ يُمكِنُ استِخدَامهنَّ في الصِّناعاتِ الخَطِيرةِ أو الحسَّاسَة.

- أو ربّما يُصبِحنَ مُساعِداتٍ عسكريّاتٍ رائِعات، سَواء مِنْ أجْلِ التجسُّسِ أو التّخريب، أضَافَ المُفوّض دوبيرون.

- بإمكانِنا إرسَالُ نِمالٍ إلى الفضَاء، لنُرسِلَهنَّ بدَلَ المُجازَفةِ بحيواتٍ بشَريّة.

- ربّما. ولكن... تبقَى هناكَ مُشكِلة.

- ما هي؟

- التَّواصُل معَهنّ. آلة «حجرِ رشيد» لا تَعمل. ولَم تَعمل يَوماً. أبلغتُكَ بذلِك، كانَت آلةً زَائِفة. كان هناكَ مُعاونٌ في الخَارجِ يتكلَّمُ عبرَ ميكروفُون مُتظَاهِراً أنّهُ حشَرة.

بدَتِ الخَيبَةُ على السَّفيرِ الدّنماركيّ واضِحةً جدّاً.

- لديكَ الحقّ، في المُحصّلَة، لا يتبقّى مِنْ كلّ ذلكَ سِوى ملحَمة. مَلحَمة غاباتٍ حدِيثَة.

قرعَا كأسَيهما وتكلّما عن أشياءَ أكثرَ جديّة.

241. موسوعة

عَلامة: حدَثَ معي في الأمسِ شَيءٌ غَريب، بينما كنتُ أتنزّهُ اجتَذبَ بصَري، فجأةً، عنوانٌ عِندَ بائِع كتبٍ قَدِيمة، *الثاناتونوتيون*[1].

قَرأتُه. يؤكّدُ المؤلِفُ فيه بأنَّ الحدُودَ الأخيرةَ المَجهولَةَ للإنسَان هي نِهايتُه. تَخيّلَ رُواداً يذهبُونَ لاكتِشافِ الفردُوسِ مثلَما فعَلَ كريستُوف كولومبس لاكتشَافِ أمريكا.

اسْتلهَمَ المناظِرَ الطّبيعيّةَ والوسَطَ العَام مِنَ الفَرادِيسِ المَوصُوفةِ في كُتبِ موتَى التِّبتيّين والمِصْريّين. الفِكرةُ غريبَة. سألْتُ بائِعَ الكتُبِ الذي أبلغَني أنّه حتّى ذلكَ الحِين، لم يَحْظَ الكِتابُ بصدَى طيّب. وهذا غير مُستَغرب. فالموتُ والجنّةُ هما موضُوعانِ مُحرّمانِ في بلَدنا. ولكن كلّما نظَرتُ إلى هذا الكِتاب، *الثاناتونوتيون*، يزدَادُ إحسَاسِي بالضِيق. لَم يكن الموضُوع هو ما أربكنِي، وإنّما شَيءٌ آخر. الفِكرةُ المُخيفَةُ التي التَمعَت في ذِهني، مثلَ بَرق: «ماذا لو أنّي، إدمون ويلز، ليسَ لديّ وجود؟» ربما لَم أكن موجوداً يوماً. ربما لست سِوى الشّخصيّةِ الوهميّةِ لكاتِدرائيّةٍ ورقيّة. كما أبطال كتاب *الثاناتونوتيون* تماماً.

حسَناً، سَوفَ أتَجاوزُ هذا الجِدارَ الوَرقيّ لأخاطِبَ قارِئي مُباشرةً. «صبَاحُ الخَيرِ لكَ يا مَنْ لَديكَ الحَظّ في أنْ تكونَ حقِيقيّاً، ذلكَ أمرٌ نادِر، تَمتّع به!».

إدمون ويلز،

***موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*، المُجلّد الثالث.**

1- Les Thanatonautes: كلمة من أصل يوناني تعني، مستكشفو الموت، ومجازيّاً، العائدون من الموت، وكلمة (Thanatonaute) مركّبة من كلمتين (thanato): الموت، و(naute): المُستكشف.

242. دَرْبٌ جدِيد

داخِلَ الحَاسُوبِ الهَادِر، حيثُ عالَمُ *انفرا-وورلد*، العالَم الافتِراضِيّ الذي ابتَكرتهُ فرنسين في الماضِي والذي واصَل عَيشَهُ مُنعزلاً عن الخَارج؛ ما عادَ من أحَدٍ يكترِثُ لأمرِه.

دَاخِلَ هذا العالَمِ الذي ليسَ لَهُ وجودٌ تقريباً بدأ رِجالُ دينٍ وعُلَماء، هنا وهناك، يَنْطَلقونَ لاقتِحامِ البُعدِ العُلويّ الذي تَقبّلوهُ أخيراً. كانَ أوّل مَن افترضَ وجودَهُ، واحِد مِن روائيّي الخيَالِ العِلميّ، ثمّ تأكّدَ الافتراض بفضْلِ الصَّواريخِ والتِلسكوب. ما يَدعُونهُ «ما وراء العالَم»، وقَدْ بَاتوا على يَقينٍ بذلك، هو عالَم ينتَمي إلى بُعدٍ آخر. حيثُ يَعيشُ أناسٌ مِثلهم غيرَ أنّهم يُدرِكونَ الزّمانَ والمكانَ على نَحوٍ مُختلِف.

استنتَجَ أناس *انفرا-وورلد* بأنَّ أصْحَابَ البُعدِ العُلويّ يستَخدِمُونَ حاسُوباً لديهِ برنَامجٌ يَصِفُ عالَمهم بأدقّ التّفاصِيلِ وهم بوصْفِهِ يَجعَلونَ لَهُ وجُوداً. أدركَ شَعبُ *انفرا-وورلد* بأنَّ ليسَ لَديهم واقِعٌ خارجَ عالَمٍ وهميّ، ابتَكَرهُ أشخاصٌ مِن بُعدٍ آخر، لَديهم تكنُولوجيّة قادِرة على خَلقِهم. وقَد أبلَغَت وسائِلُ إعلامِهم السكّانَ بذلِك.

فَهمَ شَعبُ *انفرا-وورلد* أيضاً بأنَّ ليسَ لَهم وجُود ماديّ. ليسوا سِوى تتابُعاتٍ مِنْ 0 و1 على دَعامَةٍ مِغناطِيسيّة، تَتابُعٌ مِنَ الين واليانغ على سِلسلَةٍ طَويلَةٍ مِنَ المعلُومَات، (DNA) إلكترونيّ يَصِفُ ويُبرمِجُ كونَهم. للوهلَةِ الأولى صَدَمهم أنْ يكونَ «وجُودَهم» هشٌّ إلى هذا الحدّ ومِنْ ثمَّ اعتَادُوا علَى ذلك.

ما يُريدون فهمَه مِنَ الآن فصاعداً هو سَببُ وجُودِهم. الجَميعُ يَعلَم أنّه سبَقَ لَهم أنْ كَشَفوا وجُودَ إلَهِهم، إلَهٌ أنثى يُدعَى «فرنسين» كما يَعلَمونَ أنّهم قتَلوه أو، على الأقلّ، جَرحُوهُ جِراحاً بلِيغَة. ولكنَّ ذلكَ لا يَروي ظَمأهُم. يُريدُونَ فَهمَ العالَمِ الذي يَعلُوهُم.

243. تَسلْسُل

ركضَت مُباشرةً إلى الأمام. ثمّ انْحَدَرت سريعاً مُتعرّجةً بين أشجَارِ الحَورِ المُنتَصِبةِ حولَها مثلَ أسْهُمٍ أرجُوانيّة.

تنَاهى إلى السَّمعِ اصْطفاقُ أجنِحَة. فرَدَت فراشَاتٌ أجنِحَتها الرافلة بشتّى الألوانِ وخَفقت في الهَواءِ في إثْر بعضِها بعضاً.

انقضَى عام؛ أعادَت جولي، حارِسةُ *الموسوعة*، الكتَابَ إلى داخِلِ الحَقيبَةِ المُكعّبة مِنْ جَديدٍ ووضَعتهُ حيثما وجَدَته بالضّبطِ. لكي يتمكّنَ آخَرُ من استخدام العِلمِ النّسبيّ والمُطلَق في المُستَقبل.

الآن، ما عادَت هي وأصْدِقَاؤها بحَاجَةٍ لامتلاكِ الكِتَاب. كان الثّمانِيةُ يَحمِلونَ مضَامينَهُ في داخِلهم، وحتّى أنّهم أضَافوا إليه. عِندما يُنهِي مُعلّم عملَه، عليهِ الانْسِحَاب، حتّى وإنْ كانَ مُجرَّد كِتاب.

قبلَ أنْ تُغلِقَ الحقيبَةَ الصّغيرةَ، أعادَت جولي قِراءةَ الصَّفحَة الأخيرة مِنَ المُجلّدِ الثّالِث. كانَت اليَدُ المُتوتّرةُ لإدمون ويلز قَدْ ارتَعشت وهي تَخُطّ الكلِماتِ الأخيرَة هذِه.

انتَهى الأمر. ومع ذلك، إنّها مُجرَّدُ البدَاية. أتى الدّورُ عليكم بأنْ تقومُوا بالثّورة، أو بالارتِقاء. أتى الدّورُ عليكم بأنْ تُشكّلوا لأنفسِكم طمُوحاً من أجلِ مُجتَمعِكم وحضَارتِكم. أتى الدّورُ عليكم بأنْ تخترِعُوا، أنْ تَبنُوا، أنْ تَبتكِرُوا لئلّا يبقَى المُجتَمعُ جامِداً وألّا يتقهقرَ إلى الخَلفِ يَوماً.

أكمِلوا *موسُوعة العلم النسبيّ والمُطلق*. اختَرعوا مشَاريعَ جدِيدَة، أساليبَ مَعيشَةٍ جدِيدَة، طُرق تَربيةٍ جدِيدة ليتمكّن أطفالكم أنْ يُنجِزوا أفضَلَ مِنكم. وسِّعوا إطارَ أحلَامِكم.

حاولوا أنْ تؤسِّسوا مُجتَمعاتٍ طُوباويّة. ابتكِروا أعمَالاً لا تَلبثُ أنْ تكونَ أكثَرَ جُرأة. جمِّعوا مَواهِبكم لأنّ 1 + 1 = 3. امضوا في فَتْحِ أبعَادِ تَفكيرٍ جدِيدَة. بلا كبريَاء، بلا عُنف، بلا اسْتِعرَاض. بادِروا إلى الفِعل، ببسَاطَة.

نَحنُ لَسنا سِوى أناسٍ مِنْ قبلِ التّاريخ. المُغامَرةُ الكبيرَة أمامنا، وليست خلفنا. انهلوا من بنك المعلومات الهائل الذي تُمثّلهُ الطّبيعةُ المُحيطَةُ بكم. ذلك هَديّة. كلّ شكلٍ مِنَ الحَياةِ ينطَوي في دَاخِلهِ على عِبرة. تواصَلوا مع كلّ ما يمتُّ للحياةِ بصلةٍ. امْزجُوا المَعارِف.

ليسَ المُستَقبلُ مُلكاً للأقويَاءِ ولا للشَخصِيّاتِ اللّامِعَة.

المُستَقبلُ للمُختَرِعين بلا رَيب.

اختَرِعوا.

كلّ واحدٍ مِنكُم هو نَملَة تُساهِمُ بعودِها في إشَادةِ الصّرْح. اعثروا على أفكارٍ صَغيرة أصِيلَة. كلُّ واحدٍ مِنكم مُطلَقُ السُّلطةِ وسَريع الزَّوال. وهذا سَبَبٌ إضَافيٌّ لتُسارِعُوا في البِنَاء. سيَستَغرِقُ ذلكَ زمناً طويلاً، ولَن تَروا أبداً ثِمارَ عَملِكم ولكن، مِثلَ النّمل، قومُوا بخَطوتِكم. خَطْوة قبلَ أن تَحينَ سَاعَةُ الموت. ودونَ أنْ تَلفِتَ النّظر ستَتولّى نَملَة الأمر عنكم وثمّ واحِدةٌ أخرَى، ثم واحِدة أخرَى، ثمّ واحِدة أخرَى.

ثَورةُ النّملِ تشتَعلُ في الرّؤوسِ، وليسَ في الشّارع.

أنا ميّت، وأنتُم أحيَاء. بعدَ ألفِ سنَة، سأكون ما أزالُ مَيتاً ولكن أنتُم ستَكونُونَ أحيَاء.

انتهزُوا فرصَةَ أنّكم أحياءً لتفعَلوا.

أشْعِلوا ثَورةَ النّمل.

غيّرَت جولي تَرتِيبَ رُموزِ القِفْل، وبواسِطةِ حبْل، نَزلَت الوادِي حيثُ سقَطَت في الماضِي.

خدّشَها العُلّيقُ والأشَواك والسّراخِس.

وجَدَت الأخدُودَ المُوحِلَ من جَديد، النّفقَ المُختَرقَ للتلّ.

ولَجتهُ زَحفاً، يُصَاحِبها شعورٌ بأنّها تَضَعُ قنبلَةً مؤقّتة، وضَعتِ الحَقيبةَ في المكانِ الذي اكتَشَفتهُ بهِ تماماً.

ستَتَجدَّدُ ثَورةُ النّملِ في مكانٍ آخَر، بأسلُوبٍ مختَلِف وبأزمَانٍ أخرَى. ومثلها سيَكتَشِفُ أحدٌ، يوماً ما، الحَقيبةَ وسيَختَرعُ **ثورةَ النّملِ** الخاصّةِ به.

خرجَت جولي مِنَ النّفقِ المُوحِل وصَعدَت المُنحدَر مُتشبّثةً بالحَبل. غدَتْ تَعرِفُ دَربَ العَودَة.

اصطَدَم رأسُها بالصَّخرَةِ الرّمليّةِ المُشرِفةِ على الوادِي ودفَعَت ابن عرسٍ الذي، في هرُوبِه، أجفلَ الطّيرَ الذي دفَع البزّاقة والتي بدورِها كدَّرَتْ نَملَةَ كانَت تَهمُّ لتَقطِيعِ ورقَة.

تنفَّسَت جولي وراحَت آلآف المعلُوماتِ تتدفَّقُ في دِماغِها. تَحفَلُ الغابَةُ بثَرواتٍ شتّى. الشابَّةُ ذاتُ العينَينِ الرَّماديّتينِ الفاتِحتَين ليسَت في حَاجةٍ إلى قَرنَين لتلتَقطَ رُوحَ الغابة. من أجل الدّخُولِ إلى عَقلِ الآخرين، تَكفِي الإرادَةُ بذلك.

عَقلُ ابن عُرسٍ مَرِنٌ، متموّجٌ بأسنَانٍ مُدبَّبةٍ صَغيرة. يُفلحُ ابن عُرسٍ بتَحريكِ جسَدِهِ بثلاثةِ أبعَادٍ وهو يُحدّدُ مَوقِعهُ تَماماً في الطّبيعَة.

ركّزت جولي انتِباهَها داخل عَقلِ الطّيرِ وعَرفت مُتعةَ إجادَةِ الطّيران. يُبصِرُ مِنْ علوّ شَاهِق. عَقلُ الطّير مُعقّدٌ بشكلٍ لا يُصدّق.

عَقلُ البزّاقةِ مُطمَئن. ما مِن خَوف، ليس سوى قَدْرٍ مِنَ الفضُولِ وقدْرٍ مِنَ التّسليمِ إزاءَ مَنْ ينتَصِب في مواجَهتِهِ. لا تُفكّرُ البزّاقة بغَيرِ الطّعامِ وجَرجَرةِ نفْسِها.

لقد غادَرت النّملَة؛ لَم تُفتّش جولي عنها. في المُقابِل، لا تَزالُ الورقَةُ هنا وشَعرَت بما تَشْعرُهُ الورقَة، مُتعة أنْ تكونَ في الضّوء. البهجَةُ بالعَملِ المُتواصِل في التَّركيبِ الضّوئيّ. ترى الورَقةُ إلى نفسِها فائِقةَ النّشَاط.

حاولَت جولي الشّعورَ بالتلّ. هو عقلٌ بارد. ثقيل. قديم. لا يَعي التلّ الماضي المُعاصِر. يُحدّدُ موقِعهُ في التّاريخ بين العَصْرَين البرمي والجوراسي. لديهِ ذكريَاتٌ عَن المرَاحلِ الجَليديّةِ والترسّبات. لا يأبَهُ بالحيَاةِ التي تَجري فوقَ ظَهره. وليسَ لَهُ مِنْ صُحبَةٍ سوى السَّراخِسِ العَاليةِ والأشجَارِ رَفيقَاتهُ القديمات. البشَر، لا يكادُ يَراهُم يَعيشُونَ حتّى يَمُوتُون لشدَّةِ ما حَيَاتهم ومْضٌ قَصِير. الثديّياتُ بالنّسبةِ لهُ ليسَت سِوى نيازِكَ بلا أهميّة. بالكادِ يولَدُون، وسُرعَان ما يَشيخُون ويُحتَضَرُون.

«مرحَباً ابن عُرس». «مرحَباً الورَقَة». «مرحَباً التلّ». قالَت بصَوتٍ واضِحٍ وعالٍ.

تبسَّمت جولي واسْتأنَفت طَريقها. خرَجَت مِنَ المِنطَقةِ التّرابيّة، ثمَّ رفعَت عينَيها الرّماديّتَين الفاتِحتَين نحوَ النّجومِ والـ...

244. نُزهَة في الغَابة

كونٌ شَاسِع، كحليٌّ وبارِد.

تزلقُ الصُّورةُ مُقتَربةً نَحونَا.

في وسَطِ الكونِ تَظهَرُ مِنطَقَةٌ منثُورة بأعدَادٍ لا تُحصَى منَ المجرّاتِ مُتعدّدةِ الألوان.

في طَرَفِ ذِراعٍ إحدَى هذِه المَجرّات، ثمّةَ شَمسٌ قدِيمةٌ مُتلألِئة.

حولَ هذِهِ الشَّمْس: ثمّة كوكبٌ صَغيرٌ دافِئ ومُعرّق بغيومٍ لؤلؤيّة.

تحتَ هذهِ الغُيوم: ثمّةَ مُحيطَاتٌ أرجُوانيّة تَحدُّها قارّات مَغْراءُ اللّون.

على هذِهِ القارّات: ثمّةَ سَلاسِلُ جبليّة، سُهول، وتَجمُّعات غاباتٍ فيروزيّة.

تحتَ أغصَانِ الأشجَار هذِه: آلافُ الأصْنافِ الحيَوانيّة. وثمّةَ صِنفَان منها مُتطوّران على نَحوٍ خاصّ.

ثمّةَ خطَوات.

حلّ الشّتاء.

هناكَ مَنْ يَسيرُ في الغابةِ المُغطَّاةِ بالثّلوجِ.

مِن بَعيد، يُمكنُ تَمييزُ بقعَة سَوداءَ صَغيرة وسَطَ الثلجِ النّاصِع.

على نَحوٍ أقرَب، تُميَّزُ حشَرةٌ خرقَاء، مَغروزَةٌ أرجُلَها إلى المُنتَصفِ في المَسْحُوقِ الأبيضِ، ومَع ذلكَ تُجاهِدُ في التقدُّم. تبدُو عَريضَة القامَة. مُمتَلئةَ الأفخَاذ، ومخَالِبها طَويلَة ومُتفرّقَة. إنّها نَملَة شابّة مِنْ فِئَةِ عدِيمةِ الجِنْس. وجهُها شَديدُ الشُّحُوب، وعيناها سَوداوانِ مُكوّرتَان. ولها قَرنانِ دَاكِنانِ وناعِمانِ يُغطّيانِ رأسَها.

إنّها الرّقَم 5.

إنّها المرّةُ الأولَى التي تَسيرُ فيها على الثّلج. سُرعان ما تنضَمُّ إليها الرّقم 10 حامِلَةً فانُوساً في داخِلِه جمْرة ليتحمّلا البرد. تَحرُصُ على عدَمِ المُبالَغةِ في إخفَاضِ الجَمرةِ لئلا تُذيبَ الثَّلج.

وسَط الاتّسَاعِ الأبيضِ والبارِد، تتقدّمُ لاهِثةً بضْعَ خطَواتٍ إضَافيّة. خطَواتٍ ضَيّقة لنَملَة، إلّا أنّها واسِعة بالنّسبةِ لجِنْسِها.

وبما أنَّ الثّلجَ البارِدَ تَحتَ الذّقنِ قَدْ أضجَرها، تَسيرُ، وبأقصَى ما تَستَطيع، تنتَصِبُ على رِجْلَيها الخَلفيّتين.

تَخطُو أربَعَ خطَواتٍ على هذِهِ الوضْعيّةِ غير المُريحَةِ ثمّ تتوقّف. تقَولُ في سِرّها إنَّ المَسيرَ في الثّلجِ بحدِّ ذاتِه بسَالَة. أمّا على رِجْلَين، فهو مشقّة كبيرة. غيرَ أنّها لا تَتَنازَل.

تلتَفتُ نَحو الرّقم 10 وتَقولُ لها:

أظنُّ أنّي اكتشَفتُ طَريقةً جَديدةً للوقوف. اتبَعيني.

245. بدَاية

قلَبتِ اليدُ صفحَةَ الكتابِ الأخيرة.

توقِفُ العينانِ جريَهما مِنَ اليمينِ إلى اليسَارِ ويُطبِق الجَفنانِ عليهما لبُرْهَة.

تَستَوعِبانِ ثمّ تفتَحانِ ثانيةً.

تَدريجيّاً، تَعودُ الكلِماتُ وتَغدُو تَتَابُعاً لرُسُومٍ صَغيرة.

تنطَفِئ، عِندَ أسفلِ الجُمْجُمة، الشّاشَةُ البانوراميّة الضَّخمةُ للدِماغ. إنّها النّهايَة.

إلّا أنّها، قَدْ لا تكونُ سِوى...

بداية

شكر

أشكر جميع أصدقائي الذين يشاركونني وجبة الغداء، والذين بالإصْغاء إلى قِصصهم والاهتِمام الذي يولونه إلى قصصي عثرت على المادة اللّازمة لكتبي.

وها هي قائمة أسمائهم بلا ترتيب: مارك بوليه، رومان فن ليمت، البروفيسور جيرار أمزالاغ، ريشار دوكوسيه، جيروم مارشان، كاترين فيربير، د. لويك إتيان، جي–وونغ هونغ، ألكسندر دوباري، شين لنزمان، ليوبولد برونستان، فرنسوا فيربير، دومنيك شرابوسكا، جان كافيه، ماري بيلي أرن، باتريس سير، دافيد بوشار، غيوم أرتوس، ماكس بريو... (مع الاعتذار لمن غابت عنّي أسماؤهم).

أشكرُ على الأخصّ رِن سيلبير التي كان لديها الصبر على قراءة نُسخي المختلفة من «ثورة النّمل».

الشّكر موصول أيضاً لكامل فريق دار ألبان ميشال.

وللراغبين بالسّباحة في المناخ الذي رافقني أثناء كِتابة هذا الكتاب، أصْغيت إلى المقطوعَات التالية على الخصُوص: موزارت، بروكفيف، بينك فلويد، ديبوسي، مايك أولدفيلد (لكتابةِ مشاهد الغابات)، فرقة جينيسيس، yes، موسيقى أفلام *Dune* (كثيب)، *La Guerre des étoiles* (حرب النجوم)، *Jonathan Livingstone le goéland* (النورس جوناثان ليفنجستون)، و*E.T.* (إي تي) (لكتابة مشَاهِد المُطاردة)، ماريون، AC /DC، ديد كان دينس، أرفو بارت، أندريه فولنيفدير (لكتابةِ مشاهد ثورة تلاميذ الثانويّة)، ومن ثمّ الصّمت أو باخ (لكتابة المُقتطفات من موسُوعة *العلم النسبيّ والمُطلق*).

أخيراً الشكر الجزيل إلى الأشجار التي قدّمت عجينة الورق. آملاً أن يزرع بدلاً منها سريعاً.





فهرست

«مرحباً أيها القارئ المجهول...

هذا الكتابُ يهدُف إلى تغييرِ العالم. لا، لا تتبسَّم. ذلك ممكن... يمكنُ أنْ يؤدي بعضٌ مِنْ سبب إلى نتيجةٍ فادِحَة. يُقالُ بأنّ رفرفةَ جناح فراشة في الهونولولو تكفي لتُسَبِّبَ إعصاراً في كاليفورنيا. أمّا أنتَ فلديكَ أنفاسٌ وهي أعتَى بكثيرٍ ممّا تُثيرُهُ رفرفةُ جناح فراشة، أليسَ كذلك؟».

بعد اكتشافِ الآخَر والاتّصال معه في الكتاب الأوّل «النّمل»، وبعدَ المُواجهة في الكتاب الثاني «يوم النّمل»، التي لم تُسفر عن نصر أو هزيمة، يتوّجُ برنار فيربير في كتابِهِ الثالث «ثورة النّمل» المرحلةَ الأخيرة في سياق العلاقة مع الآخَر بالاعتراف. فهل ستتمكّن الحضَارتان الأكثر تطوّراً على الأرض، بعدَ ألفيّاتٍ مِن الجهل والأحكام المُسبقة، من الالتقاء والتفاهم؟ وهل يُمكن حدوثُ ذلك دونَ ثورةٍ تُخَلْخِلُ ما استقرَّ مِن الأفكار؟

الثورةُ التي يَصِفُها فيربير في كتابِهِ هذا خاليةٌ من العنف، من الغرور، لا تُراقُ فيها دماء، وتتجنّبُ لفتَ الأنظار، تشتَعلُ بالرأس لا في الشارع. حيثُ تحاولُ كلٌ من جولي بانسون، الشّابة ذات الصّوت السّاحر، والنملة ١٠٣، بطلةُ الملحَمة النمليّة، تَحريكَ المياهِ الراكدة في مجتمَعَيهما عبرَ خطَّين سرديَّين مُتوازيين تتواترُ على مقاطعتِهِما مقالاتٌ موسُوعيّةٌ تُسهِمُ في تَعميقِ الحدَث وإدراجهِ ضِمن التجربة الإنسانيّة الطامحة لتجاوز شَرطِها.

تتجاوزُ كتابات فيربير التصنيفات الكلاسيكيّة، فما إنْ يشرعَ القارئُ بتقليب صفحاتِ كتابه حتّى يجدَ نفسَه أمامَ لوحة فسيفسائيّة حافلة، فلا عجبَ أنْ نرى مشَاهد التشويقِ والمغامرة إلى جانبِ الحكاية الفلسفيّة العميقة، الخيال العلميّ إلى جانب الحقائق المُثبتة، التاريخ إلى جوار الرياضيّات...

«نَحنُ لَسنا سِوى أناسٍ مِنْ قَبلِ التّاريخ. المُغامَرةُ الكبيرَة أمامنَا، وليست خلفنا. انهلوا من بنكِ المعلومات الهائل الذي تُمَثّلهُ الطّبيعةُ المُحيطَةُ بكم. ذلكَ هَديّة. كلّ شكلٍ مِنَ الحَياةِ ينطوي في دَاخِلهِ على عِبرة. تواصَلوا مع كلّ ما يمتُّ للحياةِ بصلةٍ. امْزجُوا المَعارِفَ... ليسَ المُستَقبلُ مُلكاً للأقويَاءِ ولا للشَخصِيّاتِ اللّامِعَة... المُستَقبلُ للمُختَرِعين بلا رَيب... اختَرِعوا».

يُعدُّ الكاتِبُ الفرنسيّ برنار فيربير (المولود في تولوز ١٩٦١) واحِداً من أهمّ كتّاب الخَيال العلميّ في العالَم، مُخرجٌ وصحفيّ وعضوٌ في معهد البحوث الخاصّ بالخبرات الخارقة، حاز لنفسه مكانَةً مرموقةً مُنذ روايته الأولى النمل ١٩٩١، والتي بِيعَ منها نحو عشرين مليون نسخة، ولم تلبثْ أنْ ترسّخَتْ مع كتابَي الثلاثيّة اللّاحقَين (يوم النمل، ١٩٩٢) و(ثورة النمل، ١٩٩٦) الذي تُرجِمَ إلى أكثر من ثلاثين لغة.


ISBN 978-2-843090-42-4
9 782843 090424